

القول المكتوب في تاريخ الجنوب

(موسوعة تاريخية حضارية)

(ق ١ - ق ١٥هـ/ ق ٧ - ق ٢١م)

الجزء الثاني عشر

أ. د. غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ - جامعة الملك خالد

مطبوعات جامعة الملك خالد

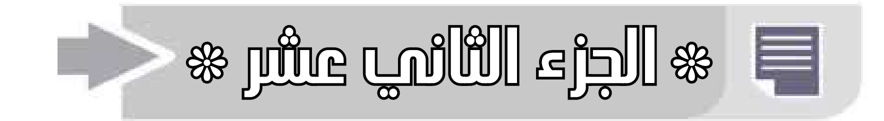
الطبعة الثانية (١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م)



القول المكتوب في تاريخ الجنوب

(موسوعة تاريخية حضارية)

(ق ١ - ق ١٥هـ/ ق ٧ - ق ٢١م)



أ . د . غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ - جامعة الملك خالد

مطبوعات جامعة الملك خالد

الطبعة الثانية (١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م)

ح غيثان بن علي بن جريس ، ١٤٤١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

جريس ، غيثان بن علي بن عبد الله

القول المكتوب في تاريخ الجنوب ./ غيثان بن علي بن عبد الله جريس - ط٢

-. أبها ، ١٤٤١هـ ، (الجزء الثاني عشر)

٥٨٠ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٧- ١٩٠٧ - ٠٣ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)

ردمك : ٠ - ١٩١٩ - ٠٣ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج١٢)

١- المنطقة الجنوبية (السعودية) - تاريخ أ - العنوان

ديوي ٩٥٣,١٥ ١٤٤١/٦٦٧

رقم الإيداع : ١٤٤١/٦٦٧

ردمك:٧- ١٩٠٧ - ٠٣-٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)

ردمك: ٠- ١٩١٩ - ٠٣-٦٠٣ - ٩٧٨ (ج١٢)

مطبوعات جامعة الملك خالد

الطبعة الثانية

١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م

الرياض: مطابع الحميضي



انظـــر

كلمة معالي مدير الجامعة ومقدمة الطبعة الثانية للأجزاء السبعة عشر في بداية الجزء الأول من هذه الموسوعة

(القول المكتوب في تاريخ الجنوب)

(١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م)

الفهرست العام لمحتويات الكتاب

م	الموضوع	الصفحة
١-	**الفهرست العام لمحتويات الكتاب**	٥
٢-	**مقدمة الطبعة الأولى (١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م)**	٧
٣-	**القسم الأول: ورقات من تاريخ وحضارة بعض بلدان السروات وتهامة في المصادر الإسلامية المبكرة**	١١
	أولاً :مقدمة	١٢
	ثانياً: ذكر شيء من تاريخ تهامة والسراة في بعض كتب التراث الإسلامي في الجاهلية والإسلام (مقتطفات، واقتباسات)	١٣
	ثالثاً: أمكنة جغرافية وصور تاريخية في كتاب: معجم البلدان، لياقوت الحموي عن السراة وتهامة (مدونات، وأقوال، وتعليقات)	٥٧
	رابعاً: آراء ووجهات نظر	٩٦
٤-	**القسم الثاني: دراسات وتحقيقات على بعض الأوطان والأمكنة والبحوث عن أجزاء من تهامة والسراة**	٩٧
	أولاً: مدخل	٩٨
	ثانياً: صور من تاريخ وحضارة دوس وغيرها من عشائر زهران في الجاهلية والإسلام . بقلم. أ. علي بن محمد بن سدران الزهراني	١٠٠
	ثالثاً: قلعة (الثريا) ودرب جازان العليا في ضوء المصادر التاريخية. بقلم .د.محمد بن منصور حاوي	١٣٤
	رابعاً: قراءات وتحليلات عن موقع سوق حباشة	١٦٤
	١.قراءة في نصوص بعض المؤرخين والجغرافيين عن سوق حباشة بقلم. أ. عبد الله بن حسن الرزقي القرني	١٦٥
	٢.سوق حباشة في بلاد بارق (تحقيق ودراسة) بقلم . أ. أحمد بن مريف آل سعيد البارقي	١٧٦
	خامساً: بعض التصويبات والإضافات على كتاب:القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء التاسع). بقلم . أ. علي بن محمد بن سدران الزهراني	٢١٠
	سادساً: آراء وتعليقات	٢٤٦

م	الموضوع	الصفحة
٥-	**القسم الثالث: من بارق عسير إلى قلوة زهران (مشاهدات، وقراءات في بعض المصادر، والوثائق، والمدونات)**	٢٤٩
	أولاً: مدخل	٢٥٠
	ثانياً: رحلتي من بارق عسير إلى قلوة زهران (مشاهدات وانطباعات)	٢٥١
	١. بارق والمجاردة	٢٥١
	٢. العرضيات	٢٦٣
	٣. المخواة وقلوة	٢٧٦
	٤. الشدوان الأسفل والأعلى	٢٨٦
	٥. مشاهدات عامة	٢٩١
	ثالثاً: صور من تاريخ بلدان تهامة (بارق ـ قلوة)	٢٩٣
	١. من تاريخها في بعض المصادر	٢٩٣
	٢. من تاريخها في بعض الوثائق	٢٩٩
	٣. من تاريخها في بعض البحوث والمقالات المنشورة وغير المنشورة	٣٠١
	رابعاً: نتائج وخلاصات	٣١١
٦-	**القسم الرابع: قراءات وانتقادات على بعض الكتب والدراسات التي صدرت عن منطقة عسير وما حولها خلال القرن (١٥هـ/ ٢٠-٢١م)..**	٣١٣
	أولاً : مدخل	٣١٤
	ثانياً: سيف الحداثة في الجنوب السعودي : قراءة في كتاب: (نساء بلا قيود ... نساء بلاد حدود). بقلم . أ. محمد بن أحمد بن معبر	٣١٧
	ثالثاً: وقفة تصويب وتوضيح على نسب ومكان الحجر بن الهنوء وسلامان ميدعان. بقلم. أ. محمد بن علي بن محمد آل مسلم الشهري	٤٣٠
	رابعاً: تعليقات على كتاب: شبه جزيرة العرب (عسير) ، لمحمود شاكر . بقلم . أ . محمد بن أحمد بن معبِّر	٤٤٠
	خامساً: آراء وتعليقات	٤٨٧
٧-	**القسم الخامس: الخاتمة : النتائج والتوصيات**	٤٨٩
٨-	**القسم السادس : ملاحق الكتاب العامة**	٤٩٣

مقدمة الطبعة الأولى (١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م)

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين . والصلاة والسلام على سيد ولد آدم محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي وعلى آله وصحبه وسلم . أما بعد ، فهذا المجلد الثاني عشر من موسوعتنا الموسومة بـ : **القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، والأحد عشر جزءاً** التي سبقت هذا المجلد هي:

١. **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير أنموذجاً) .** (الرياض: مطابع مكتبة العبيكان ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م). (الجزء الأول). (٥٦٧صفحة) .

٢. **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير والقنفذة) .** (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م) . (الجزء الثاني) . (٥٢٧صفحة).

٣. **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير ونجران) .** (الرياض :: مطابع الحميضي ، ٣٢-١٤٣٣هـ/٢٠١١-٢٠١٢م) . (الجزء الثالث) . (٦٢٥صفحة).

٤. **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير، وجازان ، والقنفذة).** (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م). (الجزء الرابع) .(٥٧٢صفحة) .

٥. **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحة ، وعسير) .** (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) . (الجزء الخامس) (٦٠٥صفحة).

٦. **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (جازان ، وعسير، ونجران)** (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م) . (الجزء السادس). (٥٥٠صفحة) .

٧. **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحة ، وعسير، ونجران) .** (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م) (الجزء السابع) . (٥٤٦صفحة) .

٨. **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (نجران ، وعسير، الباحة) .** (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م).(الجزء الثامن) . (٥٢٥صفحة).

٩. **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير، نجران، جازان، رنية، تربة، الخرمة)** (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م) . (الجزء التاسع) . (٥٧٦صفحة) .

١٠. **القـول المكتـوب في تاريخ الجنوب (الباحة ، ونجران ، وعسير) .** (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م) . (الجزء العاشر) . (٥٧٣صفحة) .

١١. **القـول المكتـوب في تاريـخ الجنوب (أجـزاء مـن عسـير).** (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م). (الجزء الحادي عشر) . (٥٧٥صفحة) .

أمـا هذا السفر رقـم (١٢) ، فعنوانه : **القول المكتـوب في تاريخ الجنوب (أجزاء مـن تهامـة والسراة)** ، ويتكـون من أربعة أقسام رئيسيـة ، ومقدمة ، وخاتمة ، وملحق لمجموعة وثائق لم يسبق نشرها. وأقسام الكتاب على النحو الآتي:

١. **القســم الأول : ورقات من تاريـخ وحضارة بعض بلدان الســروات وتهامة في المصادر الإسلامية المبكرة .** ويناقش هذا المحور فرعين رئيسيين . الأول: ذكر شــيء من تاريخ تهامة والسراة المــدون في بعض كتب التراث الإسلامي المبكر. والثاني : رصد أسماء وتاريخ وحضارة بعض المواضع في تهامة والسراة المدونة في كتاب: معجم البلدان، لياقوت الحموي.

٢. **القســم الثاني : دراسات وتحقيقات على بعض الأوطان والأمكنة والبحوث عـن أجزاء من تهامة والسراة.** وهذا الباب يشتمل على خمسة مباحث: الأول والخامســ للأستاذ علــي بن سدران عــن تاريخ عشيرة دوس ومــا جاورها في الجاهليــة والإسلام ، ودراسة نقدية وتصويبية علــى المجلد التاسع من كتاب: القــول المكتوب في تاريــخ الجنوب . والدراسة الثالثة لأستــاذ أكاديمي في قسم التاريــخ . بجامعــة الملك خالد عــن تاريخ قلعــة الثريا بجــازان في ضوء بعض المصادر التاريخية المبكرة. والمبحث الرابع يتكون من دراستين لباحثين تهاميين عن موقع سوق حباشة وذكره في بعض المصادر والمراجع .

٣. **القســم الثالث : مـن بارق عســير إلى قلوة زهــران (مشاهــدات ، وقراءات في بعضـ الكتــب والوثائــق، والبحــوث)** . وهذا القسم جمع بــين المشاهدات والرحلة الميدانية ، وبعض النصوص والروايات والمدونات التي ذكرت شيئاً من تاريخ وحضارة هذه البلاد .

٤. **القسم الرابع : قراءات وانتقادات على بعض الكتب والدراسات التي صدرت عن منطقة عسير وما حولها خلال القرن (١٥هـ/ ٢٠-٢١م).** ويتكون هذا المحور من ثلاثة بحوث: الأول والثالث للأستاذ محمد بن أحمد بن معبِّر القحطاني الذي قرأ ونقد كتابين صدرا خلال الأربعين عاماً الماضية ، أحدهما للدكتور محمود شاكر بعنوان (عسير) ، والثاني لأستاذ عسيري بعنوان (نساء بلا قيود ... نساء بلا حدود) ، وقدم ابن معبِّر جهداً جيداً في نقد وتصويب هذين الكتابين ، أما الدراسة الثالثة فهي لشاب واعد ، يمتلك حساً تاريخياً ، كان له وقفات مع بعض الكتب التي صدرت في العقود الماضية المتأخرة وبخاصة في نسب ومكان الحجر بن الهنوء وسلامان ميدعان ، وهذا الدارس هو محمد ابن علي آل مسلم الشهري .

وهذا السفر لم يصدر إلا بعد المرور بالعديد من الصعاب والعقبات ، مثل جمع المادة والتثبت من صحتها ، وكذلك دراستها والتعليق على ما فيها من لبس أو غموض. ومع هذا لا ندعي الكمال في كل ما تم رصده وتدوينه ، ونأمل من القرّاء الكرام أن يصوبوا أخطاءنا ، فنحن جميعاً نسعى إلى خدمة العلم والبحث عن الحقيقة .

وفي الختام أشكر كل من شارك معنا في مادة هذا السفر ، وكل من أسدى لنا معروفاً، أو صحح لنا معلومة ، أو زودنا بأي وسيلة تصب في خدمة هذا المجلد ، والحقيقة أن كل الذين أسدوا لي جميلاً كثيرون ، ومنهم من ذُكر اسمه في متن أو حواشي هذا الكتاب ، ومنهم من لم يّذكر ، وقد يصعب علينا حصرهم وتقييد أسمائهم ، وهم جميعاً أصحاب فضل علينا ، فشكر الله لهم ، وجزاهم عنا كل خير. وقبل الانتهاء أشكر العزيز والزميل الكريم الأستاذ الدكتور/ عباس بن علي السوسوة ، أستاذ اللسانيات في جامعة الملك خالد في أبها ، وجامعة تعز في اليمن الذي راجع مسودة هذا السفر قبل الدفع به إلى المطابع. ونسأل الله عز وجل أن يرزقنا الصدق في القول والعمل ، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، وصلى الله وسلم على رسوله الأمين.

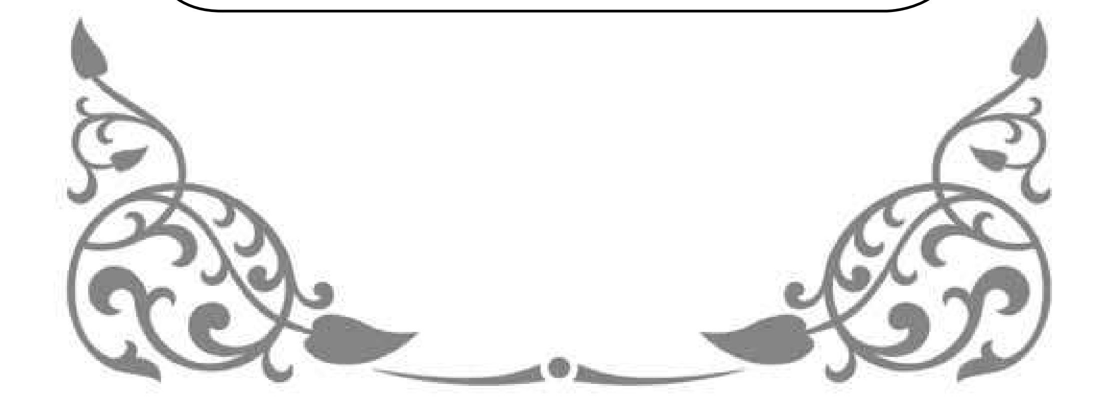
إعداد

العبد الذي يتوسل إلى خالقه فيرجو رحمته ومغفرته
غيثان بن علي بن جريس الثوابي الجبيري الشهري الحجري
الهنوئي الأزدي في مدينة أبها البهية يوم الجمعة
(١٠ /رجب/١٤٣٨هـ الموافق ٧ / أبريل/٢٠١٧م)



القسم الأول

ورقات من تاريخ وحضارة بعض بلدان السروات وتهامة في المصادر الإسلامية المبكرة



القسم الأول

ورقات من تاريخ وحضارة بعض بلدان السروات وتهامة في المصادر الإسلامية المبكرة .

م	الموضوع	الصفحة
أولاً :	مقدمة	١٢
ثانياً :	ذكر شيء من تاريخ تهامة والسراة في بعض كتب التراث الإسلامي في الجاهلية والإسلام (مقتطفات ، واقتباسات)	١٣
ثالثاً :	أمكنة جغرافية وصور تاريخية في كتاب : معجم البلدان، لياقوت الحموي عن السراة وتهامة (مدونات ، وأقوال، وتعليقات)	٥٧
رابعاً :	آراء ووجهات نظر	٩٦

أولاً : مقدمة :

في هذا القسم نبحث في جزئيات من تاريخ وحضارة تهامة والسراة في العصور الجاهلية والإسلامية. ويحتوي هذا الباب على محورين، رئيسين هما: **(١) ذكر شيء من تراث تهامة والسراة في بعض كتب التراث الإسلامي في الجاهلية والإسلام (مقتطفات واقتباسات)**. وفي هذا البند لا نقول إننا اطلعنا على جميع كتب التراث، وإنما اقتصرنا على بعضها[1]. **(٢) أمكنة جغرافية وصور تاريخية في كتاب: معجم البلدان لياقوت الحموي عن السراة وتهامة (مدونات، وأقوال، وتعليقات)**. وما تم طرحة في هذين العنصرين قد يفتح آفاقاً أوسع لبعض الباحثين الجادين فيتوسعون في دراسة ما دوناه ، أو يصححون ما وقعنا فيه من أخطاء ، أو دراسة أرض وأهل تهامة والسراة دراسة مطولة ومستفيضة من خلال مصادر التراث الإسلامي .

---

(١) أكرر القول بأن ما تم عرضه في هذه الصفحات نماذج وصور تاريخية وحضارية محدودة ، ونأمل أن يدرس هذا الموضوع في هيئة كتاب أو رسائل علمية موثقة .

ثانياً: ذكر شيء من تاريخ تهامة والسراة في بعض كتب التراث الإسلامي في الجاهلية والإسلام (مقتطفات، واقتباسات) .

م	الموضوع	الصفحة
أولاً:	مدخل	١٣
ثانياً:	صفحات جغرافية وسكانية	١٤
ثالثاً:	شيء من الحياة الدينية والعقائدية	٢٥
رابعاً:	صور من الحياة السياسية	٣٥
خامساً:	لمحات من الحياة الاجتماعية	٤٥
سادساً:	جوانب من الحياة العلمية والثقافية	٤٩
سابعاً:	شذرات من التاريخ الاقتصادي	٥٣

أولاً: مدخل:

كتب التراث الإسلامي متعددة الأسماء، متنوعة الموضوعات ، فمنها الدينية والشرعية والفقهية، كالقرآن الكريم وتفاسيره ، وكتب السنن الستة : صحيح البخاري، وصحيح مسلم ، ومسند أحمد ، وسنن ابن ماجه ، والترمذي، وأبو داود . وكتب الفقه مثل: مؤلفات الأئمة مالك، وأبو حنيفة ، والشافعي، وكتب الخراج : لأبي يوسف، والأموال لابن سلام ، والأحكام السلطانية للماوردي، وما نُشر من مؤلفات في هذا الباب عبر عصور الإسلام المبكرة والوسيطة[1]. وهناك كتب السير، والطبقات ، والتراجم، والتاريخ العام والحولي، وتاريخ البلدان والحواضر، وأيضاً المؤلفات في اللغة ومعاجمها، والأدب والشعر، والمعاجم الجغرافية ، أو كتب الجغرافيا والرحلات ، وكتب الأنساب والقبائل ، وموسوعات التراث الإسلامي العامة ، مثل: نهاية الأرب للنويري، ومسالك الأبصار لابن فضل الله العُمري، وصبح الأعشى للقلقشندي ، ومبهاج الفكر ومنهاج العبر للكتبي [2].

---

(١) انظر دراسة مطولة في بعض كتب التراث التي تحدثت عن جنوب شبه الجزيرة العربية . غيثان بن جريس. دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١-ق١٠هـ/ ق٧-ق١٦م) ، ج٢، ص١١-٢٦.

(٢) المرجع نفسه ، ونأمل أن نرى باحثين جادين يدرسون تاريخ بلدان السراة وتهامة كما وردت في كتب التراث ، ونرى أيضاً من يدرس هذه الأوطان دراسة أثرية ، فتجمع آثارها ونقوشها ورسوماتها الصخرية ، ثم تدرس دراسات علمية ، ونأمل أن مؤسسات أكاديمية تقوم بالتنقيب عن آثارها المدفونة في مواضعها التاريخية المتناثرة في عموم السروات من الطائف حتى نجران .

وفي هذه الصفحات لن نستعرض كتب التراث جميعها ، فهذا موضوع كبير ويستحق أن يدرس في بحث كبير، وربما خرج في عدة مجلدات ، ولكننا سوف نشير إلى مقتطفات ونماذج محدودة ذكرت بلاد وسكان تهامة والسراة في كتب التراث الإسلامي، **والهدف من إشاراتنا هذه والاختصار في الطرح يعود لعدة أمور هي :**

١. أن أرض السروات وتهامة بلاد شاسعة ومأهولة بالسكان ، تربط بين بلاد اليمن والحجاز ، ومذكورة في كثير من الكتب التراثية الإسلامية .

٢. الباحث في مصادر التراث الإسلامي عن حضارة وتاريخ هذه البلاد الممتدة من الطائف ومكة شمالاً إلى جازان ونجران جنوباً لن يجد تفاصيل عامة وخاصة عن أرض وسكان هذه الأوطان ، وإنما سوف يجد شذرات متفرقة في بطون كتب التراث، وجميع ما كتب عنها عند المتقدمين لا يعطي صورة جلية وكاملة عن تاريخها وحضارتها ، وإنما يشير إلى صور متفاوتة في الكم والمعلومات من محور لآخر.

٣. التنبيه إلى أن مصادر التراث الإسلامي لم تغفل الإشارة إلى حضارة هذه البلاد، لكن ما حفظته لنا لا يكفي، ولابد من إجراء دراسات أثرية في الحواضر والقرى والمدن الحضارية التي عاش فيها وعرفها أهل البلاد خلال القرون الجاهلية والإسلامية المبكرة . وهذا التنبيه يفيدنا أيضاً في قراءة بعض الصفحات التاريخية عن هذه البلاد ، وندعو أرباب القلم وأهل الاختصاص من علماء التاريخ ، واللغة والأدب، والجغرافيا والرحلات، والأنساب في جامعاتنا ومراكزنا البحثية الحديثة أن يجمعوا ويدرسوا وينقدوا ما ذكر عن هذه البلاد في كتب التراث الإسلامي(١) .

ثانياً: صفحات جغرافية وسكانية :

١. المقصود ببلاد تهامة والسراة :

تهامة : سميت تهامة لشدة حرها ، وهي تساير البحر ، ومنها مكة والحجاز، قال ابن عقيل: ما سال من الحرتين سليم وليلى فهو تهامة . وقال المدائني : تهامة اليمن هو ما أصحر منها إلى حد في باديتها فهو من تهامة (٢) . وتهامة قطعة من اليمن ،

(١) نأمل من طلاب الدراسات العليا في أقسام التاريخ واللغة العربية في جامعات الملك خالد ، والباحة، ونجران، وجازان، وبيشة أن يتخذوا من هذه البلاد موضوعات لأطروحاتهم في درجة الماجستير والدكتوراه، وأن تكون كتب التراث الإسلامي من أهم مصادرهم الرئيسية في هذه الدراسات .

(٢) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ج٢، ص ٦٣.

ويحد تهامة في غربيها بحر القلزم ، وشرقها جبال، وفي شرقها مدينة صعدة، وجرش، ونجـران ، وشمالها مكة وجدة ، وجنوبها صنعـاء، وطول تهامة من الشرجة إلى عدن ، وعرضهـا مـن الجبال إلى عمل غُلافقَـة [١] وتهامة من أقسام بـلاد العرب . ومن بلاد تهامة عك، والمجازة، وعليب، وقنونا وكلها تهامة [٢].

والسـراة : السـراة الجبال . وجبـل السراة ما بين اليمن والشـام ، وهو مجموعة من الجبال المتصلة على شق واحد من أقصى اليمن إلى الشام ، والسروات ثلاث: (أ) سـراة بين تهامة ونجـد وأدناها الطائف وأقصاها قرب صنعـاء ، والطائف سراة بني ثقيـف . (ب) معدن البرام هو السراة الثانية وهو في بلاد عدوان. (ج) والسراة الثالثة أرض عالية وجبال مشرفة على البحر من الغرب وعلى نجد من المشرق ومنها سراة بني شبابـة وغيرها من الطائـف حتى صنعاء[٣]. وفي وصفها [٤]. أنهـا جبال شامخة عالية ذات عيـون دافقـة ومياه جارية على قرى متصلة الواحـدة إلى جانب الأخرى ، ولا تخلو قريـة منهـا من أشجار وغروس ذوات فواكه أكثرها العنـب واللوز . وقد وصفت في كتب عـدة [٥]. وتشتمل على السروات التالية : سراة بني سيف ، وجبلان ، والمصانع ، وعذر، وهنـوم ، وخولان ، ثم يتلوهـا السروات التي بأرض تهامة ، وهـي: سراة جنب ، وتهامة السراة ، ثم الجبل الأسود إلى الشقرار وسعياً من أرض جرش . وغور هذه البلاد أعلاه ضنـكان والبرك والمعقـد، وسراة عنز ، وسراة الحجر نجدهـا خثعم وغورها بارق، ثم سـراة مـن الأزد وبنو القـرن، وبنو خالد ، نجدهم خثعم وغورهـم قبائل من الأزد ، ثم سـراة الخـال لشكر ونجدهم خثعـم ، وغورهم قبائل من الأسد بن عمـران ، ثم سراة زهـران مـن الأزد دوس وغامد ونجدهم بنو سوأة بن عامر ، ثـم سراة بجيلة فنجدها بنـو المعترف، وغورهـم بنو سعد من كنانة . ثم سراة بني شبابة وعدوان وغورهم الليث ومركوب فيلملم . ثم سراة الطائف وغورها مكة ونجدها ديار هوازن من عكاظ[٦].

ونورد بعض أقوال الذين كتبوا في الجغرافيا كالهمداني، وياقوت الحموي، فالحسن الهمداني يشير إلى أن السراة أعظم جبال العرب ، ويمتد من أقصى اليمن حتى أطراف

---

(١) الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، مجا، ص١٤٦.
(٢) البكري ، معجم ما استعجم ، تحقيق جمال طلبة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٨هـ، ج١، ص١٦.
(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٣، ص ٢٠٤ .
(٤) العمري ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، السفر الرابع ، تحقيق حمزة أحمد ، ص ٥٤ .
(٥) انظر: أبو الفداء ، تقويم البلدان . البكري ، المسالك والممالك . القلقشندي ، صبح الأعشى . والنويري ، نهاية الأرب.
(٦) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد الأكوع ، دار اليمامة ، الرياض ،(١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) ص١١٥-١٢٠.

بـوادي الحجـاز، وأرضـ تهامة تجمع مـا يلي هذا الجبل مـن أسياف البحـر من بلاد الأشعريـن ، وعـك ، وكنانه، والجحفة وما صاقبها وغار مـن أرضها في تهامة [١] وجبل السراة الذي يصل ما بين أقصى اليمن والشام ، وتبدأ السراة من أرض اليمن وتشتمل علـى السروات التاليـة: (سراة المعافر[٢]، الـكلاع، وبني سيف، وجبـلان[٣]، وقدم[٤]، وعـذر، وهنوم[٥]، وخولان)، ثم يتلوها السـروات التي بأرض تهامة وهي: (سراة جنب : قرية جنب في هذه السراة ، والكبيبة، وتهامة السراة : ثم الجبل الأسود على الشقرار وسعياً من أرض الطود[٦] ، وسراة عنز ، وسراة الحجر نجدها خثعم وغورهم بارق ، ثم سراة ناة من الأزد ، وبنو القرن ، وبنو خالد، ونجدهم خثعم وغورهم قبائل من الأزد ، ثـم سـراة الخال لشكر ونجدهم خثعم وغورهم قبائل مـن الأسد بن عمران ، ثم سراة زهران من الأزد ودوس وغامد والحر ونجدهم بنو سواءة بن عامر وغورهم لهب وعويل من الأزد ، وبنوعمرو وبنو سواءة خليطي والدعوة عامرية[٧].

ويشير ياقوت الحموي إلى أن تهامة سميت بهذا الاسم لشدة حرها وركود رياحها. وهي تساير البحر ومنها مكة وأجزاء من الحجاز . وقال الشرقي بن القطامي : تهامة إلى عـرق اليمـن إلى الجحفة وذات عرق. وقال ابن عقيل: ما سال من الحرتين سليم وليلى فهو تهامة . وقال الأصمعي: طرف تهامة من قبل أحد مدارج العرج، وأول تهامة من قبل نجد ذات عرق . وقال المدائني : تهامة اليمن هو ما أصحر منها إلى حد في باديتها فهو من تهامة [٨]. والسراة الجبال . وجبل السراة : يصل ما بين اليمن والشام وهو مجموعة من الجبال المتصلة على شق واحد من أقصى اليمن إلى الشام، والسروات ثلاث: وأدناه الطائـف وأقصاها قرب صنعاء ، والطائف سراة بني ثقيف ، ومعدن البرام هو السراة الثانية ، وهو في بلاد عدوان ، والسراة الثالثة أرض عالية وجبال مشرفة على البحر من المغـرب وعلى نجـد من المشرق ، وبأسفل السروات أودية تصـب في البحر منها: الليث،

(١) الهمـداني ، صفـة جزيرة العرب ، تحقيق محمد الأكـوع ، دار اليمامة ، الرياض، (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م)، ص ٥٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٩٩.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٠٥، ١٠٦ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٠٩ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١١٢ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ١١٦ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ١١٨ .

(٨) ياقوت الحموي ، معجم البلدان (بيروت ، دار صادر) ، ج٢، ص ٦٣.

وقتونا ، وضنكان ، وعشم ، وبيش ، ومركوب ، ونعمان، وهو وادي عرفات، وعليب، ويوجد بجبال السراة الأعناب وقصب السكر والقرض والأسحل، وأفصح الناس أهل السروات المطلة على تهامة مما يلي اليمن : (أولها هذيل وتلي السهل من تهامة ، ثم بجيلة وهي السراة الوسطى ، وسراة الأزد - أزد شنوءة - وهم بنو كعب بن الحارث بن عبد اللّه بن مالك بن نصر من الأزد) ، قال سعيد بن المسيب : " إن اللّه تعالى خلق الأرض فمادت فضربها بهذا الجبل (السراة) ، وهم أهم جبال العرب "[١].

٢- أهم المدن والقرى والبلدان :

(*) **الطائف:** مدينة قديمة جاهلية وهي بلد الدباغ ويدبغ بها الأهب الطائفية، وسكنها ثقيف ، وسكن شرق الطائف قوم من ولد عمرو بن العاص وبها الكثير من الأودية . وفي الطائف حائطان لزبيدة عظيمان يقال لموضعهما وج ، ووادي لية وسكنه بنو نصر من هوازن ، ووادي جفن[٢]. (*) **نجران :** وهي قرية تحت تهامة اليمن وبها أودية منها : (وادي الخسف ، والخسف ما اشتق إلا من الخصب - ووادي العلائم ، ووادي الرفاء التي تهب الرياح فيه مدة اثنتي عشرة ليلة فيهلك الزرع ، والكروم) [٣]. (*) **جرش :** جرش وخيوان ونجران كلها بلاد متقاربة في المقدار والعمارة ، وبها تدبغ الجلود اليمانية التي لا يبلغها شيء في الجودة [٤]. وهناك عدة روايات في سبب تسمية جرش بهذا الاسم : قيل أن تبعاً أسعد بن كرب خرج غازياً من اليمن فلما صار في بلاد جرش وهي خالية آنذاك رأي فيهم ضعفاً وقال لهم: (اجرشوا هاهنا أي البثوا فسميت بذلك) ، وهي مخلاف من مخاليف اليمن جهة مكة وهي عظيمة ، وولاية واسعة ، وإليها ينسب الأديم الجرشي والنوق الجرشية ، ولقد فتحت في عهد الرسول (ﷺ) وصالح أهلها[٥]. وهي بلدة بها نخيل وتشتمل على أحياء من اليمن ، ويقال جرش بلدة صالحة

---

(١) المصدر نفسه ، ج٣، ص ٢٠٤، ٢٠٥. هناك مصادر جغرافية عديدة غير الهمداني وياقوت الحموي فصلت الحديث عن جغرافية جبال الحجاز التي فيها جبال السروات ، وكذلك بلدان تهامة مثل: الأصفهاني ، والحربي ، والمسعودي ، والمقدسي ، والبكري، واليعقوبي ، كما أن هناك بحوثاً عديدة حديثة ناقشت الموضوع نفسه مثل كتب ودراسات جواد علي، وصالح أحمد العلي ، وحمد الجاسر ، ومحمد علي الأكوع وغيرهم .

(٢) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٦٠ .

(٣) ابن المجاور ، المصدر نفسه ، ص ٢١٢ .

(٤) الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، مج ١، ص ١٥١ .

(٥) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢، ص ١٢٦ .

وحولهــا من شجــر القرض ما لا يحصى ، بها مدابغ كثيرة وعرضها ست عشرة درجة ، قال الإدريسي : مدينة جرش ونجران متقاربتان في القرب والعمارة ، ولها مزارع وضياع وبينهما ست مراحل[(١)] .

(*) **تبالـة :** بقرب الطائـف على طريق اليمن من مكة وهي لبني مازن قال عمرو بن معديكرب :

أأغـــــزو رجـــال بـنــي مـــازن   بـبـطــن تــبـالــة أم أرقــــدُ

وهــي التي يضرب بها المثـل ، فيقال: " أهون من تبالة على الحجاج " وزعم أبو يقظـان أن أول عمـل وليه الحجاج بـن يوسف الثقفي عمل تبالة ، وهــي من أعمال مكة سميـت بتبالــة بن جناب من بني عملق، أو بتبالة بنت مديـن كما زعم الكلبي [(٢)] . أسلم أهـل تبالة وجرش مـن غير حرب في السنــة العاشرة من الهجرة . وهــي أرض خصبة قريبة من بيشة وتقع على مسافة ثمانية أيام من مكة وستة أيام من الطائف ويوم واحد مــن بيشة [(٣)] ، وذكـرت في مواضع أخرى [(٤)] . (*) **بيشة :** قريــة تقع على واد من بلاد اليمــن وتسكـن بيشــة الكثير من البطون ومنهــا : بطون من خثعم ، وهــلال وسواءة بن عامــر بـن صعصعة ، وسلـول وعقيل، والضبــاب ، وقريش وهم بنو هاشــم ، وبيشة واد يصــب سيله من حجــاز الطائف ويصب في نجد وهو موضع كثــير الشجر وبه نخيل[(٥)] . قــال العقيلــي : جمع بني خفاجة يجتمعون ببيشة ورنية وهمــا واديان ، أما بيشة فيصب مــن اليمــن. وأما رنية فيصب من السراة [(٦)] . (*) **زبيد :** مدينة كبيرة وأهلها أهل مال وثــروة ، وبهــا يجتمع التجار من أرضـ الحجاز وأرض الحبشة ومصــر الصاعدون من مراكب جدة وهي على نهر صغير[(٧)] ، وهي وادي الحصيب يذكر في الآثار أن رسول الله (ﷺ) قال لمعاذ وصيته : " يا معاذ إذا جئت وادي الحصيب فهرول" ومن علمائهم أبو محمــد الصنعــاني ، والفقيه الصوفي ، وأبو علي الزبيدي . ماؤها آبار ، ولها نخل كثير ،

---

(١) أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٧١ .
(٢) الحموي ، معجم البلدان ، ج٢، ص ١٠-١١ .
(٣) الكتب التي أوردتها كثيرة ومنها : الهجري ، تحديد المواضع وغيره .
(٤) الحموي ، معجم البلدان ، ج١، ص ٥٢٩ .
(٥) الأصفهاني ، بلاد العرب ، تحقيق: حمد الجاسر ، صالح العلي ، دار اليمامة ، الرياض .
(٦) الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ص ٥٢ .
(٧) ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ص ١٦٥.

وعليهـا سور فيه ثمانية أبواب ، ولها ساحل يعرف بغلافقة [١] . (*) **حلي :** من أطراف اليمـن وتعرف بحلي ابـن يعقوب[٢] ، وهي آخر حد من جهة مكة [٣] . (*) **أبيدة** : منزل من منازل أزد السراة بين تهامة واليمن[٤] . (*)**أديم :** أرض تجاوز تثليث ، تلي السراة بـين تهامة واليمن وكانت من ديار جرم قديماً[٥] . (*) **تثليث:** موضع ببلاد بني عقيل: قال الهمداني : " تثليث: واد بنجد وهو على يومين من جرش في شرقيها إلى الجنوب، وعلى ثلاث مراحـل ونصـف من نجران" . قال: " وتثليث لبني زبيد ، وهم فيهـا إلى اليوم ، وبها كان مسكن عمـرو بـن معد يكرب الزبيدي" [٦] . (*) **تربـة :** وهو موضع في بلاد بني عامر قال محمد بـن سهل: " من مخاليف مكة النجدية وهي الطائف، وقـرن المنازل ، ونجران ، وعكاظ ، وتربة، وبيشـة ، وتبالة، والهجيرة ، وجرشـ" . قال: " ومخاليفها التهامية : ضنكان ، وعشم ، وأبين" [٧] . (*) **رنيـة :** قرية حد تبالة يسكنها بنو عقيل قرب بيشة وتثليث[٨] .وهي واد ينصب من تهامة [٩] .(*) **رمع:** قرية أبو موسى لبلاد الأشعريين قرب زبيد [١٠] . وغيرها من القرى الكثيرة والمدن التي احتوتها بلاد السراة وتهامة[١١] . (*) **بلاد وادعة النجدية :** بقعة وعـوذان والثويلة وغيل علي وأعلـى وادي نجران ، وجبل شوك، فالزبران ، فالنمنضج ، فغيـل علـي ، فأقاويات ، فجلاجل، وهم من وادعة بن عمرو بن عامر بن ناشح[١٢] .(*) **بلد يام :** وليام وطن بنجران نصف ما مع همدان ، وهي حارة وملاح وسمنان، وبخليف دكـم قتل عبد الله بن الصمة أخو دريد ، والحضيرة ، وبدر ، وصيحان، وقابل نجران ، وهدادة ، والحظيرة بأعلى حبونا[١٣] .

---

(١) أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص٨٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٩٢ .
(٣) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١، ص ٢٥١ .
(٤) المصدر نفسه ، ج١، ص ٨٥.
(٥) المصدر نفسه ، ج١، ص ١٢٧ .
(٦) البكري ، معجم ما استعجم ، ص ٢٧٤.
(٧) المصدر نفسه ، ص ٢٧٤ .
(٨) المصدر نفسه ، ج٣، ص ٧٤ .
(٩) البكري ، معجم ما استعجم ، ص ٢٦٧ ، والصحيح أن ينصب من السروات .
(١٠) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣، ص ٦٨ .
(١١) أسمـاء القـرى والأوديـة والجبال والمواضـع لتهامة والسراة التـي ذكرتها كتب الـتراث، كثيرة جداً ، واكتفينا بهذه النماذج المذكورة في هذا القسم .
(١٢) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٥٠ .
(١٣) المصدر نفسه ، ص ٢٥١ .

(*) **ديار جنب وهي منبه :** ومن ديارهم سروم عقدة ، وسروم العين ، وسروم الفيض هي سروم الطرفاء ، والسفسف ، والقرحاء، والثجة ، وذات عش، والجبل الأسود وهو معظم بلد جنب، وهو ما بين منقطع لسراة خولان بحذاء بلد وادعة إلى جرش وفيه قرى ومساكن ومزارع وهو شبيه بالعارض من أرض اليمامة . ومن بلد جنب راحة ومحلاة ، وهما واديان يصبان من الجبل الأسود إلى نجد شرقاً ، وله أودية تهامية ونجدية [١] . (*) **بلد بني نهد :** طريب، ومصابة من ذوات القصص ، وكتنة ، وأراك، وأراكة في أسفل بلد زبيد وهي ناحية المصامة من ديار خثعم بن عامر بن ربيعة . وتثليث وكان لعمرو بن معد يكرب فيه حصن ونخل ، والقرارة ، والريان ، وجاش، وذو بيضان، ومريع ، وعبالم وغرب والحضارة ، والعشتان، والبردان (بئر بتبالة) وبالعرض من نجران[٢] . (*) **شهران :** وشهران في سراة بيشة وترج وتبالة فيما بين جرش وأول سراة الأزد [٣] . (*) **بلد خثعم :** أعراض نجد بيشة وترج وتبالة والمراغة[٤] . (*) **بلد هلال :** الواديان رنية وأبيدة ، ومن القرى : القريحا وقد خربت ، والعبلاء والفتق[٥] . (*) **بلاد حَكَم من حكم آل عبد الجد ومدنها وملوكها :** الهجر ، والخصوف ، والساعد، والسقيفتين ، والشرجة ، ومن قراها أيضاً: العداية ، والركوبة، والمخارف ، والقليق، ومن أوديتها : حرض ، وحيران ، وجذلان ، وبني عبس ، والحيد، وتعشر، وجحفان ، ولية ، وخلب ، وزائرة ، وضمد ، وجازان ، وصبيا [٦] . (*) **مخلاف عثّر :** وعثر ساحل جليل، ومدينة بيش، وحصبة أبراق ، وفيه من الأودية : الأمان ، وبيش ، وعتود ، وبيض ، وريم، وعرمرم ، وزنيف ، والعمود، وهو الخولان ، وكنانة ، والأزد وملوكه من بني مخزوم ومن عبيدها [٧] . (*) **بلد حرام وكنانة :** وهو وادي أتمة وضنكان وهو معدن غزير ولا بأس بتبره ، والحرة ، حرة كنانة ، والمعقد، وحلي ومن أوديتها : الفراسة، والجونية، والمحرم ، ودعنج ، وعشم معدن ، والسرين، والليث ، ومركوب، واديان فيهما عيون ، ويلملم، والخيال ، وطيبة ، وملكان ، والبيضاء ، والمدارج ، ووادي وحمة وأسفل عرنة [٨] .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٥٢.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٥٣ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٢.
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٥٨ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٥٨ .
(٦) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٥٨، ٢٥٩ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ٢٥٩ .
(٨) المصدر نفسه ، مازال هناك عشرات القرى والمواضع التي ذكرتها كثير من كتب التراث ولم نذكرها ومن يعود إلى كتب المعاجم الجغرافية القديمة سوف يطلع على الكثير منها.

٣. بعض الجبال والأودية :

أ - الجبال : (١) أراك أو أرال : جبل الهذيل قريب من الطائف[١] . **(٢) يلملم**[٢]: جبل من تهامة على ليلتين من مكة وهو ميقات أهل اليمن . **(٣) شكر:** جبل باليمن قريب من جرش[٣] . **(٤) شماخير:** جبال بالحجاز بين الطائف وجرش[٤] . **(٥) غزوان:** جبل بمكة على ذروة الطائف وتسكنه هذيل ولا يوجد بالحجاز موضع أعلى منه[٥] . **(٦) تختم :** اسم جبل بالمدينة وقيل ببلاد بلحارث بن كعب . **(٧) تضارع:** جبل بتهامة لبني كنانة. **(٨) تفرع:** جبل لكنانة قرب مكة. **(٩) تيل:** جبل أحمر شاهق من وراء ديار عامر بن صعصعة . **(١٠) جندف:** جبل باليمن في ديار خثعم وترج . **(١١) الثدوان:** جبلان بتهامة وقيل باليمن أحمران. **(١٢) عصم:** جبل لهذيل. **(١٣) غرار:** جبل لهذيل. **(١٤) لحوظ:** جبل في بلاد هذيل. **(١٥) يصرم :** جبل في بلاد هذيل. **(١٦) حلبة :** وادي بتهامة أعلاه لهذيل وأسفله لكنانة. **(١٧) السلان :** واد فيه ماء من أرض تهامة . (١٨) الضجُن : وادي في بلاد هذيل بتهامة أسفله لكنانة. **(١٩) الكفئان:** شعبان بتهامة فيهما طريقان مختصران يصعدان إلى الطائف . **(٢٠) لحف:** وادي بالحجاز عليه قريتان: جبلة والسراة [٦].

ب. الأودية :

(*) **وادي بني عبس من حكم** [٧].(*) **وادي خلب** : وعلى جانبيه الخصوف ومآتيه من القفاعة ، والبار وبينهما أودية تشرع في قاع تهامة ، وتسقى المخاريف من بلد حكم إلى البحر وهي: وادي تعشر ، وأودية الحيد ، والملحة ، ولية ثم خلب[٨]. (*) **وادي عتود:** وادي نجران ، وادي المنبج [٩]. **أودية تربة ورنية وبيشة:** هذه جميعها أودية

---

(١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١، ص ١٣٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ج٥، ص ٤٤١ .
(٣) المصدر نفسه ، ج ٣، ص ٣٥٧ .
(٤) المصدر نفسه ، ج٣، ص ٣٦٠ .
(٥) المصدر نفسه ، ج٤، ص ١١٢ .
(٦) هذه نماذج من جبال تهامة والسراة ، وهناك عشرات الجبال المتفاوتة في الكبر والصغر وفي الطول والعرض. وبعض الجبال الكبيرة تستحق أن يفرد لها دراسات مستقلة .
(٧) الهمداني ، المصدر نفسه ، ص ١٢٤ .
(٨) المصدر نفسه ، ص ١٢٥ .
(٩) المصدر نفسه ، ص١٢٦، ١٦٢، ١٦٣ .

ضخمــة مسيرة كلٍ منها عشــرون يوماً ، وأسفلها في نجد وأعاليهــا في السراة[١] . (*) **ترج :** واد إلى جانبِ تبالة . (*) **تضاع:** وادي بالحجاز لثقيف وهوازن. (*) **حلية**[٢] : واد بتهامــة أعلاه لهذيل وأسفلــه لكنانة وقال أبو المنذر : ظعنت بجيلة وخثعم إلى جبال السَّــراة فنزلوها وسكنوا فيها فنزلت قسر بن عبقــر بن أنمار بن أراش جبال حلية وما صاقبهــا فأجلوهــم عنها وحلّــوا مساكنهم ثم قاتلوهــم فغلبوهم على الســراة وقاتلهم بعــد ذلك خثعــم ونفوهم عن بلادهم .(*) **حيض :** شعب بتهامــة لهذيل من السراة . (*) **دوقــة**[٣] : لغامد وهــي وادي على طريق الحاج من صنعــاء إذا سلكوا تهامة وبينه وبــين يلملــم ثلاثة أيام. (*) **ضنكان :** واد في أسافل السراة يصب في البحر. (*) **ومن الأوديــة :** وادي جــازان ، وضمد وبينهما وبين خلب أودية مثل زائرة ، والفجا ، وصبيا ، وبيشــ[٤] . (*) **وادي نجــران :** وفروعه من ثلاثة مواضع من بلد بني حيف من وادعة ، ومــن بلد بني جماعة من خولان ، ومن بلد شاكر[٥] . (*) **ويعترض بين نجران وتثليث أودية منها :** حبونن وغيره من بلاد وادعة ويام وزبيد وسنحان وبلد جنب [٦] .

٤- : من مواضع المياه :

أمكنــة الميــاه بأرض تهامة والســراة كثيرة ومنها (*) **تصيــل:** بئر في ديار هذيل . (*)**تقنــذ:** مــن مياه بني سعد بن بكر بن هوازن . (*) **الحليسة :** ماء لقوم من بجيلة يجــاورون بنــي سلول . (*) **حماط :** ماء مــن صدر الليث[٧] .(*) **تيــان :** ماء في ديار هــوازن . (*) **دعائــم:** ماء لقوم من خثعم وهم جيران لبنــي سلول . (*) **العرى:** ماء لقوم من بجيلة مجاورين لبني سلول . (*) **عتود :** ماء لكنانة وخزاعة.

٥. بعض القبائل التي سكنت المنطقة :

مــن القبائــل التــي سكنت بــلاد تهامــة والســرة ، واستقرت بهــا ومــازال بعضها في أماكنهــا القديمــة حتــى اليــوم . (*) **مذحــج:** من بنــي أدد بن زيد بــن يشجب بن

---

(١) ياقوت الحموي ، ج٢، ص ٢١، ج٣، ص ٧٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ٢، ص ٢٩٧ .
(٣) المصدر نفسه ، ج٢، ص ٤٨٥ .
(٤) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٦ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٦٣.
(٦) المصدر نفسه ، ، ص ١٦٦ .
(٧) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢، ص ٢٩٨ .

عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ . قال الكلبي : عن مذحج بن أدد وهو ذو الأنعام، وله ثلاثة نفر: مالك بن مذحج ، وطيئ بن مذحج ، والأشعر بن مذحج، ومن قبائل مذحج سعد العشيرة ، وجعف ، وصعب. ومن بني زُبيد: عمرو بن معديكرب الزبيدي . ومن مذحجٍ جنب[١] ، والنخع ، وعنس[٢] وهو عنس بن مالك بن أدد ، ومن بطونها أيضاً مراد ، ومن مراد فروة بن مسيك وكان والياً لرسول الله (ﷺ) على نجران[٣]. (*)**الأشعر:** هو الأشعر بن أدد أخو مذحج ، ومن بطون الأشعريين : مراطة ، وأسد وسهلة ، والدعالج ، ومن أشراف الأشعريين أبو موسى الأشعري[٤]. (*) **الأزد :** فهم من ولد الغوث، ومن الأزد: خزاعة ، وبارق، ودوس، والعتيك، وغافق، فهؤلاء بطون الأزد[٥]. ومن بارق : مُعفِّر بن حمار البارقي، وهو صاحب القصيدة المشهورة :

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قَرّ عيناً بالإياب المسافرُ

(*) **أما دوس:** سكنت إحدى السروات المطلة على تهامة ، وأول من ملك منهم مالك بن فهم بن غنم بن دوس ، ومن دوس أبو هريرة . (*) **أما العتيك وغافق:** فقبيلتان مشهورتان في الإسلام ، وهم من ولد الأزد ومن بطونها مازن ، وألمع ، وغامد، وثمالة ، ولهب ، وزهران ، ووالبة ، وعك ، وفهم ، والجهاضم وغيرهم[٦]. (*) **بجيلة وخثعم :** من ولد عمرو بن الغوث ، وهم ولد أنمار بن أراش[٧]. وكانت منازل خثعم في البلاد الممتدة من الطائف إلى نجران ، ولاتزال بطون منها موجودة حتى الآن في محافظة بلقرن ، ومنها بطون في تهامة والسراة . ولقد تعبدت خثعم مثل بجيلة ودوس وباهلة والأزد للصنم المسمى (ذو الخلصة) الذي هدمه جرير بن عبد الله البجلي في صدر الإسلام ، أما بجيلة فهم بطون عديدة متفرقة ومن أشهرها قسر ، وعلقمة ، وبنو

---

(١) ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، ط٣، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، (١٣٨٤هـ/١٩٦٥م) ج٣، ص٣٩٣.

(٢) العمري ، مسالك الأبصار وممالك الأمصار ، السفر الرابع ، ص ٢٦٢.

(٣) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٣، ص ٣٩٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٠٠

(٥) العمري ، مسالك الأبصار وممالك الأمصار ، السفر الرابع ، ص ٢٥٤ .

(٦) الأشعري ، التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب ، تحقيق سعيد عبد المقصود ، نادي أبها الأدبي، ١٤٠٩هـ، ص٥٦ .

(٧) النويري ، نهاية الأرب ، المؤسسة المصرية العامة ، السفر الثاني ، ص ٢٥٤.

أحمس[١] . (*) **ثقيف :** وهـو ثقيف بن منبه بطن من هـوازن ، ومن ثقيف بنو جهم ، وبنو عوف ، ويعرفون بالأحلاف ، وكانوا يقيمون بالطائف ، وثقيف بن بكر بن هوازن[٢] .
(*) **القبائل النزارية :** تتألف من ربيعة ومضر وإياد وأنمـار ، أما إياد فكان موطنها تهامـة إلى حـدود نجران ثم تفرقـت بسبب الحروب وسكن قسم منهـا وادي بيشة [٣] .
أمـا أنمار فهـو أبو بجيلة وخثعم [٤] . وقصة أولاد نزار مـع الأفعى الجرهمي معروفة في نجران[٥] . كمـا سكنها سام بن نوح[٦] ، والعماليق[٧] وولد قحطان بن عابر[٨] ، وعندما اقتسم أولاد معد بن عدنان[٩] الأرض نزل مضر بن نزار الأرض الممتدة ما بين السروات والحـرم ، وربيعـة ابن نزار مـن نجد إلى غور تهامة ، وأما إيـاد وأنمار ابني نزار فنزلا الأراضـي الممتـدة ما بين أرض مضر إلى نجران وما حولهـا . فسكنوا الجبال والسهول وجعلوها مراعي لأنعامهم [١٠] . وذكر الهمداني : إن سعد العشيرة [١١] قد أخرجت معد

---

(١) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، جامعة بغداد ، ج٤، ص ٤٤٤ ، ٤٤٦ .
(٢) الأشعري ، المصدر السابق ، ص ٦٤.
(٣) جواد علي ، المفصل ، ج١، ص ٣٩٦ .
(٤) الاشعري ، المصدر السابق ، ص٦٤ .
(٥) انظر : العمُري ، مسالك الأبصار وممالك الأمصار ، السفر الرابع ، ص ٢٧٢.
(٦) بعـد الطوفـان ونزول نوح عليه السلام الأرض قسمها بين أولاده الثلاثة (سام ، وحـام ، ويافث) فكان لابنه سام الأرض الممتدة من بلاد الحرم وحتى حضرموت وإلى عالج ومن ولده أرم بن سام ، انظر : المسعودي، ج١، ص ١١.
(٧) عندمـا أصـاب اليمن القحـط هاجرت جرهـم وتفرقت العماليق، ومـن هلك من بقاياهـم عاد فاتجه العماليـق نحـو تهامة يطلبون الماء والمرعى وعليهـم السميدع بن هوبر بن لاوي بـن قويطر بن كركر بن حيدان فجاوروا هاجر وإسماعيل عليهم السلام ، المسعودي، ج٢، ص ٤٦، ٤٧ .
(٨) واستقـر ولد قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفشخد بن سام بن نوح بن كهلان وحمير بأرض اليمن والتهائم والأنجـاد وبـلاد حضرموت والشحـر والأحقاف ، وبلاد عمـان وغيرها من الأمصـار . المسعودي ، المصدر نفسه، ج٢، ص٧١ .
(٩) عدنان بن ميدع بن أدد بن كعب بن يشجب بن يعرب بن الهميسع بن جميل بن سليمان بن ثابت بن قيدار بـن إسماعيـل . وقد روي ابـن عباس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ انتسـب فلما بلغ عدنان وقف وقال: (كـذب النسابون) . وولد عدنان عك بن عدنــان، ومعد بن عدنان ، وولد معد بن عدنان ثمانية نفر يذكر منهم أربعة : قضاعة بن معد ، وإياد بن معد ، ونزار بن معد ، فولد نزار ربيعة ، ومضر، وأنمار ولد خثعم وبجيلة فساروا إلى اليمن، وأما مضر فولد إلياس ، ويقال لولد إلياس خندف. المقدسي، البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية ، د ت ، مج٢، ص ١٠٦، ١٠٧ .
(١٠) البكـري ، معجـم ما استعجم مـن البلاد والمواضع ، تحقيق: د جمال طلبة ، بـيروت ، دار الكتب العلمية ١٤١٨هــ، ج١ ، صـ ٢٨، وكان لأولاد نـزار بن معد قصـة مع الأفعى الجرهمي ملك نجـران بوصية من والدهم في خبر يطول ذكره. المسعودي ، المصدر السابق ، ج٢، ص ١٤٤ وما بعدها .
(١١) وهـي مـن قبائل مذحج : سعـد العشيرة بن مالك بن أدد ومـن بطون سعد العشـيرة : جعف ، وصعب ، ومـن بنـي زبيد الصفر: عمرو بن معديكرب. انظر: ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٣، ط القاهرة لجنة التأليف والترجمة ، ١٣٧٢/١٩٦٥م ، ص٣٩٣.

مــن تهامة إلى الحجاز بعد حروب دارت بينهم[١]، وفي أعقاب سيل العرم وخروج عمرو بــن عامــر[٢] بمن معه من أهل اليمــن فتفرقوا في الأرض فسكن الســروات: الحجر بن الهنــوء، ولهب، ونــاه، وغامد[٣] ودوس[٤] وشكــر ، وبارق الســوداء[٥] ، وحاء ، وعلي بن عثمــان ، والنمــر ، وحوالة، وثمالة[٦] وسلامان، والبقوم ، وشمران ، وعمرو، ولحق كثير من ولــد نصر بن الأزد بنواحي الشحر وريسوت[٧] وتلــك القبائل مازالت تسكن الكثير من بطونها المنطقة السروية وأجزاء من تهامة حتى الوقت الحاضر.

ثالثاً: شيء من الحياة الدينية والعقائدية:

لم تكــن منطقــة الســراة بمعزل عن بقيــة أرجاء الجزيــرة العربية ، فلقــد تأثرت بالمعتقــدات الدينية السائــدة بها سواءً الوثنية أو السماويــة . ويمكن أن نتناول الأحوال الدينيــة في بلاد تهامة والسراة من خلال محوريــن(١) السرويون ومعتقداتهم الدينية في الجاهلية .(٢) نور الإسلام يشع في البلاد السروية .

١ـ في الواقــع أن السرويــين ســرت بينهم الكثير من معتقــدات العرب في الجاهلية ومنهــم من كان وثنيــاً ، أو نصرانيــاً ، أو يهودياً، فالوثنية شقــت طريقها إلى الأراضي السرويــة ، شأنهــا شأن بقيــة أصقاع العرب، وهنا نطــرح سؤالاً ، كيف وصلــت الوثنية إلى

(١) الإكليل في أخبار اليمن وأنساب حمير، ج١، تحقيق: محمد الأكوع ، ط ، صنعاء ، وزارة الثقافة والسياحة ، د ، ت ، ج١، ١٥٧.

(٢) عمرو بن عامر بن ماء السماء بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الغوث بن كهلان بن سبأ، أخبرتــه طرفة الكاهنة بأمر سيل العرم وخرج من بلد اليمن فلما كان بنجران تخلف أبو حارثة بن عمرو بــن عامــر بن مزيقياء ، ودعبل بن كعب بني أبي حارثة فانتسبوا في مذحج ، ونزل أناس من بني نصر بن الأزد بين السراة ومكة وأقام معهم عمران الكاهن أخو عمرو بن عامر وعدي بن حارثة بن عمرو ثم سار عمرو بن عامر وبنو مازن ونزلوا بين الأشعريين وعك على ماء يقال له غسان بين واديين يقال لهما زبيد ، ورمع ، ومنهم من دخل مع معد بن عدنان وكانت بينهما حروب ظفرت بها بنو معد بن عدنان فأخرجتهم إلى أن لحقوا بالسراة وأقاموا في سهلة وجبلة . المسعودي ، المصدر السابق، ج٢، ص ١٩٠ .

(٣) غامــد بــن عمرو بن عبــد الله بن كعب وهي مــن قبائل الأزد . ابــن بطوطة ، تحفة الأنظــار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، دت ، ص ٤٧.

(٤) ودوس بن زهران : ومنهم حممة بن الحارث بن رافع سيد دوس في الجاهلية وكان أسخى العرب ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٣، ص ٣٨٨.

(٥) بــارق مــاء بالسراة ، وبارق بطن من خزاعة من بني عامر ومن مزيقياء ومنهم سعد بن عدي بن حارثة . انظر: ابن بطوطة ، تحفة النظار ، ص٤٧ .

(٦) ثمالــة: وهو عــوف بن أسلم بن أبجر بن كعب بن الحارث ، وثمالة منزلهم قريب من الطائف انظر: ابن عبدربه، المصدر السابق، ج٣، ص ٣٨٦.

(٧) ومــن بطون الأزد الأوس والخزرج وغسان وخزاعة، والحجر، ومازن، وغامد، وثمالة، ولهب، وزهران، وعك ، ودوس، ونهم، والجهاضــم ، والأشاقر ، والقسامل ، والفراهيد ، والخزاق ، ويشكر وراسب، والأزد : هو الأزد بــن الغــوث بن بنت من مالك بن زيد بن كهلان. ابن بطوطة، تحفة النظــار ، ص٤٧. انظر: الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٣٧٤.

السراة؟ يذكر ابن حبيب : أن عمرو بن لحي الخزاعي كان كاهناً وله قرين من الجن، فأتاه يوماً وقال له : أجب أبا ثمامة : فقال: لبيك من تهامة : فقال: "ارحل بلا ملالة، فقال له : جَير ولا إقامة ، فقال ائت صف جدة ، فيها أصنام معدة ، فأورد بها تهامة، ولا تهب، ثم أدع العرَب إلى عبادتها تجَب". فأتى ساحل جدة فوجد (ود، وسواع، ويغوث ، ويعوق ، ونسراً)[١]. فحملها معه إلى تهامة ، وحضر المواسم فدعا العرب إلى عبادتها فأجابوه ، فأخذ أحد قبيلة مراد[٢] يغوث، فكان بأرض في اليمن يقال لها مذحج فاتخذوا العديد من الأصنام ، وبالغوا في تعظيمها وتقديسهم لها، وبنوا لها بيوتاً خاصة، وانفردت بعبادته بعض القبائل .

ومن تلك الأصنام التي عبدها السرويون (باجر، ذو الخلصة ، واللات ، وجهار، وذو الكفين ، ويغوث ، والمنطبق، وذي الشري، وعائم) ، فأما صنم ذو الشرى فكان لدوس وباجر صنم الأزد في الجاهلية[٣] ، ويغوث تعبده مذحج ، وكانت في صراع مع مراد عليه ، وكثيراً ما يدخلون في حروب مع بعضهم مع بعض من أجل أن تنفرد كل قبيلة به ، ولعل من أبرز ما حل بهم يوم وقعة الرزم حيث اشتد نزاع مراد مع همدان على صنم يغوث فقتلتهم همدان شر قتلة[٤] . وأما جهار فكان لهوازن[٥] . ومعهم محارب وكان في عكاظ وسدنته هم آل عوف النصريين وهو على سفح أطحل ، وكان له نسك خاص عند الحج: حيث كانوا يلبون له : " لبيك اللهم لبيك ، اجعل ذنوبنا جهار ، واهدنا لأوضح المنار"[٦] . والمنطبق كان لعك[٧] . والأشعريون[٨] وهو مصنوع من النحاس[٩] ، وأزد السراة لهم صنم يقال له عائم[١٠] ، وصنم فراض لسعد العشيرة هدمه رجل منهم

---

(١) الأصنام عبدت على عهد إدريس ونوح عليهما السلام . ابن حبيب ، المنمق في أخبار قريش، تحقيق : خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب ، د ت ، ص ٣٢٨ .

(٢) مراد : هي من قبائل مذحج ، مراد بن مذحج بن أدد ، ومن بطونها : ناحية ، وزاهر ، وأنعم . انظر: ابن عبد ربه ، العقد الفريد، ج٣، ص ٤٠٠ .

(٣) لسان العرب ، القاهرة ، دار الحديث ، د ت ، ج١، ص ٣٢٨.

(٤) ابن حبيب ، المحبر، رواية أبي سعيد الحسن السكري، اعتنت به : إيلزه ليختن ، شتايتر د ط المكتب التجاري ، بيروت ، دت ص٣١٢، الطبري ، الأمم والملوك ، اعتنى به : أبو صهيب الرومي ، ص ٥٦٢، ٥٦٣ .

(٥) هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفه بن قيس بن عيلان ومن بطونهم : سعد بن بكر ، ونصر بن معاوية ، وجشم بن معاوية، وثقيف ، وعامر بن صعصعة. انظر: ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٣، ص ٣٥٤ .

(٦) ابن حبيب ، المحبر ، ص٣١٢ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢، ص ١٩٣.

(٧) عك بن عدنان بن عبد الله ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٣، ص ٣٨٨ .

(٨) والأشعر بن أدد أخو مذحج ويقال: ابن مذحج وولد الأشعر: الجماهر، والأدغم، والأفقم، ومن بطون الأشعريين : مراطة، وأسد، وسهلة، وعكابة، والشراعة ، وعامة ، والرعالج ، ومن أشراف الأشعريين: أبو موسى الأشعري. انظر: ابن عبدربه ، العقد الفريد ، ج٣، ص ٤٠٠ .

(٩) ابن حبيب ، المحبر ، ص ٣١٧ .

(١٠) جواد علي ، المفصل ، ج٦، ص ٢٧٧ .

وقــدم وافداً علــى رسول الله (ﷺ) معلناً إسلامه [١]. وذو الكفين لدوس وخزاعة كسره الطفيل بن عمرو الدوسي عندما بعثه رسول (ﷺ) لدعوة قومه وقال عندما هدمه : "

يـا ذا الـكـفـين لـسـت مـن عـبـادك   مـيـلادنـا أقـدم مـن مـيـلادك [٢].

أمــا أعظم طواغيت أهـل السراة على الإطلاق فهي الـلات وذو الخلصة حيث بلغ مـن شدة تعظيم أصحابها ان بنوا لها بيوتاً خاصــة ، وكانت بعض القبائل العربية تحج إليهمــا. فاللات[٣]. بأرض الطائف ، وكانوا يبالغــون في تقديسه ، وبلغ من تعظيمهم له أنهــم يحجــون إليه ، وجعلوا سدنته إلى أبي العاص مــن بني سيار ابن مالك بن ثقيف ، وكانت له تلبية خاصة بالحج هي: لبيك اللهم لبيك ، كفى بيتنا لبيك ، ليس بمجهور ولا بليــة ، ولكنه من تربة زكية ، أربابــه ، من صالحي البرية "[٤] وأرسل رسول الله (ﷺ) المغيرة بن شعبة لهدمه بعد أن وفدت عليه (ﷺ) ثقيف معلنة إسلامها .

أمــا ذو الخلصــة فكان مــروة بيضاء منقوشة بتبالــة وسدنته بنو أمامــة من باهلة بن أعصــر[٥]. والقبائل التي تعظمه بجيلة ، وخثعــم ، والحارث بن كعب [٦]. وجرهم ، وزبيد ، وأزد السراة ، وهوازن [٧] ، ومن تلبيتهم : "لبيك اللهم لبيك ، لبيك بما هو أحب إليك "[٨]. وعندما ظهر الإسلام بعث رسول الله (ﷺ) جرير بن عبد الله البجلي لهدمه ، وقال له : " يا جرير ألا تكفيني ذا الخلصة ؟ فقال: بلى " . ثم سار إلى تبالة فهدم هذا الصنم وأضرم النيران به فاحترق"[٩].

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، مج١، بيروت : دار صادر ، دت ، ص ٣٤٢ .

(٢) ابــن سعــد ، الطبقات ، مج١، ص ٣٤٢ . للمزيد انظر: الواقدي، المغازي ، (تحقيق مارسدن جونسن) ، ج٣، ص ٩٢٣، ابن هشام ، السيرة ، تحقيق مصطفى السقا ، طبعة بيروت ، ج٢، ص ٢١ .

(٣) صنــم اللات: كان في الجاهليــة على صخرة بالطائف ، وكان أحد رجــالات الطائف وربما اسمه اللات يأخــذ مــن زبيب الطائف والأقط فيجعل منه حسياً ، ويطعم من يمر بــه من الناس ، فلما مات عبدوه، عــن ابــن عباس (**رضـي الله عنه**) قال:(إن اللات لمــا مات قال لهم عمرو بن لحــي: إنه لم يمت ولكنه دخل صخرة ، فعبدوها وبنوا عليها بيتاً) وكانت اللات بالطائف ، الفاكهي ، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، ج٥، تحقيق: عبد الملك بن دهيش ، ط١، ١٤٠٧هـ، ص ١٦٤.

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣١٥.

(٥) ذو الخلصة : اسم البيت الذي كان فيه الصنم ، وقيل اسم البيت الخلصة ، واسم الصنم ذو الخلصة. انظــر: البغــدادي ، خزانة الأدب ولب لسان العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دط ، القاهرة ، الخانجي ، د ت ،ج١، ص ١٩٠ .

(٦) خزانة الأدب ، ج١ ، ص ٢٤ ، ٢٥، ٢٦، ٢٧ .

(٧) خزانة الأدب ، ج١، ص ١٩٠ ، ياقوت الحموي ، ج٢، ص ٣٨٤، ابن حبيب ، المحبر، ص ٣١٢ .

(٨) ابن حبيب ، ص ٣١٢ .

(٩) البغدادي ، ج١، ص ١٩٠ ، ١٩١ .

وكانت بعض القبائل السروية من الحمس، المتشددين في الدين ، مثل: خزاعة ، وكنانة ، وجشم ، وبنو عامر ، وأزد شنوءة ، وجرم، وزبيد ، وبنو ذكوان ، وعمرو اللات ، وثقيف، والغوث، وقضاعة ، ومدلج ، وعدوان[١]. ومن أهل السراة من تحل الأشهر الحرم مثل: خثعم ، كان يقال لهم الفجار، لأنهم لم يكونوا يحجون البيت في الجاهلية[٢]، وكثير من أحياء قضاعة ، ويشكر، والحارث بن كعب[٣]. وقد وجدت بعض العقائد السماوية طريقها إلى أرض السراة ، لكنها كانت أقل انتشاراً من الوثنية. فالنصرانية في قضاعة، وبنو الحارث بن كعب في نجران ، كما اعتنق بعض بني كنانة وبني الحارث اليهودية.

(*) **النصرانية وبنو عبد المدان :** (كعبة نجران) : كان بنو عبد المدان بن الديان على النصرانية، وهم من بني الحارث بن كعب ، بنوا بناءً على هيئة الكعبة وأطلقوا عليها كعبة نجران . وهي قبة من أدم، ثلاثمائة جلدة، إذ جاءها الخائف أمن ، أو طالب حاجة قضيت له ، أو مسترفد أرفد ، وكانت بنو الحارث وخثعم وغيرهم ، ممن يحل الأشهر الحرم[٤]. (*) **دير سرجس وبكس:** ذكر الحموي أنه لراهبين بنجران وفيهما يقول الشاعر :

أيا راهبي نجران ما فعلت هند أقامت على عهدي فإني لها عبد[٥].

(*) **ومن الأوضاع الدينية الجاهلية الأخرى:** (*) **حادثة الأخدود:** كانت اليهودية في حمير ورأسهم ذو نواس الحميري ، الذي سار إلى نجران لنشر اليهودية، وكان في نجران عبد الله بن الثامر أصل النصرانية ، فجمعهم ذو نواس ثم خيرهم بين اليهودية والقتل فاختاروا القتل ، فخد لهم الأخدود ، وأحرقهم بالنار وقتل بالسيف حوالي عشرين ألفاً[٦]. (*) **بناء كنيسة القليس بصنعاء (٥٧١م):** كانت الديانة النصرانية مدعومة بقوى خارجية مثل(الإمبراطورية الرومانية ، والحبشة) ، على عكس اليهودية ، وبعد حادثة الأخدود كتب قيصر الروم للنجاشي في الحبشة يأمره بالذهاب إلى اليمن ونصرة نصارى نجران[٧]، وبعد انتصار الحبشة واحتلالها لليمن

---

(١) ابن فهد ، إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، د ت ، ج١، ص ٦٤ ، ٦٥ .
(٢) الزمخشري ، ربيع الأبرار ، ج١، ص ٣٦٢ .
(٣) الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق: عبد السلام هارون ، ط٢، (مصر: مطبعة مصطفى البابي ، (١٩٤٨م) ، ج٧، ص ٢١٦.
(٤) انظر: ياقوت الحموي ، ج٥، ص ٢٦٨ .
(٥) المصدر نفسه ، ج٢، ص ٥١٤ .
(٦) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج١، ص ٣٩١ .
(٧) المصدر نفسه .

بقيادة أبرهة الأشرم ، وعندما تمكن أبرهة من اليمن ، بنى كنيسة القليس بصنعاء للنجاشي، بهدف صرف الناس عن الكعبة إليها ، فغضب رجل من النسأة من أهل الحجاز، فدخل كنيسة أبرهة وتغوط فيها ، فغضب أبرهة عندما علم بأن من فعل ذلك من أهل البيت الذي تحجه العرب بمكة ، فخرج أبرهة ومعه الفيل محمود متوجهاً إلى البيت لهدمه[١]. (*) **ومن أديان العرب الأخرى :** كانت النصرانية في ربيعة ، وغسان، وبعض قضاعة . واليهودية : في حمير ، وبني الحارث بن كعب، وكندة. والمجوسية في تميم ومنهم الأقرع بن حابس كان مجوسياً ، وأبو سود جد وكيع بن حسان وغيرهما من رجالات العرب. وكانت الزندقة في بعض قريش أخذوها من الحيرة، وبنو حنيفة اتخذوا في الجاهلية إلهاً من حيس تمر يخلط بسمن وأقط فيعجن شديداً ثم يندر منه نواه ، وربما جعلوا فيه سويقاً ، فعبدوه دهراً طويلاً ، ثم أصابهم مجاعة فأكلوه[٢].

(*) **ومن طقوس العبادات الجاهلية أيضاً :** (١) الحلة : كانت العرب في الجاهلية تحرم الصيد في النسك ولا يحرمونه في غير الحرم [٣]. ومن القبائل التي دخلت الحمس : (خزاعة ، وكنانة، والأوس، والخزرج، وجشم، وبنو عامر بن صعصعة ، وأزد شنوءة ، وجرم ، وزبيد، وبنو ذكوان من بني سليم ، وعمرو اللات، وثقيف، وغطفان، والغوث، وعدوان، وقضاعة، ومدلج، والحارث بن عبد مناف، وعضل وحلفائهم). وبقية العرب يسمون الحلة. كانوا يقولون : نحن الحمس ، والاحمس في لغتهم : المتشدد في دينه، ويقال : إنما سموا الحمس بالكعبة لأنها حمساء حجرها أبيض يضرب إلى السواد ويقال: سمُّوا الحمس لشجاعتهم والحماسة [٤]. (٢) أكلة : كان يحرم الصيد في النسك فقط ، ويمنح لأغنياء أكثر أموالهم في النسك للفقراء ، ولا يلبسون الجدد ، ولا يدخلون من باب يأويهم ظل ما داموا محرمين ، ويدهنون ويأكلون أيام نسكهم وعند دخول مكة يتصدقون بكل ما لديهم من حذاء أو ثوب ، ولا يطوفون حول الكعبة إلا في ثياب جديدة وإن لم يجدوا ثياباً جديدة طافوا عراة ، ومن قبائل تهامة والسراة ، التي تسلك هذا المنهج: (عامر بن صعصعة ، وقضاعة ، وخثعم ، وبجيلة ، وهذيل بن مدركة،

---

(١) المصدر نفسه . للمزيد انظر: سورة الفيل في القرآن الكريم وتفسيرها وما حل بأبرهة وجيشه .

(٢) ابن قتيبة الدينوري ، المعارف ، صححه وعلق عليه وراجعه على نسخه جوتن ، ونسخة خطية أخرى في دار الكتب المصرية محمد إسماعيل عبد الله الصاوي ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٠هـ /١٩٧٠م، ص ١٣

(٣) محمد بن حبيب البغدادي ، كتاب المحبر ، ص١٧٩.

(٤) عمر بن فهد ، إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، تحقيق فهيم شلتوت ، ج١، ص ١٣ .

وبـارق)[١]. (٣) الطلس: يصنعون في إحرامهم ما يصنع الحلة ، ويدخلون البيوت من أبوابها ، ولا يئدون بناتهم ، ومن قبائل السراة وتهامة التي تمارس هذه الأعمال ، سائر أهل اليمن وحضرموت ، وعك ، وإياد بن نزار[٢].

ومـن الطقوس الدينيـة لأهـل اليمن والسـروات في موسـم الحج : أنهـم يحلقون رؤوسهم. فيضع كل رجل منهم على رأسه قبضة من الدقيق ، فإذا حلقوا رؤوسهم سقط ذلـك الدقيق ، ويجعلونه صدقة ، وهناك أناس مـن الضركاء [٣]. يأخذون ذلك الشعر بدقيقـه فيلقـون الشعر ويستفيدون من الدقيق[٤]. ومن القبائـل التي لا ترى للحرم ولا للشهـر الحـرام حرمة مثل: طيء ، وخثعم ، وأحياء مـن قضاعة ، ويشكر ، والحارث بن كعـب[٥]. وجميعهم أعـداء في الدين والنسـب[٦]. ويطلق على خثعـم الفجار لأنهم لم يحجوا البيت في الجاهلية[٧]:

(*) **ومـن أشهـر الأصنـام في الجاهليـة:** (١) الـلات: كانـت في الطائف لثقيف علـى صخـرة . وكانوا يسـترون بيته ويضاهون بـه الكعبة، وله محجة وكسـوة وسدانته لآل أبـي العاص مـن بني سيار بـن مالك مـن ثقيـف[٨]. (٢) جهار: لهـوازن بعكاظ ومعهـم محارب . وسدنته كانت لآل عوف ويقـع على سفح أطحل[٩]. (٣) ذو الخلصة: بيـت تعبـده بجيلـة ، وخثعم ، والحارث بن كعـب ، وجرم ، وزبيد والغـوث ، وسدنته بنو هـلال بن عامر يقع في عبـلاء قريباً من مكة[١٠]. (٤) يغوث: لمذحـج في أنعم وقاتلتهم عليـه بنـو مـراد وهربـوا به إلى نجـران ، وجعلـوه عند الضبـاب من بنـي الحارث بن كعـب واجتمعـوا عليـه جميعـاً [١١]. (٥) المنطبـق: للسلف وعـك والأشعريـون، وكان مصنوعـاً مـن النحاس، ولما كسر وجد بداخله سيفاً اصطفـاه رسول الله (ﷺ) فسمي

(١) ابن حبيب ، المحبر ، ص ١٧٩ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) الضركاء : الفقير الهالك لسوء الحال .
(٤) الجاحظ : الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، ج٥، ص ٣٧٨ .
(٥) المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ٢١٦.
(٦) الزمخشري ، ربيع الأبرار ، ج٢، ص ٣٦٢.
(٧) ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص ٣١٢ .
(٨) المصدر نفسه ، ص ٣١٥ .
(٩) المصدر نفسه ، ص ٣١٢ . ٣١٥ .
(١٠) المصدر نفسه ، ص ٣١٢ . ٣١٥ .
(١١) المصدر نفسه ، ص ٣١٧ .

(محنفاً) [١]. (٦) ذو الكفين: صنم عمرو بن حممة الدوسي في سروات غامد وزهران. (٧) سعد: لمالك وملكان ، ابني كنانة بساحل تهامة وكان صخرة طويلة [٢]. (٨) ذو الشرى : لبني الحارث بن يشكر بن مبشر من الأزد[٣]. (٩) رئام : للأزد صنم أنثى وكان لسائر قضاعة [٤]. (١٠) صنم سواع: لهذيل[٥]. (١١) عائم كان لأزد السراة . (١٢) سعير: صنم عنزة. (١٣) صنم نسر: لحمير آل ذي الكلاع.

انتشرت عبادة الأصنام بين القبائل التهامية والسروية ، واتخذت حول بيوت العبادة أماكن حددت بحدود ، فما كان داخلاً عُدَّ حرماً آمناً ، وما كان خارجاً لا يُعد حرماً ، وأقدس مكان في المعبد هو البيت، أي الغرفة التي تضم الصنم أو الأصنام. وكانت الكعبة في مكة تسمى البيت ، ويعرف عند العربية الجنوبية أن البيت هو المكان الذي توضع فيه الأصنام ، ففي نجران بيت عبادة عرف بكعبة نجران ، وكذلك صنمي ذي الخلصة واللات [٦].

٢ـ نور الإسلام يشع في بلاد تهامة والسراة :

عند ظهور الإسلام ، كان أغلب سكان تهامة والسراة على الوثنية ، ويسيرون على خطى قبيلة قريش التي وقفت في وجه النبي (ﷺ) ، فحاربوه وشككوا في الرسالة التي جاء بها ، وامتد شرهم إلى تحذير القبائل الأخرى من السماع إلى دعوة الرسول (ﷺ)[٧]. ونجد الرسول (ﷺ) يعرض دينه على القبائل التي تأتي إلى الحج ، بل ذهب إلى أهل الطائف ودعاهم إلى الإسلام ، لكنهم لم يقبلوا دعوته ، وفضلوا البقاء في صف قبيلة قريش وأعوانها [٨].

(١) المصدر نفسه .
(٢) جواد علي ، المفصل ، ج٦، ص ٢٧٣ .
(٣) المرجع نفسه ، ج٦، ص ٢٧٥ .
(٤) المرجع نفسه ، ج٦، ص ٢٨٨ .
(٥) الفاكهي ، أخبار مكة ، ج٥، ص ١٦١ .
(٦) جواد علي ، المفصل ، ج٦، ص ٤٤٥-٤٤٦ . لم تكن الوثنية هي الديانة الموجودة في جزيرة العرب أو في بلاد تهامة والسراة ، وإنما كان هناك ديانات النصرانية ، واليهودية ، والمجوسية ، والصائبة ، ومن لايزال على ملة الحنيفية . ونقول إن دراسة عقائد وديانات تهامة والسراة قبل الإسلام من الموضوعات التي لم تدرس ، حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرسها دراسة علمية موثقة .
(٧) كتب السير مليئة بالأحداث والتفصيلات التي سلكتها قريش في محاربة الرسول (ﷺ) ، وعدم قبول رسالته . للمزيد انظر: تاريخ السيرة لابن هشام ، وزاد المعاد في هدي خير العباد ، لابن قيم الجوزية .
(٨) المصادر نفسها .

وهناك سرايا عديدة بعثها النبي (ﷺ) إلى أهل تهامة والسراة يدعوهم إلى الإسلام[١] ، ومن تلك السرايا (١) سرية عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى تربة بعثها رسول الله (ﷺ) في شعبان سنة سبع للهجرة في ثلاثين رجلاً إلى عجز هوازن بتربة على طريق صنعاء ونجران فهربت هوازن وعاد عمر إلى المدينة . (٢) سرية خالد بن الوليد : على بن جذيمة من كنانة في تهامة بناحية يلملم . (٣) سرية الطفيل بن عمرو الدوسي إلى صنم ذي الكفين بأرض السراة ، فهدمه وقدم معه من قومه عدد من المسلمين . (٤) سرية قطبة بن عامر بن حديدة ومعه عشرون رجلاً إلى ناحية بأرض خثعم في السراة . (٥) سرية خالد بن الوليد: إلى بن عبد المدان في نجران. وبعد أن قضى الرسول (ﷺ) في مكة نصف شهر بعد فتحها نزلت هوازن وثقيف واد من أودية تهامة وكمنوا للمسلمين في الشعاب والمضايق يريدون قتال النبي (ﷺ) ومعهم النساء والأموال، ورئيس هوازن يومئذ مالك بن عوف ، ومعه ثقيف ، فوافاهم الرسول (ﷺ) بمن معه من المسلمين فهزمهم وغنم المسلمون أموالهم وقسمها النبي (ﷺ) على المؤلفة قلوبهم ، ثم خرج بعد انتصاره في حنين لفتح الطائف، وجعل خالد بن الوليد على مقدمته فمر بنخلة اليمانية ، بقبر أبي رغال ، ثم جاء إلى قرن المليح وهو أحد أودية الطائف ، وفتح الطائف في السنة الثامنة من الهجرة .

انتشر الإسلام في تهامة والسراة ، ودخل فيه أهل تبالة وجرش من غير حرب في السنة العاشرة للهجرة (٦٣٠م) [٢]. وكتب الرسول (ﷺ) إلى عدد من عشائر السروات مثل: (١) بنو الحارث من نصارى نجران ومن تبعهم بأن لهم ما تحت أيديهم ، ولهم أيضاً جوار الله ورسوله ، لا يتغير شيء فيما كانوا عليه، ما نصحوا وأصلحوا في أنفسهم وبلادهم [٣]. (٢) كتب رسول الله (ﷺ) إلى قبيلة خثعم قائلاً: " هذا كتاب من محمد رسول الله لخثعم من حاضرة بيشة وباديتها [٤]، إن كل دم

(١) سمع أهل تهامة والسراة بدعوة الإسلام خلال فترة الدعوة المكية ، بل اعتنق بعضهم الإسلام آنذاك . وقصة دوس والطفيل بن عمرو الدوسي مفصلة في كتب السير منذ أن التقى الطفيل بالرسول (ﷺ) في السنة السابعة من النبوة حتى دخل معظم قبائل دوس في الإسلام في تلك السنة . ومصادر السيرة أفاضت الحديث في هذا الجانب ، وذكرت أقواماً وأشخاصاً آخرين من تهامة والسروات اتصلوا بالرسول (ﷺ) في المرحلتين المكية والمدينة .

(٢) انظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢، ص ١٠ ، وكثير من كتب التاريخ المبكرة فصلت الحديث عن انتشار الإسلام في الطائف ومكة المكرمة وما يقع جنوبهما حتى حواضر اليمن الكبرى .

(٣) كتب التاريخ الحولية مثل: الطبري ، وابن الأثير ، وابن خلدون وغيرهم ذكروا تفصيلات كثيرة عن علاقة دولة الرسول (ﷺ) بأهل نجران وبخاصة النصارى .

(٤) قبائل خثعم تأخرت في إسلامها في عهد الرسول (ﷺ) وأرسلت لهم بعض الجيوش والسرايا لمحاربتهم

أصبتموه في الجاهلية فهو عندكم موضوع ، ومن أسلم منكم طوعاً أو كرهاً في يده حرث من خيار أو عرار تسقيه السماء ... له نشره وأكله "[١]. (٣) كتب الرسول (ﷺ) لعشيرة بارق من الأزد ، فقال: " هذا كتاب من محمد رسول الله لبارق ، أن لا تجز ثمارهم ، ولا ترعى بلادهم في ربيع أو صيف إلا بمسالة من بارق، ومن مر بهم من المسلمين في عرك أو جدب فله ضيافة ثلاثة أيام "[٢]. (٤) عندما أسلم مالك بن عوف من أهل الطائف ، جعله الرسول (ﷺ) أميراً على من أسلم من قومه من ثقيف ، وأمره بمحاربة المشركين في بلاده[٣]. (٥) وقد وفد مذحج على النبي (ﷺ) وعليه ظبيان بن حداد، فقالوا: " **نحن قوم من سراة مذحج من يحابر بن مالك**"[٤]. (٦) في كتب التراث الإسلامي وبخاصة كتب السير، والطبقات ، والتراجم ، والتواريخ الحولية تفصيلات كثيرة عن وفود السروات وتهامة الأخرى مثل: وفد الأزد بقيادة صرد بن عبد الله الأزدي، ووفد نجران الذين قدموا إلى المدينة مع خالد بن الوليد ، ووفود عنس ، ومراد ، وزبيد ، وبجيلة، والأشعريون ، والعكيون وغيرهم [٥].

(*)أما الردة عن الإسلام : كانت أول ردة في عهد الرسول (ﷺ) على يد الأسود العنسي، واسمه عبهلة بن كعب بن عوف العنسي ، وعنس بطن من مذحج [٦]. ولم يطل عصر ارتداد عبهلة ، لأنه قتل قبل وفاة الرسول (ﷺ)[٧]. وكان لأهل تهامة والسراة مواقف متباينة من الردة ، فالكثير منهم بقوا على الإسلام، وظهر مرتدون في عشائر عديدة من بلدان تهامة والسراة مثل: بعض الأشعريين ، والبارقيين ، والزبيدين،

حتى دخلوا الإسلام .

(١) انظر: ابن سعد ، الطبقات ، مج٢، ص ٢٦٦. وللمزيد أيضاً انظر : السيرة لابن هشام ، وابن كثير.

(٢) ابن سعد ، الطبقات ، مج٢، ص ٢٨٦ .

(٣) المصدر نفسه ، للمزيد أيضاً : انظر: ابن كثير، البداية والنهاية ، ج٥، ص ٢٩ .

(٤) انظر ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٢، ص ٣٠ . ونقول لأن تاريخ بلاد تهامة والسراة خلال العهد الجاهلي، والعقود الأولى من عصر الإسلام مازالت بحاجة إلى دراسات علمية أكاديمية ، ونأمل من المؤرخين والباحثين في جامعات الجنوب السعودي أن يدرسوا هذه البلاد تاريخياً وأثرياً وحضارياً فهي جديرة بذلك .

(٥) انظر: ابن سعد ، الطبقات ، مج٢، ص ٣٤٢ وما بعدها ، والنويري ، نهاية الأرب ، ج١٨، ص ٥٩ ، ١٢٠ . وتاريخ الوفود التي قدمت على رسول الله (ﷺ) من تهامة والسراة واليمن مازالت بحاجة إلى دراسة علمية موثقة .

(٦) النويري ، نهاية الأرب ، ج١٩، ص ٦٠ .

(٧) الطبري ، الأمم والملوك ، ج٢، ص ٤٩٥ وما بعدها .

والأزديـين ، والخثعميـين وغيرهـم[١] . ويذكر أن أهـل نجران ولفيف مـن أهل السراة تصدوا للمرتدين وحاربوهم حتى جاء مدد الخليفة الراشد أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) الـذي قضى على حركة الارتداد في عمـوم الجزيرة العربية[٢] . وهنـاك أقوام كثيرون بقوا على دين الإسلام ، مع أن بعضهم كانوا في حيرة من أمرهم، هل يرتدون أم يبقون علـى الإسلام ؟[٣] وأحيانـاً كان لوجهاء القبائل وأعيانها وحكمائها دور في نصح أهلهم وأقوامهم للبقاء على الإسلام ، ويظهر ذلك واضحاً مع أهل ثقيف الذين هموا بالارتداد بعد موت الرسول (ﷺ) ، إلا انهم استشاروا عثمان بن أبي العاص ، وكان مطاعاً ووجيهاً فيهم ، فقال لهم " **لا تكونوا آخر العرب إسلاماً ، وأولهم ارتداداً** " [٤]، فنفعهم الله برأيـه . وكـم نحـن في أمس الحاجـة إلى العقلاء والحكماء الذيـن يجنبون البلاد الخراب والدمار عبر أطوار التاريخ .

(*) التهاميون والسريون في الفتوح الإسلامية :

إن الدارسـ لكتـب التاريـخ السياسيـة والعسكريـة مثـل: مؤلفـات البلاذري، واليعقوبـي ، والطـبري ، والأزدي ، وابـن عبـد الحكـم ، وابـن مسكويـه ، والمسعودي ، وابـن الأثير، وابن خلـدون يجدها تحتوي على معلومات كثيرة عـن أهل السراة وتهامة (أفـراداً، وجماعات ، وعشائر، وقبائل) ودورهـم في فتوحات الإسلام المبكرة في بلاد الشـام ، وأرضـ العراق وفارس ، وفي مصر والسودان، وشمـال إفريقيا والأندلس ، وفي بـلاد المشرق حتى الهند والسند [٥]. كمـا ظهر من هذه الأوطان التهامية والسروية من ساهم في ميادين الحضارة الإسلامية في كثير من بلدان العالم الإسلامي[٦] .

---

(١) المصـدر نفسـه ، ج٢، ص ٥٥١ وما بعدها . وللمزيد انظر: عن تاريـخ الردة في كتب : الكامل في التاريخ لابن الأثير ، وتجارب الأمم لابن مسكويه ، والبداية والنهاية لابن كثير .

(٢) الخليفة الراشد أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) الذي تربى في مدرسة الرسول الكريم (ﷺ) ، كان حازماً وقويـاً في محاربـة المرتدين وهزيمتهـم ، وإعادة البلاد الإسلاميـة إلى سابق عهدها ، كمـا كانت في عهد الرسول (ﷺ) .

(٣) قبائـل الجزيـرة العربية تباينت في مواقفها من الردة ، فهناك قبائـل كبيرة في جنوب ووسط الجزيرة رفضـت الإسـلام وارتدت ، وهنـاك أقوام في عشائر وقبائـل حذت حذو تلك القبائـل الكبيرة المرتدة ، وآخرون ، وهم كثيرون ، بقوا على دين الإسلام ، وتصدوا للمرتدين في أوطانهم وفي عموم بلاد العرب .

(٤) انظـر : ابـن عبد ربه ، العقـد الفريد ، ج١، ص ٧٩ .ودراسة تاريخ الردة في أرض تهامة والسراة مازال بحاجة إلى دراسات مطولة وموثقة .

(٥) نأمـل أن نرى طلاباً ومؤرخين جادين يدرسون إسهامات أهل هذه البلاد الجنوبية السعودية في الحياة السياسية والحربية عبر عصور التاريخ الإسلامي .

(٦) هناك علماء وأدباء وشعراء ورجال مال وإدارة من أهل السراة وتهامة بذلوا جهوداً طيبة في بناء الدولة

رابعاً : صور من الحياة السياسية :

١. من التاريخ القديم :

أ - نصارى نجران وذو نواس أقام أهل نجران على دين عيسى فدعاهم ذو نواس إلى دين اليهودية فأبوا، فسار إليهم في أهل اليمن ، ثم خد لهم الأخاديد وقتل منهم حوالي عشرين ألفاً أو يزيدون[1] ويقال أن سبب غزوة ذي نواس لأهل نجران أن يهودياً كان بنجران ، فعدا أهلها على ابنين له فقتلوهما ظلماً ، فرفع أمره إلى ذي نواس، وتوسل له باليهودية ، واستنصره على نصارى نجران فغزاهم ومثل بهم[2] ، وربما كراهية ذو نواس للنصرانية هو الذي جعله ينزل العقوبة والقتل والحريق بأهل نجران . ويذكر أن رجلاً من نصارى نجران نجا، يقال له (دوس ذو ثعلبان) فذهب إلى قيصر الروم واستنجده فأرسل القيصر إلى نجاشي الحبشة يأمره بغزو اليمن ونجران ، فأرسل ملك الحبشة أبرهة الأشرم ومعه (٧٠) ألفاً من الأحباش حتى دخل اليمن واستولى عليها [3].

ب - أبرهة الحبشي وغزو مكة : استقر أبرهة في اليمن ، وبنى بها قليساً (كعبة) بهدف صرف الناس من الحج إلى الحجاز ، ثم قرر غزو مكة وهدم الكعبة ، فجهز جيشاً ومعه الفيل محمود ، وقيل كان معه ثلاثة عشر فيلاً ، فأعظمه العرب وخافوه ورأوا جهاده ، والوقوف في طريقه [4]. فخرج له رجل من أشراف اليمن يدعى (ذو نفر) ، وجمع من أجابه من العرب لحرب أبرهة ، إلا أنه هزم ووقع في الأسر . ولما وصل جيش أبرهة إلى أرض خثعم عرض له (نفيل بن حبيب الخثعمي) فقاتله ، فانهزم نفيل وأخذ أسيراً ، فلما هم أبرهة بقتله قال له أيها الملك لا تقتلني فإني دليلك بأرض العرب وهاتان يدي لك على قبائل خثعم (شهران وناهس) بالسمع والطاعة . فأعفاه وخلى سبيله وخرج معه يدله على الطريق[5].

الإسلامية في القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة والمعاصرة . ونأمل أن نرى من يدرس هذه الموضوعات دراسة علمية ، فتخرج في هيئة رسائل أكاديمية أو بحوث علمية محكمة .

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية . (بيروت ، ١٤٢٤هـ) ص ٥٦٣ .

(٢) ذكرت قصة أصحاب الأخدود وتعذيبهم في القرآن في سورة البروج ، وحوتها كذلك كتب التراث الكبرى مثل: " الكامل لابن الأثير ، وتاريخ الأمم للطبري ، وغيرها ، وعرفان شهيد ، شهداء نجران .

(٣) ابن كثير ، المصدر السابق ، ص ٥٦٣ .

(٤) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ط٢، (١٤٢٤هـ) تحقيق : عمر عبدالسلام تدمري ، ج١، ص ٤٠٢ .

(٥) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ص ٢٥٣، ٢٥٤ .

وعند مرور أبرهة بالطائف خرج إليه بعض الوجهاء والأعيان فقالوا له : أيها الملك إنما نحن عبيدك، سامعون مطيعون لك ، ونحن نبعث معك من يدلك على البيت الذي تريد ، فتركهم وبعثوا معه أبو رغال حتى أنزله أرض المغمس ، فلما نزلها مات أبو رغال ، وصار العرب يرجمون قبره[1]. أما ما كان من أمر أبرهة والفيل ومحاولة هدم الكعبة وحماية الله لبيته الحرام ، فهذه القصة ذكرت في القرآن الكريم في سورة كاملة هي سورة الفيل .

(*) **من أيام العرب المشهورة :** أي بعض معاركهم وحروبهم وأيامهم في الجاهلية، التي كانت بين القبائل وجل أسبابها إما دفاعاً عن عرض ، أو حمية قبلية ، أو غزو وغارات بعضهم على بعض ، ومنها : (*) **يوم الكُلاب الثاني :** سببه أن رجلاً من بني قيس بن ثعلبة قدم أرض نجران على بني الحارث بن كعب وهم أخواله فحدثهم أنه أصفق على بني تميم وبقيت أموالهم وذراريهم في مساكنهم لا مانع لها . فاجتمعت بنو الحارث من مذحج ، وأحلافهم من نهد وجرم فاجتمعوا في معسكر عظيم لا يعلم في الجاهلية أكثر منه وساروا يريدون بني تميم ، فنزلت عمرو بن حنظلة الدهناء ونزلت سعد والرباب الكلاب ، وأقبلت مذحج ومن معها من قضاعة فقصدوا الكُلاب وقاتل القوم قتالاً شديداً يومهم أجمع ، وكان أول من انهزم من مذحج ومن معها من قضاعة فقصدوا الكلاب وأسر عبد يغوث الحارثي رئيس مذحج [2].

(*) **يوم المروت :** هو يوم بين تميم وعامر بن صعصعة وسببه التقاء قضب بن عتاب وبجير بن عبد الله بعكاظ فدار بينهم حوار فتلاعنا وتداعيا ، فجمع بجير بني عامر وأغار بهم على بني العنبر وأتى صريخ بن العنبر بعمرو بن تميم وبنو مالك بن حنظلة وبني يربوع فجرى القتال، وأسر نعيم بن عتاب القشيري وقتله ، وحمل كدام بن بجيلة المازني على بجير فعانقه ، فأقبل كدام : ولم يكن لقضيب هم إلا بجير فقال كدام يا قضب أسيري ، فخلى عنه كدام وشد على قضب فضربه فقتله ، واستنقذت بنو يربوع أموال بني العنبر وسبيهم من بني عامر وعادوا [3].

(*) **يوم فيف الريح :** وهو بين بني عامر بن صعصعة والحارث بن كعب ، وكان خبره أن بني عامر تطلب بني الحارث إتاوة كثيرة فجمع لهم الحصين وهو ذو الغصة واستعان ببعض قبائل سعد العشيرة ، ومراد ، وصداء، ونهد ، وخثعم ، وشهران ،

---

(١) وهو الموضع الذي ربط فيه الفيل محمود ، انظر: البكري ، معجم ما استعجم ، ص ٦٢ .
(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، أبو صهيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية ، ص ١٧٣ ، ١٧٤، انظر أيضاً، كتاب أيام العرب ، لأبي عبيدة ، ص ٤٢٩.
(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ص ١٧٦ .

وناهس ثم أقبلوا يريدون بني عامر وهم في فيف الريح فاقتتلوا قتالاً شديداً ثلاثة أيام بفيف الريح ، فالتقى الصميل بن العود الكلابي وعمرو بن صبيح النهدي فطعنه عمرو، فاعتنق الصميل فرسه وعاد فلقيه رجل من خثعم فقتله وأخذ درعه وفرسه وشهدت بنو نمير فيف الريح مع عامر بن الطفيل[١] .

(*) **ومن أيام العرب الأخرى : (أ) الرزم :** كان بين مراد وهمدان على صنم يغوث وكان لهؤلاء مرة، وعند هؤلاء مرة ، فأرادت مراد أن تغلب عليه فقاتلت همدان واستولت على الصنم [٢]. **(ب) الأرنب:** كان لبني زبيد على بني زياد من بني الحارث بن كعب من رهط عبد المدان[٣]. **(ج) ذي علق :** يوم التقى فيه بنو عامر بن صعصعة وبنو أسد[٤]. **(د) يوم اللوى:** من أيام هوازن وغطفان وقتل فيه عبد الله بن الصمة أخو دريد بن الصمة [٥]. **(هـ) يوم حوزة الأول:** ووقعت بين سليم وغطفان بسبب مقتل معاوية بن عمرو بن الشريد السلمي. **(و) يوم رحرحان :** وهو لعامر على تميم . ورحرحان : اسم جبل قريب بين عكاظ خلف عرفات [٦]. **(ز) يوم البيداء، والسلان:** البيداء أول وقعة كانت بين تهامة واليمن ، وفي هذا اليوم تمذحجت مذحج وسارت إلى تهامة، ويوم السلان: كان بين أهل تهامة واليمن[٧]. **(ح) أيام الفجار:** من الحروب المعروفة في الجاهلية، فالفجار الأول: بين قريش وقيس بن عيلان، والفجار الثاني هاجه رجلاً من بني غفار من كنانة قدم سوق عكاظ ،والفجار الثالث وسميت بالفجار لما كانوا يعظمون من الدماء وقطع الأرحام [٨].

٢ـ صور من التاريخ الإسلامي :

أ ـ في عصر الرسول والخلافة الراشدة: وقوف أهل تهامة إلى جوار قريش[٩]، وفي هذه الغزوة أقبلت قريش إلى المدينة حتى نزلت بمجتمع الأسيال ومعهم الأحابيش

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٧٦ . انظر أيضاً ، غيثان بن جريس ، القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ج١٠، ص ٣٩ .
(٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ص ٥٦٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ج٣، ص١٠٥٧ .
(٤) إبراهيم شمس الدين ، مجموع أيام العرب في الجاهلية والإسلام. ط١،دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٢٢هـ)، ص ١٠٥.
(٥) جواد علي ، المفصل ، ج٥، ص ٣٦٣ .
(٦) ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، ج٥، ص ١٣٥ ، ١٣٦ .
(٧) المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .
(٨) ابن حبيب ، المنمق في تاريخ قريش ، تحقيق : خورشيد فاروق أحمد ، ص ١٦٠، ١٦٤ .
(٩) الطبري ، تاريخ ، ص ٣٢٤ .

وبنـــي كنانة وأهـل تهامة وغطفان ومن تبعهـم من أهل نجد. وفي صلـح الحديبية جاء بديـل بـن ورقاء من أهـل تهامة إلى الرسول (ﷺ) ، ونصحه وقـال : " إني تركت كعب بـن لؤي وعامر قد نزلوا علـى مياه الحديبية ، فقال له الرسـول (ﷺ) إنهم لا يريدون قتـالاً وإنما أرادوا أداء العمرة ، ثم سار إليـه عروة بن مسعود الثقفي فسبه وتصدى له أبوبكـر الصديق(رضي الله عنه) وبعض الصحابـة[١]. وبعد أن قضى رسول الله (ﷺ) بمكة شهر عام الفتح نزلت هوازن وثقيف وادياً من أودية تهامة، وكمنوا للمسلمين في الشعاب يريـدون قتـال النبي (ﷺ) ورئيس هوازن آنذاك مالك بـن عوف ومعه ثقيف، فتصدى لهم الرسول (ﷺ)وهزمهم وغنم أموالهم وقسمها على المؤلفة قلوبهم[٢]

بعـد انهزام ثقيف في غزوة حنين تحصنـت في الطائف وحاصرهم الرسول (ﷺ) والمسلمون نصف شهر[٣] يقول ابن إسحاق: " فحاصروهم (يقصد المسلمون) وقاتلوهم قتالاً شديداً وتراموا بالنبل ورمى الرسول (ﷺ) أهل الطائف بالمنجنيق[٤].وتذكر بعض الروايـات أن رسـول الله (ﷺ) انصرف عن الطائف حتى نزل الجعرانة فيمن معه من المسلمـين ومعه سبي كثير مـن هوازن، فقال له رجل من أصحابـه يوم ظعن عن ثقيف: يارسول الله أدع عليهم فقال: " **اللهم أهد ثقيف وأت بهم**" ، وجاءه وفد هوازن بالجعرانة وقد أسلموا فقسم لهم من الغنائم[٥]، كما قال الرسول(ﷺ) لوفد هوازن "**أخبروا مالك بـن عـوف إن أتـاني مسلماً رددت عليه مالـه وأهله وأعطيته مائة من الإبـل**" . فسمع مالك بذلـك فأتى الرسول وهو بالجعرانة وأسلم فجعله أميراً على من أسلم من قومه ، ثم قدم وفد ثقيف على رسول الله (ﷺ) مسلمين في رمضان في السنة التاسعة من الهجرة[٦] .

ومـن السرايا التي بعثها الرسول (ﷺ) لبلـدان تهامة والسراة وأجزاء من جنوبي الحجـاز (١) سرية عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى تربة في شعبان من السنة السابعة مـن الهجرة [٧] . (٢) سرية الطفيل بن عمرو الدوسي إلى صنم ذي الكفين في سروات غامـد وزهران في شهر شوال من السنة الثامنة الهجرية[٨]. (٣) سرية قطبة بن عامر

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٤٠٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٤٠ ، ٤٤١ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٤٤ .
(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية . ج٤، ص ٣٤٨ .
(٥) المصدر نفسه ، ج٤، ص ٣٤٨ .
(٦) المصدر نفسه ، ج٢، ص ٢٩ .
(٧) النويري ، نهاية الأرب ، ج١٧، ص ٢٧٠ .
(٨) ابن سعد ، الطبقات ، مج٢، ص ١٥٧ .

بـن حديدة إلى خثعم بناحيـة بيشة في شهر صفر في السنـة التاسعة الهجرية[١]. (٤) سريـة خالد بن الوليد لأهل نجران إلى قبيلة الحارث بن كعب في نجران ومن خالطهم مـن أهل نجران في السنة العاشرة من الهجـرة[٢]. (٥) سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة بناحية يلملم ، ويعرف بيوم العميصاء وذلك بعد عام الفتح[٣] .

ولأهـل تهامـة والسـراة بعض المواقـف الإيجابية في حـروب الـردة ، فتذكر بعض المصـادر أن الخليفة أبـا بكر الصديق (رضي الله عنه) أرسل إلى عبـد الله بن ثور في تهامة يأمره أن يجمع إليه العرب ومن استجاب من تهامة ويقيم بمكانه حتى يأتيه الأمر بقتال المرتدين ، وسار المهاجر بن أبي أمية من قبل الخليفة أبو بكر في المدينة لقتال المرتدين في السـراة وأرض اليمن ، وانضم إليه خالد بن أسيد مـن مكة ، وعبد الرحمن بن أبي العاص من الطائف ، ثم جرير بن عبد الله البجلي ، وعبد الله بن ثور وفروة بن مسيك وسـاروا جميعـاً إلى نجران لحرب المرتديـن ، وطلب المرتدون الأمان فأبـى أن يؤمنهم وانقسمت جيوش المسلمين إلى قسمين ، وكان المهاجر على أحدهما وتمكن من هزيمتهم وكسـر شوكتهـم في السروات ونجران وبلاد اليمن[٤] . وبعـد أن استقر الأمر السياسي في عمـوم اليمن جعل الخليفة أبو بكر عليها أميرين فيروز والمهاجر بن أبي أمية ، وعلى حضرموت أميرين ، وكتب إليهم بأن لا يستعينوا بمرتد في الجهاد[٥] .

ومـن قضاة وعمال الخليفة أبو بكـر الصديق في تهامة على الطائف عثمان بن أبي العاصـ ، وعلى خولان يعلى بن أبي أميـة ، وعلى زبيد أبو موسى الأشعري ، وبعث جرير بن عبد الله البجلي إلى نجران وعبد الله بن ثور إلى جرش[٦]. كما أمر الخليفة أبو بكر الصديق جرير بن عبد الله باستنفار من ثبت على الإسلام وقتال من ارتد عن الإسلام في أرض السراة وأن يأتي خثعم فيقاتل من ارتد غضباً لذي الخلصة[٧] ، فخرج جرير (رضي الله عنه) وفعل ما أمره به[٨] .

---

(١) المصدر نفسه ، مج ٢، ص ١٥٧ .
(٢) الطبري ، المصدر السابق ، ص ٤٨١ .
(٣) الفاسـي المكـي ، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين : تحقيق: محمد عبد القادر، ط١، (١٤١٩هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ج١، ص ٤٠٧ .
(٤) المصدر السابق ، ج٢، ص ٥٥١ ، ٥٥٥ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٥٥٨ .
(٦) النويري ، نهاية الأرب ، ج١٩ ، ص ١٤٤ .
(٧) ذي الخلصة : مروة بيضاء منقوش عليها كهيئة التاج لخثعم وبجيلة وأزد السراة ومن جاورهم .
(٨) ابن الأثير، الكامل ، ص ٢٧٧ .

وتشير بعض كتب التراث إلى صور من إسهامات أهل تهامة والسراة في فتوحات الشام، فيذكر أن الخليفة أبو بكر الصديق وجه الجيوش لقتال الروم في الشام وكان ممن أمرهم على تلك الجيوش خالد بن سعيد بن العاص حيث أمره بنزول تيماء ودعوة من حوله من العرب ضد الروم ، واجتمعت إليه جموع كثيرة ، وعندما علمت الروم جمعت الجموع ، فأرسل أبو بكر يستحث المسلمون على الجهاد في بلاد الشام والعراق ، فكانت أول الجموع التي قدمت المدينة عكرمة بن أبي جهل ومعه أهل تهامة ، وعمان ، والبحرين، والسرو ، فكتب أبو بكر الصديق إلى أمراء الصدقات أن يبدلوا من استبدل ، فكلهم استبدلوا ، فسمى ذلك الجيش البدال ، ووجههم جميعاً لمساعدة خالد بن سعيد في حربه ضد الروم [١] .

أما جبهة بلاد فارس فتذكر المصادر أن جمعاً من سروات بجيلة قدمت على الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بالمدينة ، وكانوا يريدون الجهاد ببلاد الشام ، فأشار عليهم بضرورة الخروج إلى العراق لمساعدة المجاهدين على ثغور الفرس، واستعمل عرفجة بن هرثمة على جديلة من بجيلة ، وجريراً على من كان من بني عامر، إلا أن بجيلة طلبت من الخليفة أن يعفيهم من إمرة عرفجة، فقال عمر بن الخطاب له: "**إن هؤلاء استعفوني منك ، وزعموا أنك لست منهم فما عندك؟ فقال : صدقوا ، وما يسرني أني منهم، أنا امرؤ من الأزد ثم من بارق في كهف لا يحصى عدده ، فقال عمر : نعم الحي الأزد، يأخذون نصيبهم من الخير والشر**" فجعل عليهم جريراً وبعثه مدداً إلى المثنى بن حارثة حتى نزل ذي قار[٢] .كما نزل على الخليفة عمر وفد من بني كنانة والأزد وعددهم سبعمائة رجل، وسألوا عمراً أن يبعثهم إلى الشام ، لكنه استنفرهم إلى العراق ، وأمر على بني كنانة غالب بن عبد الله ، وعلى الأزد عرفجة بن هرثمة وعامتهم من بارق وخرج كل منهم في قومه حتى قدموا على المثنى بن حارثة [٣]. وخرج إليه أيضاً المثنى الجشمي في جشم بن سعد فأمره عليهم وبعثه مدداً إلى العراق[٤]. وجاء أناس من خثعم وعليهم عبد الله بن ذي السهمين فأمره عليهم وبعث به مدداً إلى بلاد فارس ، فسار المثنى بن حارثة بمن معه حتى نزل الفرات وجعله بينهم وبين العجم ، والتقى الجيشان يوم البويب في السنة الثالثة عشرة للهجرة ، واشترك كلٌ من : المنذر بن الحسان وجرير بن عبد الله في قتل

(١) الطبري ، الأمم والملوك ، ج٢، ص ٥٧٧
(٢) الطبري ، الأمم والملوك ، ج٢، ص ٥٧٥ .
(٣) المصدر نفسه ، ج٢، ص ٥٧٦ .
(٤) المصدر نفسه ، ج٢، ص ٥٨٣ وما بعدها .

المرزبان الفارسي، واختصما على سلاحه فتقاضيا إلى المثنى فجعله قسمة بينهما[١]. وتشير بعض المصادر إلى أن الخليفة عمر بن الخطاب كتب إلى سعد بن أبي وقاص ، وكان على صدقات هوازن ، فجاء سعد إليه فأمره على حرب العراق، فخرج من المدينة في أربعة آلاف ممن قدم عليه من أهل السراة واليمن ، وعلى أهل السروات حميضة بن النعمان البارقي وهم : بارق، وألمع، وغامد، وسائر إخوتهم في سبعمائة ، واليمن ألفان وثلاثمائة منهم النخع بن عمرو، وجميعهم يومئذ أربعة آلاف مقاتل وذراريهم ونسائهم ، فرفضوا التوجه إلى العراق وأرادوا السير إلى بلاد الشام ، فلما رأى الخليفة ذلك بعثهم بنصفهم إلى العراق والآخر إلى الشام . وخرج إلى العراق أعداد كثيرة من مذحج وعليهم عمرو بن معديكرب، وأبو سبره الجعفي ، ويزيد بن الحارث الصدائي على صداء وجنب وهؤلاء جميعاً خرجوا من المدينة أربعة آلاف من أهل اليمن ، وألف من سائر الناس، وكان النصر حليف المسلمين[٢]. وممن شارك في القادسية أبو محجن الثقفي ، وعمرو بن معد كرب الزبيدي وغيرهما من فرسان العرب.

وفي عهد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) عقدت بعض الألوية والرايات لبعض السرويين والتهاميين ومن جاورهم في معارك الجمل وصفين . فعقد لمذحج ، والأشعريين راية وولى عليهم زياد بن النضر الحارثي ، وعقد لقيس وعبس وذبيان راية وولى عليهم سعد بن مسعود الثقفي ، وعقد لكندة وحضرموت وقضاعة راية وولى حجر بن عدي الكندي ، وعقد للأزد وبجيلة وخثعم وخزاعة راية وولى عليهم محنف بن سليم الأزدي ، وشهد هؤلاء جميعاً الجمل، وصفين ، وكان على الرجالة جندب بن زهير الأزدي[٣]. وفي يوم صفين عبأ الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) الناس ليلته حتى الصباح ، وزحف بالناس ، وخرج إليهم معاوية (رضي الله عنه) في أهل الشام ، ونظر علي بن أبي طالب إلى قبائل أهل الشام فعرف مواقفهم ، فقال للأزد أكفونا الأزد ، وقال لخثعم: أكفونا خثعم ، وأمر كل قبيلة أن تكفيه أختها من الشام ، إلا أن تكون قبيلة ليس منها بالشام أحد ، مثل بجيلة ، فلم تكن بالشام منها إلا القليل فصرفهم علي على لخم، فاقتتلوا قتالاً شديداً[٤].

(١) المصدر نفسه ، ج٢، ص ٥٨٣ وما بعدها .
(٢) المصدر نفسه ، ج٢، ص ٥٨٣ وما بعدها .
(٣) المصدر نفسه ، ج٢، ص ٥٨٣ وما بعدها .
(٤) الدينوري ، الأخبار الطوال ، تحقيق عمر فاروق الطباع ، دار القلم بيروت ، ١٩٩٥م .

ومـن أدوار أهل السراة وتهامة في عصر بني أميـة (٤٠- ١٣٢هـ/ ٦٦٠-٧٤٩م) أن جهـز الخليفة عبـد الملك بن مروان جيشـاً إلى تهامة وأجزاء من الحجـاز لمحاربة عبد الله بـن الزبير وولى قدامة بن مظعون على الجيش وأمره بالسير ، ثم وجه الحجاج بن يوسف لمحاربة عبد الله ، ثم عزل قدامه وعين بدلاً منه الحجاج بن يوسف الثقفي فسار بالجيش حتى نزل الطائف[١] . وأقـام شهراً ، ثم كتب لعبد الملـك يطلبه الإذن في قتال ابـن الزبير فأذن لـه ، وأمر أصحابه بأن يتجهزوا للحج ثـم سار من الطائف حتى دخل مكـة ، وقد تحصن ابن الزبير في المسجـد ، فاستعمل الحجاج على المنجنيق ابن خزيمة الخثعمي [٢] . فخرج ابن الزبير من المسجد ومن معه فقاتل قتالاً شديداً حتى هزم وقتل .

ويذكر أن بعض عشائر اليمن والسراة مثل: الأزد ، وقضاعة ، وخثعم اجتمعوا ونزلوا في جبانـة الصياديـن . ومذحج وهمدان نزلوا في جبانة كنـدة ووقفوا إلى جوار زياد بن أبيـه أثناء الصراع الذي جـرى بينه وبين حجر بن عدي الـذي كان يرفض سب الإمام علـي بـن أبي طالب(رضي الله عنه) على المنابر أيام الخليفة معاويـة ابن أبي سفيان من قبل أمـير الكوفة المغيرة بن شعبـة ، فلما اشتد أمره عزم على قتلـه إلا أن المغيرة توفي سنة (٥١هـ/ ٦٧١م) ، فتولى الأمر بعده زياد بن أبي سفيان ، ولما استقر له أمر الكوفة ، عمد إلى أسره بأمر من معاوية بن أبي سفيان وقتله مع كثير من أصحابه [٣] .

في سنـة (٤٠هــ/ ٦٦٠م) بعث معاوية بن أبي سفيان بسر بـن أبي أرطأة ، وهو من عامـر بـن لـؤي ، في ثلاثة آلاف فسـار حتى قدم المدينـة دون قتال، وأكـره الناس على البيعة، ثم سار إلى اليمن فقتل عامل الخليفة علي بن أبي طالب على اليمن عبد الله بن عبد المدان الحارثي ، وقتل أيضاً جماعة من شيعة علي في صنعاء وما حولها ، فأرسل له علي بن أبي طالب جارية بن قدامة السعدي في ألفين ، ووهب بن مسعود في ألفين فسار جارية حتى أتى نجران فقتل بها ناس من شيعة عثمان ، وهرب بسر وأصحابه[٤] .

ومـن الخارجـين على بنـي أمية (ثورة التوابـين) [٥] وهم جماعـة خرجوا للطلب بـدم الحسـين بن علي مـن عبيد الله بن زيـاد ، فخـرج لقتالهم سليمان بـن صرد بن

---

(١) الدينوري ، المصدر السابق ، ص ٢٨٦ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٨٧ .
(٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ص ١٠٦٤ .
(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ص ٧٣٢، ٧٣٣ .
(٥) الطبري ، المصدر نفسه ، ص ١٠٨٨ .

ذي كلاع، وأدهم بن محرز الباهلي، وربيعة ابن المخارق الغنوي ، وجبلة بن عبد الله الخثعمي، وكانت وقعة شديدة بنيهم وبين جند الشام ، وانتهت بمقتل سليمان بن صرد وأصحابه[١] . كما خرج المختار بن أبي عبيد الله الثقفي إلى الكوفة مطالباً بدم الحسين بن علي بن أبي طالب، وأخرج منها عامل ابن الزبير عبد الله بن مطيع ، فلما رأى بنو أمية ذلك ، أوكلوا أمره إلى عبيد الله بن زياد بن أبيه ، الذي أرسل إليهم جيشاً على ميمنته الزبير بن خزيمة من خثعم ، وعلى ميسرته ابن أقيسر القحافي الخثعمي ، واقتتل الطرفان قتالاً شديداً حلت فيه الهزيمة بجند الشام وذلك سنة (٦٦هـ/٦٨٥م) [٢] .

ومن أشهر ولاة وقادة بني أمية السرويين: (١) الحجاج بن يوسف الثقفي الذي تقلد أمر العراق سنة (٧٥هـ/٦٩٤م) بتكليف من الخليفة عبد الملك بن مروان بعد وفاة بشر بن عبد الملك[٣] . (٢) خالد ابن عبد الله بن أسد القسري الذي تولى أمر خراسان والعراق وقتل في نهاية الدولة الأموية[٤] (٣) حازم بن سفيان الخثعمي من بني عمرو بن شهران ، وقد أرسل لقتال شبيب الخارجي سنة (٧٦هـ/٦٩٥م) (٤) محمد بن القاسم الثقفي الذي فتح بلاد الهند[٥] (٥) الجراح الحكمي الذي قاتل الترك في مرج أردبيل عام (١١٢هـ/٧٣٠م) وقتل من معه في تلك المعركة[٦] . (٦) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، ويرجع نسبه إلى قبيلة الأزد وهو أحد قادة الدولة الأموية الشجعان، ولي المشرق بعد أبيه ، ثم ولي البصرة لسليمان بن عبد الملك[٧] .

ومن ولاة أهل تهامة السراة بعض أمراء الطائف والحرمين ، مثل: (١) نافع بن عبد الحارث، وهو من كبار الصحابة وفضلائهم ، أسلم يوم الفتح، وأقام بمكة ولم يهاجر، واستعمله الخليفة عمر بن الخطاب على مكة والطائف وما جاورها من أرض السراة . (٢) مروان بن الحكم الذي ولاه الخليفة معاوية بن أبي سفيان أمر المدينة ، وجمع له مكة والطائف وبعض أجزاء تهامة والسراة ، ثم عزله عن المدينة سنة (٤٨هـ/٦٦٨) . (٣) الحجاج بن يوسف الحكم الثقفي، الذي كان يعلم الصبيان بالطائف، وكانت أول

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٠٨٨.
(٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ص ١٠٨٨ .
(٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ص ١١٣٧
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٤٠٧، ١٤٠٨ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٤٠٧ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ١٣٣٢.
(٧) الفاكهي ، أخبار مكة ، ج٣، ص١٣ .

ولايته تبالة من أرض السراة.(٤) عبد الواحد بن عبد الله النصري، الذي ولي الطائف عام (١٠٣هـ / ٧٢١م).

وإذا حاولنا معرفة كيفية إدارة البلاد السروية في العصر الجاهلي أو بعد ظهور الإسلام نجد أن المجتمع التهامي والسروي قبلي، وشيخ القبيلة هو المسيطر على مقاليد الأمور في قومه، ولكل قبيلة من قبائل السراة وتهامة شيخ تأتمر بأمره ولا تخرج عن طاعته، ومن أولئك المشايخ الجاهليين أبي أزيهر الدوسي الذي قال عنه ابن المجاور أنه سيد أهل السراة[١]. وأسرة آل عبد المدان سادة بني الحارث بن كعب وبقيت هذه الأسرة ممسكة بزمام الأمور في أرض نجران حتى القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)[٢].

والفاحص للأوضاع الإدارية في تهامة والسراة في العصر الجاهلي وعصور الإسلام المبكرة والوسيطة يجد أن القبيلة هي صاحبة الحل والعقد في أوطانها، وأن شيوخ القبائل يتولون إدارة أهليهم وبلادهم [٣]. والدارس لتاريخ ممالك اليمن القديمة يجد أن بعض ملوكها مدوا نفوذهم إلى بلاد نجران وأجزاء من تهامة والسراة، لكننا لا ندري مدى ذلك النفوذ واستمراريته، والشيء الذي لاشك فيه أن شيوخ قبائل هذه البلاد كانوا أصحاب السلطة في بلادهم حتى وإن دخلت بلادهم تحت نفوذ مملكة أو حكومة في اليمن أو الحجاز أو غيرها [٤].

وعند ظهور الإسلام في الحجاز، وامتداده إلى بلدان السراة وتهامة نجد من أهل البلاد من دخل الإسلام، ثم عاد إلى بلاده كي ينشر الإسلام في قومه، ومنهم من كلف من قبل الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين من بعده بالإمارة في دياره وعلى قومه[٥]،

---

(١) ابن المجاور، المصدر نفسه، ص ٢١٠. وللمزيد انظر: ابن حبيب، المنمق، ص ٣٣٦، ياقوت الحموي، ج٥، ص٢٦٨.

(٢) انظر: ابن جريس، نجران (ط٢) (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)، ج١، ص ٣٤ وما بعدها.

(٣) ابن المجاور، المصدر نفسه، ص ٢٧.

(٤) تاريخ تهامة والسراة السياسي والإداري قبل الإسلام، وفي العصور الإسلامية المبكرة الوسيطة من الموضوعات التي لم تدرس في هيئة بحوث أو رسائل علمية، ونأمل من المؤرخين والباحثين الجادين أن يدرسوا هذه العناوين دراسات علمية موثقة.

(٥) إن الاطلاع على كتب السير والتراث الإسلامي الأخرى يجد تفصيلات كثيرة عن كيفية انتشار الإسلام في تهامة والسروات، والوفود التي قدمت من هذه البلاد على الرسول (ﷺ) في المدينة معلنة إسلامها، ثم عودتها إلى بلادها لنشر الإسلام بين أهلها، وهناك أسماء كثيرة ممن دخلوا الإسلام، ثم عينهم الرسول (ﷺ) على أقوامهم في أوطانهم. ودراسة هذا الجانب السياسي والإداري والدعوي من الموضوعات التي تستحق أن تكون عنواناً لبحث علمي موثق. وللمزيد انظر بعض كتب التراث الإسلامي مثل: الطبري، والمسعودي، وابن الأثير، الكامل في التاريخ، وابن مسكويه، تجارب الأمم، وابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، وابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، وياقوت الحموي، معجم البلدان، والأصفهاني، كتاب الأغاني، والنويري، نهاية الأرب، وغيرها.

وهنـاك ولاة آخرون أرسلوا من عاصمـة الإسلام المدينة المنورة، أو من دمشق في عصر بنـي أميـة، أو من بغـداد في عصـر بنـي العباس(١٣٢-٦٥٦هـ/ ٧٤٩-١٢٥٨م) ليتولوا الولايـة، أو القضاء ، أو الحسبة وجمع الصدقـات في أوطان تهامة والسراة [١]. وشيوخ القبائل لم يختفِ وجودهم وتأثيرهم في بلادهم وبين سكان عشائرهم ، وإنما كانوا على صـلات قويـة بكل ما يحدث في ديارهـم ، ومع كل من يأتي من خـارج أرضهم لحكمهم والتعامل معهم ودياً أو رسمياً [٢].

خامساً : لمحات من الحياة الاجتماعية :

هنـاك عدد من العـادات التـي مارسها أهل تهامـة والسراة قبل ظهـور الإسلام، مثـل: التماسـ النسـوة للأطفال الرضعـاء بدافع المـال ، وقد لاحظنا ذلـك مع حليمة السعديـة مـن بنـي سعد في أرضـ السروات التي ذهبـت إلى مكة مع بعضـ رفيقاتها ، وكان نصيبهـا أن أخـذت محمـد بن عبـد الله بن عبد المطلـب ، عليه أفضـل الصلاة والسـلام ، مـن أجل القيام على رضاعته ، وبقـي (ﷺ) في ديار السعديين بعض الوقت أثناء طفولته [٣]. كما عرف التهاميون والسرويون عادات الكهانة والسحر والشعوذة [٤]، وكثـير من العـادات السلبية مثل: النياحة على الموتى ، وهنـاك روايات تذكر وجود هذه

---

(١) تاريخ الحياة الإدارية في بلاد السراة وتهامة منذ ظهور الإسلام حتى العصر الحديث لم تدرس إطلاقاً، مـع أن هـذا الجانب الحضاري غني بإحداثه ، وما جرى على هذه البـلاد من صلات إدارية وحضارية. ونأمـل من أقسـام التاريخ في الجامعات الحديثـة الموجودة في بلاد تهامة والسـراة ، من مكة والطائف شمـالاً إلى نجران وجازان جنوبـاً أن تدرس هذا الميدان العلمي المهـم، والمسؤولية كبيرة على الأساتذة العاملين في هذه الأقسام ، وعلى طالبات وطلاب الدراسات العليا في هذه الأقسام نفسها .

(٢) موضـوع شيـوخ القبائـل والعشائر في أرض السـروات وتهامة منـذ بداية العصر الإسلامـي إلى وقتنا الحاضر تحتاج مئات البحوث والدراسات ، حيث كانوا ومازالوا مؤثرين في أوطانهم ، وفي صنع القرارات السياسيـة والإداريـة والحضارية في بلادهم ، وصلاتهم مع مراكز القوى السياسية في العالم الإسلامي منـذ عصر الرسـول (ﷺ) وعبر عصور التاريخ الإسلامـي المبكر والوسيط والحديـث والمعاصر. وإذا تأملنـا في تاريـخ بعض الدول والحكومات التي ظهـرت في الحجاز أو اليمن أو في الشام أو العراق ، أو في مصر وغيرها ، نجد أن كثيراً منها كان لها صلات سياسية و حضارية مع أهل السراة وتهامة ، ومع كثير من شيوخها وأعيانها ووجهائها ، وكل هذه الموضوعات جديرة بالبحث والدراسة التوثيقية والتحليلية .

(٣) ابن فهد ، إتحاف الورى، تحقيق فهيم شلتوت، ج١ ، ص٥٧ ، ٦٢ . كتب السير فصلت الحديث عن قصة مولد النبي (ﷺ)، وكيف أخذته حليمة السعدية إلى ديارها في أرض السروات ، وماذا حصل له من المعجزات حتى عاد إلى أهله وذويه في مكة المكرمة .

(٤) انظـر الجاحـظ ، رسائل الجاحظ . تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبـة الخانجي ، القاهرة ، ج٣، ص ١١٥ ، ١٢٧ . وانظر المؤلف نفسه ، كتاب الحيوان ، ج٦، ص ٢٠٤.

العـادة عند النجرانيين وبعضاً من بلاد مذحج ، والحجـر ، وغامد وزهران [(١)]. وكانوا لا يورثـون النسـاء [(٢)]. ومن عاداتهم في جنائزهم أن الشبان يحملون الجنازة، ويقولون "**سلـم سلـم سلمـك الله ، هـذا مـا وعـد الله نعـم القاضـي**"، ويتداولون النعش إلى الجبانة (المقبرة)، وهم الذين يحفرون القبر [(٣)].

وإن طالعنـا كتب الأدب العربي وجدناها مليئـة بالعادات والأعراف الجاهلية مثل: الشجاعة ، والمروءة ، والغيرة، والنجدة ، مع أن هنـاك عادات أخرى سلبية ذكرتها بعض كتـب التراث الإسلامي مثل: التشاؤم والطـيرة ، وسفك الدماء وغارات القبائل بعضها على بعض ، وشرب الخمور، والزنا والسفاح ، ووأد البنات ، والتفاخر والمباهاة، والتعصب القبلـي ، والهجاء وغيرها من الصفات السيئة المدونة في كتب التاريخ والأدب[(٤)]. وعند ظهـور الإسـلام نجد مصـادر الشريعة تقر كل ما هـو إيجابي ، ويصـب في بناء الفرد والمجتمـع ، وتحـارب الرذيلة بجميع أنواعها ،والقارئ للقـرآن الكريم والتفاسير، وكتب السـنن ، وعلـوم الفقـه والاجتهاد والقيـاس يجدها رسمـت خطوطاً واضحـة للتعايش السلمـي المـدني النظيـف ، وحفظت الحقوق لكل إنسـان ذكراً أو أنثى صغـيراً أو كبيراً مسلماً أو غير مسلم[(٥)].

---

(١) ابن حبيب ، المنمق ، ص ٢٦٧، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٦٥ .

(٢) عـدم إعطـاء المرأة حقها من الميراث عـادة ذميمة عند الجاهليين ، وعند مجـيء الإسلام ، أعطى كل ذي حـق حقـه ، وحافظ على حقوق النساء ، وحث على رعايتهن وعـدم ظلمهن . وكوني واحداً من بلاد تهامـة والسراة فقـد رأيت وسمعت خلال الخمسين عاماً الماضية تلكؤ بعض الرجال من إعطاء النساء حقوقهن من الميراث، ويلجأ البعض إلى التحايل عند القسمة فيقولون : كل بنت تعطى حقها مع أخيها ، أي فلانـة مع فـلان ، وهكذا تقسم التركة او الميراث ، فإذا كانوا مجموعة إخوان وأخوات يقسم الميراث باسـم الرجـال ، ويوضع مع كل رجـل واحدة من الأخـوات ، وإذا طلبت إحداهن قسمهـا بشكل مستقل فإنهـا تحـارب وتقاطع ، وكم مـن النسوة اللاتي ذهبن إلى المحاكم وأخـذن حقوقهن من الميراث ، ومن ثـم قاطعهـا الأقارب من الرجال كالإخوان وغيرهم. هذا ما شاهـده الباحث وعرفه وقرأ شيئاً من هذه القصص في بعض الأوراق والوثائق المحلية.

(٣) انظـر ابـن المجـاور ، مطبعة بريل ليـدن (١٩٥١م) ، ج١، ص٢٥. والقيام على خدمـة الجنازة من قبل الأحياء مازالت ممارسة عبر أطوار التاريخ الإسلامي حتى وقتنا الحاضر.

(٤) للمزيد انظر: ابن المعتز، طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج ، ص ١٥٩، المبرد، الكامل في اللغـة والأدب، مؤسسـة المعارف ، بيروت ، ص ٩٢، ١١٨، ابن قتيبـة ، الشعر والشعراء ، (طبعة بيروت، دار إحياء العلوم ، دت) ، ص١٤٤.

(٥) شرائـع الإسـلام واضحة وجلية ، وإذا ظهر في المجتمع الإسلامي عـادات وتقاليد سلبية فذلك معارض للمبـادئ والقوانين الإسلامية ، والدارس للمجتمعـات الإسلامية منذ ظهور الإسلام إلى وقتنا الحاضر يجدها مليئة بالأعراف والتقاليد التي لا تتوافق مع شرائع الإسلام .

ومن ملامح الحياة الاجتماعية في أرض السراة الزواج وعلاقة المصاهرة بين بعض العشائر السروية[١] ، مثل: غامد وزهران ، وعامر بن صعصعة ، وثقيف ، والحارث بن كعب، وخثعم وغيرهم مع أهل الحجاز ، ومن أمثلة ذلك تزويج أبي أزبهر الدوسي سيد أهل السراة بناته لرجال من أهل مكة ، فزوج ابنته عاتكة لأبي سفيان ، وزينب لعتبة ابن ربيعة ، ثم خلف عليها أبو حبيب بن مهشم ، كما زوج بنتاً أخرى للوليد بن المغيرة ابن عبد الله المخزومي [٢] ، ولكنه أمسكها عنه وسبب ذلك : " أنه كان رجلاً غليظاً على النساء يضربهن ، فحبسها عنه وأمسك المهر" ، وفي رواية : أنها كانت أهديت إليه قال: " أنا أشرف أم أبوك ؟قالت لا بل أبي سيد أهل السراة [٣] ، وأن العرب يصدرون عن رأيه وإنما أنت سيد بني أبيك ، وفيهم من ينازعك الشرف فلطمها ، فهربت إلى أبيها ، فحلف أن لا يراها ، وأمسك المهر"[٤].

من هذه الرواية نستنتج أموراً عديدة ، هي: (١) مكانة المرأة في المجتمع السروي وبخاصة في العصر الجاهلي ، ومن ذلك ما فعله أبي أزيهر عندما رفض إعادة ابنته بعدما تعرضت للإهانة على يد زوجها الوليد. (٢) المهر كان من الأشياء التي تدفع للمرأة السروية كحق من حقوقها مقابل قبولها بالزواج .(٣) كانت المرأة تتمتع بالعديد من الحقوق في ظل المجتمع السروي الجاهلي ، وكانت أحياناً كالسلعة تهدى وتباع إن صحت الرواية السابقة . (٤) كان أهل السراة يدخلون في أحلاف مع القبائل الأخرى ومن بينها القبائل الحجازية . وهناك نساء أخريات من أرض السراة تزوجن في قريش، مثل: قلابة بنت الحارث، من جدات النبي (ﷺ) لأمه ، كانت أمها هند بنت يربوع من ثقيف ، وأم ميمونة زوجة النبي (ﷺ) كانت من جرش، وأسماء بنت عميس الخثعمية كانت عند جعفر بن أبي طالب ثم خلفه عليها علي بن أبي طالب[٥]. والأمر لم يقف عند

---

(١) الزواج من العادات الاجتماعية التي مارسها أهل تهامة والسراة خلال العصور الجاهلية والإسلامية. وكتب التراث مليئة بالمعلومات التي فصلت الحديث عن أنواع الزواجات ، والصلات والمصاهرات بين الأسر والعشائر ، والأعراف والعادات التي تمارس في مناسبات الزواج . وهناك أشعار كثيرة في العلاقة بين الرجل والمرأة قبل الزواج وبعده ، وفي أنساب النساء والأسر والقبائل وغيرها .

(٢) ابن حبيب ، المنمق ، ص ٣٣٦ . وللمزيد انظر: المبرد ، الكامل في اللغة والأدب . ص ١١٨، الزمخشري، ربيع الأبرار،ج٢، ص ٨٠٩-٨١٠ ، الجاحظ ، الرسائل ، ص ٣١٣ .

(٣) انظر : ابن حبيب ، المنمق ، ص ٣٣٥، ٣٣٦ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٣٣٦ .

(٥) ابن قتيبة ، المعارف ، ص ١٤٧ .

المصاهـرة بل تعداه إلى ما يعرف بـزواج السبي ، ومن ذلك زواج الصمة بن بكر[١] من ريحانـة أخت الفارس عمرو بن معد يكرب ، والتي كانت قد وقعت في الأسر عندما أغار بهـوازن علـى بعض قبائل السـراة[٢]. وأنجب منها أبناءه : دريـد ، وعبد الله ، وخالد ، وقيس[٣]، وكلهم كانوا فرساناً في الجاهلية، ومن هذه الرواية نستنتج أن ذلك النوع من الزواج كان معروفاً في السروات في عصور ما قبل الإسلام[٤].

وصـور الحياة الاجتماعيـة كثيرة ومتنوعة ، ولا تخلو كتب الـتراث من شذرات عن طبقـات المجتمع التهامي والسروي في الجاهلية والإسلام ، والعنصر العربي القحطاني والعدناني كان السائد في عموم هذه البلاد ولا يخلو من عناصر إفريقية وتركية وهندية لكـن نسبهم قليلـة ويعملون غالباً في المهـن الوضيعة .كما عرف سـكان السراة وتهامة المنـازل المبنيـة من الحجـارة والطين ، أو مـن الأخشاب والقش وسعـف النخل ، وكثير منهـم وبخاصة أهل البادية استخدموا بيـوت الشعر والخيام ، أما ألبستهم فأهل المدن عرفـوا كثـيراً من الألبسة وأدوات الزينـة التي تصدر إلى أسواقهـم من خارج بلادهم وخاصـة من مدن الحجـاز الرئيسية. والأطعمـة والأشربة تنوعت فأهـل القرى والمدن والحواضر امتلكوا حبوب الحنطة والذرة والشعير التي تزرع في مزارعهم ، كما حصلوا علـى لحوم الضأن والأبقار والإبل وشربوا من ألبانها وزبدها ، وهناك صفحات في كتب التاريخ واللغة والجغرافيا والرحلات أشارت إلى كثير من الأطعمة والأشربة التي عرفها التهاميـون والسرويون ، بل كانوا يصدرون كثيراً مـن منتوجاتهم الزراعية أو بعض من حيواناتهـم إلى أسـواق الحجاز فتباع على أهل الحرمـين أو يقاضونها بسلع أخرى مثل المنسوجات والملاحف وبضائع أخرى عديدة[٥].

وإن دققنا النظر في بعض المصادر الإسلامية ، مثل: كتب السنن ، والفقه الإسلامي، ومعاجـم اللغة العربيـة ، والدواوين الشعريـة وبعض الكتب الأدبيـة ، وكتب الجغرافيا والرحلات ، والمعاجم الجغرافية فإننا سوف نجد لمحات عن فنون أهل السروات وتهامة

---

(١) وهـو الحـارث بن بكر بن علقمة بـن غزية بن جشم بن معاوية بن بكر من هـوازن وهو سيد بني جشم وفارسهم . انظر، ابن حبيب ، المحبر ، ص ١١٤.

(٢) ابن حبيب ، المحبر ، ص ١١٤.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٨١ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١١٧ ، ١١٨ .

(٥) إن الباحـث في كتـب التاريـخ الحولية والمكانية ، ومصادر الأدب واللغـة ، وبعض الموسوعات ، والمعاجم الجغرافية وكتب الرحلات يجد فيها تفصيلات كثيرة عن بعض الصور الاجتماعية التي عرفها ومارسها أهل السراة وتهامة في العصر الجاهلي وعبر عصور الإسلام المختلفة .

الاجتماعية مثل: بعض الأهازيج ، والعبارات اللغوية التي تشتمل على بعض الأحاجي والحكم والأشعار ، والرقصات ، والأمثال الشعبية . كما لا تخلو هذه المصادر من صور اجتماعية في مناسبات الزواج ، والأعياد ، والمآتم ، واستقبال الضيوف، وتوديع المسافرين ، والأحلاف ، والسماية ، وإغاثة الملهوف ، ومساعدة الضعيف والمحتاج ، وكتب التاريخ العامة تحتوي على تفصيلات عن عادات الحروب والغارات ، وأخذ الثأر ، ونصرة المظلوم ، وحماية الأعراض والممتلكات . وكتب الأدب حفظت كثيراً من الأشعار الجاهلية والإسلامية التي تُبرز حياة القبائل والأفراد والبوادي والقرى الاجتماعية ، وما يدور بين أهلها من ممارسات تعكس صوراً من المدح والثناء ، أو المفاخرة ، أو الهجاء ، أو الحنين ، أو الغزل ، أو الرثاء وغيرها[(١)] .

والمصار التراثية حفظت معلومات متنوعة عن عادات الناس في ممارسة مهنهم الاجتماعية والاقتصادية والحضارية ، بل أشارت إلى دراية السرويين والتهاميين بأعمالهم وعلاقاتهم بمن جاورهم من القرى والحواضر والبلدات ، وكذلك تعاونهم وتكاتفهم الأسري والاجتماعي أثناء كسب أرزاقهم في مهن الرعي والصيد ، والزراعة، والتجارة وغيرها [(٢)] .

سادساً : جوانب من الحياة العلمية والثقافية :

عرب السراة وتهامة لم يكونوا خالي الوفاض من الثقافة والمعرفة في العصر الجاهلي، بل عندهم من يمارس الطب ، والكهانة ، والسحر والشعوذة ، وكان فيهم الحكماء والعقلاء من علية القوم وعامة المجتمع . ومصادر التراث الإسلامي تذكر أمثلة كثيرة عن أدبهم ولغتهم ففيهم الشعراء الفحول مثل: شعراء الصعاليك في أرض السروات كالشنفرى ، وتأبط شراً ، وسليك بن السلكة وغيرهم[(٣)]. وإذا درسنا كل

---

(١) من يطلع على أشعار ودواوين الشعر قبل الإسلام وبعده يجدها مليئة بالأمثلة والصور التي تدور في فلك هذه النقاط الآنف ذكرها أعلاه .

(٢) بلاد السراة وتهامة بحاجة شديدة إلى دراسة تاريخها اجتماعياً منذ العصر القديم وخلال العصور الإسلامية المختلفة . ونأمل أن نرى بعضاً من طلابنا الجادين أو الأساتذة المؤرخين المنصفين فيدرسوا هذا الميدان الواسع والجدير بالبحث والتدقيق.

(٣) من يدرس مصادر الأدب واللغة المبكرة مثل: كتب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، والمعارف ، وعيون الأخبار لابن قتيبة ، ومؤلفات الجاحظ ، والثعالبي ، وكتاب العقد الفريد لابن عبدربه ، ومعاجم اللغة ، كلسان العرب لابن منظور، والصحاح للجوهري ، وتاج العروس للزبيدي فإنه سيجد فيها مواد علمية كثيرة تعكس حياة سكان الجزيرة العربية والثقافية ، وبلاد تهامة والسراة ورد ذكرها بشكل جيد في هذه المصادر المبكرة .

قبيلة مستقلة وجدنا فيها الكثير من الشعراء ، فهناك العشرات منهم في قبائل مذحج، والأزد، وخثعم ، وبجيلة ، وهوازن وثقيف وغيرها[١] .

وعند ظهور الإسلام وانتشاره داخل الجزيرة العربية وخارجها ظهر شعراء أثروا وتأثروا بالتاريخ السياسي والحضاري الذي عاشته الدولة الإسلامية في عصور الرسول (ﷺ) والخلافة الراشد ، وخلفاء بني أمية وبني العباس[٢] . وهناك شعراء أزديون ومذحجيون وبجليون وخثعميون وغيرهم دخلوا الإسلام ونافحوا عن الدين الإسلامي في أوطانهم ، وفي مدن الحجاز الرئيسية ، ومنهم من هاجر إلى الأمصار الإسلامية في الشام والعراق وبلاد فارس ومصر وشمال إفريقيا والأندلس وانخرطوا في الحياة الاجتماعية والحضارية ، وأسهموا في بناء الدولة الإسلامية [٣]. ولم يكن الشعر هو العلم الوحيد الذي شارك فيه السرويون والتهاميون ، وإنما عمل بعضهم في تعلم وتعليم العلوم الشرعية والأدبية واللغوية[٤]. وإذا تتبعنا تاريخ أهل السراة وتهامة خلال القرون الإسلامية الأولى وجدنا فيهم من ذهب إلى المدينة المنورة أو عواصم العالم الإسلامي ، فتعلموا شرائع الإسلام وكثيراً من العلوم اللغوية والأدبية ثم عادوا إلى أوطانهم فأقاموا

---

(١) ظهر في هذه القبائل شعراء جاهليون وإسلاميون كثيرون ، ويوجد عدد من الدواوين الشعرية التي طبعت ونشرت عن شعراء من هذه القبائل ، وماتزال كتب الأدب واللغة والتراث الإسلامية المبكرة مليئة بالأشعار المتنوعة في موضوعاتها وأهدافها ، وجميعها تخص أدب وشعراء ينتمون لهذه الأوطان السروية والتهامية. ومن أمثلة أولئك الشعراء: أمية بن أبي الصلت، ودريد بن الصمة ، وأنس بن مدرك الخثعمي ، وحاجز الأزدي ، والأفوة الأودي ، ولقيط بن يعمر الأيادي ، وحُميد بن ثور الهلالي وغيرهم . للمزيد انظر كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ، والبيان والتبيين للجاحظ ، وربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري .

(٢) القارئ للأحداث السياسية في بداية الدولة الإسلامية يلحظ انتشار الإسلام من المدينة إلى أصقاع شبه الجزيرة العربية ، وما واكب ذلك من حروب وسرايا وغزوات ، وما جاء في حروب الردة ، ثم تنظيم الدولة الإسلامية في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ، ثم وقوع الفتنة الكبرى ومقتل الخليفة عثمان ، ثم الحروب التي جرت بين الخليفة علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، ثم خروج الخلافة من الحجاز إلى الشام ثم إلى العراق . وجميع هذه الأحداث أثرت على أصحاب الفكر والشعر من التهاميين والسرويين فانخرط بعضهم في تلك الأحداث ، وقالوا وجهات نظرهم وما يؤمنون به من خلال شعرهم وأدبهم وحكمهم. وموضوع دور السرويين والتهاميين الثقافي والعلمي والفكري في تلك الفترة من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس وتستحق البحث والتدوين .

(٣) تاريخ الحضارة الإسلامية واسع ومتشعب في أنحاء العالم الإسلامي خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة . وكان لأهل تهامة والسراة نصيب من المساهمة في الحياة العلمية والثقافية والحضارية خارج شبه الجزيرة العربية. وهذا الموضوع أيضاً جديد ومهم ويستحق من يدرسه . ونأمل من المؤرخين الجادين أن يتولوه بالبحث والدراسة .

(٤) هناك أعلام كبار ساهموا في البناء الثقافي والحضاري الذي عاشته الأمة الإسلامية في عصورها الذهبية، أمثال: الخليل بن أحمد الفراهيدي عالم العروض المشهور ، والطحاوي صاحب العقيدة الطحاوية وغيرهما كثير.

فيهـا وعملوا علـى تنوير وتعليم أهلها ، بـل منهم من بذل جهوداً طيبـة في القضاء بين الناس، وتقسيم مواريثهم وعقد أنكحتهم ومساعدتهم على أمور دينهم [١] .

وكـون لغة أهل السروات هـي العربية ، فإننا نجد بعض الدراسات تشير إلى صفاء لغتهـم ، فهـذا الهمداني يشير إلى أرض السروات من نجران ووادعـة شمالاً إلى ثقيف والطائـف شمـالاً ويذكر أن لغتهم فصيحة، ومن صميم اللغـة العربية[٢]. والملاحظ على لغـة ولهجات بعض قبائل السـراة في الجاهلية والإسلام كخثعم وزبيد مثلاً فهم يحذفون نون (من) الجاره إذا وليها ساكن ، وقد شاعت هذه اللغة في الشعر واستخفها كثير من الشعـراء[٣]. وفي لغـة بلحارث بن كعب في نجـران يحذفون الألف مـن (على) الجارة، واللام الساكنة التي تليها ، فيقولون في على الأرض (علأ رض) [٤] . وفي أسماء الموصول نجـد بلحارث بن كعب وبعض عشائر السراة يحذفون نون اللذين ، واللتين في حالة الرفع ، أما تميم وقيس فهم يثبتون هذه النون لكنهم يشددونها [٥]. وفي لغة أزد السراة يبدلون التنوين في الوقف من جنس حركة آخر الكلمة فيقولون : جاء خالدو ، ومررت بخالدي[٦] .

وعنـد بني سعـد يضعفون الحرف الأخير من الكلمة ، الموقـوف عليها ، إلا إذا كان هـذا الحرف همـزة، أو كان ما قبله ساكناً ، فيقولون : هـذا خالدّ، ولا يضعفون في مثل

---

(١) إن السائـح اليـوم في أرجـاء تهامة والسـراة يرى الكثير من الآثـار والمعالم الحضارية التـي تؤكد على استيطان هذه البلاد منذ عصور ما قبل الإسلام ، وفي عهود الإسلام المختلفة نجد روايات كثيرة تروي حيـاة أهـل هذه البلاد السياسية والحضاريـة . كما أن صفاء عقائدهم هـو السائد منذ ظهور الإسلام إلى وقتنـا الحاضـر ، حتى وإن ظهـر بينهم بعض الصور السلبية مثل: انتشـار السحر أحياناً ، أو وجود بعضـ الشركيـات وبخاصة في القرون الإسلاميـة الوسيطة ، إلا أن الغالب على السـكان أنهم موحدون مؤمنـون بـالله عز وجل حتى وإن ساد حياتهم بعض الجهل والقصور. ولا يمكن للعقيدة الصافية البقاء والاستمـرار بـدون من يرعاها من أهـل العلم والثقافة والفكـر ، والشيء الذي لاشك فيـه أن أهل هذه الأوطان كانوا على صلات دائمة بالحرمين الشريفين وبعض الرحالة مثل ابن جبير وابن بطوطة وصفوا صلاح نياتهم وعقائدهم عندما كانوا يرتادون مكة ويزورون المسجد الحرام أثناء الحج والعمرة. وأثناء البحـث في كثـير من كتب الـتراث وبخاصة كتب التراجم والطبقـات ، أو كتب البلـدان مثل تواريخ مكة والمدينـة المنورة وصنعـاء فإننا نجد بعض الإشـارات التي تذكر أعلاماً يخرجون مـن بلداهم في أرض السـروات إلى الحجاز وبعض الأمصـار الإسلامية كي يتعلموا على يد بعض العلماء والمشائخ ثم يعودون إلى بلادهم لنشر التعليم فيها ومحاربة الجهل بين أهلها . وهذا الموضوع لم يدرس دراسة علمية موثقة ، ونأمل أن نرى بعضاً من طلابنا فيتولونه بالبحث والدراسة والتوثيق .

(٢) انظر الهمداني صفة جزيرة العرب ، ص ٢٧٨، ٢٧٩.

(٣) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب (طبعة جامعة بغداد ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ، ج٨، ص ٥٧٨.

(٤) المرجع نفسه ، ج٨، ص ٥٧٨ .

(٥) المرجع نفسه ، ج٨، ص ٥٧٩ .

(٦) المرجع نفسه ، ج٨، ص ٥٧٩ .

رشأ وبكر[١] . وفي لغة خثعم وبلحارث بن كعب يقلبون الياء بعد الفتحة ألفاً ،فيقولون في إليـكٍ ، وعليكِ ، ولديه : إلاك ، وعـلاك ، ولداه ، ومن لغتهم أيضاً إعراب المثنى بالألف مطلقاً ، رفعاً ونصباً وجراً ، وذلك لقلبهم كل ياء ساكنة انفتح ما قبلها ألفاً ، فيقولون : جاء الرجلان ، ورأيت الرجلان ، ومررت بالرجلان[٢] .

وأشـار بعض العلمـاء أن في القرآن أكثر مـن أربعين لهجة عربيـة ، ومنها : لغات قريش ، وهذيل ، وخثعم ، وأزد شنوءة ، وسعد العشيرة ، ومذحج ، وعامر بن صعصعة، وثقيف ، وهوازن وغيرها[٣] .

وإذا توقفنـا مـع فكر أهل السـروات ، وجدناهـم متأثرين بمعبوداتهـم الجاهلية قبل الإسـلام ، فكانـوا يزورونها ويتبركون بها ويقربون لها القرابـين ، ويعتقدون فيها أنها تنفع وتضر، وذلك ديدن أهل الجزيرة العربية قبل الإسلام . وبعد ظهور الإسلام تغيرت أحوالهم، فأصبحـوا مـن أوائل من تخلى عن هـذه المعبودات الشركية ، ووحـدوا دياناتهم لعبادة رب العبـاد ، وربما وجد بينهـم من يخلط عبادته ببعض الشركيات بسبـب الجهل والأمية التي كانـت منتشـرة في أنحاء البلاد ، لكن نسبـة أولئك قليلة مقارنـة بالموحدين المؤمنين بدين الإسلام . والدارس لكتب التراث الإسلامي وبخاصة في ميادين التاريخ السياسي والعقائدي يجـد أنه وصل إلى جنوب الجزيرة العربية بعض العقائد السماوية والوضعية ، كاليهودية ، والنصرانيـة ، والمجوسية، والحنفية ، والصابئية ، وفي العصر الإسلامي بعض الفرق مثل: الزيديـة ، والإسماعيليـة، والقرامطة ، والإثنى عشرية وغيرهمـا ، وقد سعى القائمون على تلك الديانات والفرق إلى نشر معتقداتهم في بلدان السراة وتهامة ، ونجح بعضهم لفترات قصيرة ، لكنهم لم يستطيعوا ترسيخ أياً من هذه المعتقدات بين التهاميين والسرويين[٤] .

---

(١) المرجع نفسه ، ج٨ ، ص ٥٧٩ .

(٢) المرجع نفسه ، ج٨، ص ٥٧٩ . وفي أثناء تجوالي في بلاد السروات وتهامة خلال السنوات الماضية المتأخرة وجدت كثيراً من هذه الأمثلة التي أشار إليها جواد علي عند عرب هذه البلاد في الجاهلية مازالت موجودة يتكلمهـا بعضهم في بلاد نجران وفي السروات الممتدة من أبها حتى الطائف. وأقول إن علماء اللغة الاوائل بذلـوا جهـودا كبيرة في دراسة لغات القبائل في الجزيرة العربية، لكنهم لم يأتوا على كل اللهجات واللغات ، فهنـاك لغـات مازالت مجهولة وغـير مدروسة ، ويوجد اليـوم من يتكلمها ويمارسهـا في الحياة اليومية والواجـب على أساتـذة اللغة اليوم أن ينزلوا إلى الميـدان ويسيروا في الأرض ويخالطـوا السكان ويسمعوا لغاتهم ، ثم يدرسونها دراسة علمية موثقة. والإمكانات والظروف اليوم أفضل وأسهل مما كانت عليه عند العلماء الأوائل، وبالتالي فالمسؤولية على علماء اليوم وأصحاب الاختصاص أكبر وأعظم .

(٣) كانت لغة أهل السراة وتهامة من أنقى اللهجات ، وهكذا كان وضعها منذ العصر الجاهلي وعبر عصور التاريخ الإسلامي ، وبالتالي فهم أصحاب فكر وشعر وأدب وثقافة . والسائح اليوم في أرجاء هذه البلاد يشاهـد ويسمـع الكثير من المفـردات والعبارات عند عوام النـاس ، وعند فحصهـا والتأمل في معانيها يجدها لغة عربية فصيحة ، ويوجد عنها شروح وتفصيلات في معاجم اللغة العربية .

(٤) إن دراسـة تاريـخ الفكـر والعقائد في السروات قبل الإسـلام وبعده من الموضوعـات المهمة وتستحق أن

سابعاً: شذرات من التاريخ الاقتصادي:

بلاد السروات وتهامة غنية بثرواتها ومواردها الاقتصادية . وفي الصفحات التالية نذكر بعضاً من الصور الاقتصادية التي أشارت إليها بعض المصادر المبكرة [١]. وهي على النحو التالي : المعادن ، كالذهب ، العسجد والتبر . والفضة : وهي اللجين بلغة حمير، وهي الورق والأوراق ، وقالت طريفة الكاهنة لقومها من الأزد يوم تفرقهم "من كان يحب الثياب الرقاق، والخيول العتاق والذهب والأوراق فليلحق بالعراق"[٢]. والرصاص ، ويوجد في شمال وشرق اليمن وجنوب نجران ، والحديد يوجد في أماكن متفرقة من اليمن والسروات[٣].

ومن أماكن التعدين : الفضة بأرض الهجيرة من قرى وادي تثليث القديمة ، ولونه أبيض ، كما يوجد في بيشة وجنوب نجران بعض معادن الفضة والرصاص. ومعادن الذهب ضمن معدن عشم من أرض كنانة في تهامة ، وذهبه أحمر جيد ، ومعدن ضنكان من بلاد الأزد وكنانة وهو دون معدن عشم، ومعدن في أرض بني سابقة ما بين نجران وصعدة ، ومعدن في أرض خولان بالقرب من الخصوف من بلاد حكم في أرض جازان[٤]. ومعدن العقيق بين نجران والفلج[٥]، ومعدن المخلفه يقع على مقربة

تدرس في عدد من البحوث والدراسات العلمية . ونأمل من جامعات السعودية الجنوبية أن تنشئ بعض المراكز البحثية التي تقوم على إنجاز دراسات علمية. كما أن الباحث في مكنونات كتب التراث الإسلامي يجد أن مؤلفات دونت في جوانب علمية وثقافية ومعرفية تتعلق ببعض الموضوعات في تاريخ وحضارة تهامة والسراة ، وكثير من هذه الكتب لم تصلنا ، لكنها مذكورة عند المتقدمين ، ومن تلك المؤلفات : أخبار ثقيف ، ومن تزوج في ثقيف من قريش لعلي بن محمد المدائني . وكتاب إياد الأزد ، لمحمد بن المتنبي أبو عبيدة البصري . وكتاب جمهرة أنساب الحارث بن كعب وأخبارهم للحسن بن الحسين السكري . وكتاب تفرق الأزد، وأخبار عمرو بن معد يكرب الزبيدي لهشام بن السائب الكلبي ، وكتب أشعار بجيلة ، وأشعار الأزد ، وأشعار بني سعد ، وأشعار فهم وعدوان ، وأشعار الحارث بن كعب . للمزيد انظر: ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج٢، ص ٣٤٢، ٤٨١، ٥٩٦. ج٤ ، ص ٢٢٤.

(١) إن الباحث في تاريخ الصيد والرعي والجمع والالتقاط ، والزراعة والتجارة والحرف الصناعية التقليدية في بلدان تهامة والسروات سيجد شذرات ولمحات كثيرة في كتب التراث الإسلامي تذكر انخراط سكان هذه البلاد في معظم هذه النشاطات الاقتصادية منذ عصور ما قبل الإسلام وعبر أطوار التاريخ الإسلامي. وهذه الموضوعات مهمة وجديدة في أبوابها ويجب على المؤرخين والباحثين الجادين في جنوبي البلاد السعودية أن يتولوها بالبحث والدراسة .

(٢) الهمداني أفضل من تحدث عن معادن شبه الجزيرة العربية ، فذكر مواطن عديدة في بلاد تهامة والسراة الممتدة من حواضر اليمن الرئيسية إلى الطائف ومكة المكرمة . انظر كتابه : الجوهرتين العتيقتين ، ط (الرياض) ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م) قام بنشره حمد الجاسر ، ص ٦٠ ، ٦١، ٢٦١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٨٥ ،٨٦ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٨٧ .

مــن تهامة والجبال المطلة عليهــا[١]. ومعدن وادي العقيق من روافد ووادي تربة ويعرف قديمــاً باسم العقيق اليماني وحديثــاً بعقيق غامد[٢] ، ومعدن بنــات حرب ويوجد هذا المعــدن في بيشــة [٣]. ومعدن الزمرد : يوجد بأرض زبيــد إلا أنه لما ظهر بها وضع عليه أهل البلاد ردحاً من الحجارة والتراب خشية أن تعيرهم القبائل وتسميهم بالحكاكين، أي الذين يستخرجون المعادن من الأرض[٤].

ومــن الأشجــار التــي تستخــدم أخشابهــا في التعديــن ، العرعر الأحمــر ، والطلع وتوجــد بكثرة في أرض السروات [٥]. ومــن الأشجار المثمرة الأخرى : الرمان ، والتفاح، والمشمش فقــد غرســت في مناطــق عرفت بالخصــب ووفرة الميــاه وعاشــن أهلها على الزراعة والاستقرار مثل مدينة الطائف مصيف أهل مكة منذ الجاهلية، وبلدان عديدة في الســروات واليمــن[٦] ، وأكــثر ثمارها الزبيب ، وهي طيبة الهــواء ، وأكثر فواكه مكة منهــا[٧]، وهــي ذات مزارع ونخيــل وأعناب وموز وسائــر الفواكــه[٨]. والنخل في بيشة وتربــة ورنية ونجران. والكروم : وهو العنب ومنــه العنب الجرشي وهو عنب طيب يقول علمــاء اللغة هو أطيب العنب كله وهو أبيضــ ويميل إلى الخضرة[٩]. والتين ، والرمان ، والسدر[١٠] ، وأشجار ونباتات أخرى [١١].

ومــن الــثروة الحيوانية : الإبــل ، وقد اشتهرت قمــم السروات وأجزائهــا الشرقية بالإبــل ، وكانت جرشــ مشهورة بإبلها الجرشية . كما عرف السرويون الماشية (الضأن والماعــز) ، فكانت موجــودة بكثرة ، وكذلك الأبقار والحمير، وكثــير من الطيور الأليفة مثــل: البط ، والدجــاج ، والحمام . وتوجــد الحيوانات الوحشية في عمــوم أرض تهامة

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٦٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٤٢.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٣٨ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٣٩
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٨٢ .
(٦) جواد علي ، المفصل ، ج١، ص ١٩٢ـ٢٠٨ .
(٧) الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص٢٤ .
(٨) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤، ص ٩ .
(٩) جواد علي ، المصدر نفسه ، ج٤، ص ٩ .
(١٠) المصدر نفسه ، ص ٧٤، ٧٥ .
(١١) للمزيــد عن أشجــار ونباتات بلاد تهامة والسراة انظر: كتاب النبات للدينوري ،في عدة مجلدات . وهذا المصدر فصل الحديث في نباتات هذه الأوطان السروية فذكر اسم كل نبات أو شجرة وأهميتها وما ذكر فيها من الفوائد وما قيل عنها عند بعض الشعراء القدماء .

والسراة ، ومن تلك الحيوانات : الأسد ، والنمر ، والذئب ، والضبع ، والفهد ، والنيص، والثعالب ، وكثير من الزواحف الخطيرة والسامة(١).

ومن حرف السرويين والتهاميين الزراعة ، وتشير بعض المصادر اعتناء الجنوبيين بزراعة النخيل ، وكانت نجران وبيشة وتربة من أهم المناطق المشهورة بالتمور الجيدة. كما مارس أهل الطائف وبلاد السراة الممتدة من نجران إلى بلاد غامد وزهران زراعة الحنطة ، والذرة ، والشعير ، والبقوليات . وهناك الكثير من الأشجار المثمرة مثل: التين ، والخوخ ، والمشمش ، والعنب ، والرمان ، والتفاح ، والبرشومي (التين الشوكي) ، وخضروات أخرى عديدة ، كالكوسة ، والباذنجان ، والفاصوليا ، والطماطم، والبطاطس، والنعناع ، والحبق ، والريحان ، والبرسيم ، والملوخية وغيرها (٢).

وهناك حرف وصناعات يدوية أخرى مارسها السرويون والتهاميون مثل: الدباغة والخرازة ، والصباغة والخياطة ، والصياغة ، ومعالجة المعادن (الذهب والفضة) ، وصناعة الأدوات الحديدية ، والصناعات الفخارية والحجرية ، وممارسة مهن الرعي ، والصيد ، وجمع الحطب ، وغيرها من الحرف والصناعات التي يحتاجونها في حياتهم اليومية (٣).

---

(١) للمزيد انظر ابن سيدة ، المحكم والمحيط الأعظم ، تحقيق مصطفى السقا ، وحسن نصار (طبعة ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م) ، ج١، ص ٣٤. ج٣، ص٣٢ . عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة وسكانها وما ينبت عليها من الأشجار (مكتبة الخانجي بمصر) ، ص ٤١٧، ٤١٩ ، جواد علي ، المفصل ، ج٧، ص ١٤، ٦٧، ١١٥.

(٢) مهنة الزراعة من الحرف الرئيسية التي مارسها أهل تهامة والسراة ، ولهم طرق وأساليب عديدة في تسوية الأرض وزراعتها ، ثم حصاد المحاصيل الزراعية ودرسها وخزنها . وقد أطلعت على عشرات الوثائق التي تصور تاريخ الزراعة في هذه البلدان منذ القرون الإسلامية الوسيطة إلى وقتنا الحاضر. ويوجد في هذه الوثائق التاريخية مادة علمية جيدة تستحق البحث والدراسة. ونقول إن تاريخ الزراعة في هذه الأوطان لم يدرس منذ عصور ما قبل الإسلام إلى وقتنا الحاضر ونأمل أن نرى باحثين جادين يدرسون هذا الباب العلمي الهام والجدير بالبحث والدراسة . للمزيد من التفصيلات في بعض المصادر التي أشارت إلى مهنة الزراعة في أرض تهامة والسراة وما تميزت به من مزروعات ومحاصيل زراعية انظر: الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٣٦٠، ٣٦١، عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة (مكتبة الخانجي) ، ص٤١٧، ٤١٩ ، ابن حبيب ، المنمق، ص ٢٠١، ابن سعد ، الطبقات ، مج١، ص ٢٦٦، البكري ، معجم ما استعجم ، ج٤، ص ١٣، ابن عبدربه ، العقد الفريد ، ج٢، ٢٥١، ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج١، ص ٥٢٩. ج٢، ص١٢٦. ج٣، ص ١٠ . ج٥، ص ٢٦٨ ، ابن المجاور، تاريخ المستبصر ، ج١، ص ٢١، ٢٢، ٢٥، ٢٧، ٣٣ . القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد (بيروت ، دار صادر ، د.ت) ، ص ٩٧، ٩٨ .

(٣) كتب التراث مثل: معاجم اللغة العربية (لسان العرب لابن منظور ، وتاج العروس للزبيدي) ، وبعض كتب الجغرافيا والرحالة : كالهمداني ، وابن المجاور ، والبكري ، وياقوت الحموي ، وبعض كتب التاريخ العامة كالطبري ، والمسعودي وابن الأثير وغيرهم أشاروا إلى بعض المهن والصناعات التي مارسها سكان شبه الجزيرة العربية ، وبلاد تهامة والسراة جزء رئيسي في هذه البلاد العربية . للمزيد انظر، جواد علي ، المفصل ، ج١، ص ٢٢١ . ج٧، ص ٥٣٧. كما يوجد هناك مئات الوثائق غير المنشورة التي أشارت إلى شيء من هذه الصناعات والحرف عند أهل تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة .

أمـا حرفـة التجارة في بـلاد السروات وتهامـة ، فكانت تمارسـ في أنحاء هذه البلاد[١]. والدارس لمؤهلات الحياة التجارية عند السرويين والتهاميين يجدها متوفرة من خلال غنى أرضهم الزراعية ، وثرواتهم النباتية والحيوانية ، واحتوت بلادهم على بعض المعادن النفيسة . كما أنها بلاد تربط بين اليمن والحجاز ، وتقع أجزاؤها الغربية التهاميـة علـى ساحل البحر الأحمـر الشرقي ، فهي ذات موقـع استراتيجي ، وتمر من جبالهـا وسهولها وسواحلها طـرق رئيسية تصل ما بين اليمن والحجـاز ، وفيها أسواق تجاريـة قديمـة مثل سوق عـكاظ في الطائف ، وسـوق حباشة في تهامـة سروات عسير وغامـد وزهران[٢]. ناهيك عن أسواقها الأسبوعية فلا تخلـو عشيرة أو قبيلة من سوق أسبوعـي يمتلـئ بالباعة والتجار الذين يفدون إليه من كل مـكان[٣]. والسائح في بلدان السـراة وتهامـة والوقوف على بعض الطـرق والأسواق الأسبوعية القديمـة ، ثم التأمل في المدرجـات الزراعية ، وأماكـن التعدين القديمة يتأكد له أن هـذه البلاد كانت غنية بثرواته ومواردها الاقتصادية والتجارية[٤].

---

(١) انظـر بحثـاً علميـاً تفصيلياً عن النشـاط التجـاري في تهامة والسـراة في العصـور الإسلامية المبكرة والوسيطـة . ومـادة هذه الدراسة مستقاة من مصادر وكتـب تراثية عديدة . غيثان بن جريس " ملامح النشـاط التجاري لبلاد تهامة والسراة في العصور الإسلامية الوسيطة " . قدمت هذه الدراسة في ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ٢٥-٢٧/ شعبان ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) ، ونشرت في كتاب: طرق التجارة العالميـة عبر العالم العربي على مـر عصور التاريخ. حصاد رقم (٨) : (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) ، ص ١٥٧- ٢٢٢. كما نشرت في كتاب : دراسات في تاريخ تهامة والسراة (ق١- ق١٠هـ/ ق٧ - ق ١٦م) (الرياض: مطابع العبيكان (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ج١، ص ٣٣٥- ٤٢٢ .

(٢) لمزيـد مـن التفصيلات عن سوق عـكاظ وحباشة ، انظر: عدد من المصادر مثـل: ابن حبيب ، المحبر ، ص ٢٦٧ ، الأصفهاني ، الأغاني (دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ) ، ج٢، ص ٦٢، الزبير بن بكار ، جمهرة أنسـاب قريش وأخبارها ، تحقيق محمود محمد شاكر (القاهـرة. دار العروبة،١٩٦٥م) ، ص ٣٧١، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٤٦٨، ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج١، ص ٢٧، ٢٢٠ .

(٣) لمزيد من التفصيلات انظر: عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٤١٧- الهمداني ، كتاب الجوهرتين العتيقتين ، ص ٨٥،٨٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٨٢ ، ٣٣٨ . الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، ج١، صـ ٢٨، البكـري ، المسالك والممالك (بـيروت ، دار الكتب) ، ج١، ص ٢٧٨، الجاحظ ، التبصير بالتجارة ، (بيروت: دار الكتب ، ١٩٨٣م) ص ٣٥، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢، ص ١٢٦ .

(٤) هذا ما عرفته وشاهدته في أرض تهامة والسراة وأنا اتجول في مناكبها منذ أربعين عاماً ، دارساً ومتأملاً وجامعـاً لأدبهـا وتراثهـا وتاريخها وحضارتها . وإذا كانـت بعض كتب التراث الإسلامـي أشارت إلى صور وشذرات من تاريخها الاقتصادي فإنها لم توف هذه الأوطان حقها ، ومازال الكثير من تاريخها الاقتصادي والحضـاري مفقـوداً ، ونأمل مـن الدارسين والمتخصصـين في علوم النقوش والآثار أن يبحثـوا ويدرسوا تاريخها الأثري لعلنا نطلع على شيء من تاريخها الضائع الذي لم نجده في المصادر التراثية التقليدية .

ثالثاً: أمكنة جغرافية وصور تاريخية في كتاب: معجم البلدان لياقوت الحموي عن السراة وتهامة (مدونات، وأقوال، وتعليقات).

م	الموضوع	الصفحة
أولاً:	تمهيد	٥٧
ثانيا:	أمكنة جغرافية وصور تاريخية في كتاب معجم البلدان لياقوت عن السراة وتهامة	٥٩
	أولاً: حرفا الألف، والباء	٥٩
	ثانيا: حروف التاء ،والحاء، والخاء	٦٢
	ثالثاً: حروف الراء، والزاء، والسين، والشين، والصاد، والضاد	٧٠
	رابعاً: حروف الطاء، والعين، والغين، والفاء، والقاف، والكاف	٧٩
	خامسا: حروف اللام، والميم، والنون، والواو، والهاء، والياء	٨٨

أولاً: تمهيد:

ياقوت الحموي هو: شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي البغدادي، ولد في بلاد الروم عام (٥٧٥هـ/١١٧٩م)، ثم أخذ أسيراً من أرض الروم وبيع في أسواق الرقيق في بغداد، وكان الذي شراه تاجر بغدادي أصله من حماة في بلاد الشام، اسمه عسكر بن إبراهيم. عمل ياقوت مع سيده في التجارة، ثم أعتقه عام (٥٩٦هـ/١١٩٩م)، وأشركه معه في تجارته، وصار يبعثه في شؤونها إلى أصقاع عديدة، وبعد موت سيده وشريكه عسكر بن إبراهيم، اشتغل ياقوت بتجارة الكتب لبعض الوقت، ثم امتهن حياة الأسفار والرحلات، فساح في آسيا الصغرى، وبلاد الشام، ومصر، وجزيرة العرب، وإيران، وبلاد ما وراء النهر، واستقر أخيراً في خوارزم، وبدأ في تأليف معجمه[1]. لم يمكث ياقوت في خوارزم كثيراً، وذلك بسبب ظهور جنكيز خان، سلطان المغول، واجتياح بلدان الشرق الإسلامي، فخرج ياقوت إلى الموصل ثم إلى حلب، وقام على تنقيح معجمه حتى توفي سنة (٦٢٦هـ/١٢٢٨م)[2].

---

(١) للمزيد انظر: مقدمة كتاب ياقوت الحموي. معجم البلدان (بيروت: دار صادر، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ج١،ص٦ وما بعدها، أحمد رمضان أحمد. الرحلة والرحالة المسلمون (جدة: دار البيان العربي، م. ن)، ص١٧٧وما بعدها.

(٢) المصدر والمرجع نفسه.

من الواضح أن ياقوت أفاد كثيراً مما شاهد في أسفاره وما جمعه من الخزائن التي تردد عليها في مراكز الثقافة وبخاصة في بلدان خراسان وما جاورها من بلدان المشرق الإسلامي، ولهذا نجده صنف العديد من المؤلفات القيمة مثل: مراصد الاطلاع على أسماء الأماكن والبقاع ، وإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، وكتابه الموسوعي: معجم البلدان الذي قال عنه ياقوت في مقدمته " هذا كتاب في أسماء البلدان، والجبال والأدوية والقيعان والقرى والمحال والأوطان والبحار والأنهار والغدران والأصنام والأبداد والأوثان ، لم أقصد بتأليفه وأصمد نفسي لتصنيفه لهواً ولا لعباً ، ولكني رأيت التصدي له واجباً ، والانتداب له مع القدرة عليه فرضاً لازباً ... " [١]. ثم يستطرد ويذكر بعض الأسباب التي دفعته إلى تأليف هذا المعجم ، فيقول: "من أول البواعث لجمع هذا الكتاب أنني سُئلت بمرو الشاهجان في سنة خمس عشرة وستمائة ... عن حُباشَة اسم موضع جاء في الحديث النبوي ، وهو سوق من أسواق العرب في الجاهلية[٢]. فقلت :أرى أنه حُبَاشَةُ بضم الحاء ، قياساً على أصل هذه اللفظة في اللغة ، لأن الحُبَاشَةَ : الجماعة من الناس من قبائل شتى ، وحبشت له حباشة ، أي جمعت له شيئاً ... " [٣]، ثم يسرد معارضة رجل من المحدثين، الذي قال إن حرف الحاء في حباشة بالفتح وليس بالضم، وكان ياقوت متمسكاً بقوله ، ثم عزم على تأليف معجمه ، وتأكد له فعلاً أن مفردة (حُباشة) بالضم وليست بالفتح) [٤].

ألف ياقوت معجمه في عدة مجلدات ، وجميع مادة الكتاب تدور في فلك أسماء وجغرافية الأمكنة في معظم بلدان العالم الإسلامي خلال القرون الإسلامية الستة الأولى ، وهذا المصدر يعد من أكبر وأشمل المعاجم الجغرافية التراثية التي وصلتنا من علماء المسلمين الأوائل . والذي نسعى إلى رصده في هذا المحور هو الإشارة إلى معظم الأمكنة التهامية والسروية الواردة في هذا الكتاب الموسوعي ، مع ذكر بعض الصور التاريخية والحضارية عن هذه المواضع الجغرافية ، وسوف نذكرها مرتبة هجائياً حسبما جاءت في المعجم نفسه [٥].

---

(١) انظر مقدمة كتابه : معجم البلدان ، ج١، ص ٧ .

(٢) انظر تفصيلات أكثر عن هذا السوق في المحور الثالث من القسم الثاني في هذا المجلد الذي بين أيدينا .

(٣) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٨٦ ، ٢٦١ .

(٤) المصدر نفسه ، ج١، ص ١٠ ،وللمزيد انظر أحمد رمضان أحمد ، الرحلة والرحالة المسلمون ، ص ١٨١ ـ ١٨٢ .

(٥) لن نسهب الحديث عن هذه الأمكنة ، وإنما نلفت نظر الباحثين والجغرافيين والمؤرخين إلى أهمية دراسة هذه المواضع في كتاب: معجم البلدان لياقوت الحموي ، وفي غيره من كتب التراث الإسلامي الجغرافية والتاريخية واللغوية والأدبية وغيرها . ونستطيع القول إن معظم الأمكنة التي سوف نشير إليها في هذه

ثانياً: أمكنة جغرافية وصور تاريخية في كتاب معجم البلدان لياقوت عن السراة وتهامة .

أولا: حرفا الألف، والباء :

(١) **أبيدة:** بفتح أوله وكسر ثانية وياء ساكنة ودال مهملة : منزل من منازل أزد السراة [(١)]. ويقع هذا المكان في سروات زهران ، ويطلق عليه أحياناً (بيدة) ، وينسب إلى هذا الموقع وادي أبيدة الذي هو من أعظم أودية السراة التي تنحدر صوب نجد، وهو أحد فروع وادي تربة . جاء ذكره في عدد من كتب التاريخ والأدب والجغرافيا المتقدمة، ومازال يحمل الاسم نفسه حتى اليوم ، ويستوطنه عدد من الأفخاد والقرى الزهرانية الأزدية حتى اليوم[(٢)]. (٢) **إثمد:** بالكسر ثم السكون وكسر الميم ، وهو الذي يكتحل به[(٣)]. ونجد في تهامة العرضيات التابعة لإمارة مكة المكرمة جبال تعرف بـ(ثميدة) ، وقد سألت بعض السكان عنها فقالوا عرقت بهذا الاسم لثرائها بالمعادن، والكحل من المعادن الموجودة في هذه الجبال العظيمة، وهي تمتد على أجزاء من العرضيات الشمالية والجنوبية ، ويتخللها بعض الأودية الصغيرة التي تعد من فروع وادي قنونا. وربما هذا الاسم الذي ذكره ياقوت يعود إلى هذه الجبال التهامية [(٤)]. (٣) **بارق:** قال ياقوت بارق ماء بالعراق ، وبارق أيضاً جيل نزله سعد بن عدي بن حارثة بن عمرو مزيقياء بن عامر بن ماء السماء الأزدي، ويقال أن بارق ماء بالسراة فمن نزله أيام سيل العرم كان بارقياً ويذكر أنه نزله سعد بن عدي بن حارثة وأبناء أخيه أبناء عمرو ابن عدي فسموا بارقاً [(٥)]. ونجد بعض كتب التراث المبكرة تذكر بارقاً ونزوحهم من

الدراسة يستحق أن تدرس في بحث مستقل ، بل إن بعضها جديرة أن تكون عناوين لرسائل ماجستير أو دكتوراه .

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢، ص ٨٥ .

(٢) للمزيد انظر، حمد الجاسر . في سراة غامد وزهران (الرياض: منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م)، ص ١٩-٢٧، غيثان بن علي بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحة وعسير) (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٤هـ/٢٠١٢م) ، ج٥ ، ص ١٦٠ وما بعدها .

(٣) ياقوت ، المصدر السابق ، ج١، ص ٩٢ .

(٤) زيارة الباحث لبلدان العرضيات ، والذهاب إلى أجزاء من جبال ثميدة مرات عديدة ، للمزيد انظر غيثان بن جريس ، القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير والقنفذة) (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م) ، ج٢، ص ٤١٢ .

(٥) انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج١، ص ٣١٨-٣٢٠ .

اليمــن مع غيرهم من الأزديين ، وتفرق بعضهــم في أصقاع البلاد الإسلامية ، وقد برز فيهم بعض المشاهير في الحضارة الإسلامية . ومازال في تهامة عسير حتى اليوم بعض العشائـر التـي تحمل اسم بارق، بل هنـاك محافظة إدارية تسمـى (محافظة بارق) ، وتتبـع لإمارة منطقة عسير[١] . **(٤) بَبَمْبَمْ:** بفتحتـين على وزن ، غشمشم ، موضوع أو جبـل، وعرفت أيضاً باسم بَبَمْبَمُ: بفتح أوله وثانيــه، وميم ساكنة، وباء موحدة أخرى . ويقال أنها موضع قرب تبالة عند بيشة وترج ، والتلفظ بهذه المفردة صعب لقرب مخارج حروفه ، قال حميد بن ثور:

إذا شئت غنتني بأجزاع بيشة وبالرزن ، من تثليث، أو من ببمبما [٢].

ونجـد الهمداني يذكر محطـات الطريق الجبلي الذي يخـرج من الحجاز إلى اليمن مروراً بتربة وبيشة ، وتأتي محطة ببمبم في الوسط بين بيشة وجرش[٣]، ولا نجد لهـذا المكان ذكراً في الوقت الحاضر[٤] . **(٥) برك الغماد:** بكسر الغين المعجمة ، وقال ابـن دريـد بالضم ، والكسر أشهـر، وهو موضع وراء مكة بخمس ليـال مما يلي البحر، وقيل بلـد باليمن[٥] . والبرك اليوم محافظة تتبع منطقة عسير ، وكانت إلى عهد قريب تابعـة لمحافظة القنفـذة التي تعود في إدارتهـا إلى إمارة منطقة مكـة المكرمة، وأصبح هنـاك طريقان تصلان إلى محافظة البرك من أبها ، الأولى عبر عقبة ضلع ثم الدرب فالشقيق حتى البرك ، والأخرى من أبها إلى محائل عسير، ثم إلى البرك ، وصارت الآن من الحواضر الكبيرة في منطقة عسير ، ولها شاطئ جميل على البحر الأحمر[٦] . ونجد بعض كتب الـتراث الإسلامي تشير إلى شيء من تاريخها قبـل الإسلام وبعده ، وتذكر صـوراً من تاريخها السياسي والحضاري عبر أطوار التاريخ الإسلامي[٧] . **(٦) بعطان،**

---

(١) انظر بعض التفصيلات عن بارق في القسمين الثاني والثالث من هذا المجلد ، وهناك عدد من الدراسات والبحوث الحديثة التي صدرت في العصر الحديث عن تاريخ وأنساب وحضارة بارق .

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج١، ص ٣٣٤ . ج٥ ، ص ٤٢٧. ذكرت (ببمبما)

(٣) انظـر: الحسـن بن أحمـد الهمداني . صفة جزيرة العـرب . تحقيق محمد علي الأكـوع (الرياض، دار اليمامة ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) ، ص ٣٣٩-٣٤٠ .

(٤) ذهب الباحث في الطريق الممتدة من خميس مشيط إلى بيشة ومر على كتنة ومحطات أخرى ، وسأل عن اسم (ببمبم) أو (بيمبم) فلم يجد أحداً يعرفها .

(٥) ياقوت ، المصدر السابق ، ج١، ص ٣٩٩-٤٠٠ .

(٦) لقد زرت ناحية البرك مرات عديدة ، ومشيخة قبائلها في آل عبده ، وتتنوع في تضاريسها ونباتاتها .

(٧) للمزيـد انظـر ، عبد الرحمـن بن عبد الرحيم بـن علي بن عبده . مـن تاريخ برك الغمـاد بين الماضي والحاضر (معلومات النشر بدون) ١٤٢٠هـ) ، ص ١٤ وما بعدها .

وبيش، وبيشة: بعطان له علاقة ببيشة ، فيقال (بيشة بعطان) ، ولا ندري هل بعطان اسم مكان أو إنسان . ويقول ياقوت[(١)] : بعطان، واد لخثعم ، ويسكن بعض من عشائر خثعم في بيشة" ، وهذا ما أشار إليه فقال: "في بيشة بطون من الناس كثيرة من خثعم، وهلال ، وسواءة بن عامر بن صعصعة ، وسلول ، وعقيل ، والضباب ، وقريش"[(٢)]. ونجد كثيراً من كتب التراث تفصل الحديث عن تاريخ بيشة السياسي والحضاري ، فتذكر سكانها ، وغنى ثرواتها الطبيعية ، وهي أيضاً من المحطات الرئيسية على طريق الحجاز اليمن السروي[(٣)]، وتعد بيشة اليوم من المحافظات الكبرى في منطقة عسير، ويوجد بها معظم المؤسسات الحكومية ، مثل: جامعة بيشة وغيرها ، بل لها تاريخ عريق خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة والمعاصرة [(٤)]. أما بيش فهو من بلاد تهامة القريبة من اليمن [(٥)]. وهناك من خلط بين بيش و بيشة ، والمسافة بينهما بعيدة فالأولى ضمن المخلاف السليماني في (جازان) ، والثانية عند سفوح السروات الشرقية ، وهي بوابة نجد إلى منطقة عسير . ونجد أن أهل بيش لعبوا دوراً في التاريخ الإسلامي منذ بداية عصر الإسلام وخلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة[(٦)]. وبيش اليوم من محافظات منطقة جازان الرئيسية ، ويقام فيه الآن العديد من المشاريع الحضارية مثل المدينة الصناعية وغيرها[(٧)]. **(٧) بَيض:** يقول ياقوت : بيض بالفتح،

---

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج١، ص ٤٥٢.

(٢) المصدر نفسه ، ج١، ص ٥٢٩ .

(٣) لمزيد من التفصيلات انظر: " بيشة خلال العصر الإسلامي المبكر والوسيط (ق١ـ ق ٩هـ/ق٧ ـ ق١٥م) . بحث منشور ضمن مداولات اللقاء العلمي التاسع بجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي ، الذي عقد في مدينة جدة في الفترة من (١٦ـ١٩/٤/١٤٢٩هـ الموافق ٢٢ـ٢٥/٤/٢٠٠٨م) ، ص ٢٩١ـ ٣٣٤. كما نشر هذا البحث أيضاً في كتاب : دراسات في تاريخ تهامة والسراة (ق١ـ ق١٠هـ/ق٧ ـ ق١٦م) (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣١ـ١٤٣٢هـ/ ٢٠١٠ـ ٢٠١١م) ، ج٢، ص ٣٥٧ وما بعد ها .

(٤) المرجع نفسه ، انظر في كثير من كتب التراث المبكرة التي فصلت الحديث عن أعلام بيشة ، ومواضعها والأحداث التي وقعت فيها عبر أطوار التاريخ الإسلامي .

(٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ج١، ص ٥٢٨ .

(٦) للمزيد عن تاريخ جازان (المخلاف السليماني) ، ومنطقة بيش وغيرها انظر: محمد بن أحمد العقيلي . تاريخ المخلاف السليماني (الرياض : منشورات دار اليمامة ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) (جزءان) . أحمد عمر الزيلعي . الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان (الرياض : مطابع الفرزدق ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م) .

(٧) لمزيد من التفصيلات انظر، غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٣، ١٤٣٥هـ /٢٠١٢، ٢٠١٤م) ،الجزءان الرابع، والسادس. ونقول إن محافظتي بيش وبيشة من البلدان التي تستحق أن يصدر عنها عشرات الدراسات ، لأنها من الأوطان التي لها تاريخ طويل عبر عصور التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط والحديث .

وهـو موضـع في أول أرض اليمن ، وأقوال بيض من أودية جـازان ، ومازال معروفاً بهذا الاسـم إلى اليـوم ، ويلتقي بـوادي سمرة عند قرية الشرفاء من قـرى آل حدرة ، ونجد الرحالة فيلبي والعقيلي يشيران إلى هذا الوادي ضمن منطقة جازان[١].

ثانياً: حروف التاء ، والحاء ، والخاء :

(١) تبالـة : يشـير ياقـوت إلى تبالة بأنهـا موضع ببلاد اليمـن ، ويقرن تبالة مع جرش التـي يقـول إن أهلها أسلموا بدون حـرب ، فترك الرسـول(ﷺ) بلادهم لهم ، وفرض على كل حالم من أهل الكتـاب فيهما ديناراً ، ويورد قصـة تولية الحجاج عليها في عصـر بني أمية ، وهناك من يذكر أنها سميت باسم تبالة بنت مكنف من العماليق، ويشـير ابـن الكلبي أنها عرفت بتبالـة بنت مدين بن إبراهيـم[٢]. ونجد في بعض كتب الـتراث الإسلامي أنها إحدى المحطـات الرئيسية على طريق الحـج والتجارة السروي الذي يربط بين الحجاز واليمن ، وهي من مخاليف السراة التابعة لمكة المكرمة . وهناك مـن قال في أرضها وسكانها وأحداثها أشعـاراً مدونة في عدد من المصادر[٣]. ومازالت بلدة تبالة معروفة إلى اليوم في أرض السراة ، ولها واد يعرف بوادي تبالة وهو أحد فروع وادي بيشـة ، وبعض أجزاء هذه الناحية تقع في محافظة بلقـرن التابعة لإمارة منطقة عسـير[٤]. **(٢) تَثْلِيث:** بفتح أوله وسكون ثانية وكسر اللام موضع بالحجاز قرب مكة،

---

(١) انظـر هاري سانت جون فيلبي . مرتفعـات الجزيرة العربية . ترجمة حسن مصطفى حسن ، ومراجعة وتعليـق وتقديم غيثان بن جريس (الرياض : مكتبـة العبيكان ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) ، الجزء الثاني ، ص ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٧. محمـد أحمـد العقيلي . المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (مقاطعة جازان) (الرياض: منشورات دار اليمامة ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ، ص ٨٤ وما بعدها .

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢، ص ٣٩- ٤٠ .

(٣) للمزيـد عن تاريخ تبالـة منذ العصر الجاهلي وعبر أطـوار التاريخ الإسلامي المبكـر والوسيط انظر . غيثـان بـن علي بـن جريس. "تبالة وأهميتها التاريخيـة والحضارية خلال القـرون الإسلامية الأولى" . بحـث منشـور في مداولات اللقاء العلمـي السنوي الثامن لجمعيـة التاريخ والآثار بـدول مجلس التعاون الخليـج العربـي المنعقـد في مدينة المنامة بدولـة البحرين الشقيقـة في الفترة مـن (٧-١٠/٥/١٤٢٨هـ الموافـق ٢٤-٢٧/أبريل/٢٠٠٧م) ، صـ ١٧٩- ٢١٥. وهذه الدراسة منشورة في كتـاب: دراسات في تاريخ تهامـة والسـراة (ق١-ق١٠هـ/ق٧-ق١٦هـ) ، ج٢، صـ٤٢٣- ٤٧٠ . للمزيد انظر، عبـد الرحمن صادق الشريـف .جغرافية المملكة العربية السعودية : إقليم جنوب غرب المملكة (الرياض: دار المريخ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ج٢، ص ٤٤٢- ٤٤٣ .

(٤) زرت محافظـة بلقرن مرات عديدة وكانت آخر مرة زرتهـا وكتبت شيئاً من تاريخها في شهر ذي القعدة عام (١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م) ، وتجولت في أجزاء من وادي تبالة الذي تأتي مياهه من سروات بلقرن ويصب في وادي بيشـة ، ويوجـد في هذا الوادي بعض القـرى التراثية والحديثة وفيه بعض النباتات والأشجار المختلفة . انظر كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب. (١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م) ، ج١١، ص ٣٣٤ وما بعدها

ويوم تثليث من أيام العرب بين سليم ومراد ، وفيه يقول الأعشى:

وجاشت النفس لما جاء فَلَّهُمُ   وراكب جاء من تثليث مُعْتَمِر[١].

ونجد الهمداني يشير إلى بلاد تثليث بشكل أوضح من ياقوت فيقول" ثم يعترض بين نجران وتثليث أودية مثل حبونن، وغيره من بلاد وادعة ، وبلاد يام ، وزبيد ، وبلاد سنحان ، وبلاد جنب"[٢] ، إلى قوله: " ويشرع عليها جُرزُ اليمن من مصاصة بني عامر بناحية ترج وتثليث.. "[٣] ، وقال في موضع آخر " وتثليث، وكان لعمرو بن معد يكرب فيه حصن ونخل والقرارة والريان وجاش"[٤]. ثم قال : " ومن الهجيرة وتثليث عن يوم في مشرقها ، ثم منها إلى ببمبم عشرون ميلاً "[٥]. ويقول أيضاً : " فإلى حدود الهجيرة وتثليث وأنهار جرش وكتنة منحدراً في السراة على شعف عنز إلى تهامة... "[٦]. ومازالت تثليث تعرف بهذا الاسم إلى الآن ، وهي إحدى محافظات منطقة عسير، وتبعد من أبها تجاه الشرق حوالي (١٨٠-٢٠٠) كيلو متر، على الطريق الرئيسي الذي يربط أبها وخميس مشيط بمدينة الرياض ، وهي بلاد واسعة ومأهولة بالسكان ، ووادي تثليث يعد من أكبر أودية المملكة العربية السعودية ، ومن أشهر قبائلها في القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة، قبائل نهد ، والجعفيون من سعد العشيرة ، والرها ، وزبيد ، ومراد، وغيرهم ، ومن عشائرهم في العصر الحديث الجحادرة ، والحباب ، وعبيدة قحطان، والمنادية، وآل سليمان، والمساردة ، وآل مهدي، وآل علي وغيرهم[٧]. **(٣) تُرَبة:** بالضم ثم الفتح، قال عرام: تربة واد بالقرب من مكة على مسافة يومين منها ، يسكنه بنو هلال، وقال الأصمعي: "تربة واد للضباب طوله ثلاث ليال، فيه النخل والزروع والفواكه،

---

(١) ياقوت ، المصدر السابق، ج٢، ص ١٥-١٦ .

(٢) الهمداني ، صفة جزيرة العرب (طبعة دار اليمامة ، ١٣٩٧هـ /١٩٧٧م) ، ص ١٦٦.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٦٦ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٥٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٣٣٩ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٦٥ .

(٧) ذهبت إلى بلاد تثليث وجاش والعرين وطريب والأمواه في زيارة قصيرة في بداية هذا العقد الرابع من هذا القرن (١٥هـ/٢١م) ، وسجلت بعض مشاهداتي لكنني لم أدونها وأنشرها حتى الآن ولا بد من الذهاب إلى هذه البلاد والتجوال في أرضها لعدة أيام لعلي أحيط بمعلومات وتفصيلات أكثر وأوضح عن هذه الأوطان التي مازالت فقيرة في ميادين البحوث العلمية ونأمل من جامعتي الملك خالد وبيشة أن تبذلا جهوداً أكبر في دراسة مثل هذه المناطق الجديرة بالبحث والدراسة .

ويشاركهـم فيـه هلال وعامر بن ربيعة، ويقـال تربة ورنية[١] . وبيشة هـذه الثلاثة أودية ضخـام، أسافلهـا في نجد وأعاليها في السروات" ، ويقول: "تربـة واد يأخذ من السراة ويفـرغ في نجران ، ونزلت خثعم ما بـين بيشة وتربة وما صاقب تلك البلاد إلى أن ظهر الإسلام"[٢] . وغالبية حديث ياقوت صحيح ، فالمنابع العليا لوادي تربة تأتي من سروات غامـد وزهران وبني مالك ، ويواصل الوادي مجراه في هذه المنطقة من الجنوب الغربي إلى الشمـال الشرقـي فيخترق بلاد تربة وبلاد الخرمـة ، ويتسمى الوادي في كل منهما باسمهمـا فيطلق عليه في القسم الأول (وادي تربة) ، وفي القسم الثاني (وادي الخرمة)[٣] . أمـا قول ياقـوت إن وادي تربة يصب في نجران وأنه للضبـاب فهذا كلام غير صحيح . وتربـة ذكرت في كثير من كتب التراث الإسلامـي ، وقيل فيها أشعار عديدة ، ووقع فيها أحداث تاريخية وسياسية قبل الإسلام وعبر أطوار التاريخ الإسلامي ، وهناك عشرات الكتـب والبحـوث والدراسـات الحديثة التي أشـارت إليها ، وتحدث عنهـا وزارها عدد مـن الجغرافيين والرحالة المسلمين وغـير المسلمين[٤] ، وهي اليوم من النواحي الإدارية التابعة لإمارة منطقة مكة المكرمة[٥] . **(٤) تَرْج :** بالفتح ثم السكون ، وقيل ترج وبيشة قريبان متقاربتان بين مكة واليمن ، قال أوس بن مدرك:

تبـالـة ، والـعـرضـات تـرج وبـيشـة　　　وقومي تيم اللات ، والاسم خثعم[٦] .

وقالت أخت حاجز الأزدي ترثيه :

أخـــي حـاجـــز أم لـيـس حـيـاً　　　فـيـسـلـك بـين خـنـدف والـبـهـيـم

ويــشـــرب شـربـة مــن مـــاء تــرج　　　فـيـصـدر مشية السـبـع الـكـليـم[٧] .

---

(١) كتب ياقوت رنية باسم (زبية) ، وربما نقل هذا الاسم من مصادر أخرى والصحيح ما ذكرنا (رنية) . ياقوت المصدر السابق، ج٢، ص٢١.

(٢) ياقوت ، المصدر نفسه ، ج٢، ص ٢١ .

(٣) للمزيد انظر، عبد الرحمن الشريف . جغرافية المملكة العربية السعودية ، ج٢، ص ٤٦٤ وما بعدها .

(٤) انظـر: دراسـة بعنـوان : "رنيـة ، وتربة ، والخرمـة عند بعض الجغرافيين والرحالـين المسلمين وغير المسلمـين المتقدمين والمتأخرين" منشورة في كتاب: القول المكتـوب في تاريخ الجنوب، (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٧هـ/١٤٣٨هـ)، الجزء التاسع ، ص ١٣١- ١٩٤ .

(٥) أقول إن محافظ تربة من البلدان التي تستحق دراسات علمية موثقة ترصد تاريخها وحضارتها من قبل الإسـلام إلى وقتنـا الحاضر ، ونأمل من جامعتي أم القرى والطائـف أن توجه بعض طلابها وأساتذتها لدراسة مثل هذه البلاد وغيرها من المناطق الجديرة بالبحث والدراسة .

(٦) انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢، ص ٢١ .

(٧) المصدر نفسه ، ج٢، ص ٢١ .

وقيل ترج وادي إلى جنب تبالة على طريق اليمن[١]. ونقول إن ترج ورد ذكره في بعض كتب التراث الإسلامي، وقيل فيه بعض الأشعار ومازال يعرف بهذا الاسم إلى اليوم وهو من أودية سروات بني شهر في منطقة عسير، وأحد روافد وادي بيشة، ويسكنه اليوم عدد من العشائر والأفخاذ ، وهناك واد آخر قريب منه يأتي في المرتبة الثانية بعد ترج ، وهو وادي ترجس ، ويجتمع فيه أودية تنومة ، وسدوان ، وخارف ، وآل حوراء ، وخرص في أوطان بني شهر وبللسمر ثم تسير حتى تتصل بوادي ترج الكبير الذي يصب في وادي بيشة [٢]. **(٥) تهامة :** بالكسر ، أورد ياقوت تفصيلات عامة عن بلاد تهامة من مكة والمدينة المنورة حتى الحديدة وعدن في اليمن [٣]. والذي يعنينا هنا هي تهامة الممتدة من مكة المكرمة شمالاً إلى المخلاف السليماني (جازان) جنوباً ، فهذه البلاد تمتد من ساحل البحر الأحمر الشرقي إلى سفوح جبال السروت الغربية ، وهي متنوعة في تضاريسها وأحوالها المناخية ، فالسهول والساحل أشد حرارة وفقيرة في غطائها النباتي ، لكن عموم أرض تهامة مأهولة بالسكان وفيها مراكز وبلدان حضارية منذ عصور ما قبل الإسلام واثناء عصور الإسلام المختلفة ، واليوم يوجد فيها عشرات المدن والقرى المتمدنة ، وتتوزع إداراتها والإشراف على سير الحياة فيها عدة إمارات مثل: إمارة مكة المكرمة ، وإمارة الباحة ، وإمارة عسير، وإمارة جازان ، ومن أهم وأكبر مدنها الحديثة من الجنوب إلى الشمال: سامطة ، أحد المسارحة ، أبو عريش، جازان ، صبيا ، بيش ، الدرب ، الشعبين في رجال ألمع ، محائل عسير ، البرك، المجاردة ، بارق ، القوز ، القنفذة ، ثريبان ونمرة في العرضيات ، المخواة ، قلوة ، الليث وغيرها [٤]. **(٦)**

---

(١) المصدر نفسه ، ج٢، ص ٢١ .

(٢) وأقول أن بلاد ترج وترجس من الأودية الرئيسية التي تأتي منابعها من بعض سروات رجال الحجر ثم تسير شرقاً حتى تصب في وادي بيشة . وهذه الأوطان والأودية جديرة أن تدرس حضارتها وجغرافيتها وتاريخها منذ العصر الجاهلي حتى اليوم .

(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢، ص ٦٣ .

(٤) زرت جميع هذه البلدان خلال الثلاثة عقود الماضية ، وهي من البلدان التهامية الجديرة بالدراسة ، حبذا أن نرى بعض طلابنا أو بعض أساتذة الجامعات السعودية الجنوبية فيدرسوا تاريخ وحضارة هذه الأوطان منذ عصور التاريخ القديم حتى يومنا الحاضر. للمزيد انظر ، محمد أحمد العقيلي . المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (مقاطعة جازان) (الرياض: دار اليمامة للبحث والنشر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ص٩ وما بعدها . عاتق بن غيث البلادي . بين مكة واليمن (رحلات ومشاهدات) (مكة المكرمة: دار مكة للنشر ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ، ص ١١ومابعدها .غيثان بن علي بن جريس . بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠ـ ق ١٥هـ/ق١٦ـ ق ٢١م) (دراسة تاريخية حضارية) (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م) ، ص ١٢ وما بعدها .

جُرَش : بالضم ثم الفتح، وشين معجمة : من مخاليف اليمن من جهة مكة ، ذكر ياقوت شيئاً من تاريخها ، وسبب تسميتها ، ودخول الإسلام إليها ، وصور حضارية أخرى من تراثها وحضارتها ، خلال القرون الإسلامية الأولى(١). ونجد الهمداني يفرد لها عدة صفحات تحت عنوان (**جرش وأحوازها**)(٢)، كما ذكرتها كثير من كتب التراث الإسلامي ، وهي جزء من منطقة عسير اليوم وبخاصة محافظتي خميس مشيط وأحد رفيدة بالإضافة إلى مدينة أبها وما حولها ، وقد صدر عنها العديد من الكتب والبحوث والرسائل العلمية خلال الأربعين سنة الماضية . والذي نتطلع إليه أن تدرس دراسة أثرية، وهذه مسؤولية الجامعات المحلية ، والهيئة العليا للسياحة وأقسام وكليات الآثار في المملكة العربية السعودية ، فإن قامت هذه المؤسسات بمسؤولياتها العلمية والمالية والإدارية تجاه هذه البلاد ذات الحضارة القديمة فقد نحصل على بعض النتائج الإيجابية التي توضح لنا شيئاً من تاريخ وتراث هذه البلاد العربية الإسلامية(٣). **(٧) جلذان :** بكسر الجيم ، وسكون اللام ، واختلف في الدال فمنهم من رواها مهملة ، ومنَهم من رواها معجمة، موضع قرب الطائف بين لية وسَبَل، يسكنه بنو نصر بن معاوية من هوازن ، وقيل سمي بجلذان بن أزال بن سام بن نوح ، وأشار ياقوت إلى شيء من جغرافيته وبعض الأشعار التي ذكرت فيه(٤). ويجد الذاهب من الطائف نحو الجنوب بحوالي (٢٥) كيلاً أنه يصل بلدة لية ووادي السر ، وهناك يظهر الطرف الجنوبي الغربي لسهل (جلدان) الذي ذكره ياقوت باسم (جلذان) ، وقد ذكر في بعض المصادر والأشعار بالذال وأحياناً بالدال ، وجلدان اليوم من نواحي حاضرة الطائف الجنوبية ، ويسكنها بعض العشائر ، وفيها الكثير من الأبنية الحديثة مثل: المنازل وبعض المؤسسات الإدارية كالمدارس وغيرها (٥). **(٨) حُباشة :** بالضم والشين المعجمة ، والبحث عن صحة نطق

---

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢، ص ١٢٦- ١٢٧ .

(٢) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٥٥ وما بعدها .

(٣) هذا النداء أكرره في كثير من بحوثي ودراساتي حول البلدان ذات التاريخ القديم ، التي تستحق كثيراً من الرعاية والاهتمام والدعم المعنوي والمادي ، وحتى هذه الساعة لاحياة لمن تنادي ، فجميع هذه الإدارات والمؤسسات لم تفعل أي شيء تجاه تاريخنا وموروثنا الحضاري وآمل أن نرى في المستقبل من يدعم مثل هذه النداءات .

(٤) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢، ص ١٥٠- ١٥١ .

(٥) أقول إن محافظة الطائف درست في عدد من الكتب والبحوث والدراسات القديمة والحديثة ، ومازالت تحتاج إلى دراسات علمية أكاديمية موثقة ، ونأمل من جامعة الطائف أن تضاعف جهودها لدراسة تاريخ وحضارة هذه المدينة القديمة والعريقة في تاريخها

اسم (حُباشة) كان من الأسباب الرئيسية التي جعلت ياقوت الحموي يعكف على جمع وتأليف كتابه (معجم البلدان) ، وقد أوضحنا ذلك في بداية هذا المحور ، وحباشة اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية وصدر الإسلام(١). ويشير عدد من المصادر التراثية المبكرة إلى هذا السوق في بلاد تهامة ، ومعظمهم ذكروا أنه قريب من وادي قنونا ، وأهله والقائمون عليه من الأزد(٢). ومكان هذا السوق اختفى ولا نجد له ذكراً اليوم، وفي العصر الحديث أشار إليه عدد من الباحثين والدارسين واختلفوا في مكانه، بل إنهم جميعاً لا يعرفون أين موقعه الحقيقي ، وكلهم مجتهدون فمنهم من يقول إنه في العرضية الجنوبية وفي تهامة بلقرن تحديداً ، ومنهم من يدعي أنه في محافظة بارق الحالية ، وقد نشرنا بعضاً من أقوال هؤلاء الدارسين في القسم الثاني من هذا المجلد، وذكرنا وجهة نظرنا حيال تلك الأقوال والدراسات الحديثة(٣). **(٩) حَبَونَن:** بفتحتين، ونونين، موضع، ولم يذكر ياقوت موقعه(٤). ونجد الهمداني يذكر حبونن في بلاد نجران، وذكر أيضاً عند بعض الشعراء القدماء (٥). ووادي حبونا(٦) يعد ثاني واد مهم في نجران بعد وادي نجران، ومنابعه العليا تأتي من السروات الواقعة إلى الشمال الغربي من بلاد نجران ، وإلى الغرب من ظهران الجنوب، ومياه هذا الوادي الشرقية تأتي من بلدان سراة عبيدة في بلاد قحطان ، وله فروع عديدة مثل: وادي بدر، ووادي صيحان، ووادي حلال، ووادي تريمة ، ووادي ثار وغيرها . وحبونا من النواحي الرئيسية في منطقة نجران اليوم ، وهي بلاد مخدومة بالعديد من الخدمات الإدارية والحضارية(٧). **(١٠) الحجاز:** فصل ياقوت الحديث عن الحجاز ، والحجاز هي الجبال المتقاودة الممتدة من اليمن إلى الشام ، وسمته العرب حجازاً لأنه حجز بين الغور وهو هابط ، وبين نجد وهو ظاهر(٨). ونجد عشرات المصادر التاريخية والجغرافية واللغوية

---

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢، ص ٢١٠- ٢١١ .

(٢) هناك كتب تراثية عديدة أشارت إلى هذا السواق حتى زمن تدميره في نهاية القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) ، مثل: ابن سعد ، والبكري ، والأزرقي ، وياقوت الحموي وغيرهم .

(٣) انظر المحور الثالث في القسم الثاني المنشور في هذا المجلد .

(٤) انظر : معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٢١٥ .

(٥) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٦٦، ٢٥١، ٣٤٢،ياقوت ، المصدر السابق ، ج٢، ص ٢١٥ .

(٦) حبونا : يكتب بهذه الطريقة في عصرنا الحديث ، وهذه اللفظة أسهل من اسمه قديماً (حبونن) .

(٧) للمزيد عن تاريخ نجران وحبونن انظر، غيثان بن علي بن جريس. نجران : دراسة تاريخية حضارية (ق١هـ-ق٤هـ/ ق٧م-ق١٠م) (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) (الطبعة الثانية) ، ج١، ص ٢٤ وما بعدها .

(٨) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢، ص ٢١٨- ٢٢٠ .

والأدبيــة التــي أسهبت في الحديث عــن طبيعة جبال الحجــاز ، ومناخهــا وتضاريسها وأهلهــا وثرواتهــا النباتيــة والحيوانية[١] . وجبــال الحجاز هي جبال الســروات ، وأكثر هــذه الســروات ارتفاعاً وصعوبة تقع في الجزء الممتد من الطائف ومكة المكرمة إلى قعر اليمــن، وهي مأهولة بالسكان منذ قديم الزمان، وغنيــة بثرواتها الطبيعية والحيوانية، ولها تاريخ سياسي وحضاري عبر أطوار التاريخ . وفي العصر الحديث نجد اسم الحجاز اقتصــر على بلاد الحرمين مكة المكرمة والمدينة المنورة وما حولهما ، فإذا قيل الحجاز أو حجــازي، فالمقصود بذلك البــلاد الممتدة من الطائف جنوباً إلى المدينة المنورة ، وما دون الطائف وما بعد المدينة يطلق عليها أسماء وحواضر أخرى ، فمثلاً مناطق الباحة، وعسير، ونجران لا تعرف اليوم باسم الحجاز، وإنما تعرف بأسمائها الحالية (نجران ، وعسير، والباحة ، مع أنها تأتي ضمن جبال الحجاز أو السروات الممتدة من الشام إلى اليمــن[٢] . **(١١) حَكَم:** بالتحريك: مخلاف باليمــن ، سمي بالحكم بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد[٣] . وحكم كان مخلافاً أو ناحية في منطقة جازان اليوم ، وتذكر بعض المصــادر المبكـرة أن المخلاف السليماني (جــازان) كان إقليمين هما : مخلاف عثر ، ويقــع في الجزء الشمالي مــن مدينة جازان حتى حلي ابن يعقــوب الذي يقع بين البرك والقنفــذة . ومخــلاف حكــم يلي مخلاف عثر من الجنــوب ويمتد إلى مــا وراء منطقة حرض جنوبــاً ، وعاصمته مدينة حرض المعروفة اليوم في الجمهورية اليمنية ، أو مدينة الساعــد بناحية حرض ، ولا نجد لها ذكــراً في زمننا الحاضر ، وكان يطلق اسمها على هــذا المخــلاف، فيقال: مخلاف حكــم ، أو مخــلاف الساعد[٤] ، ولا نجــد اليوم ذكراً لاســم حكم في عمــوم منطقة جــازان[٥] . **(١٢) حلال:** بالكســر، وتخفيف اللام ، من نواحــي اليمــن . والحلال : مجموعة بيوت مــن الناس ، واحدتها حلــة ، ويقال: الحلال

(١) هناك عشرات الكتب والبحوث والرسائل العلمية المطبوعة والمنشورة عن جبال الحجاز الممتدة من اليمن إلى الشام .

(٢) المقصــود بالســرة ، أو السروات المذكــورة في هذه الدراسة هي جزء من جبــال الحجاز التي تكلم عنها الأوائل في كتبهم ومدوناتهم .

(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢، ص ٢٨٠ .

(٤) انظر : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٧٤-٧٦ . والمصادر المبكرة تذكر أن مخلافي عثر وحكم تم دمجهمــا في اســم واحد عرف بـ (المخلاف السليماني) نسبــة إلى سليمان بن طرف الحكمي ، ومازال هــذا الاســم يطلق على منطقة جازان إلى اليوم. للمزيــد انظر : محمد العقيلي ، المعجم الجغرافي ، ص ١٧ .

(٥) سألــت بعضــ الدارسين والمؤرخــين من أهل جازان ، ولم أجــد أحداً يذكر بقاء هــذا الاسم حتى الآن ، وبعضهم أكد على اندثاره .

متاع الرجل[١]. ومن خلال تجوالي في بلدان تهامة والسراة ، لم أجد اسم ناحية بهذا الاسم ، لكن في عدد من مواطن البدو شرق جبال السروات ، أو عند السفوح الغربية للسروات الممتدة من الطائف إلى بلاد قحطان، وبخاصة في منطقة الإصدار هناك بعض البيوت التي يستوطنها أهل السروات وقت الشتاء واشتداد البرد في جبال السراة ، فهم ينزلون إلى هذه المساكن ومعهم بعض مواشيهم ، وتعرف هذه المستوطنات باسم (حلال) ومفرد الواحدة منها (حلة) [٢]. **(١٣) حَلي :** بالفتح ثم السكون ، ويقال: إن حلي مدينة باليمن على ساحل البحر الأحمر، بينها وبينَ السرين يوم واحد ، وبينها وبين مكة ثمانية أيام ، ومن الأشعار التي قيلت فيها :

فوالله ما أحببت سدراً ببلدة من الأرض، حتى سدر حلي اليمانيا[٣].

وحلي ما زالت من البلدات الرئيسية في محافظة القنفذة ، وتقع إلى الجنوب من مدينتي القنفذة والقوز ، وهي من الحواضر التاريخية القديمة ، وكان يطلق عليها اسم (مخلاف حلي) وقام فيها إمارة إسلامية عرفت بـ (إمارة حلي بن يعقوب) ، وكتب عنها عدد من المؤرخين القدماء ، فذكروا نشأة تلك الإمارة وصلاتها السياسية والحضارية مع إمارة الأشراف في مكة المكرمة ، ومع حكام المخلاف السليماني ، ولها صلات مع بعض الحكومات في اليمن، ومع من جاورهم من أهل تهامة[٤]. وحلي القديمة شبه مندثرة ومن حولها العديد من القرى والأحياء العمرانية الحديثة[٥]. **(١٤) الخَلَصَة :** مضاف إليها ذو، بفتح أوله وثانيه ، ويروى بضم أوله وثانيه ، والأول أصح . والخلصة في اللغة : نبت طيب الريح يتعلق بالشجر له حب مثل العنب، وجمع الخلصة (خلص)، وهو بيت أصنام كان لدوس وخثعم وبجيلة ، ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة [٦]. ويسرد ياقوت تفصيلات عن هذا الصنم الذي أطلق عليه الكعبة اليمانية، وكان يحج إليه

---

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢، ص ٢٨١ .

(٢) هذه الحلال : وقفت على بعضها في بوادي مناطق الطائف والباحة وعسير، وعند سفوح السروات الغربية من هذه المناطق ، وكانت مستخدمة إلى عهد قريب ، أما اليوم فتركها أهلها واندثر معظمها ، ومازالت آثار الكثير منها واضحة للعيان .

(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢، ص ٢٩٧ .

(٤) للمزيد انظر: غيثان بن جريس ، بلاد القنفذة خلال خمسة قرون ، ص ٦٤ ـ ٧٩ .

(٥) مشاهدات الباحث وجولاته في منطقة القنفذة وزيارته لبلاد حلي بن يعقوب وبخاصة مدينة حلي القديمة في شهر ذي الحجة عام (١٤٣١هـ) ، للمزيد من التفصيل انظر رحلتي في تلك البلدان في كتاب: بلاد القنفذة خلال خمسة قرون ، ص ٣٠٣ـ ٣٤٦ .

(٦) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢، ص ٣٨٣ـ ٣٨٤ .

ويقدســه عدد من عشائــر أرض السراة الممتدة من نجــران إلى الطائف[١]. وبقي هذا الصنــم في تبالة وقيل في بلاد دوس حتى ظهر الإســلام ، فأرسل الرسول (ﷺ) جرير بــن عبد الله البجلــي إليه مع بعض قومه من بجيلة وغيرها. فأحرقه ودمره ، ويذكر أنه أعيــد بناؤه في عصر الدولــة السعودية الأولى لكنه دمر، ومازالــت بعض آثاره في أرض تبالة إلى اليوم [٢].

ثالثاً: حروف الراء، والزاي، والسين، والشين، والصاد، والضاد :

(١)رزيــق : تصغيــر رزق ، مــن حصون اليمــن [٣]. ويوجد في بلاد الســراة وبخاصة في بــلاد بنــي شهر قــرى تسمى (رزيق) أو (آل رزيق) ، وواحــدة من هذه القرى هي قرية المؤلف، وفيها عاش آباؤه وأجداده، ومازالت تحمل الاسم نفسه إلى اليوم ، وتقع إلى الشمال مــن مدينــة النماص، ويذكــر أنه يوجــد في اليمن بعض القــرى التي تسمــى (رزيق) [٤].

(٢) الركن اليماني : من أركان الكعبة ، وأنشد ياقوت لبعض أهل اليمن ، قوله :

لنا الــركن مــن بيت الحــرام وراثــة بقيــةُ مــا أبـقــى أبــي بــن ســالم [٥].

ونجــد في كثــير من كتب التراث ورود اسم الركن اليمــاني أو اليمن ، ويقصد بهذا المصطلــح عنــد بعضــ المؤلفين الأوائــل ، أن كل البلاد التي تقع جنــوب الكعبة فهي من أرضــ اليمــن ، ويقال لما هو شمال الكعبة الشام ، ومــن يأت من تلك النــاحية يطلق عليه (الشامي) ، وهكذا النواحي التي تقع جنوب الكعبة، يقال لها اليمن أو يمن ، ومن يعيش فيهــا أو يقدم منها فهو (يمــاني) ، وهذه الأقوال عامة وغير دقيقة ، لأن البلاد الممتدة مــن مكة المكرمة إلى آخر بــلاد اليمن لها مسميات عديدة ، وقــد فصلتها كتب التاريخ والجغرافيا المبكرة ، وأفضل اسم يطلق على الديار الممتدة من مكة والطائف إلى جازان

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) هنــاك العديــد من المصادر والمراجع التي كتبت عن تاريــخ ذي الخلصة ، مكانه ، وضعه في الجاهلية ، وماذا جرى له في عصور الإسلام المختلفة ، حبذا أن نرى باحثين جادين في علوم الآثار فيقومون بدراسة موقع هذا الصنم دراسة أثرية ، ومن يفعل ذلك فقد يسدي لنا معروفاً ويطلعنا على تاريخ حقيقي لهذا المكان وهذا الصنم . للمزيد انظر، غيثان بن جريس ، دراسات في تاريخ تهامة والسراة ، ج٢، ص ٢٠٣- ٢٠٥، ٤٣٠ وما بعدها .

(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢، ص ٤٣

(٤) هذا ما عرفه الباحث وسمعه من بعض الأساتذة اليمنيين الذين يعملون معه في جامعة الملك خالد عام (١٤٣٧-١٤٣٨هـ / ٢٠١٦-٢٠١٧م) .

(٥) ياقوت ، المصدر السابق ، ج٣، ص ٦٤- ٦٥ .

ونجران هو مصطلح (**تهامة والسراة**) ، وهذا ما اعتمدناه ودرسناه في العديد من بحوثنا وكتبنا التي تم طبعها ونشرها خلال الثلاثين سنة الماضية . **(٣) زَبيد :** بفتح أوله ، وكسر ثانيه ، وهو واد في تهامة اليمن ، به مدينة يقال لها الحصيب، ثم غلبه عليها اسم الوادي فلا تعرف إلا به [١]. ومحمد بن زياد هو الذي بناها في العقد الأول من القرن الثالث الهجري ، وأصبحت هذه المدينة من المدن الحضارية اليمانية ، ولها تاريخ مدون في عدد من المصادر الإسلامية المبكرة [٢]. ويوجد قبيلة عرفت باسم (زُبيد) ، بالضم لأوله عاشت في الجاهلية وعصور الإسلام المبكرة ، وموقعها سروات قحطان، ومنهم الفارس والشاعر عمرو بن معد يكرب الزُبيدي الذي قضى بعضاً من حياته في بلدان طريب وتثليث وما حولها[٣]. **(٤) الزَّرائبُ:** بليد في أوائل بلاد اليمن من ناحية زَبيد . وإليه ينسب عمارة اليمني ، قال ربيعة اليَمني يهنئ الصليحي بفتحه :

فصبحت بيشاً والزرائب والقنا وكل كمي في رضاك مسارع[٤].

ومن قول ياقوت نفهم أن الزرائب تقع ضمن منطقة جازان ، لأنها بلدة الشاعر عمارة اليمني ، وهي قريبة من بلاد بيش ، ونجد عمارة فصل الحديث عن صور من تاريخ جازان في العصور الإسلامية المبكرة وأشار إلى بيش وبلدته الرئيسية (الزرائب)[٥]. ومفرد الزرائب (زربة) ويوجد اليوم بعض القرى في جازان باسم الزربة ، أما الزرائب التي ذكرها ياقوت ، وهي بلدة عمارة ، فتقع على وادي وساع من أودية منطقة جازان، ولا يعرف في وقتنا الحاضر موقعها على وجه التحقيق [٦]. **(٥) سَحْبَل :** بفتح أوله ، وسكون ثانيه ، ثم باء موحدة مفتوحة . وهو موضع في ديار بني الحارث بن كعب ، ويورد ياقوت شيئاً من يوم سحبل، الذي هو من أيام العرب في الجاهلية ، وما جرى للشاعر جعفر ابن عُلبة الحارثي مع العقيليين ، وقتله عدداً من رجالهم ، فذهبوا إلى مكة واشتكوا إلى

---

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣، ص ١٣١-١٣٢ .

(٢) صدر عن مدينة زبيد اليمنية عشرات الكتب والبحوث والرسائل العلمية، وبعض هذه المصادر والمراجع مطبوعة ومنشورة.

(٣) وأقول إن عشائر زُبيد السروية تستحق من يدرسها منذ العصر الجاهلي حتى وقتنا الحاضر ، ونأمل أن نرى أحد الباحثين الجادين فيدرس تاريخ وحضارة هذه القبيلة العربية الماجدة .

(٤) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣، ص ١٣٦ .

(٥) للمزيد انظر: نجم الدين عمارة اليمني . تاريخ اليمن ، المسمى : المفيد في أخبار صنعاء وزبيد . تحقيق محمد علي الأكوع (صنعاء : المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع ،بدون تاريخ) ، ص ٦٣ وما بعدها .

(٦) هذا ما سمعته من بعض السكان في محافظتي صبيا وبيش ، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً . يدرس لنا تاريخ هذه البلدة (الزرائب) في بحث علمي موثق .

واليها من جعفر فجُلب إلى السجن ثم قتل قوداً بمن قتل من العقيليين[١]. ووادي سحبل من أودية السراة ، في شرق قحطان تحديداً قريباً من العرين وبعض أجزاء من منطقة نجران ، ومازال معروفاً حتى وقتنا الحاضر، ويسكنه عشائر من قحطان ونجران[٢].

(٦) السراة : فصل ياقوت الحديث عن السراة ، التي هي جبال الحجاز ، ونقل عدداً من الروايات التي أشارت إلى السراة الممتدة من مكة والطائف إلى صنعاء ، وذكر أن السروات ثلاث : سراة بين تهامة ونجد ، أدناها الطائف وأقصاها قرب صنعاء، والطائف من سراة ثقيف ، وهو أدنى السروات إلى مكة ، ومعدن البرام وهو السراة الثانية ، وهو في بلاد عدوان ، والسراة الثالثة أرض عالية وجبال مشرفة على البحر من المغرب ، وعلى نجد من المشرق. وقال في مكان آخر : أفصح الناس أهل السراة ، وهي الجبال المطلة على تهامة مما يلي اليمن ، أولها هذيل ، ثم بجيلة وهي السراة الوسطى ، ثم سراة الأزد ، أزد شنوءة وهم بنو كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد[٣]. ونقول إن ياقوت ذكر هذه السروات الممتدة من الطائف إلى صنعاء ، لكنه لم يكن دقيقاً في ذكر جميع السروات، ويعد الهمداني أفضل من فصل الحديث عن هذه السروات في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) في كتابه : **صفة جزيرة العرب**[٤]. وقد أصدرنا العديد من الدراسات التي تذكر صوراً من التاريخ السياسي والحضاري لهذه الأوطان العربية الجنوبية ، ونأمل أن نرى بحوثاً أثرية وتاريخية عن هذه البلاد منذ عصور ما قبل الإسلام وأثناء عصور الإسلام المختلفة[٥]. **(٧) السَّرْو:** بفتح أوله ، وسكون ثانيه، على وزن الغزو، والسرو: شجر ، والواحدة سروة، وهناك السرو الذين ينتسبون إلى السروات، مثل: سرو حمير، وسرو مذحج ، وسرو عنز،

---

(١) ياقوت، معجم البلدان ، ج٣، ص ١٩٤-١٩٥. وللمزيد عن قصة جعفر بن عليه يوم سحبل ، انظر الأصفهاني. الأغاني ، طبعة دار إحياء التراث العربي ، ج١٣، ص ٤٥ وما بعدها . ، غيثان بن جريس ، نجران ، ج١، ص ٤١٨ وما بعدها .

(٢) هذا ما سمعته من بعض الرجال القحطانيين الذين يستوطنون في الأمواه والعرين شرق أوطان قحطان الجنوب.

(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣، ص ٢٠٤-٢٠٥. وياقوت واحد من مؤلفين كثيرين فصلوا الحديث عن طبيعة جبال السروات (الحجاز) التي تمتد من حواضر الحجاز الرئيسية إلى صنعاء وما جاورها . وهناك باحثين محدثين أيضا كتبوا دراسات عديدة بعضها مطبوع ومنشور عن السروات أو الحجاز .

(٤) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١١٥ وما ببعدها .

(٥) مازلت أبحث وأدرس تاريخ السروات منذ عدة عقود ، وأقول أنها مع بلدان تهامة الممتدة من حواضر اليمن إلى الحجاز الرئيسية تستحق أن يصدر عنها مئات البحوث والدراسات ونأمل أن نرى في جامعات الجنوب السعودي من يهتم بتاريخ وموروث هذه البلاد الجديرة بالبحث والتحليل العلميين .

والحجر، ودوس، وهذيل، وثقيف وغيرهم [١]. ويذكر ياقوت أن السرو: قرية كبيرة مما يلـي مكة ، وإلى هذه السروات ينسب القـوم الذين يحضرون مكة ومعهم الميرة ، ويشير إلى أن هؤلاء القوم أشبه بالوحش[٢]، ربما لسرعة تحركهم وجلافتهم. ونجد ابن جبير وابـن المجاور يذكـران هؤلاء السرو الذين يأتون إلى مكة من بـلاد السراة ومعهم أنواع الحبوب، وهم رجال أقوياء شجعان في حلهم وترحالهم[٣]. وإذا تأملنا في أرض وسكان أهـل السروات من الطائف إلى نجـران، نجد أنهم هم السرو المعنيـون عند القدماء ، فـإلى هذه السراة ينسب أهلها ، وعرفـوا قديماً وحديثاً من الجنوب إلى الشمال بسراة مذحـج أو جنب (قحطان)، وسراة عنز (عسـير) ، وسراة الأزد وهي السروات الممتدة مـن شمال حاضرة أبها إلى بلاد زهران، وهكـذا عرفت كل قبيلة بسراتها من الطائف حتـى ظهران الجنوب ونجـران[٤]. **(٧) شَبَابَة:** سـراة بني شبابة ، بفتـح أوله ، وبعد الألـف باء موحـدة أخرى ، ومن نواحي مكـة ينسب إليها أبو جميـع عيسى بن الحافظ أبـي ذر عبـد الله بن أحمـد الهروي الشبابي[٥]. وأقـول إن شبابة أو سـراة بني شبابة مـن نواحي الطائف وليست مكة ، وهذه السـراة محاذية للقسم الجنوبي من الطائف ، وتعـرف بسـراة فهم وعدوان ، أو سراة شبابة وعدوان ، وغورها الليث ويلملم ، ونجدها الأراضـي الواقعـة شرق أوديـة الطائف، وجنوبها سـراة بني مالك التـي تعرف قديماً بسراة بجيلة . وهذه السروات تتبع إدارياً محافظة الطائف وتعيش اليوم تنمية عمرانية وحضاريـة جيدة[٦]. **(٨) شَدَوَان:** بلفظ تثنية ، شدا يشدو إذا غنى ، وهو بفتح الدال، موضـع ، ويقـال إن الشدوان جبلان باليمن ، وقيل بتهامـة ، أحمران ، وقيل بضم النون وأنه جبل واحد[٧]. وقال يعلى الأحول الأزدي وهو لص محبوس :

---

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣، ص ٢١٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٣، ص ٢١٧-٢١٨ .

(٣) انظـر محمـد بن أحمد بن جبير . رحلة ابن جبير (دار الكتـب ، د. ت) ، ص ١٠٢ وما بعدها ، جمال الدين ابن المجاور . تاريخ المستبصر . تحقيق أوسكر لوفغرين (ليدن : مطبعة بريل ، ١٩٥١-١٩٥٤م) ج١، ص ٢٦، ٣٧، ١٤٢ .

(٤) نأمل أن نرى باحثين محليين من هذه السروات يدرسون بلادهم وسكانها منذ العصر الجاهلي حتى اليوم .

(٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ص ٣١٧ .

(٦) أقـول إن هـذه الأجـزاء السروية والتهامية الممتـدة من الليث إلى مكة المكرمة ومـن شمال بلاد زهران السرويـة حتى الطائـف مازالت بحاجة إلى دراسات علمية موثقة. وآمل مـن الله ، عز وجل، أن يمد في العمـر حتى أذهب إلى تلـك البلدان وأتجول في أرجائها وأكتب شيئاً مـن تاريخها وحضارتها في القديم والحديث ، وهذا ما أتطلع إليه في المستقبل (بإذن الله تعالى) .

(٧) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣، ص ٣٢٨-٣٢٩ .

أرقت لبرق دونه شدوان يمانٍ ، وأهوى البرق كلّ يمان[(١)].

وأقول إن هذين الشدوان جبلان كبيران في تهامة منطقة الباحة ، ويطلق عليهما اليوم شدا الأسفل ويقطنه بعض عشائر وغامد . وشدا الأعلى، وهو أكبر وأطول من شدا الأسفل ، ويستوطنه عشائر من زهران وغامد ، ويوجد في هذين الجبلين الكثير من النقوش والرسومات الصخرية التي يعود تاريخها إلى آلاف السنين ، وفيهما بعض الكهوف ، وثرية بنباتاتها وحيواناتها ، ومأهولة بالسكان في القرون الماضية ، أما اليوم فتركها أهلها ونزلوا إلى القرى والمدن الحديثة القريبة من هذين العلمين مثل مدينتي المخواة وقلوة وغيرهما [(٢)]. **(٩) الشرى ، أو ذو الشرى :** صنم كان لدوس، وكانوا قد حموا له حمى ، ويسرد ياقوت قصة الصحابي الطفيل بن عمرو الدوسي عندما أسلم ثم عاد إلى قومه يدعوهم للإسلام ، وبلغ زوجته الإسلام ، فذكرت له أنها تخشى على أطفالها من ذي الشرى ، فأخبرها الطفيل أن لا خوف عليها ، لأنه صنم جماد لا يضر ولا ينفع ، فذهبت واغتسلت ودخلت الإسلام . ويقال إن هذا الصنم كان لبني الحارث بن يشكر بن مبشر من الأزد[(٣)]. وهذا الصنم من أصنام أزد السراة ، ويقال إنه من معبودات الأنباط في البتراء . ويقول صالح العلي يبدو أن اسمه مشتق من جبل السراة [(٤)]. ولا نجد اليوم في منطقة الباحة مكاناً يعرف بذي الشرى ، مع أن حمد الجاسر يرجح أن يكون صنم ذي الشرى غرب بلدة المندق في بلاد زهران ، وهذا الترجيح لا يسنده دليل قوي [(٥)]. **(١٠) شروم :** قرية كبيرة عامرة باليمن فيها عيون وكروم ، وأهلها همدان[(٦)]. وتعرف هذه الناحية أيضاً بـ(سروم) ، وهناك أكثر من واد أو بلدة تسمى (سروم) بعضها في الحدود اليمنية المحاذية لبلاد وادعة ، وسكانها من خولان ، وهناك سروم الفيض في عبيدة قحطان ، وسروم العقدة في بلاد سنحان شرق بلاد الحرجة ، ومازالت تعرف بهذا الاسم إلى الآن، وهي موطن مشيخة

---

(١) المصدر نفسه ، ج٣، ص ٣٢٩ .

(٢) لقد ذهبت إلى تهامة الباحة وصعدت إلى هذين الجبلين في شهر ربيع الآخر عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) ، ودونت بعض التفصيلات عنهما وما حولهما . للمزيد عن تلك المعلومات وتلك الرحلة انظر القسم الثالث المنشور في هذا المجلد.

(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣، ص ٣٣٠ ـ ٣٣١ .

(٤) حمد الجاسر ، في سراة غامد وزهران (الرياض: منشورات دار اليمامة ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م) ، ص ٢٣٥ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ٢٣٥ . ونأمل ان يقوم أساتذة علم الآثار بدراسة المناطق الأثرية في سروات منطقة الباحة لعلهم يجدون بعض البراهين التي تبين هذه المواضع التاريخية القديمة مثل (ذو الشرى) وغيرها .

(٦) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣، ص ٣٣٩ .

سنحـان[١]. **(١١) شعبـين:** يقول ياقوت هي حصن أو قرية باليمن [٢]. وأقول إن بلدة الشعبـين في بلاد رجال ألمع من منطقة عسير، وهي المركز الإداري لمحافظة رجال ألمع، وأعتقـد أن ياقـوت لا يقصد هذه الناحيـة، وربما وجد في اليمن أكـثر من مكان اسمه (شعبين) أو (الشعبين). والمعلوم أن ألمع أزديون، هاجروا مع غيرهم من أرض اليمن ثـم نزلـوا السراة، وأخيراً استقروا في مكانهم الحالي مـن سفوح السروات الغربية، ولا يستبعـد أن تسميه الشعبين الحالية في عسير جاءت مع المهاجرين الأوائل من اليمن[٣]. **(١٢) شعْفـان:** بفتح أوله وسكون ثانيـة تثنية شعف، وهو راس الجبل، وهو اسم لموضع بعينـه في أرض الغور، يعني غور تهامة، يقال له شعف عثر[٤]. والشعف لا يقال للبلدان المنخفضـة وإنمـا يطلق علـى رؤوس الجبـال، والمناطـق المرتفعة التي تطـل على بعض المنخفضـات، فأعالي جبال السروات من الطائف حتى بلاد قحطان والمطلة على تهامة يطلـق عليها الشعف، أو الأشعاف، والذاهب من أبها إلى الطائف يلحظ أسماء أشعاف عديدة تسمى بالقرى، أو العشائر التي تستوطنها مثل: شعف آل ويمن، أو شعف السودة، أو شعف صبح أو شعف سدوان في بللسمر، وشعف آل سودة، أو شعف آل وليد، أو شعف آل زيـدان في بلاد بنـي شهر وبني عمرو، وهكذا حتى الطائـف[٥]. **(١٣) شعيبة:** تصغير شعبة، ويورد ياقوت اسم الشعيبة الذي هو مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جدة، ويقول: "**هي قريـة على شاطئ البحر علـى طريق اليمن**"[٦]. ومازالت الشعيبـة معروفة إلى اليوم وهي جنوب مكة المكرمة، ويوجد بها بعض الأنشطة العمرانية والصناعية، وكانت المرفأ الرئيسي لمكـة المكرمـة ثم استبدلـت بميناء جـدة في القرن الهجـري الأول (السابع الميـلادي) [٧]. **(١٤) شماخير:** جبال بالحجاز بين الطائف وجرش، قال شاعر من الضباب:

كفى حزناً أني نظرت وأهلنا   بهضبي شماخير الطوال حلول[٨].

---

(١) هـذا ما عرفـه الباحث أثناء سيره في بـلاد ظهران الجنوب وسـراة عبيدة في نهاية عـام (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م)، وللمزيد عن هذه البلدات المعروفة بـ (سروم) انظر، الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٦٦، ٢٤٩، ٢٥٢، ٣٣٩.

(٢) ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص ٣٤٨ ـ ٣٤٩.

(٣) السائح في بلاد تهامة والسراة أو بلاد الحجاز وشمال الجزيرة العربية يجد أسماء أمكنة معينة، وهذه الأسمـاء نفسها تعرف بها بعض المواضع في اليمـن، وهذا التشابه في الأسماء جاء مع هجرات العشائر اليمنية إلى مواطن عديدة في الجزيرة العربية وخارجها.

(٤) ياقوت، المصدر السابق، ج٣، ص ٣٩٩.

(٥) هذا ما عرفه الباحث وشاهده أثناء تجواله في بلاد السروات خلال العشرين سنة الماضية.

(٦) ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص ٣٥٠ ـ ٣٥١.

(٧) ميناء الشعيبة قديماً وحديثاً جدير أن يدرس في بحث أو رسالة علمية موثقة.

(٨) ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص ٣٦٠ ـ ٣٦١.

ويفهـم مـن حديث ياقـوت ان هذه الجبال في السـروات الممتدة مـن الطائف إلى الحجـاز ، ولا نجـد ذكراً لهذا الاسـم ، لكننا نجد جبـالاً مرتفعة في الجهـة الشمالية مـن سروات زهـران يطلق عليها اسم (شمـرخ) ، وربما أن شماخـير هي شمرخ، ومع مـرور الوقت من زمن ياقـوت إلى عصرنا الحديث حرف الاسـم إلى (شمرخ)، وذلك بتقـديم وتأخـير بعض الحـروف[١]. **(١٥) شَنُـوءة:** بالفتح ثم الضـم ، واو ساكنة ثم همـزة مفتوحـة، وهاء: مخلاف باليمـن ، تنسب إليـه قبائل من الأزد ، يقـال لهم أزد شنـوءة ، والمقصـود بالشنوءة هنا ، أي الشناءة والبغض ، وهذا الاسم أطلق على بعض الأزديـين الذين نزلـوا بلاد السراة ، وجـرى بينهم شناءة وتباغض مـع فريق آخر من إخوانهم الأزديين الذين خرجوا من اليمن واستقروا في مواطن أخرى غير السروات[٢]. ويقال إن الأزد أربعة أقسام : أزد شنوءة ، وأزد عمان ، وأزد غسان، والقسم الرابع وهم أزد السراة الذين استوطنوا السروات الممتدة من بلاد عسير إلى منطقة الباحة (غامد وزهـران)[٣]. ومازالـوا يعيشون فيها حتى الآن[٤]. **(١٦) شَوْقَب:** بفتح أوله ، وسكون ثانية ثم قاف، وباء موحدة ، موضع في ديار البادية ، قال الشمردل بن جابر البجلي :

فياليت شعري هـل أراني وصحبتي — نجوب الفلا بالناعجات الضوامر ؟
وهل أهبطن الجزع من بطن شوقب — وهل أسمعن من أهله صوت سامر؟[٥].

ووادي شوقـب من روافد أودية تربة ويبعد عن الطائف نحو الجنوب حوالي (١٢٠) كيـلاً ، وهو وادي ينحدر من سفوح جبال إبراهيـم الشرقية الشمالية قرب أعالي وادي عـروة . ووادي شوقب تنحدر فيه سيول سراة بني مالك بجيلة ، وهذا الوادي وغيره من

---

(١) نسمـع مـن الأوائـل أن هذه الجبال كانـت عقبة كؤوداً لكل مـن يجتازها ذاهباً أو عائـداً إلى الطائف ، وقد سافـرت منهـا في نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) ، فكانـت السيارة ذات الدفع الرباعي تمـر فيها وهي معرضة للسقوط في أودية سحيقة ، ثم إن الصعود من خلالها كان صعباً جداً ، واليوم أصبحت الطريق سهلة والمرور بين هذه الجبال يسيرا. المصدر : مشاهدات الباحث منذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر .

(٢) انظر: ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣، ص ٣٦٨-٣٦٩ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) والأزد قبيلة عربية كبيرة تفرقت في نواحي عديدة داخل الجزيرة العربية وخارجها، وأزد شنوءة أقاموا في السـروات ، وهنـاك جبل في عسير ، يعرف بـ (جبل شنوءة) ، وربما كان ذلك نسبة إلى الأزديين الشنوئيين الذيـن استوطنـوه بعد نزوحهم من أرض اليمن ، حبذا أن نرى باحثا جاداً يدرس لنـا أنساب وتاريخ أزد السراة وأزد شنوءة الذين أقاموا في أرض السروات منذ عصور ما قبل الإسلام . وللمزيد عن تاريخ وهجرة أزد شنـوءة انظـر الهمداني، صفة جزيرة العرب ، ص ٣٧٠، حمد الجاسـر ، في سراة غامد وزهران ، ص ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٨، ٤١٥، ٤٤٧، ٤٨٦، عبد الله بمسفر . السراج المنير (بيروت : الشركة المتحدة للتوزيع ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) ، ص ١٧-١٨ .

(٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣، ص ٣٧٣ .

أودية بلاد زهران وبعض أودية بلحارث تصب في وادي تربة [١]. **(١٧) صَبْيَا :** من قرى عشر من ناحية اليمن[٢]، والصحيح عثر بالثاء المثلثة . وصَبِّيَا ، بفتح الصاد وسكون الباء الموحدة وفتح الياء المثنية ، ذكرها الهمداني ، فقال : " **وفي بلد حكم قرى كثيرة يقال لها المخارف وصبيا** "[٣] ، ويشير إلى بعض نواحيها ضمن مخلاف عثر[٤]. وصبيا تعرف أيضاً بواديها الذي له فروع ثلاثة هي : صبيا ، وقصى ، ودامس . ويذكرها ياقوت قرية من ناحية اليمن ، وتذكر بعض المصادر أن أول من اختطها مدينة هو الأمير دريب بن مهارش الخواجي سنة (٩٥٨هـ/١٥٥١م) ، وكانت معظم المساكن في طرف وادي صبيا الغربي في موضع يسمى (أبو دنقور) ، وتعرف قديماً بـ (صبيا القديمة) ، وذلك للتفريق بينها وبين (صبيا الجديدة) التي اختطها الإدريسي عام (١٣٣٨هـ / ١٩١٩م) ، وأطلق عليها اسم الإدريسية . والذاهب إلى محافظة صبيا اليوم يشاهد مواضع صبيا القديمة والجديدة ، وبلاد صبيا ذات تاريخ سياسي وحضاري حافل ، ولها ذكر عند كثير من الشعراء وبخاصة منذ القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)[٥]. **(١٨) صُدَاء :** بالضم، والمد ، مخلاف باليمن بينه وبين صنعاء اثنان وأربعون فرسخاً ، سمي باسم القبيلة ، وهو : يزيد بن حرب بن علة بن جلد بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن زيد بن كهلان بن سبأ[٦]. وتكتب صداء أحياناً بدون همزة في آخرها (صُدا) بالضم ، وهي قبيلة من مذحج ، ومساكنها في سرو مذحج ، أو من السروات الواقعة إلى شمال نجران وظهران الجنوب ، جاء منها وفد إلى الرسول (ﷺ) وأعلنوا إسلامهم ، ونجد في كتب التاريخ والسير ذكر للصدائين ، ويوجد في الأفلاج مكان يطلق عليه (صداء) ، أشارت إليه بعض المصادر التراثية المبكرة[٧].

---

(١) هذا ما عرفه الباحث من بعض رجالات زهران في قرية الأطاولة ، ورواة آخرون في بلاد غزايل أو ما يعرف بـ (الجبوب) في أوطان بلحارث التي تبعد عن الطائف نحو الجنوب حوالي (٨٠) كيلاً ، وذلك في نهاية عام (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م) .

(٢) ياقوت ، المصدر السابق ، ج٣، ص ٣٩٢ .

(٣) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٧٦ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١١٦، ٢٥٩ ، ٣٨١ .

(٥) نأمل أن نرى من طالباتنا وطلابنا في برامج الدراسات العليا بقسم التاريخ في جامعة الملك خالد من يتخذ بلاد صبيا موضوعاً لرسالة ماجستير أو دكتورة ، كما أن النية موجودة عندنا للقيام برحلة في جنبات محافظة صبيا وتدوين شيئاً من تاريخها الحديث والمعاصر .

(٦) ياقوت ، المصدر السابق ، ج٣، ص ٣٩٧ .

(٧) انظر الوثائق السياسية اليمنية من قبيل الإسلام إلى سنة (٣٣٢هـ) ، جمع وتحقيق محمد علي الأكوع (بغداد: دار الحرية للطباعة ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) ، ص ٨٩، ٩١ ، انظر أيضاً مجلة العرب ، التي يملكها ويشرف عليها حمد الجاسر ، مج٥، ص٣١٠، ٣٩٨. مج ٢١، ص ٢٠٣ .

(١٩) ضلَع : بكسر أوله ، وفتح ثانيه ، أشار ياقوت إلى مواطن عديدة تسمى (ضلع) وليس شَيء منها في بلاد تهامة والسراة [١]، وأقول إنه يوجد اليوم أماكن عديدة في تهامة والسراة يطلق عليها اسم (ضلع) ، وبعضها جزء من وادي أو جبل أو هضبة أو قرية أو ناحية ، وهذا ما تأكد لي أثناء رحلاتي في المناطق الممتدة من الطائف إلى نجران أو من جازان إلى مكة. **(٢٠) الضَّمْدُ :** بفتح أوله ، وسكون ثانيه ، وهو موضع ناحية اليمن بين مكة واليمن على الطريق التهامي ، ويقال أنها من قرى عشر من جهة الجبل ، وقد جاء ذكرها في عصر الرسول (ﷺ)[٢]. وضمد هي إحدى نواحي محافظة صبيا في منطقة جازان، ولها واد يعرف باسمها وهو في مصاف واديي جازان وصبيا ، ومنابع وادي ضمد تأتي من جبال فيفا وبني مالك . ويذكران ضمد أخذت اسمها من واديها ، وكانت تعرف من قبل بـ (هجر) ، وبلدة ضمد الحالية أنشئت تقريباً في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) ، وفي وادي ضمد ولد وعاش الشاعر القاسم بن هتيمل ، وعرفت ضمد بأنها موطن الكثير من العلماء والفقهاء والأدباء ، ومازالت حتى اليوم من حواضر جازان العلمية والثقافية الرئيسية[٣] ، **(٢١) ضَنْكان :** بالفتح ثم السكون، ويروى بالكسر ، ثم كاف ، وآخره نون ، وهو واد في أسفل السراة يصب إلى البحر وهو من مخاليف اليمن[٤]. وضنكان من بلدان محافظة البرك الواقعة على ساحل البحر الأحمر ، وهو أحد روافد وادي ذهبان ، وضنكان من أماكن التعدين القديمة ، يذكره الهمداني في القرن (١٤هـ/٢٠م) ، قائلاً : " **... ثم بلد حرام كنانة [٥]: وهو وادي أتمة وضنكان ، وهو معدن غزير ولابأس بتبره** "[٦] .ويوجد في وادي ضنكان اليوم حجارة كبيرة ، لونها يميل إلى الحمرة والسواد ، ويبدو أن هذه الحجارة في المكان الذي كان يستخرج منه بعض المعادن . ومازال ضنكان يحمل نفس الاسم إلى اليوم ، ويقع

(١) ياقوت ، المصدر السابق ، ج٣، ص ٤٦٠ .
(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣، ص ٤٦٢-٤٦٣ .
(٣) هناك العديد من العلماء والفقهاء الذين عاشوا وينتمون إلى بلاد ضمد ، وهناك دراسات محدودة خرجت عن هذه البلاد ، ونأمل أن نرى من أبنائها أو من أبناء جازان من يدرس تاريخ وفكر وحضارة هذه الحاضرة الجازانية العريقة . للمزيد انظر ، العقيلي ، المعجم ، ص ٢٦٦-٢٦٧ ، البلادي ، بين مكة واليمن ، ص ٢٦٤-٢٦٥.
(٤) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣، ص ٤٦٤ .
(٥) بنو حرام قبيلة كنانية صريحة فهم أبناء حرام بن ملكان بن كنانة بن مدركة بن إلياس بن نزار بن معد بن عدنان ، وقد أولد ملكان ستة أبناء ، أحدهم حرام ، وموطن كنانة الرئيسي بتهامة ، حلي بن يعقوب ، وكان لكنانة في القرون الأولى من عصر الإسلام إمارة قوية تعرف باسم (إمارة بني حرام) أو (إمارة حلي بن يعقوب) ، انظر غيثان بن جريس ، بلاد القنفذة خلال خمسة قرون ، ص ٥٦ وما بعدها .
(٦) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣، ص ٢٥٩ .

شمال مدينة القحمة ويحيط به بعض الجبال والحرار وجزء من وادي ذهبان ، والذاهب إليه عبر وادي ذهبان أو وادي حمضة ، والطريق إليه ممهدة وسهلة العبور [١].

رابعاً : حروف الطاء، والعين، والغين، والفاء، والقاف، والكاف :

(١) الطائف : بعد الألف همزة في صورة الياء ثم فاء ، وهو في الإقليم الثاني ، وبالطائف عقبة وهي مسيرة يوم للطالع من مكة ونصف يوم للهابط إلى مكة ، عمّرها حسين بن سلامة، وهو عبد وزر لأبي الحسين بن زياد ، صاحب اليمن ، في حدود سنة (٤٣٠هـ) ، فعمر هذه العقبة عمارة يمشي في عرضها ثلاثة جمال بأحمالها[٢]. فصل ياقوت الحديث عن الطائف ، فذكر سكانها ، وسبب تسميتها ، وخيراتها الاقتصادية وعلاقاتها بمكة المكرمة ، ثم ظهور الإسلام ، وحرب الرسول (ﷺ) لأهل الطائف ، وأخيراً دخولهم الإسلام [٣]. والطائف من حواضر الجزيرة العربية الرئيسية ، وهي أول بلاد السروات من جهة مكة، وتشبه تضاريسها بقية أرض السراة الممتدة من قحطان وظهران الجنوب حتى مدينة الطائف. ورد ذكرهم في معظم كتب التراث الإسلامي فأشارت إلى تركيبتها الجغرافية والسكانية ، وتاريخها السياسي والحضاري منذ العصور القديمة وعبر أطوار التاريخ الإسلامي ، وذكرت أهميتها الحضارية لبلاد الحرمين ، وعلاقة سكانها مع قبيلة قريش وغيرهم من قبائل الحجاز ، وتحدث عنها بعض الرحالة والجغرافيين المسلمين المتقدمين والمتأخرين والمسلمين وغير المسلمين ، ومازالت الطائف حتى اليوم من مدن الحجاز الحضارية المهمة ، وهي محافظة رئيسية تتبع إمارة منطقة مكه المكرمة . **(٢) طَوْد :** بفتح أوله ، وسكون ثانيه ، وهو الجبل العظيم، واسم علم للجبل المشرف على عرفة وينقاد إلى صنعاء ، ويقال له السراة[٤]. وهذه السروات لها أسماء عديدة مثل: الحجاز ، أو جبال الحجاز ، أو السراة ، أو الطود، ويسميها بعض أهلها (ساق الغراب) ، لسواد جبالها وارتفاعها وصعوبتها وضيق مسالكها ، وتسمى كل ناحية فيها باسم أهلها وقبائلها مثل: سراة قحطان ، وسراة

---

(١) مشاهدات الباحث وجولاته في منطقة البرك والقحمة في النصف الثاني من عام (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م).

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤، ص ٨-١٢ .

(٣) الطائف بوابة بلاد السراة الشمالية إلى بلاد الحجاز وغيرها ، ولها علاقات سياسية وحضارية مع بلدان السروات الممتدة من شمال الطائف إلى بلاد اليمن ، ونأمل أن نرى باحثين ومؤرخين جيدين فيدرسوا تاريخ هذه المدينة وصلاتها مع السراة والسرويين منذ بداية عصر الإسلام حتى وقتنا الحاضر ، وهذا الموضوع يستحق أن يدرس في عشرات الكتب والبحوث والرسائل العلمية .

(٤) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤، ص ٤٦-٤٧ .

عسـير ، وسروات بللحمـر ، وبللسمر ، وبني شهر ، وبني عمرو ، وبلقرن وعليان وشمران وخثعـم ، وغامـد ، وزهران ، وبني مالـك ، وبلحارث وغيرها حتى مدينـة الطائف[١]. **(٣) العَبْلاء :** بفتـح أوله ، وسكون ثانيه ، ويشـير إلى موقع في الطائف قريباً من سوق عـكاظ[٢]. ويشـير إلى موضع آخر يسمى : العبلاء أو العبـلات ، ويذكر أنها بلدة كانت لخثعم وبها صنم ذو الخلصة ، وهي من أرض تبالة [٣]. ومازالت العبلاء تحمل اسمها إلى اليـوم في ديار أكلـب ، ويوجد فيها العديد من الآبار القديمـة والآثار التي تدل على قدمهـا التاريخـي[٤]. **(٤) عِتْوِد :** بكسر أوله، وسكون ثانيـه ، وفتح الواو ، اسم موضع بالحجاز ، ويقال واد ، قال ابن مَقبل:

جلوساً بـه الـشعب الـطـوال كأنهم   أسـود بـترج أو أسـود بـعـتـودا[٥].

وقال بديل بن عبد مناة :

ونـحـن مـنـعـنـا بـين بـيـض وعـتـود   إلى خيف رضوى من مجرى القبائل[٦].

وعتود من الأودية الرئيسية التي تأتي منابعه من سروات حاضرة أبها وما جاورها ، ويتجـه جـزء مـن مياهه إلى الشـرق حتى يصـب في وادي بيشة ، والجـزء الآخر يتجه غربـاً تجـاه محافظة الـدرب في جـازان حتى يصـب في البحـر [٧]. **(٥) عَـثَّر :** بفتح أولـه ، وتشديـد ثانيه ، وآخـره راء مهملة ، وهو موضع ، ويروي ياقـوت نقلاً عن عمارة اليمنـي قولـه : عثر مسـيرة سبعة أيام في عرض يومين ، وهي مـن الشرجة إلى حلي، وهـي معروفة بكثرة الأسـود ، وفي رواية أخرى تذكر أن عثر بلدة باليمن بينها وبين مكة عشرة أيام[٨]. وعثر لها تاريخ سياسي وحضاري حافل ، فالكثير من كتب التراث ذكرت

---

(١) هذه السروات قديمة جداً في تاريخها وجغرافيتها وهي تستحق دراسات علمية عديدة ومتنوعة .

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص ٨٠ - ٨١ .

(٣) المصدر نفسه ، كما أشار البكري إلى هذا الموضع أيضاً.

(٤) نجـد الهمـداني يذكرها في أكـثر من مكان من كتابه : صفة جزيرة العرب ، ويوردهـا الحزازة العامري في شعره فيقول:

روبت قيعتا تبالة غيثاً   فذاوات الآصاد فالعبلاء

وهناك أسماء عديدة في اليمن والسراة والحجاز تعرف باسم العبلاء ، انظر الهمداني ، ص٢٥٠، ٢٩٢، ٣٧٩، ٣٩٢.

(٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤، ص ٨٣.

(٦) المصدر نفسه .

(٧) وادي عتـود من الأودية الكبير في عسير وجـازان ، ويعيش عليه العديد من القرى والعشائر ويستحق أن يكتب عنه بحث أو رسالة علمية توضح تاريخه وجغرافيته عبر أطوار التاريخ الإسلامي .

(٨) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤، ص ٨٤ - ٨٥ .

موضعها في شمال منطقة جازان، وكان يطلق عليها مخلاف عثر من شمال مدينة صبيا إلى بلاد البرك وحلي شمالاً ، وكانت بلدة عثر العاصمة الرئيسية لهذا المخلاف ، وفي النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) تم توحيد منطقة جازان (مخلافي حكم ، وعثر) في إدارة واحدة تحت اسم المخلاف السليماني ، نسبة إلى الرجل الذي وحدها ، وهو سليمان بن طرف الحكمي ، واستمرت مدينة عثر في أوج مجدها حتى القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) ، ثم بدأت تندثر بعد أن انتقلت أسرة الهواشم إلى ناحية جازان العليا[١]. ولا يعرف مكان اليوم باسم عثر ، وإنما مكانها معلوم عند أهل محافظة بيش ومن حوله ، باسم (ساحل الجعافرة)[٢].

(٦) العُداف: بالضم ، والدال المهملة ، واد أو جبل في ديار الأزد بالسراة [٣]. ولا أعرف مكاناً بهذا الاسم في السروات وتهامة ، مع أنني سمعت بعض الرواة في سروات الباحة وعسير يقولون أن هناك بعض الجبال والأودية يطلق عليها اسم العدفة ، والعديف ، والعادف . ونجد الهمداني يذكر أن في سروات الحجر وبخاصة بلاد بني شهر وبني عمرو اسم مكان يعرف بـ (العديف) ، ثم يقول " وهي عقبة تنصب مياهها إلى وادي خاط ، وساكنه بنو عامر الغورية من الحجر[٤]. ومازالت بلاد خاط في تهامة بني عمرو وبني شهر معروفة حتى وقتنا الحاضر ، وهي مدينة متطورة في أبنيتها وخدماتها[٥].

(٧) العُرْشُ، عَرشَانُ : العرش ، بضم أوله ، وسكون ثانيه ، وآخره شين معجمة ، وقد يضم ثانيه ، وهو جمع عرش. وعرشان ، بلد باليمن [٦]. وأبو عريش اليوم إحدى مدن منطقة جازان الرئيسية ، ولها ذكر في كتب التاريخ والأدب خلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة ، وكانت عاصمة إمارة الشريف حمود أبو مسمار في القرن الثالث

---

(١) للمزيد عن تاريخ عثر انظر : اليقعوبي ، والهمداني ، وعمارة اليمني وعدد من الجغرافيين المسلمين الأوائل ، كما أن بعض المستشرقين أشاروا إليها في دراساتهم ، ومازالت هذه البلاد بحاجة إلى دراسات أثرية قد تكشف لنا شيئاً من تاريخها الحضاري الذي لم يصلنا ولم يذكر في المصادر والمراجع التقليدية.

(٢) هذا ما سمعته أثناء زيارات عديدة لمنطقة جازان وبخاصة محافظتي الدرب وبيش ، وللمزيد انظر غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ج٤، ص ٢١-٨٦ ، ٢٢٧ وما بعدها . ج٦، ص ١٩ وما بعدها .

(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤، ص ٨٨ .

(٤) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٦٢ وهذا المكان الذي أشار إليه الهمداني هي عقبة اليوم تنزل من شعف النماص ، قريباً من المستشفى إلى خاط ، والعمل فيها حالياً لتكون الطريق الرئيسي الذي يربط بين النماص وخاط والمجاردة في تهامة .

(٥) للمزيد عن خاط وما حولها من بلاد تهامة انظر: القسم الثالث المنشور في هذا المجلد .

(٦) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤، ص ١٠٠-١٠١ .

عشـر الهجري (التاسع عشـر الميلادي) ، ولها صلات مع بـلاد اليمن وعسير وأجزاء عديـدة في الجزيـرة العربيـة . وياقوت يذكـر اسم العرش والعرشـان ، ولا يفصل في ذلـك ، وجاء قبله اليعقوبي والهمـداني اللذان ذكرا أنها من جـازان وتقع بين الشرجة وعـثر ، وهـي فعلاً كذلـك [١] . وهناك بعض المؤرخين المتأخرين في جـازان يقولون إن أول مـن اختـط مدينة أبي عريش كان رجل من آل الحكمي في القـرن السابع الهجري (الثالـث عشر الميلادي) حيث ابتنى له عريشاً يتعبد الله فيه ، فصار الناس يقصدونه لطلـب العلـم منـه ، ويـرددون في أقوالهم ذهبنا أبـا عريشـ ، أو هذه أبـو عريش [٢] .

(٨) عَرْعَر: هو شجر يقال له الساسم، ويقال له الشيزي، وهو شجر يعمل منه القطران، وهـو اسم موضع قريباً من مكـة، ومواضع أخرى عديدة نجديـة [٣] . وأقول إن الذاهب في أرجـاء السروات الممتدة من الطائف حتى بـلاد ظهران الجنوب وقحطان، وبخاصة أعاليهـا وسفوحهـا الغربية فإنه سيلاحظ كثافة غطائهـا النباتي ، ومعظم نباتاتها من شجـر العرعر، فلا تخلـو سراة أو بلاد أو قبيلة سروية من جبـال وأودية مكسوة بشجر العرعـر، وبعضاً من تلك الجبـال أو الأودية تسمى بجبال العرعـر أو أودية العرعر [٤] .

(٩) عَشَمُ: بالتحريـك، وعشـم قريـة كانـت بشامـي تهامة ممـا يلي الجبـل بناحية الحسبـة [٥] . وقال العشمي من شعراء اليمن في قديم العصـر أيام الصليحي [٦] . ومن ينظـر إلى كتب التراث السابقة لياقوت الحمـوي يجد أنهم لم يذكروا مدينة عشم ، مع أنها كانت من المخاليف التابعة لمكة وهي تقع في محيط مركز المظيلف وقريباً من جبلي شـدا الأسفـل والأعلى في تهامة منطقة الباحة [٧] . ويعد ياقـوت أول من ذكرها وأوضح

---

(١) انظر: أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي . كتاب البلدان . ملحق بكتاب الأعلاق النفيسة لأحمد بن رسته (البلدان) ، المطبوع في بريل في ليدن (١٨٩١م) ، ص ٣١٧ . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٣٤٢ .

(٢) وأقول أن أبي عريش قديمة في تاريخها ، وربما أخذت اسمها من العرش ، وهي المنازل المبنية من القش ، التـي كانـت المساكن الرئيسية لأهل تهامة إلى عهد قريب. وهـذه الناحية صدر عنها عدد من البحوث والدراسـات خلال القرون الماضيـة المتأخرة ، ومازال هناك الشيء الكثير من تاريخها وحضارتها الذي لم يجمـع ولم يدرس ونأمل مـن المؤرخين الجادين في منطقة جازان أن يجتهـدوا في دراسة هذه المدينة الجازانية العريقة .

(٣) ياقوت ، معجم ، ج٤، ص ٤٠٤ .

(٤) هذا ما عرفه الباحث أثناء سيره في أرجاء بلاد السروات خلال العقود الأربعة الماضية .

(٥) الحسبـة: هـي الأحسبـة ، وهي بلـدة ووادي في منطقـة القنفـذة ، ومذكورة في عدد مـن كتب التراث الإسلامي .

(٦) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤، ص ١٢٦ .

(٧) ومن مؤلفي كتب التراث القدماء ابن سعد ، والأزرقي ، واليعقوبي ، والهمداني ، وابن خرداذبة وغيرهم فنجدهـم ذكروا أمكنـة قريبة من عشم مثل: الشدوان ،ووادي يبة وقنونا ، وحباشة وغيرها ، لكنهم لم يشيروا إلى هذه البلاد التاريخية والحضارية ما عدا الهمداني الذي أشار إليها إشارة خجولة .

مكانها إلى حد ما. وهي اليوم بلاد مندثرة ضمن ديار زُبيد وقريبة من تهامة زهران ويوجد فيها الكثير من الآثار والنقوش، وقد كتب عنها الأستاذ حسن إبراهيم الفقيه كتاباً يقع في أكثر من خمسمائة صفحة ، سماه (مخلاف عشم)[١]. **(١٠) العَقيق:** بفتح أوله ، وقافين بينهما ياء مثناة من تحت ، والعرب تقول لكل مسيل ماء شقه السَيل في الأرض ووسعه عقيق [٢]. ويستطرد ياقوت فيذكر عدداً من الأعقة (الأودية) في الحجاز ونجد ، ونقول إن بلاد السراة مليئة بالأودية التي يطلق على الواحد منها اسم (عقيق) أو (العقيق) ، وهذا ما شاهدته في سروات قحطان ، وعسير، ورجال الحجر، وبلاد غامد وزهران ، وبعض من هذه الأعقة مأهولة بالسكان وغنية بخيراتها الطبيعية مثل وفرة المياه وتنوع النباتات الجبلية والزراعية[٣]. **(١١) عُكَاد، وعُكْوتَان:** عكاد جبل باليمن قريب من زَبيد ، والعكوتان، هما: جبلان مشرفان على زبيد باليمن، ومن أحدهما عمارة اليمني، ومن موضع يقال له الزرائب[٤]. ويقول الراجز:

إذا رأيت جبلي عكاد وعكوتين من مكان باد
فابشري ياعين بالرقاد[٥].

وقول ياقوت إن عكاد أو العكوتين قريباً أو تشرفان على زبيد فهذا قول غير صحيح، لأن عكاد أو العكوتين تقعان ضمن منطقة جازان وقريباً من مدينتي الدرب وبيش ، ومدينة زبيد في الجمهورية اليمنية وتبعد عن هذين المكانين حوالي (٣٥٠-٣٨٠) كيلاً ، واليوم لا نجد أي مكان يعرف باسم عكاد ، وفي شرق محافظة صبيا يوجد جبلان صغيران يعرفان باسم العكوتين ، أحدهما يطلق عليه العكوة اليمانية ، والآخر العكوة الشامية[٦]. **(١٢) عُكاظ :** بضم أوله ، وآخره ظاء معجمة ، وسمي عكاظاً لأن العرب كانت تجتمع فيه فيعكظ بعضهم بعضاً بالفخار ، وفي عكاظ يقام سوق العرب الشهير، المعروف بسوق عكاظ في الجاهلية وصدر الإسلام [٧]، وهو في محيط حاضرة الطائف،

---

(١) انظر الكتاب من مطبوعات مطابع الفرزدق بالرياض (١٤١٣هـ/١٩٩٢م) .
(٢) ياقوت ، المصدر السابق ، ج٤، ص ١٣٨ - ١٤١ .
(٣) مشاهدات الباحث في بلدان السروات خلال الأربعين عاماً الماضية .
(٤) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤، ص ١٤١، ١٤٣ .
(٥) المصدر نفسه ، ج٤، ص ١٤٣ .
(٦) هناك جبلان آخران يعرفان بـ (العكوتين) في بلاد بني الغازي بمنطقة جازان ، ولا ندري أيهما يقصد ياقوت الحموي. ونأمل أن نرى باحثين جادين وأساتذة في علم الآثار فيدرسون لنا هذه المواضع التاريخية الحضارية ، وإن فعلوا ذلك فقد يطلعون على معارف لا نجدها في كتب التراث المبكرة .
(٧) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤، ص ١٤٢ .

ذكــره كثير من مؤلفي كتــب التراث، واختلفوا أحياناً في تحديد موقعه الدقيق ، وهو يقع إلى الشمال الشرقي من مدينة الطائف، وأعيد بعثه من جديد منذ عدة سنوات، وأصبح يقام فيه مهرجان سنوي كبير يعرف بـ (مهرجان سوق عكاظ) [١]. **(١٣) عَكّ :** بفتح أولــه ، والعــك في اللغة الحبس ، وعك قبيلــة يضاف إليها مخــلاف باليمن ، ومرساها قبالــة جزيــرة دهلــك . وقيل هي عــك بن عدنان بن عبــد الله بن الأزد بــن يشجب بن يعــرب بن قحطــان ، وقيل هو عك بن عدنان بن أدد أخو معــد بن عدنان [٢]. وعك من العشائر العربية التهامية التي لها ذكر في الجاهلية ، دخلوا الإسلام ، وجرى لهم أحداث سياسية مع غيرهم في مواطنهم من أرض تهامة ، ولا نعرف مكانهم اليوم ، لكنهم كانوا في أجزاء من تهامة اليمن ، ولهم ذكر في كتب السير والتاريخ والتراث[٣]. **(١٤) عُلْيَب:** بضم أوله ، وسكون ثانيه ، ثم ياء مثناة من تحت مفتوحة، وآخره باء موحدة ، يذكر أنه موضع في تهامة ، وقال عنه أبو دهبل الجُمَحّي أنه واد فيه نخل ، ويفهم من الشعر الذي قاله أنه يقع جنوب مكة ، قال:

ألا عَـلِـقَ الـقـلـبُ المـتَـيّـم كُـلُـثـمـاً ... لجوجاً ولم يـلـزم مـن الحُـب مَـلـزَمـا

خـرجـتُ بـهـا مـن بـطـن مكة بـعـدمـا ... أصــاتَ المـنــادي لـلـصـلاة وأعْـتـمـا

فـمـا نـام مـن راع ولا ارتــد سـامـرٌ ... مـن الحـي حتى جـاوزت بـي يلملما

ومــرّت بـبـطـن الـلـيـث تـهـوى كـأنـمـا ... تـبــادر بـالإصــبـاح نَـهْـبـاً مُـقـسَّـمـا

وجــازت على الـبـزواء والـلـيـلُ كـاسـرٌ ... جـنـاحـيـه بـالـبـزواء ورداً وأدهـمـا

فـمـا ذَرّ قـرنُ الـشـمـس حـتـى تـبـيـنـت ... بـعُـلْـيَـب نـخـلاً مـشـرفـاً ومـخـيـمـا[٤].

وقال أبو دهبل أيضاً:

لقد غال هذا اللحد من بطن عُلْيَب ... فتى كان من أهل الندى والتكرم [٥].

---

(١) لقد شاركت في الموسم الثاني لهذا المهرجان ، عام (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) ومازال هناك غموض في تحديد الموقــع الدقيــق لهذ السوق ، ونأمل أن يتوصل الآثاريون إلى دراسة وتحديد موضعه الحقيقي ، وهو بدون شك يوجد ضمن حاضرة الطائف .

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤، ص ١٤٢-١٤٣ .

(٣) نأمل أن نرى أحد طلاب الدراسات العليا في أقسام التاريخ بجامعة أم القرى ، أو الملك خالد ، أو جازان فيدرس عشيرة عك في بحث أو رسالة علمية موثقة .

(٤) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤، ص ١٤٨ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٤، ص ١٤٨ .

ويذكر الهمداني عليب فيقول: " هو واد بين الخبتين ، خبت البزواء ، وخبت أذن، وهو في مساقط بلاد بارق من غور تهامة"[١]. وقوله هو من مساقط بلاد بارق غير صحيح ، لأن جل وادي عليب لكنانة وسراته لدوس ، ويسكن أعاليه اليوم بطون من زهران . وأقول: عليب واد من أودية تهامة ، ويطلق على أسفله الشاقة اليمانية قريباً من الساحل ، وتأتي منابعه من سروات زهران ثم يسير غرباً حتى يصب في البحر. وله روافد عديدة . ويوجد عليه عدد من القرى مثل: الحريقة ، والجرين ، والحجرة[٢] ، وساحله يسكنه الأشراف في قرية تسمى الشواق ، ومن جبال أعالي وادي عليب جبل نخرة وجُل سكانه من زهران، وجبال حضا[٣]. **(١٥) عَمْق :** بفتح أوله ، وسكون ثانيه ، وآخره قاف ، عمق الشيء ، أي قعره ، ذكر ياقوت أماكن عديدة بهذا الاسم في الطائف ، والمدينة المنورة ، وفي وادي الفرع بين المدينة وتبوك[٤].كما يوجد في محافظة البرك قرية صغيرة تسمى عمق ، وهي تبعد عن مدينة القنفذة تجاه الجنوب تسعين كيلاً ، وأعتقد انها بلدة حديثة ، إذا لا نجد لها ذكراً في كتب التراث الأوائل[٥]. **(١٦) عين، أو (العين):** يذكر ياقوت أمكنة في الجزيرة العربية معروفة باسم (عين) أو (العين) ، ولا نجده يذكر شيئاً من هذه المواضع في تهامة والسراة[٦]. وأقول إن الأوطان السروية والتهامية مليئة بالأسماء التي تعرف بالعين ، أو عين كذا ، وهذا ما عرفته وشاهدته أثناء تجوالي في هذه البلاد من نجران إلى الطائف ، ومن جازان إلى مكة المكرمة ، فلا تخلو أي سراة من هذه البلاد أو ناحية من تهامة إلا ويذكر فيها مواضع تسمى باسم عين أو العين[٧]. **(١٧) الغبغب :** بتكرير الغين المعجمة والباء الموحدة ، ويقال كان الموضع الذي ينحر فيه لللات والعزى بالطائف ، وخزانة ما يهدى إليهما بها [٨]. وقد سألت بعض أعيان ووجهاء الطائف عن هذا الاسم فذكر لي بعضهم أنهم لا يعرفون اليوم أي موضع بهذا الاسم [٩]. **(١٨) الغَوْر :** هي تهامة ، وقيل إن

---

(١) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٣٣٣ .

(٢) الحجرة من بلدان تهامة زهران ، ولها واد يسمى باسمها ويصب في عليب من الشمال الشرقي ، وهي اليوم مدينة توجد فيها الكثير من الخدمات ، ومؤخراً صارت محافظة تتبع لإمارة منطقة الباحة .

(٣) مشاهدات الباحث خلال شهر ذي الحجة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

(٤) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤، ص ١٥٦ .

(٥) مشاهدات الباحث في أوائل عام (١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م) .

(٦) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤، ص ١٧٤- ١٨١ .

(٧) مشاهدات الباحث وسيره في بلدان السراة وتهامة خلال الأربعة عقود الماضية .

(٨) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤، ص ١٨٥ .

(٩) هذا ما حدث أثناء زيارتي بلدة الطائف في نهاية عام (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م) .

الغـور تهامـة مما يلي اليمن [١]. ونجد عشرات المصـادر والمراجع تفصل الحديث عن الغـور أو تهامـة ، فهناك مـن حدد موقعهـا ، وطبيعتها ، وذكر سكنهـا ، واختلافها عن السـراة ، أو علاقتهـا الجغرافية والاجتماعيـة بالسروات ، وتهامة المعنيـة في دراستنا هـي واسطـة العقد للأغـوار أو التهائم الممتدة مـن اليمن إلى الشام. ونقـول إن تهامة (الغور) جديرة إلى أن تدرس تاريخياً وحضارياً منذ عصور ما قبل الإسلام حتى وقتنا الحاضر[٢]. **(١٩) فَرَسان :** بالفتح والتحريك ، وآخره نون[٣]، وهي جزيرة أو جزر في البحـر الأحمر، وتتبع إدارياً إمارة منطقة جـازان، ويستوطنها لفيف من السكان ، ولها تاريخ سياسي وحضاري يعود إلى ما قبل الإسلام ، وهي من المنتجعات الرئيسية لمنطقة جـازان أو من يرتادها مـن الزوار والسواح وغيرهم[٤]. **(٢٠) فَيفَـاء :** بالفتح وتكرير الفـاء ، ذكـر ياقوت مواقع عديدة عرفت بهذا الاسـم ، وبعضها في بلاد الحجاز، ودون أشعاراً عديدة لكثيّر عزّة يذكر فيها اسم فيفا ، فقال :

وقـد علـمـت تـلـك المـطـيـة أنـكـم ... متى تسلكوا فيفا رشاد تحـردوا [٥].

ولا نجـد ذكراً لفيفاء وجبالها الشاهقة الواقعـة في الناحية الشمالية الشرقية من منطقـة جازان ، ويبلـغ ارتفاع هذه الجبال أكثر من ستة آلاف قـدم فوق سطح البحر ، ويستوطن بلاد فيفاء العديد من العشائر العربية الماجدة ، وجزء من جبالها يشتبك مع بعضـ الجبال في الجهوريـة اليمنية ، وهذه الجبال غنية بثرواتهـا النباتية والحيوانية، ولهـا تاريخ سياسـي وحضاري مذكور في بعضـ المصادر اليمنية وغيرهـا من المصادر والمراجع العربية والأجنبية [٦]. **(٢١) قَرَما :** بالتحريك والتخفف ، وميم بعدها ألف ، والقرم الأكل الضعيف ، ويقال إنها قرية بوادي اليمامة[٧] ، ولايذكر ياقوت موضعاً بهذا

---

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص ٢١٦ ـ ٢١٧ .

(٢) لقـد سـرت كثيراً في بلاد الغور (تهامة) وشاهدت الكثير مـن نقوشها وتاريخها وحضارتها وهي فعلاً جديرة بالبحث والدراسة.

(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص ٢٥٠ .

(٤) جـزر فرسـان تستحق أن يفـرد لتاريخها وحضارتها العديد مـن الكتب والبحوث العلميـة ، ونأمل من جامعة جازان أن تدعم وتشجع من يقوم بذلك .

(٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٢٨٥ .

(٦) هنـاك بعضـ البحوث والكتابات والدراسات عن تاريخ وجغرافية وحضارة بلاد فيفاء ، ومازالت بحاجة إلى دراسـة علميـة موثقة ، ونأمل مـن جامعات الجنوب السعـودي أن تلتفت لدراسة مثل هـذه المواضع الجديرة بالبحث والدراسة .

(٧) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص ٣٢٩ـ ٣٣٠ .

الاسم في السراة أو تهامة ، وأقول إن في منطقة القنفذة واد يعرف باسم (قرماء) ، في آخره همزة ، وتأتي مسائله من تهامة غامد وزهران ويصب في البحر ، ويستوطن هذا الوادي سكان من قبائل زهران وزُبيد وبعض الأشراف ، ولا نجد أحداً من المتقدمين يذكر هذا الوادي أو هذا المكان ، وربما كان انعزال أجزاءٍ عديدة من تهامة والسراة هو الذي جعل المؤلفين الأوائل لا يعرفون عنها شيئاً . **(٢٢) قَرْن:** بالفتح ثم السكون ، وهو ميقات أهل اليمن والطائف ، يقال له قرن المنازل ، قال عمر بن أبي ربيعة :

ألم تسأل الرَّبْعَ أن ينطقا بقرن المنازل قد أخْلَقَا؟[1].

وقرن المنازل اليوم ضمن حاضرة الطائف ، وعلى مقربة من أعالي جبال الهدى التي يمر بها طريق مزدوج يربط الطائف بمكة المكرمة ، ويطلق على هذا القرن اسم وادي المحرم ، ويوجد به بعض المنازل السكنية، وبه جامع كبير في مكان الميقات مزود بالعديد من الخدمات مثل دورات المياه ، وأماكن للغسل ، ومواقف للسيارات ، وبعض الباعة الذين يبيعون للزوار والمعتمرين ما يحتاجونه أثناء أدائهم مناسك الحج والعمرة[2]. **(٢٣) القُنفذة :** يقال أنها من مياه بني نمير[3]. ونقول إن القنفذة بضم القاف والفاء، وإسكان النون ، وفتح الذال المعجمة ، بعدها التاء المربوطة ، هي بلدة قديمة عرفت في اليمن، وهناك بلدة على ساحل البحر الأحمر جنوبي مدينتي مكة المكرمة وجدة بحوالي (٣٠٠) كيل ، وهذه الناحية الأخيرة عرفت منذ نهاية العصر الإسلامي الوسيط ، وعندما نبحث عنها في بعض المصادر المبكرة لا نجد لها ذكراً مع أنها تقع عند مصب وادي قنونا في البحر الأحمر . ومنذ القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) علا صيتها وازدادت شهرتها ،وبدأ يتردد ذكرها في العديد من المصادر ، ومنذ بداية القرن (١٣هـ/١٩م) صار لها دور حضاري وسياسي ليس في بلاد تهامة ولكن على جميع بلدان السراة الممتدة من الطائف إلى نجران ، بل عرفت في بعض الوثائق بأنها بوابة السراة ، أو ميناؤها الرئيسي. واليوم أصبحت من المدن الرئيسية في تهامة ، وهي إحدى محافظات مكة المكرمة ، ويوجد فيها معظم الخدمات والمؤسسات

---

(١) ياقوت، معجم البلدان، ج٤ ،ص٣٣٢ .يذكر ياقوت أسماء وأماكن عديدة عرفت باسم (القرن) ، المصدر نفسه، ج٤، ص ٣٣٢- ٣٣٣ .

(٢) يتردد الباحث على هذا الميقات منذ تسعينيات القرن الهجري الماضي ، وكان وضعه في الماضي مزرياً ، فلا خدمات ، ولا مرافق جيدة للمعتمرين ، واليوم أصبح الميقات مزوداً بكل الخدمات التي يحتاجها الحاج والزائر للبيت الحرام .

(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص ٤٠٨ .

الإدارية ، ولها مستقبل زاهر إذا خدمت حضارياً وتنموياً ، وهذا ما يتطلع إليه أهلها[١].
(٢٤) الكُلاب : بالضم ، وآخره باء موحدة، والكلاب من أيام العرب المشهورة ، ومنها الكلاب الأول ، والكلاب الثاني ، وأشهرها الثاني ، الذي وقع بين بني تميم وبين بني الحارث بن كعب ، وانهزم فيه بنو الحارث وأسر قائدهم عبد يغوث بن صلاءة الحارثي، الذي قال في أسره قصيدته المشهورة التي مطلعها :

أيا راكباً إما عرضت فبلغن ندامای من نجران أن لا تلاقيا

أبا كَرِبٍ والأيهمين كليهما وقيسا بأعلى حضرموت اليمانيا

أقول وقد شدوا لساني بنسعة معاشر تيمٍ أطلقوا عن لسانيا[٢].

خامساً : حروف اللام، والميم، والنون، والواو، والهاء، والياء :

(١) اللات : هو اسم صنم كانت تعبده ثقيف ، ويقال إن اللات رجل من ثقيف فلما مات ، قالوا أنه لم يمت وإنما دخل الصخرة ، وصارت من الأصنام التي يعبدون ، وقد ورد اسم اللات في القرآن ، وعندما أسلم أهل الطائف أرسل الرسول (ﷺ) إليها أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فهدماه[٣]. وذكرت اللات في عدد من التفاسير وبعض كتب التراث الإسلامي ، ولا نجد لهذا الاسم ذكراً اليوم . **(٢) لوي طفيل :** واد بين اليمن ومكة ، قتل فيها هلال الخزاعي عبدة بن مرارة الأسدي غيلة في قصة يطول شرحها، فقال هلال :

أبلغ بني أسد بأن أخاهم بلوى طفيل عبدة بن مراره

يروي فقيرهم ويمنع ضيمهم ويريح قبل المعتمين عشاره [٤]

ولا ندري أين يقع هذا الموضع ، لكن المتجول في سروات الباحة وعسير وأجزاء من تهامة يجد أمكنة يطلق عليها وادي طفيل ، وشعب طفيل، أو شعبة الطفيل ، أو راس طفيل

---

(١) للمزيد انظر: كتابنا الموسوم بـ بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠-ق١٥م) ، ص٢٠ وما بعدها ، والقنفذة بحاجة إلى بحوث علمية توثيقية . ونأمل من جامعات الجنوب أن تخدم هذه الناحية وغيرها من النواحي الجديرة بالبحث والدراسة .

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤، ص ٤٧٣- ٤٧٤ . ويوم الكلاب الثاني سمي أيضاً بأسماء أخرى عديدة مثل: يوم ثيتل ، ويوم حر الدوابر وغيرها .

(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥، ص ٤ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٥، ص ٢٤ .

وفي هـذه البـلاد كان يسمى بعض أبنائهـم طفيل أو الطفيـل ، وهو تصغـير (طفل)[(١)].

(٣) الليْث : بكسر اللام ثم الياء الساكنة ، والثاء المثلثة من الفعل لاث يلوث وهو واد بأسفل السراة يدفع في البحر ، أو موضع بالحجاز ، قال غاسل ابن غزية الحربي الهذلي :

وقـد أنـال أمـير القـوم وسطهـم ... بـالله يمطـو بـه حقـاً ويجتهـد

تـراجعـا فتشجـوا أو يشـاج بكـم ... أو تهبطوا الليث إن لم يعد باللدد[(٢)].

وأقول: بلدة الليث تنسب إلى واديها ، وهو واد كبير يأتي من سروات جنوب الطائف ثم يسير في منطقة الأصدار ثم الخبت حتى يصب في البحر . وحاضرة الليث تبعد عن مكة نحو الجنوب حوالي (١٨٠-١٩٠) كيلاً ، وهي من المحافظات التابعة لإمارة منطقة مكة ، وفيها مناطق عديدة صالحة للزراعة ، ويوجد بها معظم المؤسسات الإدارية ، وإذا كان ياقوت وغيره قد ذكروا اسم (الليث) ، فالمقصود وادي الليث الذي يهبط من بلاد السراة ، أما مدينة الليث فاسمها معروف منذ القدم ، لكن لا نعرف متى أصبحت بلدة مأهولة بالسكان ، وفيها اليوم حركة اقتصادية وحضارية نشطة[(٣)]. **(٤) ليَة :** بالكسر، وتخفيف الياء، وهو واد لثقيف ، قال الأصمعي : "**لية واد قريب بالطائف أعلاه لثقيف وأسفله لنصر بن معاوية**". وأقـول: أن ليه واد يقع جنـوب الطائف بحوالي (١٠-١٥) كيلاً ، ومازال اسمه لية إلى اليوم ، ويسكنه بعض من قبائل الطائف مثل ثقيف وغيرها ، وفي بلدة لية تنمية حضارية وعمرانية حسنة[(٤)]. **(٥) مخلاف أومخاليف وادعة، ويام، وجنب، وسنحان، وزبيد، ونهد :**[(٥)] يذكر ياقوت هذه المخاليف، أو البلدان الممتدة من نجـران جنوبـاً إلى شمال بلاد قحطان وأجزاء من شهران ، وهـذه النواحي تنسب إلى القبائل التي تستوطنها، ومازال أهلها يسكنونها حتى الآن ، وذكر هذه الأوطان وسكانها عدد من المصادر الإسلامية المبكرة مثل كتب النسب كابن الكلبي وغيره ، وبعض مؤلفات الرحالـة والجغرافيـين الأوائـل ، وفي مقدمتهم الهمداني الـذي أسهب في الحديث عن

---

(١) هذا ما عرفه الباحث وسمعه أثناء سيره في نواحي عديدة من تهامة والسراة خلال العقود الأربعة الماضية .

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥، ص ٢٨ .

(٣) وادي الليـث لـه روافد عديدة ، وهناك العديد من الجبال والقرى المتناثرة في محافظة الليث ، والبعض منهـا يظهر عليها القدم التاريخـي . وبلاد الليث فقيرة في ميدان البحوث والدراسات ونأمل من جامعة أم القـرى أن تدعم وتشجع بعض أساتذتها وطلابهـا لدراسة هذه الناحية التي لها ذكر في كتب التراث المبكرة ، ولها نشاط تاريخي وحضاري خلال القرون الثلاث الماضية .

(٤) مشاهدات الباحث وزيارته لوادي وبلدة لية في نهاية عام (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م) .

(٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥، ص ٧٠ .

طبيعـة بلادهم ، وأنسابهم ، وشـيء من تاريخهم وحضارتهـم [١]. **(٦) مَذْحج:** بفتح أولـه ، وسكـون ثانيه ،وكسر الحاء المهملـة ، وجيم [٢]. ومذحج قبيلـة عربية قحطانية امتـدت من بطن اليمن إلى قرب وادي الدواسر وبيشة وأبها ، ولها تاريخ عريق ، وخرج منها فرسان وشعراء وقادة وعلماء ، وبعض من قبائل قحطان الحالية تعود أنسابها إلى تلـك القبيلة العربية المذحجيـة القديمة[٣]. **(٧) المعمل:** قرية مـن أعمال مكة ، ويقال لبنـي هاشم في وادي بيشة ملك يقال له المعمـل[٤]. ويسرد ياقوت قصة هذا المكان وما يوجـد فيه من الخـير والمياه والزروع ، ومـا جرى فيه من صراعات بـين بعض العشائر التـي تسعى للسيطـرة عليه في عصر الدولة الأموية، وما قام بـه الخليفة الأموي هشام بـن عبد الملك عندما أرسـل إلى هذا المكان عدداً من العبيد لخدمته والحفاظ عليه من اعتـداءات العشائر، وينهي ياقوت حديثـه بقوله " **إن مطلوباً معمل يعمل فيه، فذهب اسمه المعمل إلى اليوم**"[٥]. ثم يذكر شعراً للعجير السلولي في هذا المكان (مطلوب) أو (المعمل) فيقول :

لا نـوم للعـين إلا وهـي ساهـرة … حتى أصيـب بغيظ أهـل مطلـوب

إن تشتموني فقد بـدلت أيكتـكم … زرق الـدجاج وتجـفاف اليعاقيب

قد كنت أخبرتكم أن سوف يعمرها … بـنو أمـيـة وعـداً غير مـكـذوب[٦].

ولا نجـد اليـوم في بيشـة مكاناً يعـرف باسم المعمـل أو مطلـوب ، ويتضح من هذه الروايـة التي سردهـا لنا ياقوت إن بيشـة كانت من المواضع التي نالـت اهتمام ورعاية الخليفـة الأمـوي الـذي أرسل إليها بعضـ الموالي والعبيـد الذين يشرفـون على خدمة وحماية ثرواتها وخيراتها الاقتصادية[٧]. **(٨) ملكان :** بلفظ تثنية الملك واحد الملائكة:

---

(١) وأقـول أن هـذه الأوطان السرويـة الممتدة من نجران إلى بيشـة مازالت بحاجـة إلى دراسات تاريخية وأثريـة وحضاريـة علمية موثقة، ونأمل من جامعات نجـران ، والملك خالد ، وبيشـة أن توجه أساتذتها وتدعمهم وتشجعهم لدراسة مثل هذه البلاد ذات العراقة التاريخية .

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥، ص ٨٩ .

(٣) نأمل أن نرى أحد طلابنا في برنامج الدراسات العليا بقسم التاريخ في جامعة الملك خالد فيدرس جذور تاريخ هذه القبيلة العربية في الجاهلية والقرون الأولى من عصر الإسلام .

(٤) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥، ص ١٥٨ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٥، ص ١٥٨ .

(٦) المصدر نفسه ، ج٥، ص ١٥٨-١٥٩ .

(٧) أقول إن بلاد بيشة بجميع جبالها وأوديتها وبلداتها جديرة بالبحث والدراسة ، وتستحق أن يصدر عنها عشرات الدراسات، ونأمل من جامعة بيشة أن تقوم بهذه المسؤولية على خير وجه فتؤسس مراكز بحثية نشطة تعمل على دراسة موروث هذه البلاد العربية الإسلامية .

جبل بالطائف ، وقيل مليكان ، بكسر اللام ، واد لهذيل على ليلة من مكة وأسفله لكنانة، وقيل مَلكان جبل في بلاد طيئ، وكان يقال له ملًكان الروم ، لأن الروم كانت تسكنه في الجاهلية[١]. وأقول: وادي ملكان يأتي جنوب مكة بحوالي (٥٥-٦٠) كيلاً ، وله منابع تأتي من سروات هذيل قريباً من الطائف ، وتسير في بلاد الخبت حتى تصب في البحر ، ومازال يعرف بهذا الاسم حتى اليوم[٢]. **(٩) المنطبق :** صنم كان لعك والأشعريين وهو من نحاس يكلمون من جوفه ، فلما كُسر في صدر الإسلام وجدوا فيه سيفاً فاصطفاه الرسول (ﷺ) ، وسماه مخذماً[٣]. والأشعريون وعك من أهل تهامة، في البلاد الممتدة من جنوب جازان إلى داخل بلاد اليمن الحديثة ، ولا ندري لماذا سمي هذا الصنم بهذا الاسم؟ هل هو نسبة إلى مكان أو إنسان أو شيء آخر[٤]. **(١٠) مَوْر :** بالفتح ثم السكون ، وآخرة راء ، وقال عمارة : مور وذو المهجم والكدراء والوديان هذه الأعمال الأربعة جل الأعمال الشمالية من زَبيد[٥]. ومور واد كبير من أودية تهامة اليمن القريبة من منطقة جازان[٦] ، ويسكنه العديد من القرى والعشائر اليمانية[٧]. **(١١) المَهْجَم :** بلدة وولاية من أعمال زبيد ، وأكثر أهلها خولان[٨]. والمهجم بفتح فسكون آخره ميم ، كانت مدينة عامرة من أمهات مدن الجزء الشمالي من تهامة اليمن القريبة من أرض المخلاف السليماني ، واليوم أصبحت مندثرة ومهجورة . **(١٢) مَهْجَرَة :** بالفتح ثم السكون ، وجيم مفتوحة ، وهي بلدة في أول أعمال اليمن[٩]. وتقع في شمال بلاد وادعة بعد قرية الغيل من جهة الشمال ، ويأتي بعدها قرية الطلحة ، وقد تبدل اسمها اليوم إلى (المهاجرة) ، وهي قرية كبيرة يستوطنها لفيف من الناس ، ويوجد بها العديد من

---

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥، ص١٩٤ .

(٢) هذا ما سمعه الباحث من بعض الهذليين في المنطقة الواقعة بين مكة والطائف في شهر صفر عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) .

(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥، ص ٢١٢ .

(٤) أقول إن تاريخ الأديان والأصنام في بلاد تهامة والسراة قبل الإسلام من الموضوعات التي لم تدرس ، وتستحق أن تكون عنوانا لكتاب أو رسالة علمية ، حبذا أن نرى أحد الباحثين الجادين فيتولاه بالبحث والتوثيق .

(٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥، ص ٢٢٠ -٢٢١ .

(٦) من أودية منطقة جازان الرئيسية وادي عتود ، ووادي بيش، ووادي جازان ، ووادي خلب ، وأودية أخرى كثيرة في عموم الأوطان الجازانية . مشاهدات الباحث وسياحته في بعض مناطق جازان خلال سنوات ماضية من هذا العقد .

(٧) للمزيد عن موقع مور وأهميته الحضارية انظر الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٧٥، ١١٤، ١٢٣، ١٤٧، ٢٥٨، ٣٤٨، ٣٨١ .

(٨) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥، ص ٢٢٩ .

(٩) المصدر نفسه ، معجم البلدان ، ج٥، ص ٢٢٩ .

الخدمات الحكومية مثل المدارس وغيرها[١]. **(١٣): نجْرَان:** بالفتح ثم السكون، وآخره نون، ويفصل ياقوت الحديث عن نجران، سبب تسميتها بهذا الاسم، ونسبتها إلى نجران بن زيدان بن سبأ بن قحطان، وهي من مخاليف اليمن من ناحية مكة، ثم يذكر قصة ذي نواس واحراقه نصارى نجران، وكيف أسلم أهلها؟، وقصة نصارى نجران في عهد الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين[٢]. ونجران إلى الشرق والجنوب الشرقي من منطقة عسير، ولها تاريخ طويل خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة، وهي إحدى المناطق الرئيسية اليوم في المملكة العربية السعودية، ويوجد بها جامعة ومطار إقليمي وجميع المؤسسات الحكومية والأهلية[٣]. **(١٤) نَعْمَان:** بالفتح ثم السكون، وآخره نون، هو وادٍ بين مكة والطائف، ويقول الشاعر فيه:

ألا أيها الركب اليمانون عرجوا ... علينا فقد أضحى هوانا يمانيا

نسائلكم هل سال نعمان بعدنا ... وحب إلينا بطن نعمان واديا

عهدنا به صيداً كثيراً ومشربا ... به ننقع القلب الذي كان صاديا[٤].

ووادي نعمان من أودية الحجاز، وهو يقع على الطريق السريع الذي يربط بين الطائف ومكة، ومنابعه تأتي من أعالي جبال الطائف، ويسير حتى يمر من جنوب عرفة، ثم يتصل بعرنة، ويتغير الاسم إلى (وادي عرنة)، (ويطلق على وادي نعمان قديماً (نعمان الأراك)، وذلك لكثرة شجر الأراك فيه[٥]. **(١٥) وَجُّ:** بالفتح ثم التشديد، والوج في اللغة: عيدان يتداوى بها، ووج هو الطائف أو وادٍ في الطائف، ووج نسبة إلى وج بن عبد الحق من العمالقة، وقيل من خزاعة. قال فيه أبو الصلت والد أمية يصفه[٦].

نحن المبنون في وج على شرف ... تلقى لنا شفعاً منه وأركانا

إنا لنحن نسوق العير آونة ... بنسوة شعث يزجين ولدانا[٧].

---

(١) رحلة في محافظة ظهران الجنوب من (٢٩/١١ - ٢/١٢/١٤٣٧هـ).

(٢) ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص ٢٦٦- ٢٧٠.

(٣) للمزيد انظر: غيثان بن جريس. نجران (ق١-ق٤هـ)، ص٢٣ وما بعدها، المؤلف نفسه، دراسات في تاريخ تهامة والسراة (ق١-ق١٠هـ)، ج٢، ص ٢٩٩-٣٥٦، للمؤلف نفسه، القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م)، ج٨، ص ١٥- ٧٠.

(٤) ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص ٢٩٣.

(٥) تجوال الباحث في هذا الوادي في نهاية عام (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م).

(٦) ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص ٣٦١.

(٧) المصدر نفسه، ج٥، ص ٣٦١.

وقال عروة بن حزام:

أحقاً يا حمامة بطن وج بهذا النوح إنك تصدقينا
غلبتك بالبكاء لأن ليلي أُواصِلُهُ وإنك تهجعينا
وإني إن بكيت بكيت حقاً وإنك في بكائك تكذبينا[1].

ووج حي من أحياء الطائف اليوم ، وهو مكتظ بالسكان ، ويوجد به جميع الخدمات من أسواق وحدائق وبعض المؤسسات الإدارية مثل: المدارس ، والمستوصفات الحكومية والخاصة وغيرها[2]. **(١٦) الوَشَل:** بالتحريك ، واللام ، والوشل الماء القليل ، ويقال الوشل اسم جبل عظيم بناحة تهامة وفيه مياه عذبة[3]. وأثناء تجوالي في مناطق جازان ، وعسير، والباحة ، والقنفذة سمعت بعض الناس في تلك النواحي يذكرون اسم (الوشل) ، والمقصود به أمكنة في بعض الجبال والأدوية والنواحي يجتمع فيها مياه عذبة ، ترتادها بعض الطيور والسباع وأحياناً الحيوانات الأليفة ، واسم وشل يطلق على أماكن عديدة في هذه المناطق الجنوبية السعودية [4]. **(١٧) الهَدّار:** بتشديد الدال، ويذكر أن الهدار من نواحي اليمامة ، وبها كان مولد مسيلمة بن حبيب الكذاب[5]. وأقول: إن الهدار اسم جبل في سروات عسير ، وفي الجزء الشمالي من بلاد بللسمر السروية [6]. وربما كانت هناك أمكنة أخرى في تهامة والسراة تسمى بهذا الاسم. **(١٨) هرْجَاب:** بالكسر ثم السكون ، والجيم ، وآخره باء موحدة ، وهو العظيم الضخم من كل شيء، يقول فيه الشاعر:

إلا أن خير الناس رسلاً ونجدة بهرجاب لم تحبس عليه الركائب[7].

وأقول: هرجاب واد ، وهو أحد روافد وادي بيشة، يقع شمال خميس مشيط بحوالي (١٥٠) كيلاً، وجنوب بيشة بحوالي (٨٠) كيلاً ، وسكانه عشيرة بني واهب من شهران ، ويتبع إداريا محافظة بيشة ، ويوجد فيه معظم الخدمات التعليمية

---

(١) المصدر نفسه ، ج٥، ص ٣٦٢ .
(٢) هذا ما شاهده الباحث أثناء زيارته للطائف في عامي (٣٦، ١٤٣٧هـ/٢٠١٥-٢٠١٦م).
(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥، ص ٣٧٧ .
(٤) هذا ما سمعه الباحث وشاهده في أكثر من ناحية من مناطق الجنوب السعودي .
(٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥، ص ٣٩٤ .
(٦) جبل مرتفع في سروات بللسمر ، ويمر به طريق الأسفلت الذي يخرج من أبها إلى تنومة ثم النماص .
(٧) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥، ص ٣٩٧ . .

والإداريـة والصحيـة[١]. **(١٩) هَرُوب:** من قـرى صنعاء[٢]، وأقول هـروب ناحية من نواحـي منطقة جـازان، وهي اليوم محافظة في الجهة الشرقية من المنطقة، وتبعد عن مدينـة جازان حوالي (١١٠) كيلاً تقريبـاً، ويسكنها عدد من العشائر مثل: الصهاليل، والعزيـين وغيرهم، ويوجد في هذه البلاد العديد من المواضع السياحية الجميلة، وفيها من يمارس مهـن الرعي والزراعة[٣]. **(٢٠) هُضَاض:** بالضم والكسر، وتكرير الضاد المعجمة، والهض: سرعة سير الإبل، والهضاض، اسم موضع، قال تأبط شراً:

إذا خلفت باطنتي سرار وبطن هضاض حيث غداً صباح[٤].

ويشير الهمداني أن هضاض ناحية تقع بين نجـران وصعدة، وأقـول أيضاً إن هناك طريقاً تربط بين سروات حداد بني مالك جنوب الطائف وبلدة أضم في تهامة، ويجري الآن العمل فيها حتى تكون شرياناً حيوياً يربط بين تهامة والسراة في تلك النواحي[٥]. **(٢١) يَبَة:** بالتحريك، يبه وعليب قريتان بين مكة وتبالة[٦]. قال كثير يرثي صديقه خندفاً الأسدي:

عداني أن أزورك غير بغض مقامك بين مصفحة شداد

وإني قائل إن لم أزرهم سقت ديم السواري والغوادي

بوجه أخي بني أسد قنونا إلى يبة إلى برك الغماد[٧].

وقول ياقوت: (بية بين مكة تبالة) غير صحيح، والصواب أنه بين مكة وحلي، وهو إلى حلي وواديها أقرب. وهناك من نطق الكلمة بعدة أشكال مثل: يبه، يبة، يبت، يبا، والصـواب هو ما ذكره ياقوت (يبة). ووادي يبـة من الأودية الكبار الذي تأتي منابعه مـن سـروات رجال الحجر وبخاصة بني شهر وبني عمرو، ويسير غرباً بين واديي قنونا وحلـي حتى يصب في البحر الأحمر جنوب حاضـرة القنفذة، والوادي له روافد عديدة

---

(١) سار الباحث في جنبات وادي بيشة في إحدى الزيارات التي قام بها إلى محافظة بيشة عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م).

(٢) ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص ٤٠٣.

(٣) زيـارة الباحـث لمناطق هروب وما حولها في شهـر جمادى الأولى من عام (١٤٣٣هــ/٢٠١٢م). للمزيد انظر: القول المكتوب في تاريخ الجنوب، الجزء الرابع، ص ٢٣٠ وما بعدها.

(٤) ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص ٤٠٦-٤٠٧.

(٥) انظر الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٦٥. كما سمع الباحث بعض الأخبار من بعض المالكيين في مدينة الطائف عن عقبة هضاض التي يجري العمل فيها حالياً.

(٦) ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص ٤٢٨-٤٢٩.

(٧) المصدر نفسه، ج٥، ص ٤٢٩.

من أعالي السروات حتى تهامة ، ويستوطنه العديد من العشائر الأزدية القحطانية والكنانية العدنانية [١]. **(٢٢) يَلَمْلَم :** ويقال ألملم ، والململم المجموع ، موضع على ليلتين من مكة ، وهو ميقات أهل اليمن ، وفيه مسجد معاذ بن جبل ، ويقال جبل من الطائف على ليلتين أو ثلاث ، وقيل هو واد هناك [٢].

ويلملم واد من أودية الحجاز التهامية ، وتأتي منابعه من سروات بني سفيان ، حوالي ثلاثين كيلاً جنوب غربي الطائف ، ويسير غرباً فيمر بالسعدية ، التي هي بلدة يلملم قديماً ، ومازالت تعرف بالسعدية حتى اليوم ، ثم يصب في البحر الأحمر جنوب جدة . وفي هذا الوادي الكثير من الأشجار وبخاصة شجر الأراك ، ولا يخلو من بعض الأراضي الزراعية ، ويستوطنه عشائر من هذيل وبني فهم وبعض الأشراف [٣]. وفي يلملم يقول أبو دهبل الجمحي :

سريت بها من بطن مكة بعدما ... أصات المنادي للصلاة وأعتما

فما نام من راعٍ ولا ارتد سامرٌ ... من الحي حتى جاوزت بي يلملما [٤].

وقال طفيل :

وسَلَهَبَة تنضو الجياد كأنها ... رداةٌ تدلّت من فروع يلملما [٥].

(٢٣) اليمن: بالتحريك ، قال الشرقي: إنما سميت اليمن لتيامنهم إليها ، ويقال إن الناس كثروا بمكة لم تحملهم فالتأمت بنو يمن إلى اليمن ، وهي أيمن الأرض فسميت بذلك . ويقول ياقوت ، قولهم تيامن الناس فسموا اليمن فيه نظر ، لأن الكعبة مربعة فلا يمين لها ولا يسار ، فإذا كانت اليمن عن يمين قوم كانت عن يسار آخرين، وكذلك الجهات الأربع ، إلا أن يريد بذلك من يستقبل الركن اليماني فإذا يصح [٦]. وقال الأصمعي : اليمن وما اشتمل عليه حدودها بين عمان إلى نجران ثم يلتوي على بحر العرب إلى عدن إلى الشِّحْر حتى يجتاز عمان فينقطع من بينونة ، وبينونة : بين عمان والبحرين

---

(١) للمزيد من التفصيلات عن وادي يبه والبلاد التي يمر من خلالها انظر: غيثان بن جريس، بلاد القنفذة خلال خمسة قرون ، ص ٢٥ وما بعدها ، والقول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ج٢، ص ٣٣١ ومابعدها .

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥، ص ٤٤١ .

(٣) مشاهدات الباحث ومروره من السعدية (يلملم) مرات عديدة خلال السنوات الماضية .

(٤) عاتق البلادي ، بين مكة واليمن ، ص ٢٨ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ٢٨ .

(٦) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥، ص ٤٤٧ .

وليست بينونة من اليمن ، وقيل: حد اليمن من وراء تثليث وما سامتها إلى صنعاء ، وما قاربها إلى حضرموت والشحر وعمان إلى عدن أبين وما يلي ذلك من التهائم والنجود ، واليمن تجمع ذلك كله [(١)]. وأقول إن بلاد اليمن أرض واسعة في جنوب الجزيرة العربية، وهي البلاد المعروفة بحواضرها الرئيسية مثل: صعدة ، وصنعاء ، وتعز ، وعدن وزبيد وغيرها ، ونجد المصادر الجغرافية والتاريخية المبكرة تفصل الحديث عن أقاليمها ، ومدنها وحضارتها وصلاتها مع غيرها من البلدان، كما أن كثيراً من كتب التراث الإسلامي أسهبت الحديث عن اليمنيين داخل بلادهم وخارجها . ومن يستقرئ تاريخ وحضارة اليمن منذ العصر القديم وعبر أطوار التاريخ الإسلامي يجد أنه ظهر فيها العديد من الحضارات والدول المتفاوتة في عصورها وإنجازاتها وسياساتها وعقائدها . وللأسف أن من ينظر في أحوال اليمن اليوم يحكم على تخلف هذه البلاد وشعبها ، ولا يعرف حضارتها وأمجادها التاريخية العريقة منذ عصور ما قبل الإسلام ، وكيف كانت مطمعاً لكثير من الإمبراطوريات والدول الكبرى قديماً مثل: الروم ، والأحباش، والفرس وغيرهم [(٢)].

رابعاً: آراء ووجهات نظر :

أشرنا في هذا القسم إلى الكثير من الموضوعات التي احتوتها بعض كتب التراث الإسلامي، والموجودة في محيط بلدان تهامة والسراة الممتدة من نجران وجازان إلى مكة المكرمة والطائف. ونحن بهذا العمل نلفت نظر الباحثين والدارسين وطلاب الدراسات العليا إلى أن هذه الديار يوجد فيها بلدان قديمة لها تاريخ وحضارة ، وبعضها مازال يعرف بالاسم الذي ورد في المصادر القديمة ، والبعض الآخر اندثر ولا نجد له ذكراً ، كما أن هناك مواضع كانت صغيرة ومحدودة في القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة ، واليوم أصبح الاسم القديم يطلق على أرض واسعة مثل: الطائف، ونجران ، وبيشة ، وصبيا ، والبرك ، وبيش وغيرها . ونأمل أن نرى باحثين جادين ومجتهدين فيدرسون هذه البلدان دراسة علمية موثقة . كما نأمل من الجامعات المحلية وطلابها وأقسامها الأكاديمية وبخاصة طالبات وطلاب الدراسات العليا وكذلك أعضاء هيئة التدريس أن يلتفتوا إلى دراسة هذه الأمكنة المذكورة في هذه الدراسة ، وأقول إن بعضها يستحق أن يصدر عنها رسائل وبحوث أو كتب في مئات الصفحات . (والله من وراء القصد) .

---

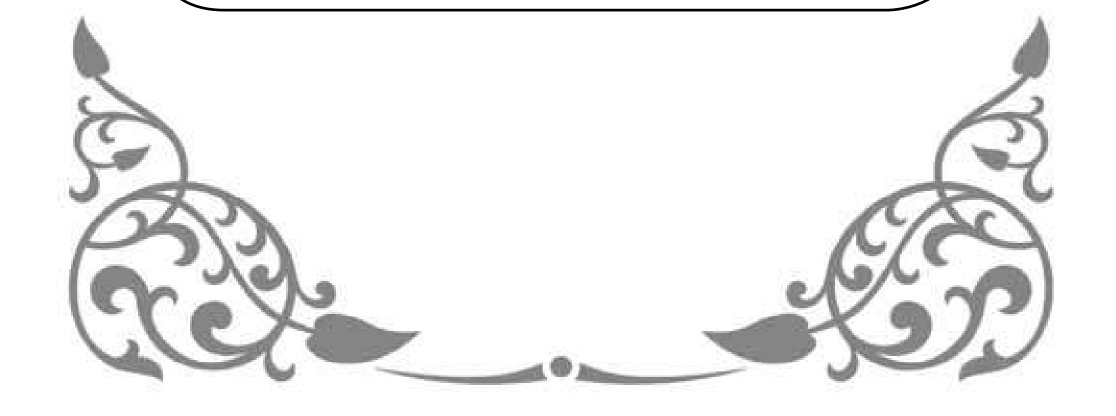
(١) المصدر نفسه ، ج٥، ص ٤٤٧ .

(٢) بلاد اليمن عريقة في تاريخها وحضارتها ، وللأسف تعاقب عليها حكومات ودول خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة والمعاصرة فأرهقت أهلها ودمرت ممتلكاتها وحضارتها ، مع أنها بلاد ذات أصالة وعمق تاريخي عظيم .



القسم الثاني

دراسات، وتحقيقات، وتصويبات على بعض الأوطان والأمكنة والبحوث عن أجـزاء من تهامة والسراة



القسم الثاني

دراسات ، وتحقيقات ، وتصويبات على بعض الأوطان والأمكنة ، والبحوث عن أجزاء من تهامة والسراة.

م	الموضوع	الصفحة
أولاً:	مدخل	٩٨
ثانياً:	صورة من تاريخ وحضارة بلاد دوس وغيرها من عشائر زهران في الجاهلية والإسلام . بقلم أ. علي بن محمد بن سدران الزهراني ...	١٠٠
ثالثاً:	قلعة (الثريا)ودرب جازان العليا في ضوء المصادر التاريخية. بقلم . الدكتور/ محمد بن منصور حاوي	١٣٤
رابعاً:	قراءات وتحليلات عن موقع سوق حباشة	١٦٤
	١- قراءة في نصوص بعض المؤرخين والجغرافيين عن سوق حباشة. بقلم. عبد الله بن حسن الرزقي القرني	١٦٥
	٢- سوق حباشة في بلاد بارق(تحقيق ودراسة). بقلم أ. أحمد ابن مريف آل سعيد البارقي	١٧٦
خامساً:	بعض التصويبات والإضافات على كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء التاسع). بقلم . أ. علي بن محمد بن سدران الزهراني	٢١٠
سادساً:	آراء وتعليقات	٢٤٦

أولاً: مدخل:

في هذ القسم ننشر أربعة موضوعات : الأول والرابع للأستاذ علي بن سدران الزهراني الذي فصل الحديث في عمله الأول على أوطان عشيرة دوس وغيرها من عشائر زهران الأزدية ، كيف كانت في الجاهلية ؟ وكيف حظيت بالسبق ودخولها في الإسلام ؟ وفي مشاركته الأخرى أورد تصويبات وإضافات وانتقادات قيمة على المادة التاريخية المنشورة في المجلد التاسع من سلسلة كتاب: **القول المكتوب في تاريخ**

الجنـوب. أما الدراسة الثانية فهي لأستاذ أكاديمي ومتخصص في التاريخ الإسلامي، إنــه الدكتــور/ محمد بن منصور حاوي الذي قصر دراستــه على: (**قلعة الثريا ودرب جازان العليا في ضوء المصادر التاريخية**). أما الدراسة الثالثة فهي لباحثين مجتهدين همــا :(١) الأستاذ عبدالله بن حسن الرزقــي القرني.(٢)الأستاذ أحمد بن مريف آل سعيــد البارقي اللــذان زودانا ببعض القــراءات والتفصيلات عن موقــع سوق حباشة. وهــذان الباحثان مشكوران على ما درسا وناقشا عن هذا السوق التاريخي، ولكل منهما وجهة نظر، ونأمل أن نصل إلى القول الصحيح عن موقع هذا السوق القديم . [١]

(١) وصلتنــا أقــوالٌ ووجهات نظــر أخرى مختصرة عن هــذا السوق ، وهي من باحثــين وطلاب مجتهدين ، لكــن ينقصها الدقة في الرصد والتوثيق لهذا إكتفينــا بدراستي الرزقي والبارقي لاشتمالهما على بعض الإجــراءات العلميــة الأكاديمية. ونأمل من كل باحث جاد ومجتهــد أن يوثق معلوماته من مصادر علمية قديمــة وموثوقــة ، ولا يقصــر دراستــه واطلاعه على مراجــع ثانوية ينقصهــا الدقة والتوثيــق. (ابن جريس).

ثانيـاً : صـور من تاريخ وحضارة بلاد دوس وغيرها من عشائر زهران في الجاهلية والإسلام[١]. بقلم أ. علي بن محمد بن سدران الزهراني[٢].

م	الموضوع	الصفحة
أولاً :	تمهيد	١٠٠
ثانياً :	صـور مـن تاريـخ وحضـارة عشـيرة دوسـ وغيرها مـن عشائر زهران في الجاهلية والإسلام	١٠١
ثالثاً :	الخلاصة	١٣٣

أولاً : تمهيد :

أوطان زهران إحدى أجزاء بلاد السراة وتهامة ، وتقع إلى الشمال من قبائل غامد وبنـي عمـر. وسكانها هـم أزد السراة الذين تعـود أصولهم إلى بلاد اليمـن. ولهذه الديار تواريخ سياسية وحضارية متنوعة، ومن أشهر وأقدم قبائلها عشيرة دوس التي ينتسب إليها عـدد مـن الصحابة (رضوان الله عليهـم) أمثال الطفيل بن عمرو الدوسـي وأبو هريرة (رضي الله عنهما) . وهذه الدراسة التي بين أيدينا لأحد أبناء زهران ، إنه علي بن سدران الزهـراني الـذي كتـب صفحات من تاريخ هذه البـلاد في عدد من الكتـب والبحوث ، ومن ضمنها هذا البحث الذي يحتوي على صفحات من تاريخ قبيلة دوس في الجاهلية والإسلام ، ولا تخلـو الدراسة أيضـا من صور تاريخية أخرى عن بعض الأمكنـة والعشائر الزهرانية الأخرى . ونقول لصاحب البحث(ابن سدران) شكر الله له فلقد فتح أبواباً عديدة تدور في فلـك حضارة وتاريخ أرض وسكان زهران. ونأمل منه أو من أي باحث مجتهد أن يضاعفوا الجهـود لدراسة سروات وتهامة زهران التي تم استيطانها منذ آلاف السنين ، وهي جديرة أن تدرس ويصدر عنها عشرات الدراسات المتنوعة في موضوعاتها وأهدافها [٣] .

---

(١) العنـوان الذي أرسل لنـا صاحب البحث هو : قبيلة دوس أول قبيلة من زهـران شرُفت بالإسلام . وبعد قـراءة الدراسة كاملة تم تعديـل العنوان السابق إلى هذا العنوان المذكور أعـلاه ، وذلك من أجل توافق العنوان مع المادة العلمية. (ابن جريس).

(٢) ابـن سـدران من مؤرخي بـلاد زهران وغامد ، ولـه عدد من الكتـب والبحوث المطبوعـة . للمزيد عن ترجمته انظر. غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب. الأجزاء الخامس ، ص ٢٦٩، والسابع ص١٨٩- ٢٥٣، والثامن، ص ١٥٩- ٢١٠ ،والعاشر، ص ١٢١- ١٧١. (ابن جريس).

(٣) نعـم منطقـة الباحة (غامد ، وزهران ، وبني عمر) من البلاد التي لم تخدم بحثياً وبخاصة في ميادين التاريخ والآثار واللغة والأدب وعلم الاجتماع وغيرها من العلوم الإنسانية . ونأمل أن تقوم جامعة الباحة بواجبهـا فتسخر مراكز البحـوث والباحثين لدراسة هذه البلاد العريقة في تاريخها وحضارتها وأمجاد رجالها عبر أطوار التاريخ. (ابن جريس).

ثانياً : صور من تاريخ وحضارة عشيرة دوس وغيرها من عشائر زهران في الجاهلية والإسلام .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، رب يسّر . دوس هي إحدى قبائل زهران العظام ، تنتسب إلى عدثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث ، والمعروف في السابق منها قبيلتان هما منهب بن دوس بن عدثان بن عبدالله بن زهران بن كعب ، وفهم بن غنم بن دوس بن عدثان بن عبد الله بن زهران . وتدخل في الأخيرة قبيلة : بني الطفيل (بالطفيل) رهط الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه ، لأنهم يعودون إلى قبيلة سُليم ابن فهم بن غَنّم بن دوس . والقبيلة الثانية هي : فهم بن غنم بن دوس، وبقية نسبها كما ورد في نسب قبيلة بني منهب ، ومنهم الصحابي الجليل : أبو هريرة رضي الله عنه . ويؤخذ من نسب هاتين القبيلتين أن منهب بن دوس ، هو عم فهم بن غَنّم بن دوس[١] .

أما في هذا العصر فتنقسم دوس إلى خمس قبائل هي : دوس بني فهم ، ودوس بني منهب ، ودوس بني علي، ودوس آل عيَّاش ، ودوس بالطفيل ، وكل قبيلة معروفة بشيخها وديارها .واسمها مشتق من الدوس كما قال ابن دريد الأزدي في كتابه الاشتقاق: الدوس: مصدر داسه يدوسه دوسًا ، وكل شيء وطئته فقد دسته، والذي يداس به مدوس ، والمدوس ما يسن به الصيقل السيف، وهو قول الشاعر[٢]:

وأبيض كالغدير ثوى عليه   قيون بالمداوس نصف شهر

وجاء في كتاب "الزاهر في معاني كلمات الناس" قال أبو بكر : الدوس : تسوية الحديقة وتزيينها وهو مأخوذ من دياس السيف ، وهو صقلُهُ وجلاؤه . يقال : داس الصيقل السيفَ يدوسُهُ دَوْسًا ودِياسًا : إذا صقله وجلاه . قال الشاعر[٣] :

صافي الحديدةِ قد أَضَرَّ بصقلِهِ   طولُ الدِّياس وبطنُ طيرٍ جائع

ويقال للحجر الذي يُجلى به السيف : مِدْوَس . أنشد أبو العباس لأبي ذؤيب الهذلي[٤] :

---

(١) يا أستاذ علي أشكرك على هذا الطرح ، وأرجو أن تزودنا بقراءات مطولة وعميقة في تاريخ وحضارة وأنساب بلاد غامد وزهران . (ابن جريس).

(٢) العباب : (١١٠) . والشاعر هو : أبو أسامة معاوية بن زُهَيْر الجُشَميُّ (ابن سدران) .

(٣) كتاب :الفاخر ٥٧ بلاد عزو (ابن سدران) .

(٤) ديوانه :٦ (ابن سدران).

وكأنما هو مِدْوَسٌ متقلِّبٌ بالكفِّ إلا أنه هو أَضْلع

وجاء في معجم "لسان العرب" يُقَالُ : نَزَلَ العدوُّ ببَنِي فُلَان في الْخَيْل فجاسَهُم وحاسَهُم وداسَهم إذا قَتَلَهُمْ وَتَخَلَّلَ دِيَارَهُمْ وَعَاثَ فيهِمْ . وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي الزهراني ، في كتاب "العين" : والدَّوْسُ : الدِّيَاس ، والبقر التي تَدُوس الكُدْس هي : الدَّوائس .. والمِدْوَس : الذّي يُداسُ به الكُدْس يُجَرُّ عليه جَرًّا . والجميع مَداوس. والمِدْوَسُ : خَشَبةٌ يُشَدُّ عليها مسَنٌّ يَدوسُ بها الصَّيْقلُ السَّيْفَ حتّى يَجْلُوَهُ، وجمعه مَداوس ، والدوس : شدة الوطء بالأقدام حتّى يتفتَّت ما وطئ . وفي كتاب "تهذيب اللغة" يُقَال : طَرِيقٌ مَدُوسٌ . والخَيْلُ تَدُوسُ القَتْلى بحوافرها : إذا وطئَتْهم . وَأَنْشد : فداسُوهُم دَوْس الحَصيد فأهْمدُوا[1] وَقَالَ أَبُو زيد : فلانٌ دَيسٌ من الدِّيسَة : أي : شجاعٌ شَديد يَدُوس كلَّ مَنْ نَازَلَه . وورد في قاموس "المصباح المنير في غريب الشرح الكبير" دَاسَ الرَّجُلُ الْحِنْطَةَ يَدُوسُهَا دَوْسًا وَدِيَاسًا وكل ما ورد لا تخرج عن معاني الشدة والقوة والصّلابة. وتقع دوس في الجزء الشمالي الغربي من سراة زهران وتهامتها ، لقول أبي الفداء بعد أن ذكر القبائل النازحة عن مأرب ومن بينها دوس : وسكنت بنو دوس إحدى السروات المطلة على تهامة وكانت لهم دولة بأطراف العراق ، وأول من ملك منهم : مالك بن فهم بن غنم بن دوس[2] .

ودوس معروفة بهذا الاسم منذ أن كانت ضمن قبائل زهران الأخرى في موطنها الأصلي بسبأ حول سد مأرب الشهير ، لقول الشيخ حمد الجاسر ، نقلا من كتاب السيرة لدغفل: وسارت أولاد دوس ابن زهران بن نصر بن الأزد في أهاليهم إلى أرض تهامة ، فجاوروا أولاد معد بن عدنان فيها[3]. ولذا فقد ظن بعض المؤرخين أنها قبيلة مستقلة لا يربطها نسبٌ بزهران ، والصحيح أنها إحدى قبائل زهران النازحة من أرض سبأ ، ولكن لشهرتها في الإسلام وكثرة المسلمين من هذه القبيلة الزهرانية في أول الإسلام أكثر من غيرها من قبائل زهران الأخرى فكان الرجل منهم إذا قيل له ممن الرجل قال: من دوس . مما جعل بعض النسابين يعتقد أنها ليست من زهران . ويورد الشيخ حمد الجاسر رحمه الله في سبب اشتهارها آنذاك عن جدها زهران عدة أمور نوجزها

---

(١) تهذيب اللغة :٣١/١٣ ، ولسان العرب : ٩٠/٦ بلاد عزو . (ابن سدران).

(٢) يا أستاذ بن سدران مازال هناك قبائل أزدية زهرانية وغامدية لها تاريخ عريق ومذكور في كتب التراث الإسلامي ، ونرجو أن تتولى هذه العشائر أو القبائل بالدراسة والتوثيق والتحليل . (ابن جريس) .

(٣) في سراة غامد وزهران . ٢٢٣. (ابن سدران) .

فيمـا يلي[١] (١) سكناهـم في قمة السـراة ، مما جعل بلادهم حصينـة ، أكسبتهم قوة وتماسكا، وبقاء . (٢) انتشار أفرادها خارج بلادها ، حيث انتقل منهم أناس إلى عمان والعـراق ، فكونوا إمارتـين في تلك البلاد[٢] . (٣) مسارعة رجالها إلى الإسلام ، وبروز كثـير منهـم في جانب من جوانب المعرفة الإسلاميـة.[٣] (٤) إخلاص كثير من رجالها وصدقهـم في تلقـي الدعوة الإسلامية . وما قاله الشيخ يعـد حقيقة واقعة في حق أفراد هـذه القبيلة الدوسية ، وأحـب أن أضيف نقاطًا أخرى ، أراهـا من وجهة نظري متممة لتلـك الأسباب الداعية إلى شهرة ذلك الفرع الدوسي وغلبته على أصله "زهران" ، وعلى غـيره من فروع زهران الأخرى فأقول : (أ) إن من يتتبعُ أسماء القبائل العربية المهاجـرة من أرض سبأ، يجد أن بعض المؤرخين عد دوسًا وبعضًا من بطون زهران الأخـرى من بين تلك القبائل المهاجـرة التي كانت حول السد ، وهذا يعني أن هذه البطون التي تفرعت عن زهـران كانت معروفة بمسمياتها تلك ولما تزل في مواطنها الأصلية بسبأ ، ومن بينها قبيلة دوس ، وحين انتقلت إلى مواطنها الجديدة في السراة ، وعُمـان ، والعـراق ، ظلت محتفظة بمسمياتهـا التـي عرفت بها من قبـل ، فشهرت بها واستغنى رجالهـا ومن نزح معهم من قبائل زهران الأخرى بتلك المسميات عن غيرها .(ب) وهناك حقيقة أخرى وهي أن أكثر رجـال زهران المشهورين في العصر الجاهلـي وصدر الإسلام إنما كانوا من هذه القبيلة الدوسية . من أمثال: الطفيل وأبي هريرة رضي الله عنهما . وفي العصر الجاهلي أمثال : مالـك بن فهم الدوسي ، حاكم عُمَان، وابنه جذيمة الأبرش، حاكم الحيرة بأرض العراق ، وعمرو بن حممة حكيم العرب وغيرهم . (ج) كانت دوس في العهد الجـاهلي مركزًا من مراكز العبادة الوثنية المعروفة لدى عرب الجزيرة ، فاكسبها ذلك شهرة واسعة .

ويزعـم النَّسَّابـون أنهـم من ولد عـدوان بن عمرو بـن قيس عيلان بـن مضر[٤] . وأن ليلـى بنت الظرب (أخـت عمرو بن الظرب العدواني) هـي أم دوس بن عدثان[٥] .

---

(١) في سراة غامد وزهران : ٢٢٦. (ابن سدران).

(٢) الحقيقـة أنها ثـلاث إمارات .الأولى في عُمان برئاسة مالك بن فهم الدوسـي، والثانية والثالثة برئاسة ابنيه ، واحدة في الحيرة برئاسة ابنه جذيمة بن مالك المعروف بالأبرش، والأخرى في مكران من أرض فارس برئاسة ابنه سليمة بن مالك.(ابن سدران).

(٣) هنـاك عشـرات الرجال الذين خرجوا من عشيرة دوس ومن غيرها مـن قبائل تهامة والسراة ، فأبلوا بـلاءً حسنـاً في الفتوحات الإسلامية ، وفي بناء الحضارة الإسلامـي ، ونأمل أن يتولى هذا الجانب أحد الباحثـين الجاديـن فيكون عنوانـا لرسالة ماجستـير أو دكتـوراه في أقسام التاريـخ في المملكة العربية السعودية. (ابن جريس) .

(٤) جمهرة أنساب العرب لابن حزم (٢٤٣/١). (ابن سدران).

(٥) المزهر في علوم اللغة وأنواعها (٤٣٣/٢). (ابن سدران).

لكـن ليسـ هذا بصحيـح ، لأن نسب قبيلةِ دوس كمـا ورد عند قُدَامَـى النسابين يتصل بيعـرب بـن قحطان ، جـدّ القبائل اليمنيـة ، ولا يمـت إلى العدنانيين بصلـة . فنسبها المتصـل بيعـرب بن قحطان كالتـالي: دوس بن عدثان بن عبد الله بـن زهران بن كعب بـن الحـارث بن كعب بـن عبدالله بن مالـك بن نصر بـن الأزد بن الغـوث بن نبت بن مالك بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان[١] . ويشتركون هم وبقية قبائل زهـران الأخـرى ، وكذاك قبائـل الأزد في هذا النسـب اليعربي[٢] . أمـا كيف استقرت دوسـ على هذا الجزء السـروي من سراة زهران ، فيذكر لنا المؤرخـون أن قبائل الأزد ومنها قبيلة زهران هاجرت من أرض سبأ باليمن ، قبيل انهيار سد مأرب وذلك في عام (١١٥) قبـل الميـلاد ، وسـارت بجموعها حتى وصلـت أرض تهامة فاستقـرت بها ، ولما تلاحقـت الأزد ضاقت بهم تلك الأرضـ ، فاتفقت قبيلة بني بجيلة "بني مالك" مع بني الحـارث بن عبد الله بـن يشكر بن مبشر بن الصعب بن دهمـان بن نصر بن زهـران. وهم الغطاريف على إجلاء قبيلة خثعم عن جزء من أرض السراة، إذ كانت أغلب أرض السـراة آنذاك لقبيلة خثعم فاتفقـت الغطاريف وقبيلة بجيلة (بنـي مالك حاليًّا) على الاستعانـة بقبائـل الأزد القاطنـة في الجزء التهامـي لدحر قبيبلة خثعـم عن جزء من ديارها على أن تُسْكن قبائل الأزد في تلك الأجزاء بعد تحريرها ، ولما تمكنت الغطاريف وبجيلـة وسائر قبائَل الأزد مـن هزيمة خثعم ، أسكنت الغطاريف قبائل زهران القادمة مـن تهامة في نواحي سراة زهران ، فسكنت دوس في الشمال الغربي من سراة زهران ، فيما يعرف بسراة دِوس ، ومن قبائلهم في هذا الوقت : بنو منهب ، وبنو فهم ، وبنو علي، وبنو الطفيل (وبالطُّفيل) وآل عَيَّاش ، وسكنت بنو أوس (بنو يوس) الجزء الجنوبي من سـراة زهـران فيما يُعرف بسراة النمر بـن عثمان ، ومن قبائلهم حاليًّـا : "بنو كنانة ، وبالخزمـر ، وبنـو حسن ، وبيضان وبنو عامر" . وسكنت بنو سلامان شرقي قبيلة دوس وشمالي قبيلة بني أوس فيما يُعرف حاليًّا بديار بني عُمَر، ومن القبائل التي سكنت ديار بنـي سلامـان من بعدهم: بنو عَدْوَان ، وبنو حُرَيْر ، وقُرَيْشـ ، وبنو جُنْدُب ، وبنو بَشِيْر. فكانت الغطاريف لها السيادة على بقية قبائل زهران ، لأنها هي التي أسكنتهم تلك البلَاد، لقول الأصفهاني في كتابه الأغاني[٣]: "إن الحارث بن عبد الله بن بكر بن يشكر بن مبشر

---

(١) المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية (٢٧١/١). (ابن سدران).

(٢) يـا ابـن سدران إن عشائر السروات وتهامـة الممتدة من اليمن إلى الحجاز تحتـاج إلى دراسات علمية موثقـة ليسـ في الأنساب فقط وإنما في ميادين عدة وبخاصة في العصـور السابقة للإسلام ، والقرون الإسلامية المبكرة والوسيطة. (ابن جريس).

(٣) الأغاني : ٢١٢/١٣، ٢١٣. (ابن سدران).

ابـن الصعب بن دهمان بن نصر بـن زهـران ، كان يأخذ من جميع الأزد إذا غنموا الربع، لأن الرياسة في الأزد كانت لقومه، وكان يقال لهم الغطاريف ، وهم أسكنوا الأسد (الأزد) بلـد السـراة". ولم يبطل تلك الإتـاوة إلا عم حاجز بن عوف السلامـاني الزهراني ، من قبيلة سلامان بن مفرج بن مالك بن زهران، اسمه مالك بن ذهل ابن مالك بن سلامان، كان فارسـا مهيبـا وهو الذي أبطل عادة المرباع التي كانت عليهـم لبني عمهم الغطاريف، فلقد غزت بنو فقيم بن عدي بن الديل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة، الغطاريف فظفرت بهـم، فاستغاثـوا ببني سلامـان ، فأغاثوهم حتى هزموا بني فقيم وأخـذوا منهم الغنائم وسلبوهـم، فـأراد الحـارث الغطريفي ، أن يأخذ ربـع الغنيمة كما كان يفعـل في السابق ، فمنعه مالك بن ذهل السلاماني ، من ذلك ، وفي ذلك يقول حاجز في أبيات له[1]" :

أبـي ربـع الـفـوارس يـوم داج وعـمـي مـالـك وضـع الـسـهـامـا

وعـن حـرب قبائـل الأزد قبيلة خثعـم وزحزحتها عـن هذه الديـار ، يقول ياقوت الحمـوي في معجمه (٣١٩/١) : "وأقامت خثعم بن أنمار في منازلهم من جبال السراة وما والاها جبل يقال له : شن وجبل يقال له : بارق وجبـال معهما ، حتى مرت بهم الأزد في مسيرهـا مـن أرض سبأ وتفرقها في البـلاد ، فقاتلـوا خثعما فأنزلوهم من جبالهم ، وأجلوهم عن منازلهم ، ونزلتها أزد شنوءة : غامد وبارق ودوس وتلك القبائل من الأزد ، فظهـر الإسلام وهم أهلها وسكانها". هذا فيما يخص قبائل زهران التي في السراة ، أمّا التي في تهامة فلا تخرج عن أصل قبائل سراة زهران المار ذكرها ، حيث آثروا البقاء في تهامـة بعد طلوع غالبيتهم إلى أرض السراة كمـا رأينا سابقًا وهي : قبيلة الشَّغْبَان ، وقبيلة بالمُفَضَّل ، وقبيلة أولاد سعدي ، وقبيلة آل عبد الحميد ، وقبيلة أحلاف باللَّسْوَد ، وقبيلة آل سعد ، وقبيلة الجُبَّر ، وقبيلة أحلاف دَوْقَة ، ويندرج تحت هذه المسميات قبائل أخـرى ، بالإضافـة إلى مجموعة قبائل تتبع إمـارة منطقة مكة المكرمـة . وكان لقبائل زهـران مينـاء بحري في قريـة دوقة الواقعة علـى البحر الأحمر ، ذكر ذلـك الأستاذ : علـي السلـوك، نقلاً عـن الشيخ عبد المجيد بـن راشد بن رقوشـ ، رحمهما الله ، حيث قـال له: إن ابن عائض ، حاكم عسير سابقًا كلـف غامد وزهران بشراء سفينتين، وقد قامـا بشـراء سفينتين بمبلغ أربعمائة ريال وربع وثمن ! وقـد أبحرتا من ميناء دوقة[2].

---

(١) انظـر : الأغـاني : ٢١٣/١٣ .أكـرر القول هـذا الكلام الذي أوردتـه ذكرته بعض كتب التاريـخ والأدب ، وهي من المصادر الرئيسية في دراسة التاريخ ، لكن مازلنا بحاجة إلى معرفة كتب النسب في هذه الأقوال.(ابن جريس).

(٢) المعجـم الجغرافي لبلاد غامد وزهران : ١٠٢ . يا علـي ذكرت في هذه السطور عدة مواضيع مثل صلات قبائـل السراة بفروعهـا في تهامة وبخاصة التي تقع عند سفوح جبال السـروات الغربية. وكذلك أهمية

وقـد تقابلت أثناء زيارتي لدوقة ، في صيف عام (١٤١٤هـ) ، مع أحد أبنائها الطاعنين في السـن، وهـو إمام أحـد المساجد في دوقة ، فذكـر لي أنه كانت توجـد بالفعل فُرْضَة في عهـد الملك عبد العزيـز آل سعود وأن الآمر عليها آنذاك أحـد أبناء دوقة ، ويُدعى : صالـح بن عبد الله بن زيلع الزهـراني . ويحدثنا التاريخ أن حكامهم كانوا من أنفسهم حيـث حكمهم في العهد الجاهلي أسَر مـن قبيلة الغطاريف، بعد استقرارهم على أرض السـراة، ومالك بـن فهم الدوسي ، قبل رحيله إلى عُمَان ، ثم مـن بعده آل حُمَمَة ، وقد عرفنـا منهم : حممـة بن الحارث ، وابنه عمـرو بن حممة ، الذي بلغ مـن العمر قرابة أربعمائة سنة [١]، وهو القائل لدوس بعد ترؤسه عليهم " يا معشر دوس ؛ لقد كلَّفتموني ثقـلاً ، إن القلـب يخلـق كما يخلق البدن ، ومَـن لكم بأخيكم إنْ كنتـم سوَّدتموني فإني ألنـتُ لكم جانبي ، وخفَّفْت عليكم مئونتي وتحمَّلت مئونتكم[٢] .." ثم انتقل الحكم قبيل الإسـلام إلى أبـي أزيهر الغطريفي ، وبعد ذلـك إلى سعد ابن أبي ذباب وقيل ذئاب ، والطفيل بن عمرو الدوسيين رضي الله عنهما ، ولما جاء الإسلام جدد رسول الله ﷺ ، الإمـرة لسعد بن أبي ذباب الدوسي ، على دوس واستمر في إدارة دفة حكم القبيلة حتى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أما الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه ، فقـد آثَر الجهـاد في سبيل الله على المشيخة فالتحق بجيوش المسلمين مجاهدًا في سبيل الله مـع رسـول الله ﷺ، إلى أن استشهد في يوم اليمامـة ، في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، أما في العصر الأموي ، فلا نعلم عن ولاة دوس أو قبائل زهران الأخرى شيئـا ، غير أنه من المؤكد أنها كانت تتبع إمـارة الطائف، كبقية قبائل الأزد الجنوبية . وفي عهد المهدي العباسي ، عين عبد الرحمن بن عبد الله بن النعمان الدوسي على إمرة السراة[٣] ، فقتل بعد عام تسعة وستين ومائة في معركة مع أحد أمراء عسير واسمه علي بـن محمد[٤] . ومنذ أواسط القرن الثالث الهجري، سرى الضعف يدب في جسم الدولة العباسيـة ، مما أطمع فيها الـولاة والحكام، فصاروا يستقلـون بالحكم مع احتفاظهم

البحر الأحمر وبعض موانئه التي تخدم سكان السراة وتهامة . وللأسف إن هذه الميادين لم تخدم بحثياً ، ونأمل من المؤرخين الجادين من يتولاها بالدراسة والتحليل. (ابن جريس) .

(١) هذا قول مبالغ فيه . (ابن جريس) .

(٢) لطائف الأخبار وتذكرة الأبصار : ٤٥ (ابن سدران) .

(٣) جمهـرة أنساب العـرب لابن حزم (٣٨٢/١) . تاريـخ الولاية أو الإدارة في بلـدان تهامة والسراة خلال عصـور ما قبل الإسـلام وبعده لم تدرس ومن الموضوعات الجديدة ، حبـذا أن نرى باحثاً جاداً فيتوله بالبحث والتوثيق (ابن جريس) .

(٤) امتـاع السامـر بتكملـة متعة الناظـر ؛ ٩ . (ابن سدران) . هـذه المعلومة يجب أن توثـق من مصدر أو مصادر مبكرة وليس من مرجع حديث . (ابن جريس) .

بسيادة اسمية للخليفة القابع في قصره القانع بما يرسل إليه، فكانت زهران كبقية القبائل العربية الأخرى التي انفصلت عن السلطة الحاكمة في بغداد ، تُحكم بواسطة شيوخ من أبنائها، ولا شأن لهم بالحكومة المركزية ، وكانت تلك الفترة مظلمة لا تفصح عن أحد من حكامهم إلا ما كان من القرون الأخيرة فقد ذكرت الوثائق أن زعامة دوس كانت لشيوخ من أسرة آل خضران ، من بني منهب بن دوس من قرية (عَمَضَان) ، وأسرة آل الصُّغَيِّر من بني فهم بن غنم بن دوس ، من قرية كانت تسمى (مَحْظِيَّة) . اسمها الآن "الْهَرَّة" وظلوا حكامًا عليها إلى عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، وأول شيخ عُرف من أسرة قبيلة بني منهب هو : الشيخ خضران بن عطية المنهبي الدوسي المعروف بخضران الأول ، كما أن أول شيخ عرف من قبيلة بني فهم هو الشيخ: مبارك بن فرحان الفهمي الدوسي ، وقد قتل في أبها مع الأمير العسيري : محمد بن عائض، سنة (١٢٨٩هـ) ثم انقسمت القبيلة في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، إلى خمس قبائل هي : مشيخة تضم قبائل بني منهب ، وبني الطُّفيل ، وبني علي ، وآل عَيّاش، في يد شيوخ آل خضران من قرية (عَمَضان) ، ومشيخة قبيلة بني فهم، في يد شيوخ آل الصُّغَيِّر من قرية (الهَرَّة) التي ذكرنا سابقًا أن اسمها كان (محظية) ، وأول شيوخها هو الشيخ : مبارك بن فرحان الفهمي الدوسي . كما تقدم ، ثم انتقلت مشيخة بني فهم من أسرة شيوخ الصغير، إلى أسرة شيوخ الدَّامُوك الفهمية بقرية (آل خَاجَة) ، وأولهم الشيخ : سعيد بن محمد الداموك ، وشيخهم الحالي هو الشيخ خضران بن فراج بن سعيد بن محمد الداموك ، إثر وفاة والده الشيخ فراج بن سعيد الداموك ، وفي سنة (١٣٦٦هـ) ، انفصلت كل من قبيلتي بني علي ، وآل عياش ، عن مشيخة قبيلة بني منهب وكونتا مشيختين ، الأولى وهي مشيخة بني علي ، بزعامة أول شيخ لها هو الشيخ فرحة بن علي العلوي الدوسي ، من قرية (رَمَس) سنة (١٣٦٦هـ) . ولما توفي أعقبه ابنه الشيخ : عبد ربه ابن فرحة ، والشيخ الحالي هو الشيخ مساعد بن عبد ربه العلوي الدوسي ، مع العلم أنّ القبيلة لمّا كانت تتبع لمشيخة ابن خضران كان لها شيوخ من أبنائها يقومون على رعاية مصالح أفرادها ، عرف منهم الشيخ : الشاطئ بن فايز من قرية (الرّيحان) ، والشيخ سعيد بن عيْفَة ، من قرية (آل عيْفَة) ، والشيخ : مشرف بن حكيم العلوي الدوسي، من قرية (رَمَسْ) ، ثم استقرت المَشيخة في بيت الشيخ فرحة بن علي . وترأس على المشيخة الثانية وهي مشيخة آل عَيَّاش بعد انفصالها في العهد السعودي الثالث ، الشيخ : مسفر بن عبد الله العياشي الدوسي ، من قرية (غُدَي) ثم ابنه الشيخ عيسى بن مسفر بن عبدالله العياشي الدوسي، ثم انتقلت المشيخة إلى الشيخ يحيى بن أحمد العَيَّاشِي الدوسي، من القرية نفسها، وفي

أثنــاء مرضه كان يدير المشيخــة ابنه محمد ابن يحيى العياشي الدوسي ، بينما احتفظ شيــوخ آل خضران بقبيلتــي بني منهب وبالطفيل ، وشيخهم في هــذا الوقت هو : الشيخ عوضــ بن خضران المنهبي الدوسي، وعندما نشــأت الحكومة السعودية الأولى انضمت قبيلــة زهران إليها وشاركت قبائل دوس بجيش لغزو جنوب العراق، مع الإمام سعود بن عبــد العزيز ابن محمد ، بقيــادة الشيخ مبارك بن فرحان الفهمي الدوسي ، شيخ قبيلة بنــي فهــم الدوسية . كما شاركــت في عهد الملك عبد العزيز بن عبــد الرحمن آل سعود في فتــح المدينة النبويــة بقيادة الأمير أحمد بــن عَبّسي الفهمي الدوســي[١] . بالإضافة إلى مشــاركات لحفظ الأمن داخل البلاد قام بهــا الشيخان راشد بن جمعان بن رقوش الزهــراني ، والشيخ مَكّي بــن جَمَل الغامدي . وتخلل تلك الحقبــة التي كانت دوس تدار بواسطــة شيــوخ من أبنائهــا أنْ دخلت دوس وسائــر قبائل زهران ســراة وتهامة ، تحت شياخــة الشيخ : علــي القُفْعي: من قرية قُــرَّا ، إحدى قُرَى قبيلة بيضــان بالسراة ، جاء في منشــور أرسلــه الإمامَ سَعود ابن عبد العزيز بن محمد بن سعــود ، أحد حكام الدولة السعوديــة الأولى، إبَّــان دخول الحجــاز تحت حكم آل سعود ، سنــة ألف ومائتين وثماني عشــرة هجرية: " وأمير العامَّــة علي القفعي ، ولَزْمَتُه[٢] يقوم على الأمراء، فالأمير اللي يقــوم بحــق الإمارة أجره علــى الله ، واللي ما يقوم ويعمل بما دبرنــا يعزل ويحط يرابط فــى الثغــر[٣]" . ثم حكم من بعده القائد الحربي الأمــير : بخروش بن علاس بن مسعود القرشي الزهراني ، من قرية "العُدَيَّة" التابعة لقبيلة قريش ، أسماه بوركهارت في كتابه : " رحلات في شبه جزيرة العرب : ٤٠٣ " "شيخ زهران" . ولما مات مقتولا عام : (١٢٣٠هـ) انتقلــت المشيخــة إلى الشيخ : جمعــان بن راشد بن رقوش ، من قريــة "بني سار" التابعة لقبيلة بني عامر إحدى قبائل بني أوس الزهرانية ، عام: (١٢٥٨) ثم إلى ابنه راشد ابن جمعان بن رقوش، وقد حكما زهران قُرَابة مائة سنة من عام : (١٢٥٨هـ ـ ١٣٤٨ هـ) [٤] . ثم استقلت بعد هذا التاريخ كل قبيلة بشيوخها لأسباب خلافية .

---

(١) انظر لما سبق : كتابنا :بطون قبيلة زهران : يا علي سردت معلومات عامة من قبل الإسلام إلى وقتنا الحاضر ، ولا نقــول إلا شكــر الله لــك ، ونأمل أن نرى بعض الباحثين من دياركم أو مــن أبنائنا طلاب الدراسات العليا فيتولوا هذه النقاط العامة التي أشرت إليها فتدرس في بحوث تفصيلية موثقة. (ابن جريس) .

(٢) معنى لَزْمَتُه ، واجبه . (ابن جريس) .

(٣) انظر كتاب : بطون قبيلة زهران : ٣٣٠ . (ابن سدران) .

(٤) تخللهــا سنــوات غَــزْل يسيرة من قبل الأتراك لأسبــاب غامضة ، (ابن ســدران) . أعتقد يا علي أنها معلومــات مبالــغ فيهــا . كما أن القائد بخروش بن علاســ وكذلك أسرة آل رقوشــ تستحق أن يفرد لها دراســات علمية موثقــة . ونأمل من أساتذة التاريخ في جامعة الباحة ، أو بعض المؤرخين الأكاديميين من زهران أن يدرسوا هذه العناوين في بحوث علمية موثقة.(ابن جريس) .

وقد شهرت دوس في الجاهلية بثقل مركزها القبلي بين القبائل العربية ، حيث كانت من القبائل ذات الجانب المرهوب بين قبائل العرب ، فغدت بعض القبائل تخطب ودها ، ورغبت في التحالف معها كقبيلة قريش وثقيف العدنانيتين، أورد خبر هذا الحلف "ابن حبيب" صاحب كتاب : المنمق في أخبار قريش (٢٣٣) فقال: "فلما حالفت قريش ثقيفا قالت قريش لثقيف : نطلب من دوس ما طلبنا منكم من الشركة في الدار ، فقالت ثقيف : بل دوس تحالفكم ، فركب عبد يا ليل بن معتب ، ومسعود بن عمرو ، وهما من ثقيف ثم من الأحلاف في نفر حتى أتوا دوسا فقالوا لهم إن قريشا طلبت منا أن ندخلهم في وجّ وأن يدخلونا في الحرم ، فأبينا ذلك عليهم ثم حالفناهم ، فرغبوا إلى ما عندكم فأدخلوهم وليدخلوكم وحالفوهم ، فحالفت دوس قريشا" . وقبل هذا الحلف وبعده كان رجال من قبيلة زهران عقدوا أحلافًا منفردة مع رجال من قبيلة قريش ، وذلك لرعاية مصالحهم بمكة حيث أنهم كانوا كثيرًا ما يقضون بعض الوقت في مكة المكرمة، فكان لا بد من عقد مثل تلك الأحلاف الفردية لتحاشي المضايقات من بعض السفهاء . وكان من رجال دوس المشهورين في الجاهلية حممة بن الحارث الدوسي ، كان من أسخى العرب، ومطعم الحاج في مكة المكرمة[1]، فقد كان يفد إلى مكة وقت موسم الحج بقافلة محملة بالطعام ، فيزاحم أعيان قريش وكرماءها على إطعام الحجاج طيلة أيام الموسم ، وكان من أجمل العرب ، فإذ ما نزل مكة تقَنَّع مخافة أن يفتتن به النساء أو يصاب هو بالعين . ذكر ذلك ابن حبيب في كتاب المحبر (٢٣٢) . أمّا ابنه عمرو بن حممة الدوسي ، حكيم العرب فقد كانت تتحاكم إليه العرب قُرابة ثلاثمائة سنة ، فعن مجالد الشعبي ، قال : " كنّا عند ابن عباس ، وهو في ضفة زمزم يفتي الناس إذ قام إليه أعرابيّ فقال : أفتيتهم فأفتنا قال : هات ، قال : ما معنى قول الشاعر[2]:

لذي الحِلم قبل اليوم ما تقرع العصا ... وما علّم الإنسان إلّا ليعلما

فقال له ابن عبّاس : ذاك عمرو بن حممة الدّوسي ، قضى بين العرب ثلاثمائة سنة ، فكبر فألزموه السابع أو التاسع من ولده ، فكان إذا غفل قرع له العصا . فلما حضره الموت اجتمع إليه قومه فأوصاهم بوصية حسنة فيها حكم ، تقدم نصها[3]. وقد جمع أبا عمرو : حممة بن رافع الدوسي ، وعمرو بن الظرب العدواني ، مجلس عند ملك من ملوك حمير ، فقال لهما الملك : تساءلا حتى أسمع ما تقولان . ويبدو أن

---

(١) انظر : العقد الفريد : (٣/٣٣٦) ، (ابن سدران).
(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٦١٥/١) والبيت للمتلمس وهو في ديوانه : ٢٦(ابن سدران).
(٣) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٦١٥/١). (ابن سدران) .

الملــك ليس بحاجة إلى تساؤلاتهما لبعض ، ولكنه يريد اختبار فصاحتهما . فقال عمرو لحممة : أين تحب أن تكون أياديك ؟ قال عند ذي الرثية[١] العديم ، وعند ذي الخلة[٢] الكــريم ، والمعســر الغريم ، والمستضعف الهضيم . قال: مــن أحق الناس بالمقت ؟ قال : الفقــير المختال ، والضعيف الصوال، والعي القوال . قال: فمن أحق الناس بالمنع ؟ قال: الحريصــ الكانــد[٣] والمستميد[٤] الحاسد ، والملحف الواجد . قــال : فمن أجدر الناس بالصنيعــة ؟ قــال : مــن إذا أعطي شكر ، وإذا مُنع عــذر ، وإذا مُوطل صبر ، وإذا قدُم العهــد ذكــر . قال: من أكرم الناس عشرة ؟ قال : من إن قــرب منح ، وإن بعُد مدح ، وإن ظلم صفح ، وإن ضُويق سمح. قال : من ألأم الناس ؟ قال : من إذا سأل خَضَع ، وإذا سُئل مَنَــع ، وإذا ملــك كَنَع[٥] ، ظاهره جَشَع[٦] ، وباطنه طَبَع[٧] . قال : فمن أحلم الناس؟ قال : مــن عفــا إذا قدر ، وأجمل إذا انتصر ، ولم تُطغه عــزة الظفر. قال : فمن أحزم الناس ؟ قال : من أخذ رقاب الأمور بيديه ، وجعل العواقب نُصب عينيه ونبذ التهيُّب دَبْر أذنيه[٨] . قــال: فمــن أخرق[٩] الناس ؟ قــال : من ركب الخطــار ، واعتسف[١٠] العثــار ، وأسرع في البــدار قبــل الاقتدار . قال : فمن أجــود الناس ؟ قــال : من بذل المجهــود ، ولم يأس على المعهــود. قــال : فمن أبلغ الناس ؟ قال : من حلى المعنــى المزيز[١١] باللفظ الوجيز، وطبق المفصــل قبــل التحزيز . قال: من أنعــم الناس عيشًا ؟ قال : من تحلــى بالعفاف، ورضي بالكفاف، وتجاوز ما يخاف إلى ما لا يخاف. قال: فمن أشقى الناس ؟ قال من حسد على النعم ، وتسخط على القسم ، واستشعر الندم على فوت ما لم يحتم. قال: من أغنى الناس ؟ قــال : من استشعــر اليأس وأبدى التجمل للناس[١٢] ، واستكثر قليل النعم ، ولم يسخط

---

(١) الرثية: وجع المفاصل واليدين والرجلين . (ابن سدران) .
(٢) الخَلّــة: الحاجــة . والخُلّــة : الصداقــة . (ابن سدران) . مــن يدرس كتب التراث يجــد هناك الكثير مــن الحكــم والأقوال التي صدرت من رجال يعودون في أصولهم إلى بــلاد تهامة والسراة. حبذا أن نرى مــن يدرس الأقوال السديــدة ، والأمثال والحكم التي عرفتها بلاد الســراة وتهامة خلال عصور ما قبل الإسلام وبعده. (ابن جريس) .
(٣) الكاند: الذي يكفر النعمة . (ابن سدران) .
(٤) المستميد: المستعطي . (ابن سدران) .
(٥) كنع : تقبض يريد أنه ممسك بخيل . (سدران) .
(٦) الجشع : أسوأ الحرص . (ابن سدران) .
(٧) الطبَعَ : الدنس . (ابن سدران) .
(٨) يقال : جعلت الشيء دبر أذني إذا لم ألتفت إليه . (ابن سدران) .
(٩) الأخرق : الأحمق . (ابن سدران) .
(١٠) الاعتساف : ركوب الطريق على غير هداية ، وركوب الأمر على غير معرفة . (ابن سدران) .
(١١) المزيز من قولهم : هذا أمر من هذا أي أفضل منه وأزيد .
(١٢) يا سبحان الله أقوال وعبارات جميلة في معانيها ومظانها وما تحث عليه . وهذا لا يستغرب فأهل السراة

علـى القسـم . قال : فمن أحكـم النـاس ؟ قال مـن صمت فادّكر، ونظـر فاعتبر ، ووعظ فازدجر. قال : من أجهل النـاس ؟ قال : من رأى الخرق مغنمًا ، والتجاوز مغرما[١]".

أو تلـك المفاخـرة التي جرت بين طريف بن العاصـي الدوسي ، والحارث بن ذبيان ابـن لجـا بن منهب، وكلاهما من قبيلـة دوس ، عند بعض مقاول حمـير ، وما فيها من بلاغة[٢] وبيـان . واشتهـر من رجالهـم في العصرين الجاهلـي والإسلامي: جندب بن عمرو بن حممة بن عوف الدَّوْسي (رضي الله عنه) ، كان يقول في الجاهلية: "إنَّ للخلق خالقًا لكني لا أدري من هو" ؟ فلما سمع بخبر النبي ﷺ خرج ومعه خمسة وسبعون رجلاً من قومه فأسلم وأسلموا. قال أبو هريرة : فكان جندب يقدِّمهم رجلاً رجلاً[٣]" . اسْتُشْهدَ بأَجْنَادينَ وقيل باليرموك ، وقال قبل استشهاده وهو يحض الأزد على قتال الكفار : "يا معشـر الأزد إنـه لا ينجو من القتل والعـدو والإثم إلا من قاتـل ، ألا وإن المقتول الشهيد والخائـب مـن تولى ، ثم أخذ يقول يـا معشر الأزد : إنه لا يمنع الرايـة إلا الأبطال[٤]". ومنهـم " مُعيقيـب بن أبي فاطمة الدوسي ، رضي اللّه عنـه ، كان على خاتم رسول اللّه صلّـى اللّه عليه وسلّـم ، فاستعمله أبو بكر وعمر رضـى اللّه عنهما على بيت المال"[٥]. وهـو الـذي سقط منه خاتم النبي ﷺ[٦] ، في عهد عثمـان بن عفّان رضي اللّه عنه ، في بئـر أريس بالمدينة النبوية ، أراد أن يناوله عثمـان وهو جالس على حافة البئر ، فسقط فيمـا بينهمـا ، وكان مِـنْ حَدِيد مَلْـوِيٍّ عَلَيْه فضَّـةٌ[٧]. وسواد بن قـارب الدوسي رضي اللّه عنـه، كان أحد كهان العـرب في الجاهلية ، اشتهر بالكـرم أدرك الإسلام فأسلم ، وصحـب النبـي ﷺ ، وكان شاعرًا ألقى بين يدي الرسـول ﷺ قصيدة تعد من عيون الشعـر العربي ، وكان له رئي من الجن يـزوده بالأخبار، فلما أسلم انقطع عنه رئيه ولما بلـغ دوس وَفَاة رَسُـولِ اللّهِ- ﷺ - قَامَ حِينَئِذٍ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْأَزْدِ ، إنّ مِنْ سَعَادَةِ الْقَوْمِ

ظهـر فيهـم الشعراءوالحكماء قبل الإسلام وبعده . ومازلت أقـول أن هذه البلاد غنية بموروثها المحتاج إلى جمع ودراسة وتحقيق . (ابن جريس).

(١) الأمالي للقالي :٢٧٦/٢ العقد الفريد : ١١٧/٢. (ابن سدران) .
(٢) انظر : كتاب : الأمالي ، لأبي علي القالي : ٧٣/١ . (ابن سدران) .
(٣) حياة الصحابة (٢٣٨/١) . (ابن سدران) .
(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٥٣/٢). (ابن سدران) .
(٥) إمتاع الأسماع (٢٣٨/٩) . (ابن سدران) .
(٦) الكامل في التاريخ (٧٥٥/٢) . (ابن سدران) .
(٧) البدايـة والنهايـة : (٣٧٧/٥) . كلمـا وسع الباحث قراءاته في كتب الـتراث الإسلامي ، وحاول معرفة تاريـخ وتـراث أرض وسكان السراة وتهامة فإنه بدون شك سوف يجـد أعلاماً كثيرين ينتمون إلى هذه البلاد ولهم تاريخ وآثار حسنة .(ابن جريس).

أَنْ يَتّعظُوا بغَيْرهمْ وَمنْ شَقَائهمْ أَلّا يَتّعظُوا إلا بأنْفُسهمْ وَمَنْ لَمْ تَنْفَعْهُ التّجَاربُ ضَرّتْهُ ، وَمَنْ لَمْ يَسَعْهُ الحَقّ لَمْ يَسَعْهُ البَاطلُ. وَإنّمَا تُسْلمُونَ اليَوْمَ بمَا أَسْلَمْتُمْ به أَمْس وَقَدْ عَلمْتُمْ أَنّ النّبيّ – ﷺ – قَدْ تَنَاوَلَ قَوْمًا أَبْعَدَ مَنْكُمْ فَظَفرَ بهمْ وَأَوْعَدَ قَوْمًا أَكْثَرَ منْكُمْ فَأَخَافَهُمْ وَلَمْ يَمْنَعْهُ منْكُمْ عدّةٌ وَلَا عَدَدٌ. وَكُلّ بَلَاء مَنْسيّ إلّا مَا بَقيَ أَثَرُهُ في النّاس وَلَا يَنْبَغي لأَهْل البَلَاء إلّا أَنْ يَكُونُوا أَذْكَرَ منْ أَهْل العَافيَة للْعَافيَة ، وَإنّمَا كَفّ نَبيّ اللّه عَنْكُمْ مَا كَفّكُمْ عَنْهُ فَلَمْ تَزَالُوا خَارجينَ ممّا فيه أَهْلُ البَلَاء دَاخلينَ ممّا فيه أَهْلُ العَافيَة حَتّى قَدمَ عَلَى رَسُول اللّه ـ ﷺ ـ خَطيبُكُمْ وَنَقيبُكُمْ فَعَبّرَ الخَطيبُ عَنْ الشّاهد وَنَقّبَ النّقيبُ عَنْ الغَائب. وَلَسْت أَدْري لَعَلّهُ تَكُونُ للنّاس جَوْلَةٌ فَإنْ تَكُنْ فَالسّلَامَةُ منْهَا: الأَنَاةُ وَاللّهُ يُحبّهَا ، فَأَحبّوهَا ، فَأَجَابَهُ القَوْمُ وَسَمعُوا قَوْلَهُ " . ولما مات الرسول ﷺ ، رثاه بالقصيدة التالية :

جلّتْ مُصيبتكَ الغدّاة سوادُ ... وأرى المصيبة بعدها تزدادُ
أبقى لنا فقْد النبيّ محمد ... صلّى الإله عليه ما يعتادُ
حزناً لعمركَ في الفؤاد مخامراً ... وهل لمَنْ فقدَ النبيّ فؤادُ
كُنّا نحل به جناباً مُمْرعاً ... جَفَّ الجنابُ فأجدبالرُّوّادُ[1]
فبكتْ عليه أرضُنا وسماؤُنا ... وتصدّعَتْ وجْدًا به الأكبادُ
كان العيان هو الطريف وحزنه ... باق لعمركَ في النفوس تلادُ
إن النبيَّ وفاته كحياته ... الحقّ حقٌّ والجهادُ جهادُ
لو قيل تفدون النبي محمداً ... بُذلَتْ له الأموالُ والأولادُ
وتسارعتْ فيه النفوس ببذْلها ... هذا له الأغياب والأشْهَادُ
هذا وهذا لا يرد نبينا ... لو كان يفديه فداه سوادُ
إنّي أُحاذرُ والحوادثُ جَّمة ... أمراً عاصفا ريحه إرعاد
إن حل منه ما يخاف فأنتم ... للأرض إن رجفت بنا أوتاد
لو زاد قوم فوق منية صاحب ... زدتم وليس لمنية مزداد

توفي رضي الله عنه في السنة الخامسة عشرة من الهجرة النبوية الشريفة[2] . وقد

(١) الجناب : ما قرُبَ من مَحَلّة القوم . المُمْرعُ : يقالُ مرَع المكانُ والوادي مَرْعاً ومَرَعاً وأمْرَعَ كُلُّه: أخصب وأكلاً ، أنشد للأعشى في اللّسان(٤١٨٣/٦) وهو في ديوانه ٢٨٥ . (ابن سدران) .
سَلس مُقَلّدُهُ أسيـ ... ل خَدُّهُ مَرعٌ جَنَابُهُ

(٢) الروض الأنف (٢١١/٢) . (ابن سدران) . هناك الكثير من الأعلام في ميادين شتى ، وجميعهم من بلدان تهامة والسراة،حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس تراجم أولئك الأعلام في الجاهلية والقرون الخمسة الأولى من عصر الإسلام .(ابن جريس) .

اصطدمت قبيلة دوس بقبيلة قريش في حروب عديدة كان منها :

(*)مقتل أبي أُزيهر الدوسي:

كان من حديث أبي أزيهر بن أنيس بن الخيسق بن مالك بن سعد بن كعب بن الحارث بن عبد الله ابن عامر وهو الغطريف بن بكر بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دهمان بن نصر بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن مالك بن نصر بن الأزد ، أنه كان حليفًا لأبي سفيان بن حرب وكانت دوس أخواله، وكان لا يعرف إلا بالدوسي، فكان يقعد هو وأبو سفيان في أيامهما في قبة لهما فيصلحان بين من حضر ذلك المكان الذي هما فيه، وكان أبو أزيهر قد زوج ابنته عاتكة، أبا سفيان فولدت له محمدا وعنبسة، وزوج زينب بنت أبي أزيهر، عتبة بن ربيعة ، فولدت له ربيعة ونعمان ، ثم خلف عليها أبو حبيب بن مهشم بن المغيرة، فولدت له وزوج ابنة له أخرى الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ثم أمسكها عنه، فلم يدخلها عليه حتى مات، قال وكان بلغ أبا أزيهر بعد ما زوجه وأخذ المهر منه أنه غليظ على النساء يضربهن، فحبس أبو أزيهر ابنته عنه، وأمسك المهر، قال ابن حبيب، وذكر إبراهيم بن عبد الرحمن بن نعيم الأزدي ، عن أشياخ الأزد أنها هديت إليه ، فلما هديت إليه قال : أنا أشرف أم أبوك ؟ قالت: لا بل أبي ؛ لأن أبي سيد أهل السراة ، وأن العرب يصدرون عن رأيه وإنما أنت سيد بني أبيك ، ومنهم من ينازعك الشرف، فرفع يده فلطمها ، فهربت إلى أبيها ، فحلف ألا يردها وأمسك المهر ، ولما حضر الوليد بن المغيرة، الموت أوصى بنيه الثلاثة وهم : خالد وهشام والوليد ، فقال لهم : أي بني؛ أوصيكم بثلاث : دمي في خزاعة فلا تطلوه ورباي في ثقيف فلا تدعوه حتى تأخذوه ، وعقري[1] عند أبي أزيهر الدوسي فلا يفوتنكم به. فلما نزل الناس سوق ذي مجاز ، وهو سوق من أسواق العرب ، فنزل أبو أزيهر على أبي سفيان بن حرب، فأتى بنو الوليد ، فسألوه المهر ، فقال : أما وأنتما تحت ظلال السيوف فلا ، فضربه هشام بن الوليد، فقتله، وكان مقتله بعد ما هاجر رسول الله ﷺ ، وانقضى أمر بدر ، وأصيب من أصيب من أشراف قريش من المشركين ، فدعا رسول الله رسول الله ﷺ، حسان بن ثابت رضي الله عنه، فقال له : يا حسان إنه قد حدث بين المطيبين وأحلافهم شر ، فقل في مقتل أبي أزيهر شعرًا تحرض

---

(١) العقر: المهر المدفوع من الزوج للزوجة. (ابن سدران) . الصلات بين أهل مكة وبلاد تهامة والسراة قديمة جداً ، وتلك الصلات في عصور ما قبل الإسلام وبعده لم تدرس في بحوث علمية ، وتحتاج إلى من يدرسها ويوثقها . (ابن جريس) .

بـه المطيبـين على الأحلاف[١]، وانبعث حسان يحرض في دم أبي أزيهر ويعير أبا سفيان خفرته ويجبنه ، فقال في أبيات[٢]:

غدا أهل حضني ذي المجاز بسحرة[٣] وجـار ابـن حـرب بالمغمَّس ما يغدو

فلمـا بلغ قوله يزيد بـن أبي سفيان خرج فجمع بني عبـد مناف وصاح في المطيبين فاجتمعوا وأبو سفيان بذي المجاز ، قال : أيها الناس ، أخفر أبو سفيان في جاره وصهره فهو ثائر ، فتهيأ يزيد ، واجتمع بهم وبرز بهم ، فلما رأت ذلك الأحلاف اجتمعوا فخيموا قريبًـا ، فلمـا رأي ذلك أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، خرج على فرس له حتى أتى أبا سفيان بن حرب ، فأخبره الخبر ، وكان أبو سفيان حليمًا منكرًا يحب قومه حبًّا شديـدًا ، وخشي أن يكون في قريش حرب في أبى أزيهر ، فدعا بفرسه فطرح عليها لبدًا ثم قعد عليه ، وأخذ الرمح ثم أقبل إلى مكة وبها الجمعان، وجعل أبو سفيان بن الحارث يقـول في الطريـق لأبى سفيان بـن حرب : فداك أبي وأمي أحجز بـين الناس ، فجعل لا يجيبـه إلى شيء حتى قدم عليهـم، فوقف بين الجمعين وقد تهيـأوا للقتال، فنظر فإذا اللـواء مـع ابنه يزيـد ، وهو في الحديد مع قومه المطيبين ، فنـزع اللواء من يده وضرب بـه بيضتـه[٤] ضربة هـدَّه منها ثم قال : قبحـك الله ! أتريد أن تضـرب قريشًا بعضها ببعض في رجل من الأزد ؟ لعمـري ما بدوس عجز عن طلب ثأرهم، سنؤتيهم العقل[٥] إن قبلـوه، ثـم نادى بأعلـى صوته: أيها الناس، إن خلفنا عـدو شامت-يعني النبي ﷺ ومتـى نفرغ مما بيننا وبينه، ننظر فيما بيننـا وبينكم ، فلينصرف كل إنسان منكم إلى منزلـه ، فتفرقـوا وأصلح ذلك الأمر، وبلغ أبا سفيان قول حسان فقال : يريد أن يضرب

---

(١) ابن حبيب؛ المنمق في أخبار قريش: ٢٠٠. المطيِّبون هم: بنو هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل بنو عبد مناف، وبنو أسـد بـن عبد العزى ، وبنو زهرة بن كلاب ، وبنو تيم بـن مرة ، وبنو الحارث بن فهر. والأحلاف هم : بنو عبد الدار بن قصي ، وبنو مخزوم بن يقظة ، وبنو جمح بن عمرو ، وبنو سهم بن عمرو بن هصيص ، وبنو عدي بن كعب . انظر المصدر السابق : ٢٠٠ .

(٢) ديوان حسان :٩١ . (ابن جريس).

(٣) حضنـي: مثنـى حضن وهو الجانـب والناحية ، بسحرة : السحـر بفتح السين : الفجـر . المغمس : جبل شرقي عرفات ،وقيل: المحصَّب(ابن سدران) .

(٤) البيضـة : غطـاء علـى الرأس يتلقى بـه الفارس الضربـات . (ابن سـدران). كان في الجاهلية حروب وصراعـات بـين قريش وبعض قبائل السراة ، وكان أيضاً بينهم صلات اقتصادية واجتماعية . وكل هذه الموضوعات لم تدرس وتستحق أن تكون عناوين لأبحاث أكاديمية أو رسائل علمية. (ابن جريس) .

(٥) العقل :الدية . (ابن سدران) .

بعضنا ببعض في رجل من دوس، فبئس والله ما ظن. وأرسل أبو سفيان إلى مائتي ناقة فعقل بها أبا أزيهر، ثم بعث بها مع رهط من قريش فيهم ضرار بن الخطاب، إلى قوم أبي أزيهر بالسراة، فأتوا بالدية رهط أبي أزيهر، فقبلوا منهم، ثم أمهلوا حتى إذا أرادوا الانصراف شدت عليهم الغطاريف، وهم أهل الحارث بن عبد الله بن عامر الغطريف والنمر ودوس، فقتلوا بعضهم ونجا بعضهم، فهرب ضرار بن الخطاب واستجار بامرأة من دوس يقال لها أم غيلان، فأدخلته منزلها وأجارته وأقبلت الأزد، فلما رأتهم أخرجت بناتها حسرًا دونه، فلما جاءت دوس تطلبه قالت: إني قد أجرته وحرماتكم حسر دونه، فإن شئتم اهتكوا الستر واستحلوا حرمته، فتركوه لها، فانصرف وهو يقول في أبيات:

جزى الله عنا أم غيلان صالحًا فهن ... ونسوتها إذ هن شعث عواطل
دعت دعوة دوساً فسألت شعابها ... وقد برزت للثائرين المقاتل
فهن دفعن الموت بعد اقترابه ... برجل وأردتها الشروج القوابل[1]

وعلم حسان بن ثابت رضي الله عنه بالأمر، وخشي أن تسكت دوس بعد أخذ الدية، فقال يحرضها على قريش:

يا دوس إن أبا أزيهر أصبحت ... أصداؤه رهن المضيَّح فاقدحي[2]
حرباً يشيب لها الوليد فإنما ... يأتي الدنية كل عبدٍ نحنح[3]
وابكي أخاك بكل أسمر ذابل ... وبكل أبيض كالعقيقة مصفح[4]
وبكل صافية الأديم كأنها ... فتخاء كاسرة تدف وتطمح[5]
وطِمِرَّة مرط الجراء كأنها ... سيد بمقفرة وسهب أفيح[6]

---

(١) الشروج: الفرق، واحدها الشرج على وزن القبر. (ابن سدران).
(٢) اقدحي: أثيري. (ابن سدران).
(٣) النحنح: اللئيم. (ابن سدران).
(٤) العقيقة: البرق وسط السحاب كأنه سيف مسلول. المصفح: العريض الممال. (ابن سدران).
(٥) فتخاء: عُقاب، وفي البيت إقواء. (ابن سدران).
(٦) الطمرة بكسر الطاء والميم والراء المشددة المفتوحة: السريعة، يصف الفرس، ومرطى الجراء: سريعة. السيد: الذئب، السهب: الفلاة. الأفيح: الواسع. (ابن سدران).

إن تقتلوا مائة به فدنية بأبي أزيهر من رجال الأبطح[١]

فهيج هذا القول دوساً ، وتنادوا لأخذ الثأر ، فأغاروا على قريش ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ثم جعلوا يترصدون عيرهم ، فيقتلون من قدروا عليه حتى رضوا منهم، وفرضوا عليهم إتاوة ديناراً في كل قتب ، فرضوا بذلك ، وقال شاعرهم الدوسي يرد على حسان بن ثابت :

ألا أبلغا حسان أعني ابن ثابت بأنا ثأرنا من قتيل المضيَّح
ثلاثين من أبناء فهر بن مالك وعشرين إلا واحدًا لم يتيَّح
تركنا سراة الحي تيمًا وعامرًا وسهمًا ومخزومًا كشاء مذبَّح[٢]
ولابد من أخرى على أبطحيهم فدونكها تقر بها عين الشجي المدبَّح[٣]
يا ابن الفريعة شزبًا شماطيط أمثال القطا المتروح[٤]
تُنسِّي هشام بن الوليد ورهطه سخينة بيع الأتحمي المسيَّح[٥]

وتذكر بعض المصادر أن بعضًا من قبائل الأزد شاركت قبيلة دوس في حربها لقريش مكة ثأرًا لأبي أزيهر الدوسي ، ومن تلك القبائل قبيلة بارق ، لقول شاعرهم سراقة الأكبر بن مرداس معددًا بعض مَن قتلوهم من صناديد قريش بأبي أزيهر :

لقد علمت بنو أسد بأنا تقحمنا المشاعر معلمينا[٦]
تركنا بعككا وابني هشام وحربًا والمسيب إذ لقينا
وعوفًا بعده العوام رهنًا ولم نك من قريش أوجرينا[٧]
تركنا تسعة للطير منهم بمكة والسباع مطرحينا

---

(١) الأبطح : مكة ، وانظر الأبيات في ديوان حسان : ٤٥ . (ابن سدران) .
(٢) سراة الحي : أشرافهم . (ابن سدران) .
(٣) المدبح : الذليل . (ابن سدران) .
(٤) الفُريعة: أم حسان بن ثابت . الشزب : الخيل الضمر . شماطيط : فرقاً . القطا : جمع القطاة ، وهي طائر في حجم الحمام . المتروح : السائر في العشي . (ابن سدران) .
(٥) السخينة : طعام كانت تتخذه قريش من الدقيق دون العصيدة في الرقة وفوق الحساء ، تأكله في شدة الدهر وغلاء السعر وعجف المال وكانت تعير به . انظر بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (٣٨/١) . والأتحمي : ضرب من البرود ، والمسيح من الثياب: المخطط . (ابن سدران) . التاريخ الأدبي في أرض السروات في الجاهلية وصدر الإسلام من الموضوعات التي لم تدرس حبذا أن يتصدى لهذا الموضوع أحد طلابنا في برنامج الدراسات العليا بقسم التاريخ في جامعة الملك خالد . (ابن جريس) .
(٦) المشاعر: مكة . معلمينا من أعلم نفسه إذا وسمها بسيماء الحرب. (ابن سدران) .
(٧) أوجرين : خائفين . (ابن سدران) .

فلما إن قضينا الدين قالوا ... نريد السلم قلنا قد رضينا
وضعنا الخرج موصوفًا عليهم ... يؤدون الإتاوة آخرينا[١]
لنا في العير دينار مسمى ... به حز الحلاقم يتقونا
ولولا ذاك ما جالت قريش ... شمالاً في البلاد ولايمينا

فلم يزل ذلك عليهم يؤدونه إلى الأزد ، حتى ظهر النبي ﷺ ، وطرحه فيما طرح من سنن الجاهلية . وقد جرى بين قبائلها أي (قبائل دوس) في العصر الجاهلي حروبٌ أهلية ، من أهمها حربان هما "يوم حِضْرَة" ، ويوم "ثُروق" ، أعرضنا عن ذكر تفاصيلها خشية الإطالة . ومن شعرائهم وأدبائهم : في الجاهلية : مالك بن فهم الدوسي ، وولده سليمة ، وعمرو بن حممة الدوسي ، حكيم العرب ، وكهمس بن شُعيب الدوسي ، ذكره أبو حاتم السجستاني في المعمرين ، وقال عنه: عاش أربعين ومائة سنة[٢] وغيرهم . أمّا في الإسلام فمنهم : عدي بن وداع العقِّي رضي الله عنه، واسم العقِّي منقذ بن الحارث، وقيل الحارث بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدثان بن عبد الله بن زهران[٣]. وكعب بن معدان الأشقري ، من ولد سعد بن عائذ بن مالك بن عمرو بن فهم بن غنم بن دوس بن عدثان بن عبدالله ابن زهران ، له قصائد تعد من غرر القصائد العربية[٤]. ووهب بن جرير بن حازم بن زيد بن عبدالله ابن شجاع الجهضمي . من ولد مالك بن فهم بن غنم ابن دوس بن عدثان بن عبدالله بن زهران الأزدي ، له أرجوزة طويلة في وصف طريق الحج من البصرة إلى مكة المكرمة[٥]. ومُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدِ بن عتاهية بن حنتم بن الحسن بن حمامى بن جرو بن وهب بن وَاسع بن سَلَمَة بن حَاضر بن حنتم بن ظَالم بن حَاضر بن أسد بن عدى بن عَمْرو بن ملك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان بْن عبد الله بن زهران بن كَعْب بن الْحَرْث بن كَعْب بن عبد الله بن مَالك بن الازد بن الْغَوْث[٦].. ورد عن السمعاني (٣٤٣/٥) قوله فيه : "كان يقال هو

(١) الإتاوة : نوع من النكال كالجزية. (ابن سدران) .

(٢) السجستاني : المعمرون والوصايا: ٢٩ . (ابن سدران) .

(٣) القصائد الحسان لبعض شعراء غامد وزهران . ١٧٥ . (ابن سدران) .إن تاريخ الأدب والشعر والشعراء في سروات غامد وزهران قبل الإسلام وبعده من الموضوعات التي لم تدرس ونأمل من أساتذة اللغة في جامعة الباحة أن يتولوا هذا الموضوع بالبحث والتوثيق . (ابن جريس) .

(٤) المصدر نفسه . ٢١١. (ابن سدران) .

(٥) المصدر نفسه . ٢٧٥. (ابن سدران) .

(٦) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء (١١٥/١) . (ابن سدران) .

أعلم الشعراء وأشعر العلماء" ، وجاء في كتاب " معجم الشعراء العرب" : من أئمة اللغة والأدب ، قال عنه صاحب مصنف : الوفيات والأحداث (٧٦) : إمام اللغة وشيخ الأدب ، سلفي ، له ثناءٌ على أهل الحديث" كما قال عنه القفطي في كتابه " المحمدون من الشعراء وأشعارهم (٦١) " : الإمام، العلامة ، اللغوي ، الإخباري ، الفاضل ، الكامل، الشاعر ، شيخ المشايخ ، فريد الوقت ، نادرة الدّهر ، إمام الأمصار" . من تصانيفه : الجمهرة في اللغة ، اشتقاق أسماء القبائل ، أدب الكاتب، المقصور والممدود ، وغريب القرآن لم يكمل[١] . له ديوان شعر ، حققه: محمد بدر الدين العلوي. ومنهم اللغوي البارع: علي بن حسن الهنائي ، الملقب : "كراع النمل" صاحب كتاب : "المنجَّد" في اللغة[٢]، وغيره من المصنفات اللغوية المفيدة . ولو ذهبنا نعدد علماءهم وأدباءهم في اللغة والشعر في الجاهلية والإسلام لضاق بنا المجال لكثرتهم ، وما أوردناه يكفي للتعريف بهم .

وكانت لهم عدة ممالك في الجزيرة العربية وخارجها ، فكانت لهم مملكة في القطر العُمَاني بزعامة مالك بن فهم الدوسي ، أسسها في ذلك القطر إبان رحيله إليه، وأخرى في الحيرة من أرض العراق ، بزعامة ابنه جذيمة بن مالك بن فهم الدوسي، الملقب بالأبرش أو الوضاح ، لبرص كان به ، وثالثة في أرض فارس ، بزعامة ابنه سَليمة بن مالك بن فهم الدوسي ، أسسها بعد أن رحل إلى "مكران" من أرض فارس عَقب قتله والده مالك بن فهم ، بطريق الخطأ ، وذلك خوف بطش إخوته به ، ورابعة في العهد الإسلامي بتهامة زهران ، بزعامة سلاطين من قبيلة بني سُليم الدوسية القاطنة في الجزء التهامي الزهراني ، وهم يعودون في قبيلة دوس ، حيث كان يتصدر اسم الحاكم منهم عبارة "السلطان بن السلطان" . وتعد قبيلة دوس في العصر الجاهلي من القبائل المتحضرة ، إذ كان لها قرية كبيرة تسمى: "ثُرُوَق" في وادي ثروق الحالي ، التي ذكر ياقوت الحموي في معجمه وجود منبر فيها ، والمنبر في العادة لا يكون آنذاك إلا في القرى الكبيرة ، وهو مُعَدٌّ للخطابة وإعلان الحرب ، أو إقرار السلم ، وخلع الصعاليك، وكتابة العهود والمواثيق والأحكام التي تتخذها القبيلة ، يفد إليها العرب من كل مكان للتحاكم على يد حكيم العرب : عمرو بن حممة الدوسي ، ولتأدية الطقوس الوثنية عند صنميها الشهيرين (ذي الخلصة ، وذي الكفين) ، وللتسوق في سوق تلك القرية الجامعة المسماة سوق (سُلَيم) . التي كانت تعقد في السنة مرتين فقط ، لمدة ثلاثة أيام الأولى في عيد الفطر والثانية في عيد الأضحى. وفي الجانب الغربي من تلك السوق التاريخية،

---

(١) معجم المؤلفين . (١٨٩/٩) . (ابن سدران) .

(٢) البحث اللغوي عند العرب . (٢٨٩/١) . (ابن سدران) .

تحـت شجـرة عظيمة تسمى: "الرُّقَّاعَة" يوجد حجر كبـير مستو رسم عليه خطوط لعبة (القَطْرَة) المسماة في اللغة (القِرْق) لا تزال تشاهد بوضوح على ذلك الحجر إلى وقتنا الحـالي، وحوله حجارة كالمقاعد ربمـا وضعت للمتفرجين علـى اللاعبَيْن الاثنين وهما يلعبانهـا ، وكل واحد منهمـا يلعب بتسعة أحجار ،كل حجر أكبر مـن الحَمَّصَة . ويطلق عليهـا أم تسع، وهنـاك الصغيرة وتسمى "أم ثـلاث" لأنّ كل واحد من اللاعبين يحمل ثلاثـة أحجار يلعب بهـا ، جاء في لسان العـرب (٣٢٢/١٠) : "وَمِنْ كَلَامِهِـمْ : "استوى القِرْقُ فَقُومُوا بِنَا أي اسْتَوَيْنَا في اللَّعب فَلَمْ (يَقْمُرْ) وَاحدٌ منَّا صَاحِبَهُ"[١] . ومن أسمائها كمـا ورد في كتـاب : "تـاج العروس" ١١/ ٥٣٠ " : "السُّـدَرُ" . إلاّ أنها مشهورة في زهران باسـم : "القَطْـرَة" . ومما يـدل على تحضر قبيلة دوس وبقيـة قبائل زهران الأخرى في العصـر الجاهلي، وأخذها بأسباب الاستقرار تلـك الوثائق المسماة (الشَّدَّات) الوثائق المنظمة للأسواق الأسبوعية المنعقدة في كل قبيلة وأمور الناس الاجتماعية الأخرى ، فقد أعطت لكل حادثة حكمًا جزائيًّا ، لردع المعتدي في تلك الأسواق ، أو الطرق المؤدية إليها ، وبسطـت الأمن في ربوع ديارها ثلاثة أيام لـرواد الأسواق ، بحيث يأمن المرء على نفسه ، وعلـى بضاعته ومشترياته فيما يسمى (بعقود السوق) وعقود السوق تشمل حماية من يدخل قبيلة راعية السوق التي تُعقد في حماها ، وتأمين الطرق المؤدية إليها ، فجعلت يومًا قبل يوم انعقاد السوق ، بحيث يستطيع المرء المبيت في السوق بتجارته ، أو في أحد البيوت المجـاورة دون أن يعترضه أحد ، حتى ولـو كان غريمه أحد أفراد قبيلة صاحبة السوق ، فله حرية السير في طرق السلطان ، حتى يصل إلى السوق بأمان تام ، ويوم انعقاد السوق ، بحيث لو قابل الرجل قاتلَ أبيه وسط السوق فلا يعترض سبيله ، ويومًا بعد يوم انعقاد السـوق ، وذلك لتأمـين طريق عودة المتسوقين إلى ديارهم وهـم آمنون . جاء في شدتي (وثيقتي) سوقي (الخميس والثلاثاء) بقبيلة بني فهم الدوسية ، الأولى كانت تعقد بقرية (آل نعْمَـة) والثانيـة ببلدة (برَحْرَح) وكلتا القريتين من قُـرَى قبيلة بني فهم : " وكَنَّهُم (وكأنَّهـم) مـع المبلي حيال يد واحدة والبالي غرازه حُـوِّب[٢] أذنه ، وكَنَّ (وكأنَّ) الأخ مـا يؤخـذ في جُـرم أخيه ، ولاَ الولد يؤخـذ في أبيه ، ولا (ابن) العـم يؤخذ في جرم ابن عمه، وكِنَّهُم دخلوا بني فهم في عقود سوق الخميس وسوق الثلاثاء، بني فهم من حُضْوَة

(١) هي ليست بقمار حتى يُقال هذا القول بعاليه ، فلا جُعل فيها ولا بين اللاعبين شرط ، وإنما هي موضوعة للتسلية لا غير ، ولو قال : " فلم يغلب واحد منا صاحبه " . لكان صوابا. (ابن سدران) . أشكرك يا علي علـى هـذا السرد التاريخـي ، وهذا مما يؤكد علـى أن أرض تهامة والسراة لها تاريـخ قديم ومتنوع ولكنه للأسف ضاع لعدم تدوينه ، ومازال منه النزر اليسير متناثر في كتب التراث الإسلامي . (ابن جريس) .

(٢) حُوِّب : مصطلح محلي له عدة معاني ، وهو هنا بمعنى يخص نفسه . (ابن سدران) .

إلى سَيْحَـان ، ويـوم الخميس لبني فهم آمن ضامن ، من صبح يومه إلى صبح الجمعة ، وكـنَّ يوم الثلاثاء لبني فهـم آمن ضامن ، من صبح يومه إلى صبح الربوع ، وباقي عقد الخميس بين أهله ، وباقي عقـد الثلاثاء بين أهله ، وكنَّ شـدَّات السوقين البندقة إلى ناضت[١] بلا سبب ، ففيها عشرة ريال وأربعون معزِّرة[٢] وإن آسَتْ[٣] فعتبها مثل نَصِّ مـا يحكـم به الشـرع[٤] ، وإن حصل منها موت فنَقَـا بالمفتعل ، والجنبيَّـة إلى سُلَّت بلا سايـة ، فعليها ثلاثة ريال وعشرون معـزِّرة ، وإنْ حصل منها سبب فعتبها مثل عطَبَها ، والحجـر و(العصاة) إلى ضُرب بها ، عتبَها مثل عَطبهـا ، ومعزِّرتها عشرون ، والسوق مـن المكتفلات .. "[٥] . وجاء في شَـدَّة (وثيقة) سوق الخميس التـي كانت سوقًا جامعة لقبائـل بني عُمَر ببلـدة الأطاولة بسراة زهران : "ومن الشروط الـذي بينهم فإنه آمن ضِامـن بأمن الله و(أمِن) أهله : الجارم الرقبة وغرق اليد ، وإن شرط هذا السوق من ظهـر نهار الربوع إلى ظهر نهار الجمعة ، وإن في (الهوشات) أن في الحجر شاتين، وإن أخطأ ففيه شاة . وأن في مَشْقَة الجنبية شاة ، وإن ضرب بها وسال الدم ففيها ثور . وإن المشعاب والعصا إلى ضُرب بها ففيها شاة، وإن سال الدم ففيها شاتان ورضا المضروب. ونكسـة العـود فيها شاة. واللطمة فيها شاتان.."[٦] . وجـاء في شَدَّة (وثيقة) سوق ربوع الصفـح بقرية الصَّفْـح التابعة لقبيلة بالخزمر ، إحدى قبائل بنـي أوس بسراة زهران : "وإن مـا يقـع في العقود إنه في وجه الكفلاء[٧] ، المثل بمثلـه في الرقاب والمال برأسه أو مثلـه، والسَّايـة في الأجنبي[٨] ، إن كانت من الأحلاف فنـذر الشريعة وعزير أربعين من الكفلاء ، والرقاب فيها النَّقَا[٩] ، وإن كانت من أجنبي في أجنبي ، فكلٌّ يقوم بقبيله حتى

---

(١) قوله : "ناضَت" أي أُطلقَت . (ابن سدران) .

(٢) قولـه "المُعَـزِّرَة" هـم مَن يقومون بأخذ العَزير مـن المتعدِّي ، والعَزير لهجة محليـة يقصد بها التغريم ، وهو بخلاف التَّعْزِير ، فالتعزير حكم شرعي يَحكم به القاضي على المعتدي فيما دون الحدود الشرعية أمَّا العزير فهو عُرْف قبلي يحكم به العَارفة على من يعتدي على غيره في نفسه وأهله أو أملاكه ، وصورته : إمَّا يدفع للقبيلة دراهم معلومة أو يذبح لهؤلاء المعَزِّرة كبشًا أو أكثر أو ثورًا ، والجرم يقرر مقدار التعزير .

(٣) أي جرحت .

(٤) يوجـد الكثـير من الوثائق الحديثة في أيدي الأسر والأفراد في بـلاد تهامة والسراة. ومثل هذه المصادر مهمة فيجب جمعها وحفظها وتشجيع دراستها وتحليلها. (ابن جريس) .

(٥) انظر : بطون قبيلة زهران : ٤٧٦ . (ابن سدران) .

(٦) بطون قبيلة زهران : ٥٧٥ . (ابن سدران) .

(٧) لكل سوق هيئة تشرف عليها يسمون الأمناء أو الكفلاء . (ابن سدران) .

(٨) قوله: السايه في الأجنبي ؛ أي التعدي على الأجنبي، والمقصود بالأجنبي كل مَن هو من غير أفراد القبيلة صاحبة السوق. (ابن سدران).

(٩) "النَّقَـا" : حكـم قبلـي وهـو : القصاص لا غير ، فمن قَتَل لا بـد أن يُقْتَل في الشريعـة أو الطبيعة كما يسمونها ، لكـن "النقـا" في عرفهم حكم جائر ، ويأتي جوره مـن أنهم إذا لم يتمكنوا من القاتل إمَّـا لِمَنَعَته أو هربه أو

ترتفـع البيضـ ، ولا منهم من (يذخر) قبيله ، وإنهم حيالٌ علـى المفتعل وإذا كان عدوًّا فالبـلاد والسـوق مفروشة للسَّبَّاب ولا قبيل يحوطه حتى تطلـع البيضَ من السَّبَّاب ، ولا عليهـم (لُغَا) إلا بما ذكـر ، وهوْشَة السوق ما فيها مَعَصِّـب[١] ، والمَعَصِّب مثل الفاعل شرطهمـا واحـد ، والجنبيَّة إذا سُلَّت في السـوق ولم تُكَوِّن[٢] فعزير أربعـين، وإن كَوَّنَت فنـذر الشريعـة وعزير سـتين ، ومن ضرب بالعصـا فعزير أربعين ، ومـن شال الحجر ورمى به ولم يصب فعزير عشرين ، وإن أصاب فنذر الشريعة وعزير أربعين ، إلاَّ الفارع إذا ضَـرَب بالعصا فلا عليه وجـه، إلاَّ أن يُستحانّ منه ، فعليه يمين ما عَصَّبْت ، وإنّ ما يلحـق المفتعـل[٣] في السوق إنّ ما فيه وجه من الكفلاء وأنه يستحق ما (جاه) في هوشة السـوق وأمَّا النقا في الرقَبَة فلا فيها إلاَّ الجارم ..[٤] ". كما خصصت لجنة من أفراد القبيلـة صاحبة السوق ومن مهامهـا الإصلاح بين المتخاصمين، وفضـ المنازعات التي قـد تحدث في محيط السوق ، والإشراف على مكاييـل وموازين الباعة ، بعد أن فرضت عليهم توحيدها لتطابق ما لدى تلك اللجنة . فإن تطابقت معها تركوها له ، وإلاَّ أنذروا صاحبها بعدم استعمالها في ذلك اليوم ، وعليه أن يعمل على مطابقتها بما لدى اللجنة، وإن هبـط بهـا السوق في الأسبوع القادم وهي ناقصة كسروها أمام رواد السوق، ومما يجب التنبيه عليه هو أن تلك القوانين المنظمة للأسواق الأسبوعية ، مأخوذة من القانون العام ، المعمول به بين قبائل زهران كافة ، إلى جانب عملهم بقانون الشريعة الإسلامية الغـراء ، فقد عثرنا على نظـام متكامل يشبه قانون الأحوال الشخصية ، يسمى (الست اللوازم[٥]) ، ويقصد بالست اللوازم في مفهوم القوم : هي ما يَلزم الوفاء بها ، واللوازم الست التي التزموا بها وناصروها في هذا القانون المكتوب هي حماية الرَّحِيمُ، والحِلَفُ، والسَّدِيْدُ، والجَارُ، والزَّادُ، وفي بعض النسخ: القصبة المربوعة، وهي الديرَة التي تخص القبيلَـة ، وفي بعض النسخ : والضَّيِّفُ . بـدل القصبة[٦]. ثم وضعوا لكل لازمة من تلكم

موتـه، فلابـد أن تُعَيِّن قبيلته أحد أفرادها لتقتله قبيلة المقتول ، وغالبًا ما يكون خامل الذكر في قبيلته أو ممن لا يستفاد منه . والغريب أن هذا الضحية لا يعلم بما دُبِّر له ، وتُسَهِّل قبيلته الطريق لقتله . (ابن سدران) .

(١) المُعَصِّب هو المنحاز إلى أحد المتقاتلين بقصد نصرته . (ابن سدران) .

(٢) قوله: "تكوّن أي تجرح . (ابن سدران) .

(٣) قوله : المفْتَعَل ؛ أي البادئ بالقتال فهو ليس في وجه الكفلاء ، ولا له حق المطالبة بأرش ما أصابه ، ومثل ما تقول العامة : يلَحس دَمَه .. (ابن سدران) .

(٤) بطون قبيلة زهران : ١٧٢ . (ابن سدران) .

(٥) أوردنا لها بحثًا في كتابنا : بطون قبيلة زهران ، من صفحة : ٣٨ إلى صفحة ٧٣ . (ابن سدران) .

(٦) ليست بلاد زهران الوحيدة التي تمتلك مثل هـذه الوثائق وإنما توجد مثل هذه الأنظمة والأعراف عند عمـوم قبائل تهامة والسراة . وقـد جمعنا مئات الوثائق الاجتماعية والإداريـة والسياسية والاقتصادية خلال الأربعين سنة الماضية ، ومعظم تواريخها منذ القرن العاشر الهجري . (ابن جريس) .

اللــوازم الســت في حــال ارتكابها جــزاءات بدنية وغرامــات مالية ، وعندمــا بدأوا في تطبيقها ظهرت لهم لوازم أخرى ، فأوصلوها إلى عشر لوازم ووضعوا لها أيضًا عقوبات وغرامــات مناسبة ، أوضحتها في كتابــي : (بطون قبيلة زهران) . ولعلي أنشرها بتوسع في بعض مؤلفات الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس[1] ، وفيما يلي أمثلة لبعض ما وضعوه لتلــك اللوازم من عقوبـات وغرامات . ولنبدأ بالحلف الذي يتم بــين الأفراد أو القبائل فقالــوا عنه : والحِلْــفُ أَقْوَى لاَزمَة ، وَإِنَّ الْحِلْفَ وَالشُّرَكَاءَ الذِّيْــنَ بَيْنَهُمْ شَدَّةٌ وَإِلاَّ كِتَابُ حِلْفٍ إِنَّهُمْ مُلْزَمُوْنَ بِمَا في شَدَّتِهِمْ[2] .

وقالــوا عــن السديد ، وهــو الرفيــق في الطريــق :وَفي عُرْضَــةِ السَّدِيْدِ مَــعَ سَدِيْدِه سَبْعَــةُ رُوْس مَطَابِيْق لِلْقَائِــم بهَا ، وَرَاسَان تَقْدَى ثَوْبَ الرَّوْعَة بَــيْنَ السَّدِيْدِ وَالْمُسَدِّ بِرضَا السَّبَّــاب[3] . وقالوا عن الجَارِ المجاور : وَالْجَارُ لاَ فِيْه فَكَّة ، وَلاَ لَكَ مِنْهُ نَجَاة ، فَلاَ يَسْلَمُ جَــارُهُ مِنْــهُ إلاَّ بَعْد يَبْدِي به السُّوْق ثَلاَثَ مَرَّات ، مِنْ ثَلاَثَة أَسْوَاق ، وَيُنَفِّرُ دَبَشَهُ[4] ثَلاَثَ مَــرَّات مَــن مَرَاحِه ، وَتُكْسَرُ تَوْرَتُه[5] . وَبَعْدَهَاً مَا عَلَى الْمُتَجَوِّر سُبَّةٌ[6] . وقالوا عن الزَّاد: وَإِنَّ مَــنْ تَمَتَّــعَ في قَرْيَة بِمَتَــاع وَخَرَجَ مِنْهَا وَذُبِحَ، فَــإِنْ كَانَ ذُبِحَ في دِيْــرَةِ الْقَرْيَة فَتَلْزَمُهُمْ لاَزِمَــةٌ في الزَّادِ وَالْبِلاَدْ[7] . وَإِنْ قُتِلَ في غَيْرِ بَلَدِ الْقَرْيَةِ الَّذِي تَمَتَّعَ فِيْهَا ، فَإِنَّ اللاَّزِمَةَ عَلَى

---

(١) نحــن علــى استعداد لنشر بحوثك يا أستاذ علــي بن سدران ، وذلك لما تمتاز به مــن الدقة والرصانة ، ونأمــل أن تواصل جهودك أيضاً في دراسة الكثير من الموضوعات الجديدة والمتعلقة بأرض وسكان غامد وزهران.(ابن جريس).

(٢) الحلف : عقد بين اثنين أو قبيلتين على التناصر والتآزر ، وألاَّ يغدر أحدهما بالآخر .. (ابن سدران).

(٣) إذا أحد اعترض السديد وهو يمشي مع سديده ، فللسديد من معترضه سبعة روس جديدة من القماش ، ويلحقها رأسان تقسم بين السديد وسديده لقاء الروعة التي لحقت بهما. (ابن سدران) .

(٤) أي أن الجــار ملــزم بجاره لقرابة الإسلام وقرب الدار من الــدار ، إلا أن ينفد صبره من أفعاله السيئة ومضايقاتــه المتكــررة له ولأهل بيته وجيرانــه ، ولكي يكون في حل منه أمام القبائــل فعليه أن يعلن ذلك للملأ من على شرفات ثلاثة أسواق ، ثلاث مرات متتاليات ، وبعدها يطرد . (ابن سدران) .

(٥) التَّوْرة : وعاء يشبه القدر مصنوع من الفخار المحروق يُصنع فيه الطعام . وهي عربية فصيحة ففي حديث أنس (رضي الله عنه): فصنعت أمِّي أم سُليم حيسًا فجعلته في تور . صحيح مسلم برقم : ٢٥٧٢ . ويقصد بالمتجور مُجير الجار .الحلف : عقد بين اثنين أو قبيلتين على التناصر والتآزر ، وألاَّ يغدر أحدهما بالآخر .. (ابن سدران) .

(٦) أي مــا علــى جاره ملام فيما يفعل بجاره بعد أن يبلِّغ بقبيح فعله هُبَّاط السوق ثلاث مرات من على شرفات ثلاثة أسواق ، ويقال في المثل الشعبي : للجار سبع زلات . وإذا تعدى بعد ذلك تبرأ منه جاره بالطريقة التي وردت في النص . (ابن سدران) . من يقرأ مثل هذه الوثائق المحلية يجدها تعكس عدة جوانب مثل : (١) صور من التاريخ الاجتماعي لأهل البلاد . (٢) مستوى اللغة أو اللهجات المستخدمة في هذه الوثائق . (٣) قدرة أهل البلاد على إيجاد أنظمة وأعراف تسير حياتهم وتعايشهم مع بعضهم البعض. (ابن جريس) .

(٧) أي في زادهم الذي أكله لأن الزاد لازمة من الست اللوازم ، وفي بلدهم الذي قُتل فيها فإن القصبة وهي الديرة لازمة من اللوازم الست ... (ابن سدران) .

أَهْـل الْبِـلاَد[١]. وقالوا عن القصبة ، وهـي الديرة المربوعة : وَفِي وَطْيَـة الدِّيْرَة الْمَرْبُوْعَة الْمَرْفُوْعَـة لَوْ طُـردَ فِيْهَا قَوْمٌ وَلاَ وَقَعَ بَيْنَهُـمْ سَايَةٌ ، فَعَلَى كُلِّ رَجَّال مِنْهُـمْ نِصْفُ رَاس[٢]. وقالـوا عن الضيف إِنْ بَارَ الضَّيْفُ فَتُكْسَرُ صَحْفَتُهُ الَّتي أَكَلَ مِنْهَا مِنْ عِرَاقِ السُّوْق، وَذَلِكَ بَعْـدُ يَعْتَبُ الذَّمِيْمُ ثُمَّ يَعْتَبُ الْجَارُ ثُمَّ يَعْتَـبُ السَّدِيْدُ، وَإِذَا بَارُوا كُلُّهُمْ أَنَّهُمْ يُدْعَوْنَ بِأَسْمَاءِ الْـكِلاَب[٣]. وقالـوا عن السوق : وَالسُّـوقُ مِنَ الْمُكْتَفِلاَتِ عَن الذِّمَّـة ، وَعَن الضَّيْفِ ، وَعَن الْجَـار ، وَعَـن السَّدَادِ ، وَعَن الطَّوِيْلَـةِ وَالْقَصِيْرَةِ . وَالسُّوْقُ يَكْفُلُ مَـنْ يَهْبِطُهُ وَيَصْدُرُ مِنْهُ وَيُصِيْبُهُ آتِيْه .

حتـى الحصن المبني في أي مكان من أرضـ القبيلة ، إذا ما تجرَّأ الأعداء وهدموه أو شبـوه (أحرقوه) فإن له عقوبة رادعة فقالـوا : وَفِي الْحِصْن السَّامي إِذَا هُدَّ أَوْ شُبَّ، أَنَّ فِيْـه أَرْبَـعَ رِقَاب ، وَإِلاَّ يُبْنَى بِحَصى مِنْ غَيْرِ حَصَاه[٤]، وَيُـزَادُ فِي كُلِّ طَبَقَة ذِرَاعٌ[٥]. وتطرقـوا في هذا القانون المسمى : (السـت اللوازم) إلى بعض الأفراد في المجتمع ممن اعتبروهم ناقصي الأهلية فأصدروا بحقهم الفقرة التالية : وَأَرْبَعَةٌ مَا تَطْلُعُ بهم الْبَيْضَا وَلاَ تُطْلَـعُ لَهُمْ وَهُمْ : الْمَيْسِي يَعْنِي الْمُخَنْثَـى[٦] ، وَالأُنْثَى ، وَالْعَبْدُ ، وَالْهُتَيْمِي[٧]. وَلاَ فِيْهِمْ

---

(١) التي قُتل فيها ... (ابن سدران) .

(٢) لقاء ما أحدثوه من بلبلة وتشويش . ولأنها ليست بمكان قتال .. (ابن سدران) .

(٣) أي إذا تجـاوز الضيف حـدوده يُشْكـى إلى كل هـؤلاء قبـل اتخـاذ قـرار بشأنـه، فـإن عجـزوا عـن إقناعـه بالعـدول عـن غيِّـه ، فعندئـذ يُكسـر الماعـون الـذي صُنـع لـه فيـه الطعـام وهـي الصَّحْفَـة . وتقـدَّم أيضًـا كسـر الإنـاء الَّـذي عُمِـلَ لـه الطعـام فيـه وهـي التَّـوْرَة أيضًـا ، للدلالـة علـى البراءة منه ، ومن بعد ذلك فلمن له الحق عليه النيـل منه، وإن لم يقم كل هؤلاء بـردع الضيف عـن غوايته ومالوا إلى جانبـه ، فيحق بحقهم مناداتهم من على السـوق بأسماء الكلاب إهانة لهم . (ابن سدران) .

(٤) أي أن الحصن المبني ، إذا هدمه قوم أو أحرقوه ، ففيه نقا بأربع رقاب من أبناء القبيلة التي أقدم بعض أفرادها على هدمه أو إحراقه ، ولا تنازل عن نقا القتل إلاَّ أن تتعهد القبيلة الفاعلة ببنائه بحصى غير حصاه التي بني بها ... (ابن سدران) .

(٥) ليُعلـم إنـه بُني عُنوة بعد هَدمـه أو حرْقه . (ابن سدران) . نشكرك يا أستاذ علي بن سدران على نشر مثـل هذه الوثائق التي تعكس صـوراً من تاريخ وحضارة بعض عشائر زهران. وحبـذا أن نرى أشخاصاً آخرين أمثالك ينقبون ويدرسون تاريخ أهلهم وبلادهم عبر أطوار التاريخ . (ابن جريس) .

(٦) هو الخُنْثَى الذي بين الذكر والأنثى . (ابن سدران) .

(٧) هـؤلاء لا تنشـر لهم البيضاء من على شرفات الأسواق ولا يدعون لأخذها ، ولا يعتبرون من أهل اللوازم ، والهتيمـي (في عُـرف زهران) هو الذي لا أصل له . فلو قتل أحد هـؤلاء فليس فيه إلاَّ دية منقَّصة يتم سدادهـا كما هو مفصل في النص ، وقد يستغـرق سدادها ثلاث سنين من ثلاث ثمار ، لأن الثمرة وهي المحصول تتم في سنة واحدة . (ابن سدران) . إنها أعراف وعادات لا تتوافق مع منهج الإسلام وشرع الله ، فالناس في أحكام الشرع سواسية. (ابن جريس).

لازِمَةٌ وَلاَ قَتْلٌ ، إلاَّ ديَةٌ مُنَقَّصَةٌ تُسمَّى أَثْلاَثًا ؛ ثُلُثٌ يَطيحُ وَثُلُثَان تَرْجِعُ أَثْلاَثًا : حَبٌّ ، وَغَنَمٌ قَاطِعَةُ الجَلَّة[١] ، وَدَرَاهِمُ . وَتَكُوْنُ منْ ثَلاث ثمَار . وهذه اللوازم التي بلغوا بها عشرًا تم وضعها من قبل ثمانية رجال : سبعة من زهران وواحد من بني مالك ، ثم فرقوها بين قبائل زهران من أجل العمل بها في "الرقاب والقصَاب" . كما قالوا في حكم المرأة: " وَمَنْ أَفْتَاهُ عَلَى مَرَته ، إنْ كَانَ لَزَّمَ أَمَاريَّةً أَوْ كَوْنَ وَسْم ، فَهُوَ صدْقٌ إنْ ذَبَحَهَا وَذَبَحَهُ فَلاَ فيْه إلاَّ ديَةٌ مُنَقَّصَةٌ ، وَهيَ مَا فيْهَا ديَةٌ[٢] . وَإنْ أَفْتَاهُ الرَّجُلُ عَلَى مَرَته وَارْتَجَعَ وَكَذَّبَ نَفْسَهُ[٣] ، فَلَهَا عَلَيْه يُبَرِّيهَا بخَمْس حُلاَ ، وَلكُلِّ وَاحد منْ أَهْلهَا رَأسٌ مُطْلَقٌ وَتُردُّ عَلَيْه[٤] . وقد استمد عُرَّاف زهران أحكامهم القبلية من هذه القوانين عند حاجتهم إلى إصدار حكم على أحد أخَلَّ بنظام القبيلة أو ارتكب جُرْمًا أوجب عقابه، وفيما يلي حكم أحد عُرَّاف زهران ويدعى أحمد بن شماس الدوسي ، بعد أن وجِّه إليه السؤال التالي: **من أحكام أحمد بن شماس الدوس، ما يلي:**

الحمد لله رب العالمين ، الذي أظهر الحق ونار ، وكسر الباطل وحار ، والصلاة والسلام على محمد المختار ، آناء الليل وأطراف (النهار) ، يعلم من يراه من وُلاة الإرشاد وحُكَّام البلاد ، لقد سَأَلَنا عبد الكريم والدَّعبة ، وقالوا : لنا جار من بني مالك ثم جاه ضربة عصا في رأسه ، ثم أرسلْنا للمقضِّي المُخْتَبَر ، ثم شَطَّاه على يدي أخيار ، ثم وجده صحيحًا لا خلل فيه ، ثم بعد ما صَحَّ سَدَّيْنَاه في دَمه وَحَفَا وَصَفَا وبَدَا البيضا وهَبَط السوق وطرد الوفاق ، ثم زاد مَرض ومات ، ثم قاموا يَدَّعُون أهله فيه ويقولون: ما غَدَا به إلاَّ رأسه ، فنحب نسْألك ما يَصِح في ذلك الأمر ، أفتونا جزاكم الله خيرا.

---

(١) الجلة عند زهران هي مكان مسيل الوادي الذي لا تصلح أرضه للزراعة . ومعنى قاطعة الجلة أي من غنم ترعى في الجلة ، ولا يتكلف قاتل أحد هؤلاء شراء الغنم لدفعها دية ، وإنما يدفعها من غنمه التي ترعى. والله أعلم . (ابن سدران) .

(٢) معنى هذا القول : إن افترى زيد على امرأة عمرو ، وأبلغه بأنها ترتكب الفاحشة وعثر الزوج على بيِّنة جليّة، إمَّا قبض عليه عندها ، أو رماه فجرحه ثم وُجد الجرح فيه بعد القبض عليه، أو أن الواشي ذكر علامة في الرجل . فله قتل الزوجة والرجل الذي يأتيها ولا دية للمرأة البتة ، أما الرجل فله دية ولكن ناقصة ، وقد تقدم تفصيل الدية المنقصة وكيف تُعطى . (ابن سدران) .اللهم لك الحمد فالشرع الحنيف وضح الحقوق والواجبات لكل مسلم (ابن جريس).

(٣) أي افترى عليها أولاً ثم عدل عن ذلك . (ابن سدران) .

(٤) أي تُرَدُّ المرأة على زوجها لكونها بريئة مما رُميت به ، ويَكْسو كل واحد من أهلها رأسًا من قماش .. (ابن سدران) . كم نحن في أمس الحاجة أن يكتب تاريخنا من مصادر موثوقة ، والوثائق تعد من المصادر التي يثق بها المؤرخ ويعتمد عليها في تدوين التاريخ. ولا تخلو بلادنا من آلاف الوثائق عند عامة الناس ، وفيها صور من التاريخ الحضاري لهذه الأوطان التهامية والسروية. (ابن جريس) .

(*) **حكم العارفة : أحمد بن شماس الدوسي، بما يلي** : الحمد لله رب العالمين، نقول الجواب والله الموفق للصواب : إنَّ رسول الله ﷺ يقول :)ولو أن الناس أعطوا بدعْواهم لادَّعَى ناس أموال ناس ودماءهم[1]. فَنَجُوا الدَّعَبَة بهذا المَقضِّي وأربعة شهود أنهم لقيوا رأسه سالم العيب، فواجب على الدَّعَبة خمس وعشرون حليَة أنه ما جاءه قَدَرَه من هذه الضَّرْبة فلا عاد عليهم اعتراض، ما له قُبْلَة لحيث أنَه اسْتَدَّ وصَدَر، (وإنْ) عَدموا في ذلك فيحلفون أهل الولد خمسا وعشرين حليَة ما قتله إلاَّ أنتم يا دَعَبَة، وما ضَوَاهُم يُحْسَب من الدِّيَة، قال بذلك أحمد بن شمَّاس، من سوالف مبنيَّة وأحكام عربية، وصلى الله على محمد وآله والسلام . ختم. فتأيَّد حكمه من قبَل مجموعة من العُرَّاف وشيوخ القبائل، وأوَّلهم العارفة : موسى بن أحمد، حيث قال : " الحمد لله رب العالمين، لقد أشرفت أنا يا موسى بن أحمد، على ما قال ابن شماس، فوجدناه عين الصواب، لا خلل فيه، علينا إمضاه والعمل بمقتضاه، وصلى الله على محمد وآله والسلام . وأيَّد الحكم عارفة آخر يُدعى: حميدين بن مسفر، بقوله : الحمد لله، الجواب والله الموفق للصواب، لقد نظرنا في السؤال وما فيه، وما قالوا العُرَّاف فهو عين الصواب، إلى بَدَت البيضا من عرَاق السوق وأعفا وأقفا (فلا له بعد ذلك رجوع، يكون عند مَن يراه معلوم) ، حميدين بن مسفر. ثم تلاه الشيخ: خضران بن عطية الدوسي، شيخ قبيلة دوس فقال: الحمد لله، الجواب والله الموفق للصواب، لقد أشرفت على ما في بطن هذه الورقة من قول العُرَّاف فهو عين الصواب، ومَن قال بغيره فقد أخطأ، فيصح إمضاه والعمل بمقتضاه قال بذلك خضران ابن عطية، غفر الله له ولوالديه . ختم وبعد أن تأيد الحكم من كل هؤلاء العُرَّاف عُرضت على أحد علماء الشريعة وهو الفقيه: أحمد ابن علي الحرَفي، للنظر في القضية والحكم من وجهة شرعية، فقال : الحمد لله وحده أشرفتُ على قول العُرَّاف وما حكموا به، فحكمهم موافق حكم الشرع، وما كان موافقا قول الشرع فهو صحيح، يكون عند مَن يراه معلوم، قال بذلك : أحمد بن علي الحَرَفي . ختم[2] .

ولقد سارعت دوس إلى الإسلام طواعية، فقد كان رجالها في العصر الجاهلي يسافرون إلى مكة للحج والتجارة، وكان أول من أسلم منهم : الطفيل بن عمرو الدوسي

---

(١) الحديث في صحيح سنن النسائي : برقم : (٥٤٢٥) ، بتحقيق الألباني رحمه الله . (ابن سدران) . يتضح لنا نقاء العقيدة في أوطان تهامة والسراة . نعم قد يوجد بعض المخالفات الشرعية بسبب الجهل بالعلوم الشرعية، لكن عموم الناس يحملون عقائد جيدة يوحدون فيها الله عز وجل ويرجون رحمته ومغفرته . (ابن جريس) .

(٢) بطون قبيلة زهران : صورة الوثيقة رقم : (٤) . (ابن سدران) .

رضــي الله عنــه ، فقد كان يسافر إلى مكة كثيرًا ولــه حلف مع بعض رجالها ، وفي بعض سفراتــه إلى مكة[١] سمع من بعض القرشيين أن الله عز وجل اختار محمدا ﷺ ليكون نبي هذه الأمة ، وأنه أتى بدين جديد يخالف ما عليه العرب ، فحذروه من مقابلة النبي ﷺ، حتى لا يسمع منه فيتبعه ، ولشدة تحذيره له وضع في أذنيه قطنًا لئلا يسمع كلامه ، فأبــى الله إلا أن يسمــع منه في المسجد الحــرام ، فإنه لما رأى النبي ﷺ، قائمًا يصلي اقترب منه ، ولنترك ابن سعد في طبقاته يحكي قصة إسلامه فيقول عنه: "قدم الطفيل بــن عمــرو الدوسي رضي الله عنه مكــة ورسول الله ﷺ ، بها ، فمشــى إليه رجال من قريشــ فقالوا: يا طفيل إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا وفــرق جماعتنــا ، وشتت أمرنــا ، وإنما قوله كالسحر يفرق بــين الرجل وبين أبيه ، وبين الرجــل وبين أخيه ، وبين الرجل وبين زوجته ، إنا نخشى عليك وعلى قومك مثل ما دخل علينــا منــه ، فلا تكلمــه ، ولا تسمع منه ، قال الطفيل : فوالله مــا زالوا بي حتى أجمعت ألا أسمــع منــه شيئًا ولا أكلمــه ، فغدوت إلى المسجد وقد حشــوت أذني كرسفًا فرقاً من أن يبلغنــي شــيء مــن قوله ، حتى كان يقــال لي : ذو القطنتين ، قــال : فغدوت يوما إلى المسجــد ، فإذا رســول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة ، فقمــت قريبًا منه ، فأبى الله إلا أن يُسمعني بعض قوله، فسمعت كلامًا حسنا، فقلت في نفسي : واثكل أمي والله إني لرجل لبيب شاعر ، ما يخفى علي الحسن من القبيح ، فما يمنعني من أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ؟ فإن كان الذي يأتي به حسنًا قبلته، وإن كان قبيحًا تركته . فمكثت حتى انصــرف إلى بيته ثم اتبعته حتــى إذا دخل بيته دخلت معه فقلت : يا محمد ، إن قومك قالــوا لي كــذا وكذا - للذي قالوا لي - فوالله ما تركوني يخوفوني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك ، ثم إن الله أبى إلا أن يسمعنيه ، فسمعت قولاً حسنًا فاعرض علــي أمــرك ، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام وتــلا عليه القرآن فقال : لا والله ما سمعــت قــولاً قط أحسن من هذا ولا أمــرًا أعدل منه ، فأسلمــت وشهدت شهادة الحق فقلــت : يــا نبي الله، إني امرؤ مطاع في قومي ، وأنا راجع إليهم فداعيهم إلى الإسلام ، فــادع الله أن يكــون لي عونًا عليهم فيما أدعوهم إليه ، فقال : ﷺ ، اللهم اجعل له آية ، زاد ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب: تعينه على ما ينوي من الخير . قال: فخرجت إلى

(١) حددهــا صفــي الرحمــن المباركفــوري ، صاحــب كتــاب : "الرحيــق المختــوم" (١٢٠) : بعــام (١١) مــن البعثــة الشريفــة ، ولا أدري مــا مستنــده في ذلــك ، سيمــا وأن أمر ظهــور المصطفــى ﷺ اشتهر بــين القبائــل مــن أول سنــة بُعــث فيهــا . (ابــن ســدران) . هنــاك مصــادر أوليــة تــؤرخ للطفيــل بن عمــرو الدوســي، وهنــاك كتــب للســير والتاريخ أشــارت إلى شــيء من أعمالــه. وفي صفحــات سابقة ناقشــت يــا ابــن ســدران صفحــات مــن التاريــخ الاجتماعــي الحديــث والمعاصــر في بــلاد زهــران، ثم رجعت الآن للحديث عن عشيرة دوس الزهرانية في الجاهلية وصدر الإسلام . (ابن جريس) .

قومـي حتى إذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر ، وقع نور بين عيني مثل المصباح فقلت : اللهـم في غـير وجهي ، فـإني أخشى أن يظنوا أنها مثلة وقعـت في وجهي لفراق دينهم ، فتحـول النور فوقع في رأس سوطي ، فجعل الحاضـرون يتراؤون ذلك النور في سوطي كالقنديـل المعلق .. إلى آخر تلك الحادثة التي نقلت دوسا من الشرك إلى الإسلام ومن الظلمـات إلى النـور[١] . ومن عبادة الأصنام إلى عبـادة رب الأنام ، وأسلم معه في تلك الرحلـة الميمونة زوجـه وأبوه وأبو هريرة . وأخذ الطفيل وأبـو هريرة في دعوة دوس إلى الإسـلام ، فلمـا استعصت عليهمـا ، عادا إلى مكة يشكوان عصيـان دوس إلى الرسول ﷺ ، ويطلـب منه الطفيل الدعاء عليهم لعدم دخولهم في الإسلام ، فامتنع ﷺ ، من الدعاء على دوس قائلا للطفيل : رضي الله عنه ، إن فيهم مثلك كثير . ثم رفع يديه بأبي هو وأمي ﷺ، وقال : اللهم اهد دوسا وأت بهم . والحديث في الصحيحين من رواية أبي هريـرة رضـي الله عنه ، وفي فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ، أنه قالها ثلاث مرات. ولمـا أراد الرسـول ﷺ ، أن يدعو بالهداية لدوس ، توضأ ، فظـن أبو هريرة أن سيدعو عليهـم فقـال: (فلمـا صلى النبـي ﷺ ، خفت أن يدعـو على قومي فيهلكـوا فصحت: واقومـاه ، فلمـا دعا لهم سري عنـي[٢] . وجاء في كتـاب: الإصابة في تمييـز الصحابة (٣/٤٢٤) : أن الطّفيـل لمـا قدم مكّة ذكر له ناس من قريش أمر النبيّ ﷺ ، وسألوه أن يختبر حاله ، فأتاه فأنشده من شعره ، فتلا النبيّ ﷺ ، الإخلاص والمعوّذتين ، فأسلم في الحال ، وعاد إلى قومه ، وذكر قصّة سوطه ونوره. أما الرواية التي تذكر بأن الطفيل ابن عمرو الدوسي رضي الله عنه ، خرج حتى أتى مكة حاجًّا ، وقد بُعث رسول الله ﷺ، وهاجر إلى المدينة .." إلى آخر ما ورد فيها . فليست من الصحة في شيء لقول الطفيل بـن عمرو الدوسـي رضي الله عنه ، للرسول ﷺ وقد عايـن اضطهاد قريش له ﷺ ، وتحذيرها الطفيل من مقابلته مما حدا بالطفيل رضي الله عنه، دعوة المصطفى ﷺ، إلى دوس لحمايتـه من أذى قريش ، قائلاً له " هلـم إلى حصن حصين ، وعدد وعدة . فأبـى ذلـك رسول الله ﷺ ، للذي ذخر الله للأنصار . ولو كان الطفيل رضي الله عنه، قابـل الرسـول ﷺ في المدينة النبوية لما كان لهذا القـول معنى ، لمنعته ﷺ ، بالأنصار من أذى قريش . وليس من الصحة أيضاً قول بعض المؤرخين من أن دوسًا التي بزهران

---

(١) هـذه المعلومـات مفصلة في بعض مصادر التاريخ الإسلامي المبكـرة . ونقول إن تاريخ غامد وزهران في الجاهلية وصدر الإسلام يحتاج إلى أن يدون في كتاب أو رسالة علمية موثقة. (ابن جريس) .

(٢) الأغـاني ، للأصفهـاني: (١٣/٢٢٠) . (ابـن سـدران) . ترجع هنـا يا علي في توثيـق معلوماتك إلى الأصفهاني (الأغاني) ، وهناك مصادر سابقة للأصفهاني، وتعد أولية وموثوقة أكثر من الأغاني ، وكان عليك الرجوع إليها .(ابن جريس).

إنما أسلمت فرقاً من قول كعب بن مالك الأنصاري[١] :

قضينا من تهامة كل ريب ... وخيبر ثم أجمعنا السيوفا

نخيرها ولو نطقت لقالت ... قواطعهن دوساً او ثقيفاً

فقالت دوس حين سمعت ذلك : اذهبوا فخذوا لأنفسكم الأمان من قبل أن ينزل بكم ما نزل بغيركم . قلت : هذا محال ؛ لقوله بعد هذين البيتين :

فَلَسْتُ لِمَالِكٍ إِنْ لَمْ يَزُرْكُمْ ... بِسَاحَةِ دَارِكُمْ مِنَّا أُلُوفَا

وَنَنْتَزِعُ الْعُرُوشَ بِبَطْنِ وَجٍّ ... وَتُصْبِحُ دُورُكُمْ مِنْكُمْ خُلُوفَا

حيث جعل دوسًا مع ثقيف في بلد واحد وهو الطائف ، ولعل كعب بن مالك الأنصاري، يشير في شعره إلى دوس بن عدوان ، لقول الدكتور جواد علي في مُفَصّله (٩٨/٨) : "أما أبناء عدوان بن عمرو فهم زيد ، ويشكر ، ودَوْس . ويقال إنهم دَوْس التي في الأزد ، وكانت ديارهم بالطائف ، ثم تركوها بعد نزول ثقيف فيها وارتحلوا إلى تهامة" . قلت: لم يرد عن المؤرخين أن دوس زهران سكنت الطائف ثم رحلت عنها إلى تهامة . ثم إنَّ هذا الشعر بالطبع ، قيل بعد فتح خيبر في السنة السابعة للهجرة ، بل إنه قيل بعد فتح مكة أي في السنة الثامنة كما يقول ابن كثير رحمه الله وغيره[٢] ، في حين تذكر كتب السير أن دوسًا أسلمت زمن البعثة النبوية الشريفة . وذلك بفضل من الله عز وجل ثم ببركة دعوة الرسول ﷺ لهم بالهداية . ولقد هاجر الطفيل بن عمرو وأبو هريرة رضي الله عنهما ، في السنة السابعة من هجرة الرسول ﷺ بأربعمائة رجل وامرأة والتحقوا برسول الله ﷺ ، وهو يقاتل يهود في خيبر وشاركوا جموع المسلمين في الفتح وأقسم لهم الرسول ﷺ من غنائمها ، ثم إنهم شاركوا أيضًا في فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة النبوية ، فكيف يقال إنها أسلمت فرقًا من شعر مالك بن فهم ، وهي قد شاركت في فتح خيبر ومكة وما بعدهما من فتوح ! حتى إن الرسول (ﷺ)، أمر الطفيل رضي الله عنه ، بعد فتح مكة أن يذهب إلى دوس لحرق صنم ذي الكفين ويجمع من قومه لحرب الطائف ، فَقَالَ الطّفَيْلُ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ الله أَوْصني . قَالَ ﷺ : أَفْشِ السّلَامَ ، وَابْذُلِ الطّعَامَ، وَاسْتَحْيِ مِنَ اللهِ كَمَا يَسْتَحْيِي الرّجُلُ ذُو الْهَيْئَةِ مِنْ أَهْلِهِ . إِذَا أَسَأْت

---

(١) ديوانه : ٢٤ . (ابن سدران) .

(٢) ابن كثير : ٦٥٢/٣ . وقال البيهقي في كتابه: دلائل النبوة: (١٥١/٥) : وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالك حينَ فَرَغَ رَسُولُ الله ﷺ ، منْ مَكَّةَ ، وَحُنَيْنٍ ، وَأَجْمَعَ السَّيْرَ إِلَى الطَّائِفِ". القصيدة ومنها البيتان بعاليه . (ابن سدران) .

فَأَحْسِنْ، [**إنَّ الْحَسَنات يُذْهِبْنَ السَّيِّئات ذلكَ ذكْرى للذَّاكرينَ**][1]. فانحدر من دوس بعد أن أحرق صنم ذي الكفين بأربعمائة فارس، ووافى بهم رسول الله ﷺ، في الطائف[2].

وقد ورد في فضل قبيلة دوس جملة من الأحاديث النبوية الشريفة منها دعوته ﷺ لهم بالهداية كما تقدم، ويا لها من فضيلة من رسول مجاب الدعوة انقادت دوس بعدها إلى الإسلام زُرافات ووحدانا، ونجتزئ من فضائلهم على لسان رسول الله ﷺ، ما يناسب المقام، فلقد امتدح الرسول ﷺ أهل اليمن ودوس من اليمن، ونسب الإيمان إليهم ونعتهم برقة القلوب، ومن كان قلبه رقيقًا كان أسرع إلى طاعة الله وامتثال أوامره، كما وصف المصطفى ﷺ، بأن الفقه في الدين، وهو الفهم له، والحكمة وهي العلم المتصف بالأحكام المشتمل على معرفة الله تعالى، المصحوب بنفاذ البصيرة وتهذيب النَّفس وَتَحْقيق الْحق وَالْعَمَل به والصد عَن اتباعَ الْهوى وَالْبَاطل، مما يمتاز بهما أهل اليمن، كل هذا جاء في حديث رواه الشيخان فقالا " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "جَاءَ أَهْلُ الْيَمَن، هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً، وَأَلْيَنُ قُلُوبًا، الْإِيمَانُ يَمَان، وَالْفقْهُ يَمَان، وَالْحكْمَةُ يَمَانيَةٌ" . ويقول ابن حجر رحمه الله، في فتح الْبَاري: (وَسَبَبُ الثَّنَاء عَلَى أَهْل الْيَمَن إسْرَاعُهُمْ إلَى الْإيمَان وَحسن قبولهم للْبُشْرَى حينَ لَمْ تَقْبَلْهَا بَنُو تَميم[3]. وهاجرت أم أبي هريرة رضي الله عنها وعنه، مع ابنها من أرض دوس إلى المدينة النبوية وهي مشركة، وكان ولدها يرغبها في الإسلام وهي ممتنعة، فلما دعا لها الرسول ﷺ، بالهداية قائلاً كما ورد في صحيح مسلم: "اللهمّ اهد أمّ أبي هريرة" أسلمت. وفي هذا يقول أبو هريرة رضي الله عنه، لرسول الله ﷺ: "قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله ادْعُ الله أَنْ يُحَبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عبَاده الْمُؤْمنينَ، وَيُحَبِّبَهُمْ إِلَيْنَا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "اللهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا - يَعْني أَبَا هُرَيْرَةَ - وَأُمَّهُ إِلَى عبَادكَ الْمُؤْمنينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِم الْمُؤْمنينَ" . ويقول أبو هريرة رضي الله عنه، بعد هذا الدعاء المبارك، فَمَا خُلقَ مُؤْمنٌ يَسْمَعُ بي وَلَا يَرَاني إلَّا أَحَبَّني[4]" . قلت أنا: (غير الرافضة) عليهم من الله ما يستحقون، فإنهم ناصبوه العداء. وورد في كتاب "الجامع لابن وهب": "أَتَى رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: "يَا نَبِيَّ اللَّهِ الْعَنْ دَوْسًا، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ قَوْمًا

---

(١) مغازي الواقدي: (٣/٩٢٣). وقول: "إنَّ الْحَسَنات يُذْهبْنَ السَّيِّئات ذلكَ ذكْرى للذَّاكرينَ". هي من الآية الكريمة من سورة هود: ١١٤. (ابن سدران).

(٢) كما أشرت سابقا إلى قبيلة دوس وغيرها من قبائل السراة مازالت تحتاج إلى دراسات علمية موثقة، والأمل في جامعاتنا المحلية فتفتح بعض المراكز البحثية التي تدرس أرض وسكان هذه البلاد. (ابن جريس).

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: (١٥/١٩٢). (ابن سدران).

(٤) صحيح مسلم (٤/١٩٣٨). (ابن سدران).

قَـطُّ أَفْتَـكَ رَجُلًا وَلَا أَفْتَكَ فَتَاةً مِنْهُمْ ، فَقَالَ أَبُـو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : يَا قَوْمَاهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "إِنَّا لَمْ نُبْعَثْ طَعَّانِينَ وَلَا لَعَّانِينَ وَلَكِنَّا بُعِثْنَا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ[(١)]" .

وفي كتـاب "الأدب المفـرد" عن أبـي هريرة رضي الله عنـه قَالَ : أَهـدى رَجلٌ من بنـي فَـزَارة للنَّبي ﷺ نَاقةً فعوضَه ، فَتَسخَّطَهُ ، فَسمعـتُ النبيَ ﷺعَلى المنبر يَقول : "يَهـدي أحدُهُـم فَأعوِّضُه بَقدرِ مَا عندي ثُم يَسخَطُـه ، وأَيم اللّه لاَ أَقبلُ بَعدَ عَامي هَذا مـن العَرب هَديـةً إلَّا من قُرشي أَو أَنْصَاريٍّ أَوْ ثَقفي أَوْ دَوسي" والَحديث صحيح ورد في "الصحيحـة" للألبَاني برقـم (١٦٨٤) . وقال محمد المدعو بعبد الرؤوف بن علي بن زيـن العابديـن الحدادي ثم المنـاوي القاهري ، صاحب كتاب "التيسـير بشرح الجامع الصغـير" في شـرح هذا الحديـث" : "لأنهم لـكارم أَخْلَاقهم وَشـرف نُفُوسهم وَطيب عنصرهم لَا تطمح نُفُوسهم إِلَى مَا يَنْتَظر إِلَيْه السِّفْلَة والرَّعَاع من استكثار الْعِوَض على الْهَدِيَّة ، وَنبهَ بالمذكورين علىَ مَن سواهُم مِمَّن اتّصف بشرف النَّفس[(٢)]" .

أمـا في الإسـلام ، فقـد زادهم اللّه رفعة بـه ، فكان منهم الحافـظ المتقن وهو أبو هريـرة الدوسـي رضي اللّه عنه ، أحفـظ الصحابة لحديث المصطفـى ﷺ، والفارس المغـوار الطفيل بن عمرو الدوسي رضي اللّه عنـه ، والقائد المحنك جندب بن عمرو بن حممـة الدوسـي (رضي الله عنه)، هـؤلاء نماذج من صحابة دوس رضـي اللّه عنهم ، أما من التابعـين وتابعيهـم فلا يحصون كـثرة ، حيث كان منهم الحافظ لكتـاب اللّه والمحدث والقاضـي والوالي والأمير والقائـد واللغوي والشاعر ، ومن يقرأ سـير الرجال يجد أن رجـال دوس لهم الصدارة فيمـا من شأنه رفعة الإسلام وأهلـه[(٣)]، فلقد شاركت دوس بقسميهـا في زهـران وعُمَان ، وما تفرع عنها في العـراق ، وفارس، وبلاد الشام ، قبائل العرب الأخرى ، في محاربة أهل الشرك والفساد ، وتوسيع رقعة الإسلام ، بدءًا من عهد الرسول (ﷺ)، وعهد خلفائه الراشدين ، ومن أتى من بعدهم من أمراء المسلمين وولاتهم، فكانـوا في جيش المسلمين لمحاربة المرتديـن ، وكانوا مع جيوش المسلمـين في فتح العراق، وفارسـ ، والشـام ، ولا يزال ميناء في (لبنان) يسمى إلى هـذا اليوم (ميناء الزهراني) . باسم الصحابي الجليل جنادة بن أبي أمية الزهراني (رضي الله عنه) ، قائد الأسطول الحربي

---

(١) الجامع لابن وهب (٤٧٣) .. (ابن سدران) .

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير (٣٢٤/١) . (ابن سدران) .

(٣) نعـم مـن دوس ومن اليمـن وبلاد تهامـة والسراة رجال كثـيرون أسهمـوا في بناء التاريـخ والحضارة الإسلامية داخل الجزيرة العربية وخارجها. ونقول إن أفراد تراجم مطولة لأولئك الأعلام من الواجبات على مؤرخي هذا لعصر وعلى الباحثين الجادين من أهل هذه البلاد. (ابن جريس) .

الإسلامـي في عهـد معاوية بن أبـي سفيان (رضي الله عنه)، وكانوا مـع عمرو بن العاص في فتح مصـر، وكان أبـو هريرة (رضي الله عنه)، في المعارك التي شارك فيهـا يطوف على المجاهدين ويحرضهـم علـى القتال قائلا لهم : "تزينوا للحور العـين" ، وجعل رسول الله (ﷺ) ، لما أتوه في خيبر شعارهم في الحرب "يا مبرور" . لقول : "الطُّفَيْل بن عَمْرو رَضيَ الله عَنْهُ : قُلْنَا : يَا رَسُولَ الله ، اجْعَلْنَا مَيْمَنَتَكَ، وَاجْعَلْ شعَارَنَا : "يَا مَبْرُورُ" ، "فَفَعَلَ ﷺ" ثم أصبح هذا الشعار فيما بعد لكافة الأزد[١] وكانوا في جَيش موسى بن نصير لفتح الأندلس ، ومنهم بعـد عودتهم من فتح الأندلس ، مَن وزر في دولـة الأدارسة بالمغرب العربي إبان ظهورها . وهـو الوزيـر مصعب بن عمير بن مصعب الأزدي الزهـراني ، وهذا الوزير أي مصعب بن عمير ، هو الذي اختار للأمير إدريس ، موقع مدينة (فاس) فاختطها في حدود سنة اثنتين وتسعـين ومائة والتي تليها[٢]. وكان لهم دور بارز في قمع الفتن وإخماد الثورات التي كانت تهيـج بنواحـي فارس وغيرها من بـلاد الإسلام ، فقد شاركـوا آل المهلب في حروبهم ضد الخوارج ، وأخلصوا الطاعة لأمراء هذا البيت ، وبيت آل المغيرة وغيرهم من أمراء وقادة المسلمـين ، أينمـا ساروا بهم ساروا . ومن الأماكن التاريخية في قبيلة "دوس" والتي حفظ التاريـخ لنا أسماءها : جبل "العِرْنَين" وهو حمـى لهم ، يشرف على قرية: "الْجُبُور" قرية أبـي هريـرة الدوسي (رضي الله عنه) ، وعلـى عدة قُرَى تابعة لقبيلة فهـم الدوسية ، وفيه يقول مالك بن فهم الدوسي ، بعد أن هاجر إلى أرض عُمَان شرقي الجزيرة العربية[٣]:

وفي الـعـرنـين كـنـا أهـل عـز ... مـلـكـنـا بـربـرا وبـنـي قـران

وجبل "عَوِيْرَة" بدوس ، وفيه كانت وقعة : "حضَرَة" بين قبيلة بني الحارث من بني يشكـر مـن الغطارفة ، وقبيلة دوس ، فكان الظفر في هـذه الحرب لدوس[٤]. وعلى هذا الجبل في الوقت الحالي قرية عامرة تسمت باسم الجبل: "عويرة". وهي من قُرَى قبيلة "بنـي الطفيـل" إحدى قُرَى دوس . وقُدُومُ ضَـان : وهو جبل يشرف على وادي ثروق من الناحية الشرقية ، ورد ذكره في حديث معركة خيبر ، فقد جاء في كتاب : مختصر فتح رب الأرباب بما أهمل في لب اللباب من واجب الأنساب (٤٧) أنه : "ثنية بجبل في بلاد دوس بالسـراة يقـال لها قدوم ضأن" . و "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ ، قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺوَهُـوَ بِخَيْبَرَ بَعْدَ مَـا افْتَتَحُوهَا ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله ، أَسْهِمْ لِي ، فَقَالَ بَعْضُ بَنِي سَعِيدَ

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٢٩١/٣) . (ابن سدران) .
(٢) انظر : الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى : ٣٠ ، وبيوتات فاس الكبرى : ١٣. (ابن سدران) .
(٣) الأنساب : للصحاري العماني : ٢٣٧ . (ابن سدران) .
(٤) المصدر نفسه ، ٢٧٤.(ابن سدران) .

بْـنِ العَاصِ: لاَ تُسْهِمْ لَهُ يَـا رَسُولَ اللَّه، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : "هَذَا قَاتِلُ ابْنِ قَوْقَل" ، فَقَالَ ابْنُ سَعِيـدِ بْنِ العَاص : وَاعَجَبًـا لِوَبْرٍ، تَدَلَّى عَلَيْنَا مِنْ قَدُومِ ضَأْنٍ ، يَنْعَـى عَلَيَّ قَتْلَ رَجُلٍ مُسْلِم أَكْرَمَهُ اللّه عَلَى يَدَيَّ ، وَلَمْ يُهِنِّي عَلَى يَدَيْهِ ، قَالَ : "فَلاَ أَدْرِي أَسْهَمَ لَهُ أَمْ لَمْ يُسْهِمْ لَهُ"[١]".

ومـن العَقَبَات التي تصل سراة زهران بتهامتها عقبة "ذي مَنْعَا" التي ورد لها ذكر في حديـث إسـلام أبي هريرة رضي الله عنه ، على يد الطفيل بن عمرو الدوسي ، رضي الله عنـه ، حيث "كان أبـو هريرة هو وأهله في جبل يقال له : "ذو منعا" ، فلقيه الطفيل بطريـق برحـرح[٢]". وهذه العقبة إلى الجنوب الغربـي من بلدة "برحرح" الدوسية ، أنشـأت الحكومة منها طريقا يصل السراة بتهامة ، وقد تم القضاء في العصر الحديث على جيش الغزاة الترك من قبل رجال دوس ، أسفل هذه العقبة في موضع منها يسمى: "البـاب" لا تزال قبورهـم ظاهرة إلى هـذه الساعة ، وذلك سنـة (١٣٠٠هـ)[٣]. ومن بلدانهـم قرية "ثـرُوق" ذكرها الأصفهاني، والحموي الذي قال عنها : "ثَرُوقُ: مرتجل، لم أر هذا المركّب مستعملا في كلام العرب : وهو اسم قرية عظيمة لبني دوس بن عدثان بن زهران بن كعب بن الحارث بن نصر بن الأزد ، جاء ذكرها في حديث حممة الدوسي، وفي حديـث وفود الطّفيل بـن عمرو رضي الله عنه ، زمن البعثـة النبوية الشريفة، على النبي ﷺ ، أنه أسلم ورجع إلى قومه في ليلة مطيرة ظلماء حتى نزل ثروق ، وهي قرية عظيمـة لدوس ، فيها منبر ، فلم يبصـر أين يسلك ، فأضاء له نـور في طرف سوطه ، فشهد الناس ذلك ، وقال : أنار أخذت على القدوم ثم على ثروق لا تطفأ الحديث ، وقال رجل من دوس في حرب كانت بينهم وبين بني الحارث بن عبد الله وهم الغطاريف :

قد علمت صفراء حوساء الذّيل ... شـرّابة المحض تـروك القيل

ترخي فروعا مثل أذناب الخيل ... أنّ ثـروقا دونـهـا كل الويل

ودونـهـا خـرط القتاد بالليل ... وقـد أتـت واد كثير السيل[٤]

وثُـرُوق الآن : واد زراعي عظيم يضم معظـم قُرَى قبائل: دوس بن منهب وبني علي وآل عيَّاش ، وفي موضـع منه كان صنم ذي الخَلَصَة الذي هُـدِم في عهد الرسول ﷺ ، غير أنه

(١) صحيح البخاري . (٢٤/٤). (ابن سدران) .

(٢) الأغاني ، للأصفهاني ، ٢٢٠/١٣. (ابن سدران).

(٣) كتـاب بطـون قبيلة زهران : (٤٥٦). (ابن سدران). هذا الكلام حقيقة فقد قمت بجولة في بلاد غامد وزهـران عـام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) ورأيـت الكثير من الآثـار والأمكنة التاريخية ، ونأمـل من المؤرخين والآثاريين الجادين أن يدرسوا هذه البلاد دراسة علمية موثقة. (ابن جريس) .

(٤) معجم البلدان : (٧٧/٢). (ابن سدران) .

ليس الصنم الذي هدمه جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه . وحُضْوَة: قرية جاهلية قديمة من قرى دوس بني فهم ، بين جبال شاهقة ، في وسط غابة كثيفة الأشجار، بُنيت على واد سُمي باسمها ، وهو أحد روافد وادي تربة المشهور ، وقد عثرتُ على بيت من الشعر لحاجز بن عوف السلاماني الزهراني ، يذكر فيه تَعَرُّض دوس في هذه القرية لغارة شعواء وأرجح أنها بسبب تلك الغارات التي كان يشنها الغطاريف عليهم ، يقول حاجز بن عوف[1] :

رَمَوا دوسًا بحضوة ثم أمسوا … على دوسٍ كَذى الدَّاءِ الكَظيمِ

وقد أنشأت الحكومة في هذا الوادي سَدًّا للاستفادة من مياه الأمطار حال نزولها لري المزروعات المنتشرة حوله لأبناء القرية . وحَجْرَة دوس هو واد في تهامة دوس عليه حاليًّا مدينة اسمها الحَجْرَة ، وهي قاعدة قبيلة بني سُليم الشُّغْبَان الزهرانية ، حصل فيه وقعة في الجاهلية : بين بني كنانة ودوس، وهو إلى اليوم يعرف بحجرة دوس ، قال ابن وهب الدوسي في أبيات[2]:

إن تؤت حجرتنا نعقد نواصيها … ثمّ نكن كالذي بالأمس يعتدل

ثالثاً : الخلاصة :

هذا ما تيسر لنا سرده من تاريخ هذه القبيلة الدوسية الزهرانية العريقة ، في هذه العجالة ، والتي هي بحاجة إلى دراسة عميقة لتسليط الضوء على تاريخها وسير رجالها ، وما دار على تراب أرضها من أحداث جسام ، وفي مثقفيها من يستطيع القيام بذلك[3]. نرجو أن نكون قد وفقنا إلى تزويد القراء ببعض تاريخها المجيد ، والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . انتهيت من تحرير هذه المدونة في (١٤٣٨/٤/٢٠ هـ) . (علي بن محمد بن سدران الزهراني) .

---

(١) أبو عمرو الشيباني ، كتاب الجيم : ١٨٣/٣. (ابن سدران) .

(٢) معجم البلدان : (٨٨/٣) . (ابن سدران) . في هذا العام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) وفي عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) تجولت في تهامة وسروات زهران وغامد وشاهدت الكثير من الشواهد التاريخية التي يعود زمنها إلى العصر الجاهلي وعصور الإسلام المبكرة. وأقول لجامعة الباحة وغيرها من المؤسسات العلمية إن مثل هذه الأمكنة تحتاج إلى دراسة وتوثيق. (ابن جريس)

(٣) شكر الله لك يا علي بن سدران على هذا التدوين التاريخي الذي شمل شيئاً من تاريخ عشيرة دوس في الجاهلية والإسلام ، وكذلك عشائر وأمكنة أخرى من بلاد زهران تهامة وسراة . ونأمل منكم يا أبناء غامد وزهران وبخاصة أرباب القلم والمتخصصين في علوم التراث الإسلامي فتدرسوا تاريخ وحضارة أهلكم وبلادكم ، وهذا من الواجب عليكم فعله. والله الموفق. (ابن جريس) .

ثالثاً: قلعة (الثريا) ودرب جازان العليا في ضوء المصادر التاريخية . بقلم الدكتور/ محمد بن منصور حاوي[1] .

م	الموضوع	الصفحة
أولاً:	المقدمة	١٣٥
ثانياً:	قلعة الثريا	١٤٣
	١ـ سبب التسمية	١٤٣
	٢ـ تأسيس القلعة وتاريخ تشييدها	١٤٤
	٣ـ مساحة القلعة	١٤٦
	٤ـ الكوارث وحالات الخراب التي مرت بها القلعة	١٤٧
	أـ حملة الشريف محمد بن بركات وخراب القلعة والسور عام (٨٨٢هـ/١٤٧٧م)	١٤٩
	ب ـ خراب جازان وقلعتها عام (٩٣٤هـ/١٥٢٧م)	١٥٣
	ج ـ خراب القلعة والسور عام (٩٣٤هـ/١٥٢٧م) ، ثم إعادة إعمارها	١٥٤
	د ـ حملة جيش المطهر بن شرف الدين وخراب القلعة عام (٩٧٥هـ/١٥٦٧م)، ثم إعادة بنائها على يد الشريف أحمد بن غالب	١٥٨
	هـ ـ حالة القلعة بعد خروج الشريف أحمد بن غالب	١٦٢
ثالثاً:	الخاتمة : نتائج وتوصيات	١٦٢

---

(١) الدكتور محمد حاوي من مواليد قرية السلامة في محافظة صبيا عام (١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م) ، حصل على درجة الدكتوراه عام (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) ، وهو الآن على درجة أستاذ مشارك في التاريخ الإسلامي، عضو في عدد من اللجان والمؤسسات العلمية والأكاديمية عمل رئيسا لقسم التاريخ في جامعة الملك خالد (١٤٢٩هـ ـ ١٤٣٥هـ / ٢٠٠٨ ـ ٢٠١٤م) ، أنجز عدداً من البحوث العلمية مثل: (١) تحقيق كتاب تجارب الأمم وتعاقب الهمم لأبي علي مسكويه (رسالة لدرجة الماجستير). (٢) منهج المؤرخ محمد بن يوسف الصالحي في كتاب السيرة الشامية (سبل الهدى والرشاد) (رسالة لدرجة الدكتوراه) . (٣) موقف النبي(ﷺ)من الأسرى في ضوء ما ورد في مؤلفات السيرة النبوية . (٤) الأوضاع الأمنية لحجاج اليمن في عصر الدولة الرسولية (جمعية التاريخ والآثار في دول مجلس التعاون الخليجي). (٥) الفقيه العلامة محمد ابن علي بن عمر الضمدي، دراسة تاريخية (مجلة الدرعية) . (٦) ملامح الحياة العلمية والفكرية في المخلاف السليماني خلال العصور الإسلامية الوسيطة (مجلة العلوم الإنسانية ـ كلية البنات ـ الأزهر) .(٧) دور حجاج اليمن في الحياة التجارية بمكة المكرمة في عصر الدولة الرسولية (الجمعية التاريخية السعودية) . (٨) علماء وأعلام المخلاف السليماني في القرن الحادي عشر الهجري من خلال مخطوطة فوائد الارتحال للحموي . جمع ودراسة توثيقة (جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون الخليجي) . (٩) رحلة الإمام عبدالله بن علي المؤيدي إلى بلاد عسير من خلال مخطوطة التحفة العنبرية لأبي علامة. توثيق ودراسة . (١٠) كتاب النور اللائح في مشائخ صالح (دراسة وتحقيق). وهناك بحوث ودراسات علمية أخرى بعضها منشور وأخرى في طريقها للنشر. (ابن جريس) .

أولاً: المقدمة:

(*) القلاع والحصون في المخلاف السليماني (منطقة جازان):

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد: تعتبر القلاع والحصون من الآثار التاريخية الهامة والشواهد السياحية العسكرية المميزة كما أنها مصدر آثاري مهم للباحثين، والمؤرخين عند إجراء دراسات تتعلق بتوضيح الجوانب السياسية والحضارية بمجمل عام[١]. ومنطقة جازان أو ما كان يسمى بالمخلاف السليماني. الممتد من الشرجة (الميناء القديم المندثر) إلى أطراف حلي بن يعقوب. التي تقع حالياً في جنوب المملكة العربية السعودية[٢]، من المناطق الهامة والغنية بآثارها، وتاريخها، حيث تعد القلاع والحصون من أهم المعالم الأثرية التي تنتشر في أكثر من موقع، سواءً ما اندثر منها واختفت معالمه، أو تلك التي لا تزال أطلالها شاهدة على أهميتها ومكانتها التاريخية والعسكرية، وطرازها المعماري الذي يدل على تقدم أساليب البناء لوسائل الدفاع العسكرية في المخلاف قديماً. ولا يمكن حصر جميع القلاع والحصون في المنطقة في هذه المقدمة وإنما نشير إلى بعضها مما اندثر، أو لايزال بعض أطلاله ماثلاً إلى الآن ينتظر اهتمام الجهات المعنية وعنايتها بالترميم والحماية.

فمن أشهر القلاع الموجودة الآن قلعة "أبي عريش" التي يُطلق عليها أكثر من مسمى وهي قديمة التأسيس، حيث يعود تأسيسها إلى القرن العاشر الهجري، ثم جددها الأتراك. عندما سيطروا على المنطقة. في العام (٩٩١هـ/١٥٨٣م)، وكلما وقع بها الخراب تم تجديدها حتى كان آخرها في عهد الشريف حمود آل خيرات ولاتزال أطلالها قائمة[٣]. ومن القلاع الماثلة الآن قلعة الدوسرية الواقعة في وسط مدينة جازان الساحلية، وتقع على جبل متوسط الارتفاع تطل على المدينة من جانب،

---

(١) نشاهد في مناطق جنوب المملكة العربية السعودية الكثير من الحصون والقلاع والقرى القديمة، التي تستحق دراساتٍ علمية أكاديمية. ونأمل أن نرى جامعات الجنوب المحلية نهتم بهذا التراث المعماري الذي يعكس صوراً تاريخية حضارية لهذه البلاد العربية. (ابن جريس).

(٢) لقد تجولت في أرجاء هذه البلاد، وهي فعلاً تحتوي على بعض الآثار العمرانية، وقد اندثر الكثير منها، ونأمل أن نرى الهيئة العليا للسياحة وكليات السياحة والآثار في بلادنا فتدرس و تهتم بهذا الموروث الحضاري المهم. (ابن جريس).

(٣) علي بن عبد الله النعمان الضمدي، العقيق اليماني (مخطوط مصور عن نسخة محمد نصيف بمكتبة جامعة الملك عبد العزيز)، ص ٣١٣.

والبحـر من جانب آخر[١] . ومن القـلاع الدائرة قلعة المعنق في محافظة الحرث وبناها الأمـير عز الدين بـن الحسين بن عز الدين القطبي ، واتخذها سكناً ومركز دفاع عقب خـروج القطبين من جازان العليا[٢] . والجدير بالذكر أن بعض جدران الغرف الداخلية للقلعـة لاتزال قائمة ، وإن كانت الأشجار قد غطت أغلـب أطلالها[٣] ومنها كذلك قلعة (مختارة) وهي قلعة بناها الحسن بن خالد الحازمي ، وزير الشريف حمود آل خيرات ، وتقـع إلى الشرق من مدينة ضمد الحالية والتي قامـت على أنقاض ضمد القديمة[٤] ولا تـزال بعض أطلالها متماسكة [٥] كمـا أن هناك العديد من القلاع في مواقع مختلفة من المنطقة ، أو في سهولها وجزرها ، ولعل أشهرها قلعة الأتراك بفرسان ، حيث لاتزال مبانيها متماسكة في أجزاء منها[٦] . ومع كثرة هذه القلاع ، والحصون ، فإن قلعة جازان العليـا (الثريا) موضع البحث كانت أبعد صيتـاً وأشهر ذكراً على الرغم من اندثارها ، واختفـاء معالمها لارتباطها بأحداث تاريخ حكام المخلاف وتعرضها لحملات عسكرية أدت بها في النهاية إلى الخراب والهدم .

(*) **جازان العليا :** على الرغم من ورود لفظ (جازان) في بعض النصوص القليلة القديمة عند الهمداني وغيره[٧] .فإنه من غير الواضح ما إذا كان المقصود بهذا اللفظ اسـم الوادي الذي هو بطبيعة الحال أقدم من اسم المدينة أم هو اسم للمدينة نفسها ؟ والمعروف أن أسماء القرى والمدن الواقعة على الأودية إنما تأخذ وتستمد اسمها من اسم الـوادي الواقعة عليه كضمـد ، وصبيا ، وبيش وغيرها[٨] . لذلـك لا يبعد في هذه الحال

---

(١) يبـدو مـن كلام البهكلـي في نفح العود أن أول من بناها هو الشريف حمـود آل خيرات. انظر: ص ٣٥٤، بتحقيـق فؤاد الشامي، صنعاء ، (١٤٢٥هـ) ، وعلي جابر شامي، دليل المواقع الأثرية في منطقة جازان ، طبع وإشراف إدارة العلاقات العامة بإمارة منطقة جازان . د ت ، ص٢٠ .

(٢) البهكلي ، العقد المفصل، ورقة ٧ .

(٣) علي جابر شامي . المرجع السابق ، ص٢٦ .

(٤) البهكلـي ، نفـح العود ، تحقيق الشامـي ، ص٣٥٤، ومحمد حيدر النعمـي ، الجواهر اللطاف في أنساب أشـراف صبيـا والمخـلاف (مخطوط مصور عـن مجموع بمكتبـة الكبسي ، صنعاء رقـم ٢٦، ص٤١ ، بترقيمي).

(٥) حجـاب الحازمـي ، القاسم بن هتيمل ، حياته من شعره ، مطابع الشرق الأوسط ، ط١، الرياض ، ١٤٢٤هـ، ص٤٧ ، هامش (٢) وهي المسماة الآن بقلعة الحمى. (علي جابر شامي، المرجع السابق ، ص٢١).

(٦) علي جابر شامي ، المرجع السابق ، ص ٢٨ .

(٧) في صفة جزيرة العرب . للهمداني ، تحقيق الأكوع ، الرياض ، دار اليمامة ، (١٣٩٤هـ) ، ص ٧٦، ١٢٦، وانظـر المقدسـي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، دار السويدي للنشر ، ط١، (٢٠٠٣م) ص١٠٥، عندما ذكرها ضمن المخاليف في اليمن .

(٨) انظر العقيلي ، مقالات رصينة وتحقيقات أمينة ، مطبوعات نادي جازان الأدبي . (١٤٢٠هـ)، ٩٤.

أن تكـون جـازان قد أخذت اسمها من وادي جازان المشهـور[١]. وأياً ما كان الأمر، فإن جازان العليـا[٢]لم تشتهر وتصبح عاصمة للمخلاف إلا بعـد سقوط إمارة السيلمانيين بعـد مقتل، أو وفاة الأمير المؤيد بن قاسم أمير المخلاف حينها سنة (٦١٥هـ/١٢٠٨م) تقريبـاً نتيجـة الصراع مـع الأيوبيـين في اليمن[٣]. ومـن المرجح أنه عقـب ذلك انتقل فـرع من الغوائم إلى جـازان ورأوا فيها مكاناً استراتيجياً تتحقـق فيه مزايا عديدة ما بـين وقوعها علـى حرة مرتفعة[٤]. وخصوبـة الأراضي، وتوفر الميـاه الصالحة للشرب والزراعـة، حيـث ملاصقتها للضفـة الجنوبية من وادي جازان وهــي أمور لا تتوافر في عثر التي كانت عاصمة للمخلاف السليماني قبل جازان. لكننا لا نعرف على وجه الدقة متـى تأسست جـازان العليا وأصبحـت عاصمة للمخلاف؟ كمـا لا نستطيع الجزم بمن اتخذهـا عاصمة للمخلاف من أمراء الغوانم حكام المخـلاف وقت ذاك[٥]، وربما كان هـذا الغموض دافعاً لبعض مؤرخي المخلاف للاجتهاد في معرفة تاريخ التأسيس، وأول مـن اختطها. فيذهب المؤرخ النمازي في كتابـه: " **خلاصة السلاف**" إلا أن اختطاط جازان الأعلى كان في زمن آخر ملوك الأشراف الغوانم الشطوط أهل باغتة الأمير وهاس بـن سليمان صاحب جازان المشهـور بالمقلم ... إلخ[٦]. وعلى الرغم من أن هذه المعلومة تفـرد بها النمازي إلا أن اللبس والغموض قـد اكتنفها، ومع ذلك فإنها تثير العديد من التسـاؤلات حـول شخصية المقلم، من هـو؟ ومتى كان حكمه للمخـلاف؟ وغيرها من أمـور ليس هـذا البحث موضع مناقشتها[٧]. ولعلنا نستنتج في ضوء ما ذكره النمازي أن

---

(١) علـي جابـر شامي، البيان في توثيق تسمية جازان، مقال بمجلة مرافئ، نادي جازان الأدبي، ص٧٤٧، محرم ١٤٢٦هـ/مارس ٢٠٠٥م)، ص ١٩٥.

(٢) سميت بالعليا تمييزاً لها عن جازان البندر عاصمة المنطقة الآن الواقعة غرب الأولى على ساحل البحر، العقيلـي، المعجـم الجغرافي (منطقة جـازان)، دار اليمامة للنشر، الرياض، (١٣٨٩هـ)، ص١٠١، والآثار التاريخية في منطقة جازان، ص٣٧.

(٣) العقيلـي، المخلاف السليمـاني، دار اليمامة للبحث والنشر، ط٢، ١٤٠٢هـ، ج١، ص٢٠٨، والزيلعي، مدينة جازان الأثرية، مجلة الدارة، ع٢، س٢٠، ١٤١٥هـ، ص ١٠١.

(٤) هي ما يسمى بالمراح وهي حرة مرتفعة تكثر بها الصخور البركانية ولعلها ما كان يطلق عليه جبل الجرد، حيـث يذكر العقيلي أن جازان العليا تقع فوق جبل الجـرد وتمتد إلى ضفة وادي جازان من الشمال وهو موقـع استراتيجي يجعـل المدينة ترتفع عن عدوة الوادي الجنوبية حتى تـكاد تطل عليه، العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج١، ص٢٦١، حاشية رقم (١).

(٥) الزيلعي، مدينة جازان الأثرية في ضوء نقش مؤرخ سنة (٨٦٨هـ)/١٤٦٤م)، ص٩٧.

(٦) خلاصـة السـلاف (مخطوط مصور عن نسخة بيد الموكلي بقريـة أبي السلع - بيش - غير مرقمة) ورقة ١٣، ٥٥ بترقيمي.

(٧) تناول جوانب هذا الموضوع الأستاذ علي جابر شامي في بحثه، البيان في توثيق تسمية جازان فانظره.

انتقــال مدينة جــازان العليا من مرحلة كونها قريــة إلى عاصمة للمخلاف كان في زمن الأمــراء الغــوانم مع عدم التسليم بما ذهب إليه النمازي مــن تحديد اختطاط المدينة ، لأن الأمير وهاس بن سليمان الذي يذكر أنه كان آخر أمراء الغوانم الشطوط أهل باغتة لا يمكــن أن يكون هو الذي اختط جازان الأعلى : لأنها كانت موجودة منذ القرن السابع الهجــري ، وهي مقــر الأمراء الغوانم الذين عاصر بعضهــم شاعر المخلاف ابن هتيمل (ت٦٩٤هــ/١٢٩٦م) بدليل ورودها في قصائده التــي مدحهم بها كما ستأتي الإشارة. هذا إلى أن الأمير وهاس بن سليمان صاحب باغتة - إن كان هو المقصود بلقب المقلّم في نص النمازي[١] - كان معاصراً لأمير جازان الغانمي في النصف الأخير من القرن السابع الهجــري وهاســ بن محمد بن هاشم بن غانم ، يدل على ذلــك قول الشاعر ابن هتيمل المعاصر للاثنين من قصيدة له يؤنب وهاس بن محمد الغانمي صاحب جازان .

وهــاس أغنـيـك لا وهــاس بـاغـتـة   أمـيرهـا ابـن سليمان بـن مـنـصـور [٢]

وبــدأت بعــد ذلك ، نتيجة الضربــات التي نزلت بها ، تفقد أهميتهــا ، وخاصة بعد نــزوح الأهالي منها، ومفارقتهم لها ابتداءً من حملــة أبي نمي عام (٩٤٣هـ/١٥٣٦م) ، وهــدم القلعــة والمباني السكنيــة وطرد السكان منهــا ثم لحقها الخــراب بعد ذلك كما سيأتي تفصيله لاحقاً.

أما في وقتنا الحاضر فإن جازان العليا قد اندثرت وقامت على أطلالها قرية صغيرة يطلــق عليهــا وعلى بقايا المدينة المندثرة قرية " الجــدر" وهي تقع على بعد (٨كم) إلى الشمــال الشرقي من مدينة أبي عريشــ وإلى الشرق من قرية حاكمة ، وتطل على وادي جازان المشهور من الناحية الجنوبية له ، حيث أقيم قريباً منها مشروع سد وادي جازان ، وأطلال المدينة مغطاة بغابة من شجر الأراك الذي يمتد على مساحة كبيرة منها ويبدو أن هــذه الأشجار كانت تغطيهــا منذ زمن متقدم حيث يذكر كل مــن النعمان الضمدي (ت:١٠٦٤هـ/١٦٥٣م) في العقيق اليمــاني ، وكذلك البهكلي (ت ١١١٤هـ/١٧٠٢م) في كتابــه العقــد المفصــل أن الاراك كان يغطــي مساحة كبيرة منها ، بحيــث لا يمكن تبيَّن

---

(١) المقلــم شخصيــة يكتنفهــا الكثير من الغموض ولا يمكــن كما قال الزيلعي في رده علــى العقيلي أن يكون وهاســ بن سليمان هــو المقلم إلا أن يكون مقلماً آخر ، انظر: الأوضاع السياسية هامش ٢ ، ص ص ١٣٩- ١٤٠ وربما كان من ذرية سليمان ابن وهاس بن سليمان بن منصور أمير باغتة .

(٢) ابن هتيمل ، ديوانه المسمى (درر النحور) دراسة وتحقيق عبد الولي الشميري ، ط١، صنعاء (١٩٩٧م) ، ج١، ص٤٢٨، ق ١٠٤.

البقايا ، اللهم إلا ركام الحجارة ، وبعض أطراف السور ، وما يمكن أن يكون في زمن سالف قصور أو مبان وحصون من بقايا أساسيات غطيت بأشجار الأراك الضخمة كذلك. [١]

(*)سور جازان العليا (درب النجا) :

وردت ألفاظ "درب النجا "درب" " الدرب" مقرونة غالباً باسم جازان العليا / سواءً في شعر ابن هتيمل أو الجراح بن شاجر، أو عند مؤرخي المخلاف ، ويبدو أنهم قصدوا من وراء ذلك تمييز جازان العليا بدربها المشهور أو سورها، حيث أنها المدينة الوحيدة في المخلاف السليماني التي كانت محاطة بسور ذي أبراج[٢]. وقد وردت الإشارة إليه عند شاعري المخلاف الآنفي الذكر وذكرا من منعته وقوته وعلوه وسماكته، وكثرة أبراجه مما هو مبثوث في ثنايا ديوانيهما.[٣] بيد أننا مع كل هذا نجد بعض الباحثين يذهبون إلى أن المقصود بلفظ "درب النجا"[٤]، أو "درب جازان" إنما هو اسم للمدينة نفسها[٥] . وهذا في رأيي ليس صحيحاً إذ إن لفظ "الدرب" أو"درب " هنا إنما المقصود به السور الذي كان يحيط بقسم من مدينة جازان العليا ، ولشهرته وما كان يتمتع به من ميزات القوة والمتانة وصخوره الضخمة التي مازال بعضها ماثلاً إلى الآن . لذلك قرن باسم جازان حتى كاد أن يطغى عليها . وأصبح من ثم يكتفي باسم السور دلالة على المدينة ، والدليل على ذلك أن لهذه التسمية ما يماثلها في بلاد اليمن المجاورة التي تتطابق مع المخلاف السليماني ، وتندمج اجتماعياً وعمرانياً وسكانياً وحضارياً نتيجة الجوار ، وتماثل الثقافات ، والعادات بل الخضوع في بعض الفترات وبخاصة في عهد الرسوليين والطاهرين للهيمنة السياسية ، لذلك فقد تشابهت وتماثلت أشكال العمارة، ومسمياتها وأنواعها ، وبالرجوع إلى تسميات الأسوار عند بعض المؤرخين اليمنيين نجد

---

(١) يتبين ذلك لكل من زارها . وقد زرتها في ذي الحجة من العام (١٤٢٦هـ) . كما زارها العقيلي والزيلعي وأعطيا نفس الوصف (انظر: الآثار التاريخية للعقيلي ، ومدينة جازان الأثرية في ضوء نقش للزيلعي)..

(٢) العقيلي ، الآثار التاريخية لمنطقة جازان ، ص٥١، والجراح بن شاجر الذروي ، ص ٣١-٣٢. والعقد المفصل، ص ، (١٢٠) (ملحق المحقق) .

(٣) انظر : ديوان ابن هتيمل ، تحقيق الشميري في ٣ مجلدات . وديوان الجراح تحقيق العقيلي . مطابع الرياض- الرياض ، (١٣٨٥هـ/١٩٦٩م) ، ص ص ٣١-٣٢ .

(٤) يظهر أنه سمي بذلك نظراً لمنعته ، فهو طريق النجاة لمن تحصن به.

(٥) العقيلي ، الآثار التاريخية ، ص ٣٧، وتاريخ المخلاف السليماني ج١، ص ٢٦١، والزيلعي ، مدينة جازان الأثرية في ضوء نقش مؤرخ سنة ٨٦٨هـ ، مجلة الدارة ، ، ص٩٧، وعلي جابر شامي ، البيان في توثيق اسم جازان ، ص ١٩٧وما بعدها، وغيرهم.

أنهم يطلقون لفظ " الدرب" و "درب" على الأسوار، أو الحيطان العالية ، والمتينة المحيطة بالمدن والقلاع . فمثلاً يذكر المؤرخ الشرفي في اللآلئ المضيئة أن الإمام أبا القاسم العياني (٣١٠-٣٩٥هـ / ٩٢٢-١٠٠٤م) أمر بهدم "درب صعدة" قال: "وهو حائط دون القرية فهدم"[١]. كما أطلق لفظ الدرب كذلك على سور صنعاء المحيط بها فقال في أثناء كلامه عن حركة الإمام " يوسف الداعي" " فأمر بهدم درب صنعاء فهدم "[٢]. ويعضد ما ذهبنا إليه أن المؤرخ النمازي صاحب "خلاصة السلاف" نص صراحة على أن الدرب إنما هو سور جازان الأعلى فقال في معرض كلامه عن حملة "أبي نمي" شريف مكة على جازان عام (٩٤٣هـ/١٥٣٦م) "... ودخل جازان فخرب القلعة ، ودمرها إلى الأرض، وأخرب الدرب[٣]. كما أن لفظ "الدرب" ورد في شعر ابن هتيمل (القرن السابع الهجري) في أثناء بعض القصائد التي كان يمدح بها بعض أمراء جازان ومنها قوله :

فأدلج من بروج " الدرب" يهوي إلى السلبين من أهل ومال

وقوله من قصيدة أخرى :

إذا ما رماح الخط لم تُرْدِ هارباً إلى " الدرب " أردته رماح المكائد

وما خلفه من حصن صرح ممرد وكان كشيطان من الجن مارد

أو قوله :

لاذ بالدرب ثم أدلج لم يسترجـ ـف لما نزلتم بحصاره[٤]

كما ورد لفظ الدرب عند الشاعر الجراح بن شاجر الذروي أحد أشهر شعراء المخلاف السليماني في القرن العاشر وكان مقرباً ولصيقاً بالأمير المهدي بن أحمد بن دريب أمير جازان في الفترة ما بين (٩١٢- ٩٢٥م/١٠٥٦- ١٥١٩م) بل إن شهرة الأمير المهدي استمدت صداها من مدائح هذا الشاعر الذي وضع ديواناً كان معظمه في مدح الأمير المهدي[٥].

---

(١) مخطوط مصور عن نسخة مكتبة الجامع الكبير الغربية بصنعاء) ق ٢٥ ورقة ١٠٥.

(٢) ق٢ ورقة ١٠١ ، وانظر أمثلة أخرى في كتاب ، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون لابن الديبع ، تحقيق محمد الأكوع ، ط٢، (١٤١٩هـ/١٩٨٨م) ، ص ٤٢٠، والأدلة على أن لفظ الدرب يقصد به السور كثيرة ، انظر أمثلة لذلك في مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار لابن فند ، مؤسسة الإمام زيد الثقافية، صنعاء ، ط١، (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م) ، ج، ص٦٦٥وغيرها.

(٣) ورقة ٥١ من خلاصة السلاف .

(٤) ديوان ابن هتيمل تحقيق الشميري ، ج١، ص ٢٦٧، ٤٤١ ، ج٢، ص ٧٢٣وغيرها .

(٥) العقيلي ، الآثار التاريخية ، ص٤٤ .

فمن ذلك قوله :

حـين قـابلـت درب جـــازان لاحـت وبـدت لي قصـورها الخـالـديـة[١].

وقوله :

فعطفاً فـإن الـدرب أصـبح مغضباً وكـاد لـرحـبـان عـلـيـه يـحـارب[٢]

ونستنتج أن هذه الألفاظ تدل على أن المراد بالدرب تحديداً السور المشهور المحيط بالمدينـة، أو بجـزء منها بما فيها القلعة وقصور الأمـراء وليس المقصود به اسم جازان العليـا عـن غيرها من مدن "المخلاف السليماني" ويقود هـذا إلى أن نتساءل متى بني السـور؟ وفي عهـد أي من الأمراء بُنـي؟، والحقيقة أننا لا نكاد نقـف على إجابة قاطعة واضحـة تستند على معلومات أوردهـا مؤرخو المخلاف أو غيرهم تذكـر تأريخ تأسيسٍ وبنـاء السـور أو اسم الأمير الذي بناه . وكل ما يمكن قولـه هنا ، أن السور كان موجوداً في عصـر الشاعـر ابن هتيمل ، أو قبله بدليل ما ورد الإشارة إليه في شعره الذي مدح به بعض أمراء الغوانم حـكام وادي جازان الذين كانوا يتخذون من جازان الأعلى عاصمة لهم كما تقدم ، ونجد أن أبرز شخصيتين عاصرتا الشاعر ابن هتيمل في القرن السابع الهجـري همـا وهاس بن محمد بن هاشم بن غانم وابنه محمـد بن وهاس أمير جازان في ذلـك الوقت[٣]. وبنـاءً على ما ورد في شعر ابن هتيمل مـن أوصاف لقصور جازان، ودربهـا، وتحصيناتهـا ، وتشبيههـا بالصرح الممـرد أو كشيطان من الإنس مـارد[٤] ، يمكننا أن نستدل منها على أن المدينة كانت وقتها محصنة ومن أهم تحصيناتها دربها، أو سورها الضخم المنيع ذي الأبراج العديدة عالية البنيان[٥].

كمـا نستدل من بقايا السور الماثلة حاليـاً أنه لم يكن مضروباً على جميع المدينة ، بل علـى جـزء منها ربمـا كان هو القسم الأكبر مـن المدينة أو هو الحـي الرئيس الذي يضم قصـور الامراء الغوانم وأقاربهم وحاشيتهم في المدينة وقلعتها الثريا[٦]، بدليل وجود آثار

---

(١) ديوان الجراح ، ص ٨٩ .

(٢) ابن هتيمل ، ديوانه بتحقيق الشميري ، انظر القصائد رقم ٧ ، ٥٩ ، ٧٧، ١٠١، ١٠٤، ١١١، ١١٤، ١١٩، ١٢١، ٢٢٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٥٢، ٢٧٢، ٢٨٥ وغيرها .

(٣) ديوان ابن هتيمل ، ج١، ص ٤٤١ وغيرها .

(٤) المصدر نفسه ،ج٢، ص٧٨٩، ج١، ص٤٢٩ ، وانظر العقيلي ، الآثار التاريخية في منطقة جازان ، ص ص ٣٨ـ ٣٩، ولاتزال بقايا أبراج السور ظاهرة إلى الآن .

(٥) العقيلي ، الآثار التاريخية ، ص ٥٣ـ ٥٥ .

(٦) وضعـت وكالـة الآثار بـوزارة التربية والتعليـم بالتعاون مـع إدارة المتحف والآثار بجـازان مسقط أفقي تقريبي لبقايا السور وهو غير دقيق بطبيعة الحال .

مبانٍ تقع خارج السور وبخاصة من الناحيتين الشرقية والجنوبية(١). ولا نعلم علم اليقين أن كانت هذه المباني الواقعة خارج السور من عهد الأمراء الغوانم والقطبين أمراء جازان الذين حكموا خلال الفترة بين القرنين السابع والعاشر الهجريين أم استحدثت بعد ذلك؟ لكن الواقع يدل على أنه كانت هناك مساكن ومبانٍ خارج السور وقتها بدليل ورود معلومات عنها في بعض المصادر، حيث يذكر المؤرخ ابن فهد مثلاً في أحداث حملة محمد بن بركات على جازان عام (٨٢٢هـ/١٤٧٧م) أن المباني كانت داخل المدينة وخارج سور المدينة(٢)، ويظهر أن كثيراً من المباني الواقعة خارج السور كانت عششاً(٣)، ويستنتج من بعض النصوص أن السور كانت له بوابتان غربية وشرقية(٤)، يدل لذلك أن الشريف محمد بن بركات في حملته على جازان عام (٨٨٢هـ/١٤٧٧م) وأثناء السعي بين الأميرين للصلح اشترط شريف مكة للموافقة عليه أن يدخل المدينة من باب ويخرج من الآخر، فرفض أمير جازان(٥). وربما كان له أكثر من باب، حيث يذكر العقيلي في زيارته لبقايا المدينة عام (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م) أن البوابة الرئيسية للسور تقع في الناحية الغربية(٦). والذي يظهر من بقايا الحجارة الضخمة الموجودة حالياً أن بناء السور كان قوياً محكماً، ويتمتع بمتانة عالية بدليل أن شريف مكة أبانمي بن بركات اضطر في أعقاب حملته عام (٩٤٣هـ/١٥٣٦م) على جازان أن يبقى عاماً كاملاً حتى ينتهي من هدمه مع القلعة، وإن كانت بقاياه تشير إلى أنه لم يهدمه جميعه وإنما هدم منه أجزاء(٧). وظهر من خلال الزيارة التي قمت بها أن هناك بوابة تقع في الضلع الجنوبي للسور ولم أستيقن إن كانت هناك بوابة من الجانب الشمالي لزحف المساكن على جزء كبير من السور.

على أية حال تعرض السور عبر حكم الغوانم والقطبين ومن بعدهم إلى الهدم والإخراب عند كل حملة حربية تشن على حكام المدينة، سواءً كانت هذه الحملات من مكة أو من اليمن كما سيأتي توضيح ذلك في المباحث الآتية. وفي كل مرة كان يعاد ترميم السور مع ترميم القلعة، وإعادة بنائها حتى أخرب وأهمل في القرن الثاني عشر

---

(١) انظر، الآثار التاريخية في منطقة جازان، ص ٥١.

(٢) في كتابه الدر الكمين بذيل العقد الثمين، تحقيق عبد الملك بن دهيش، مكتبة الأسدي، ط٢، مكة ١٤٢٥هـ، ج١، ص١٦.

(٣) نفس المصدر والجزء والصفحة، وانظر كذلك إتحاف الورى، تحقيق عبد الكريم الباز جامعة أم القرى، مكة، ط١، ١٤٠٨هـ، ج٨، ص٦١٣.

(٤) العقيل، الآثار التاريخية، ص ٥٤.

(٥) ابن فهد، الدر الكمين، ج١، ص١١٦، إتحاف الورى، ج٤، ص ٦١٤.

(٦) الآثار التاريخية في منطقة جازان، ص ٥٤.

(٧) جار الله بن فهد، المنى بذيل بلوغ القرى، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، مؤسسة الفرقان، ج٢، ص ٧٠٠.

الهجـري عقب طرد الشريف أحمد بن غالـب من المخلاف عام (١١٠٥هـ / ١٦٩٣م) ، وقد زار المؤرخ محمد بن أحمد العقيلي، مدينة جازان الأثرية في عام (١٣٧٩، ١٣٨٣هـ/ ١٩٥٩، ١٩٦٣م) وتـرك وصفاً دقيقاً للسور المبني من الأحجار البركانية ، حيث يرى أن ارتفاع السور كان يقارب (١٢) ذراعاً ، وأن بين كل (٢٥٠) ذراعاً تقريباً برج على مدار السـور كما أن عرض مـا بقي منه يتراوح بين (٦) إلى (٧) أذرع وأن محيطه يزيد على أربعة كيلو مترات[١]. كما زار الزيلعي المدينة وذكر أن بعض بقايا السور يصل ارتفاعها في بعض الجهات إلى ثلاثة أمتار[٢].

ونخلـص هنا أن السـور كان من أبرز معالم جازان العليـا ، وأهم تحصيناتها وأنه كان موجوداً منذ بداية اختطاطها كعاصمة للمخلاف السليماني في عهد الأمراء الغوانم منذ أوائل القرن السابع الهجري، وأنه المقصود بلفظ " الدرب" أو "درب جازان" الذي يرد في المصادر ، والكتابات التاريخية المحلية.

ثانياً : قلعة الثريا :

١. سبب التسمية :

مـن أهم التحصينات والمباني الدفاعيـة التي كانت تشتمل عليها مدينة جازان العليـا المندثرة القلعـة المشهورة التـي عرفت عنـد مؤرخي المخـلاف السليماني بقلعة (الثريـا) ولم نقف على معلومات تدلنا على سبب هذه التسمية ، ومتى أطلق عليها هذا المسمى؟ بيد أن أول إشارة وردت عن هذه التسمية كانت في بعض الأبيات الشعرية التي تضمنهـا ديـوان شاعر المخلاف في القـرن العاشر الهجري الجراح بـن شاجر الذروي الـذي كان شاعـر الأمراء القطبيين الذيـن حكموا المخلاف السليمـاني ما بين (٨٠٣-

---

(١) العقيلي ، الآثار التاريخية ، ص ٥٣ .

(٢) انظر : بحثه مدينة جازان الأثرية في ضوء نقش ، ص ١٠١ . وللأسف فيبدو أنه كلما تقدم الزمن زحف السـكان علـى البقية الباقية من آثار السـور فقد شاهدت بعض المباني عنـد زيارتي في ذي الحجة عام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) قد اتخـذت من بقايا السور أساسـات لها وعلى الرغم من محـاولات وكالة الآثار تسويـر بعض الأماكن والبقايا من السور وأساسيات المبـاني القديمة إلا أنها في حاجة ماسة إلى تكاتف الجهـود مـن أكثر من قطاع من قطاعات الدولة لدفع عدوان السـكان على بقايا المدينة ، والحفاظ على البقية الباقية ، وتشكيل لجان عمل ، وحفريات وتنظيف لأشجار الأراك الهائلة التي غطت المكان.

٩٤٣هـ/ ١٤٠٠- ١٥٣٦م) [١]. إذ يقول من قصيدة له في مدح الأمير محمد المهدي[٢] :

وتـــرى (الـــثريـــا) ســمـكـهـا عـــال عـلـى بـدر الـسـمـا وعـــلاه[٣]

ويستشف من قوله هذا أن القلعة سامقة البنيان تكاد من طولها تسامت الثريا علواً وارتفاعـاً وإشرافاً على غيرها من قصور المدينـة ومبانيها. كما يتضح من قول الشاعر سبـب تسمية قلعة جازان بـ (الثريا) . ويؤكـد هذا أن الاسم يرد عند مؤرخي المخلاف ويذكرونـه في سياق ما يروون مـن أحداث تاريخ القطبيين دونمـا إشارة عن سبب هذه التسمية الأمر الذي يعزز ما ذكرناه آنفاً.

٢. تأسيس القلعة وتاريخ تشييدها :

مـن المشـكلات التـي يواجها الباحـث في التاريـخ المحلي للمخـلاف السليماني في العصـور الإسلاميـة الوسيطة قلة المعلومات ، بـل ندرتها في بعض الفـترات التاريخية المتقدمـة ذلـك لأن التدويـن التاريخي في المخـلاف السليماني بدأ متأخـراً منذ القرن العاشر الهجري تقريباً ، فقدت بسببه الكثير من أخبار المخلاف في العصور الإسلامية المبكـرة والوسيطة ، كما ساهـم إهمال المؤرخين الآخرين مـن مكيين ويمنيين في رصد جميـع أو أغلب الأحـداث المحلية للمخـلاف واقتصار بعضهم على ما لـه علاقة وصلة بأحـداث مناطقهـم فقط أو تلك الأحـداث المشتركة [٤] ، وكان لفقـد مؤلفات تاريخيه لبعضـ مؤرخـي المخلاف دور في غموض هـذه الفترات من مؤلفـات كالعقيق اليماني ، وخلاصـة السلاف قد حوت جل ما اشتملت عليه تلك المفقودة[٥] . ومع هذا فإن المتوفر

---

(١) علـى الرغـم من شهرته كشاعر المخلاف في القرن العاشر ، إلا أننـا لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا (محمـد بن أحمد العقيلي، التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، ط١، (١٤١١هـ/ ١٩٩٠م) ، ج١، ص٢٣٠وما بعدها.

(٢) هـو محمـد بن أحمد بن دريب الملقب بالمهدي ، أشهر أمـراء المخلاف السليماني ، كان ممدوح الشاعر الجـراح كان جـواداً كريمـاً له مجالس تجمـع العلماء والشعـراء (النعمي القبـي، الجواهر اللطاف) (مخطوط) ، ورقة ٣٦ ، والزيلعي ، الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية ، ص١٨٦.

(٣) انظـر : ديـوان الجـراح بـن شاجـر ، دراسـة وتحليـل ، محمـد العقيلـي ، مطابـع الرياضـ ، ط١، (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م).

(٤) على اعتبار أن المخلاف السليماني يقع بين الحجاز واليمن ، والتقارب الجغرافي والثقافي والسياسي بين بـلاد المخلاف واليمن وبخاصـة في العصور الإسلامية الوسيطة ، ولذلـك تضمنت بعض كتب التراجم اليمنية الترجمة لعدد من أعلام وعلماء المخلاف .

(٥) أشـار عبـد الله النعمان ، والنمازي في كتابيهما إلى بعض هذه المؤلفات المفقودة وصرحا بالنقل عنها في مواضع من كتابيهما.

مـن المعلومات لا يشبع نهم الباحث، ولا يساعد في تغطية العديد من الجوانب التاريخية للمخـلاف وبخاصـة ما قبـل القرن العاشـر الهجري التـي لايزال يكتنفهـا الكثير من الغموض ، ومازالت الفجوات التاريخية قائمة لا يمكن سدها لندرة أو انعدام المعلومات التـي تعين الباحـث في عمله[1] . لذلـك لا نكاد نجد فيمـا وقع تحت أيدينـا من تواريخ المخـلاف المحلية شيئاً يدل على تاريخ بناء وتأسيـس القلعة، كما لم نقف على معلومات مؤكـدة عـن الأمير الـذي أمر بتشييـد قلعة (الثريـا) . اللهم إلا إشـارات وردت عند البهكلي لم يذكر لها مصدراً محدداً . وهي اجتهادات في الأغلب الأعم تذهب إلى (أن العامر لهذه القلعة ليس إلا خالد بن قطب الدين) أول أمراء الأشراف القطبيين الذين أصبحـوا حكاماً للمخـلاف السليماني بعد بنـي عمومتهم الأشراف "الغـوانم" في أول القرن التاسع الهجري حيث يقول : " اعلم أني قد طالعت بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيـد " للديبـع مطالعة الاستقصاء فلم أره ذكر عمارتهـا القديمة مع ذكره لملوك زبيد وعمارتهم إلى مدة بني طاهر رأس المئة التاسعة ، وطالعت "قرة العيون في أخبار اليمن الميمون" له أيضاً إمراراً لا استقصاءً ، ولا إخاله ذكر عمارتها. وبعض تاريخ أبي الحسن الخزرجـي ولم أر فيمـا رأيت ذكـراً لعمارتها ، ولا أظن العامر لهـا غير خالد بن قطب الديـن وأولاده . ولو كان لملوك زبيد فيها عمارة لما أغفلها الديبع مع ذكره لعمارة البرك وهـي أحقر منها قدراً وأبعد مسافة. [2]ومع أن المؤرخ النمازي يتابع البهكلي في اجتهاده السابق إلا أنه يطرح مع ذلك رأياً آخر يذهب فيه إلى أن أول من اختط القلعة كان آخر ملـوك المخلاف السليماني من الأشراف الغوانم المشهورين بالشطوط ، ولم يقطع برأي جازم بل في كلامه صيغة التضعيف "قيل" حيث يقول في كتابه خلاصة السلاف : "اعلم أن لهذه القلعة المشهورة بالثريا من الأخبار المذكورة في تواريخ اليمن وغيره من الأقطار ممـا لا يضبطها انحصار[3] ، وقد سبـق ما ذكرناه أن أول اختطاطها كان في زمان آخر ملـوك المخلاف من الأشراف الغوانم المشهورين بالشطوط [4] ، وقيل كان اختطاطها في

---

(١) تـبرز جهود مـؤرخ المخلاف المرحوم محمد العقيلي في كتابه المخـلاف السليماني وكذلك د. الزيلعي في كتابـه، الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجيـة لمنطقة جازان ، ولكن مع ذلك هناك فجوات وقفت قلة المعلومات دون سدها في تاريخ المخلاف المبكر والوسيط .

(٢) العقد المفصل بالعجائب والغرائب في دولة الشريف أحمد بن غالب ، تحقيق العقيلي ، ص٥٣ .

(٣) كـذا قال وقد نقبت في الكثـير من المؤلفات التاريخية اليمنية المطبوعة منهـا والمخطوطة فلم أجد أحداً ذكرهـا ولا أشـار إليهـا. ولا أعلم أي تواريخ يذكر ، ولعله اطلع على شـيء مما لا يزال الآن مفقوداً أو في حكمه .

(٤) الشطـوط هـم فرع من الغـوانم السليمانيين الذين حكمـوا المخلاف السليمـاني : "وكان هؤلاء الأمراء الشطـوط بباغتة ويظهر أنهم تفرقوا عقب مقتل الأمـير المؤيد على يد الأيوبيين فقسم سكن باغته وهم الشطـوط ، وآخـر سكن جازان وهم الغوانم (للمزيد من التفصيـلات انظر : العقيلي، تاريخ المخلاف

زمن الأمير "خالد قطب الدين" أول ملوك المخلاف من الأشراف القطبيين والله أعلم "[١]. ولا نستطيع تأكيد ما ذهب إليه العقيلي من استدلاله ببعض شعر ابن هتيمل الذي ذكر فيه "الدرب" والحصن على أن المقصود قلعة الثريا من مثل قوله:

إذا ما رماح الخط لم ترد هارباً — إلى الدرب أردته رماح المكائد

وما خلفه من حصن صرح ممرد — وكان كشيطان من الجن مارد[٢]

فما ورد من شعر ابن هتيمل المستشهد به ليس فيه التصريح بوجود القلعة وإلا لذكرها ابن هتيمل باسمها الذي أورده الشاعر الآخر في القرن العاشر "الجراح بن شاجر" خاصة وأنها مما يمكن أن يباهى به ، وإنما ورد لفظ "حصن" في البيت السابق . ومع أنه لا يدل صراحة على قلعة "الثريا" إلا أن هذا اللفظ يؤكد وجود حصون أو حصن في مدينة "جازان العليا" حينها قد تكون قلعة الثريا خاصة مع وصف الشاعر له بأنه (كشيطان من الجن مارد) ، أو حصون أخرى بناها أوائل الأمراء الغوانم في جازان.

٣. مساحة القلعة :

يعتبر البهكلي أول من حاول الإشارة إلى مساحة القلعة في كتابه: (العقد المفصل بالغرائب والعجائب) عند كلامه عن قيام الشريف أحمد بن غالب في عام (١١٠٤هـ/١٦٩٢م) [٣] بإعادة بناء وتشييد القلعة للتحصن بها أمام الهجمات التي كان يشنها عليه قبائل المخلاف وأئمة اليمن وغيرهم ، وقد اعتمد على رواية غيره في تقدير هذه المساحة ، لذلك لم يورد رأياً قطعياً فقال: " وروى لي بعضهم أنها مسحت فجاءت ثلاثة معاود إلا ثُمن معاد وقيل: ثلاثة معاود وقيراط "[٤]. ويبدو أنه قام بزيارة إلى القلعة عندما بدأ الشريف أحمد ابن غالب بالاستعداد لإعادة بنائها - كما سيأتي - فوجد

السليماني (بحث منشور بمجلة العصور مج٦ ، ج٢، يوليو (١٩٩١م)، ص٢٦٧ وما بعدها.

(١) خلاصة السلاف (مخطوط) ورقة ١٠٤ بترقيمي .

(٢) الديوان بتحقيق الشميري ، ج١، ص٢٦٧، وانظر العقيلي ، الآثار التاريخية في منطقة جازان ، ص٣٨، ٥٢ .

(٣) قدم إلى المخلاف السليماني من مكة وحكمها حكماً غير مستقر لرفض غالب أهلها له ما بين عامي (١١٠٢، ١١٠٥هـ / ١٦٩٠، ١٦٩٣م) حيث طرد منها وعاد إلى مكة، العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج١، ص٣٧٤ وما بعدها.

(٤) انظر مخطوطة الجامع بصنعاء ضمن مجموع ص ٣٧. وفي طبعة العقيلي ص٥٣ " ثلاثة معاود إلا ثمن معاد وقيراط" وقدرها العقيلي بـ(١٠٤٠٠م٢) كما قدرها د. الزيلعي بحوالي (٧٠٠٠م٢) وقوله هذا غير دقيق فإن المعاد يتراوح بين(٣٥٠٠م٢) و٤٠٠٠م٢ وعلى ذلك فهي تتراوح بين ١٠٠٠٠م٢وأكثر من ١٢٠٠٠م٢ أي أنها أكثر من ١٠٠م٢ طولاً في مثلها عرضاً ولا مبالغة في ذلك إذا ما عرفنا سعتها وكثرة غرفها كما ذكر العقيلي الذي زارها عام (١٣٧٩هـ ، ١٣٨٣هـ) .

أن جزءها القديم من الجانب الغربي يبلغ بمقاس الذراع سبعة أذرع ونصف ذراع، وأن بـه باباً قام الشريف أحمد بن غالب بسده[١]. وبما أن الذراع بالمقاييس الحالية يساوي (٤٨) سم تقريباً فإن ذلك يعني أنه يقارب ثلاثة أمتار ونصف المتر تقريباً [٢]

وللأسـف فـإن أطلال القلعـة الآن قد محيت تمامـاً وما بقي منها ممـا اطلع عليه العقيلـي عـام (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م)فغالبـه امتدت عليـه مساكن الأهالي الذيـن أقاموا منازلهـم علـى أطلال مدينة جازان وجـزء غطته أشجـار الأراك الضخمة حتى أصبح مـن الصعوبة بمكان تحديـداً دقيقاً ، أو حتى تقريباً[٣] وكان العقيلي قد اطلع في زيارته عـام (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م) على ما يظن أنـه بقايا القلعة فذكر أنهـا تتكون من عدد من المبـاني ، وان جدرانهـا مطلية بالنورة وأن بهـا غرفاً كانت يومهـا متماسكة البنيان في بعض جوانبها ، يصل ارتفاع بعضها إلى ستة أذرع تقريباً ، كما يوجد بداخل القلعة بئر واسعـة ، وأغلب مبان وغـرف القلعة مردومة ، أو مدفونة تحـت ركام الأتربة والأشجار غير أنه لم يذكر مساحتها ، ولعل اندثار الكثير من معالمها حال بينه وبين ذلك [٤] .

٤. الكوارث وحالات الخراب التي مرت بها القلعة :

قـال النمـازي في الخلاصة : " واعلـم أنه منذ أول اختطاط قلعـة جازان المشهورة بالثريـا ، فإنها لم تسلم من أمور الخراب ، وغـارات الدمار على تكرر الأعوام والدهور إلى هذه العصور فقد توالت عليها العديد من الضربات ، وأتى على بنيانها تكرر الغارات ، وحصـل لها أنواع من الخـراب والدمار ما يُقارب ثلاث مرات منذ أول اختطاطها إلى آخـر عمارة بنائها على يد ابـن غالب حال ولايته من الإمام الناصر لدين الله على هذه الجهـات"[٥]. والحـق أن مدينة جازان العليـا وقلعتها وسورها قـد تعرضت للكثير من التخريـب والهدم كما قال النمازي نتيجة الحـروب التي شنها عليها أشراف مكة وأئمة اليمـن ، إضافـة إلى حملات أمير حلـي بن يعقوب وجيوش الأتـراك المرابطين في زبيد

---

(١) العقيلي ، العقد المفصل ، ص ٥٣، ط .

(٢) انظر ، سليمان الرحيلي ، الطريق النبوي إلى بدر، الدارة ، ع٣ ، س١٤ ، (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) ، ص٢٣.

(٣) الزيلعي ، مدينة جازان الأثرية في ضوء نقش مؤرخ سنة ٨٦٨. مجلة الدارة ، ص٩٩، والمرجح أن البيوت بنيت في المكان الذي يعتقد أن به آثار القلعة ، لذلك من الصعب جداً التنقيب عن بقاياها في ضوء حالة المكان الآن .

(٤) الآثار التاريخية لمنطقة جازان ، ص ٥٤ .

(٥) خلاصة السلاف (مخطوط) ورقة ١٠٤. وانظر العقد المفصل للبهكلي ص ٥٣، فقد أشار إلى بعض ما حل بالقلعة من الخراب والهدم .

وغيرهـا باليمـن والمخلاف . ومنذ أن قامت إمارة القطبيـين في المخلاف السليماني في عهـد أول أمرائها " خالد بن قطب الدين - عام (٨٠٣هـ/١٤٠٠م) تقريباً[١] واتخاذهم من جـازان العليا مستقراً لحكمهـم والمدينة تزدهر وتتسع ويتبـارى أمراؤها في عمارة الـدور والقصـور ذات القباب التي تذكرنا بنمط البنـاء الأندلسي[٢] . والغرف العديدة التي تحاكي غرف الجنان كما يقول شاعرهم " الجراح بن شاجر الذروي " :

غـرف حكت غـرف الجنـان وفـاخـرت بـ " محمـد "[٣] قمـر السـما وعـلاه

أو قوله في قصيدة أخرى :

حـين قابـلت (درب جــازان) لاحـت وبــدت لي قـصـورهـا الخـالـديـة[٤]

والمتأمل في شعر ابن شاجر الذروي سيتعرف من خلال وصفه للقصور وبهاء بنيانها وحسـن عمارتها علـى أن المدينة كانت تشهد ازدهاراً عمرانيـاً ورفاهية في العيش وقوة مضطـردة كانت تأبـى البقاء في محليتها ضمن منطقة المخـلاف السليماني وتدفع إلى التوسـع شمالاً وجنوباً ، وتسعى إلى التحرر مـن التبعية حتى ولو كانت إسمية في فترات عديدة . لكن ذلك كان يُجابه برفض من قوة في الشمال تمثلت في أشراف مكة وتوابعها ، وسلاطـين اليمـن مـن الرسوليين والطاهريـين في الجنوب . ومع حـالات العداء التي كانت تظهر على السطح بين فينة وأخرى ، فإن أول من جرؤ على انتهاك حرمات مدينة جازان الأعلى وضرب أمرائها والعيث فساداً في المخلاف ، وهدم قصور جازان، وقلعتها وسورهـا هم أشراف مكة بنو عمومـة القطبيين أمراء المخلاف حينهـا[٥] . وسأتقصى

---

(١) الزيلعي ، الأوضاع السياسية ، ص ١٦١ .

(٢) العقيلـي ، جـازان العليا في عهد الأمير المهـدي القطبي، مقال منشور في مجلة المنهـل ، وأعيد نشره في كتابه ، مقالات رصينة وتحقيقات أمينة ، مطبوعات نادي جازان الأدبي ، ١٤٢٠هـ ، ص ص ٤٠-٤٥ .

(٣) هو الأمير : محمد المهدي القطبي الذي حكم بين سنتي (٩١٢-٩٢٥هـ/١٥٠٦-١٥٢٩م) تقريباً (الزيلعي ، الأوضاع السياسية ، ص ١٨٦-٢٠٥) .مختارات من ديوان ابن هتيمل ،

(٤) مختارات من ديوان ابن هتيمل ، تحقيق العقيلي ، ط١ ، الرياض (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م) ، ص٧٢ .

(٥) ذكـر بعض المؤرخين اليمنيين أن جازان تعرضت عام (٧٨٣هــ/١٣٣٧م) لحملة من السلطان الرسولي المجاهـد علي كان سببها قيـام الشريف صاحب جازان (كذا) باعتراض حجاج اليمن وهم في طريقهم إلى مكـة وطلـب منهم مكساً عجزوا عـن دفعه فعادوا إلى اليمن وبطل حجهـم ذلك العام فغضب الملك المجاهـد وخـرج في عساكر كثـيرة إلى جـازان فأخربها بعد أن هـرب صاحبها الشريـف عن مواجهته (الخزرجـي : الكفايـة والأعـلام (مخطوط مصور ورقـة ٢٨٠) ، والعسجد المسبـوك للمؤلف نفسه (مخطوط مصور) . والديبع ، قرة العيون (٢٢٦-٢٧٧) .

هنا ما مرت به القلعة والسور من نكبات الهدم والإخراب وحالات إعادة الإعمار وما بين ذلك إلى خراب القلعة نهائياً في القرن الثاني عشر الهجري.

أ- حملة الشريف محمد بن بركات وخراب القلعة والسور عام (٨٨٢هـ/١٤٧٧م).

تعرضت القلعة للخراب والهدم في عام (٨٨٢هـ/١٤٧٧م) على يد شريف مكة محمد بن بركات (ت ٩٠٣هـ/١٤٩٧م) وذلك في أثناء حملته المشهورة على المخلاف السليماني وشنه الحرب على أمير جازان العليا والمخلاف الشريف أحمد بن دريب بن خالد بن قطب الدين. وقد حفلت المصادر المتعددة ما بين مكية ويمانية ومحلية بإشارات عديدة لهذه الحرب وما حل بجازان، وقلعتها وسورها وأهلها من خراب ودمار وانتهاكات على يد محمد بن بركات أمير مكة. لكن سياق بعضها يختلف عن البعض الآخر، ففي الوقت الذي تذكرها المصادر المكية المعاصرة ببعض تفصيل، فإن المصادر التاريخية اليمنية والمحلية تذكرها بإيجاز ولا تقدم معلومات واضحة. حتى إن أهم مصدر محلي لتاريخ المخلاف السليماني - العقيق اليماني - يغفلها كلياً . على أية حال يذهب المؤرخون المكيون إلى أن أسباب حملة الشريف محمد على جازان تعود إلى: قيام أمير جازان أبو الغوائر أحمد بن دريب بإيواء الشريف "علي بن بركات" شقيق الشريف محمد[1] ومنافسه على إمارة مكة عندما وصل إلى جازان مفارقاً لأخيه لخصومة وقعت بين الاثنين حاول على إثرها "علي بن بركات" السفر إلى مصر لتقديم شكوى للسلطان قايتباي (ت٩٠١هـ/ ١٤٩٦م) سلطان مصر المملوكي حينها ضد أخيه أمير مكة محمد بن بركات، وقد حاول علي السفر إلى مصر عن طريق الموانئ الحجازية لكنها أغلقت في وجهه، وخشي أن يقبض عليه عمال أخيه ويمنع من السفر إلى سلطان مصر فكان أن قدم على صاحب جازان فاستقبله وأكرمه وساعده على الركوب من بندر جازان إلى سواكن ومنها إلى مصر[2]، فلما علم بذلك شريف مكة محمد بن بركات غضب، وعقد العزم على المسير إلى جازان لإقدام الشريف أبي الغوائر أحمد بن دريب على

---

(١) هو علي بن بركات بن حسن بن عجلان، شقيق شريف مكة محمد بن بركات. وقعت الخصومة والمنافرة بينه وبين أخيه محمد أكثر من مرة، وارتحل إلى مصر ثم أعيد إلى مكة، ثم فارقها إلى مصر عن طريق جازان بمساعدة أميرها أبي الغوائر. وانظر ترجمته في، الضوء اللامع للسخاوي، دار الجيل- بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ج٥، ص ١١٧-١٩٨، إتحاف الورى لابن فهد ٤/ ٤٨٤ وغيرها .

(٢) بامخرمة، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر . تحقيق محمد عبد النور، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صنعاء، ج٣، ف ٢، ص ٧٥٩، ابن فهد، إتحاف الورى، ٤/ ٦١٣، النجم بن فهد، الدر الكمين ١/ ١١٦ .

إيواء من ينفيه شريف مكة من عسكره ومنهم " ذوو عمر[١] الذين كانوا حينها يقيمون عند أبي الغوائر ويحظون برعايته[٢] وفي حين يفصح هؤلاء المؤرخون عن هذه الأسباب ويضعونها عاملاً رئيساً في غزو محمد بن بركات لجازان فإن مؤرخي اليمن والمخلاف لا يقدمون أسباباً واضحة لهذه الحملة ويكتفون بالإشارة إلى أن السبب ينحصر في حصول وحشة شديدة لسبب مشهور[٣]. ويذهب العقيلي إلى أن مطامع أمير مكة في ضم منطقة جازان إلى حكمه ومد نفوذه عليها كان السبب المباشر في حملته تلك، حيث كان لتخلي الطاهريين في اليمن عن مساعدة حليفهم أبي الغوائر صاحب جازان فرصة لضم جازان[٤]. لكن الزيلعي يستبعد ما ذهب إليه العقيلي بناءً على أن شريف مكة غادر المنطقة بعد فترة قصيرة من تحقيق النصر على صاحبها أبي الغوائر [٥].

على أية حال تضافرت هذه الأسباب دفعت بالشريف محمد بن بركات إلى الخروج إلى جازان في عساكر كثيرة واحتفال زائد حتى أنه اصطحب معه جميع أهله من الزوجات والسراي والذرية [٦]. ولما بلغ جازان في ربيع الأول سنة (٨٨٢هـ/١٤٧٧م) ترددت الرسل بينه وبين صاحب جازان أبي الغوائر فلم ينتظم بينهما صلح على الرغم من تدخل المشايخ بينهما، وقد اشترط محمد بن بركات أن يدخل مدينة جازان من باب ويخرج من الآخر للموافقة على الصلح، وهو ما رفضه الشريف أبو الغوائر أحمد بن دريب، وخرج بعساكره وصف للقتال أمام جيوش شريف مكة [٧]. وهنا نقف على

---

(١) هم مجموعة من قواد شريف مكة المعروفين بعبيد السلطان، وهم ممن كانوا موالي ثم أعتقوا وأصبحوا يقودون كتائب تحت إمرة أشراف مكة، لكنهم كانوا أحياناً يخرجون عن الطاعة ويعيثون فساداً وبخاصة تجاه الآخرين كما كان يطلق عليهم القادة العمرة. (انظر، التفصيلات في صفحات من تاريخ مكة المكرمة، تأليف، سنوك هورخرونيه، ترجمة علي عودة، الشيوخ، نشر دارة الملك عبد العزيز، ج١، ص١٩٦).

(٢) إتحاف الورى، ج٤، ص ٦١٣، والدر الكمين، ج١، ص ١١٦.

(٣) ابن الديبع، قرة العيون، تحقيق الأكوع، ط٢، (١٤٠٩هـ/١٩٨٨م). ص٤٢٠، وبغية المستفيد تحقيق، يوسف شلحد، صنعاء (١٩٨٣م) ص ١٤٨، يحيى بن الحسين، إنباء الزمن (مخطوط مصور عن نسخة المكتبة الغربية بجامع صنعاء) ورقمه ٣٦١. والشرفي. اللآلئ المضيئة (مخطوط مصور) ق٣ ورقة ٤. والبهكلي، العقد المفصل بالعجائب والغرائب تحقيق العقيلي، ص٥٣، والنمازي، خلاصة السلاف (مخطوط) ورقة ٢٦ بترقيمي وغيرها.

(٤) تاريخ المخلاف السليماني، ج١، ص ٢٦٢.

(٥) الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان، ط١، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ص ١٧٤.

(٦) ابن الديبع، قرة العيون، ص ٤٢٠، الشرفي، اللآلئ المضيئة، ق٣، ورقة ٤. والبهكلي، العقد المفصل بالغرائب والعجائب، ص ٥٣.

(٧) الضمدي، العقيق اليماني، ص١٧١، والنمازي، الخلاصة ورقة ١٠٤.

وصفين مختلفين بين مؤرخي مكة والمؤرخ بامخرمة . فعلى حين يذهب مؤرخو مكة إلى أنه ما إن بدأ الالتحام بين أوائل عسكر شريف مكة محمد بن بركات مع عساكر صاحب جازان حتى قام بعض العسكر برمي النار في بعض بيوت أهالي جازان وكان غالبها عششاً فعلقت بها النار وانتقلت سريعاً بفعل الرياح الشديدة وأحرقتها جميعاً ، الأمر الذي أدى لاضطراب صاحب جازان وعساكره ، وكانت الهزيمة وهروب أبي الغوائر من الباب الآخر من المدينة ومعه عساكره ، وأخلوا مدينة جازان فدخلها محمد بن بركات وعساكره ، وعاثوا فيها فساداً قتلاً ونهباً وإخراباً[1]. بينما نجد رواية مختلفة عند "بامخرمة " تتلخص في أن الحرب وقعت بين الفريقين ودارت رحى معركة عظيمة كاد فيها الشريف محمد بن بركات أن ينهزم لولا لجوؤه إلى إغراء مجموعة من جيش صاحب جازان بنقود ذهبية مزيفة كان قد أعدها لمثل هذا الموقف، لذلك ما إن رأى بوادر الانحلال في جيشه حتى بث في معسكر صاحب جازان من أغراهم بتلك النقود التي كانت قطعاً من المحلقة طلاها بالذهب حتى لا يكاد من يراها يشك أنها ذهب أشرفية خصوصاً كما يقول " بامخرمة " العرب الذين لا يميزون بين وزن الذهب وخفة الفضة ، واستطاع بذلك إفساد الكثير من جيش صاحب جازان، فتخاذلوا عنه فحلت الهزيمة به وقتل من أصحابه نحو الخمسة عشر[2]. ويتفق المؤرخون على أن جيش محمد بن بركات قد ارتكب الفظائع في جازان ، فقتلوا كثيراً من الرجال والنساء والولدان صبراً ، واستأسروا كثيراً من النساء الشرفاء وغيرهن ، وحملوهن معهم إلى بلدانهم ، وانتهكت الحرمات ، وانكشفت العورات، ولحق نساء صاحب جازان من الذل والإهانة وكشف الحجاب ما لم يكن لأحد في حساب وجرى على أهل جازان ما لم يخطر ببال أحد[3]. وهذه فظائع عظيمة وظلم كبير وقع من شريف مكة محمد بن بركات على أهالي جازان وهو ما أدرك خطره وسوء عاقبته المؤرخ ابن فهد فعلق بقوله : " وكانت نازلة شنيعة عاد وبالها على أهل مكة ، فإنها أقحطت سنين عديدة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"[4]. لكن الغريب أن يُعدّ العصامي هذه المأساة التي نزلت

---

(١) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٢، ص ٦١٤، وغاية المرام ، تحقيق فهيم شلتوت ، جامعة أم القرى ، ج٢، ص ٥٢٤.

(٢) بامخرمة ، قلادة النحر ، ج٣، ق٢، ص٧٥٩ .

(٣) انظر ، ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٤،ص٦١٣، والدر الكمين ، ج١، ص ص ١١٦-١١٧. وسمط النجوم العوالي للعصامي ، القاهرة ، دت ، ج٤، ص ٢٧٧، وابن الديبع ، قرة العيون ، تحقيق الأكوع ، ج٢، ص ٤٢٠. وبغية المستفيد، ص١٤٨ ، ودرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المنظمة للجزيري ، ص ٣٣٨، غاية المرام لابن فهد ، ج٢، ص ٥٢٤وغيرها .

(٤) انظر ، إتحاف الورى ، ج٤، ص ٦١٤، والدر الكمين ، ج١٠، ص ١١٧ .

بأهـل جازان " فتحاً مبيناً " ويثني على الشريف ما فعله ، ويرى أنها أدت إلى أن تخافه القبائل وتمتلئ من مهابته الصدور[١].

وقد تعرضت قلعة الثريا وسور جازان" (دربها) للخراب والهدم على يد محمد بن بـركات في أثناء حملته هـذه فيذكر ابن فهد أن جيش شريف مكـة " أخربوا الحصن ، وجميـع مـا فيه ، وكان فيه جملة من المتاع والثياب والكتـب النفيسة ، وأحرق باقي البلد وخـرّب سورهـا ، وجميع ما فيها من الدور خلا المساجد"[٢]. وقال ابن الديبع في وصف ذلك: " فاستباح صاحب مكة جازان وأهلها وأحرقها ، وأخرب سورها وتركها خاوية على عروشهـا ، ونهبت خزانته وفيها مـن الكتب النفيسة شيء عظيم ، ومن السلاح والثياب مـا جمعه أبوه وجده " بينما قال في بغيـة المستفيد : " ونهبت جازان وأحرقت ، وهُدمت دور الخلافـة وسور البلد"[٣]. كما ورد هدم الحصـن (القلعة) والسور عند العصامي الذي قال : " وفيها (٨٨٢هـ/١٤٧٧م) ، غزا الشريف محمد بن بركات جازان ، ونهبها ، وأحـرق حصنهـا ، وأخرب سورها ، وقتل عدة مستكثرة مـن رجالها ، وغنم شيئاً كثيراً مـن أموالها ، وأسر طائفة عظيمة من نسائهـا وأطفالها"[٤]. ويعتبر هذا الخراب عند مؤرخـي المخلاف هو الخـراب الأول الذي حل بالقلعة وسور المدينـة[٥]. أما أبو الغوائر أحمـد بن دريـب فقد عاد إلى مدينة جازان يلم ما تشعـث ، ويعيد بناء ما تهدم ، وبقي خاضعـاً لشريف مكة محمد بن بركات يؤدي إليه مالاً معلوماً يظهر أن بعضه كان عينياً ممـا تنتجه بلاده من الأطعمة وغيرها . حيـث يقول العز بن فهد عن ذلك : " وصاحب جازان من تحت أمره ويحمل الخوارج إليه في كل سنة [٦].

وفي عام (٩٢٤هـ/١٥١٨م) تعرض المخلاف السليماني وعلى الأخص وادي جازان

---

(١) سمط النجوم العوالي ، ج٤، ص ٢٧٧ .

(٢) إتحاف الورى ج ٤، ص ٦١٤، والدر الكمين ج١، ص ١١٧، في كتابه : قرة العيون ، ص ٤٢٠.

(٣) انظـر بغيـة المستفيد بتحقيق ، عبد الله الحبشي ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء، ١٩٧٩م ، ص ١٥٥.

(٤) انظر ، سمط النجوم ، ج٤، ص ٢٧٧ . كما أشار إلى ذلك غيره ، انظر، العز بن فهد ، غاية المرام ، ج٢٠، ص ٥٢٤، ٥٢٥ وغيرهم .

(٥) النمازي ، خلاصة السلاف ورقة ٢٦، والبهكلي ، العقد المفصل ، ص ٥٣ .

(٦) بلـوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، تحقيق صلاح الدين إبراهيم ورفاقه ، دار القاهرة ، دت ج٢، صـ ١٠٢٠ . والخـوارج هي: ما يخرج من غلة الأرض (نقلاً عن تحقيق بلوغ القرى ، هامش ٢ ، ص١٠٢٠).

لهجـوم من بني حـرام حكام حلي ابـن يعقوب مدفوعـين من شريف مكـة [١]. وحاول صاحـب جـازان في ذلـك الوقت الشريـف المهدي بن أحمـد مواجهتهم ولمـا لم يستطع المقاومة انسحب إلى مدينة جازان حيث تحصن بقلعة الثريا ودرب المدينة [٢]. فكان أن عاث جيش الحرامي فساداً في وادي جازان وقراه من شرقه إلى غربه، ومن البحر إلى الجبل، ونهبوا الأموال وانتهكوا الحرمات [٣]. واضطر الأمير المهدي صاحب جازان إلى عقد هدنة مع الأمير (قيس الحرامي) تراجع بموجبها إلى بلاده " حلي بن يعقوب" [٤]. وعلى الرغم من أن وادي جازان، وعاصمته جازان العليا قد تعرضت لحملة من العساكر الجركسيـة النازلة بزبيد في اليمن [٥]. بقيادة "اسكندر" الذي ما أن علم به أمير جازان حينهـا الأمـير عز الدين بن أحمـد حتى فر من مدينته، واختفـى ولم يعلم له الجراكسة مكانـاً، ولم يستطيعوا تحديد الجهة التي هرب إليها واختفى بها. فقاموا بتخريب جميع قـرى ومدن وادي جازان بما فيها مدينة جازان العليا وتدميرها[٦]. إلا أنهم على ما يبدو لم يعرضوا للقلعة أو سور المدينة بخراب كبير بدليل أن النمازي يذكر أن الأمير عز الدين عاد إلى درب جازان بمجرد مغادرة الجراكسة عائدين إلى زبيد [٧].

ب. خراب جازان وقلعتها عام (٩٣٤هـ/١٥٢٧م):

في هذا العام تعرضت جازان وقلعتها الثريا للخراب وذلك على يد القائد الجركسي " سلمان الرومي" عندما خرج من زبيد قاصداً جازان لامتناع أميرها يوم أن توقف الشريـف أحمد بن المهدي القطبي عن أداء مـا عليه من أموال وخيول. للقائد " سلمان الرومـي". فخـرج إليه من زبيـد وحط بأبي عريش ودارت مراسـلات بين الطرفين ولم تنجـح فتقـدم قائد اللوند[٨]. "سلمان الرومي" في جيشـه وضرب الحصار على الأمير

(١) العقيـق اليمـاني، (مخطـوط)، ورقـة ٦٥-٦٦من نسخة الجامـع بصنعاء، والديبـع، الفضل المزيد ص٣٨١.

(٢) نفس المصدر، ورقة ٦٧، وخلاصة السلاف للنمازي ورقة ٣٠.

(٣) المصدران نفسهما، نفس الصفحة، والفضل المزيد لابن الديبع، ص ٨١.

(٤) الضمـدي، الـوافي بوفيات الأعيان (مخطوط) ورقة ٦٦ نسخة جامع صنعاء، الزيلعي، الأوضاع السياسية، ص٢٠٤.

(٥) ذكرت المصادر المحلية أن سبب خروج القائد إسكندر يعود إلى قيام عز الدين بقتل أخيه الأمير المهدي الذي كان حليفاً للقائد إسكندر، خلاصة السلاف، ورقة ٣١. الوافي بوفيات الأعيان ورقة ٦٧.

(٦) النمازي، خلاصة السلاف ورقة ٣٣.

(٧) المصدر نفسه، ورقة ٣٤.

(٨) هكـذا أطلـق عليهم مؤرخـو المخلاف، واليمن ويقصـد بهم بقايا الجراكسة الذيـن خرجوا إلى اليمن

أحمـد بن المهدي ثـم دخل عليه درب المدينة فلم يستطع صاحب جازان الصمود وحاول التحصن بالقلعة فدخلها عليه القائد "سلمان" عنوة وقتله وأخرب القلعة ، ودمر قصور جازان وغيرها من المباني ، ونهبها وترك أهلها فقراء [١]. ويبدو أنه لم يلحق أذى كبيراً بالقلعـة حيث أعيد ترميمها وبناؤها مرة أخرى في عهد الأمير عامر بن يوسف العزيز، ويظهـر أنه قد اعتنـى بإعادة بنائها عناية كبيرة وزاد مـن تحصينها وقوة بنيانها. لأن مؤرخي المخلاف يذكـرون أن البلاد قد استقرت وازدهر بها العمران، وتنافس السكان في جـازان وأبي عريش في العمارة حتـى أصبح يُضرب بعصر الأمير عامر المثل في الميل إلى العمارة والتفنن فيها[٢].

ج- خراب القلعة والسور عام (٩٣٤هـ/١٥٢٧م) ثم إعادة إعمارها:

تعرض المخلاف السليماني في عهد الأمير عامر بن يوسف العزيز لحملتين شنهما عليه (قيس الحرامي) أمير حلي بن يعقوب في عامي (٩٤٠ ، ٩٤٢هـ/ ١٥٣٣، ١٥٣٥م) لكنـه بـاء في كلتيهما بهزيمة شنيعـة على الرغم من المساعـدات العسكرية التي قدمها لـه شريـف مكة "(أبو نمي بن بـركات) [٣]. وما إن بلغت أصداء هـذه الهزيمة مسامع الشريـف " أبا نمي" حتـى أخذ يستعد لغزو المخلاف السليماني ، انتصاراً لحليفه أمير حلـي[٤]. فاجتهد في جمع عساكر كثيرة من أهل ينبع والصفراوات والأودية، والطائف، وغيرهـم حتـى بلغ عدد خيلهم ما يقرب من (٧٠) فرساً كمـا بلغت عدد الرجالة ثلاثة آلاف ثـم زاد عددهـم لما بلغ حلي في طريقة إلى جازان فبلغ الخيالة قرابة (٦٠٠٠) من الرجالـة[٥].ولم يكتـف بذلك بل أخرج حملة عن طريق البحـر للغرض نفسه[٦]. وتكاد المصادر المكية والمحلية تجمع على أن سبب هذه الحملة إنما هي نصرة أمير حلي " قيس الحرامـي" وغضبـاً للهزائم التي أنزلها به أمير جـازان " عامر بن يوسف العزيز"[٧].

والمخلاف أوائل القرن العاشر الهجري.

(١) انظر ، العقيق اليماني (مخطوط) ورقة ٧١، وخلاصة السلاف ورقة ٤٠ .

(٢) العقيق اليماني ورقة ٧٢، وخلاصة السلاف ورقة ٤٣.

(٣) الضمـدي ، العقيـق اليماني ، ورقة ٧٤ النمازي ، خلاصـة السلاف ورقة ٤٧. والعقيلي ، تاريخ المخلاف السليماني ، ج١، ص ٢٧٦. والكبسي ، اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية ، مخطوط صفحة ١٣٦.

(٤) الكبسي ، المصدر السابق ، نفس الصفحة ، والضمدي ، الوافي بوفيات الأعيان ، ورقة ٧٥ .

(٥) جـار الله بـن العز بن فهـد ، نيل المنى بذيل بلوغ القـرى ، تحقيق : محمد بن الحبيـب الهيلة ، مؤسسة الفرقان الإسلامي، ط١ (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) ج٢، ص ٦٦٠-٦٦٣.

(٦) المصدر نفسه ، ج٢، ص ٦٧٢.

(٧) انظـر ، إضافـة لما سبق من المصادر ، غاية المرام بأخبار سلطنـة البلد الحرام ، للعز بن فهد ، تحقيق فهيم شلتوت، مركز البحث العلمي ، جامعة أم القرى بمكة (١٤٠٦هـ-١٤٠٩هـ) ج٢، ص٦٦٧ومابعدها.

ويذهب النهراولي إلى أن " استطالة عامر على شرفاء مكة بلسانه وادعاء الافتخار بحسامه وسنانه وذكر ما لا يليق بشأنهم الشريف ، والسفه عليهم بكل كلام قبيح ووضيع سخيف ، كان سبباً لخروج شريف مكة "أبي نمي" إلى جازان خاصة وأن هذه الأمور قد تكررت من الشريف "عامر" كما يقول النهروالي [(١)]. ولعل العلاقات الحسنة التي كانت بين الشريف "عامر" أمير جازان من جهة والعثمانيين، ووالي مصر من جهة أخرى[(٢)]. قد أخافت شريف مكة ، الأمر الذي ساهم مع الأسباب السابقة في أن يخرج أبونمي بهذه الأعداد الكبيرة والاستعدادات الضخمة براً وبحراً لغزو جازان ، وبطبيعة الحال لم تغب عنه حملة جده محمد بن بركات في غزوه للمخلاف عام (٨٨٢هـ/١٤٧٧م) . فأراد لذلك كسر شوكة الأمير عامر صاحب جازان وإدخاله في طاعته[(٣)]. على أيه حال عقب وصول شريف مكة إلى وادي جازان دارت المراسلات مع صاحب جازان وحاول العلماء وأعيان الناس[(٤)] التدخل بالصلح بين الشريفين فلم يرضخ الشريف "عامر" لمطالب شريف مكة " أبي نمي" ، فخرج إليه وحاصره في جازان واستمر الحصار أكثر من عشرين يوماً [(٥)]، استطاع خلالها أن يهدم أماكن من السور والدخول إلى داخل المدينة ، ومن ثم دارت رحى معركة عظيمة انتهت بهزيمة صاحبها الشريف" عامر" ومقتل أكثر من ثلاث مئة نفس من أهل جازان واستولى شريف مكة على " نخب وخيل وخزانة صاحب جازان " وكانت خيله أكثر من مئة فرس" ونهب كل ما وجده في جازان[(٦)]. وبعد هروب أمير جازان منها إلى حرض[(٧)]. منهزماً في ثلة من أصحابه ، استولى شريف مكة على جميع البلاد وقام بهدم القلعة الثريا " وسور المدينة وبالغ في ذلك فأخرب جميع بيوت جازان العليا[(٨)]. وكان لقوة بناء القلعة دور في أن يبقى مقيماً بأبي عريش أكثر من سنة

---

(١) انظر ، البرق اليماني في الفتح العثماني ، دار اليمامة للبحث والنشر ، ط١، الرياض ، ١٣٨٧هـ. ص٨٧ .

(٢) العز بن النجم بن فهد ، غاية المرام ، ج٢، ص ٦٦٧. توطدت العلاقة بين السلطان العثماني والأمير عامر إلى درجة أن السلطان العثماني كان يرسل له بخلعة مع واليه على مصر.

(٣) النمازي ، خلاصة السلاف، ورقة ٥٠ بترقيمي .

(٤) ذكر النمازي في خلاصة السلاف ورقة ٥٢ أن من ضمن الوفد الذي أرسل إلى صاحب جازان بعض السادات من آل الحكمي.

(٥) ذكر جار الله ابن فهد أن الحصار ابتدأ يوم الثلاثاء(١٦ من شهر ذي الحجة واستمر إلى ٦ من محرم)، (نيل المنى ، ج٢، ص ص ٦٩٠-٦٩١.

(٦) جار الله بن فهد ، المصدر نفسه ، ج٢، ص ٦٦٧ .

(٧) اختلف المؤرخون في تحديد جهة هربه فمنهم من ذكر أنه هرب إلى "الحقار" وقيل إلى "الحمرة" وقيل إلى الجبال . والثابت أنه رحل إلى حرض ومنها إلى زبيد ، وقد يكون مر على هذه الأماكن جميعها أثناء هربه .

(٨) الضمدي ، الوافي بوفيات الأعيان (العقيق اليماني) ورقة ٧٥، والنمازي ، خلاصة السلاف ، ورقة ٧٢ .

لكي يستطيع جيشه هدم القلعة والسور[١]. فهدمت إلى الأرض كما يقول النمازي[٢].

عقب ارتحال أبي نمي عن المخلاف ترك أحد أتباعه والياً عليه ، متخذاً من أبي عريش مقراً لحكمه[٣]. لكنه اضطر إلى مفارقتها عندما عاد الأمير "عامر بن يوسف العزيز" يصاحبه جيش من العساكر اليمنية أرسله الإمام يحيى شرف الدين إمام اليمن. وعندما رأى اليمنيون مدى الترحيب وحفاوة الاستقبال للأمير عامر من قبل سكان المخلاف قتلوه غيلة وهو نائم حسداً وغيظاً [٤]. ولم تطل هيمنة إمام اليمن على جازان فقد استولى عليها العثمانيون بعد أن قضوا على الجراكسة في زبيد ، ومدوا سيطرتهم على أغلب بلاد المخلاف السليماني[٥]. ويظهر أن الأتراك العثمانيين قد أعادوا بناء القلعة وترميم السور مع أن كشافيهم الذين يتولون الإشراف على المخلاف كانوا يتخذون من أبي عريش مركزاً لهم إلا أن قلعة جازان التي أعادوا إعمارها كانت تستعمل كسجن تارة ،وكخط دفاع ، وموقع تحصن إذا ما اضطروا إلى استخدامها تارة أخرى . فأما استخدامها كسجن فيذكر الضمدي في كتابه أن كاشف المخلاف في سنة (٩٥١هـ / ١٥٤٤م) "حسن البهلوان" بلغ من جوره وظلمه في البلاد إلى الدرجة التي كان يروّع فيها سكان وادي جازان ويقبض على الكثير منهم ويحبسهم مكتفين ومقيدين في قلعة جازان ، وكان ذلك سبباً في خراب البلاد وتشتت العباد [٦]. وكانت القلعة الحصن الحصين لوالي جازان وأبي عريش العثماني المسمى الأغا (الأحور) عندما حاصره الأمير عز الدين ابن إمام صنعاء شرف الدين يحيى ، ويبدو أن الأتراك عندما أعادوا بناء القلعة وترميم السور وثقوا البنيان لأن عز الدين بقي ما يقارب (٥٠) ليلة ضارباً الحصار على القلعة ، ولم يستطع دخولها على الأتراك ، فعاد إلى أبي عريش وأحرقها ، ثم انصرف عائداً إلى اليمن[٧]. وقد وجد الأتراك عناءً كبيراً

---

(١) جار الله بن فهد ، نيل المنى ، ج٢، ص ٧٠٠-٧٢٥، وقد رزق أثناء مقامه بولد فسماه جازان على اسم المدينة.

(٢) خلاصة السلاف ، ورقة ٥٢ .

(٣) السنجاري ، منائح الكرم ، تحقيق: ماجدة فيصل ، جامعة أم القرى مكة (١٤١٩هـ/١٩٨٨م) ، ج٣، ص٢٥٥.

(٤) الضمدي ، العقيق اليماني ، ص ١٧٢ ، والنمازي ، خلاصة السلاف ، ورقة ٥٤ .

(٥) المصدران نفسهما ، انظر عيسى بن لطف الله ، روح الروح فيما حدث بعد المئة التاسعة من الفتن والفتوح ، تحقيق ، إبراهيم المقحفي ، مركز عبادي للدراسات والنشر ، ط١، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ، ص١١١. النهرواني ، البرق العثماني . ص٨٨، الكبسي ، اللطائف السنية (مخطوط) ورقة ١٣٨، ١٤٢ .

(٦) العقيق اليماني ، ورقة ١٨٢، وانظر النمازي ، خلاصة السلاف ، ورقة ١٨.

(٧) العقيق اليماني ، ورقة ١٩٢، والعقيلي ، تاريخ المخلاف السليماني ، ج١، ص ٣٠٠.

مـن جيش عز الدين بن الإمام شرف الدين حيث كانوا يصعدون على قبة قبر الشريف أحمـد بـن دريب بن خالد بن قطـب الدين ، وعلى قبـة جامع جـازان ومنارته ويرمون الأتـراك بالرصاص ، لذلك مـا إن غادر عز الدين وجيشه منسحباً إلى اليمن حتى قام الأتراك بهـدم الجامع[١] . ومنارته وقبـة الضريح[٢] . وجميع المبـاني الأخرى المحيطة بالقلعة[٣] . وبقيت القلعة مكاناً منيعاً يتحصن بها الأتراك العثمانيون أمام ثورات أهالي المخلاف السليماني ، فعندما نهض الأمير عبد الوهاب بن المهدي القطبي[٤] . على رأس جموع من سكان المخلاف السليماني لإخراج الأتراك من أبي عريش ومن المنطقة كلياً ، والتحـم بهم بمساعدة أشراف صبيا الخواجيـين وهزمهم ، فتراجعوا أمامه وتحصنوا بقلعـة جازان الأعلى (الثريا) واحتموا بها أمام غارات السكان ، وقد حالت بحصانتها بينهـم والوقوع في قبضته ومن معه من أهالي المخلاف وبقي الأغا "فرحات" متحصناً ينتظـر المـدد مـن زبيد " وكان كلمـا واتته الفرصة خـرج منها في غـارات خاطفة على أبـي عريش وعـاد سريعاً للقلعة ، ولأن الأمير عبد الوهـاب القطبي ومن معه من أهالي المخـلاف لم يستطيعـوا الولوج علـى فرحات وعسكـره في القلعة فقد تربـص وأعد له الكمائـن حتـى تمكن من قتله في إحدى غاراته على أبـي عريش[٥] . وعلى الرغم من أن مدينة "جازان العليا" فقدت منذ حملة أبي نمي عليها عام (٩٤٣هـ/١٥٣٦م) وما بعدها مكانتهـا كمدينة مشهورة وعاصمة للمخـلاف واستحوذت "أبو عريش" على الاهتمام ، إلا أن قلعـة "الثريـا" أبرز معالم جازان العليا لم تفقـد أهميتها. وبقيت حصناً حصيناً يلـوذ ويتمترس بـه كل من يحتاج إلى الحماية والتحصن ، سـواءً من أمراء المخلاف أو الطارئين عليه من الأقوام الأخرى لذلك نجد أن الأمير عيسى بن المهدي القطبي يبادر عـام (٩٧٤هـ/١٥٦٦م) إلى التحصن بها عندما بلغه خـروج جيش الأتراك من اليمن بقيـادة الأمير "حسـين "ووصوله إلى "أبي عريش"[٦] . ولمـا لم يكن بالقلعة من الطعام والأعـلاف ما يعـين على البقـاء والتحصن بها[٧] . بـادر أول ما علم بخـروج الأتراك

---

(١) قال في العقيق اليماني ، ورقة ١٩٤ ، وكان مسجداً عظيماً .

(٢) الضمدي ، الوافي بوفيات الأعيان ، نسخة جامع صنعاء ورقة ٨٢.

(٣) العقيق اليماني ، ص ١٩٤.

(٤) كان حينهـا يسكـن قرية " البداح " قرية بجهة الحرث ، العقيلـي ، تاريخ المخلاف السليماني ، ج١، ص ٢٠٣، والمعجم الجغرافي لمقاطعة جازان ، ص ٥٧.

(٥) العقيلي ، المخلاف السليماني ، ج١، ص ٣٠٤ .

(٦) العقيلي ، المصدر نفسه ، ج١، ص ٢٧٣.

(٧) الضمدي ، الوافي بوفيات الأعيان ورقة ١٠٠ ، وقد علق على ذلك بأن القلعة لم يكن فيها "شحنة تعين على الحصار" وهذا يدل على أن القلعة كانت قبل ذلك مهملة.

إلى "جـازان العليا" إلى ملاقاتهم في منتصـف الطريق بين أبي عريش وجازان، ودارت رحى المعركة وانتهت بهزيمته وتراجعه إلى القلعة بعد أن أثخن الأتراك في جيشه .

وبقـي يفاديهم القتال ويراوحهـم وكل ذلك لا يحقق انتصـاراً ، حتى هب الأتراك في جموعهـم بعد أن استكملـوا الاستعدادات لضرب الحصار على القلعة وقبل وصولهم إليهـا خرج إليهم الأمير عيسى القطبي[١]. ووقعت معركـة شرسة قتل فيها العديد من فرسـان الأمير عيسى فاضطر للتراجع إلى القلعة، لكنه عندما أحس بالنقص في العدة والعـدد ورأى أن بقـاءه بالقلعـة ـ مع خلوها من العتاد والمؤن ـ لـن يوفر له الحماية غادر القلعـة منسحبـاً إلى الحقار، ومنها إلى المطهر بن شـرف الدين إمام اليمن حينها فلم يجد عنده طائلاً فعاد إلى بلدته السلب [٢]. وبقي بها إلى وفاته[٣].

د . حملـة جيش المطهـر بـن شـرف الديـن وخـراب القلعـة عـام (٩٧٥هـ/١٥٦٧م)، ثم إعادة بنائها على يد الشريف أحمد بن غالب :

رتب الأتراك حامية في قلعة الثريا بقيت تتحصن بها من هجمات الأهالي الموتورين مـن الأتـراك والرافضـين لحكمهم ، في الوقـت الذي كانت الحرب تـدور في اليمن بين " المطهـر بـن شرف الديـن " والأتراك في زبيد وغيرها من مدن اليمن[٤]. وقد تمكن المطهـر مـن هزيمة الأتـراك مستفيداً من الثـورة العامة التي قامـت ضدهم في اليمن وتهامـة والمخـلاف السليماني[٥]. فأخـرج جيشاً كثير العـدد والعُدة ، عـام (٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م) ، بقيـادة الشيـخ "سـراج بـن عثمـان" للاستيلاء علـى إقليم جـازان وطرد الأتراك، فلم تستطع الحامية الخروج إليهم من القلعة ، وتراجع من كان في أبي عريش إلى القلعـة فتحصنـوا بها فضرب عليهم الشيخ "سراج" ومعه العديد من سكان جازان حصـاراً شديـداً وضيقوا الخناق على مَنْ بالقلعة . ولم تطـل مقاومة الأتراك وقائدهم " الأغـا سنان طمطـاز" فأعلنوا تسليـم القلعة وما فيه بشرط الحفـاظ على أرواحهم

(١) المصدر نفسه ، نفس الورقة ،وانظر العقيق ،ورقة ٢٥١، ٢٥٢ .
(٢) قال العقيلي في المعجم الجغرافي ص ١٢٠ بأنها " مرج ومرعى بين العارضة والحرّث".
(٣) العقيق اليماني ورقة ٢٥٢، والنمازي ، خلاصة السلاف ورقة ١٩.
(٤) حسـين عبد الله العمري ، تاريـخ اليمن الحديث والمعاصر (٩٢٢-١٣٣٦هـ/١٥١٦-١٩١٨م) دار الفكر المعاصر، بيروت ، ط٢ ، (٢٠٠١م) ، ص١٩ .
(٥) الضمدي ، العقيق اليماني ، ورقة ٢٥٣، والعمري، تاريخ اليمن الحديث والمعاصر ، ص٢٠.

وسلامتهم، فأجابهم إلى ذلك فغادروها عائدين إلى زبيد[١]. وظفر الشيخ "سراج" وجيشه بما في القلعة وكان كما يقول الضمدي: " يجل عن الوصف من العدد والسلاح والبنادق والمدافع وخزائن وتحف وبُزّ وجوخ ونحاس لا يحصر، وأموال، أرسلها كلها إلى المطهر[٢]. ثم قاموا بإخراب القلعة وهدمها، كما أخرب الكثير من البيوت[٣]. ويذهب الضمدي إلى أن القلعة بقيت على خرابها إلى زمانه في القرن الحادي عشر الهجري ويصف حالها في زمانه[٤]. بما يدل على أن جازان. حيث توجد القلعة. قد فارقها أهلها وأصبحت خراباً مقفرة فيقول معلقاً: " وصارت من يومئذ خراباً لا أنيس بها قد نبتت فيها الأشجار، وتعطلت الديار، وانتشرت الأحجار تُصفّر فيها البوم إلى الوقت المعلوم[٥]. وبينما يذهب النمازي إلى أن القلعة بقيت على خرابها إلى أيام الشريف أحمد بن غالب الذي حكم المخلاف بين عام (١١٠١- ١١٠٥ هـ/١٦٨٩-١٦٩٣م)" فكان أول من بناها بعد ذلك الخراب[٦]. نجد العقيلي يذكر أن الجنود الإمامية اليمنية حاصرت المدير التركي في قلعة جازان عام (١٠٣٦هـ/١٦٢٦م) ، حتى استسلم بعد عشرة أيام[٧]. فإذا صح ما يقوله. حيث لم يذكر مصدره لهذه المعلومة. فذلك يعني أن القلعة قد أعيد ترميمها ربما من قبل الأتراك، لكن كلامه هذا لا ينبغي التسليم به خاصة إذا علمنا أن مصادره لا تكاد تعدو "العقيق اليماني" و "خلاصة السلاف" وربما غيرها . وقد مر معنا ما أكده الاثنان من أنها بقيت خرباً حتى بناها الشريف أحمد ابن غالب ، ويبدو أن العقيلي التقط ما ذكره المؤرخان وغيرهما في أحداث عام (١٠٣٦هـ/١٦٢٦م) من أن جيش إمام اليمن محمد بن القاسم يُساعده أشراف صبيا والمخلاف حاصروا الأغا "علي" الوالي التركي على إقليم جازان في القلعة نحو عشرة أيام[٨].ولم يذكروا أنها قلعة جازان مما يدل على أن المقصود إنما هي قلعة أبي عريش

---

(١) العقيق اليماني ، ورقة ٢٥٣ .

(٢) المصدر نفسه ، والواي بوفيات الأعيان ورقة ١٠٠ ، والنمازي ، خلاصة السلاف ورقة ٦٥ .

(٣) المصادر نفسها .

(٤) يفهم من كلامه في موضع آخر أنه كان حين تأليف كتابه في عام (١٠٤٢هـ) انظر ص ٣١٠ من العقيق .

(٥) الضمدي ، المصدر نفسه ، ص ٢٥٣.

(٦) خلاصة السلاف ورقة ٦٥ .

(٧) تاريخ المخلاف السليماني ، ج١، ص ٣١٥.

(٨) الضمدي ، العقيق ورقة ٣٦٩، والجرافي ، المقتطف من تاريخ اليمن ، منشورات العصر الحديث، ط٢، (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) ، ص٢١٦، والشرفي ، اللآلئ المضيئة (مخطوط) ج٣، ورقة ٤٨٣.

التـي عمرها الأتراك عام (٩٩١هـ/١٥٨٣م) [١]. يؤكـد ما ذهبنا إليه أن المؤرخ اليمني الشرفي ذكر في حـوادث (١٠٣٦هـ/١٦٢٦م) ما نصه : " وصل كتاب مقادمة الإمام من أبي عريش يذكرون أنهم دخلوا مدينة أبي عريش يوم الأحد خامس عشر شهر ربيع الآخر مـن السنة المذكورة وتحير الأغا الذي من جهة الأتراك في جماعة قليلة من أصحاب في قلعـة المدينـة " إلى أن قال[٢] : " وفي يـوم الإثنين ثاني وعشريـن أو ثالث وعشرين من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة زحف جنود الحق وحملوا حتى لصقوا بداير القلعة وسلمهم الله ـ سبحانه ـ من البنادق .. إلى أن قال : " ثم احتالوا في نقب الداير ودخلت جنـود الحق منه فلما أيقـن الأتراك بالهلاك انحصروا واستسلمـوا إلخ[٣]. لذلك فقد بقيـت القلعة خرابـاً ومدينة جازان العليـا أرضاً مقفرة حتى أوائـل القرن الثاني عشر الهجـري. ووصـل الشريف أحمد بن غالـب (١١٠١هــ/١٦٨٩م) إلى إقليم جازان بعد أن طـرد مـن إمارة مكة نتيجة الخـلاف الذي وقع بينـه ـ عندما كان أمـيراً لمكة ـ وبين سعيـد بن سعد ومن معه مـن أشراف مكة [٤]. واضطروا إلى الخـروج منها إلى اليمن طلبـاً للمساعـدة خاصة بعد أن صدرت أوامـر السلطان العثمـاني بالموافقة على تعيين الشريـف محسـن بن الحسين بن زيد أمـيراً لمكة [٥]. ولما وصل إلى إمـام الزيدية وقت ذاك الناصـر لدين الله محمد طلـب مساعدته فوعده خـيراً وولاه مؤقتاً على المخلاف السليماني حيث وصل إلى أبي عريش في صفر من العام (١١٠٢هـ/ ١٦٩٠م) [٦]. ومنذ وصولـه بدأ في توسيع رقعة حكمه في المخـلاف وشنّ عدة حروب أثارت السكان ، وبقايا أمـراء القطبيين وعلى رأسهم الأمير عـز الدين القطبي الذي كان في المعتق[٧]. وأمراء صبيـا الخواجـين ، كما أثار توسعه ومطامحه أمير صعدة "علي بن أحمد المتوكل" فشن عليه حروباً لم ينجح خلالها في القضاء عليه فتراجع إلى صعدة . وكان ذلك سبباً في أن يـزداد الشريف أحمد بن غالب تجـبراً ويبطش بمن ظن أنهم ضده من أهل أبي عريش

---

(١) الضمدي ، العقيق اليماني ، ورقة ٣١٣ .

(٢) وضع الشرفي عنواناً جانبياً لفظه " فتح قلعة أبي عريش والاستيلاء على ما فيها " وكفى بهذا دليلاً على أن العقيلي ـ رحمه الله ـ أخطأ فيما ذهب إليه .

(٣) الشـرفي اللآلـئ المضيئة ، ج٣، ص ص ٤٨٣ـ ٤٨٤ بترقيمي ، وقد ذكر بالتفصيل مبلغ ما وقع في أيديهم من الأموال والذخائر والأسلحة .

(٤) السنجاري، منائح الكرم ، ج٥ ، ص ٦١ ، ١٤٠ ، والعقيلي، تاريخ المخلاف السليماني ، ج١، ص ٣٧٣.

(٥) السنجاري ، المصدر نفسه ، ج٥، ص ١٠٨ ، ١٢٨ .

(٦) العقيلي ، المخلاف السليماني ، ج١، ص ٣٧٤ .

(٧) من قرى بني الحرث (العقيلي) المعجم الجغرافي مقاطعة جازان، منشورات دار اليمامة ، الرياض،١٣٨٩هـ ، ص٢١٢.

وغيرهـم[١]. فـازدادت العداوة والبغضاء له في قلوب الأهـالي لذلك رأى أن يبحث عن مـكان يوفر له الدفاع والحصانة إذا ما دهمته هجمات السكان وجيوش اليمن فكان أن اختار جازان العليا وقلعتها المشهورة المندثرة وعزم على إعادة إعمار القلعة فأعد العدة لإتمـام هذ العمل الشاق في مـدة وجيزة . ويصف لنا البهكلي اجتهاد الشريف أحمد في بناء القلعة وتوثيق هذا البنيان فيقول : " وفي غرة شعبان سنة (١١٠٤هـ/١٦٩٢م) ابتدأ في عمارة قلعة جازان وكانت الأشجار قد سترت أرضها فأمر بقطعها ، وكان يغدو إليها ويروح إلى أبي عريش ، ثم ضرب بها خيمة وأقام بغير سكن معه ، وجد في ذلك واجتهد ، وأقـام وأقعـد وأكثر من الصناع والأجراء وامتلأ بهم ذلـك الموضع بعد أن كان مقفراً " إلى أن قـال : " ولم يـزل مهتماً بأمرها وشأنها مشغولاً بالعناية في إحكامها، وتوثيق بنيانهـا ، ولم يـدع أمراً تدعـو الحاجة إليه عنـد الحرب وشدة الحصـار إلا أمر بفعله فجـاء أسلوبها غريباً ..إلخ[٢]. وكان يغضب على الصناع كلما لاحظ تأخراً في إنجازها وبخاصـة بعـد أن بدأت قبائل المخلاف تهاجمه فكان أن "حرض على الصناع في تنجيز أبـواب القلعة وانتهرهم على التراخي في ذلك"[٣]. ويظهر أن الصناع انتهوا من إنجاز القلعـة، وسكنها الشريف أحمد ومن معه وبدأ يستقبل فيها زواره[٤]، وقام باستصلاح الأراضـي الزراعية الخصبة حول القلعة وأنفق لأجـل ذلك أموالاً كثيرة ، لكنه لم يتمتع بذلـك حيـث أخرج من المخلاف وطرد منـه قهراً بعد أن اجتمعت قـوى الأهـالي بقيادة الأمـير عز الدين القطبي ، ومساعـدة مؤثرة من إمام صنعاء الذي أردف ذلك بإرسال منـدوب من قبله إلى الشريف يأمـره بالارتحال والعودة إلى الحجاز فغادر في رجب من عـام (١١٠٥هــ/١٦٩٣م) [٥]. ويعلق على ذلك البهكلي بقولـه : " ومن غريب صنع هذه الدار ورجوعها على رونق إقبالها بالإدبار أن الشريف لما تكمل له إتمام الغرض من بناء القلعة حتى كشرت له عن أنياب أقل حرحرها[٦] القلقلة والزعزعة وقد كان انفق أموالاً في تخريـج أراضـ واسعة حولها يعدهـا للحراثة ما بين قطع الأشجـار وإقامة الأعرام، وبذرها في سنة تخريجها ولم يأت عليها الحصاد حتى جاء ما ينغصه[٧]. وعقب خروجه

---

(١) العقيلي ، تاريخ المخلاف السليماني ، ج١، ص ص ٣٧٤-٣٧٥.

(٢) العقد المفصل ، (مخطوط) ورقة ٣٧ .

(٣) العقد المفصل، (مخطوط) ورقة ٤٦.

(٤) العقد المفصل ، (مخطوط) ورقة ٥٨، ٥٩ ويذكر أنه كان يسجن فيها من يقبض عليه من خصومه .

(٥) البهكلي ، العقد المفصل ، ط العقيلي ، ص٧٢ ، وتاريخ المخلاف ج١ ، ص ٣٨٦.

(٦) كذا وردت اللفظة في المخطوط ورقة ٦٦ وفي ط العقيلي وضع مكانها نقاطاً وقال" جملة غير مفهومة " ص ٧٣.

(٧) العقد المفصل ، روقة ٦٦

عــادت "جــازان العليا" إلى إقفارهــا وخلوها من السكان بعد أن بــدأت تعمر ، كما خلت القلعــة وأصبحــت موحشة ، ويكفي لوصف حالها قول البهكلــي : " وخرج من كان بالقلعة مقيماً وخوت على عروشها بعد أن كانت تغص بالأمم ، وتقصد لكل أمر شأنه يهتم " [١].

هـ- حالة القلعة بعد خروج الشريف أحمد بن غالب:

يختلف مؤرخو المخلاف في بيان ما آلت إليه القلعة بعد رحيل بانيها الشريف أحمد بن غالب ونزوح الناس عنها وعن جازان فيذهب البهكلي إلى أن إمام صنعاء الهادي لدين الله [٢] . الــذي ساعــد على طرد الشريف أحمد بهدم القلعة فهدمها كما يقول البهكلي : "ومحا محاسنها فشوه منظرها البض وعاد ربعها أسود بعد أن كان ذا بهجة أبيض"[٣] بينما يذهب النمــازي في سيــاق حديثه عن الكوارث التي حلت بالقلعة وبناء الشريف أحمد بن غالب لها أنهــا " لا تزال بعد بنائها عارمة إلى حــال هذا الزمان"[٤] . ويؤكد هذه المعلومة أن صاحب "نزهــة الطريــف في سيرة أولاد الشريف محمد بــن أحمد " يذكر في سياق حوادث سنة (١٢٠٠هــ/١٧٨٥م) " أن الأمير يحيى بن أحمد توقــف بقلعة جازان عندما نشب الصراع بينه وبين أخيه علي بن محمد ، وأنه اجتمع بكبار أهالي " أبي عريش" في مطرحه بالقلعة" [٥] . وأيــا كان الأمر فإن القلعة وبقية مباني جــازان العليا طالتها يد الخراب والاضمحلال وأكمــل الساكنــون بها اليوم ما تبقى منهــا فنقلوا حجارتها واستخدموهــا ، وغيروا معالمها وبنــوا علــى أنقاضهــا ، ولم يبق إلا بقايا مــن سورهــا الحجري الذي سعــت وكالة الآثار إلى تسوير بعضه. ولا تزال الأيام تظهر من خلال عوامل التعرية الطبيعية على شواهد قبور في مقبرتها القديمة تدل على عراقة تاريخ هذه المدينة المندثرة .

ثالثاً: الخاتمة : نتائج وتوصيات :

١. يتضــح ممــا تقدم أن مدينة جــازان العليا كانت عاصمــة المخلاف خلال أكثر مــن ثلاثة قرون وأنها أشهــر مدن المخلاف السليماني بعــد اندثار مدينة عثر علــى ساحل البحر الأحمر التي كانــت عاصمة المخلاف السليماني حتى القرن

---

(١) العقد المفصل ورقة ٦٥ .

(٢) وهو لقب الإمام الناصر محمد بن أحمد بن القاسم المهدي إمام صنعاء الذي تولى الإمامه باليمن ما بين عامي ١٠٩٧هـ - ١١٢٧هـ. انظر : الجرافي ، المقتطف من تاريخ اليمن ، منشورات العصر الحديث ، ط٢ ، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ، ص ص ٢٢٩-٢٤٦

(٣) العقد المفصل ، ص ٧٤ ، . طبعة العقيلي .

(٤) خلاصة السلاف ، ورقة ١٠٥ بترقيمي .، ويقصد منتصف القرن (١٢هـ/١٨م) .

(٥) انظر : عبد الرحمن البهكلي ، نزهة الظريف ، (مخطوط) ، ورقة ٤٠ بترقيمي .

السادس الهجري تقريباً.

٢. يتضح مدى الازدهار الذي تمتعت به المدينة خلال حكم الغوانم والقطبيين، ومن نتيجته تطور العمران وبخاصة العسكري منه الذي تمثل في بناء سور ضخم سميك حول جزء كبير من المدينة ، أو في بناء قلعتها المشهورة " الثريا " التي كانت من أشهر قلاع المخلاف السليماني على الإطلاق إن لم يكن على مستوى الجزيرة العربية عامة .

٣. تتبع البحث الكوارث التي حلت بجازان العليا وقلعتها وسورها منذ حملة الشريف محمد بن بركات عام (٨٨٢هـ/١٤٧٧م) وحتى نهاية القرن العاشر الهجري وما بعده ، سواءً من أشراف مكة ، و الجراكسة والأتراك باليمن ، وغيرهم .

٤. ناقش البحث قضية مسمى درب جازان وتوصل إلى أن المقصود بهذه التسمية هو سور المدينة وليس المدينة نفسها .

٥. حاول البحث التوصل إلى رأي في توضيح تأسيس القلعة وسور المدينة ، والمقاربة ما أمكن في تحديد زمن تقريبي لذلك ، ولمن قام بتعمير القلعة بناءً على ما ورد في بعض المخطوطات والمصادر.

٦. أراد الباحث من هذا البحث توثيق تاريخ قلعة الثريا المشهورة ، وسور المدينة في ضوء الروايات التاريخية، بعد أن دثرت مدينة جازان وقلعتها ، واختفت معالمها وأطلالها وطواها النسيان .

٧. إن منطقة جازان ثرية بتاريخها وموروثها الحضاري ، وهي تستحق من جامعة جازان ومن جميع المؤرخين والباحثين الجادين أن يتولوا هذه البلاد بالدراسة والتنقيب عن آثارها ونقوشها ورسوماتها الصخرية. كما نأمل أن نرى من بناتنا وأبنائنا الدارسين في برامج الدراسات العليا في أقسام الآثار والتاريخ في المملكة العربية السعودية أن يبذلوا قصارى جهودهم في دراسة هذه الأوطان التهامية وغيرها من بلاد تهامة الغنية بموروثها الحضاري[1] .

---

(١) هذه الإضافة من صاحب موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (ابن جريس) .

رابعاً : قراءات وتحليلات عن موقع سوق حباشة :

م	الموضوع	الصفحة
أولاً:	تمهيد	١٦٤
ثانياً:	قـراءة في نصوص بعض المؤرخين والجغرافيين عـن سوق حباشة. بقلم . أ. عبد الله بن حسن الرزقي القرني	١٦٥
ثالثاً:	سـوق حباشة في بلاد بارق (تحقيـق ودراسة) . بقلم أ . أحمد بن مريف آل سعيد البارقي.	١٧٦
رابعاً:	وجهات نظر	٢٠٧

أولاً : تمهيد :

منذ أربعين عاماً وأنا أتجول في مناكب بلدان تهامة والسراة ، وقلت كثيراً وأقول الآن أن هذه الأوطان ذات عراقة تاريخية وحضارية ، وإن صدر عنها حتى الآن بعض الدراسات العلميـة ، إلا أنهـا مازالت بحاجة كبـيرة إلى دراسة أرضها وسكانهـا منذ استيطانها في بدايـة التاريـخ إلى وقتنا الحاضـر[١]. وهذه الجزئية التي نمهد لها بهـذه السطور تدور حـول سـوق حباشة ، وهو سـوق عرف في عصـري الجاهلية والإسـلام ، وذكره عدد من الباحثـين المتقدمين والمتأخرين ، وفي هـذا العام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) وصلني بعض الآراء والطروحات من بعض الباحثين الذين يسعون إلى تحديد مكان هذا السوق في أرض تهامة ، وبعد فرز هذه الأعمال تم اختيار عملين فقط لباحثين من أهل تهامة هما: الأستاذ عبد الله بن حسن الرزقي القرني من العرضية الجنوبية ، والأستاذ أحمد بنٍ مريف آل سعيد البارقي من بلاد بارق. وهذان الأخوان لهما أطروحتان مختلفتان تماماً عن مكان السوق ، ولا أرى بينهمـا أي تقـارب فيما يناقشانه ، فكل واحد منهـم يدعي أن موقع هذا السوق في بـلاده التي ينتمي لها ، وسلاحهما التعويل على بعض النصوص التاريخية المنشورة في بعضـ المصادر التراثية التقليدية. ولهـذا ارتأيت أن أنشرٍ ما وصلنا منهما في هذا السفر مـن موسوعة : **القول المكتوب في تاريخ الجنوب**، وأحيانـاً أذكر ما أراه من آراء ووجهات نظر في الحاشية . وآمل أن نرى دراسات علمية أثرية موثقة تدرس المواضع المختلفة عليها ، التي يزعم أهلها أنها من الأماكن الصحيحة لهذا السوق العربي الجاهلي[٢].

---

(١) أقـول إن أقسام التاريـخ ، واللغة العربية وآدابها ، وعلم الاجتماع وغيرها من العلوم العلمية والإنسانية في جامعاتنا المحلية عليها واجبات كبيرة في دراسة حضارة وتاريخ وفكر هذه البلاد ، وذلك لا يتحقق إلا بتوجيه الأساتذة الأكاديميين وطلاب الدراسات العليا في خدمة هذه الديار وأهلها . ونأمل أن نرى من هذه الجامعات أعمال عملية وعلمية تصب في خدمة الصالح العام . (ابن جريس) .

(٢) هنـاك آراء ووجهـات نظـر ، وصلتنا عن هذا السـوق من غير الأستاذيـن القرني والبارقـي، وجميعها تدور في فلـك هـذا السوق، والاختـلاف على مكانه في المنطقـة الممتدة من شـرق حاضرة القنفذة ، ومـن تهامة بلقرن

ثانيـاً: قراءة في نصوص بعض المؤرخين والجغرافيين عن سوق حباشة . بقلم . أ. عبد الله بن حسن الرزقي القرني[١] .

م	الموضوع	الصفحة
أولاً:	المقدمة	١٦٥
ثانيا:	نصوص بعض المؤرخين والجغرافيين عن موقع سوق حباشة	١٦٧
	أ. نص الأزرقي	١٦٧
	ب. نص ياقوت الحموي	١٦٩
	ج. نص البكري	١٧٠
ثالثا:	خلاصة القول	١٧٥

١. المقدمة:

الحمـد لله والصـلاة السلام على نبينا محمـد وعلى آله وصحبـه . أما بعد،، فلا يخفـى عـن الكثير أهمية سـوق حباشة ، تلك الأهميـة التي اكتسبها مـن خلال وصول الرسـول (ﷺ) إليـه قبـل البعثة في اتجـاره مع السيـدة خديجة بنت خويلـد (رضي الله عنهـا) حيـث ورد في كتاب: تاريـخ الأمم والملوك للطبري ، في المجلـد الأول الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) الصفحة رقم (٥٢١و٥٢٢) ، ما نصه: " حدثني الحارث، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال حدثنا محمد بن عمر، وغيره ، عن ابن شهاب الزهري ، وقد قال ذلك غـيره مـن أهل البلد: إن خديجـة إنما كانت استأجرت رسـول الله(ﷺ)، ورجلاً آخر من قريش إلى سـوق حباشة تهامة[٢]. والمصادر التي تحدثت عن وصول الرسول(ﷺ) لسوق حباشة ،خلاف الطبري ، كثر، ولكن من باب الاختصار نكتفي بذلك[٣].

تحديـداً، إلى وادي حلـي في تهامة منطقـة عسير . وسبب استبعاد هذه الأعمال هو عـدم توفر الحد الأدنى من المناهج والطرق العلمية في تدوينها، وكذلك احتوى بعضها على صياغات لغوية ضعيفة ، وأحيانا بعيدة عن تاريخ وحضارة هذا السوق. (ابن جريس) .

(١) عبـد الله الرزقـي من الباحثين المحدثين الجادين في بلاد العرضيات التابعـة لإمارة منطقة مكة المكرمة ، لـه بعض البحوث المطبوعة والمنشورة . للمزيد عن ترجمته انظـر: غيثان بن علي بن جريس. القول المكتوب في تاريـخ الجنوب (عسير والقنفذة) (الرياض : مطبعة الحميضي ، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م) ، ج٢، ص٤٠٣ وما بعدها . (ابن جريس) .

(٢) انظر ، تاريخ الطبري ، ج١، ص ٥٢١، ٥٢٢. (الرزقي) .

(٣) وصـول الرسـول (ﷺ) إلى سـوق حباشة في تهامة سروات عسـير أو غيرها يحتاج إلى دراسـة وتأصيل ، وهل فعـلا جـاء إلى هذا السـوق في أرض بـارق ، إن الرجوع إلى كثير مـن مصادر التراث الإسلامـي وكتب السنن وغيرهـا يجدهـا لا تذكر هذه الرواية، ونأمل أن نرى طالباً أو باحثا جـاداً يدرس لنا هذا الموضوع دراسة علمية موثقة. (ابن جريس) .

وعـن تخريج مسمى سوق حباشة فقـد أشرنا إلى احتمالات أسباب التسمية بكتابنا: **سـوق حباشـة دراسـة تاريخيـة موجـزة** ، وذلك من خـلال بعض معاجـم اللغة ، التي استشهدنـا بها [١]. ونجد اللغويين أصلوا حباشة : فقالوا إنها الجماعة من الناس وليسوا مـن قبيلـة واحـدة ، ومع أنه وقـع اختلاف كبير بـين المؤرخين في تحديد عـدد من مواقع الأسـواق التاريخية في الجزيرة العربية مثل سوق عكاظ ، كما ورد بكتاب سوق عكاظ[٢]. إلا أن المؤرخـين يكادوا يكونـون مجمعين على كينونة سوق حُباشة بصـدر قنونا ، وخاصة الأزرقـي والبكـري ، كما أشـار بذلك الفقيه حسـن في نصه المعاصر عن سـوق حُباشة ، كمـا ورد في كتـاب بين مكة واليمن للبلادي [٣]. وكما سيأتـي إيراده ، ولقد غلب على ظن الكثيرين بأن موقع سوق حباشة في غير صدر قنونا[٤]. كأن يكون في بارق للاشتباه لما ورد في لفـظ بارق (نصـ الأزرقي) [٥] ونص البكري: **"أرضها لبـارق"** [٦]. لكن هناك عدة أمور تدحض هذا الاشتباه من عدة وجوه وتؤكد وقوعه بصدر قنونا ، وسوف نورد نصوص أولئك المؤرخين الأوائل التي تشير مجتمعه إلى أنه بصدر قنونا ، كما نختم هذا البحث بما أورده المـؤرخ الباحـث حسن إبراهيم الفقيه في نصه عن سـوق حُباشة ، ونحن نورد ذلك بالمصادر والمراجع المعتبرة ولا نميل حيث الجهوية والمناطقية ، وفيما سيأتي نورد نصوص المؤرخين بحيث يتم إيراد النص كما هو ثم يعقبه تحليل نستند فيه على دلائل موثقة [٧].

---

(١) انظر ، الرزقي . سوق حباشة (أبها : مطابع الجنوب ، د. ت) ، ص٥ وما بعدها . (الرزقي) .

(٢) ناصر سعد الراشد . سوق عكاظ (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) ، ص ١٢٠-١٣٥.(الرزقي) .

(٣) عاتق البلادي ، بين مكة واليمن (مكة : دار مكة ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ، ص ١٤٩. (الرزقي) .

(٤) يـا عبـد الله أنت تشـير إلى أن هناك اختلافات حول موقع سوق عكاظ، وهـذا كلام صحيح ، وهو أشهر سوق جاهلـي في الجزيـرة العربية ، ثم تختم حديثك بالحكـم النهائي على أن سوق حباشة في وادي قنونا . وهذا في اعتقـادي كلام غير دقيق حتى لو ذكر ذلك الأزرقـي والبكري ، كما أن غيرك ممن يجزمون ويؤكدون على أنه ليس في هذا الوادي وليسوا هم الآخرين متأكدين. وأقول أن الروايات تذكر أن سوق حباشة في تهامة ، ومازلنا نحتـاج ونتطلـع إلى دراسات أثرية وتنقيبات وحفريات علمية لعلهـا تطلعنا على مكان هذا السوق الحقيقي . (ابن جريس) .

(٥) الأزرقي . أخبار مكة (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ، ط٣، ج١، ص ١٩١. (الرزقي) .

(٦) البكري . معجم ما استعجم . تحقيق مصطفى السقا (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ، ط٣، ج١، ص ٤١٨. (الرزقي) .

(٧) هـذا يـا أستـاذ عبد الله ما نريـده ونتطلع إليه ، ولا نرغب الانخـراط في آفة المناطقيـة والإقليمية ، مع أنني ذهبت وتجولت في بلاد تهامة الممتدة من تهامة الطائف حتى جازان فوجدت النعرات الإقليمية موجودةٍ بقوة ، وللأسف إن من يزينها ويشجع تواجدها هم من الطبقة المثقفة من الأساتذة والوجهاء والأعيان وأحياناً سادة القـوم . والمشكلـة نفسها عند أهالي السروات الممتدة من الطائف إلى نجـران، وفي مناطق عديدة من بلدٍان المملكة العربية السعودية التي ترددت على زيارتها والتجوال فيها خلال الثلاثين عاماً الماضية. ونحن فعلاً في أمس الحاجة إلى العمل والتشجيع والإنجاز في محيط الإخوة والإنسانية والدين ، وليس في مجال الطبقية أو النعرات القبلية . (ابن جريس) .

٢ـ نصوص بعض المؤرخين والجغرافيين عن موقع سوق حُباشة .

أ ـ نص الأزرقي :

ذكر الأزرقي في كتابه: أخبار مكة . قوله : " وحُباشة سوق الأزد وهي ديار الأوصام من بارق من صدر قنونا وحلي من ناحية اليمن ، وهي من مكة على ست ليال ، وهي آخر سوق خربت من أسواق الجاهلية، وكان والي مكة يستعمل عليها رجلاً يخرج معه بجند فيقيمون بها ثلاثة أيام من أول رجب متوالية حتى قتلت الأزد والياً كان عليها من غنى بعثه داوود بن عيسى بن موسى في سنة سبعة وتسعين ومائة ، فأشار فقهاء أهل مكة على داود بن عيسى بتخريبها ، فخربها وتركت إلى اليوم ، وإنما ترك ذكر سوق حُباشة مع هذه الأسواق لأنها لم تكن في مواسم الحج ، ولا في أشهره، وإنما كانت في رجب"[١] .

ناقش المؤرخ عاتق بن غيث البلادي نص الأزرقي في كتابه : " بين مكة واليمن رحلات ومشاهدات [٢]، ومن جملة ما ذهب إليه قوله : (١) نص البكري على أنه من صدر قنونا. (٢) يصعب الجمع بين بارق وقنونا. وبعد ذلك استدعى نص الباحث المؤرخ حسن بن إبراهيم الفقيه الذي أشار بأنه من صدر قنونا، كما سيأتي إيراده . وبالعودة إلى قراءة وتحليل نص الأزرقي نجد ما يلي: (أ) "قوله حُباشة سوق الأزد ، معروف أن قبيلة (بلحارث وبني البحير) هم من بلقرن . وقد حدد الفقيه السوق جنوبي غرب الفائجة (حاضرة بني البحير) بديار بلحارث بالحوائر (حداب القرشة من بلقرن) ، وبلقرن قبيلة أزدية من الأزد . (ب) ديار الأوصام ، أورد البلادي في المرجع المشار إليه آنفاً صفحة رقم (١٥٠) بأنه سأل الفقيه عن الأوصام من بارق فقال لايعرفون الآن " وقبل الحديث عن الأوصام ، نعلم أن الحباشة هي الجمع من الناس ، وليسوا من قبيلة واحدة، وهذه ميزة توجد في وادي قنونا ، فسكانه من قبائل شتى مثل: (١) فروع من الأزد ومنهم بلقرن وبخاصة بلحارث التي يقع سوق حُباشة بأرضهم ، وبني البحير، وبني سهيم. (٢) فروع من قبائل خثعم ، ومنهم حالياً: بنو المنتشر. وقبل الإسلام ،

---

(١) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ١٩١، ١٩٢. (الرزقي) . هذا النص فعلاً ورد في كتاب الأزرقي ، والجميل فيه هي معلومات تخريب السوق عام (١٩٧هـ/٨١٢م) ، وذلك لقرب هذا التاريخ من عصر الأزرقي ، فقد كان معاصراً لهذا الحدث ، ووفاته كانت في النصف الأول من القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) . أما معلوماته عن موقع السوق وما يحيط به من معالم جغرافية فهي غير دقيقة لأنه حصل على معلوماته من الرواة، ولم يذهب هو إلى بلاد تهامة التي يوجد بها هذا السوق.(ابن جريس).

(٢) انظر ، البلادي ، ص ١٤٨ـ ١٥٠ .(الرزقي) .

فـرع بني يوس (الأوس) بنـي يوس(الأواس) ، فرع من خثعم نزح إلى سراة خثعم ولم يـزل حتى اليوم . وقد رأى عدد من المؤرخـين أن (الأواس) ورد مصحفاً بالأوصام[١]. وبالعـودة إلى عبـارة الأزرقي " وهي ديار الأوصام من بارق من صدر قنونا وحلي، فهذا القول فيه جمع متفاوت غير معقول، فبلاد بارق تبعد عن قنونا وبينهما أودية ومسافات لا يمكـن الجمع بينهما ، ووادي حلي يبعد كثيراً عـن وادي قنونا ، ولا صلة جغرافية بين تلك الأودية ، ولعل مرد ذلك أن الأزرقي لم يقف بنفسه على موقع السوق ، وإنما اعتمد على روايات جانبت الصواب[٢].

وقـول الأزرقـي " وهي ـ يقصد السوق ـ من مكة على ست ليال " يؤكد صحتها الموقع الجغـرافي لسـوق حُباشة بصدر قنونا . لماذا؟ ، لأن قنونـا هو الأقرب من مكة من وادي بـارق ومن وادي حلي، وبارق وحلي تبعـدان عن مكة بأكثر من ست ليالٍ ، والشاهد على ذلـك مـا أورده الحموي عن المسافة التـي يبعد بها حلي عن مكـة المكرمة ، فقال" حلي مدينـة باليمـن على ساحـل البحر ، بينهـا وبين السرين يـوم واحد، وبينهـا وبين مكة ثمانيـة أيام"[٣]. والواقع أن بارق تبعد عن مكة أكثر من ست ليال[٤]. ومن ثم فالأزرقي أصـاب في تحديد المسافة لموقع سوق حُباشـة وبعده عن مكة بست ليالي، وهذا استدلال بالواقـع الجغرافي القديم والحديث على أن موقع سـوق حُباشة بصدر قنونا. ومن جهة

---

(١) يـا عبـد الله نجد في هذه النصوص التي أوردت خلط بين القديم والحديث ، فأنت مرة تعود إلى أقوال الأوائـل ، ثـم تنتقل فجـأة إلى روايات المتأخرين مثل الأستاذ حسن الفقيـه ، وبعد قراءة هذه المعلومات لم أستطـع أن أخرج بخلاصـة أو نتيجة. و يجب عليك أن تلتزم في أقوالـك وتحليلاتك بأقوال المؤرخين المتقدمـين ، وهـو العنوان الذي دونتـه في أول بحثك عن هذه الجزئية. وحتى هـذه اللحظة ، لا يستطيع القارئ أن يخرج بصورة محددة اللهم إلا إصرارك على أن هذه السوق في صدر وادي قنونا وفي بلاد بني بحير القرنية ، وكل هذا لا يكفي وكلام غير مقنع . (ابن جريس) .

(٢) هـذه الحقيقـة يا عبد الله ، فهو لم يزر منطقة تهامة ، ولا يدري أين موقع هذا السوق ، ومن ثم وقع في هذا الخلط الجغرافيٍ الكبير ، ثم وقع في الخطأ نفسه كل من جاء بعدها . ولا أحد ينكر أن هذا السوق في تهامة ، لأن هناك أقوالاً متعددة أشارت إلى هذا الخبر ، لكن كل ناحية وردت في نصوص المتقدمين ، فأهلها اليوم يصرون على أن هذا السوق في بلادهم ، وليس هذا المنهج العلمي الدقيق والسليم ، وإنما الذي نريد معرفته هو موقع السوق الصحيح ، وقد نسمع في قادم الأيام من يظهر في تهامة بأقوال جديدة ويدعي أن السوق في بلادهـم ، فالحذر الحذر من الإصرار الأعمـى ، أو الجزم بأقوال نهائية دون الاعتماد على مصادر عملية وصحيحة . (ابن جريس) .

(٣) انظر ياقوت الحموي . معجم البلدان (طبعة بيروت ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ج٢، ص٢٩٧(الرزقي).

(٤) يا عبد الله هذه البراهين ، بعد مكة عن حلي ست أو ثمان ليال لا تكفي ، لأن القائلين بهذه الأقوال يرون مـا سمعـوه عن المسافـات بين تلك الأمكنة ولم يزوروهـا أو يشاهدوا معالمها ، ثـم إن السير من حلي أو بارق أو صدر قنونا يختلف من مسافر إلى آخرٍ ، ومن قافلة إلى أخرى حسب ظروف الطريق، وإمكانات المسافرين وأهدافهم ، وهناك من يأخذ أوقاتاً أطول في هذه الطرق الشاقة والطويلة . (ابن جريس).

أخرى فالمتأمل في نقاط مواقع سوق حُباشة من خرائط كتاب: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام [١]. سيجد أن ذلك الموقع ينطبق إلى حد كبير على صدر قنونا ، ويشير إلى أن ذلك الصدر من ذلك الوادي هو الأقرب إلى مكة المكرمة من الأودية الواقعة إلى جنوب وادي يبة كحلي وبارق[٢].

وقول الأزرقي: " كان والي مكة يستعمل عليها رجلاً يخرج معه بجند فيقيمون بها ثلاثة أيام من (أول رجب) " يلاحظ من عبارة (أول رجب) ، يعني أن سوق "حُباشة سوق رجبية". وفي آخر النص ما يثبت رجبية سوق حُباشة فقال: " **وإنما ترك ذكر سوق حُباشة مع هذه الأسواق ، لأنها لم تكن في مواسم الحج، ولا في أشهره وإنما كانت في رجب** ". وفي محيط غرب سوق حُباشة من صدر قنونا يوجد قرية تحمل اسم " المرجبات" إحدى قرى وادي قنونا على الطريق من الفائجة باتجاه سبت الجارة، وسألنا عدداً من كبار السن عن سبب التسمية فأجابوا بأن المقصود به النخيل التي في الوادي مقابل القرية الحالية . وربما يعني ذلك إنتاج ذلك النخيل في شهر رجب[٣].

ب. نص ياقوت الحموي :

أورد ياقوت في كتابه : (**معجم البلدان**) نصاً عن سوق حُباشة ، نأخذ منه ماله صلة بما نحن بصدده .فقال: "حباشة " بالضم والشين معجمة ، وأصل الحباشة الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة. وحَبَشت له حُباشة أي جمعت له شيئاً . وحُباشة : سوق من أسواق العرب في الجاهلية ، ذكره في حديث عبد الرزاق عن معمر

---

(١) انظر : سعيد الأفغاني . أسواق العرب في الجاهلية والإسلام . (مكتبة دار العروبة ، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م) ، ط٤، ص ٢٢٨، ٢٢٩. (الرزقي) .

(٢) كلامك يا عبد الله لا يخلو من الحقيقة فوادي قنونا وما جاوره أقرب إلى مكة ، والقول أنه يبعد عن مكة ست ليال كلام معقول أيضاً ، وربما يبعد عن بلاد الحرمين أكثر من ذلك ، والذاهب في بلاد تهامة من العرضية الجنوبية إلى مكة المكرمة اليوم يدرك أن المسافة تحتاج إلى أكثر من ست ليال مشياً على الأقدام أو على الدواب ، وربما يقضي المسافر في هذا السفر عشر ليال وأكثر. لكن الجزم بأن السوق يقع في صدر وادي قنونا، قول ينقصه الدليل الدامغ ، وسوف تستمر هذه الإشكالية حتى يأتي من يدرس لنا مواقع تهامة الأثرية، وعندئذ قد نصل إلى الحقيقة أو قريباً منها عن موقع هذا السوق. والجدل بدون شك سوف يستمر إذا بقينا نعتمد فقط على مرويات المصادر التقليدية . (ابن جريس) .

(٣) يا أستاذ الرزقي استنتاجك هنا لا يسنده رواية قوية ، فاسم هذه القرية المرجبات ، قد لا يقصد بها شهر رجب، وإنتاج النخل لا يستغرق شهراً وإنما يحتاج لفترة أطول . ثم إن مصدرك كبار السن الذين عاصرتهم وسمعت منهم في نهاية القرن الهجري الماضي وهذا القرن . فكل هذه الأقوال ضعيفة على إثبات أن موقع هذا السوق في هذا المكان الذي أشرت إليه . أما رجبية سوق حباشة فلا غضاضة في ذلك لأن هناك أكثر من مصدر أشار إلى هذه المعلومات .(ابن جريس) .

عن الزهري قال: لما استوى رسول الله (ﷺ) ، وبلغ أشده وليس له كثير مال استأجرته خديجة إلى سوق حُباشة ، وهو سوق بتهامة ، واستأجرت معه رجلاً آخر من قريش ، قال: رسول الله (ﷺ) ، وهو يحدث عنها ، "ما رأيت من صاحبة أجير خيراً من خديجة ، ما كنا نرجع أنا وصاحبي إلا وجدنا عندها تحفة من طعام تخبئه لنا ، قال فلما رجعنا من سوق حُباشة ..." (١).

من خلال قراءة نص ياقوت الحموي نجد أنه لم يشر إلى موقع محدد لسوق حُباشة كما ذكر الأزرقي بأنه بصدر قنونا ، واكتفى بذكر مكانه بشكل عام فقال: " **وهو سوق بتهامة** " ، وقال أيضاً أنه "**من أسواق العرب في الجاهلية**" . وكان على الحموي أن يكون أكثر البلدانيين شمولية وإحاطة بجغرافية ومكان سوق حُباشة ، لأن من أهم بواعث تأليفه كتابه الشهير (معجم البلدان) هو (سوق حُباشة) ، عندما اختلف مع أحد أقرانه حول ضم أو فتح حرف الحاء من كلمة حباشة) (٢).

ج. نص البكري:

أورد هذا الجغرافي في كتابه : معجم ما استعجم ، قوله : " الحُباشة : بضم أوله وبالشين المعجمة أيضاً على وزن فُعالة ، ويقال حُباشة دون ألف ولام ، سوق للعرب معروفة بناحية مكة ، وهي أكبر أسواق تهامة ، كانت تقوم ثمانية أيام في السنة . قال حكيم بن حزام وقد رأيت رسول الله (ﷺ) يحضرها ، واشتريت فيها بزاً من بز تهامة ، وهي من صدر قنونا ، أرضها لبارق." (٣). ويوجد في النص عبارات نقف عليها ، مثل

---

(١) ياقوت الحموي . معجم البلدان ، ج٢، ٢١١ . (الرزقي) . ليس لدينا أي تعليق على ما أورده الحموي، فسوق حباشة ذكرته كثير من المصادر وأثبتت مكانه في تهامة ، لكننا مازلنا حتى الآن لا نعرف مكانه الصحيح من أرض تهامة.(ابن جريس) .

(٢) للمزيد من التفصيلات انظر: أهم الأسباب التي جعلت ياقوت الحموي يدون كتابة : معجم البلدان ، وفعلاً الاختلاف على كتابة ونطق كلمة (حُباشة) كان من الدوافع الرئيسية التي جعلت هذا الجغرافي المسلم يؤلف معجمه . انظر: ياقوت ، معجم ، ج١، ص ١٠-١١. (ابن جريس) . ونقول يا أستاذ عبد الله أن كل المعلومات التي دونتها أعلاه لا تفيدنا كثيراً في تحديد مكان هذا السوق . (ابن جريس) .

(٣) عبد الله بن عبد العزيز البكري . معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع . تحقيق مصطفى السقا (بيروت: عالم الكتب ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) . مج١ ، ج٢، ص٤١٨. ونقول أن مدة السوق ثمانية أيام ، ويفهم ذلك من قوله (كانت تقوم ثمانية أيام في السنة) . كما أن هذا السوق تشرفت بوصول الرسول (ﷺ) إليها قبل البعثة ، وذلك ما عرفناه من كلام حكيم بن حزام الذي رأى النبي (ﷺ) فيها ، وهنا اجتمع الشرف مع كبر السوق ، كونها أكبر أسواق تهامة . أيضاً أن لتهامة بز مخصوص لم يشر إليه المؤرخون في دراساتهم ، وهذا ما نفهمه من رواية حكيم الذي يقول (واشتريت فيها - يقصد السوق - بز من بز تهامة) . (الزرقي) .

قولــه : " سوق معروفة بناحية مكــة " . والمتتبع للتاريخ الإداري والسياسي خلال القرون الأولى مــن عصر الإســلام يجد أن قنونا ناحية من نواحي مكــة ، وهي الأقرب لمكة من شقيقاتهــا الواقعــة إلى جنوبها كحلي وبارق وغيرها ، وهي كمــا أشار الأزرقي تبعد عن مكة بست ليالٍ . وكذلك حجم سوق حُباشة فهو "أكبر أسواق تهامة " .

ونتوقف أيضاً مع البز المذكور في النص ، والذي عُرف باسم (بز تهامة) . قال ابن منظــور في (لسان العرب) [١] . بزز، والبز : الثيــاب وقيل ضرب من الثياب . والبزّاز ، بائــع البزّ. وقال والبزّ ، والبــزّة. السلاح ويدخل فيه الدروع ، والمغفر ، والسيف . ويبدو أن البــزّ ـ الــذي أشار إليــه ـ حكيم بن حزام : أنه (السلاح) الــذي يدخل فيه الدروع ، والسيف وغيره . ولعل: الأقواس ، والسهام ، والرماح هي من الأسلحة التي كانت تباع في سوق حُباشة ، وأن خام ومواد صناعة الأقواس والسهام والرماح متوفرة. وفي بيئة سوق حباشة يوجد شجــر الشوحط ، الذي تصنع فيه الأقواس والسهام والرماح. وفي محيط هذا السوق عدد من الجبال المليئة بأشجار الشوحط ، مثل: جبال حضوضى ، وصفاة ، وثميــدة[٢] . ومن الثابت أن صناعة النبال والأقواس والرماح تقوم على شجر الشوحط وغــيره من أشجــار تهامة. وهذا ما ذكرته بعض المصادر والمراجــع التي أشارت إلى أن الرماح والسهام والأقواس تؤخذ من أشجار الشوحط والتألب والعتم وغيره . كما ذكرت مصادر مبكرة صناعة الحسك ، ونجد قريباً من أرض سوق حباشة لصدر قنونا محلة تسمــى (الحسك) ، وبها نقش رسم النمر الذي يوجــد على صخرة كبيرة بنفس أرض الحسكــة. وقد زار هذا النقش كل من الأستاذ والباحــث الآثاري حسن الفقيه ، والمؤرخ الدكتور غيثان بن جريس وقدرا عمره أكثر من خمسمائة سنة تقريباً [٣] .

واختتــم البكري نصــه بعبارة : "**وهي من صدر قنونا أرضها لبــارق**" . وليعلم قارئ هــذه السطــور ، أن تحليل وتحقيق هذه العبارة ليس لكاتب هذا البحث فيها حرف واحد

---

(١) انظــر : معجــم لسان العرب لابن منظور (بزز) . (الزرقــي) . يا عبد الله لا أدري ما هي الفائدة من إيــراد هــذه المعلومات ، فكل هــذه التفصيلات لا تخدمنــا في معرفة مكان الســوق الصحيح ، وإنما هي معلومات زائدة لا تصب في خدمة عنوان هذه الدراسة . (ابن جريس).

(٢) هــذه الجبال من المعالم الرئيسية في بلاد العرضيات ، وهي جديــرة أن تدرس طبوغرافيتها وأشجارها ومعادنها وطيورها وحيواناتها . (ابن جريس) .

(٣) يا عبد الله لقد ذكرت نقاطاً عديدة بدءاً بصناعة بعض الأسلحة من شجر الشوحط وغيره ، ثم الإشارة إلى النقش الذي يوجد في محلة الحسك أو الحسكة ، ثم المصادر التي أشارت إلى أهمية الشوحط وغيره في صناعة الرماح وغيرها. وكل هذه المعلومات بعيدة عن الهدف الرئيسي الذي قامت عليه دراستك وهو تحديد موقع سوق حباشة ، هذا هو الذي نريد تحقيقه ، ولا تذهب بنا بعيداً هنا وهناك ، ومن ثم تشتت أفكارنا ، ولم نستطع أن نحقق أي نتيجة إيجابية لمعرفة موقع السوق الصحيح.(ابن جريس) .

مـن تعليـق أو تحليل أو إشـارة [(١)]، بل سنحيل القـارئ إلى مؤرخـين تناولاها بالتفسير والتحقيـق . في صدر قنونا ، وحققها الباحث حسن بن إبراهيم الفقيه وقال أنه استنتج مـن القراءات والمشاهدات التي قام بها ميدانيـاً أن سوق حُباشة الذي أشار إلى موقعه الأزرقي والبكري يقع في بداية وادي قنونا[(٢)].

وعبـارة (**أرضها لبـارق**) . في معجم البكري ، فليس لكاتب هذه السطور فيها أيضاً تحليـل ولا تعليـق [(٣)]، وإنما نحيل القارئ إلى مؤلف: " كتـاب القنفذة لصاحبه الباحث يحيـى بن إبراهيم بن يحيى العجـلاني الشريف الذي أورد تحقيقها في صفحة (٧٧) ، فقـال: " صـدر قنونـا " وصدر أي وسـط ، ووسط قنونا من المعقـص إلى شرق القنفذة وبـارق[(٤)]. ولعلـه يقصد بكلمة (بارق) أبـرق وهي جمع أبارق ، وهـي الأرض الغليظة التـي فيها حجـارة ورمل وطين ، وقنونا كذلك. ومن اعتمد على صدر قنونا مفسراً كلمة (أرضها لبارق) بأنها الأرض الغليظة التي بها حجارة ورمال وطين[(٥)].

وهنـا نقـدم بعض نصوص المؤرخـين المتأخرين عن موقع سـوق حباشة ، متناولين الصـدر، أي صـدر قنونا . كمـا أشارت بعض نصوص المؤرخـين والجغرافيين الأوائل عـن مـكان هذا السوق . وهذا المـؤرخ حسن بن إبراهيم الفقيـه [(٦)]. يذكر أنه وجد من

---

(١) هذه المشكلة الكبرى يا أستاذ عبد الله أن تذكر أقوال وآراء غيرك من الباحثين المتقدمين والمتأخرين ، ولا يكون لك تعليق أو تحليل يقوم على براهين وشواهد قوية . واعلم أنك من أهل العرضيات ولك جهود تذكر فتشكـر في بعض البحوث والدراسات التي تخص بلادك وأهلها . وكما ذكرت سابقاً أن سوق حباشة فعلاً في تهامـة ، لكن الجـزم بأنه في ووادي قنونا ، أو في بلاد بني بحير أو غيرها من أرض تهامة مازال يحتاج إلى دراسات علمية أكاديمية أثرية. ونأمل أن نرى من كليات الآثار ومن المؤسسات المسؤولة عن الآثار أن تهتـم بدراسة هذا السوق لعلها تفيدنا بالبراهـين القاطعة وتحدد موقعه من أرض تهامة ، وهذا ما نأمله ونتطلع إليه . (ابن جريس) .

(٢) المشكلـة التـي تعاني منها يـا عبد الله ، وهو المكان الصحيـح لموقع سوق حباشة ، هـي المشكلة نفسها التي واجهها حسن الفقيه، ويواجهها كل باحث عن موقع وتاريخ هذا السوق التهامي القديم . (ابن جريس) .

(٣) يجب أن يكون لك تحليل وتعليق، ولا تورد روايات الآخرين وبخاصة إذا كان يشوبها الخطأ أو الاضطراب. (ابن جريس) .

(٤) انظر : الشريف العجلاني . القنفذة نشأة وتاريخ (١٤٣٠هـ/٢٠١٠م) ، ص ٧٧ . (ابن جريس) .

(٥) يـا عبـد الله هـذا الكلام الذي أوردته وأخذت بـه وهو من أقوال يحيى العجلاني ، كلام غـير دقيق ، وغير علمي ، وقولكمـا الصـدر هو الوسط ، ثم تسقطون هذا الوسط على وسط قنونـا من المعقص إلى شرق القنفذة ، وأبرق أو بـارق كمـا ذكرت. وأقول إن القارئ لهذه العبارات لا يخرج بأي فائـدة تصب في تحديد أو ذكر موقع سوق حباشة ، وإنما ذلك الكلام زائد لا جدوى منه.(ابن جريس) .

(٦) الأستـاذ الرزقـي أورد ترجمة للأستاذ حسن الفقيه في متن دراستـه والأفضل أن يضع هذه الترجمة في الحاشيـة، ولهـذا استبعدناها من مكانها الذي وضعها فيه . ونشير هنـا إلى خلاصة ما ذكر عنه . فهو حسن بن إبراهيم بن هادي الطويلي الفقيه، ولد بساحل يبة عام (١٣٥٨هـ) ، وعمل في عدد من الأعمال التعليميـة والإداريـة، وأصدر عدداً من الكتـب والبحوث ، ومن اهمها مخلاف عشـم ، ومدينة السرين الأثريـة ، وكان له حضور جيـد في كثير من المناشط الاجتماعية والعلمية والثقافية ،وأثنى عليه عدد من

القـراءات والمشاهـدات التي قام بها ميدانيـاً ، إن سوق حُباشة الـذي أشار إلى موقعه بعضـ المؤرخـين الجغرافيـين ، وبخاصة الأزرقـي والبكري ، يقع في بدايتـه تكون وادي قنونـا بعـد اجتماع الأوديـة : وادي رحمان ، ووادي الخيطـان ، ووادي الحفيان ، ووادي بيـان ، جنوبي غربي قرية الفائجة بحوالي (٤) أكيال ، وشرق المحلة المعروفة بالحوائر في بلاد بلقرن ، وبخاصة بلحارث ، ثم يقول: والناس هناك يسمون هذا الموضع السوق، وينطبـق عليـه إلى حد كبير التحديـد الجغرافي القـديم ، والآثار الموجـودة المشاهدة، بمـا في ذلـك من قبـور وبعض آبار حتـى المباني القديمـة [١]. وعندما نتأمـل في أقوال الأستـاذ الفقيه يتضـح لنا عدد من النقاط ، منها : (١) أن موقـع سوق حُباشة بصدر قنونـا. (٢) أن الفقيـه حـدد سـوق حُباشـة من صـدر قنونا (تحديـداً دقيقـاً) [٢]. (٣) استـدلال الفقيـه بأهل المكان ، وذلـك بقوله " والناس هنـاك يسمون هذا الموضع السـوق "[٣]. (٤) أن بالمـكان آثـار وقبور . وقد وجدنا في أقصـى غرب السوق مما يلي

الباحثين الذين قابلوه وأخذوا عنه بعض العلوم والمعارف الخاصة ببلاد تهامة وبخاصة منطقة القنفذة. للمزيد انظر : مجلة عن تعليم القنفذة. (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) ، ص٦١-٦٢ ، عاتق البلادي ، بين مكة واليمن، ص١٤٩ ، غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير والقنفذة) (١٤٣٢هـ/٢٠١١م) ، ج٢، ص٣٨٥ وما بعدها . للمؤلف نفسه (بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠-١٥هـ/ق١٦-٢١م) (دراسة تاريخية) (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م)، ص ٤٥٣- ٤٧١ . (ابن جريس) .

(١) هـذا قـول نحترمه مـن الأستاذ حسن الفقيه ، لكـن مازال كلاماً إنشائيـاً ، وكنا نأمل من الشيـخ الفقيه ومنك يا عبـد الله، الرزقـي ، ومن أصحاب التخصص في علوم الآثـار والنقوش والحفريات أن يدرسـوا هذه الآثار والقبور والشواهـد الموجـودة في هذا الموقع ، ومن يفعـل ذلك فقد يجد دليلا وبراهين قوية تؤكد مـكان السوق وحدوده ، أما القول أن موقع السوق يوجد عند بداية وادي قنونا الذي تصب فيه بعض الأودية المحلية الكبيرة، ولا ندري كيف يكون هذا السوق عند التقاءهذه الأودية التي تشكل بداية وادي فحل مثل وادي قنونا، ألم يكن هذا الموقع خطيراً لتعرضه لسيـول أوديـة كبار في بـلاد العرضيات ؟ مع العلم أن السوق يستمر معقوداً أكثر مـن أسبوع من الزمان . هذه أمور يجـب أن توضـع في الحسبان . وقد وجدت من خلال جولاتي في بلدان عديدة في تهامـة والسراة ، أن هناك أسواقاً أسبوعية عديدة كانت على مصبات بعض الأودية ، وقد تعرض بعضها للدمار والخراب من السيول ، وعندئذ نقلت مـن أماكنهـا الخطيرة إلى مواقـع أكثر أماناً . المصدر: مشاهـدات الباحث في جازان ، وتهامـة وعسير ، وسروات منطقة الباحة وتهامتها خلال العشرين سنة الماضية . (ابن جريس) .

(٢) قولـك يا عبـد الله أن الفقيه حدد موقع السوق تحديداً دقيقاً ، عبـارة فضفاضة ، نعم قال إنه في صدر قنونـا ، ولكـن ما هي الأدلة القوية التي فعلاً تؤكد هـذا القول ، فهذه نصوص الأوائل عامة وغير دقيقة ، ولا يوجـد دليـل أثـري أو دراسة علمية قوية تفصل في هذا الاضطراب والخـلاف في مكان السوق (ابن جريس) .

(٣) أقوال النـاس (هذا موضع السوق) ، أو أنه يطلق عليه السوق ، ربما يكون حقيقة ، لكن هل هذا السوق هو سوق حباشة ؟ هذا هو الكلام الفصل . لقد تجولت في بلدان عديدة في جنوبي المملكة العربية السعودية، وسمعت ورأيت أماكن عديدة أطلق عليها اسم (السوق) ، وعند سؤال النـاس القريبين من هذه الأمكنة يقولـون فعـلاً هذا سوق كذا وكـذا ، وكان يعمل إلى نهايـة القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وهنـاك أماكن أخرى يقولـون عـن بعضهـا هذا يعرف باسم (السـوق) لكنهم لا يدرون عن هذا السـوق أي شيء . فما بالك

مجـرى وادي قنونا مقبرة قديمة جداً ، وفي محيط السـوق بعض المواد الأثرية الفخارة والمعدنيـة . وهنـاك بعض الأمكنة التـي ربما يكـون لها صلـة بالسوق مثـل: القرشة ، والمرجبـات ، والحسـك . فالقرشة من التقرش وهو التجمـع ، والحُباشة تعنى التجمع ، والمرجبـات ، " نخـل وقرية في محيط السوق" ، وسـوق حُباشة رجبي . والحسك : " نوع من أنواع الأسلحة لعله مما كان يباع في السوق "(١).

(*) عبد اللّٰه الرزقي وسوق حُباشة :

منذ أعـوام (١٤١٦- ١٤٣٠هـ/١٩٩٦-٢٠١٠م) أوكل إلينا الباحـث حسن الفقيه استكمـال البحث في سوق حُباشة ، وقمنا بالبحـث ، وتنفيذ عدد من الزيارات الميدانية وفعـلاً وجدنـا موضع السوق في المكان الذي أشار إليه الفقيه . ثم أصدرنا كتيباً بعنوان: (سـوق حباشة) (دراسة تاريخية موجزة) (٢)، وحيـث أنني لم أجد دعماً من الجهات الثقافيـة والمجتمعيـة ، ولقلة ذات اليـد لم أستطع أن أنشر الكتاب علـى نفقتي ، وتكفل المجمـع القروي في العرضيات ، الذي تأسس في عام (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) ، بطباعته ألف نسخـة ، وقـد نفدت ولم يتبـق منه إلا نسخ قليلة جـداً ، وتضمن هـذا الكتاب عدداً من الموضوعات ، وأقول إنه لا يخلو من أخطاء إملائية ونحوية ، وهو بحاجة ماسة إلى إعادة طباعته(٣). وقمنا فيما بعد هذا الإصدار بإعداد تقارير ولقاءات صحفية ، تناولت سوق حُباشـة المكان والزمان ، ولقاءات تلفزيونيـة وإذاعية ، أوضحنا فيها حقيقة موقع سوق حباشة، وللأسف أن المؤرخين والإعلاميين وهيئة السياحة يذهبون بعيداً عن تناول هذه السوق التاريخي(٤).

بسوق من العصر الجاهلي مثل سوق حباشة، ونقول هذا مكانه لأن هذه الناحية يطلق عليها السوق. إنه قول ناقص ويحتاج إلى برهان ودليل قوي يؤكد أو ينفي أنه سوق حباشة . (ابن جريس) .

(١) هـذه المـواد الأثرية ، والمواضع الجغرافية قد تفيد في الوصـول إلى حقيقة تاريخية . وبخاصة لو درست هذه الأمكنة ، أو جمعت نقوشها وموادها الأثرية . (ابن جريس) .

(٢) انظر: الرزقي ، سوق حباشة ، (٥٦ صفحة) . (الرزقي) .

(٣) نشكـرك يـا أستاذ عبد اللّٰه الرزقـي على جهودك في خدمة منطقتك ، لكن سـوق حباشة مازال يحتاج المزيـد من البحـث والتنقيب حتى يعرف مكانه الصحيح في البلاد التهاميـة الممتدة من وادي قنونا إلى بـلاد بـارق ، فهو يوجد في هـذه الناحية ، لكـن حتى الآن لا نعـرف مكانه الدقيق حتـى وإن كان هناك محاولات من بعض الباحثين لتحديد موقعه . (ابن جريس) .

(٤) كمـا ذكـرت سابقاً ، وقلت لك إنك يا رزقـي من المواطنين الجيديـن الذين يسعـون إلى خدمة أهلهم وبلادهـم ، وهـذا ماعرفتـه وشاهدتـه وسمعتـه . أما تحديـد موقع السـوق فهناك بعض الإعلاميين والباحثـين الذين تعرضوا للحديث عن هذا السوق ، لكـن كل ما ذكروه أقوال إعلامية وصحفية وأحياناً شبه علميه لكنهم جميعاً لم يستطيعوا تحديد الموقع الدقيق لهذا السوق. (ابن جريس) .

ثالثاً: خلاصة القول:

نقول إن سوق حباشة يقع في صدر قنونا جنوبي غرب بلدة الفائجة بنحو (٤) أكيال من محافظات العرضيات في منطقة مكة المكرمة ، وأرض السوق منبسطة يحيط بها من الشمال تلال جبلية من خلفها الشمالي مجرى وادي قنونا ، ومن الجنوب أودية وتلال جبلية متوسطة ، ومن الغرب قرية الحوائر وتبعد عن الخط العام الحديث الذي يربط الفائجة بسبت الجارة عبر وادي قنونا بنحو (٢) كيلو تقريباً ، ومن الشرق مرتفعات وترى من خلفها جبال طلعة. ومساحة السوق نحو(٢٥٠×١٠٠) متر مربع ، وفيها بعض الصخور والأحجار الصغيرة والكبيرة. وهناك بعض الرواة من كبار السن من قال: " نحن منذ خلقنا ونسمع الأوائل يطلقون على هذه الناحية اسم السوق " . ويوجد في هذا المكان بعض الكسر الفخارية ، والآثار والنقوش الصخرية[١].ويكتسب هذا الموقع أهمية كبيرة ، فهو يقع قريباً من بعض المعالم الأثرية مثل: جبال ثميدة[٢]. وجبل ثربان من بعدها ، وفي شمالها وادي قنونا الذي له خاصية المياه الجارية طوال السنة، وبه شجر النخيل، الذي لا يستبعد أن تمره أحد أهم بضائع سوق حُباشة ، كما أنها تتوسط أقاليم، وواقعها يشير إلى ما أكده بعض المؤرخين من انها لقبائل شتى ، فكانت ومازالت في مكان يسكنه لفيف من العشائر، وهي تتوسط شبكة طرق قديمة ، جنوباً إلى ثميدة ومنها إلى ثربان ، ومن ثميدة إلى شرق العرضيات، ومن الجنوب إلى سبت الجارة . وهناك أمكنة في نطاق سوق حُباشة ، ربما لها علاقة بهذه السوق ومنها حداب (آل قرشة) ، والتقرش يعني التجمع ، والمرجبات ، وسوق حباشة سوق رجبية ، وتوجد في ناحية لا تخلو من الآثار والنقوش . وقد استلمت هيئة السياحة والآثار الموقع المشار له، وقامت بترميزه وتحديده بمنائر حملت اسم هيئة السياحة والآثار ، إلا أننا مازلنا ننتظر اعتماد هذه السوق، وخدمته كما فعل بسوق عكاظ، هذا وقد قامت شركة جوجل باعتماد الموقع في صدر قنونا حسب التحديد الجغرافي الذي أشرنا إليه[٣].

---

(١) كلامك يا عبد الله نفس كلام الأستاذ حسن الفقيه . وتذكر أن هناك بعض المواد الأثرية والنقوش والآثار ويجب عليكم جمعها ثم إرسالها إلى بعض الأساتذة المتخصصين في علم الآثار والنقوش حتى يدرسوها ، وقد يتوصلون إلى براهين قوية توضح المكان الصحيح للسوق. أما روايات الأقدمين التراثية فمازالت قاصرة على أن تعطي صورة واضحة عن المكان الدقيق لهذا السوق الجاهلي. ابن جريس) .

(٢) سلسلة جبال ثميدة تمتد من وادي أبيان بالعرضية الشمالية حتى جبل ثربان ، ويوجد فيها الكثير من المعادن ، وهذه الجبال جديرة بالبحث والدراسة . (ابن جريس) .

(٣) يا عبد الله نقاشك هو نفس أقوال وآراء الأستاذ حسن الفقيه . وأقول شكر الله لكما على ما بذلتما تجاه هذا السوق ، وكل ما ذكرتموه نقدره ونحترمه ، لكن إذا أخضعنا أقوالكما وأقوال من سبقكم من المؤرخين والجغرافيين المتقدمين فإننا لا نصل إلى نتيجة واضحة ودقيقة في تحديد مكان السوق ، وكل ما وصلنا هي آراء ووجهات نظر ، وليس هناك دليل قاطع يحدد أرض هذا السوق التاريخي أما

ثالثا : سوق حباشة في بلاد بارق (تحقيق ودراسة)[١]. بقلم أ. أحمد بن مريف آل سعيد البارقي[٢].

م	الموضوع	الصفحة
١.	مقدمة	١٧٧
٢.	حباشة في بعض المعاجم الجغرافية واللغوية	١٧٩
٣.	تحقيق نصوص عن حباشة وردت في بعض كتب التراث	١٨٠
٤.	حباشة عند بعض الباحثين المتأخرين	١٩٨
٥.	الخلاصة	٢٠٥

قولك عن هيئة السياحة والآثار فهي للأسف مقصره وغير منتظمة في عملها، فقد رأينا الكثير من الأمكنة التي وضعت عليها سياجات حديدية ، وكتبت عليها أنها من اختصاصها وتحت إدارتها ، لكنها لم تقدم أي شيء لهذه الأمكنة التاريخية ، فهناك أسواق ، وقرى ، وحصون ، وطرق ، وآبار، وأحمية، وكهوف ، وأماكن أثرية كثيرة، ، لكن هذه المؤسسة وأيضاً أقسام وكليات التاريخ والآثار في المملكة العربية السعودية مشتركة في هذا الإهمال والقصور الذي تعيشه هيئة السياحة والاستثمار، وكثير من المواقع التي حددت لم تقم على دراسة واستقصاء، وإنما اجتهادات ناقصة ، وأقول إن الوعي تجاه الأمكنة الأثرية مازال متأخراً عند المؤسسات العلمية والثقافية، وعند عامة الناس، وهذا ما يجب الانتباه له، والعمل على الارتقاء بهذا الشأن . (ابن جريس) .

(١) يفهم من هذا العنوان الجزم التام بأن موقع سوق حباشة في بلاد بارق الحالية . وهذا القول يجب أن يؤخذ بحذر والتأكد هل بلاد بارق الحديثة هي نفسها بارق القديمة ؟ . نعم ورد اسم بارق قديماً في تهامة والسراة، لكن لا نملك معلومات واضحة توضح مواقعها الدقيقة وتنقلاتها منذ العصر الجاهلي حتى استقرارها في موطنها الحالي . (ابن جريس) .

(٢) أحمد بن مريف بن أحمد بن حسن آل سعيد البارقي، من مواليد مدينة الرياض (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) . بدأ تعليمه في الرياض، ثم بارق، ثم الجبيل، وأخيراً حصل على درجة البكالوريوس في اللغة الإنجليزية من جامعة الملك عبد العزيز في جدة عام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م) . حصل على عدد من الجوائز العلمية والتقديرية وخطابات شكر من عدد من المؤسسات الحكومية وذلك على جهوده ونشاطاته العلمية والثقافية فيما يتعلق بمحافظة بارق. عمل كاتب رأي متعاون في عدد من الصحف المحلية. اكتشف عدد(١٣) نقشاً صخرياً للغات قديمة وخط المسند والرسوم الحيوانية في محافظة بارق ، وتم تسجيلها في هيئة السياحة والتراث الوطني . لديه حوالي عشرة بحوث وأوراق عمل منشورة . وله ثلاثة كتب تم طبعها ونشرها ، وهي: (١) قبائل بارق المعاصرة (من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث) (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م) . (٢) محافظة بارق بالتعاون مع محمد بن علي آل عبد المتعالي (١٤٣٦هـ/٢٠١٦م) .(٣) الآثار والتراث في محافظة بارق (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م) ونقول : لقد قابلت هذا الباحث مرتين ، واطلعت على بعض بحوثه ودراساته فوجدته مثالاً جيداً للباحث المجتهد المثابر ، والذي أعجبني في شخصيته حبه لأهله وموطن آبائه وأجداده (أرض بارق) فهو يبذل قصارى جهده لخدمة هذه البلاد علمياً وبحثياً وثقافياً ، وهذا في اعتقادي من باب الوفاء للأهل والأوطان، ونتمنى أن نرى مثل الأستاذ أحمد في مواطن أخرى فيسعون إلى جمع تراث بلادهم وخدمتها ، وهذا واجب وطني على كل باحث ومتعلم ومثقف ، ولا أقول لابن مريف إلا شكر الله لك وأعانك على ما تقدم لموطن قومك من علوم ومعارف ، ونأمل أن نرى أمثالك في محافظة بارق وغيرها من نواح ومدن ومحافظات تهامة والسراة. (ابن جريس) .

١. مقدمة :

سوق حباشة من أسواق العرب الجاهلية، ويذكر أنه أقدم من سوق عكاظ ، وقد سبقه بخمسة أشهر ؛ واستمر سوق حباشة لأكثر من قرنين من الزمان قبل أن يدمر، حيث بدأ في الجاهلية واستمر في صدر الإسلام نحو قرنين . ظهر الإسلام وهو سوق مزدهر ، وزاره الرسول(ﷺ) قبل البعثة ، وكان يقام بأرض بارق، وهو من أسواق تهامة ، يقام في أول شهر رجب من كل عام ، وهناك سوق آخر يقام في رجب ، وهو سوق صحار، لكنه يعقب سوق حباشة. ذكره سعيد الأفغاني في كتابه (أسواق العرب) فقال: " **ولكن أكبر أسواق تهامة على الإطلاق سوق حباشة، وكان يتلوه سوق صحار إذ كانا يعقدان في شهر رجب من كل عام** [(١)].

سمي حباشة : نسبة إلى اجتماع الناس فيه من قبائل شتى ، ولهذا السوق ما لأسواق العرب القديمة الكبيرة من شأن ثقافي واجتماعي واقتصادي؛ كمجنة وذي المجاز وعكاظ. ومن أهميته أنه كان مرتاداً من قوافل قريش في فصل الشتاء في رحلتها الشتوية ، فيأتي تجار قريش بمنتجاتهم من الشام ومصر فيتاجرون بها مقابل تجارات أهل اليمن وتهامة والسراة فيقايضونهم ويبتاعون منهم [(٢)]. وقد مر بسوق حباشة عدد من مشاهير العرب وسادتهم ابتداءً بالرسول(ﷺ) ، ثم حكيم بن حزام الشريف، والشاعر العداء (الشنفرى) الجاهلي المشهور حيث قبض عليه وهو عائد من هذا السوق ، ومضاض الجرهمي آخر ملوك الجراهمة[(٣)]. وكان السوق وسيلة إعلامية وإعلانية ، فكان سبباً في ذيع صيت قبيلة بارق بين العرب لكون السوق بديارها[(٤)]. وكون بارق حاضرة قديمة مستقرة في بلادها منذ هجرت قبائلها من

---

(١) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، ص٢٦٣. (البارقي) . حبذا أن تكون أوردت تعريفاً موجزاً لسوق صحار المعاصر لسوق حباشة ، وأشرت إلى الصلات الحضارية بين السوقين . (ابن جريس) .

(٢) حتى هذه اللحظة لا نجد دراسة علمية توضح صلات قريش بأهل تهامة والسراة أثناء ذهابهم في رحلتهم الشتوية إلى اليمن. ونأمل أن نرى باحثاً جاداً أو طالب دراسات عليا فيتخذ هذا الموضوع عنواناً لبحثه أو رسالته العلمية . (ابن جريس) .

(٣) كونك يا أحمد مهتماً بتراث منطقة بارق وما حولها ، ضع ضمن اهتماماتك إخراج دراسة عن هؤلاء الأعلام، وبخاصة عند زيارتهم تهامة . واعلم أن دراسة مثل هذه الموضوعات صعبة لقلة المصادر ، لكن اجتهد وربما تجد مادة علمية تخدمك في إخراج شيء عن هذه النقاط . (ابن جريس) .

(٤) هذا كلام غير دقيق فبارق مذكورة في كثير من كتب التراث بدون سوق حُباشة. ومازلنا يا أحمد حتى هذه اللحظة غير متأكدين من موقع السوق ، وكل أقوالك وغيرك تجاه هذا السوق مازالت تخمينات واجتهادات، ولن يفصل القول في مكان هذا السوق إلا دراسات أثرية وتنقيبات قد توصلنا إلى الموقع الصحيح لهذا السوق التاريخي. (ابن جريس) .

مملكة سبأ، ومن خلال المصادر والمراجع القديمة ثبت أنه لم يكن هناك قبيلة في جنوب الجزيرة العربية برزت بحضارتها وأسواقها بل وبصحبتها للرسول مثل قبيلة بارق . فمنذ الجاهلية إلى القرن الأول والثاني الهجريين بلغت قبيلة بارق من المجد ذروته ومن العز غايته ، واشتهرت بشرف صحبة رسول الله (ﷺ) ومشاركة أفرادها في معارك الفتوح والغزوات المبكرة [(١)] . كما اشتهرت بالصحاف البارقية المشهورة بالنقوش الإسلامية [(٢)]، وهذا مما يدل على حضارتها وترف عيشها مبكراً، فلا غرابة أن يكون سوقاً بحجم حباشة في ديارها، كون بارق حاضرة مستقرة منذ الجاهلية ، فقد ارتبط تاريخ السوق بها ، ولا غرابة أيضاً إذ لم يكن قد برز في ذلك العصر (صدر الإسلام) قبيلة ذات حضارة ومنعة وأسواق كقبيلة بارق، التي كانت ذائعة الصيت منذ الجاهلية وحتى القرن الثاني الهجري، كما أسهم وفودها على الرسول (ﷺ) لإعلان إسلامها في ذيع شهرتها. ولما تتمتع به بلاد بارق من موقع على طريق الرحلات ، فقد كان سوق حباشة تحت حماية قبيلة بارق ، كما أورد ذلك حكيم بن حزام[(٣)]. وكان سوق حباشة آخر سوق اندثرت إذ بقيت عامرة إلى عام (١٩٧هـ/٨١٢م) . وذكر عاتق البلادي في كتابه (بين مكة واليمن) قوله :" كانت للعرب في جاهليتهم أسواق كثيرة يحرصون على حضورها كل عام ، وتقع حمايتها على القبائل التي تقع هذه الأسواق في ديارها، وكان حظ الحجاز من هذه الأسواق كبيراً ، فكان فيه منها : عكاظ ومجنة وذو المجاز وقرح وأخيراً حباشة"[(٤)].

---

(١) يا أحمد أنا أقدر نشاطك واجتهادك المميز ، لكن مثل هذه الأقوال فيها مبالغة ، لأنك تتحدث عن بارق وكأنه لا يعيش في جنوب الجزيرة العربية أو بلاد تهامة والسراة إلا هذه العشيرة العربية ، والمصادر فصلت الحديث عن قبائل عربية غيرها ، كانت أكثر عدة ومجداً وشهرة وإسهامات من بارق . نعم بارق مذكورة أيضاً في المصادر نفسها ، ولها تاريخها وأمجادها الداخلية والخارجية ، لكن ليست الأشهر أو الأكبر صيتاً كما أشرت في أقوالك أعلاه . (ابن جريس) .

(٢) انظر لسان العرب ، لابن منظور (مادة بارق) (البارقي) .

(٣) انظر: ندوة طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر العصور التاريخ، جريدة الرياض (٢٨/ ديسمبر/٢٠١١م) . (البارقي) .

(٤) بين مكة واليمن (رحلات ومشاهدات) .ص١٤٧.(البارقي) . هذا الإطراء المبالغ فيه لبلاد بارق لا يفيد، وإنما يضعف مستوى البحث، ولابد أن نكون دقيقين في اختيار مفردات اللغة التي نكتب بها الدراسة ، فتقول إن حكيم بن حزام ذكر" أن سوق حباشة كان تحت حماية قبيلة بارق " ، وأشرت إلى وفد بارق على الرسول (ﷺ) وهذا صحيح ، لكن ما هي علاقة هذا الوفد بالسوق . فالواجب يا أستاذ أحمد أن نحرص على تدوين أقوالنا بدقة مع مراعاة لغة الزمن الذي نتحدث عنه، فلا نذكر إلا نصوصاً أو كلاماً ورد فعلاً في مصادر مبكرة ، ولا نعتسف العبارات ونطوعها حتى تتوافق مع ما نحن مقتنعون به وندافع عنه. (ابن جريس) .

٢. حباشة في بعض المعاجم الجغرافية واللغوية :

أورد ياقوت الحموي قوله : " حُباشة بالضم والشين معجمة ، وأصل الحُباشة الجماعة من الناس، ليسوا من قبيلة واحدة ، وحبشت له حباشة ، أي جمعت له شيئاً ، وحُباشة سوق من أسواق العرب في الجاهلية ... حباشة وهي سوق بتهامة" (١) . ثم ذكر في مقدمة معجمه أن من أول بواعث تأليفه هو اختلاف الناس في نطق لفظ (حباشة) فمنهم من نطقها بالضم وهو قوله ، ومنهم من ينطقها بالفتح.(٢) كما ذكر البكري سوق حباشة(٣) . فقال : الحباشة بضم أوله وبالشين المعجمة أيضاً على وزن فعاله ، ويقال حباشة دون ألف ولام ، سوق للعرب معروفة بناحية مكة وهي أكبر أسواق تهامة. وأشار ابن منظور في اللسان إلى مفردة حباشة ، فقال: " والاسم الحباشة : وحبشت له حُباشة إذا جمعت له شيئاً ، والتحبيش مثله وحباشات العير: ما جمع منه. واحتبش لأهله حباشة: جمعها لهم . وفي المجلس حباشات وهباشات من الناس أي ناس ليسوا من قبيلة واحدة ، وهم الحباشة والجماعة ، وكذلك تهبشوا ، وحبش قومه تحبشاً أي جمعهم. حبش: الحَبَش: جنس من السودان وهم الأَحْبش والحبُشان ، وفي الحديث: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً ، أي اطيعوا صاحب الأمر وإن كان عبداً حبشياً، وقيل : هم الجماعة أياً كانوا لأنهم إذا تجمعوا اسودوا"(٤) .وذكرت حباشة في تاج العروس للزبيدي ، فقال:" والحباشة ، (كثمامة : الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة ، كالهباشة ، والجمع حباشات وهباشات (كالأحبوشة) بالضم والجمع الأحابيش ، وحباشة: (سوق تهامة القديمة)..." (٥) .

---

(١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان (بيروت ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ، ج٢ ، ٢١٠. (البارقي).

(٢) المصدر نفسه ، ج١، ص١٠(البارقي) .

(٣) انظر: معجم ما استعجم ، ج٢، ص ٤١٨. (البارقي) .

(٤) ابن منظور : لسان العرب ، (طبعة بيروت ، دار صادر) ، ج٤، ص ١٥-١٦.(البارقي) .

(٥) انظر: الزبيدي ، تاج العروس، ص ٣٠-٣٣. (البارقي) . ليس عندنا أي اعتراض على هذه النصوص التي ذكرتها بعض معاجم الجغرافيا واللغة المبكرة فجميعها فسرت معنى كلمة (حباشة) ، وذكرت أنها سوق قديمة في تهامة . لكن بلاد تهامة واسعة فهي تمتد من مكة المكرمة إلى أرض عدن في اليمن. وهذه التفصيلات التي أوردها هذا الباحث ، وهي منقولة من عدد من المعاجم العربية ، ذكرها غيره من الباحثين الذين تعرضوا للحديث عن سوق حباشة . وقد رأينا الأستاذ الرزقي في بداية هذا المحور من أولئك الذين اقتبسوا من تلك المعاجم ، والعقبة الكؤود عند جميع من درس هذا السوق هو تحديد المكان الصحيح له في أرض تهامة . (ابن جريس) .

٣. تحقيق نصوص عن حباشة وردت في بعض كتب التراث:

(*)**قال ابن سعد في كتاب الطبقات الكبرى:** "أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنا معمر بن راشد، عن الزهري، عن عروة قال: "كان حكيم بن حزام رجلاً تاجراً لا يدع سوقاً بمكة ولا تهامة إلا حضرها، وكان يقول: كان بتهامة أسواق، أعظمها سوق حباشة، وهي على ثمان مراحل من مكة طريق الجند، فكنت أحضرها وقد رأيت رسول الله حضرها، فاشتريت بها بزاً فقدمت به مكة، فذاك حين أرسلت خديجة إلى رسول الله تدعوه إلى أن يخرج لها إلى سوق حباشة، وبعثت معه غلامها ميسرة فخرجا، فابتاعا بزاً من بز الجَنَدْ وغيره ومن ما فيها من التجارة، فرجعا به إلى مكة فربحا فيها ربحاً حسناً، وكانت سوق تقام كل سنة في رجب ثمانية أيام "[1]. ونقول إن هذا الكلام من أقدم النصوص في كتب المتقدمين عن سوق حباشة، وما يذكر فيه إضافة ثرية، فقد تفرد ابن سعد بذكر طريق الجَنَدْ الذي تمر معه القوافل القادمة من مكة إلى اليمن والذي يمر في غرب بلاد بارق[2]. وبدأ النص بتوثيق أسماء الرواة الذين أخذ منهم ابن سعد. وقوله: "**كان بتهامة أسواق**" يدل أنه كان في تهامة أسواق أخرى غير حُباشة، إلا أن أشهرها حباشة على الإطلاق. وتهامة شريطان داخلي وآخر ساحلي؛ فالأول سهول محاذية لجبال السروات تمتد من صنعاء وتهامة اليمن إلى الطائف ومكة، وأما الشريط الساحلي فهي نفود صحراوية محاذية لسواحل البحر من اليمن حتى تصل منطقة الحجاز شمال شبه الجزيرة العربية. وهذه المساحة بلا شك يمكن أن يكون فيها أسواق كثيرة للعرب يقصدونها على طرقاتهم إلا أن سوق حباشة غلبها بشهرته وأهميته وجمع القبائل التي تقصده[3]. ثم قال: "**وهي على ثماني مراحل من مكة طريق**

---

(١) ابن سعد الطبقات الكبرى، (دار إحياء التراث العربي، بيروت) (١٤١٧هـ/١٩٩٦م). ج٨، ص ٥٠٣. (البارقي).

(٢) أنت تقول غرب بلاد بارق حالياً، والذي نريد معرفته مساحة بارق في أيام ابن سعد، أو حتى في صدر الإسلام، ولو عرفنا جغرافية هذه البلاد آنذاك فإننا قد نصل إلى بعض النتائج الإيجابية عن محطات طريق الجَنَدْ أو غيرها من المعالم التي وردت في كثير من كتب التراث، وتقع في البلاد التهامية الواقعة بين مكة المكرمة والمخلاف السليماني (منطقة جازان حالياً). (ابن جريس).

(٣) كلامك يا أحمد أنت وابن سعد لا بأس به، لكن قولك يمكن أن يكون في هذه البلاد التهامية الواسعة أسواق كلام غير علمي، بل إنها كانت مليئة بالأسواق، فهناك مصادر عديدة مبكرة ومتأخرة تحدثت عن محطات الطرق التجارية التهامية التي تربط بين اليمن والحجاز، وكانت معظم تلك المحطات تشتمل على أسواق عديدة قبل الإسلام وبعده، كما أن هذه الأوطان مليئة بالقبائل العربية، والمعروف أن كل قبيلة لها سوق أو أسواق أسبوعية عديدة، وبعض هذه الأسواق مازالت معروفة ومرتادة حتى وقتنا الحاضر. وشهرة سوق حباشة لأنها سوق جاهلية واستمرت حتى القرون الأولى من عصر الإسلام،

الجَنَـدْ "، أي أن السـوق يبعد عن مكة مسيرة ثمـان ليال أو ثمان شدات بالراحلة، وإذا نظرنـا لموقع بـارق اليوم، والموقع المحدد لحباشة فيها نجده مقارباً لهذه المدة بحسابها وفق شدة الراحلة من الإبل. وإن كان ابن سعد قد اختلف مع غيره في قياس المدة فغيره يقـول بست ليـال إلا أن الأمر يبقى تقريبياً [١]. وأما قوله: "من مكة طريق الجَنَد فهذا يـدل أن القوافل التي تقصد سوق حُباشـة تسلك طريق الجَنَد القديم الذي يمر بتهامة الداخليـة المحاذية لجبال السروات، وهو خلاف الطريق الساحلي، ويمر طريق الجَنَد من غرب بلاد بارق مروراً بسوق حباشة متجهاً شمالاً إلى مكة وجنوباً إلى اليمن. وهذا الطريق التاريخي له مراحل وعلامات يستدل بها العابرون له وهي علامات طبوغرافية وأخـرى أثرية من صنع الإنسان فمن هذه العلامات والإشارات: (١) وادي حلي جنوب بارق. (٢) ثم جبل قتروي. (٣) ثم مورد ماء (الجهفة) الواقع في بلاد العرام. (٤) ثم موقع المحاجي الأثري. (٥) ثم شعب المحانذ وما على ضفتيه من ركوم حجرية أظنها مقابـر ركامية جاهليـة. (والله أعلم) [٢]. (٦) ثم قرن القيدومـة ويوازيه غرباً قرن الخربـاء الذي يلتف حوله سوق حباشة ببارق، وهي جبلان صغيران لا يزيد ارتفاعهما عن(٤٠٠م) عن سطح البحر. (٧) ثم وادي سهول فوادي يبة ثم جبلا البكرتين. (٨) ثم وادي قنونا. (٩) وكل هذه الإشارات هي علامات متعارف عليها للقوافل والمسافرين تدلهم على الاقتراب من موقع سوق حباشة قديماً. ولم يذكر منها المؤرخون والبلدانيون سـوى وادي حلـي وقنونا وإلا فإن كل مـا ذكر يعد علامات هامة يستـدل بها المسافرون الذيـن يسلكون طريق الجَنَدْ باتجاه سوق حباشة ومكـة المكرمة[٣]. والمسافة بين واديي

وقد أشارت إليه بعض كتب التراث الإسلامي المبكرة بسبب بعض الروايات التي أشارت إلى أن الرسول (ﷺ) وصل إليها، وهذه الأقوال تحتاج إلى تحقيق وتثبت لأن كتب السنن وغيرها من المصادر الموثوقة لم تشر إلى ذلك، وأيضاً ما ذكر عنها عندما خربت في عصر الخلفاء العباسيين الأوائل. (ابن جريس).

(١) كلامـك حسـن، وفي اعتقـادي أن المسافة بين بلاد بـارق الحالية ومكة المكرمة بعيـدة جداً، وتستغرق القوافـل في هـذه المسافة أكثر من ثمانية أيام، وبخاصة إذا كانت القافلة كبيرة وينقلون بضائع مختلفة مثل المواشي والحبوب وغيرها. (ابن جريس).

(٢) نعـم يـا ابن مريف أن الذي يعلم كل شـيء هو الله. لكن في منهج البحث العلمي لا تقـال هذه العبارة، وإنما على الباحث الجاد أن يتأكد مما يدون، وإذا كان غير متأكد فسوف يجد مفردات أخرى يستخدمها. وقولك (أظنهـا مقابـر ركاميـة جاهلية)، فهذا ظنـك، ولو درست هذه المقابـر دراسة أثرية فمـن السهل تحديد تاريخها. وأنادي وأقول إن جزيرة العرب وبخاصة المملكة العربية السعودية مليئة بالأمكنة التاريخية الأثرية، وجامعاتنـا وأقسامنا العلمية والمؤسسات المعنية بهذه المواضع مازالت متأخرة ومقصرة جداً في دراسة هذا الميدان الحضاري المهم. (ابن جريس).

(٣) يا أحمد أنت تذكر معالم هذا الطريق (الجَنَد) وكأنك معاصر لاستخدامها، ولو سئلت ما هي مصادرك ؟ فإجابتـك سـوف تكـون حدسية، لأنك لا تملك المصادر الأولية التـي تسعفك في هذا الجانب. وإن

حلي وقنونا هي جزء من امتداد طريق الجَنَد التاريخي ، وهي المساحة الواقعة في غرب بلاد بارق ، ويعلم أن ماقصده المؤرخون والبلدانيون في عدة نصوص حينما يقولون (من صدر قنونا وحلي) ، إنما قصدوا امتداد طريق الجَنَد الذي ذكره ابن سعد في الطبقات وعلى امتداد الطريق في غرب بارق تنتشر تلك العلامات الطبيعية والإشارات التي كان يستدل بها سالكو طريق الجَنَد "[١] .

وبعد أن ضمن ابن سعد بعد السوق عن مكة بثمان مراحل قال حكيم : " فكنت أحضرها وقد رأيت رسول الله حضرها ، فاشتريت بها بزاً فقدمت به مكة..." وهنا أكد الصحابي الجليل حكيم بن حزام تردده على السوق كما أكد رؤيته الرسول الكريم في سوق حباشة وتعامله معه بشراء البز والقماش عندما كان الرسول يعمل في تجارة السيدة خديجة (رضي الله عنها) [٢] . ثم تابع حكيم بقوله : " فابتاعا بزاً من بز الجَنَد وغيره ومن ما فيها من التجارة ، فرجعا إلى مكة فربحا فيها ربحاً حسناً" : أي الرسول ﷺ وميسرة غلام خديجة (رضي الله عنها) الذي أرسلته للرسول يعرض عليه الخروج في تجارتها إلى سوق حباشة . وقوله : " **من بز الجَنَد** " أي من البز والقماش المنسوب إلى طريق الجَنَد الذي يقع عليه سوق حباشة . وقوله: "**وغيره ومن ما فيها من التجارة** " أي وغير البز من السلع والبضائع الأخرى التي كانت رائجة في سوق

بحثنا في المصادر المبكرة التي أشارت إلى الطريق التهامي الذي يربط بين اليمن وجازان حتى مكة المكرمة فإننا لا نجد ذكراً لهذه الأمكنة التي ذكرها ما عدا أودية حلي ويبه وقنونا وبعض المحطات القريبة من ساحل البحر الأحمر . وأقول إنك باحث مجتهد ، ويجب عليك التريث في إطلاق الأحكام النهائية التي تريد من خلالها أن تقول إن سوق حباشة في هذا المكان المحدد الذي أشرت إليه في بلاد بارق الحديثة، نعم قد تجادل وتنافح عن هذا الرأي ، لكنه لن يستقيم ويثبت إلا بأدلة واضحة ودامغة لا مجال لمعارضتها والطعن فيها . (ابن جريس) .

(١) يا أستاذ أحمد واديا قنونا وحلي وردا كثيراً في كتب التراث ، بل إن بلاد حلي نفسها قامت فيها إمارة لها تاريخ عريق خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة. أما تفسيرك لما أشار إليه ابن سعد وما قصده ، وهذه العلامات التي أشرت إليها، فأقول مازالت هذه الآراء تحتمل الصحة والخطأ ، ولو تجولت في مناكب تهامة ما بين وادي قنونا وحلي وبارق فإنك سوف تجد عشرات المواضع الأثرية التي تحتوي على مواد أثرية وتراثية قديمة ، بل سوف تعثر على نقوش ورسومات صخرية . وقد نرى في قادم الأيام من يدعي أن سوق حباشة أو غيره في مكان كذا وكذا ، غير ما ذكرت وذكر أهل العرضيات ، ويبني أقواله ووجهات نظره على ما هو مقتنع به ، كما تفعل أنت في هذا البحث وغيرك ممن يدرسون سوق حباشة . (ابن جريس) .

(٢) مجيء الرسول (ﷺ) إلى سوق حباشة قضية أخرى تحتاج إلى دراسات عديدة تنظر في جميع مصادر التراث الإسلامي، وفي نهاية الأمر قد تثبت هذه البحوث أو تنفي هذه الرواية . وهناك مواضع عديدة يا أحمد ذكرتها في دراستك هذه مثل: أودية قنونا ، ويبة ، وحلي ، وزيارة الرسول الكريم لسوق حباشة وغيرها وكل هذه العناوين جديرة بالدراسة ، ونأمل أن نرى من طلاب البحث العلمي الجادين من يتولاها بالبحث والتحليل والتوثيق. (ابن جريس) .

حباشة ، ولعل من أهم تلك السلع المواشي بأنواعها ، والمواد الغذائية والحبوب بأنواعها، وبلاد بارق منطقة زراعية خصبة وتنتج العديد من المحاصيل في الماضي والحاضر ، ولعل منها الأواني المنزلية بكافة مواردها من الحديد والفخار وبالخصوص الخشبية منها لاشتهار بارق قديماً بالصحاف البارقية المشهورة بالنقوش الإسلامية الدقيقة ، وغيرها من السلع والبضائع(١). وقوله : " فرجعا به إلى مكة فربحا فيها ربحاً حسناً " أي : رجع الرسول والغلام ميسرة من سوق حباشة إلى مكة بما بقي من بضاعة خديجة (رضي الله عنها) وقد ربحا من البيع في تجارتها في سوق حباشة ، وهذا يدل أن سوق حباشة كان سوقاً نشطاً حيث يتمتع بقوة شرائية ، وإقبال كبير من جموع العرب التي تحتشد في ساحاته في هذه الفترة الموسمية الوجيزة التي لا تكاد تزيد عن ثمانية أيامٍ من أول شهر رجب . ولاشك أن سوقاً بهذا الحجم والضخامة والقوة الشرائية كان سوقاً شهيراً على مستوى أسواق تهامة وأسواق العرب عامة . ولا يقل شأن حباشة وأهميته عن أي سوق من أسواق العرب الأخرى(٢).

(*)**<u>وذكر الأزرقي في كتابه</u> :** أخبار مكة ، عن سوق حباشة قوله: " حباشة سوق الأزد وهي في ديار الأوصام من بارق من صدر قنونا وحلي من ناحية اليمن ، وهي من مكة على ست ليال، وهي آخر سوق خربت من أسواق الجاهلية ، وكان والي مكة يستعمل عليها رجلاً يخرج معه بجند فيقيمون بها ثلاثة أيام من أول رجب متوالية حتى قتلت الأزد والياً كان عليها من غنى ، بعثه داود بن عيسى بن موسى سنة سبع وتسعين ومائة ، فأشار فقهاء مكة على داود بن عيسى بتخريبها فخربت وتركت إلى اليوم "(٣). وتحدث الأستاذ/ عاتق بن غيث البلادي عن الأسواق فقال: " كانت للعرب في جاهليتهم أسواق كثيرة يحرصون على حضورها كل عام ، وتقع حمايتها على القبائل

---

(١) أقول : لقد أشرت إلى أبواب عديدة تفيد الباحثين مثل طالبات وطلاب الدراسات العليا. مثل: التجارة ، أو الأسواق الأسبوعية، أو الصلات التجارية بين بلاد تهامة وغيرها من المناطق القريبة والبعيدة في الجزيرة العربية ، وأقول أيضاً أن بلاد تهامة الممتدة من الحجاز إلى اليمن لم تخدم علمياً وبحثياً نأمل أن نرى من أبنائها الجادين من يدرس تاريخها وحضارتها عبر أطوار التاريخ . (ابن جريس) .

(٢) ما من شك أن سوق حباشة كان من الأسواق الشهيرة والمهمة ، ومن المؤكد أن في تهامة أسواقاً أخرى كبيرة ومشهورة أيضاً لكنها اندثرت وضاع تاريخها في عصور الجاهلية والإسلام . وحباشة كان من أكثرها حظاً فذكر في بعض المصادر المبكرة ، مع أن ذكره مازال مقتضباً ، فلا نملك صورة واضحة عن تاريخ هذا السوق منذ العصر الجاهلي حتى تم تخريبه في نهاية القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) . (ابن جريس) .

(٣) الأزرقي ، <u>أخبار مكة</u> ، ص ١٩٥. (البارقي).

التـي تقـع هذه الأسواق في ديارهـا ، وكان حظ الحجاز من هذه الأسـواق كبيراً ، فكان منها : عكاظ ، ومجنة ، وذو المجاز ، وقرح وأخيراً حُباشة " ، ثم علق على نص الأزرقي فقـال: " يبـدو من النص أن الأزرقي كان مدركاً تخريبهـا ، وأنه قد حصل العلم ، ولذا أرخ لهـا بمـا يغني عن الالتفات إلى غيره ، فهو أقدم مـن كتب عنها ، وكل من جاء بعده ناقـل عنـه في اعتقادي ، ولذا فإنـا لا نجد في سبب وتاريخ تخريبهـا وهجرها ما نجده في أسـواق هجـرت قبل أن تبـدأ العرب التدوين" قلت ، هنا نقـاط تحتاج إلى مناقشة : (١) مقولـة مـن صـدر قنونا وحلـي ؛ المكانان لا يمكـن جمعهما فهما واديـان يتباريان وبينهمـا عشـرات الأكيـال ، فهو إما من صـدر قنونا أو صدر حلـي . (٢) نص البكري علـى أنـه من صدر قنونـا . (٣) أجمعت النصوصـ أنه في ديار بـارق ، وديار بارق من حلـي وليسـت من قنونـا ، ولا أعتقد أنهم كانوا ينزلـون قنونا ثم أزيحـوا عنها ، لأن كل مـا جاورهم مـن ديار هي للأزديين وبارق أزدية . وكل هـذه القبائل مازالت في منازلها القديمة. فهذا مشكل من عدة وجوه : (أ) لا يمكن الخلط بين صدر قنونا وصدر حلي . (ب) يصعـب الجمع بين بارق وقنونا. (ج) ليس مع بارق إلا حلي " (٤) خالف الأزرقي في المدة التي تقضى في السوق فقال: الأزرقي هي ثلاثة أيام ، وقال البكري ثمانية أيام. وأرى قـول أبـي عبيد البكري هنا أرجـح إذ ليس من المعقول أن يجتمـع التجار كل سنة مـرة واحدة ثم لا يقضون سوى ثلاثة أيـام ، فهو وقت غير كاف. ثم ذكر البلادي لقاءه مـع الأستـاذ / حسن الفقيه ونقاشه معه حول موقع حباشة ، ويتضح أن الفقيه لم يوصل البـلادي للقناعـة بموقع السوق بناحيتهـم ، ويبدو الفقيه على غـير الصواب ، ومازال البـلادي يتحرى البرهان الذي وعده به[١] . وأقول بـدأ الأزرقي بنسبة سوق حباشة إلى الأزد ، وبـارق أزديـة صريحـة النسـب ، ثم قـال: "وهي (أي سوق حباشـة) " في ديار الأوصام من بارق " في حرف جر يفيد الدخول ، ثم أتى بعده المجرور ديار الأوصام ، أي أن موضـع السوق داخل ديار قبيلة الأوصام ، وقبيلـة الأوصام من قبائل بارق القديمة، حيـث ذكـر ابن الكلبي في كتابه : جمهرة أنساب العرب ، وغيره من علماء النسب ، ذكر

---

(١) أقـول إن الأزرقـي والبكـري والبلادي والفقيه كلهم مجتهـدون ، وأيضاً من جاء بعدهـم ، وهم كثيرون ، وإذا رجعنـا إلى نصوصـ البكري والأزرقي فهي روايات عامة عن مواضع في تهامة نقلوا معلوماتها عن بعض الرواة التهاميين أو غيرهم الذين التقوا بهم وسألوهم عن هذه الأمكنة فأخبروهم بما يعرفون ، وبالتالي وقع القائلون والمدونـون في رصـد هذه الأخبار غير الدقيقـة ، ولا نقول إلا أنهم اجتهدوا ونقلوا لنـا هذا التراث الجيد الذي لا يخلـو مـن النقصـ والاضطراب . ومن بعد أولئك الأوائـل جاء المتأخرون فدرسوا مـا وصلهم من المتقدمين واجتهـدوا في تدويـن آرائهم ، لكننا حتى هـذا الوقت وفي المستقبل سوف يبقى الخـلاف قائماً حتى نصل إلى مصادر واضحة ودقيقة في تحديد سوق حباشة وما يحيط به من الأعلام الجغرافية . (ابن جريس) .

قبيلـة (الأوصـام) من بارق، فقـد جاء في (مختصـر كتاب جمهرة النسـب)[١]. ما نصـه : " ومـن بني ثعلبة بن عمرو الأوصـام وشبرُ ولوذان والنبـاح قبائل كثيرة ، فمن الأوصـام الشاعر سنان بن أبي عطاء ، قتلته الحجر بطنٌ من السراة ، ومُنْذر بن عوف الشاعـر" وجاء في كتابه : (نسب معـد واليمن الكبير)[٢]. تحت قوله "وهؤلاء بنو بارق بـن عدي" : " وولد عدي بن حارثة : سعـداً ، وهو بارق، بطن عظيم ، وعمرا ، وعمران، فولد بارق بن عدي كنانة ، فولد كنانة بن بارق: عوفاً ، وثعلبة ، وأنمارا " .. حتى قوله : " وولد ثعلبة بن عدي: حارثة . فولد حارثة بن ثعلبة: شنوءة، ولوذان ، والنباح والأوصام قبائل جماعة" . ولو لم يكتف الأزرقي بتحديد سوق حباشة في حدود قبيلة الأوصام ؛ بل أضـاف وقـال: " من بارق " (من) هنا حرف جـر تفيد التبعيض ، أي الجزء من الكل ، فاتـت من كحرف جر والمجرور بارق ، أي يتضح صراحة أن الأزرقي حدد موضع السوق في قبيلـة الأوصام ثم نسبهـا إلى بارق ؛ وهذا دليل راجح لا يقبـل التشكيك إذ أنه أورد أحـد الفـروع من بارق وحدده في بلادها ، ثم أكـد بنسبة الأوصام إلى بارق . فلا يخرج السـوق عـن بلاد بارق بأي حال مـن الأحوال[٣]. ثم قال: " من صـدر قنونا وحلي من ناحيـة اليمـن" (من) تفيد الابتـداء ، أي بداية موضع حباشة على وجـه التقريب ، ثم قال : " صدر قنونا: أي من ناحية قنونا ، أو بالاتجاه نحو قنونا ، فهو مقابل لوادي قنونا وباتجاههـا وناحيتهـا على وجـه التقريب" ، ولم يحـدد السوق في وادي قنونـا أو جواره مطلقـاً ، بـل أتى بذكر قنونا كأحد علامات طريـق (الجند) المؤدي إلى سوق حباشة . فكلمـة صـدر أظنها مصحفة وأظنه قصد (صدد قنونا) وصـدد : تعني ناحية الشيء أو باتجاهـه ، والتصحيف وقع في الحرف الأخير مـن الكلمة ، وما يؤكد قولي أنه قصد

(١) انظر : مختصر كتاب جمهرة النسب ، مخطوطة راغب باشا ، ص ٢٠٩ وما بعدها . (البارقي) .

(٢) انظر: نسب معد واليمن الكبير ، ج٢، ص ٤٦٥. (البارقي) .

(٣) يـا أحمـد هذا القول المطلق الجـازم لا يتماشى مع المنهج العلمي الرصين . نعـم الأزرقي قال إن السوق في أرض الأوصـام من قبائل بـارق ، وهذا كلام معقول ، لكـن أين ذهبت الأوصام عـبر أطوار التاريخ الإسلامـي مـن عهد الأزرقي حتى الآن ؟ إنها مشكلة كبيرة ، فلـو عرفنا ماذا جرى للأوصام قد نستدل إلى نتائج أوضح وأدق . وأقول لك إن بلاد بارق اليوم ليست هي بلاد بارق في الجاهلية أو حتى في عصور الإسـلام الأولى ، بـل لابد أنه جرى عليها تحولات ، فقد هاجرت من اليمـن إلى السراة و تهامة ، وهذه التنقـلات لم تحـدث في زمن محدود ، كمـا أنها خالطت عشائر أخرى ، وربما جـرى بينها وبين بعضها البعض أو غيرها حـروب أجلت بعض بطونها من أماكنها ، أو انصهـرت أفخاذ أو بطون فيها في قبائل وعشائر أخرى. إن القول بأن الأوصام المسؤولة عن السوق من بارق لا يكفي ، ولابد من معرفة مكان هذه العشـيرة البارقية ، وماذا جـرى عليها . ويفهم من نص الأزرقي أن ولاية مكـة المكرمة التابعة للخلافة العباسيـة كانت تعاني مع قبائل تهامة والسـراة، وهذا ما عرفناه من قتل الأزد للوالي الذي أرسله أمير مكة ، ومن ثم كان خراب هذا السوق وضياعه. (ابن جريس) .

بكلمة صدر (صدد) : أي ناحية الشيء وقبالته. أنه جاء في لسان العرب " الصدد: الناحية . والصدد : ما استقبلك ، يقال: تصدى فلان لفلان ، يتصدى إذا تعرض له، قال الأزهري : " وأصله من الصدد وهو ما استقبلك وصار قبالتك " ، وقال الزجاج : معنى قوله عز وجل : " فأنت له تصدى" ؛ أي أنت تقبل عليه ، جعله من الصدد، وهو القبالة ، وقال الليث : "يقال هذه الدار على صدد هذه أي قبالتها " وحتى إذا صح أن رسم الكلمة هو (صدر) فإن صدر الشيء أوله وما ارتفع عنه بينما (الصدد) ناحية الشيء وباتجاهه كما تقدم معنا . جاء في تاج العروس " الصدر: أعلى مقدم كل شيء وأوله حتى أنهم ليقولون : صدر النهار والليل "[1]. وعلى أية حال فإن الأزرقي حدد السوق في بارق[2]. وما ذكره لقنونا وحلي إلا للدلالة إليه بمعالم الطبيعة المشهورة على وجه التقريب ، وإلا فهو بعيد من قنونا . وما يرجح قولي إن حباشة بعيد عن قنونا ما يلي : (١) مما ذكره الأزرقي عند قوله : " وهي في ديار الأوصام من بارق من صدر قنونا وحلي، " إنما يفهم من النص أنه حدده صراحة في بارق ثم أراد أن يرشد إليه الغير عارفين به أنه صدر أو صدد قنونا أي من وجهه؛ وصدر الشيء أوله وما ارتفع عنه والصدد ناحية الشيء وباتجاهه كما تقدم معنا . جاء في تاج العروس " الصدر: أعلى مقدم كل شيء وأوله حتى أنهم ليقولون : صدر النهار والليل " . وإذا افترضنا أنه قصد أول قنونا فكيف أردف بعد ذلك بصدر حلي. وما أطول المسافة بين الواديين فضلاً عن بداية كل منهما ؛ إضافة لذلك أنه لا يعقل تحديد موضع واحد في موقعين متباريين . وعليه يتبين أنه قصد باتجاه بين هذين الواديين العظيمين المشهورين ، والمسافة بينهما

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور ، ومختار الصحاح للرازي ، في تاج العروس للزبيدي (البارقي) . يا أحمد لست بعيداً من الأستاذ الرزقي ، الذي أوردنا وجهات نظره عن سوق حباشة في بداية هذا المحور ، فكلاكما يطوّع بعض المفردات والعبارات التي تخدم أهدافكما ، وليس هكذا تناقش النصوص . فالزرقي في صفحات سابقة عسف بعض الجمل والمصطلحات مثل: الصدر ، والمرجبات ، والتقرش ، والبز وغيرها . وأنت هنا تفعل مثل ما فعل فتذكر أن المقصود بالصدر هو ناحية قنونا ، أو بالاتجاه نحو ... ، أو مقابل لوادي قنونا ، ثم تجزم أن عبارة (صدر قنونا) خاطئة ، والمقصود،من وجهة نظرك ، (صدد) . وتبدأ تذكر تصريفات عديدة لمفردة (صدر) و (صدد) في معاجم اللغة ، وأمثلة من القرآن الكريم وبعض المصادر اللغوية . وهذه تحليلات قاصرة ، لأن من يتأمل أقوالكم ، ونصوص الأوائل يجدها جميعاً لم تعرف الموقع الصحيح لهذا السوق القديم . (ابن جريس) .

(٢) إذا كان الأزرقي وغيره ذكروا بارق فهم أنفسهم لا يعرفون أين تقطن عشيرة بارق في عصورهم ، نعم إنها في تهامة، لكن هل هي تهامة بارق الحالية ، وأعتقد أن الإجابة (لا) ، فأرض بارق في السابق جرى عليها تحولات كما جرى على غيرها من القبائل حتى استقرت في مكانها الحالي . بل من يدرس تاريخ وحضارة عشائر بارق وما جاورها خلال القرون الماضية المتأخرة يجد أنه حدث فيها انصهار واندماج وتداخلات مع بعضها البعض ، ومع غيرها من عشائر عسير ورجال الحجر الأخرى . فما بالك بهذه القبيلة وأرضها منذ خرجت من اليمن حتى نزلت بلاد تهامة ، إن البحث في هذه الموضوعات شائك ويجب التريث والتثبت من تاريخها الحقيقي . (ابن جريس) .

مـن جنـوب وادي يبة ، هي بلاد بـارق حتى وادي حلي، فإن كان هنـاك من يقول أنه في بدايـة تكـون قنونا ، فهنـاك قائلون أنه في بداية حليٍ ، بل ومن بـاب أولى أن يقال فيه ، لكونـه من صدر بارق وقبالتها ويمر بديارها خصوصاً ان النص حدده في بارق أولاً ، ثم ذكـر قنونا وحلي ، كمعالم شهيرة تحيط بالموقع عل وجـه التقريب وليس تحديده في أيا منهمـا بـل حدده في بارق . وعليه يستبعد كونه بقنونا لبعـده عن بارق ، وإنما ذكره على وجـه التقريب، وأما حلي فهو من غرب بارق ويمر بديارها ، والحقيقة أنه يكتفي بذكره أنـه في بـارق ، لكن أهالي تلك الناحيتين قنونا وحلي إنما يخوضون بغير هدى ، ولا دليل واضـح ويعرفـون في قرارة أنفسهم أنـه في بلاد بارق[1] . (٢) مما ذكـره الهمداني في كتابه (صفة جزيرة العرب) يتبين أن قنونا خارج عن حدود بارق وليس من أحوازها لا في الماضـي ولا في الحاضر. (انظر تحقيق نص الهمداني في آخر هذا التحقيق) . وبما أن الأزرقـي أوضـح أنه في بارق واتضح لنا من نص الهمـداني أن قنونا خارج بارق فإن ذلـك يؤكد ويرجح أن سـوق حباشة إنما هو في بارق . بينما يدحض وينفي قول القائلين أن قنونا كانت ضمن أحواز بارق قديماً[2] .

(٣) إن مجرد ذكره لقنونا وحلي إنما لتقريب المعلم الأقرب والأشهر لشهرة الواديين وسهولة معرفتهما ، ولوقوعهما على طريق الجند المار بسوق حباشة[3] . وورد وادي حلي

---

(١) لست وحدك الذي ينافح ويجادل لإثبات حجتك ، لكنهم الآخرون الذين يصرون أن هذا السوق في قنونا وغيرهم عندهم مثلك حججهم وبراهينهم . ونجد أن موقع هذا السوق يدرسه عدد من الباحثين منذ خمسة عقود مثل: حمد الجاسر ، وحسن الفقيه ، وعاتق البلادي ، ويحيى العجلاني ، وعبد الله الرزقي ، وأحمـد بـن مريف وغيرهم كثيرون ، وجميعهـم لم يتوصلوا إلى مكانه الصحيـح . وقد تكون يا أستاذ أحمـد ومعـك فريق كبير من أهل بارق أو من منطقة عسير تبذلون قصـارى جهودكم لإثبات موقع هذا السـوق في بـلاد بـارق الحالية . وهذه جهود أرجـو أن تكون خالصة لوجـه الله ، وأن لا تتورطوا في وحل العنصريـة والعصبيـة القبلية النتنة . نحن كطلاب معرفة نريد الوصول إلى الحق والحقيقة ، ولا يهمنا أن يكون في تهامة عسير، أو تهامة العرضيات التابعة لمنطقة مكة ، أو حتى في أي ناحية من نواحي تهامة الواقعـة بـين وادي قنونا وحلي ، والذي نرجوه من الجميع الدفـاع والبحث النزيه وعدم الطعن في نوايا الآخريـن ، وأن نتعـاون فيما بيننا للبناء والعمل الذي يخدمنا جميعـا في الدنيا والآخرة ، وهذه نصيحة من باحث محب للجميع يتمنى لهم كل خير ونجاح . (ابن جريس) .

(٢) وأقول لك ولغيرك أن وادي قنونا تضاريس وجغرافيا معروفة ومذكورة منذ عصور ما قبل الإسلام لكن أهل بـارق ، كتركيبة سكانيـة ليسوا ثابتين ، وإنما نزحوا من اليمن مع غيرهم مـن عشائر الأزد ، وتفرقوا داخل الجزيـرة العربيـة وخارجها ، فما هو دليلك علـى الأرض والطرق التي سلكوها عبر بعض أجزاء السروات وتهامـة، وأنـا متأكـد أنك لا تعلم مقـدارِ حجم هذه القبيلة في القـرون الإسلامية المبكـرة والوسيطة وحتى بدايـات العصـر الحديث ، نحـن جميعا نصدر آراءٍ وأقـوال عامة لكننا لا نملك مصـادر موثوقة توضح لنا الأراضـي التـي نزلت بها بارق في تهامة ، وهل فعـلا نزلت من السراة إلى مكانها الحاليٍ ، أم هي ساحت في الأراضي التهامية كما فعلت من قبل منذ خروجها من اليمن إلى تهامة منطقة عسير حاليا . (ابن جريس) .

(٣) نعـم لشهـرة الواديين تم ذكرهما في كثير من كتب التراث، والأزرقي لا يعلم المسافة الكبيرة بينهما، ولا يعلم أين موقع سوق حباشة الدقيق بين هذين الواديين . (ابن جريس) .

وقنونا في نفس النص، إنما يؤكد أنهما مجرد إشارات وعلامات على الطريق المار بسوق حباشة ، والذي يقع في المنطقة الفاصلة بين واديي قنونا وحلي، وهي المساحات الشاسعة من الجهة الغربية من بلاد بارق ، حيث حددنا موقع السوق[١]. والمسافة بين واديي قنونا وحلي مسافة طويلة ويفصل بينهما وادي يبة الذي يمر بشمال وغرب بلاد بارق ثم يصب في وادي حلي غرباً. فالمنطقة الفاصلة المتباعدة بين الواديين المذكورين حلي وقنونا تؤكد قولنا وقول غيرنا أن الأزرقي يشير للموضع على وجه التقريب . فقد أشار إلى أنه بناحية قنونا ، وأشرك في ذلك على السواء وادي حلي أيضاً، أي أنها بالقرب من حلي. فلماذا يقولون أنه أيضاً على ضفاف حلي؟! فكما ظهر فريق يقول أنه على قنونا فقد ظهر فريق آخر يقول أنه على ضفاف وادي حلي . غير أنه لا يصح لا هذا ولا ذاك، لما قد أكده نص الأزرقي في بدايته أنه في بلاد بارق . فكيف يخرج فريق يقول أنه في قنونا ، أو على ضفاف قنونا، فهذا لا يصح أبداً ؛ ففضلاً عن وضوح النص الذي يؤكد أنه من بلاد بارق ، فإنه لا يصح ولا يمكن أن يكون على ضفاف الوادي لأن النص ذكر واديين وحدد الموضع بالتقريب بينهما ويفصل بين الواديين وادي يبة ، وما يدل على سعة المساحة التي خمنها الأزرقي ، فمن قنونا إلى حلي نحو مائة وخمسين كيلو ، ومن قنونا إلى بداية حد بارق من الشمال نحو سبعين كيلو . ثم بعد ذلك أردف قائلاً من ناحية اليمن وهذا ما يؤكد تعدد المواقع المشهورة لديه ليقرب للقارئ موقع السوق بالنسبة لأشهر المعالم والبلدان ، وقوله من ناحية اليمن يقصد باتجاه الجنوب ، وقوله: " من ناحية اليمن " . هذا يتفق مع واقع حدود بارقٍ الواقعة إلى الجنوب من مكة المكرمة . ومن المعروف عند العرب كل ما والى مكة جنوباً فهو يمن وما والاها شمالاً فهو شام[٢].

---

(١) هذا المكان الذي حددته يا أحمد وغيرك اجتهادي ، وقد سبق من حدد أماكن أخرى لهذا السوق في تهامة العرضيات ، وهم مجتهدون أيضا ، وقد يأتي بعدكم من يحدد أماكن لا نعلمها الآن ويدعون أن سوق حباشة كان يقام فيها، وهكذا تسير العجلة ، ونبقى في هذه الاجتهادات الفردية والجماعية التي لا تقوم على أسس علمية ، وإنما تخمينات وتفسيرات مختلفة لنصوص المؤرخين والجغرافيين الأوائل. وأنادي من على صفحات هذه الموسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) في كليات وأقسام علوم الحفريات والآثار ، وأصحاب القرار السياسي والإداري، ورجال المال والجاه، والإمارات والجامعات أن تتضافر جهودهم في تكوين فريق علمي متخصص يقوم بالبحث عن الموقع الصحيح لهذا السوق ، وإن فعلوا ذلك فقد نصل إلى حقائق علمية تنهي هذا الجدل والخلاف بين المتقارعين ، وبالتالي ينتهي السباق المحموم بينهم على إقناع الهيئة العليا للسياحة أن مكان السوق هنا أو هناك ، فقد رأينا في تهامة بلقرن مكان عليه سياج من عمل الهيئة يدعي أهل البلاد أنه موقع السوق ، والعمل نفسه نراه في بلاد بارق ، وقد نرى من ينافس هؤلاء في المستقبل في أماكن أخرى من أرض تهامة . (ابن جريس) .

(٢) يا أحمد الأزرقي خلط معلوماته بعضها ببعض لعدم معرفته بهذه الأودية المتباعدة ، ومن ثم وقع في هذا الخطأ عندما ذكر قنونا وبارق وناحية اليمن ، وأقول أنه غفر الله له أدخل من بعده في حلقة مفرغة ، فهذا أنت ، وهناك من سبقك يفسر أقواله ويطوعها حسب ما يريد ، من أجل الوصول إلى القول إن سوق حباشة يقع هنا أو هناك . وكما ذكرت سابقاً كلكم مجتهدون ، لكنكم جميعاً غير متأكدين ولا متيقنين أين موقع

وأمــا قولــه : " وهي من مكــة على ست ليال" أيضاً يتفق تماماً مــع بعد المسافة من بلاد بارق إلى مكة ، فقد روى الكثير من الجمالة والمعمرين من بارق أنهم كانوا يسافرون لمكة علــى الراحلة فيقيسون المسافة بشدة الراحلة من بــارق إلى مكة فيقولون نستغرق ست شــدات بالراحلة (أي ست ليال بالراحلة) . فمن المعلوم أن العرب قديماً تصف بمعالم التضاريس الجغرافية وتحدد المسافات بشدة الراحلة . فقوله من صدر قنونا إنما قصد بــه ناحيتــه كأقرب ما يمكــن الاستدلال بــه إلى موضع السوق. ولــو كان يقصد بالتحديد قنونا لقال على ضفاف وادي قنونا أو على وادي قنونا ، لكن قوله صدر/صدد قنونا يوحي ببعــد المسافــة وليســ بالقرب منه أبداً ، ثــم أتبع ذلك بقوله " وحلــي " أي أنه غير متأكد إلى أي الواديــين أقــرب[١] ، فالإخــوة المدعون أنه على ضفــاف وادي قنونا لماذا لم يقولوا إنــه علــى ضفــاف وادي حلي أيضاً وهو الأقــرب لبلاد بارق ؟! وهذا مــا يشير إلى حقيقة عــدم معرفة موضع السوق منذ خرابه ، فكيف يأتــي هؤلاء اليوم ليؤكدوا أنه على ضفاف قنونا بالتحديد ؟ وقد واجه الباحثون والمؤرخون والخبراء صعوبة في تحديد موضع السوق بالتحديــد ، فبــأي خبرة وبأي شواهــد أكد هؤلاء تحديد الســوق في قنونا؟! وكيف تعامت أبصارهم عن وضوح النصوص التاريخية التي تصرح أنه في بلاد بارق ؟![٢] .

والحــق أن كل الأوصاف في هذا النص تدل على أنه ضمن دائرة السوق الذي قمت بتحديــده ، بفضل الله ، بعد البحث والتحــري في المراجع وإجراء اللقاءات مع المعمرين وجميع الروايات ، ولما وجدنا به من آثار وأساسات ولقى أثرية من فخار ومواقد ومقابر جاهليــة عظيمة وأساسات غائرة مدمرة يصــدق عليها الخراب من أول نظرة ، ناهيك

السوق الصحيح . (ابن جريس) .

(١) قولــك هــذا هو الصحيح والأزرقي غير متأكد من صحــة ما يقول، لأنه لا يعرف الأرض ولم يصل إليها ، وأنت وغيرك من أهل البلاد مازلتم غير متأكدين أين موقع السوق ، وكل ما تقومون به مجرد اجتهادات لا تقوم على حقائق علمية تبين الموقع الصحيح للسوق . (ابن جريس) .

(٢) يا أستاذ أحمد أنت تجاوب على استفساراتك عندما قلت إن الباحثين والمؤرخين والخبراء عجزوا حتى الآن عن تحديد مكان السوق منذ العصر الجاهلي ، ثم تنتقد الفريق الذين يدعي أنه على ضفاف وادي قنونــا ، وتقارعهم بحجــج واهية على أنه في المكان الذي حددته أنت ومــن يقف معك وتمنح نفسك أنت وغــيرك القــرار النهائي بأنه في الموضع الذي حددتموه في بلاد بارق الحديثة. وأقول مثلما لكم الحق أن تدافعوا عن أقوالكم ووجهة نظركم فهم أيضاً لهم الحق نفسه ، ولكن في الأخير ما هي النتيجة؟ نعم كل فريــق منكم سوف يتمسك برأيــه ويدافع عنه ، ومن ثم فلن نصل إلى حل لهذه المشكلة حتى لو استطاع أي منكم استصدار قرار رسمي من الهيئة العليا للسياحة بأن موقع هذه السوق في ناحيته ، فالأمر علمياً سيبقى غير منطقي وواقعي ، ولا يمكن أن تحل هذه المعضلة إلا بتشكيل فريق علمي نزيه محايد فيدرس آثار ونقوش وحفريات هذه الأمكنة التي تدعون أنها مكاناً للسوق ، وعندئذ قد نصل إلى شواهد وبراهين حقيقية تحدد موقع السوق الحقيقي ، أما بقاء الأمر هكذا بين مد وجزر بين أهل بارق وقنونا فلن نصل إلى حل جذري وسوف تبقى المشكلة قائمة . (ابن جريس) .

عن الروايات التي يتداولها المعمرون في عصرنا الحالي فيقولون إنها خربت أثناء غارة قديمة لا يعرف تاريخها ، وإضافة لذلك اسم الموقع حيث تسمى قرية (الخرباء) ، ما يشير إلى مزيد من الدلائل ، وغير ذلك ما رواه لنا المعمرون مما تواتر إليهم من أخبار أسلافهم ، أنه كان سوقاً قديماً يشتهر ببيع القماش ، وقد أعادت إحياءه قبيلة حميضة قبل ثلاثة قرون ، أي في القرن الثاني عشر الهجري . ومعروف أن القبائل تعيد أسواقها متى ما تسنى لها ذلك . وموقع قرية الخرباء تنطبق عليه كل تفسيرات نص الأزرقي ، وهو من أوائل من ذكر حباشة وأقرب المؤرخين من ذلك السوق ، ومن أتى بعده من المؤلفين نقلوا عنه ، وأساءوا الوصف بالتحديد ، فبدلاً من أن يضيفوا لتقريب موقع السوق أكثروا من ذكر المعالم المحيطة والبلدان فشتتوا الفكر وأبهم السوق . إن النص السابق يدلل بما لا يدع مجالاً للشك أن سوق حباشة في بلاد بارق بلا منازع . فأولاً وقبل كل شيء معاصرة الأزرقي لذلك الزمن وهو الأقرب منه ، وهو أول من دون تاريخ سوق حباشة ، ثم نقل المتأخرين عنه ؛ فلذلك يعتد بكلامه ويحتسب بقراره ، حيث أنه توفي حوالي (٢٥٠هـ/ ٨٦٤م) ، وذلك يعني أن وفاته بعد خراب السوق بـ (٥٣) عاماً ، ومما لاشك فيه أنه قد عاصر ذلك السوق وسمع بأخباره مما يجعله أقرب المؤرخين من تلك الحقبة[1] . لكننا اليوم وبعد تضارب ثقافي مختلق ومتعمد ، يمكننا التحقق من نص الأزرقي بقراءة فاحصة عادلة ، يتراءى الأمل جلياً أن موضع السوق قد اقتربنا جداً من حقيقته بعد جدل كبير ، ويبقى سرعة تحرك الجهة المختصة لبحث الموقع ودراسة المعثورات فيه لمطابقتها مع المدة الزمنية ، والاستحصال على المزيد من الأدلة

---

(١) يا أستاذ أحمد حديثك عن أقدمية الأزرقي وخراب السوق ، وأنه في بلاد بارق كل هذه الأقوال لا نجادلك أنت وغيرك فيها ، لكن الجزم بأنه في قرية الخرباء المعروفة حالياً قول يحتاج إلى دعم علمي وتثبت حقيقي. وعندما قلت أن مصادرك المصادر التقليدية كالأزرقي وغيره ، أو بعض المعاصرين الذين قابلتهم ورووا لك أقدمية هذه البلاد ، فكل هذه مصادر ومراجع لا تكفي لإثبات مكان هذا السوق في هذه القرية . ومن خلال حديثك ذكرت القرية المشار إليها يوجد فيها مواد أثرية عديدة ومقابر جاهلية فهذا الذي يجب العمل عليه، والواجب على الهيئة العليا للسياحة أن تدفع المال وتسخر علماء الحفريات والآثار لدراسة مثل هذه المصادر الأولية التي قد توصلنا إلى قرار علمي صريح ودقيق ينفي أو يثبت موقع السوق في هذه القرية وغيرها. وأقول إنني خلال الثلاثين عاماً الماضية تجولت في نواح عديدة من بلدان تهامة والسراة الممتدة من مكة والطائف إلى جازان ونجران ورأيت أماكن أثرية كثيرة يوجد فيها رسومات صخرية ونقوش ، وآبار، وقرى ومدن ، وأسواق، ومقابر، وطرق، وكهوف وجميعها تحتاج إلى من يدرسها أثرياً وتاريخياً وتراثياً. واعلم يا أستاذ أحمد أنك لست وحدك انت ومن يعارض في قنونا الذين يدافعون بحجة أو دون حجة على وجود مثل هذا الموروث الحضاري في أوطانهم، وأعتقد أن ما تقومون به قد يكون من باب حب الوطن والأهل، كما أشرت سابقاً ، لكن الواجب على الجميع أن لا تعمى بصائرهم فيدافعون عن كثير من القضايا من باب الانتصار للأهل والنفس ، فهذا شيء لا يقره الشرع ولا العرف ، وإنما الواجب علينا جميعاً أن ندرس موروثنا الحضاري دراسة علمية منهجية بعيدة عن التعصب والعنصرية . (ابن جريس) .

والبراهـين العلمية إن شـاء الله . ومن ثم إعداد برامج متكاملة لإعداد أحياء السوق في تظاهـرة ثقافيـة عالمية على أسس علمية رصينة وحقائق وآثـار أكيدة ليضيف لحضارة أمتنا العربية وبلادنا الغالية ويسهم في تعزيز الحركة السياحية وتنمية الوطن[١].

(*)**وتحدث البكري في معجمه عن حباشة ، فقال:** "الحباشة بضم أوله وبالشين المعجمة أيضاً على وزن فعالة ، ويقال حباشة دون ألف ولام سوق للعرب معروفة بناحية مكـة ، وهـي أكبر أسـواق (تهامة) ، كانت تقـوم ثمانية أيام في السنـة ، قال حكيم بن حزام " وقد رأيت الرسول (ﷺ) يحضرها ، واشتريت منه فيها بزاً من بز تهامة . وهي مـن صدر قنونـا أرضها لبارق" [٢]. والبكري كغيره مـن الجغرافيين ضبط اللفظ ، ثم عـرف موقع السوق أنـه من أهم أسواق العرب المعروفة في تهامـة ، وبارق تقع في تهامة منذ ما قبل الإسلام وظهر الإسلام وهي في مواطنها الحالية بتهامة ، ثم حدد عدد أيام انعقـاد السوق وهي ثمانية أيام على الأرجـح ، إذ أن سوقاً موسمية يرتادها جموعاً من قبائـل العرب من أقصـى جنوب شبه الجزيرة العربية وغيرها من الأقاليم القريبة من بلاد بارق يحتاج وقتاً كافياً لتنوخ القوافل ويرتاح المسافرون من عناء الترحال المضني، ثـم يحتاجون لوقـت إضافي للتبضع من السـوق وأخذ مستلزماتهـم ، وبالإضافة لذلك اختـلاف وفود القوافل على السوق بين متقدم ومتأخر للحاق بمدة انعقاد السوق. ونرى أن القائلين بأن مدته ثمانية أيام هي الأرجح والأقرب للصواب . وأما من قال أن السوق ثلاثـة أيـام فهذا وقت غير كاف لراحة القوافل وتبضعها ومـن ثم مغادرتها ، كما أنه لا يحقـق الفائـدة الاقتصادية من سـوق موسمي كهذا تفد إليه حشود مـن قبائل العرب. وبعـد أن حـدد البكري موضع السوق، وحـدد مدته ، نجده يستشهـد بحديث حكيم بن حـزام (رضي الله عنه) حيث ورد في نص حكيم ما يؤكد نـزول سيد البشرية الرسول الكريم (ﷺ) في سـوق حباشـة ، فقال: " وقد رأيت الرسـول (ﷺ) يحضرها ، وهذا يؤكد بما لا يـدع مجالاً للشك مجيء الرسـول للسوق[٣].ثم قال : " واشتريت منه فيها بزاً من بز

(١) هذا الذي ننادي به ، مع التأني في إصدار الأحكام السريعة ، كما أن الجهات المختصة التي أشرت إليها يجـب أن تتصـف بالحكمة والنزاهة ، وتضـع المعيار النهائي لتحديد هذا السوق هـو الدراسات العلمية الأثريـة المحايدة، والـذي نرجوه من الجميع أن لا تُشترى الذمم ، وهذا النـداء أوجهه لأصحاب القرار مـن منظمين ومسؤولين وباحثين وآثاريـين وأعيان وشيوخ ووجهاء وغيرهم ممن له صلة بمثل هذا الأمر ومـا شابهه . واعلـم أخي أن التاريخ لا يرحم فلو انتصرنا اليوم في أقوالنـا ومدوناتنا وأعمالنا ونحن لا نستحـق هذا الانتصار فقد يأتي بعدنـا من يوضح عورنا ، ويبين كذبنا وتدليسنا لتاريخ الأرض والناس، وقبل ذلك لن نسلم من ارتكاب الذنوب والمعاصي التي تحبط أعمالنا وتوردنا المهالك . (ابن جريس).

(٢) انظر : <u>معجم ما استعجم</u> ، ج٢، ص ٤١٨. (البارقي) .

(٣) كمـا ذكرت سابقاً، مجيء الرسـول (ﷺ) في تجارة لخديجة (رضي الله عنها) إلى سوق حباشة ، موضوع

تهامة ، وهذا يؤكد ثبوت تعامل حكيم بن حزام مع الرسول (ﷺ) بمعاملة تجارية تؤكد ما ورد عند الطبري وغيره عن ابن شهاب الزهري ؛ أن أم المؤمنين السيدة خديجة (رضي الله عنها) كانت قد استأجرت الرسول (ﷺ) في تجارتها إلى سوق حباشة قبل بعثته . وقول حكيم بن حزام : " اشتريت منه فيها بزا من بز تهامة ، يتضح منه أن من أهم السلع الرائجة في سوق حباشة ، والتي ثبت متاجرة الرسول بها للسيدة خديجة هي سلعة البز وهو القماش ونوع من الثياب ، ؛ وقوله " منه فيها " : أي أنه اشترى من الرسول البز في سوق حباشة ، وهذا تأكيد آخر لوقوع الشراء من الرسول (ﷺ) في أرض سوق حباشة، وقوله : " وهي من صدرٍ قنونا أرضها لبارق " : أي أن سوق حباشة بالقرب من بداية الوادي وليس عليه تماماً ، ولا يعني القرب ، أنك ترى الوادي رؤيا العين ، بل هو مجرد علم وإشارة للمسافرين الذين يعرفون إشارات السوق وعلاماته ، حيث أن من علامات سوق حباشة : وادي حلي وهو أيضاً على بعد من السوق وورد ذكره في عدة نصوص عند الأزرقي وغيره ، فلا يعني أنه على وادي قنونا ، كما أنه لا يصح أنه على وادي حلي ، وإنما ذكر هذين الواديين كأشهر العلامات للمسافرين بالاقتراب من السوق (فمن ادعى أنه من صدر قنونا لماذا لم يدع أنه من صدر وادي حلي وهو الأقرب من بلاد بارق التي حددتها النصوص ؟ "[1]. وهناك علامات وإشارات إضافية للاستدلال على سوق حباشة ، وقد أشرنا إليها في سطور سابقة ، والمسافة بين وادي حلي ووادي قنونا هي مراحل وعلامات السوق ، وهي المساحة الواقعة في غرب بلاد بارق ، وعليه يعلم أن ما قصده المؤرخون والبلدانيون عندما يقولون (من صدر قنونا وحلي) ، إنما قصدوا امتداد طريق الجند الذي ذكره ابن سعد في الطبقات ، ويمر طريق الجند

آخر يستحق دراسات وبحوثٍ مطولة تنفي أو تثبت مجيئه (عليه أفضل الصلاة والسلام) إلى هذا السوق التهامي . وحبذا أن نرى باحثاً أو طالب دراسات عليا فيتولى هذا الموضوع بالبحث والدراسة العلمية الموثقة مع مراعاة الاطلاع على جل المصادر الأولية التي تصب في خدمة هذا العنوان . والسائر في بلدان تهامة والسراة الواقعة بين حواضر اليمن والحجاز الكبرى مازالت بحاجة كبيرة إلى دراستها تاريخيا وحضاريا في شتى الجوانب منذ عصور ما قبل الإسلام حتى وقتنا الحاضر، والجميل أن هذه البلاد يوجد فيها أو قريباً منها حوالي سبع جامعات وفيها عشرات الأكاديميين، وبها عدد من مراكز البحوث العلمية ، وهذه المؤسسات التعليمية عليها مسؤوليات عظيمة لدراسة أرض وسكان هذه البلاد ، وأعتقد أن هذه الأعمال يجب أن تكون من أولوياتها وأهدافها الرئيسية . (ابن جريس) .

(١) هذا الكلام كررته في فقرات سابقة ، وهو اجتهاد منك، وكون موقع السوق مازال غامضاً ، ولا يعرف ، فلا يستبعد أن يأتي في المستقبل من يدعي أن هذا السوق في وادي حلي ، وتستمر هذه المجاذبات غير المفيدة ، وتبقى هذه الصراعات الثقافية التي لا تخدم البلاد والعباد ، والأفضل العمل بشكل علمي محترف ، والحكم النهائي هو للدراسات العلمية الأثرية التي قد تفصل هذه الاختلافات التي تقوم فقط على نصوص تاريخية ناقصة وغير دقيقة . (ابن جريس) .

مـن غرب بلاد بـارق وهو المساحة الممتدة بين واديي حلي وقنونـا ، وعليه يبطل أي ادعاء لوقـوع السوق علـى ضفاف قنونا أو حلـي ، ولا يمكن ذلك لتباري المسافـة بين الواديين ، وبوجـود نص ابن سعد الذي ذكر طريق الجند[١]. يثبت أن المقصود هو وقوع السوق على طريـق الجند الممتد من حلي مـروراً بسوق حباشة ثم وادي قنونا ومـا يليه [٢]. وعلى أية حال ينتفي التعلل بصدر قنونا حينما ختم حكيم بن حزام حديثه بقوله : " وهي من صدر قنونا أرضها لبارق ". فقوله أرضها لبارق ، ينهي أي خلاف ، ويحبط كل ادعاء ، وما بعد الحق إلا الظلال المبين. فكلمة (أرضها) تعود على بارق الموضع المشهور في تهامة . وكلمة (لبارق) اللام حرف جر وبارق اسم مجرور ، لموضع مشهور منذ الجاهلية ، وعليه يؤكد أنه في حدود بلاد بارق الحالية ولا يخرج عنها لا في الماضي ولا في الحاضر[٣].

(*)**<u>ذكر عبد القادر البغدادي ، صاحب (خزانة الأدب) قوله :</u>** " وأما حُباشة بضم الحاء المهملة وتخفيف الموحدة وبعد الألف شين معجمة ، فكانت في ديار بارق نحو قنونا ، بفتح القاف وبضم النون الخفيفة وبعد النون ألف مقصورة ، من مكة إلى جهات اليمـن على سـت مراحل . قال الفاكهي : " ولم تزل هذه الأسواق قائمة في الإسلام إلى أن كان أول مـا تـرك منها سوق عكاظ في زمـن الخوارج سنة تسع وعشريـن ومائة، وآخر ما تـرك منها سـوق حباشة في زمن داود بن عيسى بن موسـى العباسي في سنة سبع وتسعين

(١) انظر: ابن سعد ، <u>الطبقات الكبرى</u> ، ج٨ ، ص ٥٠٣ . (البارقي) .

(٢) ذكـرت لـك وجهة نظري سابقاً تجـاه أقوالك المذكورة أعـلاه . وأقول أن من يدرس طريـق الجَنَد التي ذكرها ابن سعد في هيئة بحث أو رسالة علمية ، فقد يخدمنا نحن معاشر الباحثين ، ويسدي لنا معروفاً عن معرفة شيء من تاريخ وحضارة هذا الطريق الذي لا تذكره المصادر إلا قليلاً . (ابن جريس) .

(٣) اطـلاق الحكم بهـذه الطريقة لا يستقيم مع المنهج الأكاديمي الحيـادي ، فقوله (من صدر قنونا أرضها لبارق)يفهم أن نفوذ عشيرة بارق وصل إلى وادي قنونا ، أو أنهم استوطنوا قنونا ثم هاجروا إلى الجنوب فيمـا بعـد ، أو أن ابن سعد دون هـذه المعلومات التي سمعها من بعض الرواة ، وهـي فعلاً غير دقيقة إذا طبقناهـا علـى الواقع . والقـول أن أرض هذا السوق لبـارق، ، ربما يكون حقيقة ، ومـن المحتمل أنه كان يشاركهـم فيه عشائر أخرى من الأزد ، لأن قتـل والي السوق الذي أرسله أمير مكة إلى حباشة كان الأزد هـم الذيـن قتلوه، ولا ندري مـن أي فروع الأزدِ هؤلاء القتلـة، ولم يقل البارقيون . أمـا قولك يا أحمد أن السـوق في حدود بـارق الحالية فهذا قول أيضاً غـير دقيق ، لأن العشائر العربية قديمـاً تنتقل من مكان إلى آخـر ، والهجـرات العربية لقبائل وعشائـر تهامة والسراة مثلها مثل غيرها مـن القبائل جرى بينها حروب وتحالفات ومصاهرات ، حتى إن العشيرة الواحدة تتفرع أحياناً إلى فروع عديدة وتستوطن أماكن مختلفـة . ونلاحظ قبائل السروات مـن نجران حتى الطائف لها فروع عديدة في البوادي شرق السروات ، وفي بـلاد العروض الواقعة عند جبال السروات من الغرب . وإذا جاء الواحـد منا وأراد معرفة أنساب أسرتـه أو فخـذه خلال الثلاثة قرون الماضية المتأخرة فإنه يجد صعوبة في الحصول على معلومات دقيقة حيـال هذا الموضوع ، فما بالك بعشـيرة أو عشائر يعود تاريخها إلى عصور ما قبل الإسلام ، واستوطنت أمكنة عديدة منذ خروجها من اليمن حتى استقر بها القرار في تهامة منطقة عسير. (ابن جريس) .

ومائة"[١].ونجد البغدادي كغيره ضبط الشكل وبين لفظه ، ثم حدد موضع حباشة في بارق ، أي ما ينطبق ضمن حدودها ، ثم قال : " نحو قنونا أي باتجاهها كأقرب معلم طبيعي مشهور . ونلحظ أنه لم يكرر عبارة من سبقه بقولهم : " من صدر قنونا " بل استبدلها بعبارة " نحو قنونا " ، وهنا يؤكد ويعضد قولنا أن ما قصده الأزرقي بقوله "صدر" ، أي جهة ، أو نحو الشيء وبالقرب منه وليس فيه . وهنا نص البغدادي ، بعد أن قال : " في ديار بارق " ، أشار بعدها أنه نحو قنونا ولم يقل في قنونا ، إذ لا يصح ولا يعقل أن يقول في بارق ثم يقول في قنونا . وهذا واضح ولا يحتاج لمزيد ، ثم نقل عن الأزرقي أنه يبعد من مكة بنحو ست مراحل، وهذا على المسافة والوقت من بارق إلى مكة قديماً بالراحلة ، قال ومن مكة باتجاه اليمن ، أي إلى جنوبها ، وبارق فعلاً تقع إلى الجنوب من مكة المكرمة بنحو ثلاثمائة وخمسين كيلاً . ثم ذكر قول الفاكهي متحدثاً عن أسواق العرب وقال : " إن عكاظ انتهى في عام (١٢٩هـ/٧٤٦م) أي أنه انتهى قبل خراب سوق حباشة بنحو ثمانية وستين عاماً ، وإذا علمنا كما يذكر بعض الباحثين أن حباشة سبق في تأسيسه سوق عكاظ بنحو خمسة أشهر ، فهذا يعني أن سوق حباشة استمر فترة أطول بكثير من عمر سوق عكاظ، إذ أنه تأسس في الجاهلية قبل الهجرة الشريفة وكان آخر أسواق العرب خراباً [٢].

(*) **وفي كتاب : عمدة القاري للعيني ذكرت** " حباشة بضم الحاء المهملة وتخفيف الباء الموحدة وبعد الألف شين معجمة ، وكانت بأرض بارق نحو قنونا ، بفتح القاف وضم النون المخففة وبعد الواو الساكنة نون أخرى مقصورة ، من مكة إلى جهة اليمن على ست مراحل [٣].نقول إن العيني كغيره ممن سبقه ، ضبط اللفظ ، ثم حدد موقع حباشة بأنه في أراضي قبيلة بارق ، فحرف الباء يحل مقام الحرف في ، ويأخذ معناه في الجملة بأنه في حدود بلاد بارق بالاتجاه غرباً نحو قنونا ، أي باتجاه الوادي ، فيكون قبله بمسافة ليست بالقصيرة ، كما يفهم من كلمة (نحو) فكلمة نحو لا تفيد التحديد، وإنما تفيد التوجيه والإرشاد ، ونلحظ مجدداً أن العيني استبدل كلمة الأزرقي

---

(١) انظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، ج٤، ص٤٢٨. (البارقي).

(٢) ياأحمد ما ذكر البغدادي لا يذهب بعيداً عن من سبقه ، فأورد ذكر بارق وقنونا واللبس مازال قائماً. وكما أشرت من قبل أن قنونا واد عظيم وذكر كثيراً في كتب التراث وغيرها من المصادر والمراجع المتقدمة والمتأخرة ، وأيضاً بارق عشيرة عربية أزدية ماجدة، لكن الذي نجهله نفوذ بارق أيام تاريخ السوق في الجاهلية وبداية عصر الإسلام، أين موقعها الحقيقي ؟ وما هو مدى اتساعها وهيمنتها ؟! وإذا عرفنا الإجابة الصحيحة لهذه الأسئلة وغيرها فربما نتوصل إلى معرفة المكان الصحيح للسوق ، هل هو ضمن جغرافية وادي قنونا أم خارجها. (ابن جريس) .

(٣) العيني ، عمدة القاري ، ج٤، ص ١٠٤. (البارقي) .

(صــدر) بكلمة أوضح منهــا وهي (نحو) أي باتجاه الشيء ، ولا تعني التحديد بعينه ، وقــد أتــت كلمة (نحو) عند العيني والبغدادي ، بينمــا استخدم من نسخ نص الأزرقي كلمــة (صــدر) . ثم نقل عمن قبله ، أن الموقع يبعد عــن مكة بمسافة تقدر بست مراحل الراحلة، وأشرنا أن مدة استغراق القافلة يرتبط بهمة المسافرين وعزيمتهم وظرفهم ، ولكن لا تقل المدة بين مكة وبارق عن ست مراحل ، ولا تزيد عن ثمان مراحل [١].

(*) **ويقــول ابــن الكلبــي عن قبيلة الأوصام :** " وهؤلاء بنــو بارق ، وولد عدي بن حارثة : سعداً ، وهو بارق، بطن عظيم ، وعمراً ، وعمران ، فولد بارق بن عدي : كنانة بن بارق : عوفاً ، وثعلبة ، وأنماراً " ... إلى قوله : " فولد حارثة بن ثعلبة : شنوءة ، ولوذان، والنبــاح والأوصــام ، قبائل جماعة " [٢]. كما أشار الهمــداني في كتابه : " صفة جزيرة العرب " إلى عدة مواضع وألحقها ببلاد بارق ، وهو مثل غيره من الجغرافيين المتقدمين الذيــن وقعوا في خلط كبير أثناء حديثهم عن البلدان ، هذا الرحالة والجغرافي اليمني، حيث قال: " وخبت البزواء بناحية عُليب ، وعليب واد بين الخبتين ، خبت البزواء وخبت أذن، وهــو مــن مساقط بلاد بــارق من غور السراة ، وهي بقــرة والملصة ويسران وذات أعشــار وتربان [٣]. جبل لهم من ناحيــة ذات أعشار، وأعلى قنونى "[٤]. وقوله : " خبت البــزواء اسم علــم اتبعه بإشارة استدلالية تشير إلى موقــع آخر على وجه التقريب وهو وادي عُليــب ، للدلالــة أن الخبــت بالقرب منــه أو باتجاهه ، وليســ في ذات الوادي ، ثم أوضــح أن وادي عليــب موضع يقع بين خبتين معروفين هما البــزواء وأذن [٥]. ثم عرف موضــع الــوادي بالتحديد ، وقال : " هو من مساقط بلاد بــارق ، فالضمير هو يعود إلى

---

(١) المدة بين بارق ومكة المكرمة قديماً تستغرق ربما أكثر من ثمان ليال ، وبخاصة إذا كانت القافلة كبيرة ، ومع المسافرين بضائــع وسلــع ثقيلة أو كثيرة ، كما يعتمد على الطرق المسلوكة إذا كانت سهلة مثل بلاد السهول والخبت فالسفر أسهل وأســرع مــن السير في الجبال والهضاب والأودية التي تأتي عند سفوح جبال السروات الغربية . أيضا توظيف مفردات اللغــة مثــل (صدر) أو (صــدد) ، أو (نحو) كلها لا تكفي أن نصل إلى آراء نهائية تحــدد موقع سوق حباشة على وجه الدقة . وقلت ومازلت أقول إن مخرجنا الوحيد هو العكوف على دراسة آثار هذه المناطق الأثرية المتنازع عليها في بلاد بــارق أو وادي قنونا أو غيرهــا ، وإذا درست هذه البلاد أثرياً مع توخي الحذر والنزاهة والحيادية وعدم الانخراط في فخ العنصرية والعصبية فقد نصل (بإذن الله) إلى حل علمي وحقيقي . (ابن جريس) .

(٢) انظر: ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير ، ج٢، ص٤٥٦ . (البارقي) .

(٣) تربان : هو جبل ثربان في تهامة بني شهر وليس في بارق. (البارقي) .

(٤) الهمداني ، صفة جزيرة العرب (طبعة مكتبة الإرشاد) ، ص ٢٩٧ . (البارقي) .

(٥) إذا ضح أن البزواء هي (الوسقة) ، وإن خبت أذن هو حمر أذن المعروفين اليوم ، فذلك يدل أن البزواء وأذن لا يقعــان بــين مكة والمدينة ، بل همــا إلى الجنوب من مكة المكرمة . وما يدعم قولي أن وادي عليب بالقــرب منهما في محافظة الحجرة من تهامة زهــران ، ويتضح لنا وقوع الهمداني في أخطاء من بداية النص ، فكيف يستدل به كنص مليء بالأخطاء . (البارقي) .

وادي عليب ، ثم اتبع الضمير بحرف جر يجر ما بعده ، فحدد مسار الوادي أنه يصب في بارق ، أي أن موضعه في حدود بارق ولا حتى بالقرب منها ، فوادي عليب واد في بلاد تهامة في محافظة الحجر، ليس له علاقة ببارق، ولا يصب إليها ولا يقترب منها ، وهنا يتضح لنا الخلط عند المؤرخين المتقدمين بين موضعين متفاوتين هما بارق ووادي عليب . ثم بعد ذلك ذكر مزيداً من التأكيد أن الوادي في بلاد بارق ، ثم عرف موقع بارق، ويتضح أن بارق هي النقطة الأكثر وضوحاً عنده ، لذلك قرب وادي عليب إليها ، كونها أشهر المواضع القريبة نسبياً من الوادي ، ويمكن الاستدلال بها ، ثم في سياق النص ، وقع في أخطاء أخرى فقال: " وهي ، والضمير يعود لبارق ، بقرة والملصة ويسران وذات أعشار وتربان جبل لهم ، وأعاد ملكية المواضع السابقة إلى بارق، ويفهم من النص أن بقرة وجبل ثربان ووادي إعشار من بلاد بارق ، والصحيح أن هذه المواضع خارج بارق ، وهي من حدود بارق مع القبائل المجاورة ، وليست في بارق قديماً [(١)]. ثم قال من ناحية ذات أعشار وأعلى قنونا ؛ ويفهم أن بارق بما تتضمنه من المواضع المتقدم ذكرها تقع إلى الجهة الشرقية من جبلي ثربان وذات أعشار ، وهذا خطأ أيضاً ، فبقرة تقع على حد بارق شرقاً والملصة جهة ربيعة من الغرب إلى بارق، ثم قال وأعلى قنونا ، فهذا يظهر التخبط في الوصف ، فبعد أن حدد المواضع في بارق ثم قربها إلى جبل ثربان وإعشار الواقع على الحد الغربي من بارق ، انتقل بعيداً جداً إلى وادي قنونا ، وذلك لشهرته لمزيد من الاستدلال على وجه التقريب بالأماكن المشهورة ، ويلحظ معرفته

---

(١) لو أراد أحد ممن لا يحترم أمانة العلم والقلم لاستغل النص للهمداني ، وقال إن بقرة وثربان وقنونا ووادي عليب وخبتي البزواء وأذن كلها تتبع بارق، ولو قلنا ذلك لظهر الحق جلياً من سكان تلك النواحي أنهم كانوا يوماً في عداد أو أحواز بلاد بارق، لكن أمانة العلم وشرف المهنة يحتم على ضمير المؤرخ المسلم ذكر الحقائق ونبذ الشبهات ، والبعد عن مواطن الزلل ومكامن الخلل من خلال التحقيق في النصوص ودراستها قبل إطلاق تفسيراتها أو تبنيها واعتمادها على ما فيها من خلل واضح وخلط جلي لا ينطبق على الأرض لا في الماضي ولا الحاضر. (البارقي) . يا أحمد اعلم أن لسان اليمن الحسن الهمداني ابن البلاد اليمنية واجتاز بلاد تهامة والسراة مرات عديدة ، وحفظ لنا معلومات لا نجدها عند غيره ، وإذا كان الأزرقي والبكري والحموي وغيرهم قد أشاروا إلى أمكنة عديدة في أرض تهامة والسراة ، ولم يسلموا من الوقوع في الأخطاء ، فالهمداني يتقدم عليهم في ندرة معلوماته ودقتها في كثير من المواضع التي احتواها كتابه (صفة جزيرة العرب) ، نعم لا ننكر أن هذا الكتاب لا يخلو من معلومات غير صحيحة . وذكره مثل هذه المواقع وعلاقاتها بأرض بارق ربما يكون فيها شيء من الصحة وبخاصة إذا كانت عشيرة بارق قد ساحت في الأرض من السروات وأجزاء من تهامة حتى استقرت في موطنها الحالي، لكنك تنافح وتجزم بأن بارق اليوم تستوطن مكانها الحالي منذ العصر الجاهلي أو صدر الإسلام، فهذا قول صعب تأكيده وإثباته . وفي نقاشك المذكور أعلاه أشرت إلى نقاط عديدة تعرض لها الهمداني ، وذلك بهدف القول إن بارق في مكانها الحالي وليس لها أي صلة أو علاقة بهذه الأوطان التي أوردها الهمداني ، وأقول لا تجزم بما ذكرت حتى تتوفر لك البراهين والدليل الواضح ، عندئذ تمسك بأقوالك ، وإذا لم تستطع الوصول إلى حقائق دامغة فاترك الموضوع قابل للنقاش والتحليل لعله يأت في قادم الأيام من يتوصل إلى معلومات صحيحة مبنية على مصادر مبكرة وموثوقة . (ابن جريس) .

ببارق حيث عرف كل المواضع وحددها فيها ، ولما لبارق من تاريخ وشهرة عند المؤرخين ، لا يستغرب معرفتهم وإلمامهم بها ، لكنه كان يعرف أيضاً جبل ثربان ، وإن جاء مصحفاً بالتاء على غير الثاء ، ثم عرف قنونا فقال: " وذات أعشار وتربان[١] . جبل لهم[٢] . من ناحية ذات أعشار وأعلى قنونى " ، وهنا رغم أنه حدد جبل ثربان أنه يتبع لبارق، وإن كان مخطئاً ، إلا أنه أخرج وادي ذات أعشار ووادي قنونا من حدود بارق ؛ فبعد أن عدد مواضع من بارق قال إن تلك المواقع تتبع لبارقٍ وأنها تقع ناحية ذات أعشار وقنونا إذاً النص واضح لم يدخل قنونا ضمن بارق أصلاً ؛ بل أخرج واديي قنونا وأعشار من حدود بلاد بارق[٣] . فكيف يستدلون بنص الهمداني على أن موقع قنونا كان من بلاد بارق ثم تخلت عنه ؟ هذا اصطياد في الماء العكر[٤] . وتفسير لا يوحي به النص لا في مبناه ولا معناه ، وقد قدمت استقراء للنص يتضح منه أن الهمداني عندما وصف وادي عليبٍ أدخله في بارق رغم أنه ليس كذلك كما أوضحت سابقاً ، كما أن وادي عليب بعيد جداً عن قنونا ، وهو محور الحديث في النص ، فلما عرّفه أنه في بارق كان مخطئاً من الأصل ، ولا يعرف أن حدود بارق تاريخياً ولا في العصر الحديث كانت تمتد إلى خبت البزواء أو وادي عليب أو قنونا . فإذا نفينا امتداد حدود بارق تاريخياً إلى قنونا ، فمن باب أولى نفي امتدادها إلى خبت البزواء وهي الوسقة اليوم . وإنما لشهرة بارق كأكبر

---

(١) تربان : الصحيح (ثربان) . (البارقي) .

(٢) أي أن جبلي ذات أعشار وثربان تتبع لبارق ، وهذا غير صحيح . (البارقي) .

(٣) أنت تعترف أن الهمداني عالماً بذكر المواقع ، ثم تعود فتهاجمه وتصفه بالتخبط وخلط المعلومات ، وكما ذكرت أن هذا الرحالة اليمني يعد من الروادِ والمبدعين فقد حفظ لنا الشيء الكثير من تاريخ وحضارة أهل تهامة والسراة . ونأمل أن نرى أحداً من طلابنا في قسم التاريخ جامعة الملك خالد فيتخذ ما احتوته كتبه عن السروات وتهامة موضوعاً لأطروحة الدكتوراه ، ومن يفعل ذلك فسوف يسدي لنا معاشر الدارسين فضلاً كبيراً . (ابن جريس) . أما أنت يا أستاذ أحمد فلا تضيق واسعاً وتحد بلاد بارق قديماً في مكانها المحدود في عصرنا الحاضر ، وإذا كانت هذه العشيرة العربية خرجت من اليمن وتنقلت في السروات ، ثم خرج منهم من ذهب إلى أماكن عديدة في الجزيرة العربية وخارجها ، فلربما فخوذ أخرى ساحت وتوسعت في أجزاء من تهامة وسروات بلقرن وشمران وخثعم ورجال الحجر ، وقد يكون منهم من اندمج وانصهر مع هذه القبائل اليمنية ، وبعضهم تدرجت بهم الحياة حتى استقروا في موضعهم الحالي في منطقة عسير. كل هذه الأطروحات والتساؤلات يا أحمد قابلة للنقاش ، ولا تتمسك بآرائك إلا إذا كان عندك حقائق دقيقة وفاصلة . (ابن جريس) .

(٤) لا أري ما ذكرت من فعل الآخرين بأنه(اصطياد في الماء العكر) فهذه عبارة غير لائقة، فالمناهج العلمية الراقية تحتم على الباحث أن يرقى في عباراته ولا يلجأ إلى الجمل والكلمات النابية ، وأقول اسمع منهم وناقشهم بهدوء ، وصاحب الحجة والدليل القوي هو الذي يكسب ، وفي اعتقادي أنكم جميعاً ، المؤيدون والمعارضون ، لا تملكون براهين قوية تجعل فريقاً منكم يسمع وينصاع للآخرين ، وسيبقى هذا الجدل قائماً حتى تظهر البراهين القاطعة التي توضح الحقيقة . (ابن جريس) .

تجمع بشري حضاري قديم [١]، ولما لها من حضور وشهرة استدل بها الهمداني لتحديد وادي عليب بالنسبة إلى بارق ، إن بداية نص الهمداني بدأت من قوله " البزواء بين مكة والمدينة .. " ثم أكمل باقي النص ، فكان خبت البزواء هو المحور الأول في النص ، ثم ذكر أن خبت البزواء بناحية عليب ، وعليب كان المحور الثاني ، إذا هو عرف أولاً البزواء بوقوعها بين مكة والمدينة [٢]. وهو بذلك ابتعد كثيراً عن بارق ، ثم رجع يقرب البزواء من وادي عليب ، وما أبعد المساقة بينهما ، والبزواء اليوم هي مدينة الوسقة تابعة لإمارة مكة المكرمة، وربما أن هناك موضع آخر يدعى البزواء بين مكة والمدينة ، وعلى أية حال أينما كان الموضعين فقد أخطأ الهمداني في نسبة البزواء إلى مساقط بارق . وقد جاء في لسان العرب لابن منظور قوله : " والبزواء : اسم أرض ؛ قال كثير عزة :

لا بأس بالبزواء أرضاً لو انها ... تطهّر من آثارهم فتطيب

وقال ابن بري : البزواء في شعر كثيّر صحراء بين غيقة والجار شديدة الحر ؛ وقال الراجز:

لا يقطع البزواء إلا المقحد ... أو ناقة سنامها مسرهد[٣]

(٤) حباشة عند بعض الباحثين المتأخرين :

نجد عاتق البلادي يتجول في أرجاء تهامة ويتحدث عن أرضها وسكانها ، ويشير إلى سوق حباشة أنه في أرض بارق وهم أصحابه وليس في وادي قنونا ، فقال: " أجمعت النصوص أنه - يقصد السوق - في ديار بارق ، وديار بارق من حلي وليست من قنونا ، ولا أعتقد أنهم كانوا ينزلون قنونا ثم أزيحوا عنها ، لأن كل ما جاورهم من ديار هي للأزديين بارق وشمالها ، وبارق أزدية وكل هذه القبائل لازالت في منازلها القديمة"[٤]. وهذا الاستقراء يؤكد وضوح النصوص التاريخية عند المتقدمين ، ولا يوجد هناك اختلاف بينهم أنه في بلاد بارق ؛ لكن الحقيقة أن هناك من يقود اختلاق حالة الخلاف

---

(١) قلت لك يا أحمد إن قولك هذا غير صحيح ولا دقيق فأرض بارق ، أو بارق العشيرة ، لم تكن أكبر تجمع بشري وحضاري قديم لا في تهامة ولا السراة ولا اليمن ولا أي مكان ، لكن اندفاعك وربما تعصبك لأهلك وذويك جعلك تطلق هذه الأحكام العامة والكبيرة ، وليس هكذا يكون البحث والدراسة العلمية المتأنية والحيادية . (ابن جريس) .

(٢) أقول ربما يكون هناك مواضع أخرى بين مكة والمدينة تحمل نفس الأسماء التي بين مكة وجازان . (ابن جريس.

(٣) انظر : لسان العرب ، ج١، (مادة بز) ويقول عاتق البلادي عن البزواء " وهذه هي التي ذكرها أبو دهبل في قصيدته الميمية ؛ حين قال: وجازت على البزواء والليل كاسر جناحيه بالبزواء ورداً وأدهما . وتسمى اليوم الوسقة ، لأنه حزم مرتفع بين عيار وحلية ، والوسقة كل ظهر مستو ، وهي صحراء واسعة تمتد غرباً إلى البحر. انظر البلادي ، بين مكة واليمن ، ص٥٤ . (البارقي) .

(٤) انظر: عاتق البلادي ، بين مكة واليمن ، ص٤٨ ، (البارقي) .

فيستغل بعض المفردات لفتح شهية المدعين والباحثين عن موطئ قدم . وهنا يعم البلاء وتضيع الحقيقة [١] .

وهذا هو غيثان بن جريس يذكر سوق حباشة في بارق، وكيف كان له مشرفون من قبل إمارة مكة ، وماذا جرى له من دمار وتخريب في نهاية القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) ، فقال: " يذكر الأزرقي وابن فهد بأن حباشة آخر سوق خرب من أسواق الجاهلية ، وكان والي مكة يستعمل عليها رجلاً يخرج معه جند فيقيمون بها ثلاثة أيام من أول رجب متوالية ، فقتلته قبيلة الأزد في عام (١٩٧هـ/٨١٢م) ، فأشار أهل مكة على داود بن عيسى بتخريبها فخربها وتركت ... " [٢] . ويتضح لنا أن أرض بارق وما جاورها كانت تحت إمارة مكة المكرمة التابعة للخليفة العباسي في بغداد [٣] .

---

(١) أحكامك يا أحمد قاسية ، والواجب أن تسمع النقاش ، ثم ترد ردوداً علمية ، ولا تلقي بالاتهامات على الآخرين فهم أيضاً مجتهدون مثلك، وكل منكم يدافع عن حجته ، ولكن الذي نريد الوصول إليه هي الحقيقة ، فقول البلادي إن بلاد بارق وما جاورها أزدية فهذا كلام صحيح في وقتنا الحاضر ، لكن لا نملك الدليل القاطع عن أماكنهم ومواضع استيطانهم وغيرهم من الأزديين في العصر الجاهلي وصدر الإسلام ، وهذا ما نريد معرفته بشكل واضح ودقيق . (ابن جريس).

(٢) انظر: غيثان بن جريس ، دراسات في تاريخ تهامة والسراة (الرياض، مكتبة العبيكان ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ، ج١ ،ص ٣٧٤ . (البارقي) . للمزيد انظر الأزرقي ، أخبار مكة ، ج١، ص ١٩١، ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٢، ص ٢٦٠-٢٦١. (ابن جريس) .

(٣) استعرضت كثيراً من أقوال المتقدمين والمتأخرين عن تاريخ ومكان سوق حباشة ، ونشرت ذلك في كتابنا: بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠-ق١٥هـ/ق١٦-ق٢١م) ، الذي صدر من مطابع الحميضي عام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م) ، ص ٩٤ – ٩٧. وكنت يا استاذ أحمد آنذاك مثلك وغيرك في بلاد العرضيات أرى أن مكان هذا السوق في تهامة ، وذهبت مع القائلين أن مكانه في ناحية من وادي قنونا . وبعد مرور ست سنوات ، كنت زرت فيها بلداناً عديدة من تهامة والسراة الممتدة من مكة والطائف حتى جازان ونجران، ووقفت وسمعت أخباراً وقرأت كتابات ومدونات عن بعض الأمكنة ، أو الأحداث ، أو الأعلام التاريخية والحضارية في هذه الأوطان الواسعة والمختلفة في تركيبتها الطبيعية والبشرية . وبرز لي الكثير من الصراعات الثقافية والاختلافات العلمية بين الكثير من الأفراد والجماعات ، أو القرى والبلدات والنواحي ، في هذه الديار التهامية والسروية، وعند فحص كثير مما شاهدت وسمعت ووقفت عليه وجدت أن عامل المناطقية أو العصبية القبلية من الدوافع الرئيسية لخلق مثل هذه الصراعات والمشادات الثقافية . وعند مراجعة وقراءة بعض مما وصلني مكتوباً عن بعض القضايا الخلافية تبين لي عدم الاتفاق بين المختلفين ، وكل فريق يسعى إلى دحض وإبطال حجج وأقوال خصومه ، دون الاحتكام إلى الأدلة والبراهين التي تتصف بالنزاهة والحيادية. ولهذه الأسباب أخذت منحى آخر ، وهو التأني ، والنداء بالتريث في قضايانا العلمية والأدبية والبحثية الشائكة ، ولا نقول التوقف عن البحث والدراسة ، لكن المفروض علينا جميعاً أن نتصف بالحيادية ولا ننساق وراء العصبية للعشيرة ، أو الأهل ، أو المكان الذي ننتمي له . وأقول إنني بحثت في محتويات مكتبتي الخاصة أثناء تدوين هذه السطور ، وحصرت حوالي (٢٢) مشكلة علمية خلافية في مناطق جازان ، ونجران ، وعسير ، والباحة ، والقنفذة ، وكلها تدور في فلك الاختلاف وعدم الاتفاق حول أمكنة بعض الأسواق الأسبوعية ، أو القرى الأثرية ، أو مقابر تاريخية ، أو آبار ، أو أحمية ، أو طرق تجارية قديمة . وكل من يتحرك في إثبات أو نفي

ورداً علـى مقالة الأستاذ / حسن بـن إبراهيم الفقيه التي نشرها في مجلة حوليات حباشة العدد الخامس عشر: نجد حمد الجاسر قد فند ما أورده الفقيه في مجلة: حوليات حباشة، وذكره أن سوق حباشة في قنونا[1]. فقال " حوليات سوق حباشة، هذا عنوان كتاب يحوي اثني عشر بحثاً للأستاذ الدكتور عبد الله ابن محمد أبوداهش، تحقيقاً أو دراسة، سوى واحد منها عن (حُباشة) بقلم الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه، ولي وقفة قصيرة عند الحديث عن (سوق حباشة) ، ذلك أن حبيبنا الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه أتى بمعلومات موجزة عن ذلك السوق، ويبدو من نشر مصور جغرافي لموقعه منسوباً إلى مجلة (العـرب) ، أن الباحـث الكـريم قد اطلـع على بحث منشـور في تلك المجلـة قبل أكثر مـن عشرة أعـوام (من ذي القعـدة وذي الحجة ١٤٠٥هـ) . ولن أعتـب عليه ، إن كان قـد اطلـع علـى ذلك البحث ، عـدم الإشـارة إليه، فقد سلـك نهجاً ليس هـو الأول من سالكيـه ، ولكننـي سأبـدي ملاحظات موجـزة عن تحديـد مواقع ذلك السـوق ، وعن إعـادة رسـم المصور الجغـرافي الذي بدأ في الكتـاب غير واضـح ، وفي وقفات قصيرة عمـا ورد في كلام الأستـاذ الفقيـه ، مـع ملاحظـة أن كل مـا نقـل مـن الأقـوال عـن تحديـد السـوق قد أوردتها في البحث المشـار إليه : (١) أورد الأستـاذ الفقيه من كلام الأزرقـي بهـذا النـص : " في ديـار الأوصام من بـارق إلى صدر قنونا وحلـي في ناحية اليمـن " . وفي هـذا الـكلام خطأ يغـير المعنى ، وصـواب كلام الأزرقي هـو: " وهي في ديـار الأوصـام مـن بـارق من صـدر قنونا وحلـي " . (٢) قـال الأستاذ الفقيـه قوله : " في ديـار الأوصـام مـن بارق يزيد من عبء الباحث إذا علـم أنه لا يُعرف في الحاضر أو الماضـي اسـم لقبيلة أو أرض بهذا الاسم (الأوصام) ، وإن كنت عددته تحريفاً لاسم (الأواسـ) القبيلـة الأزدية التي حلت هـذه السوق في ديارها آنـذاك من صدر قنونا ، وهـو الموقـع الذي يُعَد أقـرب إلى الصواب في أنـه يبعد ست ليال عن مكـة [2] . وغريب حقـاً أن يقـول الأستـاذ حسـن : لا يُعَرف في الماضـي ولا الحاضر اسم لقبيلـة أو أرض

المواضع الصحيحة لهذه الأمكنة لا يخلو من السقوط في وحل النعرات والعنصريات العشائرية والجهوية والمناطقية . وأقول من الواجب على الجميع أن يتصفوا بالصدق والعدل والحياد في أقوالهم وأعمالهم . كما أن على الجامعات المحلية والأقسام الأكاديمية أن تدلي بدلوها في الفصل بين هذه النزعات العلمية والثقافيـة ، وحـذاري من التعصب لرأي أو قـول دون آخر ، وإنما المنهج العلمـي الصادق والمتزن هو ما يجب فعله والسير في ركابه . (ابن جريس) .

(١) رد الجاسر منشور في المجلة العربية ، العدد (٢٤٢) السنة (٢١) ربيع الأول عام (١٤١٨هـ الموافق يوليو / أغسطس(١٩٩٧م) ص ١٠٠-١٠١. (البارقي) .

(٢) المسافر قديماً يستغرق من وادي قنونا إلى مكة ست ليال وربما أكثر ، أما بارق الحالية فهي تقع جنوب قنونا ويحتاج المسافر بالراحلة أكثر من ثمان ليالٍ وقد تصل إلى العشر . (ابن جريس).

بهـذا الاسم (الأوصام) أليس من الحسـن أن يقال: لا يُعرف في الزمن الحاضر ، أما الماضـي فقـد عُرفت قبيلة باسم (الأوصام) ، وجهل الأستاذ الفقيه لها ليس من العلم في شـيء ، وكان الأولى القـول: بأنـه هـو نفسه لا يعـرف ، أما نفي العلـم عن غيره فلا يتفـق مع الحقيقـة . (٣) متى حلت قبيلة الإواس من موقع هذا السوق ، وما هو المصدر الـذي يعول عليـه في ذلك ؟ إن إطلاق القـول هكذا غريب من محقـق فاضل كالأستاذ حسـن الفقيـه ، لقد أورد علماء النسب وإمامهم في ذلـك ابن الكلبي ، ذكر قبيلة تدعي (الأوصام) من بارق ، فقد جاء في (مختصر كتاب جمهرة النسب) مخطوطة راغب باشـا (صـ٢٠٩) . ما نصه : " ومن بني ثعلبة بن عمـرو الأوصام وشبر ولوذان والنَّباح قبائـل كثيرة فمن الأوصام الشاعر وسنـان ابن أبي عطاء قتلته الحجر بطن في السراة ، ومنذر بن عوف الشاعر) . وجاء في كتاب (نسب معد واليمن الكبير) . ج٢، ص٤٦٥ " وولـد ثعلبـة بن عـدي بن حارثة حارثة، فولـد حارثة ابن ثعلبة شنـوا ولوذان والنباح والأوصـام قبائـل جماعة) . وثعلبة بن عدي هو أخو بـارق بن عدي ، وقد جاء في كتاب (الإنباه على قبائل الرواة) : وأما بارق : فماء بالسراة ، فمن نزله أيام سيل العرم كان بارقيـاً ، ونزلـه سعد ابن عدي بن حارثة ، وابنـا أخيه مالك وشبيب ابنا عمرو بن عدي بـن حارثة فسموا بارقـاً (٤) وقال الأستاذ حسن عن (الأوصـام) " وإن كنت أعددته تحريفـاً لاسـم (الإواس) القبيلة الأزديـة التي حلت هذه السـوق في ديارها آنذاك من صـدر قنونـا ، إلى أن قال : (وكانت الإواس صاحبة الموقع علـى نحو ما فصلت عنه في البحـث المطـول الذي أعددته عن هذا السـوق ، وعزمت أن أنشره قريبـاً إن شاء الله . (لعل مما يفيد الباحث هنا أن يعرف أن الإواس من القبائل الأزدية التي تقطن السراة ، فقـد جـاء في كتاب (تاريخ العـرب قبل الإسـلام) المنسوب خطـأ إلى الأصمعي : (سألـت أبا علـي الهجري عمن خرج مع أحمس بن أنمار ، فقـال خرج معه بنو بجيلة بن أنمار ، وبنو أقبل بن أنمار ، فسألته عن أقبل ، فقال: منهم شهران وكود وناهس والأوس وإواسـ. إلى أن قـال. هذه القبائل تعرف بخثعم وبجيلة . وفي كتاب مغلطاي (الاتصال في مختلـف النسبـة) الإواس. بكسـر الهمزة. أبو أحمد الإواسي مـن شهران بن خثعم ، قـال أبـو علي الهجري : أنشـدني رجزاً له . وقال الرشاطـي : الإواسي في الازد . ذكر الهمـداني قال الشنفـرى بن مالك الإواسي ، ثم أورد له أبياتـاً على قافية التاء . وفي (مختصـر الفاسي لكتاب الرشاطي (الإواسي في خثعم ، وفي (معجم البلدان) رسم (عِيَار) : هضبة في ديار الإواس من الحجر، ويوم حراق من أيامهم ، غزت غامد الإواس

بـن الحجر ، فوجدوا خمسين رجلاً من الإواس في حضـار ، فأحرقوهم في هضبة يقال لها عِيَار فقال زهير الغامدي :

نبغي الإواس بأرضها وسمائها ... حتى انتهينا في ذوابة يكبدا

حتى انتصبنا في عيار كأننا ... أظب وقد لبد الرؤوس من الندا

مما تقدم يفهم : أن الإواس كانوا من خثعم ، فدخلوا في قبيلة الحجر كغيرهم من قبائـل خثعـم ، وبلاد هـؤلاء لا تزال معروفة (٥) لقد كان مـن الأولى ، وقد اختير لهذه الأبحاث إضافتها إلى اسم (سوق حباشة) أن يحدد الأستاذ الفقيه ، وهو من أهل تلك الجهـة ، موقع ذلـك السوق باختصار ، إذ لم ير المناسبة داعيـة إلى نشر بحثه كاملاً . ومن هنا : فقد حسن إيراد ما جاء في مجلة (العرب) عن تحديد الموقع : (في الجزأين الخامس والسادس الصادرين في شهري ذي القعدة وذي الحجة سنة (١٤٠٥هـ) ـ ص ٢٩١) بعد إيراد طائفة من الأخبار وأقوال المتقدمين عن ذلك السوق . وقبيلة بارق التي يقـع سوق حباشـة في بلادها لا تزال معروفة مستقـرة في مواطنها القديمة التي هي في غـور سـراة عنز والحجر ، وهي أزديـة قحطانية، صريحة النسب مـن مازن بن الأزد ، وقبيلـة بارق أخت قبيلة ألمع التـي لا تزال في بلادها القريبة من بلاد بارق، وقد تحدثت عنها في كتاب (في سراة غامد وزهران) . ويحد بلاد هذه القبيلة من جهة الشرق بلاد بني شهر من الحجر من الأزد أيضاً . وبارق بلادهم منتشرة في صدور قنونا ، وما حولها من فروع الأودية . ووادي قنونا من أشهر الأودية التي تخترق تهامة حتى تبلغ البحر عند مينـاء القنفـذة . وهذا الوادي لا يلي وادي حلي ـ كما يفهم من كلام الأزرقي ـ بل يفصل بينهمـا وادي يبـة (يقع وادي قنونا على خط العرض (١٠ً ـ ١٩) وجنوبه وادي يبه على خط عرض (٠٠ ـ ١٩ً) ثم وادي حلي : (٤٠ ـ ١٨ً) على وجه التقريب . والأدوية الثلاثة مشهورة قديماً ، ومعروفة الآن" [١].

ونقـول إن حمـد الجاسـر شخصية محايـدة ، وبعيد كل البعد عـن الطرفين ، وما

---

(١) الجاسـر ممـن اشار إلى موقع سوق حباشة ، وقال : إنـه في وادي قنونا ، وفي تهامة بلقرن التابعة إدارياً ، إلى عهـد قريب ، لمحافظة القنفذة . واليوم أنشئت محافظـة العرضيات التي تعود في تبعيتها الإدارية إلى إمـارة مكـة المكرمة . وأقول إن الجاسر وغيره ممن درسـوا موقع حباشة مازالوا جميعهم لا يعلمون أين مكانه الصحيح ، وكل الذي عندنا من بحوث ودراسات عن هذا السوق لا تستند على براهين قاطعة تحـدد الموقع الصحيـح لهذا السوق ، وإنما هـي تفسيرات فردية ، ومصادرهـا نصوص بعض المصادر المبكرة التقليدية التي هي الأخرى غير متفقة فيما دونت . (ابن جريس).

أورده الفقيه من نص للأزرقي كان قد غير مبناه فجاء هكذا " **في ديار الأوصام من بارق إلى صدر قنونا وحلي في ناحية اليمن**" فأبدل (من صدر قنونا) بعبارة (إلى صدر قنونا) ، والصحيح ما ورد عند الأزرقي في قوله (وهي في ديار الأوصام من بارق من صدر قنونا وحلي) . وهذا تجاوز من الباحث غيّر فيه المبني فتغير المعنى للجملة ، فبدلاً من أن تعني في ديار قبيلة الأوصام من بارق أصبح معناها أن موضع السوق يمتد من الأوصام إلى قنونا ، وتلك مسافة بعيدة لا يمكن أن يوجد السوق بها على امتدادها ، وإضافة لذلك تجاوز الأستاذ الفقيه إلى تغيير النصوص التاريخية ، يدل على تهاونه بالنصوص العلمية وتحريف مدلولاتها ، وبالتالي يدل على ما تواجهه قبيلة بارق من تداعيات لا تمت للحقيقة بصلة سوى أنهم يتحركون على عدة أصعدة لإثبات السوق بناحيتهم دون وجه حق[(١)] . وما ذكره الفقيه في مجلة حُباشة عن موقع قنونا ، وظنه أنه كان يتبع لبارق ثم تخلت عنه " **أظن أن بلحارث قد امتدت على الأرض في الأزمنة الماضية بعد أن انحسرت جارتها بارق عن أرض السوق وما حولها** "[(٢)] . وأقول أظنه استمد رأيه هذا من نص الهمداني ، عندما ذكر خبت البزواء ، وأذن ، ووادي عليب ، وقال إنها من مساقط بلاد بارق ، وهذا تخمين في غير محله ، بل ادعاء بالباطل لايستند لحقيقة تاريخية ، ولا تقره قبيلة بارق ، ولم نجد في تاريخ بارق ما يدل أن حدود بارق كانت تصل إلى وادي قنونا قديماً ثم تخلت عنها[(٣)] .

---

(١) يا أحمد أنت تكرر ما قال الجاسر ، ثم إن الجاسر نفسه غير متأكد من موقع السوق مع أنه أشار في دراسات أخرى بأنه ضمن وادي قنونا . فالاضطراب والاختلافات عن مكان هذا السوق واردٌ عند كل من درسه أو أشار إليه. أما . اتهامك الفقيه وغيره بأنهم يريدون إثبات السوق في ناحيتهم ، فليس هو وقومه الوحيدين في مثل هذا الشأن ، وإنما أمثالهم كثيرون، وأولهم أنتم يا أهل بارق وغيركم من منطقة عسير تسعون جادين لإثبات أن موقع هذا السوق في بلاد بارق الحالية ، وأصبحنا نعيش في نزاع محموم بين أهل قنونا وأهل بارق وقد يظهر لنا في المستقبل من أهلي حلي أو غيرهم من يدعون أن هذا السوق في اوطانهم الحالية . وأقول لكم جميعاً ومن يحذوا حذوكم في مناطق أو موضوعات أخرى عليكم بالتؤدة والتأني في كل ما تسعون إلى تحقيقه ، واخلعوا عباءات المناطقية والعصبية القبلية من على ظهوركم ، وتسلحوا بسلاح البحوث العلمية النزيهة والحيادية ، ولن يفصل هذا النزاع إلا بحوث أثرية وحفريات وتنقيبات علمية جادة تدرس كل المواقع المطروحة ، وقد نصل في النهاية إلى نتيجة علمية دقيقة تفصل في هذا الاختلاف . (ابن جريس).

(٢) انظر : مجلة حباشة ، عدد (١٥) ، ص ٢١ . (البارقي) .

(٣) كلامك يا أحمد غير علمي على الإطلاق ، نعم بارق الحالية لن توافق ولن تأخذ بهذا القول الذي ذكره الهمداني ، أو الفقيه أو غيره ، كيف يتم ذلك وصراعكم على أشده ، فكل فريق يدعي أنه على حق ، وحجته هي الأقوى . وأقول إن القبائل منذ العصر الجاهلي وعبر عصور الإسلام المبكرة والوسيطة ، وفي كثير من مواطن الجزيرة العربية ، يرحلون ويهاجرون من مكان إلى آخر ، بل هناك قبائل تضعف وتتقلص وأحياناً تتلاشى ، وهناك قبائل تبرز على الساحة ويندرج تحت مظلتها عشائر وبطون أخرى

وقولـه هذا محاولـة للتذاكي بهدف إيهام الجمهـور بأن الأرض كانت لبـارق قديماً ثم تخلـت عنهـا ، موظفاً نص الهمـداني ، وكل ذلك مغـزاه واضح لإثبـات أن السوق بقي ضمن ديار بلحارث الأزدية بعد تخلي بارق عنها وهذا القول عليه عدة ملاحظات منها: (أ) محاولـة القـول بأن موضع قرية الفائجة بقنونا كان يوماً يتبع لبارق ثم تخلت عنه ، وبالتالي يهدف هذا الادعاء إلى التخلص من دلالة النصوص التاريخية التي تؤكد على أن سوق حباشة في حدود بلاد بارق. (ب) من المعروف أن حدود بلاد بارق التاريخية لم تصل يوماً إلى حدود قنونا وقرية الفائجة ، ومنذ القدم تعرف حدود بارق التاريخية من الجهة الشمالية مع بلاد بلقرن (عمارة) ، هي وادي ثالم وجبل الموعر وجبل المروتين ، فلـم تعرف قبيلة بارق أن لهم حدود في قنونا وقد تخلوا عنها ، ذلك ما يثبته كبار السن أبنـاء بارق ولا بلقرن ولم يسمعوا بـه من قبل ، ولم يرد به نص تاريخي لا في الماضي ولا في الحاضـر. ويبقـى مجرد محاولة لتمييع النص التاريخـي لكسب موقف يميل لكفته ؛ والحـق أن الأستاذ حسن الفقيه قد جانب الصواب [1]. (ج) يعد هذا القول أحد الأدلة الصريحـة علـى ما تواجهه بارق من تعديات ثقافية وادعـاءات رائجة لا صحة لها . ولا تمـت للواقع بصلة ؛ مغزاهـا معروف وهدفها مفهوم وهو إثبـات السوق بنواح لا تتصل بحقيقـة تاريخية بسـوق حباشة ، وبلا شك أن ما يدفع هـذه الادعاءات دوافع شخصية وأهـواء بشرية محضة لا تقر للتاريخ حقيقته ولا تعطـي للتحقيق العلمي فرصته ، وإنما تبقى دوافع مناطقية تغلـب الهوى على حقائق التاريخ الراسخة ، والنصوص التاريخية الشاهدة ، بأنه في بلاد بارق ، وذلك ما يستدعي سرعة تدخل الجهات المختصة لإيقاف هـذا الجموح المحمـوم والتضارب الثقافي المدفوع ضد بـارق وحضارتها التي تكفلها لها مراجع التاريخ والآثار ومظان الكتب والأخبار [2].

. وقولكـم أن الأزديـين من بارق أو غيرها في السراة أو تهامة في أماكنهـا الحالية منذ العصر الجاهلي فهـذا قـول خاطئ . وبارق الحالية ، أو غيرها من عشائر الأزد في السروات أو تهامة توزعت وانتشرت أو هاجرت أو تقلصت ، وإذا استطعنا معرفة تنقلاتهم وانصهارهم مع بعضهم البعض أو مع غيرهم منذ خروجهـم من اليمن حتى استيطانهم أماكنهم الحالي فربما نصل إلى بعض الحقائق التي تجاوب على ما يواجهنا من لبس أو غموض عن كثير من أخبارهم السياسية والحضارية . (ابن جريس) .

(١) إن الوقوف مع نصوصك هذه يا أحمد والتأمل فيها لا تفيد ولا توصلنا إلى نتيجة واضحة نستند عليها ، وقولك إنه لم يرد نص ينفي أو يثبت ما ذكره الفقيه ، أو أن كبار السن والمعمرين نفوا ما أشار إليه حسن الفقيـه ، فكل هذه الأقوال لا يسندها برهـان أو دليل . والمشكلة نفسها عند الفقيه أو غيره ممن يؤيدون قولـه . أمـا أن بـارق كانت في مكان غير مكانها الحالي ، أو أنها كانـت صاحبة نفوذ أوسع مما هي عليه الآن فذلك أمر يحتمل وقوعه ، ولا تملك يا أحمد الدليل القاطع الذي ينفي هذا القول . (ابن جريس).

(٢) أكرر قولي لك يا أحمد وغيرك من أهل بارق أو تهامة بلقرن أو قنونا ، بأن الواجب على الجميع التحلي

الخلاصة :

هذا بعض ما جاء في كتب المتقدمين والمتأخرين عن سوق حباشة ، وهناك المزيد ولا تتسع الدراسة المختصرة لذكرهم خصوصاً من مؤرخي العصر الحديث الذين يجمعون على وجوده ببلاد بارق لإجماع المؤرخين المتقدمين [١] . وإلى هنا فقد ثبت لجميع المؤرخين والباحثين أن السوق في حدود بلاد بارق[٢] . وعليه ، فما ظهر ممن يدعون أن السوق تقع في القنفذة أو قنونا أو غيرها ، إنما هي مغالطات واعتقادات باطلة وأهواء شخصية لا تمت للواقع بصلة ، وعلى كل باحث ومؤرخ أمانة دحضها والتصدي لها بالحقائق ومادلت عليه النصوص ، وتطبيقها على أرض الواقع ، لتستبين الحقيقة ، وتتجلي الغمة

بحسن الخلق وجودة الطرح البعيد عن المناكفات التي لا فائدة منها ، والابتعاد عن رمي بعضكم البعض بالاتهامات التي لا تجدي ولا تفيد مسيرة العلم والمعرفة الحقيقية .كما أوجه نداء أيضاً إلى الجهات المختصة بحماية ودراسة المواضع التاريخية والأثرية أن تضع نصب عيونها الانصاف والاجتهاد في الوصول إلى الحقيقة الواضحة التي تحل المشكلة ، وذلك لن يتم إلا بالتعاون المثمر بين هذه الجهات وأصحاب الاختصاص من علماء الآثار الجادين الذين ليس هدفهم إلا معرفة الحق والحقيقة . ويوجد في هذه البلاد ، ولله الحمد ، أقسام علمية أكاديمية جيدة . كما أن هذه الأقسام والهيئة العليا للسياحة يستطيعون أن يجلبوا من خارج البلاد أكاديميين مميزين يدرسون آثار وموروث هذه الأمكنة المختلف عليها . وأحذر الجميع من أهل البلاد ، أو من صناع القرار، أو من الأساتذة المتخصصين ألا ينخدعوا أو ينساقوا وراء بعض النداءات التي ليس هدفها إلا فرض حقائق مزيفة لا تقوم على سند علمي قوي . نحن جميعاً وفي أي مكان نبحث عن الصدق والواقع ليس إلا ، ولا يهمنا كيف تكون النتيجة إذا قامت على حوار ونقاش علمي صادق ورصين . (ابن جريس).

(١) أسمع وأقرأ عن المتأخرين الذين ناقشوا ودرسوا سوق حباشة، ومعظمهم يذكرون وجوده في أماكن متباينة من تهامة بلقرن، وفي نواح من شرق القنفذة ، ولا أجد ذكراً كثيراً أو دراسات منشورة تذكر وجوده في بلاد بارق الحالية وأنتم يا أهل بارق مؤخراً ومعكم فرع الهيئة العليا للسياحة في أبها، وربما بعض الأعلام الآخرين في إمارة منطقة عسير ، أو جامعة الملك خالد وغيرها يقولون ويصرون أن هذا السوق في محافظة بارق الحالية، وللأسف أن الذين يدعون أن هذا السوق في ناحية قنونا ، وأيضاً الفريق الذين ينادون بوجوده في بارق لا يملكون براهين قاطعة تحدد هذا السوق ، وكل ادعاءاتهم تقوم على نصوص مبهمة عند بعض المؤلفين المتقدمين ، وكلا الفريقين يدافع عما يريد إقراره وإثباته، وفي اعتقادي إذا اقتصروا فقط على هذه المصادر التقليدية فلن يصلوا إلى حل لهذه المشكلة ، والواجب على كل من له اهتمام بسوق حباشة أن يسخروا الغالي والنفيس في دراسة هذه المواقع المتنازع عليها وغيرها دراسة علمية أثرية لعلهم يصلون إلى حقيقة بينه وواضحة . (ابن جريس).

(٢) أنت تقول يا أحمد ثبت لجميع المؤرخين والباحثين أن السوق في حدود بارق " ، وتقصد بارق الحديثة ، وهذا قول غير صحيح ولا دقيق ، نعم ورد اسم بارق ، أو بلاد بارق عند المتقدمين ، لكن أعتقد أن أرض بارق الحالية ليست الأرض نفسها القديمة ، وليس عندكم برهان قوي يثبت ذلك ، ولو عرفتم من أين نزلت بارق من السراة إلى تهامة ، ثم كيف ساحت في الأرض حتى استقرت في مكانها الحالي ، فربما تصلون إلى إجابات لبعض النقاط الغامضة عن أرض وسكان هذه القبيلة ، وتصلون أيضاً إلى بعض الصور التقريبية التي تبين موقع هذا السوق من تهامة الممتدة من شرق القنفذة إلى وادي حلي . (ابن جريس).

إزاء هـذا الجـدل المصطنـع[١]. ولما تقدم مـن عرض تاريخي وعلمـي مدعم بالمصادر والمراجع التاريخية التي تناولت موقع سوق حباشة عبر التاريخ، يتضح جلياً أن ما ذهب إليـه القائلون بأن سوق حباشـة بقرية الفائجة بالقرشة ببلقرن إنما هي أقوال واهمة لا ترقى حتى لمستوى الاجتهادية ، بل شخصية تدفعها نزوات وتعصبات تفتقر إلى الدلائل والشواهـد الأثريـة ، التي توصل للقناعة وتقطع الشك باليقـين ، وهذه الأقوال المجانبة للصـواب تمثل تجـاوزاً متعمداً لمعايير الدراسـة العلمية للآثار[٢] ، وتجـاوز على تاريخ وحضـارة بارق المشهود له تاريخيـاً بالدلائل والبراهين ، وبهذا تتبـين الحقيقة العلمية ، وتفنيـد مـا جاء من ادعاء لهـؤلاء حول السوق ، جاءت بمغالطـات للحقيقة التاريخية المعروفـة من المراجع والمصادر ، وجاء مغالطاً للشواهد الآثارية التي لا تتفق مع الموضع المحـدد بتاتاً ، فـلا شواهد ولا نقوش ولا آثار أبداً ، تسمـح بتأييد هذا الادعاء الباطل ، والتعدي على حضارة وتاريخ بارق[٣].

---

(١) جميعكم الفرقاء المتصارعون حول موقع السوق ، أوجدتم جدلاً مصطنعاً عقيماً ، وقد يظهر غيركم في المستقبل ويدعي أن هذا السوق في أمكنة أخرى غير المذكورة في بحوثكم وأطروحاتكم ، وأقول لكم جميعاً ولمـن يأتي بعدكـم لن تصلوا إلى حل جذري لهـذه المشكلة ، إلا إذا توصلتـم إلى دراسة أثرية وحفريات وتنقيبات علمية تؤكد أن هذا السوق في موضع محدد ، أما البقاء في محيط هذه الاتهامات ، والتشكيك في اعمـال وأقوال ونيات بعضكم البعض ، فلن تصلـوا ولن نصل معكم أيضاً إلى نتيجة وقرار نهائي في هذا الخلاف . (ابن جريس).

(٢) سمعت وقرأت بعض أقوالكم يا أهل بارق ، وأيضاً وجهات نظر وأقوال أهل العرضيات ، فوجدتكم فقط مبدعـين في توجيـه التهم لبعضكـم البعض ، وليس عندكـم أدلة دامغة تقطع هذا الجـدل ، وإذا بقيتم بهذه الطريقة فلن نصل إلى حل أبداً ، وأقول لكم تعقلوا وأرشدوا وابتعدوا عن الإساءة لبعضكم البعض وتعاونـوا لتخرجوا لنا معارف وعلوماً صادقة حقيقية تبـين موقع هذا السوق التاريخي ، وهذا ما نرجوه ونأمله . (ابن جريس).

(٣) عشـيرة بارق والبارقيون منذ العصر الجاهلي وعبر أطوار التاريخ الإسلامي مشهود لهم بالقدح المعلى في إسهاماتهـم التاريخيـة والحضاريـة داخل الجزيرة العربيـة وخارجها ، ولا ينكر ذلـك إلا جاحد أو حاقـد ، ومـن يستقرئ كتب الـتراث الإسلامي يجدها مليئـة بذكر هذه العشيرة ومـن ينتمي لها . لكن المشكلـة التـي نعيشها في هذا البحث هـو موقع سوق حباشة ، الذي ذكر أنه في بـلاد بارق قديماً ، وأهل بـارق الحاليـون يبذلـون كل ما في وسعهم علـى أنه في ناحية ما مـن محافظة بارق اليـوم ، ويدعون أن المصـادر أثبتت ذلـك ، والآثار والنفوس وغيرها أكدت هذا القول ، حسب زعمهم ، وعند مراجعة تاريخ البارقيـين من الجاهلية إلى آخر العصور الإسلامية وبدايات العصر الحديث ، وكذلك مشاهدة الكثير مـن النقوش والآثار في تهامة مناطـق الباحة وعسير ، فلم نستطع أن نتوصـل إلى معلومات صحيحة لا غموض فيها تؤكد لنا التطور التاريخي لهـذه العشيرة منذ نزولها من السروات إلى تهامة ، ولم نستطع أيضـاً أن نصـل إلى حقيقـة صحيحة تؤكد وجود هذا السـوق في ناحية بارق الحديثـة والمعاصرة ، وكل مـا يسعـون له أهل بارق ومن قبلهم أهـل قنونا وتهامة بلقرن تعد فقط اجتهـادات وإصرارات لا تخضع لحقائق علمية تفصل القول في هذه الاختلافات والادعاءات . (ابن جريس).

رابعاً : وجهات نظر :

بعـد الاطلاع على هاتين الدراسـتين من أستاذين تهاميين كريمين خرجت بالعديد من الرؤى ووجهات النظر التي أذكرها في النقاط التالية :

١. نشكـر هذين الباحثين على حبهما لأهلهمـا وبلادهما ، فتراهما يعملان ما في وسعهمـا لدراسة تاريـخ وتراث وحضارة أوطانهما . وهذا ، كما ذكرت سابقاً ، مـن بـاب الوفاء وحب الأوطان . ونأمل أن نـرى مثلهما في ديارهما ، وفي بلدان أخـرى من أرض تهامة والسراة التي هي فعلاً بحاجة كبيرة إلى دراسة تراثها وتاريخها وآثارها وحضارتها عبر عصور التاريخ .

٢. كل واحد من هذيـن الدارسين ، ووراءهما من يساندهما من بلادهم ، يدّعون أن سوق حباشة في محيط بلادهم ، وحجتهم ما ذُكر من نصوص محدودة عند بعض كُتاب التراث الإسلامي المتقدمين . وقد وجدت في هذين البحثين إصراراً شديـداً ، وتشنجـاً أحياناً ، عند كل من الأستاذيـن في الدفاع عن ما يدعيان ، ولا يتـورع الواحد منهما عـن تطويع بعض الأقوال ، والمفردات ، والعبارات التي وردت في النصوص القديمة من أجل خدمة ما يسعى إلى تحقيقه . وقد ذكرت في أكثر من حاشية من بحثيهما ، بأن ما يسلكانه من تشدد وتعصب لن يخدم الهدف العلمي السامي الذي يقود إلى معرفة المكان الصحيح لهذا السوق .

٣. ليسـ الأستـاذان الرزقي والبارقـي أول من يدرس موقع هـذا السوق الجاهلي ويختلفـان في موضعه الصحيـح ، وإنما هناك بحوث حديثـة ناقشت نصوص المتقدمـين من مدوني التراث الإسلامـي ، وجميعهم خمنوا موقع هذا السوق ، ولا نجـد دليلاً قاطعاً يطلعنا علـى مكانه الدقيق حتى هذه اللحظة . ومع تطور وسائل الإعلام والتواصل نجد وتيرة الاختلافات والصراعات العلمية والثقافية تـزداد بين مـن يسعون إلى معرفة هـذا السوق . وهذان البحثـان وصاحبيهما ليسـ إلا أنموذجاً مـن هذا الاختلاف . وهذا ما سمعتـه وشاهدته وقرأت عنه في هـذا العام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) ، عندما تجولت في البلدان التهامية الممتدة مـن محافظة محايـل في تهامة عسـير إلى محافظة قلوة في تهامـة زهران[١] والشـيء المحـزن الـذي سمعته أيضـاً وعرفته في هـذه الجولـة أن بعضاً من

(١) انظـر تفصيـلات أكثر عن هذه الرحلة وما تم تدوينه من خلالهـا في القسم الثالث من هذه الموسوعة: القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، الجزء الثاني عشر ، وهو السفر الذي نحن بصدده . (ابن جريس) .

أساتذة جامعتي الملك خالد والباحة وبعض المسؤولين في الإمارات والمحافظات وفروع الهيئة العليا للسياحة في منطقة عسير ، وبلاد القنفذة والعرضيات وما حولها لا يتورعون من الانخراط في ميدان الاختلافات المتضاربة عن موقع سوق حباشة ، وتراهم أيضاً مختلفون ، فهناك من يدعي أنه في تهامة بلقرن وفي إحدى نواحي وادي قنونا ، وآخرون يقولون إنه في محيط محافظة بارق الحالية ، وآراء أخرى تقول في أمكنة أخرى من واديي حلي أو قنونا أو غيرهما. ومعظم الآراء والأقوال التي سمعتها لا تقوم على براهين منطقية وواقعية ، وإنما دافعها العنصرية والتعصب لناحية دون أخرى . كما أن بعض المشرفين أو الموظفين في فروع هيئة السياحة والآثار في منطقة عسير ، أو بلاد القنفذة، وعدداً محدوداً من المهتمين في الإدارة الرئيسية لهذه الهيئة في الرياض لم ينجوا من هذه الصراعات والاختلافات الثقافية المحمومة حول موقع هذا السوق. وأقول للجميع يجب أن يكون النبراس الأساسي والأهم هو الوصول إلى الحقيقة عن مكان هذا السوق، ولن يتم ذلك إلا بإنشاء فريق أثري علمي عملي يدرس المواقع المختلف عليها ، وإن حصل ذلك فقد نصل إلى بعض الحقائق الفاصلة التي تبين موقع هذا السوق .

٤. لاحظت ارتفاع بعض النداءات والأقوال ، بل اطلعت على بعض الخطابات أو المدونات والتقارير الرسمية والأهلية عند بعض أهالي محافظة العرضيات ، وسكان وعشائر محافظة بارق [١] ، وكل من هذين الفريقين المختلفين في تحديد مكان سوق حباشة ينادون بإعادة بعث سوق حباشة في بلادهما ، حتى يصبح مثل سوق عكاظ في محافظة الطائف الذي أصبح يعقد سنوياً في احتفالية رسمية عالمية [٢] . وأقول إن هذه المطالب من سكان هذه الأوطان التهامية

(١) يوجد في مكتبة الباحث العديد من هذه المدونات والخطابات ، ومعظمها لا تقوم على دراسات علمية رصينة ، وإنما كتبت وأرسلت بدافع التعصب للأهل والمكان ، وهذا عمل لا يستقيم مع المناهج العلمية والبحوث والدراسات الأكاديمية الحيادية.(ابن جريس) .

(٢) سوق عكاظ أشهر أسواق العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، ومكانه في الجهة الشمالية الشرقية من حاضرة الطائف ، ويبعد حوالي (٤٥- ٥٠) كيلو متر من وسط مدينة الطائف اليوم . قامت العديد من المحاولات في العصر الحديث تدعو إلى إعادة إحياء هذا السوق، وقابلت هذه الدعوات رفضاً دينياً كبيراً ، وأيضاً اختلافات عديدة في معرفة مكانه الدقيق، وأخيراً تم التوصل إلى عقده في مكانه الحالي عند التقاء الطريق التي تربط بين مدينة الطائف والطريق الذاهب إلى الرياض ، ويبعد عن مطار الطائف بالحوية حوالي (١٠-١٢) كيلومتر. ونجد أن الاختلاف بين المتقدمين والمتأخرين عن موقع هذا السوق يدور في محيط مكانه الحالي ، إلا أن المكان الذي يقام فيه السوق بشكل دقيق هو نقطة الخلاف ، والأمكنة المختلف عليها ليست متباعدة كثيراً عن بعضها البعض . المصدر: قدم

وجيه، لكننا حتى هذه الساعة لا ندري أين موقع هذا السوق هل هو ناحية وادي قنونا ؟ أم هو في محافظة بارق الحالية ، كما يدعي أهلها؟ إنها فعلاً معضلة كبيرة ، فالمسافة من وادي قنونا إلى بارق الحالية بعيدة جداً . وسوق عكاظ الذين ينادون بالمساواة به مازال حتى الآن مختلفاً على مكانه الصحيح ، لكن الاختلافات حول ذلك السوق معقولة لأنها فقط تدور في محيط كيلومترات محدودة ، وقد تم تجديد معظم المواقع المختلفة عليها في مكان واحد عام عرف اليوم بعكاظ ، وصار السوق في محيطها . أما سوق حباشة فالفرق كبير، والمناطق المختلف عليها متباعدة جداً ، وأرى أنه من الصعب تخمين مكان بعينه . ثم إطلاق اسم (سوق حباشة) عليه . وأقول لكل من له اهتمام بهذا الشأن من أهل تهامة في العرضيات أو بارق ، أو من له رأي ، أو قول ، أو قرار، أو حتى باحث أو دارس، أن لا ينساقوا وراء النعرات العشائرية والقبلية ، فلا يكون هدفهم إلا الانتصار لأنفسهم أو أهلهم دون الالتفات إلى القول الحق ، والحقيقة الأكيدة التي يقوم عليها إعادة بعث هذا السوق. نحن لا نقول إن ذلك مستحيل ، لكن مما سمعت وقرأت وشاهدت في محيط بلدان تهامة والسراة القريبة من هذه الأمكنة ، المدعى أنها في محيط حباشة أو قريبة منه ، لا تنبي بالوصول إلى الحقيقة التي نرجوها ونتطلع إليها . وإذا نجح فريق على الآخر دون الاستناد على براهين أثرية وحفريات وتنقيبات علمية قاطعة ودامغة لمكان السوق الحقيقي ، وإلا فلا جدوى من هذه النداءات والتحقيقات والأقوال والآراء والتقارير التي يغلب عليها الصبغة المناطقية والعنصرية القبلية. (والله من وراء القصد).

الباحث محاضرة في موسم مهرجان سوق عكاظ الثاني في الفترة من (١٨-١٤٢٩/٨/٢٥هـ الموافق ١٩-٢٠٠٨/٨/٢٦م) ، والورقة المقدمة بعنوان: سوق عكاظ عند المتقدمين والمتأخرين (دراسة تاريخية) . (ابن جريس).

خامساً : بعض التصويبات والإضافات على كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء التاسع) . بقلم أ . علي بن محمد بن سدران الزهراني [(١)] .

م	الموضوع	الصفحة
أولاً :	مدخل	٢١٠
ثانياً :	تصويبات وإضافات على كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء التاسع	٢١٠
ثالثاً :	خلاصة القول	٢٤٥

أولاً : مدخل :

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ، وبعد : في بدء مقالي أود أن أصحح بعض ما ورد في كتاب الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس الشهري : "**القول المكتوب في تاريخ الجنوب**" **الجزء التاسع** ، من أخطاء أغلبها نحوية ، وليت الدكتورين : أنور العزاني، أستاذ النحو المساعد ، والدكتور : إبراهيم بن محمد أبو طالب ، أستاذ الأدب المشارك ، راجعا الكتاب كله ولم يكن أغلبه أو أجزاء منه ، لتلافي الأخطاء الشاملة الواردة في المتن والحاشية[(٢)] .

ثانياً : تصويبات وإضافات على كتاب القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء التاسع) :

صفحة (١٣) السطر السادس : "أن يأت" . الصواب : "أن يأتي" . **صفحة (١٧)** السطر الثاني عشر : "دورًا كبيرًا" . الصواب : "دور كبير" . **صفحة (١٧)** ألا ترى أستاذي أنَّ ملوك اليمن لم يصل حكمهم إلى شمال اليمن ، لِما ذكره صاحب كتاب " تاريخ العرب القديم " بيومي مهران . حين أشار إلى لقب ملوك حمير بعد أن ضموا بعض البلاد اليمنية إلى مملكتهم ، فقال (ص ٣٠٠) : "وعلى أي حال ، فإن عصر

---

(١) للمزيد عن الأستاذ علي بن سدران انظر متن وحاشية مشاركته في الدراسة الأولى بهذا القسم .(ابن جريس) .

(٢) الأستاذان الآنف ذكرهما أعلاه يعملان في كلية العلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة الملك خالد. وهما من دولة اليمن الشقيقة ، ولهما جهود علمية مباركة في تخصصاتهما . كما أن صاحب هذه الملحوظات (ابن سدران) أرسل أيضاً دارسة أخرى حول قبيلة دوس وقدم إسلامها ، وقد نشرناها مستقلة في المحور الأول من هذا القسم . (ابن جريس) .

الدولـة الحميرية هـذا ، إنما تميز كذلك بأن لقب الملوك سرعـان ما تغير مرة أخرى ، فأصبح الواحد منهم يلقب بلقب : "ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات ، وأعرابها في المرتفعـات وفي التهائـم" . قلـت: ومعلوم أن الهاء في كلمة "أعرابهـا" يعود إلى "سبأ وذي ريـدان وحضرمـوت ويمنـات" . والمناطق الشمالية عن عسـير ، ليست من أعراب هـذه القبائـل اليمانيـة المذكورة . ولعل قوله : "في المرتفعـات وفي التهائم" إنما يقصد مرتفعـات اليمـن وتهائمها . لقول جواد علي ، صاحب كتـاب "المفصل في تاريخ العرب قبـل الإسـلام (٦/٢٢) : "وليس مـن السهل أيضًـا تصور بلوغ نفوذ "ملـوك سبأ وذي ريـدان وحضرموت ويمنت وأعرابها في الجبـال وفي تهامة المواضع التي ذكرها إخباريو اليمن وقد رأينا آثار الوهن بادية على تلك المملكة .." . فكيف نوفق بين هذا القول ومن قـال عـن حكم الملك "أب كرب أسعـد" : قد امتد إلى التهائـم ـ بأعرابها وقراها ـ وإلى قبائـل "معد" التي تمتد منازلهـا من نجران إلى مكة ونجد" . فهل انحسر حكمهم عن هذه المناطق بعد هذا الملك ؟ ثم إن من تفرّد بهذا اللقب من ملوك حمير إنما هو : "أب كـرب أسعـد" ، لقول جواد علي في : "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٤/٢٢٣) : " ويلاحظ أن أهل الأخبار قد صيروا اسم "أب كرب أسعد" "أبكرب أسعد" "أبي كرب أسعـد" على هـذا النحو : "أسعد تبـع" و"أسعد تبع ابن ملكيكـرب" و"أسعد الكامل" ، فأسقطـوا "أب كرب" "أبكرب" منه ، وأخـذوا الجزء الأخير منه وهو "أسعد" . ويظهر أن فتوحاتـه كانـت قد تركت أثرًا في ذاكرة أهل اليمن، .. وقد تولى هذا الملك ـ على رأي المستشرقـين ـ الحكم منفـردًا من سنة (٤٠٠) بعد الميلاد حتى حـوالي سنة (٤١٥) أو (٤٢٠ب . م .) على رأي، أو من سنة (٣٨٥) حتى سنة (٤٢٠ب . م .) على رأي آخر ، أو من سنة (٣٧٨) حتى سنة (٤١٥ب . م .) على رأي "فلبي" . والذي أراه أن حكمه امتد إلى مـا بعد السنة (٤٣٠) للميلاد، كمـا سأشرح ذلك في موضعه. وقد أضاف إلى لقب "ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت" الذي ورثه من أبيه إضافة جديدة في آخره، هي : "واعربهمو طودم وتهمتم" ، أي : "وأعرابها في الجبال وفي التهائم" ، فصار بذلك أول ملك يحمل هذا اللقب" [١] .

صفحـة (١٨) أراك لم تتطـرق إلى ولاة زهران وغامد الذين عينهم الرسول (ﷺ) في عهـده ، أو أولئك الذين سبقوا عهده فمن ولاة زهران الذين عينهم المصطفى (ﷺ)

---

(١) نحـترم رأيـك يا أستاذ علي وكل من كتب عـن بلاد اليمن وعن ملوكها ، وأقـول إن تاريخ اليمن القديم مـازال يحتـاج إلى دراسات أعمق وأشمل مع الاعتماد على الحفريـات والتنقيبات الأثرية التي قد تظهر لنا بعض التفصيلات والأخبار المخالفة لما وصلنا في الكتب والدراسات المطبوعة .(ابن جريس) .

على دوس (وهران) الصحابي الجليل : سَعْدِ بْنِ أَبِي ذُبَابٍ أو ذباب الدوسي(رضي الله عنه)، واستمر واليًا على دوس (زهران) حتى عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، جاء في التاريخ الكبير للبخاري (٤/٤٦): عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي ذُبَابٍ قَالَ : قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْلَمْتُ فَقُلْتُ : اجْعَلْ لِقَوْمِي مَا أَسْلَمُوا عَلَيْهِ ، فَفَعَلَ وَاسْتَعْمَلَنِي عَلَيْهِمْ ثُمَّ اسْتَعْمَلَنِي أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا". أمَّا ولاتهم في السراة قبل الإسلام فقد ذُكر منهم : مالكٌ بن فهم الدوسي ، وأخوه عمرو ، وحممة بن رافع ، وابنه عمرو بن حممة وغيرهم ، وهناك في عُمَان آل الجلندي ، وجذيمة الأبرش في الحيرة بالعراق ، وسَلِيمة بن مالك في مكران ببلاد فارس ، ومن قبل هؤلاء كان مالك بن فهم الدوسي[1].

صفحة (١٩) السطر الأول : العبارة في الطبري كالآتي : "وَبَعَثَ مَعَهُ – أي مع فروة – خَالِدَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ عَلَى الصَّدَقَةِ" ، بزيادة (معه). **صفحة (٢٠)** السطر السادس: "سعد بن العاص". والصواب : "سعيد بن العاص". **صفحة (٢٤)** السطر السابع : الذي في كتاب : المحبر (١/٣٣) هي : ريطة بنت عبيد (وقيل عبيدالله) بن عبد الله بن عبد المدان بن الديان .. (بزيادة : عبيد) . وصفحة (٣١) السطر (١٤) **صفحة (٢٤)** السطر الحادي عشر : الذي في تاريخ الطبري (٧/٤٥٩) : ووجه محمد بن يزيد بن عبد الله بن عبد المدان على اليمن . فاسمه "يزيد". وليس "زيد". وكذلك في نهاية الأرب في فنون الأدب (٢٢/٦٠) . **صفحة (٢٥)** (قلد الخليفة العباسي المقتدر: محمد بن يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم الجهضمي الزهراني الأزدي ، قضاء القضاة سنة : سبع عشرة وثلاث مائة . وهو منصب يعادل وزير العدل في هذه الأيام ، فلماذا لم تشر إليه (وحديثك عن الأزد بعامة) ، وهو كان في أكبر منصب قضائي في ذلك الزمان ؟ وهو واحد من أربعة قضاة من زهران تولوا هذا المنصب في دولة بني العباس[2]. **صفحة (٢٦)** ومن ولاة **زهران** : " **أبو هريرة** رضي الله عنه ، كان

(١) أشكرك يا ابن سدران على هذه الإضافات العلمية الجيدة ، وأرجو وأتمنى أن تفرد لنا دراسة مستقلة عن التاريخ الإداري والمالي في سروات غامد وزهران منذ قبل الإسلام وخلال القرون الأولى من العصر الإسلامي . وهذا الموضوع فعلاً يستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية ، وإن لم تستطع يا ابن سدران إخراج دراسة عن هذا العنوان فأرجو أن نرى أحد الباحثين الجادين في منطقة الباحة فيخرجه في هيئة بحث أو دراسة علمية موثقة .(ابن جريس) .

(٢) هذه الدراسة جهد لا ندعي فيها الكمال ، وليس من طبعي أو منهجي أن أغمط حق أحد، ونحن جميعاً طلاب علم ، وهناك الكثير من الأعلام المشاهير في الدولة الإسلامية عبر أطوار التاريخ الإسلامي وبعضهم من أرض تهامة والسراة ، ونأمل أن يظهر في المستقبل من يحصر هؤلاء الأعلام ويكتب عنهم دراسات مطولة .(ابن

علـى البحرين زمن عمـر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، وأحيانًا على إمـرة المدينة النبوية ، زمن معاوية بن أبي سفيان(رضي الله عنه) وجنادة ابن أبي أمية العبري ثم الزهراني الأزدي . (رضي الله عنه) ، أمير البحر في عهد معاوية بن أبي سفيان(رضي الله عنه)، وكثير غيرهم. انظر : تاريخ الطبري : (٨/ ٢٥) ، والكامل لابن الأثير : (٥/ ٥٨٢) . وتاريخ خليفة بن خياط: **صفحـة (٤٢٥).** و" عبـد الجبار بـن عبد الرحمن بن زيد بن قيل بـن قيس بن زيد بن جابـر بـن رافد بن سبالة بن عامر ابن عمرو بن كعب بن الحارث بن عبد الله بن عامر بـن بكـر بن يشكر بن مبشر بن الصعب بن دهمان ابن نصر بن زهران" . ولاه المنصور خراسـان سنـة أربعين ومائة للهجرة ، واستخلف على شرطـه أخاه عبد العزيز بن عبد الرحمـن الأزدي .و" عقبـة بن سلم بن نافع بن هلال بن صهبان بن هراب بن عائذ بن خنزيـر ابن أسلـم بن هناءة ابن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدثان بن عبد الله بـن زهـران " ، استخلفه محمد ابن أبي العباس السفاح ، على البصرة سنة مائة وسبع وأربعين للهجرة، فأقره المنصور على ولايتها وأضاف إليه البحرين ، فشخص عقبة إلى البحريـن ، واستخلف على البصرة ابنـه: نافع بن عقبة ، سنة خمسين ومائة[1]. وكثير غيرهم .

ومـن رجال غامـد : ورد في : تاريخ أصبهان = أخبار أصبهـان (١/ ١٠٠): مِخْنَفُ بْـنُ سُلَيْـم ابْنِ الْحَارِث بْنِ عَوْف بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَامر بْنِ ذُهْل بْنِ مَازِنِ بْنِ ذُبْيَانِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بـنِ الدُّوَلِ بن سَعْد مَنَاةَ بْنُ غَامد ، (رضي الله عنـه) ، اسْتَعْمَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالب (رضي الله عنه) ، وَوَلَّاهُ أَصْبَهَـانَ" . وسفيـان بن عوف الغامدي(رضي الله عنـه) ، قائد الأسطول الحربي زمن معاوية بن أبي سفيان(رضي الله عنه) وغيرهم . وعبد الرحمن بن نعيم بن زهير بن شهر بن رزيـق بن عامر بن ذهل بن التوأم بـن بكر بن ثعلبة ابن الدول بن سعد مناة بن غامد. كان شريفا ، من وجوه خراسان ، ولاه عمر بن عبد العزيز رحمه الله خراسان سنة مائة للهجرة " . والبحث يتطلب منك ذكر بعض هؤلاء مع مَن ذكرت من ولاة السراة ، لكونك تتحدث عن بلاد الأزد وأعلامها [2]. **صفحة (٢٧)** السطر الرابع : صحة اللفظة (ثِمَالُهم)

جريس) .

(١) تاريخ الطبري : ٨/ ٢٥ ، الكامل لابن الأثير : ٥/ ٥٨٢ . ،تاريخ خليفة بن خياط : ٤٢٥ .(ابن سدران) .

(٢) أقـول بلاد السـراة وتهامة مازالت بحاجة ماسـة إلى دراسة تاريخها وحضارة أهلهـا خلال عصور التاريخ القـديم والإسلامـي . ونأمل مـن طالباتنا وطلابنا في أقسـام التاريخ في المملكة العربيـة السعودية (برامج الدراسـات العليا) أن يقوموا بدراسة هذه الأوطان وغيرها من البلدان المنسية عند كتاب التراث الإسلامي

(الثمال : الغياث الّذي يقوم بأمر قومه) قال الشاعر عبد الله ابن الزبعري[١]:

وقــد علـمت عليـا مـعـدّ بـأنـكـم ثـمـالـهـم في المضـلعات الـنـوائـب

صفحة (٢٨) السطر الخامس: هناك اختلاف بين عهد أبي بكر (رضي الله عنه) ، الذي كتبه لأهل نجران ، في كتابَي: تاريخ الطبري ، وكتاب : الخراج " . وهو اختلاف جوهري لم يشر إليه الدكتور . **صفحة** (٢٨) السطر الخامس عشر : كتاب عمر (رضي الله عنه) ، الذي أورده الأستاذ الدكتور في هذه الصفحة لم أجده في النسخة التي بحوزتي من كتاب البلاذري ، وإنما أورد جزء منه البكري في كتابه : "معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (٢/ ٦٦٠) . **صفحة** (٢٩) السطر الثاني : كتاب عمر (رضي الله عنه) ، لأهل نجران ، ليس في كتاب البلاذري كما ذكر الأستاذ الدكتور ، ولعله في كتاب آخر ، لكن ورد في كتاب "الخراج" : " أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : "وَجَّهَ يَعْلَى بْنَ أُمَيَّةَ إِلَى أَرْضِ نَجْرَانَ ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَأْمُرُهُ أَنْ يُقَاسِمَ أَهْلَ الأَرْضِ عَلَى الثُّلُثِ وَالثُّلُثَيْنِ مِمَّا أَخْرَجَ اللَّهُ مِنْهَا مِنْ غَلَّةٍ ، وَأَنْ يُقَاسِمَهُمْ ثَمَرَ النَّخْلِ مَا كَانَ مِنْهُ يُسْقَى سَيْحًا ؛ فَلِلْمُسْلِمِينَ الثُّلُثَانِ وَلَهُمُ الثُّلُثُ وَمَا كَانَ يُسْقَى بِغَرْبٍ فَلَهُمُ الثُّلُثَانِ وَلِلْمُسْلِمِينَ الثُّلُثُ" . وكذلك في كتاب : مجموعة الوثائق السياسية ١٩٣ . وحبذا لو أورد الدكتور عبارة : "وسراة نجران" الخالية من التشكيل ، على النحو التالي : "وسُرَاة نجران" . لأن المقصود : بها هنا : كبار القوم ، حتى لا يظن القارئ أن الخطاب موجه للنصارى الذين في سَراة جنوب الجزيرة العربية وإنْ كانت وجهتهم معروفة لورود اسم "الكوفة" في الخبر ، مما يدل على أنهم سكان : "النجرانية" بالعراق ، التي رحلهم إليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٢]. **صفحة** (٢٩) السطر الرابع عشر : وددتُ أن يكتب الأستاذ الدكتور بعد قوله : "لنصارى نجران" : العبارة الآتية "الذينَ في النجرانية بالعراق" . لأن عمر (رضي الله عنه) ، في عهده رَحَّلهم إلى العراق ، في موضع سُمي "النجرانية" بناحية الكوفة ، ولقول علي (رضي الله عنه) ، في الكتاب الآتي: "لأهل النجرانية" أما كتاب علي (رضي الله عنه) ، الذي أورده الدكتور ففيه نقص كثير ، وقد أورده كاملاً صاحب كتاب "الخراج" لكن

الأوائل .(ابن جريس).

(١) ديوانه : ٣٠ . (ابن سدران) .

(٢) نحن مدينون لك يا ابن سدران ، فلقد صححت لنا معلومات كثيرة وقيمة في هذه الدراسة وما سبقها من دراسات ونأمل من سعادتكم ألا تحرموا طلاب العلم من بحوثكم وأقوالكم ووجهات نظركم الجيدة والسديدة (بإذن الله تعالى) .(ابن جريس) .

الدكتـور اختصـره ، وها هو نص الكتاب : "بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَـنِ الرَّحيم . هَذَا كِتَابٌ مِنْ عَبْدِ اللَّه عَلِيِّ بْنِ أَبي طَالب أَمير الْمُؤْمنينَ لأَهْلِ النَّجْرَانيَّة ، إِنَّكُمْ أَتَيْتُمُوني بكتَابٍ منْ نَبِيِّ اللَّه(ﷺ) فيـه شَرْطٌ لَكُمْ عَلَى أَنْفُسكُـمْ وَأَمْوَالكُمْ ، وَإِنِّي وَفَّيْتُ لَكُمْ بمَا كَتَبَ لَكُمْ مُحَمَّد (ﷺ) وَأَبُـو بَكْـر وَعُمَرُ؛ فَمَنْ أَتَى عَلَيْهِمْ منَ الْمُسْلمينَ فَلْيَـف لَهُمْ وَلا يُضَامُوا وَلا يُظْلَمُوا وَلا يُنْتَقَصُ حَـقٌّ منْ حُقُوقهمْ"[1] . **صفحة** (**٢٩**) السَطـر السَابع : "ضيف" . الصواب: "حُنيف" . السطر الثامن : "جزيتهم" . الصواب : "من جزيتهم" . **حاشية صفحة** (**٣٦**) السطر الثاني عشر: يقول الدكتور عن ثاج : "ماء لبنى الفرع من خثعم ، من مياه بيشة" . ويقول الحموي في معجمه : (٧٠/٢) : "ثاج : قرية بالبحرين ، قال : ومر تميم ابن أبيّ بن مقبل العجلاني ، بثاج على امرأتين فاستسقاهما فأخرجتا إليه لبنا ، فلما رأتاه أعور أبتا أن تسقياه ، فقال في قصيدة :

يـا جـارتَـيّ ، عـلـى ثـاج سبيلكما   سـيرا شـديـدا، ألَمّـا تـعلـمـا خبري

والقصة وردت كاملة مع القصيدة في ديوانه (٦٩) ولعل ذلك هو الصواب لشهرة تلك القرية .**صفحة** (**٣٧**) السطر الثالث : "السواقي" . صوابها : "السوافي" . أي الرياح التي تسفي التراب .

قال ذو الرمة[2] :

لـمـيـة أطـــلال بـــحـــزوى دواثـــر   عفـتـهـا الـسـوافي بَـعـدنَـا والمـواطـر

حاشية صفحة (**٣٧**) السطر الثاني : يقول الأستاذ الدكتور عن وادي (أبو تراب) : "هو واد في مدينة بيشة يقال له أبو تراب" . والصواب "أن الاسم الوارد هو: "بَيْش" لا "بيشة" ، وهو واد فيه مدينة يقال لها : أبو تراب" كما جاء في كتاب : " معجم البلدان ٥٢٨/١" : "بيْشٌ : بالشـين المعجمـة : من مخاليف اليمن ، فيه عـدّة معادن ، وهو واد فيه مدينة يقال لها : أبو تراب ، سميت بذلك لكثرة الرياح والسّوافي فيها .. ، قال ربيعة اليمني يمدح الصّليحيّ :

قـرنـت إلى الـوقـائـع يـوم بـيـش   فـكـان أجـلّـهـا يـــوم الـسّـبـاق

(١) للمزيـد عـن تاريخ نصارى نجران في بلاد نجـران نفسها وفي أرض الكوفة انظـر: غيثان بن جريس. نجـران (ق١- ق٤هـ/ق٧- ١٠م) (دراسة تاريخية) . (الرياض : مطابع الحميضي (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) (الجزء الثاني) ، ص . (٤٨٤ وما بعدها ابن جريس) .

(٢) ديوانه : ١١٦ . (ابن سدران) .

ثـم ذكـر (بيش) في الصفحة نفسهـا فقال : "بيشٌ : بكسر أولـه : من بلاد اليمن قرب دهلك، له ذكر في الشعر . قال أبو دهبل من أبيات له يذكره[١]:

لا تـخـالي أنّي نـسـيـتـك لّمـا حـال بيش ومـن بـه خـلـف ظهـري

ذكره الجاسر في معجمه (٥٦/١) فقال:"الوادي المعروف في منطقة جازان" . قلت: قامت عليه الآن مدينة كبيرة . **صفحة (٣٩)** السطر الأول: "نكثر". صوابها: "يكثر". **حاشية صفحة (٣٩)** السطر الثاني: ذكر الدكتور موضع باسم: "حنذ" وقال عنه: (موضع قريب من مكة من ديار بني سعد وعليه نخل ..) وأحال على لسان العرب . قلت : لم أجد هـذا القـول في "لسان العرب" بل وجـدت فيه (٤٨٦/٣) : "وَفِي أَعْراضِ مَدِينَة سَيِّدنَا رَسُـول اللّه ، ﷺ ، قَرْيَةٌ قَرِيبَةٌ مِنَ المَدِينَـة النَّبَوِيَّة فِيهَا نَخْلٌ كَثِيرٌ يُقَالُ لَهَا حَنَذ" . وقد ذكرها أحيحة بن الجُلاح في رجزه فقال[٢] :

تَـأَبَّــرِي يَـا خَــيْرَةَ الفَـسِـيـل تَــأَبَّــري مِــنْ حَـنَـذٍ فَـشُـولي
إِذْ ضَـنَّ أَهـلُ الـنَّـخـلِ بـالـفُـحـول

أمّـا التـي ذكرها صاحب لسان العرب فهي : "**حَنيذ**" فقال : "قَالَ الأَزهري : وَقَدْ رأَيـت بـوَادي السِّتارَيْن مِنْ ديـار بَني سَعْد عينَ مَـاء عَلَيْه نَخْلٌ زَيْنٌ عامـرٌ وَقُصُورٌ مِنْ قُصُـور مِيَاه الأَعـراب يُقَالُ لذَلكَ المَاء حَنيـذٌ ، وَكَانَ نَشيلُهُ حَارًّا فـإِذا حُقنَ في السِّقَاء وَعُلِّـقَ في الهَـوَاء حَتَّى تَضْربَـهُ الرِّيحُ عَذُبَ وَطَابَ" . **صفحة (٣٩)** السطر الثالث . قول : "وكذلـك وادي تـرج" كأنك تقارن هذا الوادي بمدينة "حنـذ" السابق ذكرها في كثرة النخل ، ونسبت هذا القول في الحاشية لابن منظور لكن ابن منظور لم يصف وادي ترج إلا بأسـوده الشرسـة ، أو عبير ثمر الأُتْرُج المنتشر فيـه ، ولعل تلك العبارة صادرة عنك لا عـن ابن منظور . **صفحة (٤٢)** أغلب المصـادر تذكر أن الرسـول ﷺ : كُفِّن في ثَلاثَة أَثْوَاب بيض سَحُولِيَّة لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلا عِمَامَةٌ . زاد في صحيح مسلم : "سَحُولِيَّةٌ مِنْ كُرْسُفٍ" وكذلك في صحيح البخاري ، وهي رواية عن المفصل أيضًا مصدر الدكتور ، إلاّ أن الدكتور غيثان اعتمد على الرواية الثانية التي أوردها المفصل نقلا عن لسان العرب ، لكن وردت روايتان عن كتاب البداية والنهاية ، الأولى تذكر أن أحد الأثواب الثلاثة برد نجراني ، لقول أمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ "كُفِّنَ فِي ثَلاثَة أَثْوَاب أَحَدُهَا

(١) ديوانه : ١١٦ . (ابن سدران) .
(٢) معجم البلدان (٣١١/٢) . والرجز في ديوانه :١٦ (ابن سدران) .

بُـرْدٌ نَجْـرَانِيٌّ" . والثانية عَن ابْنِ عَبَّاس ، (رضي الله عنهما) : "أَنَّ رَسُولَ اللَّه (ﷺ) ، كُفِّنَ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَاب ; فِي قَمِيصِهِ الَّذِي مَاتَ فيه ، وَحُلَّة نَجْرَانِيَّة" الْحُلَّةُ ثَوْبَانِ[1] . وجاء في : "مغازي الواقدي (٥٢٧/٢) : "ثُمّ كُفِّنَ فِي ثَلَاثَة أَثْوَاب صُحَارِيّة" . وفي : سيرة ابن هشـام (٦٦٣/٢) : "كُفِّنَ فِي ثَلَاثَـة أَثْوَابَ ، ثَوْبَيْنِ صُحَارِيَّيْنِ وَبُرْدٍ حَبِرَةٍ" . أَمَّا أن يكفن (ﷺ) ، في ثلاثـة أثواب كلهـا نجرانية ، فلم يورده سوى لسـان العرب . ولعل الصواب ما ورد في أغلب المصادر لاسيما في صحيحي البخاري ومسلم [2]. **صفحة (٤٢)** لم يذكر سعـادة الدكتور: وادي "أبيـدة" بيدة ، واشتهاره بصناعة الجبـاب الصوفية المسماة : "الْبِيْدِي" . **صفحة (٤٤)** جاء في : مرويـات غزوة حنين وحصار الطائف (٢٩٦/١) عن الطفيـل بن عمرو الدوسي(رضي الله عنه) : "وانحدر معه من قومه أربعمائة سراعًا ، فوافوا النبـي(ﷺ) ، بالطائـف بعد مقدمـه بأربعة أيـام ، وقدم بدبابة ومنجنيـق" . وهو أول منجنيـق رمي به في الإسلام ، لقول الزرقاني ، في "شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنـح المحمديـة(١٠/٤) : وهو أول منجنيق رُمي به في الإسلام ، وكان قدم به الطفيل الدوسي معه لما رجع من سرية ذي الكفين" . فلماذا لم تضفه مع قولك عن أهل جرش الذين إن ثبت صنعهم له ، وزهران الذين استقدموه ؟ [3]. **حاشية صفحة (٤٤)** السطر الثاني : صحة لفظة : "الصنور" هي : "الضبور" . والشرح هو أما الصِّنَّوْر فقال عنها صاحـب لسان العـرب (٤٦٨/٤) : "البخيل السيّء الْخُلُـق ، والصَّنانيرُ السيِّئُو الأدب ، وإن كَانُـوا ذَوِي نَبَاهَـة" . **حاشية صفحة (٤٥)** السطر الثاني : عجز البيـت: "الشرع" . والصـواب : "الشرعـيّ" . والشرعي المُوَتَّـر . لكن كيف نوجِّه قول الشاعر الشماخ الذي رد صناعتها إلى يثرب وليس إلى السراة فقال في ديوانه صفحة(٤٢٩) :

عَـنْـسٌ مُـذَكَّـرَة ،كـأَن ضُـلوعَـها　　　أُطُــرٌ حَـنـاهـا الماسِـخِـيُّ بـيَـثْرِب

صفحة (٤١) السطر الرابع عشر . صحة العبارة كما وردت في كتاب المفصل لجواد علي : " وقد كانت السلطات الحاكمة تأخذ "الخمس" من معادن "الفرع" ، و"نجران" ، و"ذي المـروة" ، و"وادي القـرى" . مما يدل على أن **الناس** كانـوا يستغلون مناجم هذه الأرضـين في الإسلام " . **صفحة (٤٦)** السطر الرابـع : في المتن وردت : "الحرائز" . وفي

---

(١) البداية والنهاية (٢٨٥/٥) (٢٨٤/٥) . (ابن سدران) .

(٢) أشكرك يا أستاذ علي على هذا التوضيح والتفصيلات القيمة .(ابن جريس) .

(٣) تحليل جيد ومازالت هذه النقطة تحتاج مزيد من الدراسة والتفصيل، وبخاصة صناعة مثل هذه الآلات العسكرية الكبيرة، وهل فعلاً وجدت في أرض جرش .(ابن جريس) .

السطر الرابع: من الحاشية : "الحرائر". والصواب ما ورد في المتن .

صفحة (٤٧) أورد أستاذنا الدكتور عن الأسواق قول جواد علي الآتي : "ويقصدها المشترون للشراء .." وذكر جواد بعد هذا الأسواق الموسمية . إلا أن الأستاذ الدكتور لم يأت بنموذج لهذه الأسواق الموسمية في بلاد السراة . قلت لقد كان في ديار دوس بني فهم في قرية (رَمَس) بوادي "ثُرُوق" التاريخي سوقًا موسمية تُسَمى : سوق سُليم" تعقد في السنة مرتين مرة في أيام عيد الفطر ومرة في أيام عيد الأضحى لمدة ثلاثة أيام في كل عيد ، وهذه السوق التاريخية بجوارها حَجَر القَطْرة الذي كتب عنه الشيخ حمد الجاسر رحمه الله ، في كتابه "في سراة غامد وزهران". ذكر لي هذه المعلومة الشيخ عبد ربه رحمه الله شيخ قبيلة دوس بني فهم [١]. **حاشية صفحة (٤٧)** السطر الحادي عشر : الشعر : عجز البيت الأول: "لمؤخرة". صوابه : "لآخرة". وعجز البيت الثاني: "حسرة". صوابه : "جسرة". وعجز البيت الثالث : "تعلي". صوابه : "تغلي". انظر: ديوان أبي ذؤيب الهذلي: (٤٠). **حاشية صفحة (٤٨)** السطر الخامس : بل كانت سوقا من أسواق العرب ضمت الأزد (أزد السراة) وغير الأزد ، قال صاحب كتاب : الروض الأنف (٢/ ٢٩٠) وَأُمّ زَيْد سُعْدَى بِنْتُ ثَعْلَبَةَ [بْنِ عَبْدِ عَامِر] مِنْ بَنِي مَعْنٍ مِنْ طَيّءٍ ، وَكَانَتْ قَدْ خَرَجَتْ بِزَيْدِ لِتُزِيرَهُ أَهْلَهَا ، فَأَصَابَتْهُ خَيْلٌ مِنْ بَنِي الْقَيْنِ بْنِ جِسْرٍ، فَبَاعُوهُ بِسُوقِ حُبَاشَةَ – وقيل بسوق عكاظ وهو الأغلب– وَهُوَ مِنْ أَسْوَاقِ الْعَرَبِ ، وَزَيْدٌ يَوْمَئِذ ابْنُ ثَمَانِيَةِ أَعْوَام، ثُمّ كَانَ مِنْ حَدِيثِه مَا ذَكَرَ ابْنُ إسْحَاقَ". إذًا هي سوق جامعة للعربِ "الأزد" وغيرهمً ، كغيرها من الأسواق الجاهلية والإسلامية القديمة [٢].

حاشية صفحة (٤٨) السطر التاسع عشر : يقول الأستاذ الدكتور عن أبي صيفي : " اشتريت حيّة من سوق حُبَاشَة.. ". ولعل الدكتور يظن أنها سوق حباشة التي في تهامة الأزد كما يفهم من قوله، والصواب أنها السوق التي لبني قينقاع في المدينة النبوية، كما ورد في تكملة الخبر الذي أورده الدكتور من كتاب "ياقوت الحموي(٢/ ٢١١) ، وكما قال

---

(١) يا أستاذ علي هذا أنت والجاسر وغيركما أشرتما إلى صور من تاريخ قبائل زهران في الجاهلية والإسلام. ونحن متعطشون إلى أن نرى دراسة تاريخية حضارية تفصيلية عن بلاد زهران (تهامة وسراة) ، وأنت يا أبو محمد أفضل من يتصدى لهذا الموضوع ،كونك من أهل هذه البلاد ، وأيضاً صاحب ريادة وتخصص في تاريخها وموروثها الحضاري . ونأمل أن نراك تخرج لنا هذه الدراسة في السنوات القريبة القادمة .(ابن جريس) .

(٢) تاريخ الأسواق في بلاد السراة في الجاهلية والإسلام من الموضوعات التي تستحق أن يصدر عنها عدد من البحوث والدراسات العلمية الموثقة . .(ابن جريس) .

صاحب كتاب : "وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى (٩٥/٤) "حباشة أي بالحاء المهملة ثم الموحدة وشين معجمة بعد الألف، كثمامة سوق وكانت لبني قينقاع" ويوضحها أكثر صاحب كتاب "المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (٩٦/١) فيقول : "لأن بني قينقاع بالمدينة وهو اسم لسوقهم ، ويقع مكانه في عوالي المدينة" ويقول أيضًا " : ذكر أن صيفيا وأبا صيفي ابني هاشم بن عبد مناف ، من أَمَة سوداء، اشتريت من سوق حباشة، وهي سوق لقينقاع ، كان يملكها عمرو بن سلول أخو أبيّ بن سلول المنافق". إذًا فتلك الحادثة تمت في سوق بني قينقاع بالمدينة النبوية ولم تتم في سوق حباشة تهامة من أرض بارق والله أعلم[1]. كما ورد في الحاشية أن اسم ولد هاشم بن عبد مناف : "صيفًا ، والصواب: أن اسمه: "صيفي" كما ورد في كتاب معجم البلدان .**حاشية صفحة (٤٩)** السطر الثامن عشر: صحة اللفظة في المصدر: "الحفر. وليست: "الجفر". **صفحة (٥٠)** اختصر الدكتور كثيرًا من المواضع التي أتى عليها جواد علي وغيره ، في الطريق من نجران إلى مكة المكرمة ، ليته ذكرها للفائدة[2]. **صفحة (٥٢)** السطر الرابع عشر: صحة اللفظة : "بهدد" : "يهدد" . **صفحة (٥٤)** السطر الخامس: التي ولدت الكملة هي فاطمة بنت الخرشب الغطفانية ، كما جاء في كتاب: "شعراء النصرانية" وغيره حيث قال في نسبها : فاطمة بنت الخرشب واسم الخرشب عمرو بن النضر بن حارثة بن طريف بن أنمار بن بغيض بن ريث بن غطفان . وكذلك في المحبر ، على قصر في نسبها ، حيث قال: وفاطمة بنت الخُرشب الأنمارية : ولدت الْكَمَلَة من بني عبس وهم (الربيع) الكامل و (قيس) الحفاظ ، وقيل الحناط ، و(عمارة) الوهاب و(أنس) الفوارس. وهي التي قيل لها وليس لأم خارجة "أي بنيك أفضل" والقائل لها كما جاء في كتاب : شعراء النصرانية (٧٨٧/٦) هو : عبد الله بن جدعان ، فقد " لقي فاطمة بنت الخرشب وهي تطوف بالكعبة فقال لها : "نشدتك برب هذه البنية أي بنيك أفضل؟ فقالت : القول الذي أثبته الدكتور لأم خارجة ، وقيل أنها قالت غير هذا القول، وهو مبثوث في بعض المصادر . وهي إحدى المنجبات ذكر الزركلي أنه "يضرب بها المثل: " أنجب من فاطمة ". ولَمَّا أغار حمل بن بدر أخو حذيفة بن بدر الفزاري على بني عبس وظفر بها.. فلما أيقنت أنه ذاهب بها رمت بنفسها على رأسها من البعير فماتت خوفًا من أن يلحق بنيها

---

(١) شكراً على هذا الإيضاح والتصويب . وللمزيد عن سوق حباشة تهامة انظر تفصيلات أكثر عن هذا السوق في الدراسة الثالثة من هذا القسم .(ابن جريس) .

(٢) الطرق التي تربط اليمن بالحجاز عبر بلدان تهامة والسراة تستحق أن يفرد لها دراسات مطولة في عصور ما قبل الإسلام وبعده. كما أن هذه الطرق بحاجة إلى دراسات أثرية أيضاً . (ابن جريس) .

عـار فيهـا". وأمَّا زياد العبسي ، فلم يكن زوجًـا لأم خارجة على كثرة مَن تزوجها وإنما كان زوجًا لفاطمة بنت الخرشب ، وهو والد بنيها المتقدم ذكرهم، جاء في كتاب "شعراء النصرانيـة (٧٨٧/٦") : ولـدت فاطمـة بنت الخرشب، من زياد بـن عبد الله العبسي سبعـة فعـدت العرب المنجبين منهم ثلاثة وهم خيارهم فمنهـم الربيع ويقال له الكامل وعمارة وهو الوهاب وأنس وهو أنس الفوارس وهو الواقعة وقيس وهو البرد والحارث وهو الحرون ومالك وهو لاحق وعمرو وهو الدراك" .

صفحة (٥٦) السطر السابع : يقول الدكتـور عن المرأة من الحمس : "وعند زواجها اشترطوا على زوجها أن يكون أبناؤها أحمسيين على دينهم". وعزا هذا القول إلى جواد علـي في كتابـه: المفصل . قلت هـذا القول يطلقونه على من لم يكـن من الحمس ، لقول جـواد علي ، مصدر الدكتور : " فكانوا إذا زوجوا امرأة منهم لغريب عنهم، أي لمن كان من الحلة اشترطوا عليه أن كل من ولدت له فهو أحمسي على دينهم[١]."

وكمـا جاء في كتاب : دراسـات في تاريخ العرب القـديم (٣٨٠) : "وإذا ما تزوجت امرأة منهم بغريب عنهم، اشترطوا أن يكون أبناؤهم منهم". **صفحة (٥٧)** السطر الثامن : الـزواج من الأباعد تمارسه كل القبائل العربية جاهليـة وإسلامًا ، والأمثلة على ذلك لا حصـر لها. فمن الأباعـد بعض جدات الرسول ﷺ ، كانت مـن الأزد (من زهران) وهي فاطمة بنت سعد بن سَيَل، أم قصي بن كلاب، وأخيه، وأختهما[٢]. **حاشية صفحة (٥٧)** السطـر التاسـع : صحـة العبارة كمـا وردت في مصدر الأستاذ الدكتـور : "وكان لخلف (لحلف) من الولد عضرس (عفرس) ، وناهس ، وشهران ، وربيعة ، وكود ، وهم بطون ، وفي ناهس ، وشهران ، الشرف والعدد". **صفحة (٥٨)** السطر السابع : "ختثعم" . الصواب : "خثعم" . السطر التاسع: "بني أبي بكر" . الصواب : "بن أبي بكر" . **حاشية صفحة (٥٨)** صحة بيت مهلهل الثاني كما جاء في ديوانه ٣٧ :

لَـوْ بِـأَبَـانَـيْنِ جَـاءَ يَخْـطُـبُـهَـا ... ضُـرِّجَ مَـا أَنْـفُ خَـاطِـبٍ بِـدَمِ

وأول شطـر البيـت الثـاني : "لو" . وليس : "لما" . وأوائل عجـز الثاني : "ضُرِّجَ مَا أَنْفُ" . **صفحة (٥٩)** السطر التاسع : الوارد في مصدر الأستاذ الدكتور : "دار أراكة" .

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٣٦٢/١١). (ابن سدران) .

(٢) المنمق في اخبار قريش (٢٩/١) . (ابـن سـدران). أشكـرك يـا ابن سـدران على هـذه الإضافات والتصويبات القيمة . (ابن جريس) .

وليست : "دار أبي أراكة" . وإنما وردت باسم "دار أبي أراكة" في كتاب : الإصابة في تمييز الصحابة (٢١٥/٦) و جمهرة أنساب العرب لابن حزم (٣٨٨/١) . **صفحة (٦٠) الشعر :** في عجز البيت الأول : "ولا كلفت خبراً " . والصواب : "ولا كلفت خبزًا" . **صفحة** (٦٠) السطر الخامس ، قال الدكتور : "ويُطلق على المرأة الأسيرة اسم النَّزِيعَة" . قلت: النزيعة كما عرَّفتها المعاجم العربية هي التي تتزوج في غير عشيرتها . انظر على سبيل المثال : تاج العروس (٢٤٣/٢٢) ، والمعجم الوسيط (٩١٤/٢) . أمَّا تلك التي عناها الأستاذ الدكتور فتسمى "السَّبِيَّة" كما جاء عن لسان العرب (٣٦٧/١٤) والشعر الذي أورده الدكتور يفصح عن ذلك .**حاشية صفحة (٦١)** السطر الأول : جاء في " عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب ٢١ : "سعد العشيرة بن مذحِج . وإنما قيل له سعد العشيرة ، لأنَّه كان يركب فيما قيل في ثلثمائة من ولده وولد ولده ، فإذا قيل له مَن هؤلاء؟ قال : عشيرتي . مخافة العين عليهم . وهو قول آخر لجواد علي ، في كتابه "المفصل" لم أر الدكتور تطرق إلى ذكره [1] . **حاشية صفحة (٦٢)** السطر الرابع: قول الدكتور عن ضمام بن ثعلبة " من بني سعد ابن بكر من السراة" . قلت هو من بني بكر بن سعد كما قال الدكتور ، لكن لم أطلع على من يقول بأنه من السراة ، . أي من بني سعد سكان السراة . حتى كتاب المفصل مصدر الدكتور لم يقل ذلك . فدل على أنه من بادية بني سعد ، التي سنتحدث عنها بعد قليل. **صفحة (٦٢)** السطر الأول : قول الدكتور " أن اختيار قريش وغيرهم نساء السروات لحضانة أو رعاية أبنائهم .. "٠قلت ظهر من تحقيقات عدة باحثين معاصرين أن من أرضع النبي(ﷺ) ، لم يكونوا بني سعد الذين هم سكنة السراة، إنما مَن أرضعه هم أهل بادية "بني سعد" التي بين مكة والطائف ، وقد تطرق إلى ذلك جملة من المؤلفين منهم الزركلي (٨٤/٣) حيث يقول: (وكانت منازل بني سعد بن بكر في الحديبيّة وأطرفها . وفي موضع آخر : (٢٧١/٢) : ونشأ . رسول الله (ﷺ) . في بادية بني سعد في الحديبيّة وأطرفها . (أي فيما بين السيل الكبير" قرن المنازل" إلى أوطاس) . وهو الصواب لأن ديار بني سعد الحالية التي في السراة بعيدة كل البعد عن مكة المكرمة . وفيما يلي بعض المصادر التي ذكرتهم في شرقي مكة : قال عرّام بن الأصبغ وقد ذكر : رهاط والحديبية وبعض قرى بني سعد بن بكر : صفحة ٦ " فهؤلاء القريّات لسعد وبني مسروح وهم الذين نشأ فيهم .

---

(١) وأقول إن عشيرة سعد العشيرة تستحق أن يفرد لها دراسة مستقلة ، حبذا أن نرى أحد أبناء هذه العشيرة الباحثين فيدرسون تاريخها وأمجادها . (ابن جريس) .

أي الرسول (ﷺ) . وجاء في : سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٣٤٧/٦) : ومعجم البلدان (١٠٧/٣) ورهاط : [بضم أوله قرية على ثلاثة أميال من مكة]. وينقل أبو نعيم الأصبهاني في " دلائل النبوة (١٣٧/١) قول آمنة أم الرسول (ﷺ) لمُرْضعَته : "انْظُرِي ابْنِي هَذَا فَسَلِي عَنْهُ ، فَإِنِّي رَأَيْتُ كَأَنَّهُ خَرَجَ مِنِّي شِهَابٌ أَضَاءَتْ لَهُ الْأَرْضُ كُلُّهَا ، حَتَّى رَأَيْتُ قُصُورَ الشَّام ، فَسَلِي عَنْهُ ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتُ يَوْم مَرَّتْ به ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بذي الْمَجَازِ (وفي رواية أخرى سوق عكاظ) إِذَا كَاهِنٌ مِنْ تِلْكَ الْكُهَّانِ ، وَالنَّاسُ يَسْأَلُونَهُ ، فَقَالَتْ : لَأَسْأَلَنَّ عَنِ ابْنِي هَذَا مَا أَمَرَتْنِي بِهِ أُمُّهُ آمِنَةُ .. " . ومعلوم أَنَّ ذا المجاز أو سوق عكاظ قريبان من بادية بني سعد . وفي تاريخ إربل ٢٣٩ : كانت منازلهم في الحديبية . وفي معجم قبائل العرب القديمة والحديثة (٢ / ٥١٣) من أوديتهم : قرن الحبال ، وهو واد يجيء من السراة . ومن مياههم: تقتد . قال الشاعر :

وَذَكَرت تَقْتُدَ بَرْدَ مَائِهَا فبدّت الحاجز من رعائها

وفي معجم قبائل العرب القديمة والحديثة أيضًا (١٢٣١/٣) : ومن أوديتهم : حنين. وفي معجم البلدان (٥٠٦/١) أن البوباة من بلادهم لقوله : "البَوْبَاةُ : بالفتح ثم السكون ، وباء أخرى: اسم لصحراء بأرض تهامة إذا خرجت من أعالي وادي النخلة اليمانية ، وهي بلاد بني سعد بن بكر بن هوازن ، قال رجل من مزينة :

خليليّ بالبوباة عوجا فلا أرى بها منزلا إلا جديب المقيّد

وفي المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (١٤٠/١) يقول عن : سعد بن بكر (قبيلة): بطن من هوازن العدنانية، وهم حضنة رسول الله ولا زالوا في منازلهم القديمة في "قرن المنازل" وجنوب الطائف في "بسل" و "مظللة" ، ولهم سراة تعرف باسمهم اليوم. وفي معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (١٩٥/١) : أملاح بفتح أوّله ، على وزن أفعال : موضع في ديار هوازن ، به مياه ملحة ، قال أبو جندب :

وغرّبت الدّعاء وأين منّى أناس بين مرّ إلى يدوم

وأحياء لدى سعد بن بكر بأملاح فظاهرة الأديم

ونكتفي بهذا القدر فليس الهدف الإسهاب بقدر ما هو إيضاح لبادية بني سعد ، الذين منهم حضنة الرسول (ﷺ) ، كما ورد في كتب الأقدمين والمتأخرين . **صفحة (٦٢)** السطر الثاني عشر : "عقيقة" . والصواب: "عقيصة". وفي السطر الذي يلي

يقول الدكتور: "ذوي العقيصتين". والصواب: "ذو العقيصتين"، أو "ذي أو ذا العقيصتين" على حسب موقع اللفظة من الإعراب. صفحة (٦٣) السطر الأول: كذلك عمرو بن حممة الدوسي، كان إذا نزل مكة يتعمم مخافة النساء على نفسه. انظر كتاب: المحبر: ٢٣٢. صفحة (٦٣) السطر الثامن: صحة الاسمين هما: "زرعة، زرعة". كما ورد في: جمهرة أنساب العرب، لابن حزم (٣٨٣/١). **حاشية صفحة (٦٣)** السطر السادس: يقول الدكتور: "أن من دار خثعم وإلى الأندلس عثمان ابن أبي نسعة .." وهذا القول مضطرب، والصواب كما جاء في مصدر الأستاذ الدكتور غيثان: "جمهرة أنساب العرب لابن حزم (٣٩٢/١) "ومن خثعم كان عثمان بن أبي نسعة، وَلي الأندلس" **صفحة (٦٥)** من السطر الرابع: أخي أبا المثنى؛ وددت عدم إيرادك تلك القَصة المقتضبة عن كرم عمرو ابن معدي كرب، فإنّ في تفاصيلها ما يزعزع إيمانه عند قُرّائك، ولو أنها في الظاهر تدل على الكرم، إلا أن فيها جملة من المساوئ المخالفة للإسلام يعرفها من قرأ أصلها، سيما وأنها صادرة عن كتاب "الأغاني"، وليست ببعيدة عن إحالة الأستاذ محمد بن زَيَّاد، - كما سيأتي - لقراءة كتاب ذلك الرافضي المسمى عبد (رب) الحسين الموسوي، ظنًّا منه أنَّ في ذلك الكتاب مَدْحًا لأبي هريرة (رضي الله عنه).

حاشية صفحة (٦٧) السطر الثاني عشر، صحة عبارة ذلك الخليفة "سليمان بن عبد الملك" إلى عامله بالطائف: أن أرسل إليّ بعسل أخضر في سقاء، أبيض في الإناء، من عسل النّدغ والسّحاء، من حداب بني شبابة". وتلك الحداب لشبابة زهران كما يقول صاحب كتاب "معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (٤٢٨/٢): حداب بنى شبابة جمع حدب، وهو الغلظ من الأرض في ارتفاع؛ كذلك فسّر في التنزيل. وهى جبال من السّراة ينزلها بنو شبابة من فهم بن مالك، من الأزد". صفحة (٧٠) السطر الثامن، في عجز بيت حسان بن ثابت رضي الله عنه: "أجسام". والصواب: "جسم". **صفحة (٧٠)** السطر الخامس عشر: "أنس بن مدرك الخثعمي"، ليس صعلوكا كما قلت عنه يا دكتور، بل هو سيد من ساداتها لقول: جواد علي، في كتاب: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٤٧٤/١٨): "أنس ابن مدرك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف" الخثعمي، ثم الأكلبي، والمعروف بـ "أبي سفيان". هو من الشعراء الجاهليين الذين أدركوا الإسلام. وكان شاعرا وقد رأس؛ إذ كان سيد خثعم في الجاهلية، كما كان فارسها". وهو قاتل: سليك بن السّلكة. انظر: المعارف (٩٢/١). وجاء في كتاب "من اسمه عمرو من الشعراء (٢١): عن عبد الملك بن الماجشون قال: كان عمرو بن

معدي كرب في مسجد الكوفة يحدث بأيامه في الجاهلية إذ قال : فلقيت أنس بن مدرك الخثعمي ، فطعنته فقتلته وأنس في القوم فقال أنس : حلاً أبا ثور : ها أنا جالسًا أسمعك فقال: اسكت ويحك نوزغ هذه النزارية . نوزعها نكفها". ذُكر في كتاب " تلقيح فهوم أهل الأثر (١/٣٢٩) : أنه "عَاشَ أنس بن مدرك الْخَثْعَمي مائَة وأربعا وَخمسين"[١]. **صفحة (٧١)** السطر السادس: صحة اللفظتين في الشعر: "منادَاة" . الصواب : مفاداة . السطر السابع : "عائذة" الصواب : "عائدة" .**حاشية صفحة (٧١)** السطر التاسع : صحة اللفظتين في الشعر: "تحبس" . الصواب: "تحتبس" . السطر العاشر: " تعس" . الصواب: " في تعس" . السطر الحادي عشر : "ما أرى" . الصواب: "وما أرى" . **حاشية صفحة (٧٢)** في صدر البيت الأول : "وأبي عوف" والصواب: وابن عوف. وفي صدر البيت الرابع : "فيا يزيد" . والصواب: "فناد يزيد" . "وياقيساً" . والصواب: "وقيسًا" . وفي صدر البيت الثامن : "عمه" . والصواب: غمة . وفي عجزه "يحظى" . والصواب : يحظى به. وفي عجز البيت التاسع : "حازي" . والصواب : جازي. والأبيات الثلاثة الميمية هي تكملة الأبيات الميمية في أعلى الحاشية. **حاشية صفحة (٧٣)** السطر الحادي عشر: في صدر البيت الأول: "الصمصامة عمرو" الصواب : "صمصامة الزبيدي عمرو" . وفي صدر البيت الثالث : "يديه" . والصواب: "حَدَّيْه" . في عجز البيت السادس: "اللاّم" . والصواب: "السّلام" .**حاشية صفحة (٧٤)** السطر الرابع: "عاينة" الصواب: "عانية" . "نجح الثانية" . الصواب: "نحج الثانية" . "الشدائد الناحية" الصواب: "الشداد الناجية" . **صفحة (٧٥)** السطر العاشر : ليت الدكتور استدل بتحريم الزنا بحديث الشاب الذي جاء إلى الرسول (ﷺ)، يستأذنه في الزنا ، فهو أبلغ في الدلالة . السطر الرابع "تفطمينه" . الصواب : "تفطميه" . **صفحة (٧٧)** السطر الرابع: "زيد بن عمرو بن نفيل" ، لم يكن من خثعم، وإنما هو من قريش من رجال عدي بن كعب، ترجمته في كتاب: "معجم الصحابة، للبغوي ٢/٤٤١" على النحو التالي: "زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن رياح بن عدي بن كعب" . وجاء في سيرة ابن هشام (١/٢٢٤): قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : "وَأَمَّا زَيْدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ فَوَقَفَ فَلَمْ يَدْخُلْ فِي يَهُودِيَّةٍ وَلَا نَصْرَانِيَّةٍ ، وَفَارَقَ دِينَ قَوْمِهِ فَاعْتَزَلَ الْأَوْثَانَ وَالْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَالذَّبَائِحَ تُذْبَحُ عَلَى الْأَوْثَانِ ، وَنَهَى عَنْ قَتْلِ الْمَوْءُودَةِ" . وفي حاشية

---

(١) نعم كلامك هو الحقيقة فأنس بن مدرك الخثعمي ليس من الصعاليك وإنما هو من سادات العرب . حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخه وبطولاتها في الجاهلية والإسلام . (ابن جريس) .

السيرة : (١/٢٢٥) : " وَكَانَ زيد- فيمَا يُقَال- يَقُول للرجل إذا أَرَادَ أَن يقتل ابْنَته: لَا تقتلها ، أكفيك مئونتها ، فيأخذها ، فَإِذا ترعرعت قَالَ لأبيهَا : إن شئْت دفعتها إلَيْك ، وَإن شئْت كفيتك مئونتها". وجاء في كتاب " البداية والنهاية (٢/٣٠٠) "عَنْ خَارِجَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّه بْنِ كَعْب بْنِ مَالك قَالَ : سَمعْتُ سَعيدَ بْنَ الْمُسَيِّب يَذْكُرُ زَيْدَ بْنَ عَمْرو بْنِ نُفَيْل فَقَالَ : "تُوُفِّيَ وَقُرَيْشٌ تَبْنِي الْكَعْبَةَ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ الْوَحْي عَلَى رَسُول اللّه بخَمْس سنينَ ، وَلَقَدْ نَزَلَ بِه وَإِنَّهُ لَيَقُولُ : أَنَا عَلَى دينِ إِبْرَاهِيمَ" . السطر العاشر : في الحاشية: "يحي". والصواب : " يحيي" [١].

صفحة (٧٨) من السطر العاشر ، نقل الدكتور عن ابن خلدون بعض كلامه عن الحضر والبدو فكان النقل غير واضح العبارة ، لحذفه عدة عبارات يتعلق بعضها ببعض لا سيما في آخر قول ابن خلدون حيث يقول ابن خلدون : ".. متى دعاهم داع أو استنفرهم صارخ" ، فقال الدكتور : " ويدافعون عن أنفسهم متى استنفرهم صارخ" . فجعل استنفار الصارخ هو الدفاع عن النفس . فما المانع لو أتى بقول ابن خلدون كاملاً؟ **صفحة (٧٩)** السطر الخامس : تعددت محاولة حرب قبائل الجنوب لأبرهة الحبشي، ومنعه من التقدم ، منها ما جاء في كتاب : "سيرة ابن هشام (١/٤٦) : "فَخَرَجَ إلَيْه رَجُلٌ منْ أَشْرَاف أَهْلِ الْيَمَن وَمُلُوكهمْ يُقَالُ لَهُ : ذُو نَفْرٍ ، فَدَعَا قَوْمَهُ ، وَمَنْ أَجَابَهُ منْ سَائر الْعَرَب إلَى حَرْب أَبْرَهَةَ ، وَجِهَاده عَنْ بَيْت اللَّه الْحَرَام ، وَمَا يُرِيدُ منْ هَدْمه وَإِخْرَابه ، فَأَجَابَهُ إلَى ذَلكَ مَنْ أَجَابَهُ ، ثُمَّ عَرَضَ لَهُ فَقَاتَلَهُ ، فَهُزِمَ ذُو نَفْرٍ وَأَصْحَابُهُ.." . وفي كتاب المنمق في أخبار قريش ، ما يدل على أن قبيلة غامد هزمت قطعة من خيله لقوله في صفحة (٧٤) : وأقبل الأشرم حتى مر بالأزد ، فأرسل إليهم خيلا فهزموا خيله، فقال عبد شمس بن مسروح الأزدي (الغامدي) في أبيات له :

نحن منعنا الجيش حوزة أرضنا ... وما كان منا خطبهم بقريب

ولذا فإن المحاولات تعددت من قبائل السراة ، وليس من قبيلة خثعم وحدها ، لمنعه من السير بالجيش إلى مكة المكرمة، فينبغي أن تُذْكَر هاتان المحاولتان[٢] . **صفحة (٨٠)** السطر الثامن ، يقول الدكتور إن العباس ابن مرداس من بارق . قلت : العباس

(١) شكراً جزيلاً على هذه التصويبات والإضافات العلمية القيمة . وندعو لك يا أستاذ علي بالتوفيق والهدى والرشاد . (ابن جريس) .

(٢) تاريخ أهل السراة أثناء مرور أبرهة الحبشي من بلادهم لم تدرس حتى الآن، وهذا الموضوع جدير بالبحث والدراسة . حبذا أن نرى أحد المؤرخين الجيدين فيتولاه بالدراسة والتوثيق . (ابن جريس) .

بـن مرداسـ ، من بنـي سُلَيم ، لقـول صاحب كتـاب : الاستيعاب في معرفـة الأصحاب (٨١٧/٢) في نسبـه: "العباسـ بن مرداس بـن أبي عامر بن حارثة بـن عبد بن عبس ابـن رفاعة بن الحارث بن حيي بن الحـارث بن بهثة بن سليم (بن منصور) السلمي . يكنـى أبـا الفضل ، وقيل أبا الهيثم . أسلم قبل فتح مكة بيسير" . وانظر: كتاب : المتفق والمفترق (١٦٥٨/٣) . وبيت الشعر الذي أورده الدكتور هو في ديوان العباس السلمي في صفحتي : (١٦ ، ٧٩) . **حاشية صفحة** (٨١) الشعر الذي أنشده سعد بن أبي وقاص(رضي الله عنه) ، في بجيلـة ، لا يـدل على شجاعتهم ـ وإن كانوا كذلك ـ كما قال الدكتور ، لأن تكملته في بعض الكتب ومنها تاريخ الطبري : (٥٨٠/٣) . بخلاف ذلك . وقد كان سعد ، يرد في هذه الأبيات على بيت جرير البجلي(رضي الله عنه) الآتي[1] :

أنـا جـريـر وكـنـيـتـي أَبُــو عَـمـِرْو   قَـدْ فَـتَـحَ اللَّهُ وَسَـعْـدٌ فِي الْـقَـصِـرْ

وفي الحاشيـة السطـر السادسـ : الشعر "خيـلاً" الصواب : "خيـولاً" . وقد أورد الدكتور بيت جرير هذا في حاشية **صفحة** (١٠٧) قائـلاً : وأنشد شعرًا ينسب فيه الجبن إلى سعـد ، ومـن ذلك البيت وأورده . فدل علـى أن أبيات سعد (رضي الله عنه) ، هي رَدٌّ على شعـر جريـر فيه . والله أعلم . **صفحة** (٨٢) السطر الثالث : دريـد ، والصواب : دريدًا . وأبيات دريد الثلاثة التي أوردها في الحاشية لم تتوافق مع قصيدته التي في الديوان إلاّ البيت الأخير . **حاشية صفحة** (٨٢) السطر الثامن ، صـواب عجز البيت الثاني كما ورد في ديوانه :

بِـذِى الـرِّمـث والأَرَطَــى عِـيـاضَ بـن نـاشـبِ

وفي السطـر الخامس والعشرين من هذه الحاشية : "طريقًا" الصواب: "طريقٌ" . **صفحة** (٨٣) السطر الخامس: مصدر الدكتور غيثان ، وددت لو يضيف نساء : "النخع" إلى نسـاء "بجيلة" في شهود حرب القادسية ، ويضيف "عصمة" إلى "المثنى وجرير" . كما أن مصدر الدكتور لم يأت على أنّ "أم كثير" من بجيلة ، فهل تأكّد لدكتورنا أنها من نسـاء بجيلـة ؟ وقد ذُكر في أغلب المصادر ومنها "تاريخ الطبري" أنها : امرأة همام بْن الحـارث النخعـي ، ولم ينسبها إلى بجيلة السطر الحادي عشر : "حثعم" . والصواب: "خثعـم". السطـر السادسـ : في الحاشية : "لنا هذا الجيشـ" . الصواب : "لنساء

---

(١) انظر : بيت جرير البجلي وأبيات سعد في : البداية والنهاية : (٥٣/٧) . (ابن سدران) .

هذا الجيش" [(١)] . **صفحة** (٨٤) السطر الثامن: قول الدكتور : "كمبتغي الصيد في عرين الأسد" . الصواب في لفظة "عرين" : "عِرِّيسَة" . وهو مَثَل كما قال الدكتور ، ورد في مصدره بلفظ : "عريسة" . ولقد ورد في عجز بيت لعدي بن الرَّقاع العاملي كما في ديوانه (١٧٦) :

فإنَّكَ والشِّعْرَ إذْ تُزْجِي قَوافِيَه ... كَمُبْتَغِي الصَّيْدِ في عِرِّيسةِ الأَسَدِ

وقد ورد الشطر أيضًا في شعر الطرماح (١٢٢) لكني أرى صدره لا يناسب عجزه . **صفحتا** (٨٤، ٨٥) السطر العاشر والسطران الأول والثالث ص(٨٥): "السحالي" . والصواب : "السعالي" . السطر الثامن: الشعر: "رهفته" . الصواب: "رهفنه" "ينقب" . الصواب : "بنقب" . **حاشية صفحة** (٨٥) شعر تأبط شرًّا : صدر البيت الثالث : (فقلت لها كلانا نضو أين) . وصواب عجز البيت الثاني : "لقفر ، وقيل : "بسهب" . وصحة عجز البيت الخامس: "صريعًا لليدين .." وصحة صدر البيت السادس : " فلم أنفك .." وصحة لفظة وردت في صدر البيت الأخير: "مخدج" . **حاشية صفحة** (٨٦) صحة صدر البيت الثاني وأول عجزه :

(تمنى فتى منا فلاقَى ولم يكد ... غلامًا) . وصحة أول صدر البيت الرابع : "فقد شُدّ في إحدى .." . **صفحة** (٨٨) صحة أول عجز الشطر الأول : "عتيرة" . وصحة عجز الشطر الثاني : "أهذا" . **حاشية صفحة** (٨٩) السطر الرابع : ابن قتيبة في كتابه "المعارف" لم يقل : "إن أبا هريرة يكنى عبد الشمس، ويقال: عمير بن عامر ، ويقال : سكين" . وإنما كان يعدد الاختلاف في اسمه عند بعض مَن ذكره ، فقال (٢٧٧) "ويقال : عبد شمس . ويقال : عمير بن عامر . ويقال : سكين" السطر التاسع : في الحاشية : "غرس بالوادي" . الصواب : "غَرْسُ الوَدِيِّ" . والوَديّ كما جاء في كتاب : "غريب الحديث ، للقاسم بن سلام ٢٠٢/٤" : "هُوَ صغَار النّخل واحدتها وَدِيّة" . قَالَ الشَّاعِر[(٢)] :

نَحن بِغَرْسِ الوَدِيّ أعْلَمُنَا ... منّا بِرَكْضِ الجِياد في السَّدَفِ

حاشية صفحة (٩٠) السطر التاسع : ضَعْ قبل: "أمّا إذًا فاذهب فحدث" لفظة : "قال" . لِيُفْهم أن القول قول عمر (رضي الله عنه). **صفحة** (٩٠) أبو هريرة الدوسي(رضي الله

---

(١) أشكرك يا أستاذ علي على هذه الآراء والتوضيحات . (ابن جريس) .

(٢) انظر : بيت جرير البجلي وأبيات سعد في : البداية والنهاية : (٥٣/٧) . (ابن سدران) .

عنه) ، أكثر من روى الحديث عن الرسول (ﷺ) ، وقد كُتب في حفظه وفضله وصحبته مؤلفات عديدة منها ما كتبه : محب الدين الخطيب ، وكتابه: الخطوط العريضة . عبد الرحمن المعلمي ، وكتابه: الأنوار الكاشفة . محمد عجاج الخطيب ، وكتابه : أبو هريرة راوية الإسلام . عبد المنعم صالح العلي العزى ، و كتابه : دفاع عن أبي هريرة .عبد الرحمن عبدالله الزرعي ، و كتابه : أبو هريرة وأقلام الحاقدين . الحسن بن علي الكتاني ، وكتابه : الرد على الطاعن في أبي هريرة وكثير غيرهم ممن عقدوا فصولا في ثنايا كتبهم ، لكننا نرى في هذه الأيام الأستاذ محمد ابن زيَّاد الزهراني ، في كتابه: بخروش بن علاس الزهراني، . على ما فيه من مغالطات. يستند إلى ما كتبه عنه أحد كُتّاب حضرموت ، الله أعلم بعقيدته ، فينقل عن هذا الحضرمي ترجمة يسيرة لأبي هريرة (رضي الله عنه) ، وفيها الترويج لكتاب اسمه : (أبو هريرة) لرافضي محترق اسمه عبد (رب) الحسين شرف الدين الموسوي) كتبه عن أبي هريرة (رضي الله عنه) ، أفرغ فيه من السب والشتم لهذا الصحابي الجليل ما لا مزيد عليه ، كما أن هذا الرافضي في ذلك الكتاب كَذَّب أبا هريرة رضي الله عنه ، فيما رواه عن الرسول (ﷺ)، من أحاديث ، ولعل الأستاذ محمد بن زَيَّاد ، لم يقرأ كتاب ذلك الحضرمي ، الذي تمكن من دس السم في تلك الترجمة المقتضبة لأبي هريرة (رضي الله عنه) ، والتي نقلها عنه الأستاذ محمد بن زيَّاد ، دون الاطلاع على الكتاب الذي أحال عليه الحضرمي ، وهو كتاب ذلك الرافضي ، ربما لحسن ظنه في كاتب الترجمة ، وفي آخرها دعوة لقراءة ذلك الكتاب القذر إلا من ذكر الله ، فكان على الناقل أيًّا كانت ثقافته أن يتحقق مما ينقله عن غيره قبل إثباتَه ، ولا يكون كحاطب الليل يجمع كل ما يجده ، وعَتَبِي يَنْصَبُّ على مَن قَدّم لذلك الكتاب وراجعه، فهو من إخواننا السوريين الذين اكتووا ولا زالوا يكتوون بنار هذه الطائفة المنحرفة عن جادة الصواب ، كيف لم يَتَنَبَّه لهذه الزلة الخطيرة ؟؟ لا سيما وأنَّ هذا الحضرمي لم يترض عن أي صحابي أورده في كتابه المذكور ، فكان على الكاتب والمقدِّم للكتاب التَّنَبُّه لذلك ، وإنني من هذا المنبر الثقافي : "**القول المكتوب في تاريخ الجنوب**" أدعو كل من امتلك نسخة من كتاب الأستاذ : محمد بن زياد الزهراني ، المذكور اسمه بعاليه أن يشطب السطرين الخامس والسادس من هذا المؤلَّف (ص ٦٢) والتي تشير إلى الدعوة لقراءة ذلك الكتاب المليء حقدًا وكرهًا لأبي هريرة الدوسي (رضي الله عنه) ، وعن جميع صحابة المصطفى (ﷺ)[١] .

---

(١) أسأل الله عز وجل أن يثبتنا على القول الثابت ، وأن يجعل ما نكتبه وندونه حجة لنا يوم القيامة. وأن توقفنا عند كثير من الكتب والدراسات التي تحارب الإسلام والمسلمين سراً وجهراً فهي كثيرة جداً .

وفي الحاشيــة السطر السادس عشر. خبر عــن سعد الدوسي (رضي الله عنه)، لم يُفهم المـراد منــه ، وصوابه كما ورد في مصـدر الدكتور: " أن أعرابيًا سـأل النَّبيّ (ﷺ) عن السـاعــة ؟ ومــر سعد الدوسي ، فقال رَسُول اللّه (ﷺ): " إن عمر هذا حتى يأكل عمره، لا تبقـى منهــم عين تطرف " . وليس في المصـدر: "ما أعددت لها .. " إلى نهاية ما أورده الدكتـور . ولعل الأستاذ الدكتور رواه عن كتاب "معرفة الصحابة لأبي نعيم" ففيه شبه من ذاك ، واللّه أعلم . **حاشية صفحة** (٩١) السطر الخامس: "زئر النساء" . الصواب: "ذئـر النســاء" . وتأتي هــذه اللفظة على ثلاثـة أوجه : "ذئر و ذئــرن و ذئرت" وكلها بمعنــى واحد ، وهو المعنــى الذي أورده الأستاذ الدكتور لها . السطر الرابع عشر: قوله : "في مائة وخمسة وخمسين راكبًا" . الصواب : "في مائة وخمسين راكبًا" . **صفحة** (٩٣) السطر الرابع : متى قال الرسول (ﷺ) : "مَنْ دَخَلَ تَحْتَ لِوَاءِ أَبِي رُوَيْحَةَ فَهُوَ آمِنٌ" . إنه يوم فتح مكة المكرمة . فهذه مكرمة لا ينبغي حجبها عن القراء . انظر : السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (١١٧/٣) . والجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشـرة (١٢٣/٢) . السطر الثالث في الحاشية : قوله "وبين بلالا" . الصواب : "وبين بـلالٍ" . وكذلـك يضـاف إلى حديث دكـين الخثعمي (رضي الله عنه) ، بعد قولـه : "نسأله" : "نَسْأَلُـهُ الطَّعَـامَ". وقـد ذكر "الطعــام" في الحاشية وحبذا لو أتــى بالحديث كاملاً. **صفحة** (٩٤) السطــر الثالث. "فرط" الصواب" : "قــرط". السطر الخامس: "فطار" . الصواب : "فطارا". **صفحة** (٩٥) السطر الأول، لم يكمل الدكتور حديث أبي الحكم ، وتكملته بعد قوله ﷺ: "ما أحسن هذا " : "فَمَا لَكَ مِنَ الوَلَد ؟ قال : لي شُريح ، ومُسلم ، وعبـدُ اللّه ، قــال : فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟ قلت : شريحُ ، قال: فأَنْتَ أَبُو شُرَيْح " . أوردته إتمامًا للفائـدة . وفي السطـر نفســه : "عَبْدَة من.. " . والصـواب: "عَبْدَة بنً .. " . **صفحة** (٩٥) السطـر الثاني: "قَالَ : بكَعْبَةِ نَجْـرَانَ" . الصواب: "قَالَ : قُلْتُ : بكَعْبَةِ نَجْرَانَ" . السطر الخامـس: يضــاف بعـد قول الرسـول (ﷺ)، إنْ صح عنــه: "فقَال يـا رب" قول النبي (ﷺ): "مسّألة عائشة" . **صفحة** (٩٥) السطر الثاني عشر، في الحديث النبوي الشريف لفظـة: " أن أعطــاه" صوابها" : فيما أعطاه" . وورد في معرفـة الصحابة (٣١٠٦/٦) .

والصراع بين الحق والباطل وجد من يوم خلق اللّه السماوات والأرض . وهو مستمر من ذلك الوقت إلى أن تقوم الساعة . والإنسان وبخاصة الباحث يجب أن يكون أميناً وحريصاً على صحة ما يكتب أو يسجل ، وإذا اكتشف الإنسان أخطاءه فعليه أن يسارع في تصحيحها حتى يتحلل من وزرها، وأن لا يكابر المسلم في البحث عن الحقيقة والرجوع إلى الصواب مهما كلفه الثمن ، واللّه من وراء القصد.(ابن جريس) .

وأسد الغابة (٣٨٨/٦). أن يزيد بن عبد الله بن الشخير، يروي عن رجل من بني سُليم. أما يزيد بن عبد الله بن الشخير فهو من بني عامر بن صعصعة، لقول صاحب كتاب: الطبقات الكبرى (٣٤/٧). في ترجمة أبيه: " عبد الله بن الشخير بن عوف بن كعب بن وقدان بن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وهو أبو مطرف ويزيد ابني عبد الله بن الشخير. ولقول صاحب كتاب المعارف (٤٣٦/١) عن أخيه: "مطرف بن عبد الله ابن الشّخير" من "بنى الحريش ابن كعب بن ربيعة". ويقول مُطَرِّف بْنِ الشِّخِّيرِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فِي وَفْدِ مِنْ بَنِي عَامِر.. انظر: كتاب: الطبقات الكبرى (٢٥/٧). ولم يذكر أغلب المؤرخين في نسب هذه الأسرة "الجرشي" بالجيم إنما ذكروا "الحرشي" بالحاء، لقول صاحب كتاب " الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٩٢٦/٣): "من الحريش، وهم بطن من بني عَامِر بْن صعصعة" . وانظر أيضًا: أسد الغابة (٢٧٥/٣). **صفحة (٩٥)** السطر التاسع، الحارث بن يزيد، غير ربيعة الجرشي، لقول صاحب "المعجم الكبير للطبراني ٦٥/٥": حَدَّثَنِي الْحَارِثُ بْنُ يَزِيدَ، أَنَّهُ سَمِعَ رَبِيعَةَ الْجُرَشِيَّ يَقُولُ. وذكر الحديث. وانظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (١٠٩٦/٢)، وأسد الغابة (٢٦٧/٢). **صفحة (٩٧)** السطر الرابع عشر. ينقل الدكتور عن الأغاني: أن أم عمرو بن معدي كرب الزبيدي من جرم. وفي الحاشية رقم (٤) ذكر أن جرم بطن من بجيلة .. ، إلاّ أن البلاذري قال بخلاف ذلك، حيث أرجعها إلى مرة بن جشم وسَمَّاهَا فقال في: أنساب الأشراف (٢٦٣/١١): ومرة بن جشم. فمن بني مرة: سلمى بنت الحارث بن مرة، أم عمرو بن معدي كرب الزبيدي سبيئة. ويقال إنها ابنة زهير ابن أقيش العكلي. وخالفهما ابن عساكر، في تاريخ دمشق (٣٧١/٤٦) فقال عنها: وأمه أسيلة بنت قيس من بني عجل. ووافقه ابن خلدون (٣٦١/٢) والزركلي (٧١/٢) وصاحب كتاب نهاية العرب. وكذلك صاحب معجم قبائل العرب القديمة والحديثة (٧٥٧/٢): مصدر الدكتور. فليت الدكتور نظر هذه الكتب ورجّح ممن تنتسب أم الزبيدي عمرو ليريحنا من هذه الأقوال المتضاربة في نسبها.

صفحة (٩٨) السطر الرابع: الشعر: البيت الثاني: "صبحتم". الصواب: "صبحتهم". "ببرق" الصواب: "يبرق". السطر الثالث: "درئية" الصواب: "دريئة". السطر الخامس: "تلاقيتا". الصواب: "تلاقتا". "اللقا". الصواب: "اللقاء". صفحة (٩٨) السطر الحادي عشر: الرجز: "يا آل". الصواب: "يال". **صفحة (٩٩)** السطر الأول: الشعر: البيت الأول: "نا". الصواب: "كنا". ويقول محقق الديوان أن

لفظة: "بهن" تصحيف. والصواب: "نهز". عجز البيت الأخير: "الأجيال". الصواب: "الأجبال". **صفحة** (١٠٠) السطر الحادي عشر: "ألم". الصواب: "ألم". "إن لنا". الصواب: "إن بنا". **صفحة** (١٠١) السطر الثامن: يقول الدكتور عن تأبط شرًّا وقبيلته: "وكانت قبيلته تضم عددًا كبيرًا من الشعراء مثل الشنفرى". قلت الشنفرى ليس من قبيلة تأبط شرًّا، بل هو من الإواس من بطون الحَجْر. وقد قال الأستاذ الدكتور بذلك في حاشية صفحة (٤٩). **صفحة** (١٠١) السطر الرابع: في صدر البيت الثاني من شعر عمرو، كما ورد في ذلك المؤلف المجهول: "دهينة". الصواب: "رهينة". وعجزه: "بقوتي". الصواب: "بهمتي". أمَّا البيت الأول فلم أجده في مصدر الدكتور غيثان. وبيت تأبط شرًّا: "فأصبحت الغول". الصواب: "فأصبحْتُ والغول". "جار تالك". الصواب "جارتا أنت". وفي الحاشية: "رجل". الصواب: "رجلاً". "فلم رآهم". الصواب: "فلما رآهم". وتأبط شَرًّا لم يكن من رجال الأزد، فلماذا أوردته؟ **صفحة** (١٠٢) السطر الثاني: أبيات تأبط في أعلى الصفحة: "متباطئا". الصواب: "متباطنا". السطر الثالث: "أو اثنين فلا". الصواب: "أو اثنين مثلينا فلا". السطر الرابع من صفحة (١٠٢) "قَتل اثنين". الصواب: "قُتل اثنان". صحة مفردات شعر تأبط بعد الأولى: "العواصي". الصواب "العوص". "فتى كان..". الصواب: "فتى نلتم كأنّ..". **صفحة** (١٠٢) من سطر (١٠) البيت الأول من شعر تأبط شرًا: "وقعها". الصواب: "وقعهما". "خفيف". الصواب: "حثيث". "الطليم حذار ثالة". الصواب: "الظليم دعا رئاله". **حاشية صفحة** (١٠٢) السطر الثاني: "فآذوا نعمًا". والصواب: "فأخذوا نعمًا". **صفحة** (١٠٣) صحة مفردات شعر الأفوه الأودي (الثلاثة الأولى) كما وردت في ديوانه (٧٢): "ولياليه إلا". الصواب: "ولياليه إلال". وصحة عجز البيت الثاني: "ومدى قد تجتليها وشفار" "وصروف الدهر على أطباقه". الصواب: "فصروف الدهر في أطباقه". ومن الأبيات الأربعة في ديوانه (٦٦): و"يبنى". الصواب: "يبتنى". "بلغوا الذي كادوا". الصواب: "بلغوا الأمر الذي كادوا". **صفحة** (١٠٤) السطر الحادي عشر: صحة بيت عمرو بن الخثارم الثاني كما ورد في كتاب: المحبر (٢٤٣):

يعينون الغنيَّ على غناه ويثرو في جوارهم القليلُ

صفحة (١٠٤) من مفردات صدر بيت عمرو بن خثارم الأول: "ما كان". الصواب: "من كان" وآخر صدر البيت الأخير: "بينوا". الصواب: "تبينوا". **صفحة** (١٠٥) السطر الخامس: صحة بيت المرأة الأول:

إن الـزمـان رمـاني مـنـه بـالمحـن وذلـنـي بـفـراق الأهـل والـوطـن .

وهـذا البيت من جملة أبيات لم يرد فيها البيـت الثاني الذي ذكره الدكتور . ولعله في كتاب آخر لم أطلع عليه ، ولقد أكثر دكتورنا من شعر شعراء السراة ، إلا أنه لم يذكر بيتًا واحدًا لشاعر من زهران أو غامد ! فلماذا يا تُرَى؟[١] . **صفحة (١٠٨)** السطر الثالث: "حـل" . الصـواب كمـا في المصدر : "ودخـل" . وسبق أن قلنا سابقـا أن كتاب "الإمامة والسياسـة" ، مدسوس على ابـن قتيبة السني ، ولـذا فإن تلك الخطبـة المزعومة التي أوردتها لجرير بن عبد الله البجلي ،(رضي الله عنه) ، . على ما فيها من نقص بعض حروفها . تحتاج إلى إثبات من مصدر آخر .**صفحة (١٠٩)** بيت الشعر: "فاللّه" . الصواب : "فلله" . "نـولا" . الصـواب : "نـوالا" . كل هـذه في ديوان عمرو الزبيـدي . وأما التي في كتاب العقـد الفريـد ، (٣١٩/١) فصـواب العبارة في المتن والحاشية كالتـالي: ".. فقال له : اذكـر حاجتك . فقال لـه : حاجتي صلة مثلي . فأعطاه عشـرة آلاف درهم، وفرسا من بنات الغبراء ، وسيفا جرازا ، ودرعا حصينة ، وغلاما خبازا ؛ فلما خرج من عنده . قال له أهل المجلس: كيف وجدت صاحبك ؟ قال: لله بنو سليم ! ما أشد في الهيجاء لقاءها ، وأكرم في اللأواء عطاءها ، وأثبت في المكرمات بناءها . واللّه يا بني سليم ، لقد قاتلناكم في الجاهلية فما أجبنّاكم .." .

صفحتا (١١١، ١١٢) لم يأت الدكتور بخطبة قس بن ساعدة، من كتاب "الأغاني (٦)" كاملـة. **حاشية صفحة (١١١)** السطـر الثالث : بيـت الشعـر: "أحداكمـا" . الصواب : "أجدكمـا" . السطـر الرابـع : "مفـرج" . الصواب : "مفـرد". **صفحة (١١٢)** السطر الرابع عشر: "وزوجوه" . الصواب : "وزوجوا" . **صفحة (١١٣)** صحة صدر بيت سحبان وائـل: "لَقَدْ عَلِمَ الْحَيُّ الْيَمَانُونَ أَنَّنِي" . **صفحة (١١٣)** السطـر السابع : الشعر : "أكرم بهـا" . الصـواب : "أكـرم من بها" . "حسنـا" . الصـواب : "حسبًـا" . "في أشاهد" . الصـواب: "في المشاهـد" . ويقـال : إن قائل هذا الشعر هـو: عجلان بن سحبان. انظر:

---

(١) أولاً أشكـرك يـا أستـاذ علي على هـذه التصويبـات والإضافات ونسـأل الله التوفيق حتـى نعيد طابعة المجلدات التي خرجت من موسوعة (القول المكتوب ...) ونأخذ بكل الملحوظات التي وصلتنا منك ومن غيرك من الإخوة الباحثين في بلدان الجزيرة العربية. أما قولك أنني أغفلت شعر شعراء غامد وزهران ، فلـم يكـن إغفالي لهم متعمداً . وشعراء تهامة والسراة بما فيهم بلاد غامد وزهران فهم كثيرون ولهم تـراث أدبي كبير مـن العصر الجاهلي وعبر أطـوار التاريخ الإسلامي . ونأمل أن نـرى أساتذة التاريخ والأدب واللغـة في الجامعات المحلية في بلدان تهامة والسـراة فيتولوا جمع وتدوين تراث أولئك الشعراء والأعلام الذين عاشوا داخل أو خارج أرض السراة وتهامة . (ابن جريس) .

المعارف (١/٦١١) . وأنساب الأشراف للبلاذري (١٣/٢٤٦) . والجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة (١/٣٥٣) . **صفحة (١١٥)** وددت لو نقل الدكتور كلام أبي هريرة (رضي الله عنه) وهو يحث المقاتلين في معركة اليرموك على الجهاد ، حيث ورد في تاريخ ابن عساكر : (٢٠/١٦٠) قوله : "عن عبد الأعلى بن سراقة عن أبيه قال انتهينا إلى أبي هريرة يعني يوم اليرموك وهو يقول تزينوا للحور العين وجوار ربكم في جنات النعيم ما أنتم إلى ربكم في موطن من المواطن بأحب إليه منكم في مثل هذا الموطن ألا وإن للصابرين فضلهم" . وإلاّ تلك الخطبة التي قالها سواد بن قارب الدوسي ، عندما توفي النبي (ﷺ)، فحينَ بَلَغَ دوس "وَفَاةُ رَسُولِ اللَّه- ﷺ- قَامَ حينَئذ سَوَادٌ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الأَزْد ، إنّ منْ سَعَادَة الْقَوْم أنْ يَتّعظُوا بغَيْرهمْ ، وَمنْ شَقَائهمْ أَلّا يَتّعظُوا إلّا بأَنْفُسهمْ ، وَمَنْ لَمْ تَنْفَعْهُ التّجَارِبُ ضَرّتْهُ ، وَمَنْ لَمْ يَسَعْهُ الْحَقّ لَمْ يَسَعْهُ الْبَاطلُ ، وَإِنّمَا تُسْلمُونَ الْيَوْمَ بِمَا أَسْلَمْتُمْ بِه أَمْس ، وَقَدْ عَلمْتُمْ أَنّ النّبيّ- ﷺ- قَدْ تَنَاوَلَ قَوْمًا أَبْعَدَ منْكُمْ فَظَفرَ بهمْ ، وَأَوْعَدَ قَوْمًا أَكْثَرَ منْكُمْ فَأَخَافَهُمْ ، وَلَمْ يَمْنَعْهُ منْكُمْ عدّةٌ وَلَا عَدَدٌ ، وَكُلّ بَلَاء مَنْسيّ إلّا ما بَقيَ أَثَرُهُ في النّاس ، وَلَا يَنْبَغي لأَهْل الْبَلَاء إلّا أَنْ يَكُونُوا أَذْكَرَ منْ أَهْل الْعَافيَة للْعَافيَة، وَإِنّمَا كَفّ نَبيّ اللّه عَنْكُمْ مَا كَفّكُمْ عَنْهُ ، فَلَمْ تَزَالُوا خَارجينَ ممّا فيه أَهْلُ الْبَلَاء ، دَاخلينَ ممّا فيه أَهْلُ الْعَافيَة ، حَتّى قَدمَ عَلَى رَسُول اللّه -ﷺ- خَطيبُكُمْ وَنَقيبُكُمْ فَعَبّرَ الْخَطيبُ عَنْ الشّاهد وَنَقّبَ النّقيبُ عَنْ الْغَائب ، وَلَسْت أَدْري لَعَلّهُ تَكُونُ للنّاس جَوْلَةٌ فَإِنْ تَكُنْ ، فَالسّلَامَةُ منْهَا : الْأَنَاةُ ، وَاَللّه يُحبّهَا ، فَأَحبّوهَا . فَأَجَابَهُ الْقَوْمُ وَسَمعُوا قَوْلَهُ[١]" .

صفحة (١١٤) السطر الرابع عشر . أرى دكتورنا لم يعلق على خطبة الأمير خالد القسري ، حينما فَضَّل ماء تلك البئر التي حفرها لأهل مكة بأمر من سليمان بن عبدالملك ، على ماء زمزم. وقد قال رسول الله (ﷺ): ""خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم فيه طعام من الطعم ، وشفاء من السقم" . صححه ناصر الدين الألباني رحمه الله في : صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/٦٢٧) . **صفحة (١١٦)** السطر الرابع عشر: الذي قَالَ : "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِالطِّبِّ مِنْ عَائِشَةَ" (رضي الله عنها) . هو عروة ، وليس هشام بن عروة . ولم تتعلم عائشة رضي الله عنها، الطب من الرسول

(١) الروض الأنف : ٢/٣٢٣ . (ابن سدران) .كما ذكرت لك يا علي في هذه الدراسة وفي دراستك السابقة الموجودة في أول هذا القسم بأن قبائل السراة بما فيهم دوس لهم أمجاد وتاريخ مشرق عبر أطوار التاريخ الإسلامي وبخاصة في صدر الإسلام ، حبذا أن نرى باحثاً جاداً فيجمع مآثرهم وتاريخهم من كتب التراث ويخرجها لنا في دراسة علمية. (ابن جريس).

(ﷺ) ، وإن كانت أخذت عنه الكثير ، وقد سألها : " عُرْوَةَ فقَالَ : " يَا خَالَةُ ممَّنْ تَعَلَّمْت الطِّبَّ ؟ قَالَتْ : كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَنْعَتُ بَعْضُهُمْ لِبَعْض فَأَحْفَظُهُ"(١) . **صفحة (١١٧)** السطر الثاني: "لا تعرني" . الصواب: "لا تَغُرَّنِي" . السطر الرابع: ورد في المصدر بعد قول عمر (رضي الله عنه) : "لَعَلَّ اللَّه" . قوله ـ جَلَّ ذِكْرُهُ ـ . **صفحة (١١٧)** السطر الثامن. لم يرد حديث ضماد بن ثعلبة الأزدي (رضي الله عنه) ، في كتاب "الإصابة" كما قال أستاذنا الدكتور. والذي ورد فيه هو: "ضمام بن ثعلبة السّعديّ" . أمّا ضمام ابن ثعلبة الأزدي ، فقد ورد في عدة كتب منها "دلائل النبوة للبيهقي" و "أسد الغابة في معرفة الصحابة (٤٣٨/٢) . **صفحة (١١٨)** يقول الدكتور عن نافع الجرشي ، بأنه كان طبيبًا ، واستند على ابن الأثير في كتابه "أسد الغابة" . قلت ابن الأثير لم يقل عنه بأنه كان طبيبًا ، وإنما جعله راويًا حديث أحد الكهان فقال : "عن نافع الجرشي أنه حين بعث الله تعالى محمدا كان كاهن في رأس الجبل ـ وعنه في كتاب : السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (٢٨٥/١) : "أن بطنا من اليمن كان لهم كاهن في الجاهلية ، فلما ذكر أمر رسول الله (ﷺ) وانتشر في العرب ، وجاؤوا إلى كاهنهم واجتمعوا إليه في أسفل جبل ، فنزل إليهم حين طلعت الشمس ، فوقف لهم قائما متكئا على قوس، فرفع رأسه إلى السماء طويلا . ثم قال: يا أيها الناس، إن الله أكرم محمدا واصطفاه وطهر قلبه وحشاه ، ومكثه فيكم أيها الناس قليل" . لكن هذه القصة وردت باسم علي بن نافع الجرشي ، وأنَّ الكاهن غير نافع الجرشي ، ومن المصادر التي أوردتها كتاب "سيرة ابن هشام ٢٠٩/١" فهو يقول : "قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ نَافِعِ الْجُرَشِيُّ : أَنَّ جَنْبًا : بَطْنًا مِنْ الْيَمَن ، كَانَ لَهُمْ كَاهِنٌ فِي الْجَاهِلِيَّة ، فَلَمَّا ذُكِرَ أَمْرُ رَسُولِ اللَّه (ﷺ) وَانْتَشَرَ فِي الْعَرَب ، قَالَتْ لَهُ جَنْبٌ : انْظُرْ لَنَا فِي أَمْرِ هَذَا الرَّجُل ، وَاجْتَمَعُوا لَهُ فِي أَسْفَلِ جَبَلِه ، فَنَزَلَ عَلَيْهِمْ حِينَ طَلَعَتْ الشَّمْسُ ، فَوَقَفَ لَهُمْ قَائِمًا مُتَّكِئًا عَلَى قَوْس لَهُ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إلَى السَّمَاء طَوِيلًا ، ثُمَّ جَعَلَ يَنْزُو ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إنَّ اللَّه أَكْرَمَ مُحَمَّدًا وَاصْطَفَاهُ ، وَطَهَّرَ قَلْبَهُ وَحَشَاهُ ، وَمُكْثُهُ فِيكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ قَلِيلٌ. ثُمَّ أَسْنَدَ فِي جَبَلِه رَاجِعًا مِنْ حَيْثُ جَاءَ" . أمّا الذي قال: "يا رسول الله: أفي الطب خير ؟ قال: نعم أنزل الدواء من أنزل الداء" . فهو أحد أطباء حي أنمار، كما جاء في كتاب (ابن جلجل) مصدر الدكتور ، وليس القائل نافع الجرشي .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤٥٦/٣) . (ابن سدران) .

صفحة (١١٩) السطر الثامن . قول جرير رضي الله عنه ، عن أحوال الإسلام ، ورد في كتاب "الطبقات وغيره "وليس في كتاب "الأزرقي" . وآخر سطر في المتن : "جرير" . الصواب: "جريرًا" ولم أجد مسجد تبالة في كتاب الأزرقي . لكنني وجدت في كتاب "خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي (١/ ١٩٠) : "وَحكى الْمبرد أَن مَوضع ذِي الخلصة صَار مَسْجِدا جَامعا لبلدة يُقَال لَهَا العبلات من أَرض خثعم" . ولم يذكر تاريخ بنايته . **حاشية صفحة** (١٢٠) خلط الدكتور ثانية بين صنم ذى الخلصة بتبالة الذي هدمه جرير البجلي رضي الله عنه ، وصنم ذي الخلصة بدوس الذي هَدَمَ ما بقي من جدرانه الأمير عبد العزيز بن إبراهيم ، في عهد الدولة السعودية الثالثة . وكذلك في متن صفحة (١٢٢) [(١)] . **صفحة** (١٢١) السطر الثامن : "حانبا" . الصواب : "جانبًا" . ولم يكن زعماء خثعم مَن أمروا بصنع صنم (فراش) إنما هو أحدهم ، واسمه "راس الغول" كما جاء في ذلك المؤلف المجهول " : ثم إن الملعون أمر بإحضار الصناع بين يديه والأمم ففي عاجل الحال أحضروهم إليه فقال لهم أريد منكم أن تصطنعوا لي صنما كبيرا ويكون من الزبرجد الأخضر وعيناه من الياقوت الأحمر ويكون في أحسن ما يكون من الصناعات . فأجابوه بالسمع والطاعة وصنعوا له ذلك الصنم فلما رآه الملعون خر ساجدا من دون الله ، واتخذه إلها وأمر العربان بأجمعهم أن يسجدوا لهذا الصنم وسماه الرب فراش" [(٢)] . **صفحة** (١٢٣) السطر الثالث : الأسطر الأربعة في هذه الصفحة لم أجدها في ذلك المؤلف المجهول . السطر السادس من هذه الصفحة : "أعدائهم" . الصواب: "أعداءهم" . **صفحة** (١٣٤) السطر الخامس : "أجزائها" . الصواب : "أجزاءها" . **صفحة** (١٣٧) ذكر الزركلي في كتاب الأعلام أن وفاة عرام بن أصبغ نحو (٢٧٥هـ) وكذلك في معجم المؤلفين ، وهذا التاريخ مثبت على مخطوطة جامعة الملك سعود " : جبال تهامة وسكانها .. " . وكذلك عند محقق الكتاب عبد السلام هارون ، فعلام اعتمدت في وفاته عام(٣٠٢ هـ) ؟ **صفحة** (١٣٨) : ولد ومات ابن خرداذبة كما قال الزركلي " (نحو ٢٠٥ .نحو ٢٨٠ هـ) وفي معجم المؤلفين . توفي نحو ٣٠٠هـ . فهل توافقهما ؟ **صفحة** (١٣٩) السطر الرابع : "إخراج" . الصواب : "أخراج" . **صفحة**

(١) تاريخ الأصنام في بلاد تهامة والسراة يحتاج إلى جمع وتدوين ، ونأمل أن نرى أحداً من طلابنا في برنامج الدراسات العليا في جامعة الملك خالد فيتولى هذا الموضوع بالدراسة والتوفيق . (ابن جريس) .

(٢) لا أدري يا أستاذ علي عن مصداقية هذه المعلومات التي أشار إليها هذا المؤلف المجهول ، فهناك الكثير من المبالغات والروايات التي لا نجدها في أي مصدر آخر . وهذا الكتاب يحتاج إلى دراسة وتحقيق تؤكد أو تنفي ما ورد فيه من معلومات. (ابن جريس) .

(١٤٣) السطـر العاشر : "المئين كيل" . الصواب : المائتين كيل . "ن فروع" . والصواب : "من فروع" . صفحة (١٤٦) السطر الثاني : الشعر في عجز البيت الثاني : "فؤادي" . الصواب : " فوادي" . السطر الخامس : "رنبة" . الصواب : "رنية" . **صفحة (١٤٧)** أين يقـع وادي "أبيدة" بيـدة ؟ وهل تؤيد من يقول: مات قدامة بـن جعفر سنة (٣٣٧هـ)؟. **صفحة** **(١٤٨)** لم يقـل قدامـة بن جعفـر ، في كتابه : "الخـراج وصنعـة الكتابة" : "من الطائـف إلى تربـة" . وإنما قال: "مـن الفتق إلى تربة" . والقول بعـد هذه العبارة على تمامه . السطر العاشر: "وهي بطن وادي" . الصواب "وهي بطن وادٍ" .

صفحة **(١٥١)** لم يقل ناصر خسرو: "العمران قليل في بلاد العرب" . وإنما قال وهو يتحـدث عن "فلج" . لعلها مدينة بأرض اليمامـة يقال لها : فلج الأفلاج . كما في معجم البلدان (٤/٢٧١) : فقال عنها خسرو : " وَمن مَكَّة إليها ثَمَانُون وَمائَة فَرسَخ ، وَتَقَع فلج هَـذه وسط الصَّحـرَاء وَهي نَاحيَة كَبيرَة وَلكنهَا خربَتْ بالتعصـب ، وَكَانَ الْعمرَان حين زرناَهـا قاصرا على نصـف فَرسَخ في ميل عرضـا .. " . وفي السطر العاشر يضاف إلى المـدن التي ذكرها الدكتـور مدينة "عثر" . لأنها من المدن التي ذكرها صاحب الكتاب . **صفحة (١٥٢)** السطر العاشر ، يضاف إلى هذه الأودية وادي "العقيق" . لوجوده بالأصل . **صفحة** **(١٥٣)** السطـر : الحادي عشر ، يقـول الدكتور عن البكـري : "وأورد اسم رنية بالنـون .. قلـت : الصواب أن البكري ناقل وليس هو القائـل بدليل قوله عمن نقل عنه : "هكذا نقلته من خطّ يعقوب : رنية بالنون ، وغيره يقول : رقية ، بالقاف" . **صفحة (١٥٥)** السطـر الأول . يبـدو لي أن كلمـة (والطائف) من قول الدكتـور ، فهي لم تذكر في قول المؤلف . **حاشية صفحة (١٥٦)** السطر (١٢) : "مقتدرين" . الصواب : "مقتدرون" . **حاشية** **صفحة (١٥٨)** السطـر (١٣) : "الحص" . الصواب : "الحصا" . **صفحة (١٦١)** السطر الخامس ، لفظة "وعروش" الصواب "وغروس" . والسطر السادس ، لفظة : "أكثرهم" صوابها : "أكثرها" . والسطر التاسع ، "بها" الصواب : "بهم" . "يفارقه" . الصواب : "يفارقهم" . **حاشية صفحة (١٦٢)** السطر الثامن: "نسخة" . الصواب: "نسمة. "كثير" . الصواب: "كثيرًا" . **حاشية صفحة (١٦٩)** "السطر الثاني عشر: عديدون" . الصواب: "عديديـن" . **حاشية صفحة (١٧٤)** السطر الثالـث : "أصفاع" . الصـواب: "أصقاع" . **صفحة (١٧٥)** السطر السادس : مياه وادي تربة تأتي من سروات بجيلة كما ذكر الدكتور غيثان ولكن أساس منبعه من بلاد زهران . **صفحة (١٧٦)** السطر الرابع : عن وادي تُربَة ينقـل أستاذنـا الدكتور غيثان، عن عاتق البلادي قولـه : "ويسيل هذا الوادي من سراة

غامد.." قلت: وادي تُربة لا يسيل من سراة غامد، ولكنه يسيل من سراة زهران يقطعها من الجنوب إلى الشمال. **صفحة (١٧٩)** السطر الرابع: "جزء كبير". والصواب: "جزءًا كبيرًا"[1]. صفحة (١٨١) السطر السابع: "رحالين وجغرافيين". والصواب: "رحالون وجغرافيون". **حاشية صفحة (١٨٤)** السطر الأول: "ذكر". الصواب: "ذكرًا". **صفحة (١٨٥)** السطر الرابع: "رائدان". الصواب: "رائدين". **صفحة (١٨٧)** السطر السابع: "ورينة". الصواب: ورنية". وفي الحاشية السطر الثاني: "لازلتا" الصواب: "لا زالتا". **صفحة (١٨٩)** السطر الرابع: "رحالين آخرين". الصواب "رحالون آخرون". الثالث عشر: "مطبقان". الصواب: "مطبقين". وفي سطر الحاشية السادس: "هذه الرحالة". الصواب: "هذا الرحالة".

حاشية صفحة (١٩١) السطر الأخير: "الثلاث". الصواب: "الثلاثة". **صفحة (١٩٨)** السطر الحادي عشر: "خمسون". الصواب: "خمسين". **صفحة (١٩٩)** السطر الثالث: "ويؤسسة". الصواب: ويؤسس". وكانت حكومة الأشراف تعتمد على جازان كمصدر من مصادر الاقتصاد لدعم الحكومة ماليًّا، فقد ذكر جيرالد دي غوري، صاحب كتاب "حكام مكة (١١١): "وكانت إيرادات (جيزان): (١٥٠٠٠) فضية ترد عن طريق الجمرك، وعشرة آلاف فضية من منجم الملح". **صفحة (٢٠٧)** السطر الثامن. "ثمانين". الصواب: "ثمانون". **صفحة (٢١٣)** جدول رقم (١) السطر الخامس: "المنصرمية". الصواب: "المنصرمة". **صفحة (٢٢٦)** السطر الثاني عشر: "الترف". الصواب: "التَّرَفُّه". **صفحة (٢٣٢)** السطر الأول. البيت لجرير وليس للأخطل، وصواب صدره: والتَّغْلبي إذا تنحنح للقِرَى .. انظر ديوان جرير: (٣٦٢) دار بيروت للطباعة والنشر. **صفحة (٢٣٦)** صحة شطر الرجز الأول في ديوان روبة بن الحجاج، صفحة (١١٦): رحب الفروغ مكرب العراقي ... **صفحة (٢٣٨)** السطر الثامن. (ولاّ). الصواب: "والاّ". **صفحة (٢٤١)** السطر العاشر. "ذُو حَدٍّ". الصواب: "ذُو جَدٍّ". **صفحة (٢٦٩)** السطر الأول. هذا البيت من بيتين، صدره صدر البيت الحادي والأربعين، وعجزه عجز البيت التاسع والعشرين، وروايته كالتالي: (إذا نحن لم نمسك بأطرافها قسرا).

---

[1] شكر الله لك يا أستاذ علي على هذه التصويبات والإضافات القيمة، ونأمل أن يوفقنا الله حتى نعيد طباعة العشرة أجزاء الأولى من (كتاب القول المكتوب ...)، ونقوم بتصويب جميع الملحوظات التي وصلتنا منك ومن غيرك. (ابن جريس).

لعل هذا البحث الجيد المقدم من الأستاذ محمد بن أحمد معبر ، أحد ملازم كتاب يريد إصداره أو نواة لكتاب ينوي كتابته ، وهو في الحقيقة جيد في موضوعه ، وليت الأستاذ القدير ينظر في هذا البحث فيضبطه بالشَّكل ، لأني رأيت معظم كلماته مُشَكَّلَة على غير وجهة الإعراب المتعارف عليها . **صفحة** (٢٩٠) السطر العشرون : "الدولة" . الصواب : "المُدَوَّلَة" . **صفحة** (٢٨٧ – **منتصف** ٢٨٩) ليت الدكتور مجلي ، أكمل لنا ضبط أسماء قبائل منطقة جازان بالشكل كما فعل قبل هذه الصفحة ، ففيها فائدة لمن هم خارج منطقة جازان . **صفحة** (٢٩١) السطر الرابع عشر : المِرْكَن من أدوات الشرب ، كما قال الباحث أعلى الصفحة ، لكن كيف : "يستخدم في حفظ طحين الذرة أو الدخن" . **صفحة** (٢٩٢) هذه من عادات العيد في عيد الفطر المبارك ، وهي عند كل أهل الجنوب لا خلاف في ذلك ، فهل السائد في جازان أن يتناول معظم الناس طعام الفطور في عيد الأضحى كما هو الحال في عيد الفطر أم ينتظرون به حتى ذبح الأضاحي كما جاءت به السنة الشريفة؟. **صفحة** (٢٩٣) السطر الثامن عشر : "الجازاتي" . الصواب : "الجازاني" . **صفحة** (٢٩٤) السطر العاشر . "إله" . الصواب : "إليه" . **صفحة** (٢٩٨) السطر الثاني عشر : "عسر" . الصواب : "عسير" . **صفحة** (٣٠١) السطر التاسع : "تسمى تنومة" . صوابها : "تسمى في تنومة" . **صفحة** (٣٠٢) السطر الخامس: "نوعًا" . الصواب : "نوعٌ" . **صفحة** (٣٠٤) السطر الرابع عشر : "الدُبُر" : لهجة محلية . والصواب : الدُّجُر . وقد تكررت . وفي الحاشية : "كثير" . والصواب: "كثيرًا" [1]. **حاشية صفحة** (٣٠٦) السطران الأول والثاني: "جزء" . الصواب : "جزءًا" السطر الثاني: "ألعاب" . الصواب "ألعابًا" ، وكذلك السطر الثالث . **صفحة** (٣١٠) السطر الخامس عشر: يقول الكاتب : ".. وبعد صلاة العصر يقام الاحتفال الخاص بالزواج في منزل العريس بحضور أفراد قبيلته وغيرهم من المدعوين .." ثم قال بعد سطرين : "وما أن يصلون (يصلوا) - أي العصر كما يفهم من السياق - حتى يُقدم لهم (المُقَدَّم) والقهوة والشاي .." فهل يقدم لهم المقدم بعد الصلاة مباشرة ، أم يبدأ الاحتفال قبل المقدم ؟ . السطر الثامن عشر . "أن يصلون" . الصواب : "أن يصلوا" . **صفحة** (٣١١) هل تتسع تلك المساجد للمصلين "التي عادة ما تكون صغيرة المساحة نسبيًا .. كما يقول الكاتب في القرى المأهولة بالسكان" ؟ في الغالب أن القرى تبني مساجدها على قدر مصليها وتحتاط لمن يقدم عليها . **حاشية صفحة** (٣١٦) يقول الدكتور غيثان عن الحصون المنتشرة في الجزء

---

(١) أكرر شكري لك يا ابن سدران على هذه الملحوظات والتصويبات والإضافات القيمة . (ابن جريس) .

التهامـي من مكة إلى جـازان ، وبعض مناطق شهران وقحطـان و .. " فجميع الحصون فيها مبنية من الطين ، وأحيانًا تكون الأجزاء السفلية منها بالحجارة والطين والطوابق العلويـة بالطـين " . قلت : هذا القول يمكن أن يُطبق على غالبية ما يلحق بعسير وجازان في تهامـة من حصون ، ولا يمكن تعميمه على عموم قبائل تهامة ، لأن في منطقة الباحة التهاميـة حصونًا مبنية بالحجـارة الخالصة ، ولو تجول الدكتـور في الأجزاء التهامية لزهران على سبيل المثال في قرية : "الجُوَّة" أسفل عقبة الباحة وما حولها ، وفي "جَرْدَاء بنـي علي" الدوسية ، شمـال محافظة قِلْوَة لوجد حصونًا سامقـة جميع طبقاتها مبنية بالحجر الخالص [1].

صفحة (٣١٨) يقـول الدكتـور أبو عراد ، وهـو يتحدث عن المجالـس الأدبية ، تحت عنوان : (نبذة تاريخية) " عرفت المجالس الثقافية أو المنتديات الثقافية ، أو الديوانيات في المجتمـع الإسلامـي منذ وقت مبكـر.. " قلت : مـا دام دكتورنا العزيز بـدأ الحديث بإعطـاء لمحـة تاريخية عن هذه المجالس الثقافية (الأدبيـة) في الإسلام ، فكنت أتمنى أن يتحـدث عنها لدى المجتمع الجاهلي لكونها النـواة التي بذرت فيه واستمر العمل بها في الإسـلام، لقـول علي الجنـدي ، في كتابه (في تاريخ الأدب الجاهلـي ١١٦) : "كانت المجالـس الأدبيـة كثـيرة في العصـر الجاهلـي ، لكثرة المناسبـات التـي تستدعي هذه المجالس، وكان الأدب قوامها ، فحبب الكثير من الناس في حضورها ، والمداومة عليها ، لشغفهـم بالأدب وحبهم لـه ، إما إلقاءً ونشيدًا وإما سماعًا ومتعة ، وإما رغبة في حفظه وهضمه ، لتغذية مواهب أدبية ناشئة ، أو لصيانته ونشره في الآفاق بين مختلف الأجيال. كان الأدب يحظـى بالاهتمـام والعناية والرعايـة والنشر عن طريق السمـاع والمشافهة والروايـة ، واستمـر اهتمام العرب بالأدب كذلك في صدر الإسلام .. " . في تاريخ الأدب الجاهلي (١ / ١١٧) : ويكفي شاهدًا على استمرار المجالس الأدبية وترديد الآثار الأدبية عـن طريـق الرواية والمشافهـة وردود الأخبار الصحيحة عن حضـور النبي (ﷺ) هذه المجالـس، وطلبه أن يسمع شيئًا مـن القطع الأدبية الممتازة، فمن ذلك ما يرويه صاحب الأغـاني (١٨) عن أنس بن مالك قال: " جلـس رسول الله (ﷺ) في مجلس ليس فيه إلا خزرجي ، ثم استنشدهم قصيدة قيس بن الخطيم ، يعني قوله:

---

(١) نعـم أتفـق معك يا أستاذ علي وهذا ما شاهدته أثناء رحلة قمت بها في تهامة عسير والباحة خلال شهر ربيـع الآخـر عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) . وأقول إن تاريخ العمـارة في هذه النواحي يستحـق ان يفرد لها دراسات عديدة موثقة . ونأمل من جامعتي الملك خالد والباحة أن تشجع بعض أساتذتها على إنجاز مثل هذه البحوث . (ابن جريس) .

أتـعـرف رسـمًـا كـاطـراد المـذاهـب　　　لـعَـمْـرةَ وحـشًـا غـيـر مـوقـف راكـب

فأنشده بعضهم إياها ، حتى بلغ إلى قوله.

أجـالـدهـم يـوم الحـديـقـة حـاسـرًا　　　كـأن يـدي بـالـسـيـف مخـراق لاعـب

فالتفـت إليهـم رسول الله (ﷺ) ، فقال: "هل كان كما ذكـر؟ " فشهد له ثابت بن قيـس بـن شماس، وقال له: والذي بعثك بالحق يا رسـول الله، لقد خرج إلينا يوم سابع عرسه وعليه غلالة وملحفة مورسة فجالدنا كما ذكر"[1].

حاشية صفحة (**٣١٩**) السطر العاشر : يقول الدكتور غيثان: "يتواجد الاستيطان.." **وفي حاشية صفحة:** (**١٦٠**) السطـر الثاني : "متواجـدًا" . قلت : لفظـة "التواجد" بمعنى : "يوجـد" أو ينتشر لم ترد في القواميس العربيـة ، وهي كما قال : عبد الهادي أبو طالب : صاحـب كتـاب : "معجم تصحيـح لغة الإعلام العربي" : كلمة مُحْدَثَـة : أي أدخلت إلى العربيـة حديثا" ويقول أيضًا " وكثيرا ما يستعمل الصوفيون هذه الكلمة "إنه يذكر الله في تَواجُـد عميـق" . وكلمة "يوجد" تغني عنها ، فيقال على سبيل المثال : يوجد أو ينتشر الاستيطـان البشـري .. ، وهي أيضًا في حاشية صفحة (٤٢٤) السطر التاسع . **حاشـية صـفحة** (**٣٢١**) السطر السادس : "المخاطبين" . الصواب : "المخاطبون" . **حاشـية صفحة** (**٣٢٢**) السطر الرابع : "ذاتي" . الصواب : "ذاتيًا" . **حاشية صفحة** (**٣٢٣**) السطر الثاني: "باحث" . الصواب : "باحثًا" . **صفحة** (**٣٢٤**) السطر قبل الأخير: "الدُّبُر" . وكذلك في **صفحة :** (**٣٣٠**) مصطلح محلي صوابه : "الدُّجُر" . **حاشية صفحة** (**٣٢٨**) السطر الثالث : "العاملين" . الصواب : "العاملون" . **صفحة** (**٣٣٦**) السطر الثالث : "الليص" لعل الكاتب يقصـد "النَّيْص" وهـو حيوان يأكل الذرة ، وقد عَرَّفه باسـم (القنفذ) والقنفذ حيوان غير النيص وأصغر منه . **صـفحة** (**٣٣٧**) السطر الثاني والعشرون : هل "الكانون" يوضع فيـه الجمر ، أم يوضع على الجمر و(الحطب) لتستقر على ظهره أواني الطبخ والقهوة والشاي . قال أبو دهبل في ديوانه "٧٠" وهي التي اعتمدت عليها :

---

(١) وأقـول يا أستاذ علي بن سدران أن بلاد السـراة وتهامة عرفت الكثير من اللقاءات والمنتديات منذ العصر الجاهلـي وعـبر اطوار التاريـخ الإسلامي . وهذا الموضوع يستحـق أن يبسط في عشـرات الكتب والرسائل والبحوث العلمية . ونشكر أبو عراد الذي طرح مثل هذا الموضوع ونأمل منه أو منك يا ابن سدران أن تزودنا بدراسـات عميقـة وموثقـة في هذا البـاب . كما نرجو من طـلاب الدراسات العليا وأساتـذة أقسام التاريخ واللغـة العربيـة وآدابها في جامعـات الجنوب السعـودي أن يدرسوا مثل هذا الموضـوع في عدد من البحوث الأكاديمية . (ابن جريس) .

تَجْعَلُ الْمِسْكَ واليَلَنْجُوجَ والنَّدَّ   صِلاءً لَهَا عَلَى الكانُونِ

صفحة (٣٤٠) السطر الثاني: لعل "اللّومة" كما وردت عند أغلب القبائل، هي الحديدة التي تركب في المحراث لشق الأرض. والله أعلم. **صفحة** (٣٤٠) السطر الثالث: "المَدْسَم": تسمية محلية لما تسوى به المزرعة بعد حرثها، ولكن ما هو اسمها المتعارف عليه عربيًّا؟ السطر السادس عشر. أليس السَّحْب هو المحراث وتلك الحديدة التي تركب في مقدمته السفلى تسمى: "السِّنَّة، أو حديدة السحب أو اللومة" وإلاَّ يختلف اسمه لدى أهل منطقة عسير؟ **صفحة** (٣٤٤) السطر السادس، لفظة "لهَزّ". لا تناسب المعنى الذي أراده الدكتور "أبو عراد" للَّبَن، وأرى استبدالها ب "المَخَض". جاء في: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١١٠٥/٣): مَخَضْتُ اللبنَ أمَخَضُهُ وأمْخُضُهُ وأمْخِضُهُ، ثلاث لغات". قال معاوية في: عيون الأخبار (٥٥/٤):

إذا راح في قوهيّة متلبّسا   تقل جعل يستنّ في لبن مخض[1].

صفحة (٣٤٥) السطر الأول: يثقب في الرحى العليا ثقبان، الأول في وسطها كما قال الباحث وذلك من أجل وضع الحبوب داخله أثناء الطحن، والثاني في أحد أطرافها يُثَبَّت فيه عود متين نسبيًّا بمقدر القبضة أو أرفع قليلاً، لتدير به الطاحنة الجزء العلوي من الرحى عند إرادة طحن الحبوب. **صفحة** (٣٤٦) السطر الرابع عشر: "كلاًّ". الصواب: "كلٌّ". وفي الحاشية: "مدن". والصواب: "مدنًا". **صفحة** (٣٦٠) السطر الأول: "الأخوين". الصواب: "الأخوان". **صفحة** (٣٦٥) السطر الثامن: "تاريخياً بعيداً". الصواب: "تاريخ بعيد". **صفحة (٣٦٧ وما بعدها)** كشف الأستاذ الدكتور غيثان، بعض خفايا البيت الجامعي ومَا يحصل فيه من خلاف، بين أناس مثقفين لا يفترض أن يصدر منهم مثل ذلك لمكانتهم العلمية، وقد يستغرب المرء بعض ما صَرَّح به الأستاذ الدكتور، وأتمنى ألاَّ ينعكس ما يدور بينهم من تَحَزُّب على مستوى الطلاب التحصيلي. وأن يكون هذا التحزب في صالح العمليتين التعليمية والتربوية.[2]

صفحة (٣٦٨) السطر العاشر: "سعوديين آخرين". الصواب: "سعوديون آخرون". والسطر الحادي عشر: "فرق وأحزاب". الصواب: "فرقًا وأحزابًا". وفي الحاشية:

---

(١) نحن جميعاً نشكرك يا ابن سدران على هذه الاستدراكات والملحوظات القيمة، ونسأل الله أن لا يحرمك أجر ما قدمت لنا ولطلاب العلم والمعرفة. (ابن جريس).

(٢) هذا الذي نتمناه جميعاً، ونسأل الله أن يصلح قلوبنا وأن يسخرنا لكل عمل صالح ومفيد في الدنيا والآخرة. (ابن جريس).

السطر السادس " : "صاروا" . الصواب: "صارا" . **صفحة (٣٦٩)** السطر الخامس : "الشرفية" . الصواب : "الشرقية . **صفحة** (٣٧٠) السطر الرابع : "قائم" . الصواب : قائمًا" . وفي السطر الأول من الحاشية : "كثير" . الصواب : "كثيرًا" . والسطر العاشر : "القائمين" . الصواب: "القائمون" . **حاشية صفحة (٣٧١)** السطر العاشر : "رث وهزيل" . الصواب : "رثًا وهزيلاً" . السطر الحادي عشر : "محدودين" . الصواب : "محدودون" . **صفحة (٣٧٣)** السطر الرابع عشر : "مجدياً" . الصواب : "مجد" . **صفحة (٣٧٤)** السطر الرابع عشر: "كثير" . الصواب: "كثيرًا" . وكذلك في السطر الأول من الحاشية . **حاشية صفحة (٣٧٥)** السطر الرابع : "ضعيف" . الصواب : "ضعيفًا" . والسطر العاشر: "عديدون" . الصواب : "عديدين" . **صفحة (٣٧٧)** السطر السابع: "كبير" . الصواب: "كبيرًا" . **حاشية صفحة (٣٧٨)** السطر الخامس: "كل" . الصواب : "كلاًّ" .

حاشية صفحة (٣٧٩) السطر التاسع : "سروي" . الصواب : "سرويًّا" . والسطر العاشر: "تهامي" . الصواب : "تهاميًّا" . والسطر الثاني عشر: "ي منطقة" . الصواب : "في منطقة" . **صفحة (٣٨٠)** السطر الرابع : "شقق" . الصواب : "شققًا" . وفي السطر الرابع من الحاشية : "صور" . والصواب: "صورًا" . **صفحة (٣٨١)** السطر الأول: "فأجزائها" . الصواب : "فأجزاؤها" . والسطر الثاني : "وأجزائها" الصواب: "وأجزاؤها" . السطر السابع عشر : "صور" . الصواب : "صورًا" . وفي السطر الثامن من الحاشية: "كثير" . والصواب : "كثيرًا" . **صفحة (٣٨٢)** السطر التاسع : "محدودي" . الصواب : "محدودو" . وفي السطر العاشر من الحاشية : "وأعوان" . والصواب : "وأعوانًا" . **صفحة (٣٨٣)** السطر السابع : "جزء" . الصواب: "جزءًا" . ثم ماذا عن الوضع السياسي والإداري في جنوب المملكة العربية السعودية ، في عهدي الملكين: سعود وفيصل ابني عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود يرحمهما الله ؟ **صفحة (٣٨٤)** السطر الخامس عشر : أمير منطقة الباحة الحالي هو: سمو الأمير مشاري بن سعود ، استلم بعد أخيه سمو الأمير محمد يرحمه الله ، وليس سمو الأمير: مشعل بن سعود. وفي الحاشية: السطر السادس: "جهود" . الصواب: "جهودًا" . **صفحة (٣٨٧)** السطر الثاني عشر : "المتمردين (الحوثيين)" . الصواب : "المتمردون (الحوثيون) وفي السطر الأول من الحاشية : " أو الصفويين" . الصواب : " أو الصفويون" . **صفحة (٣٨٨)** السطر الثاني: "اليمنيين" . الصواب : " اليمنيون" . والسطر الثامن عشر : "الحوثيين" . الصواب:

"الحوثيــون" . **صفحة (٣٨٩)** السطـر السادس عشـر : "دوراً كبيراً" . الصــواب : "دورٌ كبيرٌ" . **حاشية صفحة (٣٩٠)** ذكرت امتلاك النساء في الوقت الحالي مزيدًا من الحرية والانطلاق ، فما تعليقك على تلك الحرية المنفلتة حاليًّا التي لا تعترف بوجود المحرم[1] ؟. **حاشية صفحة (٣٩١)** السطر الثاني : "ومن هن" . الصواب : "ومنهن" . والسطر الثالث : "كثير" . الصواب: "كثيرًا" . والسطر الرابع : "لرجال" . الصواب: "الرجال" . والسطر العاشر : "مجتمع واعي" . الصواب : "مجتمعًا واعيًا" . **صفحة (٣٩٢)** السطر الثاني عشر: "آبائهـم" الصــواب : "آباءهم" . والسطر السابع عشر: "أبنائه" . الصواب : "أبناؤه" . والسطـر الثامـن عشر : "بيوت وقصور" . الصــواب : "بيوتًا وقصــورًا" والسطر التاسع عشر : "أبنائهم" . الصواب "أبناءهم" .

حاشية صفحة (٣٩٥) السطـر العاشـر : يقول الأستـاذ الدكتور غيثـان : "يتدثرن بالعبــاءات السوداء .." قلت لعل الصــواب ـ في رأيي ـ "يتدثرن بالعباءات السود" . لأن العباءات جمع ، قال تعالى في سورة فاطر ٢٧: "وَغَرَابِيبُ سُودٌ" . ولم يقل سبحانه سوداء. كمـا يقول في السطر السادس من الحاشيــة أيضًا : "الحجابُ للنساء من قوانين الدولة السعوديــة الحديثــة" . قلت : الحجــاب قديم قدم الإسلام ، وهو مــن سننه ومحاسنه ، نــزل كما جاء في كتاب الطبقات الكــبرى (١٣٩/٨) : "سَنَةَ خَمْسٍ مِــنَ الْهِجْرَةِ" وإنما طبَّقَتــه الدولــة السعوديــة امتثالا لشرع الله ، فقــد جاء عن سعد بن أبــي وقّاص (رضي الله عنه) : " اسْتَــأْذن عمر (رضي الله عنه) رَضِيَ عَلَــى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) وَعِنْدَهُ نِسْــوَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَــهُ وَيَسْتَكْثِرْنَــهُ عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ فَلَمَّــا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُمْنَ فَبَــادَرْنَ الْحِجَابَ ، فَدَخَلَ عُمَــرُ وَرَسُولُ اللَّه (ﷺ) ، يَضْحَــكُ فَقَالَ : أَضْحَكَ اللَّه سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) : "عَجِبْــتُ مِــنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِــي كُنَّ عِنْدِي فَلَمَّــا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَــدَرْنَ الْحِجَابَ" قَــالَ عُمَــرُ : يَا عَــدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ أَتَهَبْنَنِي وَلَا تَهَبْنَ رَسُــولَ اللَّه (ﷺ)[2]" . ومعلوم أن آية الحجــاب نزلت في القــرآن الكريم ، قال الله تعالى : "وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُــنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِــنْ وَرَاءِ حِجَــابٍ ذَلِكُــمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُــمْ وَقُلُوبِهِنَّ" . قبس من ســورة الأحزاب ، آية رقم (٥٣) . ونــزول آيــة الحجاب مما وافق قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فعن أنس بــن مالــك رضي الله عنــه ، قال : قال عمر بــن الخطاب رضي الله عنــه : قلت لرسول

---

(١) في العقــود الثلاثة الأخيرة وصل مجتمعاتنا العديد من الأعــراف والعادات الغربية والمختلفة عما عاشه الآبــاء والأجداد . والواجب إجراء دراسات مقارنــة بين القديم والحديث من العادات والتقاليد . (ابن جريس) .

(٢) مشكاة المصابيح (١٧٠٢/٣) بتصحيح الألباني رحمه الله .. (ابن سدران) .

الله ﷺ: لو حجبت عن أمهات المؤمنين ؛ فإنه يدخل عليك البر والفاجر ، فنزلت آية الحجاب[١]. وفي السطر السابع : "كثير" . الصواب : "كثيرًا" . **صفحة (٣٩٦)** السطر التاسع . "وافدين" . الصواب : "وافدون" . السطر التاسع عشر : "أنواع" . الصواب : "أنواعًا" . **صفحة (٣٩٧)** السطر الأول : "أم" . الصواب : "أمَّا" . "المقتدرين" . الصواب : "المقتدرون" . "أنواع" . الصواب : "أنواعًا . السطر العاشر : "كثير" . الصواب : "كثيرًا" . والسطر الخامس عشر : "يحثونهم" . الصواب : "يحثوهم" . **صفحة (٣٩٨)** السطر العاشر : "نسائهم" . الصواب : "نساؤهم" . **صفحة (٣٩٩)** السطر الثاني : " آباءنا" . الصواب : "آباؤنا" . والسطر السادس : "الطعم" . الصواب : "الطعام" . وفي السطر الأول والثاني من الحاشية : "صل" . الصواب : "صلى" . السطر الثاني : "كثير" . الصواب : "كثيرًا" .

حاشية صفحة (٤٠٠) السطر الثاني . يقول الدكتور عن النساء : "كثيري الخروج" . الصواب : "كثيرات الخروج" . لأن "كثيري" تقال للرجال أو للمثنى من الرجل والمرأة. ينسب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه:

وأسلمني الزمان إلى أناس كثيري الغدر ليس لهم وفاء

انظر : تاريخ بغداد وذيوله : (١٠١/١٩) .

حاشية صفحة (٤٠١) السطر السادس : "كثير" . الصواب : "كثيرًا" . والسطر السادس والتاسع: الأجازات ٢" . الصواب : " الإجازات" . "أجازة" . الصواب : "إجازة" . **صفحة (٤٠٣)** السطر الرابع : "قمم" . الصواب: "قممًا" . والسطر الثاني والعشرون : "آباءهم" . الصواب: "آباؤهم" . **حاشية صفحة (٤١١)** السطر الثالث عشر: "مثلك" . الصواب : "مثل" . والسطر الرابع عشر: "كثير" . الصواب : "كثيرًا" . **صفحة (٤١٢)** السطر الثاني عشر : "كليتي .. التابعتين" . الصواب : "كليتا.. التابعتان" . **صفحة (٤١٥)** السطر السادس : "لا يقارنوا" . الصواب : لا يقارنون . **صفحة (٤١٧)** السطر الحادي عشر. : "ثوار" . الصواب : "ثوارًا" وفي الحاشية السطر الثاني : "كثير" . الصواب : "كثيرًا" . والسطر الثاني عشر : "صل الله" . الصواب : "صلى الله" . **صفحة (٤١٩)** السطر الرابع : "فكر تكفيري" . الصواب: "فكرًا تكفيريًّا" . وفي السطر الأخير من الحاشية : "متخصصين" . الصواب : "متخصصون" . **حاشية صفحة (٤٢٢)** السطر السابع : "طرق .. وفرق" . الصواب : " طرقًا .. وفرقًا" . **حاشية صفحة (٤٢٣)** السطر السادس : "أعضائها" . الصواب : "أعضاءها" . والسطر الحادي عشر : "حراك

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان : (٣١٢/٢٠) (ابن سدران) .

ثقافي". الصواب: "حراكًا ثقافيًّا". **صفحة (٤٢٤)** السطر الخامس: عَرَّبَت "التلفاز" ولم لا تعرب "الراديو". فتقول: المذياع؟ **حاشية صفحة (٤٢٦)** السطر السابع: "مجتمع واحد". الصواب: "مجتمعًا واحدًا". السطر الحادي عشر: "بحوث". الصواب: "بحوثًا". **صفحة (٤٢٨)** السطر الرابع: "كثير". الصواب: "كثيرًا". **صفحة (٤٢٩)** السطر التاسع: "كتب.. وبحوث". الصواب: "كتبًا.. وبحوثًا". وأراك لم تتحدث عن الصوفية التي شاعت في تهامة زمن الإدريسي. **صفحة (٤٣٠)** السطر الحادي عشر: "قطع". الصواب: قطعًا. السطر الخامس: في الحاشية: "عدد". الصواب: "عددًا". **صفحة (٤٣١)** السطر الرابع: "مجهولين" الصواب: مجهولون. السطر العاشر: "كثير". الصواب: كثيرًا. **صفحة (٤٣٢)** السطر السابع: "السعوديين". الصواب: "السعوديون". السطر التاسع: "فأبنائها" الصواب: "فأبناؤها". السطر الثالث عشر: "أسر". الصواب: "أسرًا". **صفحة (٤٣٣)** السطر السادس: "أعداد". الصواب: "أعدادًا". **صفحة (٤٣٤)** السطر السابع: "بيوت". الصواب: "بيوتًا". **صفحة (٤٣٥)** السطر الثامن: "أراضي". الصواب: أراض. **حاشية صفحة (٤٣٩)** السطر الأول: "جامعتين". الصواب: "جامعتان". **صفحة (٤٤٠)** السطر الخامس: "شيء". الصواب: "شيئًا". هذا والله أعلم وأحكم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. (حرر في: ١٤٣٨/٤/٢٠ هـ. علي بن محمد بن معيض بن سدران الزهراني) [(١)].

ثالثاً: خلاصة القول:

في نهاية هذه التصويبات والإضافات ليس أمامنا إلا الاعتراف بالفضل الذي أسدى لنا هذا العلم الزهراني الأزدي (علي بن سدران)، فنقول له شكر الله لك وزادك من فضله وكرمه وجوده. كما نأمل ونتطلع إلى أن يمد الله في العمر حتى نراجع الأجزاء التي صدرت من موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) فندقق معلوماتها ونصلح عيوبها. فلقد وصلنا ملحوظات كثيرة من أساتذة وباحثين فضلاء، على الأحد عشر مجلداً التي صدرت إلى هذا العام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)، ولا تخلو جميعها من أخطاء تستحق منا المراجعة والاستفادة من هذه التصويبات والإضافات. ومن على صفحات هذا السفر أرجو من أخي العزيز ابن سدران أن يضاعف جهوده فيزودونا ببعض الدراسات التاريخية والحضارية النوعية التي تختص بأرض وسكان بلاد زهران وغامد منذ عصور

(١) وأقول يا أستاذ علي أن الصوفية انتشرت في أجزاء عديدة من بلاد تهامة، وربما مازال لها وجود وممارسات حتى وقتنا الحاضر. وهذا الموضوع يستحق أن يدرس في بحوث عديدة. ونأمل من طلابنا في أقسام الدراسات العليا في جامعاتنا المحلية أن تلتفت لمثل هذا الموضوع المهم. (ابن جريس).

مـا قبل الإسلام إلى عصرنا الحديث والمعاصـر. وأصر ـ﴾ طلبي على هذا الرجل الذي أفادنا كثيراً ـ﴾ عدد من بحوثه ودراساته التي اطلعنا عليها ونشرناها على صفحات كتاب (**القـول المكتـوب ـ﴾ تاريخ الجنوب**) ، أو ـ﴾ بعض الكتب والبحوث التي طبعها ونشرها ـ﴾ أمكنة أخرى. والله أسأل أن يوفقنا جميعاً إلى خدمة ديننا وبلادنا وأهلنا . والله من وراء القصد .

سادساً : آراء وتعليقات :

لقـد احتوى هذا القسم علـى محاور متنوعة ـ﴾ عناوينهـا وأطروحاتها ، ومعظمها دراسـات علمية موثقة من أساتذة وباحثين جاديـن ومجتهدين . وجميعها تدور ـ﴾ فلك أجـزاء من بلاد تهامة والسـراة . فهناك دراسة ناقشت تاريخ بعضـ العشائر السروية الأزديـة التي أسهمت ـ﴾ تاريـخ الإسلام والحضارة الإسلامية داخـل الجزيرة العربية وخارجهـا ، أنها عشيرة دوس وغيرها من عشائر زهران الأزدية . ودراسة أخرى بحثت مـا جرى لقلعـة الثريا ـ﴾ جـازان من بناء وهـدم خلال القـرون الإسلاميـة الوسيطة والمتأخرة . وبحوث أخرى ركزت جميع معلوماته على موقع سوق حباشة التاريخي القديم . كمـا اشتمل القسم أيضاً على تصويبات وإضافات قيمة على أحد الكتب الحديثة التي طبعـت ونشرت عن تاريـخ وحضارة بعض أجزاء السـروات وتهامة . ومن خلال محاور هـذا القسم ، نقول إنه مازال هناك موضوعـات جديرة بالبحث والدراسة ، نذكر منها ما يلي :

١. هنـاك عشرات العشائـر والفخود والبطـون السروية والتهامية التـي يجب دراسة أنسابهـا وتاريخهـا وحضارتهـا ـ﴾ عصـور ما قبل الإسـلام وعبر أطـوار التاريخ الإسلامي .

٢. عرفـت بـلاد تهامة والسـراة عشـرات القلاع والحصـون والقـرى التاريخية والأثريـة . وكل هـذه القرى تحتاج من يدرسـ تاريخها والـدور الذي لعبته ـ﴾ الحضـارة الإسلاميـة. وللأسـف أن مـن يتجـول ـ﴾ أرجاء السـروات وتهامة يشاهـد الكثير من هذه الآثـار العمرانية اندثرت وضاع تاريخهـا ، والمسؤولية كبيرة على جميع مؤسسات الدولة فالواجب أن تبذل جهوداً كبيرة للحفاظ على هذا الموروث الحضاري .

٣. سوق حباشة ليس إلا سوقاً واحداً من مئات الأسواق التاريخية التي عرفها سكان تهامة والسراة. وإذا كنا نرى هذه الاختلاف الواضح والبين على موقع سوق حباشة، فهناك أيضاً أسواق أخرى اندثرت ولا نعلم أي شيء عن مواقعها. ونقول إن مثل هذه الأسواق القديمة التاريخية جزء من حضارة وتاريخ هذه البلاد العربية، والواجب على أقسام التاريخ، والهيئة العليا للسياحة، وكليات الآثار أن تضاعف الجهود لدراسة أمكنة وحضارة هذه الأسواق.

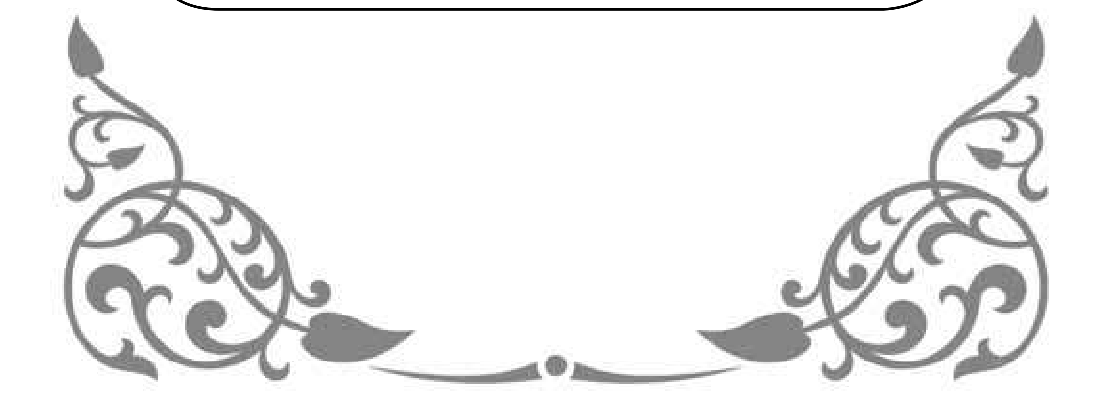
٤. صدر حتى الآن عشرات الكتب والدراسات والرسائل والبحوث عن بلدان السروات وتهامة. والواجب علينا معاشر الباحثين أن نطلع على هذه الأعمال العلمية، ونصحح ما ورد فيها من أخطاء، ونستكمل ما فيها من نقص ونضيف عليها كل ما يخدم الحياة العلمية والثقافية والفكرية. وهذا ابن سدران وابن معبِّر من الباحثين الجادين الذين بذلوا جهوداً تذكر فتشكر في هذا الباب، ونأمل أن نرى من يقتدي بهما في نقد وتصويب بعض البحوث التي صدرت عن مناطق الجنوب السعودي خلال المئة عام الماضية[1].

(١) من يطلع على العشرة أجزاء الأولى من كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب، سوف يجد عدداً من البحوث النقدية التي صححت وصوبت بعض البحوث والكتب المنشورة. وابن معبِّر وابن سدران من أولئك الأعلام الذين بذلوا جهوداً طيبة في هذا الميدان. (ابن جريس).



القسم الثالث

من بارق عسير إلى قلوة زهران (مشاهدات ، وقراءات في بعض الكتب ، والوثائق، والبحوث)



القسم الثالث

من بارق عسير إلى قلوة زهران (مشاهدات ، وقراءات في بعض الكتب ، والوثائق ، والبحوث) .

م	الموضوعات	الصفحة
أولا :	مدخل	٢٥٠
ثانيا :	رحلتي من بارق عسير إلى قلوة زهران (مشاهدات وانطباعات)	٢٥١
	١ـ بارق والمجاردة	٢٥١
	٢ـ العرضيات	٢٦٣
	٣ـ المخواة وقلوة	٢٧٦
	٤ـ الشدوان الأسفل والأعلى	٢٨٦
	٥ـ مشاهدات عامة	٢٩١
ثالثاً :	صورة من تاريخ بعض بلدان تهامة من بارق إلى قلوة	٢٩٣
	١ـ من تاريخها في بعض المصادر	٢٩٣
	٢ـ من تاريخها في بعض الوثائق بمكتبة د. غيثان بن جريس العلمية	٢٩٩
	٣ـ من تاريخها في بعض البحوث والمقالات والمدونات المنشورة وغير المنشورة ...	٣٠١
رابعاً :	نتائج وخلاصات	٣١١

أولاً : مدخل :

يشتمل هذا القسم على صور من تاريخ بلدان تهامة الممتدة من شمال محايل عسير إلى قلوة زهران ، ويتكون من محورين رئيسيين هما : (١) ذكر شيء من تاريخ هذه البلاد من خلال مشاهداتي وانطباعاتي أثناء رحلتي في مناكبها . (٢) تدوين صفحات من تاريخها في العصور الإسلامية المختلفة المدونة في بعض المصادر والمراجع المنشورة وغير المنشورة .

ثانياً : رحلتي من بارق عسير إلى قلوة زهران (مشاهدات ، وانطباعات) .

خرجت من مدينة أبها ، في رحلة علمية ، لمدة خمسة أيام ، من صباح يوم الخميس إلى مساء الإثنين (٧-١١/٤/١٤٣٨هـ الموافق ٥-٩/١/٢٠١٧م) ، وكانت وجهتي إلى محافظة محايل عسير(١) ، ومنها اتجهت إلى محافظة بارق(٢) ، وقضيت هذه الأيام الخمسة في مدن وقرى وجبال وأودية الأراضي الممتدة من مدينة بارق في تهامة منطقة عسير إلى مدينة قلوة في تهامة منطقة الباحة .

١ـ بارق والمجاردة :

وصلت إلى مدينة محايل عسير الساعة السابعة صباحاً ، وتناولت وجبة الإفطار في أحد مطاعمها التجارية المتوسط في جودته وخدمته ، ثم خرجت على الطريق الرئيسي المتجه إلى بلاد بارق ، وشاهدت محايل مدينة كبيرة فيها بعض الشوارع المزدوجة ، ومعظمها ذات السير الواحد ، وفيها أسواق ومحلات تجارية عديدة ، وعمائرها تتراوح من الطابق الواحد إلى الأربعة وأحياناً الخمسة طوابق ، ويوجد فيها معظم المؤسسات الحكومية وكثير من الإدارات والمؤسسات الأهلية والخاصة (٣) ، وبعد حوالي نصف ساعة سيراً في الطريق العام دخلت حدود محافظة بارق ، ومكثت فيها وفي محافظة المجاردة يومين أتنقل في أرجائها وأدون شيئاً من تاريخها الحديث والمعاصر(٤) .

---

(١) محافظة محايل عسير ، من المحافظات الرئيسية في منطقة عسير ، ولها تاريخ قديم وحديث ومعاصر ، وحتى هذه الساعة لا نجد أي عمل علمي يصدر عنها ، وسوف أكتب عنها كتابة موسعة في أحد أعمالي المستقبلية ، ونأمل أن نرى أحد من أبنائها يصدر عنها كتاباً أو دراسة علمية موثقة . للمزيد انظر : غيثان بن جريس " محايل عسير في العصر الحديث (دراسة تاريخية حضارية مختصرة " . بحث منشور في الجزء السادس من سلسلة كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب .(الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م) ، ج٦، ص ٢٠٧ـ ٢٣٧ .

(٢) ورد اسم بارق في كثير من كتب التراث الإسلامي المبكرة ، والبارقيون انتشروا في مواطن عديدة داخل الجزيرة العربية وخارجها ، وبارق المعنية في هذه الدراسة تستوطن موقعها في تهامة منذ زمن قديم ، وأشارت المصادر والوثائق إلى شيء من تاريخها في العصر الحديث ، وكانت إحدى المراكز الرئيسية لمحافظة المجاردة ، وفي عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) فصلت من محافظة المجاردة، وأصبحت محافظة مستقلة من فئات (ب) . وأقول إن بلاد بارق أحسن حظاً من غيرها في تهامة الباحة وعسير، فقد صدر عنها بعض الدراسات والبحوث المنشورة في هيئة كتب أو رسائل علمية أو بحوث في مجلات ثقافية أو أكاديمية ، ومازالت أيضاً بحاجة إلى دراسات وبحوث نوعية في كثير من الجوانب التاريخية والأثرية والحضارية واللغوية والاجتماعية والثقافية .

(٣) كما أشرت سابقاً ، محافظة محايل تستحق دراسات عديدة ، واعلم أن كثيرين من أبنائها يحملون درجات عليا في التاريخ والأدب واللغة وعلوم أخرى عديدة ، نأمل أن نرى بعضهم يردون الجميل لأهلهم وبلادهم ويدرسون تاريخها وتراثها وحضارتها عبر عصور التاريخ ، وهذا في اعتقادي شيء ضروري وواجب على من لديه القدرة والاستطاعة .

(٤) لم أدخل المنطقة الشمالية الشرقية لمحافظة محايل ، وكذلك النواحي الشرقية لمحافظة بارق ، وأقصد بذلك مناطق الأصدار وما يقع عند سفوح جبال سروات بللحمر وبللسمر الغربية ، مثل بلاد فرشاط ، وخميس مطير،

أ - بارق :

اسم بارق المعروف اليوم قديم جداً ، وهو اسم رجل ينتسب في الأزد ثم في قحطان، أشارت إلى اسمه ونسبه كثير من المصادر والمراجع المتقدمة والمتأخرة ، وربما لفظة (بارق) تطلق على اسم علم جغرافي في جنوب الجزيرة العربية ، وهذا المكان قد يكون له صلة ببارق الإنسان ، الذي هو جد قبائل بارق الأزدية [١]. وبلاد بارق الحالية تبعد عن مدينة أبها في تهامة عسير حوالي (١٣٠-١٤٥كم) ، وهي أرض حارة في الصيف ومعتدلة في الشتاء ، وتتنوع تضاريسها من السهول إلى الجبال المتفاوتة الارتفاع . والظاهر على عموم المحافظة أن عجلة التنمية الحديثة وصلتها ، فجميع الأبنية الأهلية والحكومية ، الخاصة والعامة مسلحة ، وقليل من الناس مازالوا يعيشون في القرى أو المنازل القديمة[٢] . كما يوجد في هذه الناحية معظم المؤسسات الحكومية مثل: المحافظة، والمحاكم الشرعية ، وإدارات البلدية ، والدفاع المدني، والشرطة ، وفروع للأوقاف ، والهلال الأحمر ، ووزارة المياه ، وإدارات أخرى عديدة . وتوجد المدارس بجميع مراحلها في جميع أنحاء المحافظة ، وكذلك أبنية فرع جامعة الملك خالد في تهامة تقع في الناحية الجنوبية من محافظة بارق ، وهي تقريباً في الوسط بين محافظتي محايل وبارق[٣] . وذكر لي بعض البارقيين بعض الجبال والأودية المشهورة في المحافظة، مثل: (١) جبل

وجبلي هادي ، وضرم وما جاورهما، وهذه بلاد فعلاً تستحق الدراسة، وآمل من أبنائنا الطلاب وبخاصة الدارسين في برامج الدراسات العليا والذين ينتمون إلى هذه البلاد أن يدرسوا تاريخها وتراثها وحضارتها ، وهي جديرة بالبحث والدراسة .

(١) تذكر بعض المصادر المبكرة إلى أن بارق هو : سعد بن عدي بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن امرئ القيس بن ثعلبة ابن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وبارق القديم وقبائله خرجوا من بلاد اليمن وتناثروا في أجزاء عديدة داخل الجزيرة العربية وخارجها ، ومنهم بعض عشائر محافظة بارق اليوم . وإذا حاولنا معرفة تتبع سير البارقيين في بلاد السروات وتهامة منذ خروجهم من اليمن إلى أن استقر بعضهم في تهامة عسير، فإننا نجد صعوبة كبيرة لأننا لا نملك المصادر الموثوقة التي ترصد سير رحلتهم وحروبهم وتنقلاتهم حتى العصر الحديث والمعاصر . وهذه مشكلة معظم قبائل الجزيرة العربية ، نعم هناك الكثير من كتب الأنساب والمصادر التي تذكر شيئاً من تاريخ هذه العشائر والقبائل ، لكن هناك حلقات كبيرة مفقودة ، ولا نجد معلومات واضحة وصريحة لهذه العقبات حتى الآن .

(٢) مكثت يوماً كاملاً أتجول في محافظة بارق وكان برفقتي أحد طلابي ، وهو الأستاذ محمد بن علي الجحيني ، وشاهدت قرى قديمة في محافظة بارق مثل : (١) قرية ساحل ، وهي بلدة بارق القديمة، ومعظم سكانها من عشيرة آل سباعي ، وفيها الكثير من الأبنية القديمة مثل المنازل والقصور الخاصة وبعض المرافق العمرانية الأخرى .(٢) قرية الشعراء في بلاد صعبان (٣) قرية القهبة . (٤) قرية اللوح في صعبان (٥) قرية المنزل التابعة لعشيرة آل سباعي . وهناك قرى وأبنية كثيرة قديمة ومندثرة في نواح عديدة من أرض المحافظة . المصدر: جولة الباحث في بارق يوم الخميس (١٤٣٨/٤/٧هـ) .

(٣) المصدر نفسه . زار الباحث بعض مديري المؤسسات الإدارية في بارق يوم (١٤٣٨/٤/٧هـ) ، مثل : إدارة مكتب التربية والتعليم ، ومكتب الدعوة والإرشاد ، وكتابة عدل بارق .

ريدان في شرق المحافظة . (٢) جبل أثرب ، وهو في الوسط بين قبائل بارق وبني شهر ، وهو إلى الشرق من المحافظة . (٣) وجبال الشعراء، وهتمان ، والصلبة . ومن الأودية: وادي بقرة ، والحمظ ، وثعيب وغيرها [١] .

ومن قبائل وعشائر بارق في العصر الحديث والمعروفة حتى اليوم (١) عشائر آل علي. (٢) آل جبلي . (٣) آل موسى بن علي .(٤) صعبان . (٤) المجامرة . وهذه العشائر يندرج تحتها عشرات القرى والأسر والأفخاذ . والناظر في محافظة بارق في وقتنا الحاضر يجد أنها مليئة بعناصر عربية وغير عربية ، والعناصر العربية من قبائل أخرى في المملكة العربية السعودية أو بعض البلاد العربية الأخرى ، أما غير العربية فهناك موظفون وعمال كثيرون يعملون في قطاعات عديدة وهم من بلدان إسلامية وغير إسلامية مثل: الهند ، والصين ، والفلبين ، والباكستان ، وبنجلاديش وغيرها من بلدان العالم [٢] .

وتاريخ أهل بارق الاجتماعي والاقتصادي المعاصر اختلف عن الماضي ، فالعادات والأعراف القديمة في اللباس ، والطعام والشراب ، والحياة اليومية تغيرت ، ومنها الذي ضاع واندثر ، وبعضها جرى عليها الكثير من الحذف والاضافة ، وظهر عادات وتقاليد حديثة مواكبة لحركة التطور والتمدن الذي يعيشه الناس ، بل أصبح هناك فجوات كبرى وأحيانا تباعد أو تعارض مع القديم والحديث . والشيء الملموس في محافظة بارق أو غيرها من مدن ومحافظات المملكة العربية السعودية أن الموروث الحضاري القديم وبخاصة في الحياة الاجتماعية يتلاشى ، وصار الكثير من هذا التراث مجهولاً عند جيل اليوم من الشباب وصغار السن[٣].

أما الاقتصاد فجرى عليه الكثير من التغير والنمو، نعم كان الآباء والأجداد قديماً يمارسون حياتهم الاقتصادية بطرق أولية وبدائية من حيث ممارسة الصيد ، وجمع

---

(١) أثناء سيري في أجزاء المحافظة كنت أشاهد قرى حديثة وقديمة كثيرة ، وكذلك هناك عشرات الأودية والجبال التي مررنا بها وتوقفنا عند بعضها ، وأقول إن بلاد بارق تستحق من يدرسها دراسات مطولة وبخاصة في ميادين القرى القديمة والحديثة والأودية والجبال ، ونأمل أن نرى بعض الباحثين الجادين في جامعة الملك خالد يتولوا هذه الموضوعات بالدراسة والتحليل .

(٢) أقول إن أساتذة التاريخ وعلم الاجتماع عليهم مسؤولية دراسة مثل هذه المجتمعات التي تتنوع فيها طبقات المجتمع ، وبارق مجرد نموذج بسيط من التركيبة الاجتماعية التي يعيشها المجتمع السعودي منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وما تم ذكره أعلاه من عشائر أو فئات مجتمعية أخرى تستحق البحث والدراسة والتحليل ، ونأمل من جامعة الملك خالد أن تفتح بعض المراكز البحثية التي تدرس مثل هذه الموضوعات الجديدة والجديرة بالدراسة .

(٣) أعتقد أن هذه معضلة كبيرة ويجب على المدارس، والجامعات ، والأسر ، ومؤسسات الدولة المعنية ، والإعلام ، والصحافة ، والوجهاء والأعيان والمربين ، والخطباء أن ينتبهوا لهذه الكارثة التي حلت بأبنائنا ومجتمعاتنا ، لأنه إذا تم الفصل بين القديم والحديث وبخاصة في القيم والمبادئ والأسس والأعراف والتقاليد الجميلة فإن المشكلة سوف تكبر ، وسيأتي جيل فاقد للهوية والانتماء إلى الأهل والأوطان .

الحطب وغيره ، أو الرعي ، أو الزراعة ، أو التجارة ، أو الحرف والصناعات التقليدية، والسبب في ذلك قلة المال في أيدي الناس ، وتواضع الحياة الاقتصادية ، أما اليوم فأصبح المال كثيراً عند الناس ، وتطوروا في مهنهم وتعليمهم ، وترك أغلبهم حياة الرعي والصيد والزراعة وانتقلوا إلى وظائف حكومية وأعمال تجارية وإدارية تدر عليهم عوائد أفضل من السابق ، ومن ثم فلا ترى من أهل بارق من يمارس الصيد أو الرعي وحتى الزراعة إلا قليلا ، وهذه صفة سائدة عند عموم المجتمع السعودي [(١)] .

لا يمارس الصيد والجمع والالتقاط إلا عدد قليل جداً ، فهناك من يقوم بصيد الطيور والحمام للتسلية ، والبعض يجمعون الحطب والفحم وبعضٍ الثمار لتباع في الأسواق الشعبية أو اليومية. أما الرعي فيمارس على نطاق ضيق ، وأحياناً يقوم بمهنة الرعي بعض العمال المستأجرين ، والزراعة يقوم عليها بعض العمال الوافدين ، ومازالت تزرع الذرة الرفيعة (الحمراء ، والصفراء، والبيضاء)، والدخن، والخضروات وبعض الفواكه ، مثل: الخس، والجرجير، والبامية ، والفجل، والطماطم ، والبطاطس ، والعنب، والموز، والبرتقال[(٢)] .

ونلحظ التجارات والمهن الإدارية والاقتصادية والصناعية أنشط من غيرها ، فالذاهب على الشارع العام في محافظة بارق يراه يعج بالدكاكين والمحلات التجارية الحديثة والمتنوعة في مساحاتها ومعروضاتها، ولا تخلو المحافظة من ورش فنية وصناعية تقوم على إصلاح السيارات وكثير من الأدوات والأجهزة والمعدات الأخرى. ومن الأسواق الكبيرة والحديثة التي شاهدتها في مدينة بارق سوق الراية ، وسوق الزهيري، ومجمعات ابن مفرح ، والغامدي، وهناك معارض للسيارات ، ومحطات للمحروقات ، وشقق ووحدات سكنية مفروشة ، ومطاعم و(بوفيهات) ، وبعض المكتبات التجارية [(٣)]. ولا تخلو أرض بارق من سوق شعبي حديث شمال المحافظ ، يباع فيه الكثير من السلع

---

(١) دراسة هذا التحول الاقتصادي خلال الستين عاماً الماضية جدير بالدراسة، ونأمل من أساتذة أقسام التاريخ والاجتماع في جامعة الملك خالد أن يدرسوا مثل هذه التغيرات وأسبابها ،و أحداثها، ونتائجها. وهذا الموضوع يستحق الدراسة في عشرات البحوث العلمية .

(٢) يعمل بعض أهل بارقٍ في هذه المهنة التي ذكرناها أعلاه ، لكن ليست بالقوة والنشاط الذي كان عند الآباء والأجداد ، وليست أيضاً من المهن التي تدر أموالا كبيرة ، فهي تأتي بعد الأعمال الرئيسية اليوم مثل الوظائف الحكومية أو الأهلية، وممارسة التجارة وبعض الحرف والصناعات الأخرى . نأمل أن نرى من أبناء محافظة بارق من يدرس تاريخ الحياة الاقتصادية في العصر الحديث والمعاصر، مع إجراء مقارنة بين الأوائل والمتأخرين في هذه الأعمال .

(٣) معظم العاملين في هذه الأسواق من العمالة الوافدة من بلدان عربية وغير عربية ، والسعوديون نسبة قليلة في هذه المهن والأعمال الاقتصادية الجيدة في عوائدها المادية. نأمل أن نرى أحد بناتنا أو أبنائنا الطلاب في برنامج الدراسات العليا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد يتولى موضوع التاريخ الاقتصادي في بارق خلال الثمانين سنة الماضية بالدراسة ، وهذا الموضوع جدير بالبحث .

المحلية ، مثل: المواشي ، والشعير ، والأعلاف ، وأدوات الزراعة ، وبعض البضائع المحلية والتراثية[١] .

هناك عدد من الطرق الحديثة في محافظة بارق، فلا تخلو ناحية أو قرية في المحافظة من طرق مسفلتة، ويتراوح عرض هذه الطرق الصغيرة بين الأحياء والقرى من (٦-١٠) أمتار ، أما الطرق التي تربط بارق مع غيرها ، فهي على النحو التالي : (١) الطريق الرئيسي الذي يخرج من محائل حتى يصل مكة ، وهذا الطريق يأتي من وسط مدينة بارق، وهو الشريان الرئيسي والأهم لهذه المحافظة ، وفيه أجزاء مزدوجة، وأخرى فردية ، والعمل قائماً في هذا الطريق كي يصبح مزدوجاً من أبها إلى محائل إلى بارق إلى المجاردة. (٢) طريق يخرج من محايل إلى الريش ، ثم خميس مطير، إلى ثلوث المنظر، ثم يعود إلى الشارع العام في بارق، ويتفرع من هذا الطريق فرعان : أحدهما إلى بلدة تنومة في السراة من عقبتي برمة أو ساقين ، والثاني من محبة بني شهر إلى المجاردة ، ثم يعود إلى الشارع العام في محافظة بارق. (٣) طريق الطحاحين الذي يتفرع غرباً من الشارع العام عند جسر وادي بقرة إلى حميد العلاية ثم إلى وادي حلي. (٤) الطريق من غرب حاضرة بارق إلى الملصة ثم إلى جمعة ربيعة ، ويخرج منه فرع آخر عبر سهول إلى جمعة ربيعة أيضاً . (٥) طريق من شمال محافظة بارق إلى ثربان ثم إلى جمعة ربيعة حتى يصل إلى القوز والقنفذة على ساحل البحر الأحمر. وعقبات (طرق) أخرى تنزل من السروات إلى محافظة بارق وما جاورها ، مثل: عقبة الجعدة من سروات بللحمر إلى بلدة فرشاط، وعقبة أخرى من سروات بللسمر إلى خميس مطير، وعقبتي ساقين وبرمة من سروات تنومة إلى وادي بقرة ثم الشارع العام من محايل إلى المجاردة عبر بلدة بارق[٢] .

---

(١) عرفت بلاد بارق (المحافظة) عدد من الأسواق الأسبوعية القديمة ، ومعظمها اندثرت ، وبعضها مازال يعمل على نطاق ضيق، ومن تلك الأسواق. (١) سوق خميس مطير، ويعمل بشكل بسيط ، وبلدة خميس مطير تعد المركز الإداري الرئيسي لتهامة بللحمر وبللسمر. (٢) سوق الثلاثاء (ثلوث المنظر) ، ويعمل على نطاق ضيق . (٣) سوق جمعة أثرب . (٤) سوق الأربعاء في بارق ، ويبدأ من يوم الثلاثاء إلى نهاية الأربعاء ، ويقع في قرية ربوع العجمة . وأقول إن الأسواق الأسبوعية في محافظة بارق كثيرة وجديرة بالدراسة ، بل إن كل سوق يحتاج إلى أن يفرد له دراسة مطولة ومستقلة ، ونأمل من أبناء بارق ومن المؤرخين الجادين في منطقة عسير أن يدرسوا هذه الأسواق التاريخية الحضارية ، وهي فعلا تعكس صورا من تاريخ هذه البلاد، وتستحق الحفاظ عليها ودراستها. المصدر: مشاهدات الباحث وجولته في أرض بارق يوم الخميس (١٤٣٨/٤/٧هـ) .

(٢) هذه الطرق والعقبات الآنف ذكرها أعلاه ، وغيرها من الطرق الموجودة في محافظة بارق اليوم لها تاريخ قديم ، حيث كان يسلكها الحجاج والمسافرون ، وأصبحت اليوم طرقا واسعة ومسفلتة . وهي قديما وحديثا تربط بين بلدان ونواحي مهمة في تهامة والسراة وذات تاريخ وحضارة قديمة . ونأمل من مؤرخي منطقة عسير الجادين وطلاب الدراسات العليا في أقسام التاريخ في جامعات الملك خالد ، وجازان ، وأم القرى ، والباحة أن يدرسوا هذه السكك المهمة ، وبخاصة التي ورد ذكر بعضها عند مؤرخين متقدمين ومتأخرين ، وهي فعلا تستحق أن يصدر عنها أكثر من بحث ودراسة .

قلت حظيت بارق والبارقيون بذكر حسن في كتب التراث ، ومنهم من شارك في مجالات عديدة داخل الجزيرة العربية وخارجها ، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس أعلام بارق منذ العصر القديم وعبر أطوار التاريخ الإسلامي[١] ، وعندما ندرس أحوالهم في العصر الحديث نجد المصادر والوثائق لا تسهب الحديث عن رجالات بارق، وبخاصة من كان له باع في الإدارة ، والرأي ، والحكمة ، والتعليم ، والثقافة، والأدب[٢]. وهناك شذرات موجزة تشير إلى بعض الأسر والأعلام الذين كان لهم جهود طيبة خلال القرنين الماضيين ، ومنهم أسرة آل ريان ، والشيخ عبد الخالق بن مانع في بلدة نعص فيذكر أنهم كانوا أصحاب دروس شرعية في بلادهم ، وكانوا يقدمون خدمات تعليمية ودعوية وإصلاحية بين أهلهم وفي أوطانهم[٣] . وعند ظهور التعليم النظامي في أبها ، وجازان ، والقنفذة امتدت آثار هذا المجال حتى شملت تهامة عسير من درب بني شعبة ورجال ألمع إلى بارق والمجاردة ، وتطور التعليم في هذه البلاد حتى عم جميع المراحل بمحافظة بارق ، وتخرج الكثير من أبنائها وبناتها ، وارتقوا في سلم الثقافة والتعليم العالي حتى أصبح منهم أعداد كثيرة يحملون شهادات ودرجات عليا ، بل إن بعض رجالات بارق برزوا في قطاعات علمية وإدارية وعسكرية ومدنية ، واليوم أصبح مجمع فرع جامعة الملك خالد في تهامة قائماً على أرض المحافظة البارقية ، وقد نشاهد في السنوات القادمة تطور أفضل وأسرع على الأرض وبين السكان البارقيين[٤] .

وأخبرني بعض الأساتذة في بارق بأن هناك العديد من الأنشطة العلمية والثقافية ، مثل: المدارس في التعليم العام فلها العديد من النشاطات على مستوى المدرسة والمحافظة، كما أن نادي أبها الأدبي افتتح في عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م) لجنة بارق الثقافية ، وهذه اللجنة تقدم العديد من الأعمال الثقافية كالمحاضرات المتنوعة ، والأمسيات الشعرية ، وقراءات في بعض القصص والروايات المطبوعة والمنشورة . وذكر لي أن هناك أنشطة

---

(١) من يدرس هذا الموضوع دراسة علمية موثقة ، فسوف يسدي لنا معروفاً ويطلعنا على تفصيلات قيمة عن هذه البلاد وأهلها.

(٢) هذه المشكلة شملت عموم بلدان تهامة والسراة خلال القرون الماضية المتأخرة ، وذلك لصعوبة الأرض، وضعف الحياتين الاقتصادية والتعليمية .

(٣) حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس الحياة العلمية والتعليمية في تهامة عسير خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) ، وهذا الموضوع يستحق أن يكون عنواناً لرسالة دكتوراه .

(٤) إن تاريخ التعليم النظامي في تهامة عسير ، أو في بارق من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس ، ويستحق أن يصدر عنه عدد من البحوث والرسائل العلمية . وأنادي أبناء بارق وبخاصة الأساتذة الجادين وأقول لهم اعكفوا على دراسة تاريخ أرض وسكان بلادكم ، وما تمر به من تنمية وحضارة منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر، وهذا العنوان أيضاً جدير بالدراسة والتوثيق العلمي .

أهليـة كالمقهى الثقـافي ، وملتقى أصدقاء الحرف التي تمارس أنشطتها في المحافظة من عـام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م) ، وجميع اهتمام هذه المنتديات يصب في خدمة العلم والثقافة التي تعود بالنفع والفائدة على أهل وشباب هذه الناحية[(١)] .

شاهـدت في بـارق صـوراً مـن العمـارة وبعضـاً مـن ميادين التنمية في الترفيه والسياحـة . ففـي باب العمـارة ، هناك عشـرات الأبنية الحكومية المكونـة من الطابق إلى عـدة طوابـق مثـل: المدارس الحكوميـة، وأبنية فـرع جامعة الملك خالـد في جنوب المحافظـة ، وبعضـ أبنيـة المؤسسـات الإدارية الأخـرى ، ومنازل مشيـدة على الطراز الحديـث ، وتتكـون مـن أدوار ومرافـق عديـدة ، ناهيك عـن تزويقهـا وديكوراتها من الداخـل فهـي على مستـوى جيد من الجمـال والإتقان [(٢)] . ويتواجـد في محافظة بارق عشـرات المساجـد الكبيرة والصغـيرة ، وجميعها مـزودة بالكهرباء، والمـاء، والأثاث ، ودورات الميـاه ، والمكيفـات . وشاهـدت جوامع عديـدة رئيسية في المحافظـة مثل: (١) جامـع سـارة العجمي علـى الشارع العـام .(٢) جامع عـروة البارقـي.(٣) جامع عمر ابن الخطاب في شمال المحافظة . (٤) جامع الشيخ عبد العزيز بن باز في قرية الخوش في بـارق ، وهو أكبر جوامع بارق وأوسعها . وقد زرت معظم هذه الجوامع فوجدتها على مستـوى عال من الجـودة في البناء والتنظيـم ، وجميعها يتولى الإشـراف عليها مكتب الدعوة والإرشاد في بارق[(٣)] .

أمـا أماكن الترفيه والسياحة في محافظة بارق فهي كثيرة ومنها الأمكنة السياحية الطبيعية مثل: وادي بقرة ، ووادي البرداني والفاتح في بلاد صعبان ، وأجزاء من وادي يبـة ، وأوديـة: جبـال، والواديين ، والقصبـة، وثعيب ، ووادي شـري ، وأجزاء من وادي

---

(١) مـن خـلال اليوم الذي قضيتـه في محافظة بارق ، وجـدت أن الحياة الثقافية مازالـت متواضعة ، نعم هنـاك بعض الشعراء ، والباحثـين ، وطلاب العلم المجتهدين ، لكنهم يحتاجـون إلى الدعم والتشجيع، وإن حصلـوا علـى شيئ من ذلك فإن هذا الجانب المعرفي سوف يزداد ويتطور . ولا تخلو المحافظة أيضاً مـن بعض الصحـف الإليكترونية ، وهنـاك العديد من المحاضرات الدينيـة والثقافية التي يشرف عليها مكتـب الدعـوة والإرشاد ، ونأمل أن نرى محافظة بارق تسير في درب النمو والتقدم الحضاري في شتى المجالات الثقافية والتعليمية .

(٢) لم نتحـدث عـن جميع أنـواع العمارة في محافظة بـارق مثل القـرى ، والمدن، والطرقـات ، والأسواق ، والمقابـر ، والمدرجات الزراعية ، والآبار ، وأبنية المؤسسات الحكومية والأهلية والتجارية . وهذا موضوع كبير يستحق أن يدرس في بحوث ودراسات عديدة .

(٣) أقـول إن تاريـخ المساجـد في بارق من الموضوعـات التي تستحق أن يفرد لهـا رسالة علميـة ، أو بحث أكاديمي مطول ، ونأمل أن نرى أحد طلابنا في قسم التاريخ في برنامج الدراسات العليا ، فيدرس هذا الموضوع في رسالة ماجستير أو دكتوراه .

خـاط ، ومطلات جبلي أثرب وقتروي[١] . أمـا الحدائق والمتنزهات في المحافظة قليلة ، وأهمها: (١) حديقة جبال ، وتعرف أيضاً باسم (متنزه بارق الوطني) ، وتقع في جنوب المحافظـة ، ومساحتهـا واسعة ، ومـزودة بالعديد من الخدمات مثـل: أرصفة للرياضة والمشاة ، وجلسات عائلية ، ودورات للمياه ، ومسطحات خضراء ، وبعض الأمكنة المزود ة بألعاب للأطفال . وترى هذه الحديقة مكتظة بالسواح والمتنزهين من بعد صلاة العصر حتى الساعات الأولى من الليل، ويزداد زوار هذا المتنزه في فصل الشتاء عندما يرتاده الكثـير من سـروات منطقة عسـير. (٢) حديقة خبت الحجري، وتقـع شمال محافظة بـارق ، ويذكـر أن هذا المتـزه أكبر حديقة عامة في منطقة عسـير، ويوجد بها خدمات أكثر مما هو في حديقة جبال، وزوارها من الأفراد والأسر أكثر[٢] .

ب ـ المجاردة :

ذهبـت في الصباح الباكـر يوم الجمعة (١٤٣٨/٤/٨هـ) من بلدة بارق إلى مدينة المجـاردة ، وقضيـت يوماً كاملاً في عمـوم المحافظة ، وقابلت بعضـ الأساتذة والأعيان الذين أفادوني في جمع بعض المعلومات عن هذه الناحية التهامية [٣] .

ويذكـر أن اسـم المحافظة جـاء من اسم مدينـة المجاردة ، ولا نـدري ما هو سبب التسميـة ، لكـن المجـاردة تعرف أيضـا باسم (الأجـاردة) ، ويبدو أن هـذا المصطلح جـاء مـن شدة هطول الأمطار التي تجـرد ما يقابلها من الأشجـار والأتربة والأحجار ، فأطلـق على المكان اسـم (المجاردة) أو (الأجاردة) ، وهنـاك رأي آخر يقول إن اسم المحافظـة نسبـة إلى رجـل يدعى لجرد من بني التيـم من أهل السـراة ، وهذه الأقوال تحتمل الصواب والخطأ ، ونأمل أن يظهر لنا في المستقبل مصادر موثوقة تؤكد لنا سبب تسمية هذه الناحية باسم الأجاردة أو المجاردة[٤] .

---

(١) جميع هذه الأمكنة طبيعية ، وترى بعض البارقيين وغيرهم من زوار المحافظة يرتادون هذه المواقع لقضاء أوقات للراحـة والاستجمـام ، وهي تحتـاج إلى العناية والتطوير من هيئـة السياحة ومن المؤسسـات الإدارية المعنية في محافظة بارق أو في منطقة عسير. وهذه نماذج ومازال هناك أمكنة عديدة لم نستطع مشاهدتها .

(٢) منطقـة عسـير ، أو بـلاد تهامة والسراة مـن أجمل بلدان المملكـة العربية السعوديـة ، وتحتوي على مئات المواضع السياحية البرية والحدائق المخدومة من قبل البلديات والأمانات في مناطق جنوب البلاد السعودية ، ومـازال هنـاك قصـور كبير في خدمة هذه البـلاد سياحيا ، ونأمـل أن نـرى الإدارات والمؤسسات المعنية تضاعف الجهود في الارتقاء بالسياحة في بلادنا حتى تصبح واجهة للسواح من جميع بلاد العالم .

(٣) محافظـة المجـاردة مـن البلدان التهامية التي لم تخـدم في ميدان البحوث التاريخية بشكل جيـد ، ونأمل أن نرى بعضـ أبنائهـا من الدارسـين والباحثين الجاديـن يدرسوا أحوالهـا الحضارية خلال القـرون الإسلامية المبكر ة والوسيطة والحديثة.

(٤) مدينـة المجـاردة التي عرفت عموم المحافظة باسمها تستحق المزيد من البحث والدراسة ، ونأمل من فرع جامعة الملك خالد في تهامة ، أن تنشئ مركزا للبحوث يهتم بدراسة تاريخ وموروث هذه البلاد التهامية العريقة .

ومحافظة المجاردة ، قبل انفصال بلاد بارق عنها ، تشمل بلداناً عديدة تمتد من محافظة القنفذة وبلاد العرضيات شمالاً إلى محافظة محايل جنوباً ، ومن سفوح سروات تنومة والنماص الغربية إلى بعض الأجزاء الشرقية من محافظة القنفذة وبلاد البرك غرباً[(١)] . وأثناء تجوالي في جنبات هذه المحافظة ، اتضح لي أمور عديدة أذكر أهمها في النقاط الآتية:

١. تنوع تضاريس هذه المحافظة بين الجبال العالية والمتوسطة والصغيرة [(٢)] ، ولا تخلو من بعض السهول ، وعدد من الأودية الكبيرة والصغيرة ، وأعظمها وادي خاط الذي يأتي من سفوح السروات الغربية ويسير غرباً حتى يصب في وادي حضوة ، والسليل في ناحية خاط[(٣)] ، ووادي جربة وعبس وغيرهما . ومناخ المجاردة حار في فصل الصيف ، ومعتدل في فصل الشتاء ، ويوجد فيها الكثير من النباتات والأشجار المتنوعة[(٤)] .

٢. عند سيري في أجزاء من المحافظة اتضح لي بعض الشيء عن تركيبتها السكانية، ومنها بلاد خاط في الناحية الشرقية من المحافظة ، وهي مجمع سكاني لبعض العشائر الشهرية والعمرية، ومن تلك العشائر: عشيرة المشاييخ، وتستوطن جنوب وادي خاط ، ومنهم من ينتسب في بني عمرو وآخرون يعودون في صلاتهم القبلية إلى بني شهر ، وأصول هذه العشيرة تعود إلى بعض قبائل الساحل، وقد نزحوا إلى موطنهم الحالي منذ زمن بعيد . وعشيرة آل فلعة في جنوب خاط ، وعشيرة آل شغيب تستوطن شمال خاط عند أسفل جبل تهوي. وعشيرة آل محمد بكسر الحاء والميم ، من بني عمرو ويقطنون شمال خاط . وعشيرة آل صَميد التَي كانت تسكن قديما في أعالي الجبال ، واليوم تستوطن وسط خاط . وعشائر آل ماشي، وآل يثيبة ، وآل خشيل ، وبني قيس ، وآل الدهيس العمرية ، وعشيرتي الأفاقمة ، وآل شعثاء الشهرية[(٥)] .

---

(١) من بعد عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) استقلت عدد من المحافظات القريبة من محافظة المجاردة ، وبعض هذه المحافظات المستقلة كانت جزءاً من محافظة المجاردة أو مجاورة لها ، مثل: محافظة بارق، ومحافظة العرضيات، ومحافظة البرك . وكل هذه المحافظات الجديدة مأهولة بالقرى والسكان ، وتستحق أن يفرد لكل واحدة منها دراسة علمية موثقة .

(٢) شاهدت في محافظة المجاردة عدداً من الجبال الكبيرة والمتوسطة مثل: جبل تهوي ويطل على مدينة المجاردة من ناحية الشرق، وجبال ريمان ، وعصالا ، والمرحب ، وشيبان وكرفوس ، وجبل ثربان غرب مدينة المجاردة .

(٣) خاط : من البلدان التاريخية القديمة في محافظة المجاردة ، ومذكورة في بعض كتب التراث المبكرة ، تقع عند السفوح الغربية لسروات النماص .

(٤) هذا ما سمعه الباحث من بعض الأساتذة في بلاد خاط والمجاردة ، وأيضاً ما شاهده أثناء تجواله في المحافظة في (٨/٤/١٤٣٨هـ) .

(٥) بلاد خاط تأتي في المرتبة الثانية بعد مدينة المجاردة من حيث كثافة السكان ، والتمدن والتنمية ، فيوجد فيها العديد من المؤسسات الإدارية والمدارس ، والأسواق والدكاكين التجارية. كما أنها تشتمل على

٣. حاضرة المجاردة : التي عرفت المحافظة باسمها تأتي في المركز الثاني بعد مدينة محايل في تهامة منطقة عسير ، يوجد فيها مقر المحافظة ومعظم المؤسسات الحكومية والأهلية. ومن العشائر التي تقطن مدينة المجاردة : آل يحيى ، وآل سعيد بن علي ، وآل شغيب الضمو ، وآل كميت ، وآل صميد الملحاء، وبني حسين ، ومملح ، وبني زهير ، وقضريمة ، والظهرة . ومن الأحياء القديمة في مدينة المجاردة: الخطوة ، والمرصد ، والسودة ، والحدبة، والشرف ، والحواجر، والجبهة ، وقرن الميفاء . كما أنشأت بلدية المجاردة أحياء وشوارع جديدة مثل: أحياء الفيصلية ، والنهضة ، والأندلس ، والتقدم ، والصناعية ، والروضة . ومن الشوارع الحديثة: تبوك ، والقادسية ، واليمامة ، والطائف . وهناك طريق رئيسي يتصل بالطريق العام الذي يسير من محايل إلى مكة ، ويسير شرقاً إلى خاط ، وشمالاً إلى بني زهير وختبة وعبس، ويحيط بالمدينة حزام دائري[1] .

٤. بلاد عبس ، من الأجزاء الرئيسية في المحافظة ، وتبعد من مدينة المجاردة حوالي(٤٠) كم نحو الشمال ، وهي معتدلة في مناخها خلال أيام السنة ، ومن عشائرها : آل عبيد ،وآل عمار، وحيد عبس ، وآل قيس . ويحد منطقة عبس من الشمال والغرب محافظة العرضيات ، ومن الجنوب ختبة ، ومن الشرق سفوح سروات أجزاء من بلاد بني شهر وبني عمر وبلقرن ، ويوجد في هذه الناحية عدد من المدارس الحكومية وبعضاً من المؤسسات الإدارية وترتبط مع بلاد السراة بطريقين هما: عقبة تلاع التي تصعد إلى قرى آل جميرة ، والخضراء، وخشرم في محافظة النماص ، وعقبة بني عمرو التي تصل إلى مركز بني عمرو في السراة [2] .

٥. ناحية ثربان:[3] ، إحدى المراكز الرئيسية التابعة لمحافظة المجاردة ، يحدها من

العديد من القرى الحديثة والقرى التراثية القديمة .ولو درسنا كل عشيرة من العشائر الآنف ذكرها أعلاه تاريخيا وسكانيا وحضاريا فإننا سوف نجد مادة علمية كثيرة تعكس التاريخ والحضارة التي مرت به هذه البلاد منذ العصور الإسلامية الوسيطة حتى وقتنا الحاضر.

(١) وأقول إن مدينة المجاردة من المدن الحضارية الكبيرة في منطقة عسير ، وتستحق أن يفرد لها دراسة مستقلة ومفصلة توضح تاريخها والتطور الحضاري الذي تعيشه منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) . ونأمل أن نرى أحد طلابنا في برنامج الدراسات العليا بقسم التاريخ في جامعة الملك خالد يجعل هذه المدينة موضوعا لرسالته في الماجستير أو الدكتوراه .

(٢) منطقة عبس التابعة لمحافظة المجاردة تستحق أن تدرس جغرافياً وتاريخياً وحضارياً ، ونأمل أن نرى أحد الباحثين الذي يدرسها دراسة علمية موثقة. مشاهدات الباحث وجولته في بلاد عبس يوم الجمعة (١٤٣٨/٤/٨هـ) .

(٣) هذا ما سمعه الباحث من بعض الأساتذة في بلاد خاط والمجاردة ، وأيضاً ما شاهده أثناء تجواله في المحافظة في (١٤٣٨/٤/٨هـ) .

الشرق بارق والمجاردة ، ومن الغرب بعض عشائر حرب التابعة لمحافظة القنفذة، ومن الشمال قبيلة عمارة بلقرن ، ومن الجنوب ربيعة المقاطرة . وفي الماضي كان أغلب سكان تلك الناحية يقطنون أعالي جبل ثربان ، وكثير منهم اليوم يسكنون شرق الجبل وغربه ، بالإضافة إلى بلاد الطلاليع التي يوجد فيها كثير من المؤسسات الإدارية مثل: مركز ثربان ، والشرطة ،ومركز للرعاية الصحية ، وهيئة الأمر بالمعروف وغيرها . والطلاليع في ثربان ينقسمون إلى قسمين ، هما: (١) آل عليين ، وآل قراد وآل معيد . (٢) آل مجامد غرب جبل ثربان ، ومن قراهم : الحفرة ، والضرس ، وبوعشرة ، وسلمة ، والسطة ، والكرى ، والفرعة ، وخريب. ومن عشائر ثربان أيضاً: آل غيلان ، والزوكة ، وآل حزمة ، وآل قحيم ، والعواجرة ، وآل سلمان ، وآل راشد . وهناك عشرات القرى التابعة لهذه العشائر ، مثل: البلقعة ، والشق ، والقرن ، والزهيرة ، ومغلوث ، وفرواع ، وصفا ، والمنداة، والمبيرك ، والمروة ، والعريش ، وذو الحدق ، والهبطة ، والعطف ، والحلة[١] .

وأهل ثربان قديماً بدو رعاة ، واليوم وصلت عجلة التمدن والحضارة إلى وطنهم ، فنزلوا من قمة الجبل إلى السهول، والتحقوا بالمدارس والوظائف الحكومية، وهاجر بعضهم إلى المدن الكبيرة في أنحاء المملكة من أجل الوظيفة وتحسين موارد الدخل . ومن معالم ثربان العين الحارة التي توجد عند أسفل الجبل ، وهي مياه كبريتية يرتادها الكثير من الناس للعلاج والتداوي[٢] .

٦. يوجد في ختبة مركز إداري يتبع محافظة المجاردة ، وكان تأسيسه في عام (١٤٣٠هـ/٢٠١٠م) ، وبلاد ختبة تبعد من مدينة المجاردة (٢٠) كيلومتر نحو الشمال ، ويحدها من الجنوب والغرب حاضرة المجاردة، ومن الشمال بلاد عبس ، ومن الشرق سفوح سروات محافظة النماص الغربية . ومن عشائرها : بلجدع ، وبني حسين ، وبني زهير ، ويوجد فيها بعض المؤسسات الإدارية مثل: المدارس ، ومركز صحي، وخدمات للكهرباء ، والاتصالات وغيرها[٣] .

٧. تعد محافظة المجاردة من الأجزاء المتحضرة في منطقة عسير ، ومدينة المجاردة من المدن الكبيرة والرئيسية في هذه الناحية ، وذلك بما تشتمل عليه من تنمية

(١) جبل ثربان ، أو بلاد ثربان تستحق أن تكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية ، نأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخها وسكانها وأرضها منذ بداية عصر الإسلام حتى اليوم .

(٢) زرت هذه العين يوم الجمعة (١٤٣٨/٤/٨هـ) ، فوجدتها مهيئة بدورات المياه ، وأماكن خاصة للرجال والنساء ، وعندها لفيف من الناس يلتمسون الشفاء من الله ثم من مياهها الكبريتية .

(٣) مشاهدات الباحث يوم الجمعة (١٤٣٨/٤/٨هـ) .

عمرانيــة ، وتطور اقتصــادي وتعليمي وسياحي ، ناهيك عــن حياة السكان في محافظــة المجاردة فهم متمدنون متحضرون في ألبستهم ، وطعامهم وشرابهم ، ووسائــل حياتهــم. وقــد زرت محافظة المجــاردة قبل خمســ وعشرين سنة ، أي في يــوم الجمعة (١٤١٣/٩/١٢هــ) ، وكتبت شيئاً مــن تاريخها الحضاري المعاصــر[١]. وفي عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) زرتهــا مرة أخرى ، وشاهدت عجلة التنميــة تسير فيها بشــكل نشط وجيد ، وبخاصــة في أسواقها ، وشبكة الطرق التي تصل إليها أو تخرج منها ، أو تربط أجزائها ببعض، وكذلك أبنيتها العامة والخاصة ، وتزايد مؤسساتها الإدارية وتوسعها ، وتطور التعليم وعدد المتعلمين فيهــا ، وتزايد الحراك والنشاطات الثقافية بين سكانها. وإذا فحصنا التاريخ الاجتماعــي في هذه المحافظة وبخاصة في ميدان الأعراف والتقاليد واللهجات والفنــون الشعبيــة وغيرهــا فإننا نجد كثيراً مــن القيم والتقاليــد القديمة قد تراجعــت وبعضهــا تلاشى وضاع ، وحــل محلها أعراف وتقاليــد حديثة وكثير منها مستورد من داخل وخارج المملكة العربية السعودية[٢].

٨. تحتــاج محافظة المجــاردة إلى دراسات متنوعــة تفصل الحديث عــن أرضها وسكانهــا وصلاتهــا بمن حولهــا، وأشكر بعضــ أبنائها الذين أصــدروا بعض البحــوث عنهــا[٣] . ولكننا مازلنا نتطلــع إلى من يدرس هــذه الناحية دراسة

(١) انظــر تفصيــلات أكثر عن تلك الرحلــة القديمة عام (١٤١٣هــ) ، غيثان بن علي بــن جريس . القول المكتــوب في تاريخ الجنــوب (عسير والقنفــذة) (الرياض : مطابع الحميضــي ، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م) (الجــزء الثــاني) صــ ٤٤٥ـ٤٥٦ ، وعنــوان تلك الرحلة هــو (رحلة أبهــا ـ المجاردة ـ خــاط) (الجمعة ١٤١٣/٩/١٢هـ)

(٢) مــن العــادات الدخيلة والجديــدة على أهل محافظــة المجــاردة : المبالغات في الحفــلات والمناسبات ، والإســراف في الأطعمة والأشربة ، وبعض التبدلات في الألبســة عند الشباب ومجتمع النساء ، والانبهار بالثقافات والفنون التي تشاهد في القنوات ووسائل التواصل المختلفة ، وتراجع ممارسة الفنون الشعبية القديمــة ، وحــل محلها أهازيــج وفنون حديثة وكثير منها جــاء من أمكنة عديدة داخــل المملكة العربية السعوديــة وخارجهــا. وإذا درسنا الأعراف الأسرية والصلات بين أفــراد مجتمع المجاردة فهي الأخرى تأثرت سلباً ، وصار الناس يمارسون أعراف وتقاليد مستوردة تختلف عما عرفه الآباء والأجداد . وأقول إن دراسة التاريخ الاجتماعي في محافظة المجاردة والمقارنة بين القديم والحديث والمعاصر من العناوين الجديــدة ويستحــق أن يدرس في موضوعات عديدة، ونأمل أن نرى مــن الأساتذة الأكاديميين في جامعة الملك خالد من يدرس مثل هذا الميدان المهم والجدير بالبحث .

(٣) مــن الذيــن كتبــوا عــن محافظــة المجــاردة بلقاسم بــن محمــد الربيع ، الــذي أصــدر كتابــه الموسوم بــ المعــالم التاريخيــة والسياحيــة في محافظــة المجــاردة (أبهــا : مطابع الجنــوب ، ١٤٣٤هــ) . هذا الكتــاب صــدر في (٢١٩) صفحــة مــن القطــع الكبيــر، وخــرج في مجلد فاخــر في أوراقــه وصــوره وخدمتــه الفنيــة والطباعية. وهــذه الدراسة تاريخيــة ، ثقافيــة ، إعلامية عن أرضــ وإنسان محافظة المجــاردة ، ويشكــر البــاحث على ما جمع ودون وحفظ من مــوروث حضاري ، ونأمل أن نرى من أبناء

علميـة تحليلية موثقة ، ومـن يفعل ذلك فسوف يطلعنا علـى كنوز معرفية عن هذه الديار التهامية العريقة والقديمة في تاريخها وموروثها الحضاري [(١)] .

٢. العرضيات :

في يوم السبت وصباح الأحد (٩-١٠/٤/١٤٣٨هـ) تجولت في أجزاء عديدة من بـلاد العرضيات . والعرضيات البلاد الممتدة من محافظة المجاردة جنوباً إلى محافظة المخـواة شمالاً ، ومـن سفوح سروات محافظة بلقرن الغربيـة إلى الأجزاء الشرقية من محافظـة القنفـذة[(٢)] . ولا نـدري ما هـو سبب تسمية هـذه البلاد بـ (العرضيات) ، أو العرضيـة الجنوبية والعرضية الشماليـة[(٣)] .ويبدو أنها سميت بهذا الاسم لاعتراض

محافظة المجاردة من يدرس كثيراً من المحاور التي أشار إليها الأستاذ بلقاسم الربيع وبخاصة في ميادين التاريخ الاجتماعي ، أو الجغرافي ، أو الاقتصادي ، أو الثقافي والتعليمي . وأقول إن في هذا المجلد عناصر كثـيرة جديدة تستحق أن تكون عناوين مستقلة لبحـوث أو كتب أو رسائل علمية. وهناك باحث آخر ، هو حسـن بن فيصل بن محمد الشهري ، أصدر دراسـة أكاديمية بعنوان : (بعض أسواق محافظة المجاردة في تهامة بني شهر خلال العصر الحديث " ، منشورة في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (أجزاء من عسير) . (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) (الجزء الحادي عشر) ، ص ٧٨-١١٣. وفي هـذه الدراسة فصل الباحث الحديث عن الأسـواق الأسبوعية القديمة والحديثة والمعاصرة . وثلاث دراسات أخرى ركزت على محافظة المجاردة ، وهي للأساتذة : (١) محمد بن علي آل الجحيني الشهري . (٢) مفرح بن علي بن عبد الله حبسان العمري . (٣) علي بن عبد الرحمن بن سرده الشهري. وجميع هـذه البحوث تدور حول تاريخ محافظة المجاردة في العصر الحديـث والمعاصر، وتحتوي على تفصيلات جديـدة في أبوابها وفقراتهـا . وجميع هذه الدراسات منشورة في كتاب : بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنـين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) ، في القسم السابـع بعنوان : تصويبات وإضافـات) على الكتاب الآنف ذكره (الطبعتان الثانية ، والثالثة /١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م/ ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م) ص ٣١٩ - ٣٩٤ .

(١) مـن خـلال زيارتي بلاد المجـاردة وما جاورها من تهامة بني شهر وبني عمـرو اتضح لي أن هذه البلاد مازالـت بحاجـة إلى دراسات علمية تدور حـول أعلامها ، وآثارها ، وتاريخهـا السياسي والحضاري في العصـر الجاهلي وخلال عصور الإسلام المبكرة والوسيطة والحديثة والمعاصرة ، ونأمل من فرع جامعة الملك خالد في تهامة أن يؤسس بعض المراكز البحثية التي تعتني بهذه الجوانب العلمية.

(٢) والمقصـود هـو: حدود محافظـة القنفـذة في عـام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) ، لأن بلاد العرضيـات أصبحت محافظـة مستقلـة ترجع إلى منطقة مكـة المكرمة ، وكانـت إلى وقت قريب مركزاً مـن مراكز محافظة القنفـذة . للمزيـد انظر: غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريـخ الجنوب ، ج٢، ص ٣٣١وما بعدها ، انظر أيضاً ص ٤٥٣- ٤٧١ .

(٣) كانـت العرضية الجنوبية ومركزها ثريبان المقـر الرئيسي لعموم بلاد العرضيات ثم فتح مركز آخر في العرضيــة الشماليـة . وهاتان العرضيتان ذكرتـا في بعض وثائق القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) بـ (العرضية اليمانية) و(العرضية الشامية). وعندما تحولت إدارتها من مراكز إلى محافظة أطلق عليها اسـم (محافظة العرضيات). وكانـت حتى بدايات هذا العقد لا تعرف إلا بـ (العرضية الجنوبية) و (العرضيــة الشمالية) ، والمتجـول في أرجائها اليوم يجد هذه المصطلحات مازالـت المعروفة والسائدة ، ولكن في الخطابات الرسمية تكتب باسم (العرضيات) . للمزيد انظر: غيثان بن جريس . القول المكتوب

جبالهـا وأوديتها وأرضها بـين السروات ومناطق الساحل ، وكل البـلاد المشابهة لها في الجغرافيا والواقعة إلى الغرب من جبال السروات والممتدة من الطائف ومكة المكرمة إلى قعـر اليمن تعرف باسـم العروض. وهذا ما وجدناه في بعض كتب التراث الإسلامي[١] . وكذلك في بعض المعاجم اللغوية[٢] .

وتمتـد أرض العرضيات مـن الشمال إلى الجنوب حـوالي (١٠٠- ١١٠) كيلومتر، ومـن الغـرب إلى الشـرق (٤٠-٥٠) كيلومـتر ، وتتشابـه في جغرافيتها مـع بلاد بارق والمجـاردة[٣] . ويوجـد فيها جبال عالية ومتوسطة وقليلة الارتفاع [٤] ، كما أن أرضها لا تخلو من السهول، وفيها عدد من الأودية الكبيرة، وأعظمها واديا قنونا ويبة اللذان تأتي منابعهما من أعالي السروات ، وترفدهما عدد من الأودية الصغيرة والمتوسطة في بلاد العرضيـات حتـى يصبا في البحر الأحمر[٥] . وفي ديـار العرضيات الكثير من النباتات

في تاريخ الجنوب ، ج٢، ص ٣٩٨-٤٠١ . انظر أيضاً : بلاد القنفذة خلال خمسة قرون ، ص ٤٣٧، ٤٣٩ .

(١) بعض كتـب الرحالة والجغرافيين المسلمين الأوائل ناقشوا تضاريس البلدان ، ومن هذه المعالم ما عرف بالعروض من جبال وأودية ونواحي داخل الجزيرة العربية وخارجها . للمزيد انظر : الهمداني ، وياقوت الحمـوي ، والإدريسـي ، والمقدسي ، وابن خرداذبة ، وابن رستـه ، واليعقوبي ، والمسعودي ، والقزويني ، والحربي ، وأبو علي الهجري وغيرهم .

(٢) هـذا مـا ذكره ابـن منظور في معجمه (اللسـان) ، حيث يقول " الأعراض قرى بـين الحجاز واليمن ، وقولهـم استعمـل فلان على العروض، وهـي مكة والمدينة واليمـن وما حولها ، قال لبيـد : نقاتل ما بين العروض وخثعما . أي ما بين مكة واليمن . انظر: معجم لسان العرب لابن منظور (عرض) . والذاهب في أرجاء بلاد تهامة والسراة يشاهد الكثير من النواحي والجبال والأودية المعترضة في مواقعها ، ويطلق علـى بعض الأمكنة في مناطق جازان ، وعسير، والباحة : العارضـة ، والعرضية، والعارض ، والمعترضة ، والعروض. وأقـول إن بلاد العرضيات المعنية في هذه الصفحات أخذت اسمها من طبيعتها الجغرافية واعتراضهـا في مواقعهـا بين نواحي ومناطق تحيط بها من كل جانب . للمزيد انظر ، غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ج٢، ص ٤٠٣-٤٠٤ .

(٣) البـلاد التهاميـة ، الواقعـة إلى الغرب من جبال السـروات ، والممتدة من مرتفعـات منطقة جازان إلى جنوب مكة المكرمة متشابه في أرضها ، ومناخها وتضاريسها ، ونباتاتها وحيواناتها ، وفي طبيعة سكانها وأصولهـم وتاريخهم السياسـي والحضاري. حبذا أن ندرس هذه النواحـي في عدد من الكتب والبحوث والرسائل العلمية .

(٤) من جبال العرضيات : ثميدة ، وربا ، وطنب ، وحضوصي ، وظلمان ، وصفا، والطويلة .

(٥) قنونـا ويبـه من الأودية الفحول التي تجتـاز بلاد العرضيات . وهذان الواديـان مذكوران في بعض كتب الـتراث الإسلامي، وكل واد يستحق أن يفرد له كتاب أو رسالة علمية تفصل طبيعته الجغرافية وتاريخه السياسـي ، والحضـاري . ومن الأودية الصغار التي ترفد واديي يبة وقنونـا : وادي الأغرين (الغرين) ، وأوديـة نخـال ، وجفن ، والجـوف ، وطلعة ، وذرحة ، والحفيان، وبيان، والخيطـان ، ورحمن ، والنظر وغيرها .

والأشجار البرية والمزروعة ، وهناك حيوانات وطيور برية وأليفة(١) .

وسكان العرضيات قبائل عربية ماجدة ، وهم يلتقون في النسب مع القبائل العربية التي تستوطن محافظة بلقرن . والعشائر الرئيسية في بلاد العرضيات هم : فروع بلقرن في تهامة مثل: بنورزق ، وآل سليمان ، وعمارة ، وبلحارث . وفروع شمرانية عديدة مثل: آل مطاع ، وآل الروحاء وغيرهم . وفروع خثعم ، مثل: آل كثير، وآل الزارب، وبلعريان ، والعوامر ، وبنو المنتشر وغيرهم (٢). وفي رحلة سابقة قمت بها في محافظة بلقرن السروية في (١٥-١٧/١١/١٤٣٧هـ الموافق ١٨-٢٠/أغسطس /٢٠١٦م) ، شاهدت التركيبة السكانية في هذه البلاد ، وجميع العشائر القاطنة في هذه الناحية هم : بلقرن ، وشمران ، وعليان ، وخثعم ، وأثناء السير في مناكب هذه البلاد ، والالتقاء بالأعيان والوجهاء ، اتضح لي أنهم على صلات نسبية قوية بإخوانهم من عشائر وأسر العرضيات (٣) . وأثناء تجوالي في العرضيات وجدت الشعور نفسه عند أهلها تجاه إخوانهم وقبائلهم من أهل السراة (٤). ويسكن العرضيات اليوم عناصر عربية أخرى

---

(١) الثروات الحيوانية والنباتية في بلاد العرضيات من الموضوعات القيمة والجديدة التي لم تدرس ، وإذا كانت هذه الثروات قد أصابها اليوم الكثير من التدهور والانقراض ، إلا إنها إلى عهد قريب كانت الموارد الاقتصادية الرئيسية عند أهل البلاد . ونأمل أن نرى باحثين جادين يدرسون ويبحثون هذه الموضوعات في الماضي والحاضر ويوضحون بالمقارنة والبحث والتحليل ما جرى على هذه الميادين من تطور أو تدهور مع ذكر العوامل المؤثرة في ذلك ، وما هي الآثار السلبية التي حلت على الأرض والسكان نتيجة تدهور هذه الثروات .

(٢) لم نفصل الحديث عن فخوذ وأسر وفروع هذه العشائر العربية القاطنة منذ قديم الزمان في العرضيات . وتاريخ هذه العشائر جدير بالبحث والدراسة ، ونأمل أن نرى من يدرس أصولهم ، ومواطنهم القديمة والحديثة ، وتاريخهم السياسي والحربي والحضاري عبر أطوار التاريخ الإسلامي المبكر ، والوسيط، والحديث ، والمعاصر. ونأمل من مؤسسات التعليم العالي والأقسام الأكاديمية في جامعة الباحة وفروع جامعة الملك عبد العزيز في القنفذة أن تفتح مراكز بحوث علمية تهتم بدراسة مثل هذه الموضوعات الجديدة والجديرة بالدراسة

(٣) وأقول إن تاريخ وأنساب والصلات الحضارية بين هذه العشائر في تهامة والسراة من الموضوعات التي لم تدرس إطلاقاً وتستحق أن يفرد لها بحوث ودراسات علمية موثقة .ونأمل من أبنائها الباحثين التهاميين والسرويين أن يعكفوا على دراسة أوضاعها التاريخية والصلات فيما بينهم عبر أطوار التاريخ الإسلامي .

(٤) إن الدارس للأنساب وتاريخ هذه العشائر في السراة وتهامة يجد أنهم من أصل ونسب واحد ، حتى وإن تفرعوا وانقسموا إلى فخوذ وقرى عديدة . ووجدت للأسف ، من أهل تهامة وبعض أهل السراة من يقول : نحن لا ننتسب لبعض وليس بيننا أي صلات في الدم والنسب ، وهذا كلام غير صحيح ، لأن من يتتبع نسب كل عشيرة منذ أن نزلت السراة ، وخرج بعض أفرادها إلى البوادي وتهامة ، ثم يدرس السمات الخَلقية ،والصفات والعادات واللهجاتٍ ، والتاريخ. فسوف يجد أن أصل الجميع في تهامة والسراة واحد ، والواجب على الجميع شيوخاً وأفراداً، والعامة والخاصة ، أن لا ينظروا من هذا المنظور الضيق ، وربما

مـن داخل الجزيرة العربيـة ، أو خارجها ، وبعضهم من أهل السـراة [(١)]، جاءوا للعمل أو الوظيفـة ، وبعضهم يستوطن هذه البلاد منـذ سنوات ، وعند الانتهاء من وظائفهم، فإنهـم يعـودون إلى مواطنهم الرئيسية[(٢)]. وهناك عناصر غـير عربية ، ومنهم المسلم وغير المسلم ، مثل: الهنود ، والباكستانيين ، والبنجاليين ، والفلبينيين ، والإندونيسيين ، وبعض الأفارقة ، وربما قلة قليلة من بعض الدول الغربية ، أو كوريا ، أو الصين وغيرها ، جـاءوا للعمل المؤقت في عدد من الوظائف والمهن الأهلية والحرفية والاقتصادية ، وهذه العناصـر قليلـة إذ قارناها ببعض الحواضر والمـدن الكبيرة في تهامة مثـل: المجاردة، والقنفذة ، وصبيا ، وجازان وغيرها [(٣)].

لم تكـن رحلتي الأولى في العرضيات ، وإنما اجتزتهـا مرات عديدة خلال الثلاثين سنـة الماضيـة، وذلك عند ذهابـي وإيابي من عسير إلى الحجـاز ، ومروري من أرضها

كان لبعض مـن ينكر ويتبرأ من هـذا النسب والصلات أهـداف ضيقة . والمشكلـة نفسها نجدها عند بعض العشائر الممتدة من درب بني شعبـة إلى جنوب مكة ، فهناك من يقول بهذا النفي ويدعم إنكاره، والحقيقـة البينة أن قبائل السروات من ظهران وقحطان في الجنوب حتى فهم وعدوان في الطائف، هم وإخوانهم من العشائر القاطنة عند سفوح السروات من الغرب من أصل واحد ، وجميعهم قبائل جنوبية يمانية قحطانية .

(١) نقصد بأهل السراة : أي من بعض العشائر القرنية أو الشمرانية ، أو الخثعمية الذين جاءوا من سروات محافظـة بلقرن فامتلكوا أراض ومزارع وعقـارات ، ومنهم كثيرون يعملون في التجارات وبعض الأعمال الاقتصادية في أوطان العرضيات . هذا ما عرفه الباحث وشاهده في بلدتي ثريبان ونمرة ونواح عديدة قريبة من الطريق العام الذي يخرج من المجاردة عبر العرضيات حتى بلدة المخواة .

(٢) هـذه الأجناس عرب من داخـل المملكة العربيـة السعودية يعملـون في كثير من الوظائـف والمؤسسات الحكوميـة مثـل: الشرطة، والمحافظـة ، والمحكمة ، والدفـاع المدني ، ومهنة التدريس وغيرها . ومنهم آخـرون جـاءوا من بلدان عربية مثل: اليمـن ، ومصر، ولبنان ، وشمال إفريقيـا ، والسودان ، والأردن ، وجميعهم يعملون في أعمال ومهن حكومية وأهلية، وفي عدد من المهن الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية . وإقامتهم مؤقتة ، ويتبعون نظامياً وإدارياً إلى الأفراد والمؤسسات التي جلبتهم للعمل عندها ، وأغلبهم مـن فئـة الذكور ومنهم عناصـر نسائية قليلة. كما يوجـد عناصر أخرى سعودية مـن أهل العرضيات ، وهـم في الأساس جاءوا من إفريقيا أو بلدان أخرى عديدة، وأصولهم غير عربية ، وبعضهم كانوا رقيقاً ، ثـم أعتقـوا وأصبحوا من أهل البلاد وينتسبون إلى عشائر سادتهم الأوائل ، وصاروا جزءاً من النسيج الاجتماعي السعودي في جميع الحقوق والواجبات .

(٣) هذا ما شاهده الباحث في نمرة وثريبان وغيرها من المحلات التجارية على قارعة الطريق الرئيسي الممتدة من المجاردة إلى المخواة، وربما ضعف التطور والتنمية في هذه الناحية كان السبب في قلة العمالة . ما عدا فرع شركة أسمنت المنطقة الجنوبية في تهامة الذي يقع في ثلوث عمارة القرنية بالعرضية الجنوبية ، ويبعد من الشارع العام الذي يربط المجاردة بالمخواة حوالي عشرة كيلومترات ، ويبعد من مدينة المجاردة حوالي (٥٠-٦٠) كيلومتراً. وهذا المصنع تم افتتاحه في شهر رجب عام (١٤٢٨هـ الموافق شهر يوليو (٢٠٠٧م) ، وينتـج حوالي (٤,٥٠٠,٠٠٠) طن كلنكر سنوياً ، ويعمـل فيه أثناء زيارته يوم السبت (١٤٣٨/٤/٩هـ) حـوالي (٦٠٠) موظف معظمهم من دول عربية وإسلامية وغير إسلامية . المصدر: مشاهدات الباحث وزيارته للمصنع وتجواله في أجزاء من بلاد عمارة القرنية في (١٤٣٨/١٠/٩هـ).

سريعاً ، فلم أدون شيئاً من تاريخها وحضارتها، وأثناء جمع مادة كتابيّ: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب، الجزء الثاني . وبلاد القنفذة خلال خمسة قرون** ، ذهبت إلى نواح من العرضيات والتقيت ببعض رجالها ، وتجولت في أرجائها ثم دونت شيئاً من تاريخها في رحلتي التي بدأتها من أبها إلى القنفذة يوم الأحد (١٥/١٢/١٤٣١هـ)، وحصلت على معلومات عن أرضها وسكانها من بعض الرواة أو المدونات التي سجلها بعض أبنائها عنها[١] . وفي هذه المرة سرت في ربوعها لمدة يوم وبضع ساعات ، فشاهدت بعض معالمها ، وقابلت بعض رجالها ، وخرجت في هذه الرحلة ببعض الرؤى والمعلومات التي لم أذكرها في البحوث السابقة ، ومما تم جمعه ورصده ما يأتي :

١. تجولت في الجزء الجنوبي من العرضية الجنوبية وبخاصة في بلاد عشيرة عمارة القرنية التي يوجد مصنع الأسمنت في أرضها ، ورأيت عدداً من قراها : مثل قرية الويد ، وفيها يقع مركز الويد، ويعقد فيها سوق ثلوث (ثلثلاء) عمارة الأسبوعي[٢]، وقرية قرن هذيل شمال قرية الويد، وقرية قرن قريش[٣] ، وقرى الأبطاح، وحلفن ، والبدلة ، والعينة . كل هذه القرى وما حولها من النواحي تراهم يسكنون منازل مسلحة بالأسمنت والحديد ، وحولهم بعض الأبنية الحجرية القديمة ، وهذه الصفة السائدة في عموم أرض العرضيات. فالقرى القديمة أصبحت مهجورة ، وشيد قريباً منها قرى جديدة تتكون منازلها من طابق وطابقين ، وبعض المنازل أو العمارات التجارية والأهلية قد تصل إلى أربعة أدوار وأحياناً خمسة . وهذه القر ى المذكورة أعلاه تكاد تكون نموذجاً لباقي قرى العرضيات من حيث مواد البناء ، ومرافق الأبنية والمنازل في كل قرية ، وتتفاوت بعض المنازل في أنحاء العرضيات حسب إمكانات أصحابها وظروفهم الاقتصادية.

---

(١) للمزيد انظر المادة المدونة عن تلك الرحلة في كتاب : بلاد القنفذة ، ص ٣٠٣- ٣٥٠ ، وانظر أيضاً تفصيلات في بعض الوثائق ، وما دونه الأستاذ عبد الله الرزقي القرني عن طبيعة أرضها وتاريخ سكانها في العصر الحديث . غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، الجزء الثاني ، ص ٣٩٨. ٤٣٤ .

(٢) يذكر أن سوق ثلوث عمارة كان يعقد في قرية الثلوث (الثلاثاء) غرب وادي يبة شمال قرية السبطة ، ثم انتقل أخيراً إلى قرية الويد لوقوعها على الطريق الرئيسي الذي يربط المجاردة بالمخواة .

(٣) لاندري ما سبب تسمية هاتين القريتين باسم هذيل وقريش، والدارج عند أهل هذه البلاد أن تجار أهل الحجاز كانوا يمرون بهذه الناحية ، منذ العهد الجاهلي وعبر عصور الإسلام المختلفة ، ومنهم هذيل وقريش الذين كانوا يستريحون في هذه الأمكنة فسميت بأسمائهم . وربما كان بعض الهذليين والقرشيين قد نزحوا من الحجاز واستوطنوا هذه المواضع فعرفت بأسمائهم.

٢. واصلت السير شمالاً حتى وصلت بلدة ثريبان ، وتجولت في أرجائها ، والتقيت ببعض رجالها مثل الأستاذ/ عبد الله الرزقي القرني ، ثم ذهبت حتى وصلت بلدة نمرة في العرضية الشمالية ، وخرجت ببعض الصور التاريخية والحضارية مثل:

أ - يعد الطريق الرئيسي الممتد من مركز الويد إلى نمرة هو الشريان الأساسي لبلاد العرضيات ، ومنه طرق أخرى مسفلتة تخرج إلى نواح عديدة شرق وغرب هذا الشريان الحيوي ، كما أن هناك أيضاً طرقاً تتفرع منه إلى مدن القنفذة ، والقوز وسبت الجارة غرباً ، أو إلى أجزاء من أرض السروات مثل: عقبة شمران ، وعقبة سبت العلاية وغيرها . ويوجد على هذا الطريق الرئيسي معظم المحلات التجارية والأهلية والحكومية مثل: بعض المؤسسات الإدارية ، والبنوك ومؤسسات أهلية ، والأسواق ، والدكاكين ، والورش الصغيرة والكبيرة [١] .

ب - بلدتا ثريبان ونمرة[٢] ، هما أكثر المواضع تمدناً ، مع أن المدنية فيهما مازالت متواضعة . وثريبان القرية القديمة التي نشأت حول قلعة البرحة ، ومازالت قائمة حتى اليوم . وفي العقود الماضية المتأخرة أستحدث مخطط ثريبان السكني ، ويقع إلى الجنوب من البلدة القديمة ، ويتكون تقريباً من (٣٨٠) قطعة بمساحة (٤٠٠م٢) للأرض الواحدة ، وقد شيدت معظم هذه الأراضي بعمارات عامة وخاصة حديثة ، وتتراوح أدواره من الواحد إلى الأربعة والخمسة أدوار. وهناك طريق مزدوج يخرج من وسط مخطط ثريبان إلى الشارع العام ، ويربط المخطط نفسه عدد من الشوارع المسفلتة ، وقد سميت بعضها بأسماء أعلام من التاريخ الإسلامي ، ويوجد فيه عدد من المؤسسات الحكومية، وعلى مقربة من ثريبان عدد من القرى[٣] . ومن ثريبان تسير عقبة مسفلتة إلى شعف سبت العلايا في بلقرن السراة . أما قرية ثريبان القديمة فتتكون من عدة أحياء بالإضافة إلى سوقها الشعبي ،

---

(١) إذا قارنا العرضيات مع غيرها من حواضر ومدن تهامة مثل: المخواة ، أو المجاردة ، أو محائل عسير، فإن هذه الناحية مازالت متأخرة كثيراً في التنمية ، فلا يوجد فيها أسواق تجارية كبيرة ، أو إدارات خدمية كبيرة ، ووجدت أهل البلاد يتذمرون ويأملون أن تتطور بلادهم في مجالات عديدة حتى تصبح مواكبة لغيرها من البلدات والمدن والحواضر المتطور حضاريا وتنمويا في بلاد تهامة والسراة .

(٢) مصطلح ثريبان ربما جاء من اسم رجل يدعى ثريبان ، وقد يكون هناك سبب آخر لهذا الاسم ، ولا نملك دليلا واضحاً يؤكد لنا ذلك . أما نمرة في العرضية الشمالية فيوجد قريباً منها مكان يعرف بهذا الاسم فسميت القرية به ، ويقال أن هذا الموضع كان موطناً للنمارة التي مفردها (نمر) . المصدر: هذا ما سمعه الباحث من أهل ثريبان ونمرة . وأقول إن هاتين البلدتين تستحقان دراسات علمية موثقة ، ونأمل من الباحثين والمؤرخين فيهما أن يخدموا أرضها وأهلها ببعض البحوث العلمية الرصينة .

(٣) مثل قرى مشرف ، وآل طارق، والملحة ، والحقو ، والمخلفة ، ونقمة العبادلة، والبشامة ، وبادي، وجميعها تتبع مركز ثريبان الإداري . المصدر : مقابلة مع عبد الله بن حسن الرزقي القرني في ثريبان يوم السبت (١٤٣٨/٤/٩هـ) .

وأحياء القرية القديمة هي : حارة السوق ، وودن الخبزة، وحي الزحليطه ، وحي الخشن، وحـي الدرعية ، وحـي الزهوة، وحي صدر الشامخ ، وحي فقاسـة، وحي الملح . أما قرية نمرة فهي المقر الرئيسي الحالي للعرضية الشمالية ، وكان المركز الإداري في قرية المبنى ببلعريـان ، ثـم انتقل إلى نمرة في تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) . ويوجد في نمرة كثير من المؤسسات الإدارية والأهلية ، وهي حديثة مقارنة ببلدة ثريبان[١] .

ج - يوجـد في هـذه البـلاد العديـد مـن أنـواع العمـارات مثـل: الطـرق الداخلية بين القـرى، والأحياء الحديثـة ، وبعض الأبنية الحكومية والأهليـة في ثريبان ونمرة وفي المراكز والأمكنـة القريبـة من الطريـق الرئيسي بـين المخواة والمجـاردة . ومما شاهـدت عمارات الجوامع والمساجد ، والأسـواق ، وبعض المواضـع السياحية . وقد حصـرت حوالي (١٦) جامعـاً ومسجـداً مثـل: جامـع أويس القـرني بمركز الويد في عمـارة ، وجامـع الجوف بآل سليمـان، وجامـع عمر بـن الخطاب بالنبيعة ببنـي رزق ، وجامع آل حجـي بمركز شمران ، وجامـع الحجـرة بنخال آل سليمـان ، وجامع الأمير أحمد بن عبد العزيـز بثريبان القديمة ، وهـو قيـد الإنشاء علـى نفقة الأمير أحمـد ، وجامع الملـك عبد العزيـز ، وجامع المخطط وكلاهمـا في مخطـط ثريبـان السكنـي ، وجامـع نمـرة في سـوق نمـرة القـديم ، وجامعي المخطـط وعبـد الله بن الزبير في مخطط نمـرة الحديث وكلاهما على نفقـة الملك فهد بن عبد العزيز ، وجامعي عبد الله بن عباس وحذيفة بن اليمان في الناحية الجنوبية من نمرة ، وجامع الفائج في قرية الفائجة ببني بحير ، وجامع أبو بكر الصديق في أبيان ، وجامع المروة بالعوامر. وجميع هذه الجوامع والمساجد كبير ة وحديثة ومزودة بجميع الخدمات من سجاد، ومكـبرات للصوت ، وكهرباء ، وماء ، ومكيفـات وغيرها[٢] . ويقوم على خدمة هذه المساجد عـدد من أبناء المنطقة أئمـة ومؤذنين وخدماً ، ورأيت في بعض المساجد أفراداً من جنسيات هندية وبنجالية وباكستانية وبورمية يقومون على تنظيفها وفتحها وإغلاقها ، والقيام أحياناً

---

(١) بلـدة ثريبـان مذكورة في عدد من المصادر والوثائـق والمراجع الحديثة خلال القـرون الثلاثة الماضية ، أما نمـرة فهـي حديثة النشأة والبلدتان (ثريبان ونمرة) تعدان الحاضرتـان الرئيسيتان في العرضيات ، ونشأ قريبـاً منهما بعض المخططـات السكنية والمنشآت العمرانية ، لكن المنطقة عموماً مازالت بحاجة إلى تطوير في جميع المجالات التنموية .

(٢) هـذا ما عرفه الباحـث وشاهده وسمعه من بعض رجالات العرضيات ، وهـذه المساجد جوامع كبيرة ، كما شاهـدت أثناء سيري في ربـوع المنطقة عشرات المساجد والمصليات الصغـيرة في جميع قرى العرضيات ، ووقفت أيضاً عند بعض المساجد القديمة في بلاد عمارة وبني رزق القرنية ، وبني المنتشر والعوامر الخثعمية ، وبعضهـا مازال عامـراً يرتاده المصلون ، وأقول إن دراسة تاريـخ المساجد والجوامع القديمة والحديثة في العرضيـات مـن الموضوعـات التي لم تدرس ، ونأمل أن نـرى مؤرخاً أو باحثاً جـاداً يوثقها ويدرسها خلال القرنين الماضيين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) ،

بالأذان وإمامة الناس في الصلاة وبخاصة من عنده علم بالقرآن وعلومه [١].

والأسـواق أنـواع: أسواق أسبوعية وهي كثيرة ، ومنها الذي اندثر ، وأخرى مازالت قائمـة علىٍ نطـاق ضيق . ومن الأسـواق الشعبية القديمة : سوق الأحـد لبني رزق ، ولا يعمل حاليا . وسوق السبت بمركز شمران ، تم نقله من قرية الروحاء إلى مكانه الحالي ومـازال قائمـاً حتـى الآن . وسوق الجمعة بثريبـان ، وهم الآن في طور إعـادة عمارته ، وسـوق الثلاثاء بعمـارة ، وخميس الجوف بآل سليمان ، وخميـس بني المنتشر في قرية المعقص، والثلاثاء ببلعريان ، والأربعاء في بني بحير ، والثلاثاء في بني سهيم ، والأحد في العوامـر. وجميع هذه الأسواق اندثر بعضها وقل نشاط البعض الآخر، ولها تاريخ عريق خلال القرون الماضية ، وقد حصلت على بعض الوثائق لعدد من هذه الأسواق ، ووجدت تاريـخ تلك الوثائق خلال القرنـين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) ، ويوجد فيها العديد من البنود التي توضح أسماء العشائر أو الأسر التي تشرف على سير تلك الأسواق ، وبعض الأنظمة والقوانين التي تضبط الأمن وتحافظ على سمعة السوق [٢]. أما الأسواق اليومية فتوجد في جميـع أنحاء المنطقة ، ومعظمها بقالات وأسواق صغيرة يوجد فيها الكثير من السلع الضرورية ، ولا تخلو بلدة أو قرية من هذه الأسواق ، ومعظمها على جانبي الطريق العامٍ وبخاصة في بلدتي نمرة وثريبان وما حولهما . كما يوجد بعض الأسواق الكبيرة نوعاً ما ، مثـل: سوق (مول) الحازمي ، ومجمع الأسر المنتجة في العرضية الشمالية ، ومجمعات العثمان وديم في العرضية الجنوبية .كما أنشأت البلديات مركزين للفواكه والخضروات وسلع وأغذية أخرى في نمرة وثريبان، ومعظم العاملين فيها من السعوديين[٣].

نجـد بـلاد العرضيات ذات مناظر حسنة ، ولم أشاهـد أمكنة سياحية مخدومة من قبل البلديات ، ومن أماكن السياحة الطبيعية واديي قنونا ويبة وفروعهما ، فهناك مواقع

---

(١) للأسـف هذه الظاهرة مشاهدة في عموم أنحـاء المملكة العربية السعودية والخلل يحدث غالباً من الأئمة والمؤذنين الرسميين، الذين هم سعوديون فتراهم لا يواظبون على خدمة مساجدهم التي يأخذون أجورا عليها ، وإنما يكلفون بعض الأشخاص الوافدين مثل الباكستانيين وغيرهم للقيام بأعمالهم ويعطونهم على ذلك شيئا من المال .

(٢) عدد من هذه الوثائق توجد في مكتبتنا ، ونسعى إلى إصدار دراسة وافية عن الأسواق الأسبوعية في تهامة والسراة خـلال القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وسوف يصدر بعض من وثائق أسواق العرضيات في هـذه الدراسة . كما نأمل أن نـرى باحثا جـاداً من أهل العرضيات يكتب عن تاريـخ أسواقهم الأسبوعية خلال القرنـين الهجريين الماضيين ، ونحن على استعداد أن نتعاون معه ونزوده ببعض المصادر والوثائق التي تصب في خدمة هذا الموضوع .

(٣) الأعمـال التجاريـة والحرف والصناعـات من الموضوعات الجديـدة التي لم تدرس وتستحق أن تكون عناوين رسالة أو كتاب ، مع دراسة الأيدي العاملة في هذه الأعمال . ويوجد في بلاد العرضيات كثير من هـذه الأعمـال، لكنها أقل مما رأيناه في المجاردة أو المخـواة أو القنفذة . والعرضيات مازالت تعاني من قصـور في الأسواق الكبيرة ، وفي اعتقادي لـو فتحت طرق واسعة تربط القنفذة والمجاردة وغيرها بهذه البلاد ، فإن التجار الكبار والمستثمرين سوف يأتون إلى هذه البلاد للتجارة والاستثمار .

عديد ة في هذه الأمكنة تمتاز بجودة غطائها النباتي، وتضاريسها المتنوعة، ومما شاهدت وادي نعمة أحد فروع وادي يبة، ووادي النظر شرق ثريبان على طريق عقبة بلقرن، والعضد في شعب بلحارث، ونضدن بجبل ثربان، ووادي الحفياء ببلاد بني المنتشر في شعب أم سالم، والبعيرين في بلاد بني سهيم، وأودية قنونا، والعشر، والنظر[١].

د - وإذا بحثنا عن مهن الرعي والصيد والزراعة لا نجد لها نشاطاً ملحوظاً، وذلك لأسباب عديدة، مثل: هجرة الناس وبخاصة الشباب من بلادهم إلى المدن الكبيرة بحثاً عن الوظيفة، ومصادر أفضل مما يجنونه من مهنتي الزراعة والرعي، كما أن معظم أفراد المجتمع تخلوا عن ممارسة أعمال الرعي والزراعة، وإن كان هناك من يمارسها، فهم قليلون، وغالباً يستعينون ببعض العمال الوافدين. كما أن حياة المدنية جعلت جميع طبقات المجتمع يركنون إلى الراحة والاسترخاء والبعد عن هذه الحرف التي تحتاج إلى جهود ومواظبة كبيرة ومستمرة [٢].

هـ - نجد بلاد العرضيات حظيت بشيء من التعليم والثقافة [٣]،ففي العهد القريب، أي خلال العقود الستة الأولى من القرن (١٤هـ/٢٠م) يذكر أنه تواجد فيها عدد من المعلمين والمتعلمين والكتاب والمساجد التي تقوم على تدريس الناس وتفقيههم

(١) هذه بعض الأمكنة السياحية الطبيعية التي شاهدتها أو سمعت عنها، ويوجد بين ثريبان ونمرة بعض الأمكنة السياحية التي أقامت فيها البلديات مظلات، لكنها خالية من أي خدمة، وإنما هي أشكال عارية لافائدة منها، وأقول إن البلديات في هذه البلاد مهملة ومقصرة بشكل كبير، فلم تستغل الأمكنة الطبيعية الجميلة وتخدمها سياحياً، كما أن الحدائق والمتنزهات التي هي من واجب البلديات غير موجودة، وإن كان هناك بعض الحدائق الصغيرة، لكنها لا تفي بالغرض. المصدر: مشاهدات البحث يوم السبت وصباح الأحد (٩-١٠/٤/١٤٣٨هـ).

(٢) تاريخ الصيد والرعي والزراعة في العرضيات من العناوين الجديدة التي لم تدرس، وتستحق أن تكون موضوعات لرسالة ماجستير أو دكتوراه، أو كتب علمية. وكذلك المهن والحرف والصناعات التقليدية تستحق أيضاً البحث والدراسة، ونأمل أن نرى باحثين جادين من بلاد العرضيات فيدرسون هذا الموروث التاريخي والحضاري، وهذا من الواجب على كل صاحب فكر وقلم قادر على أن يخدم أهله وبلاده.

(٣) إذا حاولنا معرفة التاريخ الثقافي والتعليمي في العرضيات خلال عصور الإسلام المبكرة والوسيطة والحديثة فإننا نجد صعوبة كبيرة، لأننا لا نملك المصادر الموثوقة التي تبين لنا ذلك. ولكن ما من شك أن هذه البلاد، مثلها مثل غيرها من بلدان تهامة والسراة، فأهلها مسلمون على مذهب أهل السنة والجماعة، وإن كانت أرضهم وعرة ومعزولة، لكنهم كانوا على صلات جيدة بأرض الحرمين في تجاراتهم وحجهم، ثم إن رحلة القرشيين التجارية إلى اليمن كانت تمر قريباً من بلادهم في الجاهلية وصدر الإسلام، ودعوة الإسلام وصلت إليهم مبكراً، وعاشوا حياة إسلامية في تعاملاتهم العامة والخاصة، ولابد أن يكون بينهم من يفقههم في أمور دينهم ويقضي حوائجهم في مواريثهم، وأنكحتهم، وصلواتهم وصومهم وكل ما يتعلق بأوضاعهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية. وهذا ما عرفه التهاميون والسرويون منذ فجر الإسلام إلى عصرنا الحديث، وللأسف إن عموم أرض السراة وتهامة سادها الجهل والعزلة في القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة، وهذا مما أثر على ضياع تاريخها وحضارتها، مع أنها بلاد مأهولة بالسكان والنشاط الحضاري منذ عصر التاريخ القديم.

في أمور دينهم [(١)]. وقد بدأ التعليم النظامي في العرضيات في نهاية الستينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، حيث افتتحت مدرسة ثريبان (العرضية سابقاً) في عام (١٣٦٧هـ/١٩٤٧م)، ثم مدرسة الفائجة سنة (١٣٦٩هـ/١٩٤٩م)، وتزايدت مدارس البنين والبنات حتى أصبح عددها اليوم (١٨٦) مدرسة لجميع مراحل التعليم العام، و(١٢) روضة، ويدرس في هذه المدارس والرياض حوالي (١٣٣٠٠) طالباً وطالبة، ويشرف عليها مكتبان للتعليم في بلدتي نمرة وثريبان، ويتبع هذين المكتبين والمدارس التابعة لها إدارة التعليم في القنفذة [(٢)]. وتفتقد هذه الناحية إلى مؤسسات التعليم العالي فلا يوجد فيها كليات أو أقسام علمية جامعية، وليس فيها أي تعليم فني أو تدريب مهني،

---

(١) وجدت في بعض وثائق الدولة العثمانية، وعصر الإدريسي، وبدايات الدولة السعودية الحديثة، وسمعت من بعض الرواة وأبناء العرضيات ذكر أسماء عدد من المساجد القديمة في العرضيات التي كانت تقدم فيها بعض الدروس العلمية والدينية، الموجودة في عدد من القرى مثل مساجد: الجعافر، والفائجة، والمبنى، والمعقص، والمروة، وآل حذيفة، والسر، وآل يعلى وغيرها. وذكر عدد من الكتاب والمعلمين الذين كانوا يمارسون مهنة التعليم في العرضيات حتى سبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، ومن تلك الكتاتيب، كتاب: أحمد بن عبد الله بن وهاس في بني رزق، وكتاب محمد بن أحمد الشيبان في بادية بني عمارة، وكتاب علي محسن اليماني في بني سهيم، وكتاب عبد الإله بن أحمد اليماني في قرية الفائجة ببني بحير، وكتاب علي عبادل الحذيفي في قرية القرن ببني سهيم، وكتاب محمد بن إبراهيم الحذيفي في قرية واسعة ببني سهيم. ومن المعلمين والمتعلمين في العقود الأولى من القرن (١٤هـ/٢٠م): عبد الخالق بن حنش الرزقي، وسعد وأحمد أبناء عون السيد، وحسن ومحمد أبناء أحمد الضحوي، وعلي بن حنش بن عبد الله الرزقي. كما اطلعت على بعض الصكوك الشرعية والوثائق المحلية الخاصة ببلاد العرضيات فوجدت فيها أسماء وتوقيعات شيوخ وقضاة، ورأيت بعض الوثائق الخاصة ببعض المؤسسات الإدارية في القنفذة وبيشة وأبها وفيها ذكر لبعض الأمكنة والبلدات في العرضيات، وبعض هذه الوثائق عليها أسماء قضاة أو رجال حكمة وعلم صادقوا عليها. والأستاذ محسن بن علي بن سالم آل محسن السهيمي، من مواليد العرضية الشمالية، ومن الشعراء والأدباء الحاليين في العرضيات زودني بمذكرة عن الحركة العلمية في العرضيات، ومعظم مادة تلك الصفحات منقولة من بعض المقالات المنشورة في بعض الصحف المحلية. ويوجد نسخة من هذه المذكرة ضمن أوراق مكتبتنا. وأقول إن التاريخ العلمي والتعليمي والثقافي والفكري في العرضيات من الموضوعات التي لم تدرس، ونأمل أن نرى أحد المؤرخين والباحثين الجادين من أرض العرضيات، أو من بلاد تهامة والسراة، أو من جنوبي البلاد السعودية يدرسه دراسة علمية توثيقية في هيئة كتاب أو رسالة علمية أكاديمية. وحسب علمي أن في بلاد العرضيات بعض الأكاديميين الذين يعملون في جامعاتنا المحلية، وعليهم واجب كبير تجاه أهلهم وبلادهم في دراسة موروثها الحضاري، وهذا من باب رد الجميل والوفاء للأهل والأوطان.

(٢) بلاد القنفذة وعموم منطقة تهامة الممتدة من جنوب مكة المكرمة حتى البرك ومحائل عسير، والمجاردة، وبارق، والعرضيات، والمخواة وقلوة فقيرة في ميادين البحوث العلمية التاريخية والأثرية والحضارية. والتعليم والفكر والثقافة من المجالات المهمة والجديرة بالدراسة، ونأمل من أبناء هذه المناطق أن يخدموا بلادهم علمياً وبحثياً وثقافياً، مع الحرص على أن تكون أعمالهم ودراساتهم حيادية ومنصفة، وأن لا يتعصبوا لمكان دون آخر، وأن يكون الهدف السامي هو البحث عن الصدق والحقيقة في كل ما يدرس ويدون.

كما أنها خالية من أي مدارس ورياض أهلية ، والقصور في هذه الجوانب واضح ، مع أن المنطقة مأهولة بالقرى والسكان ، وبعض الخدمات السابق ذكرها في ميدان التعليم نجدها متوفرة في بارق والمجاردة، وفي القنفذة ، وفي المخواة وقلوة[(١)].

ويورد الأستاذ محسن السهيمي[(٢)]. نبذة مختصرة عن الحياة الثقافية في العرضيات، ويذكر أنها مرت بأربع مراحل : الأولى من صدر الإسلام ، وركز على دور سوق حباشة الذي يقال إنه في بلاد العرضية الجنوبية. والثانية : ماذكره بعض الرحالة المسلمين وغير المسلمين عن أجزاء من العرضيات في القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) . والثالثة : بداية التعليم النظامي في هذه البلاد في النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) واستدل بروايتي جمال ناجي (الطريق إلى بلحارث) ، وإبراهيم نصر الله (براري الحُمَّى) . والمرحلة الرابعة والأخيرة : منذ بداية القرن (١٥هـ/٢٠م) وأشار إلى وصول بعض الصحف ووسائل الإعلام إلى العرضيات ، وهجرة بعض أبنائها للوظيفة والتدرج في سلم العلم والمعرفة ، ثم إنشاء اللجنة الثقافية في القنفذة، واللجنة الثقافية في العرضيات ، وما نتج عن هاتين اللجنتين من حراك ثقافي ومعرفي ، وأخيراً سرد أسماء عدد من الأساتذة والأدباء والمعلمين والمثقفين الذين برزوا في الساحة الثقافية والأدبية والعلمية ، وجميعهم من سكان العرضيات [(٣)].

وأقول إن ما ذكره السهيمي وبخاصة في المرحلتين الأولى والثانية لا يعكس أي صورة من صور التعليم والثقافة . لأن موقع سوق حباشة مازال مختلفاً عليه ، فهناك من

---

(١) من خلال جولاتي في بلدان تهامة والسراة خلال الثلاثين عاماً الماضية ، ومعاصرة التطور والتنمية التي تمر بها المملكة العربية السعودية ، فإنني وجدت بعض النواحي في مناطق عسير، وجازان ، والباحة ، والقنفذة وجنوبي الطائف ومكة المكرمة ، ورنية وتربة والخرمة وغيرها لم تنل حقها من الرعاية والتطوير في الميادين الخدماتية. وبلاد العرضيات من البلدان المنسية ، إن صح التعبير، في خدماتها السياحية ، والتعليمية ، والصحية ، والثقافية، ونأمل أن نراها في وضع تنموي أفضل خلال السنوات القليلة القادمة.

(٢) هو محسن بن علي بن سالم السهيمي ، من مواليد قرية شاظي ببني سهيم في العرضية الشمالية ، يحمل درجة الماجستير في مناهج وطرق تدريس اللغة العربية من كلية التربية بجامعة أم القرى ، ويعمل في مهنة التعليم لمادة اللغة العربية والموهوبين من عام (١٤١٠هـ/١٩٩٠م) حتى الآن ، عضو في عدد من اللجان المحلية ، وحالياً هو رئيس اللجنة الثقافية بالعرضيات والتابعة لنادي جدة الأدبي ، وهو شاعر وله ديوان مطبوع بعنوان (وجه الصباح) ، صدر عن نادي الطائف الأدبي (١٤٣١هـ/٢٠١٠م) ، وله كتاب آخر بعنوان : في أزمات الوعي ... إشكالات فكرية وثقافية واجتماعية . (بيروت : دار الانتشار العربي ، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م) .

(٣) مذكرة في سبع صفحات من تدوين محسن علي السهيمي، رئيس اللجنة الثقافية في العرضيات ، بتاريخ (١٤٣٨/٤/٥هـ). وصورة منها توجد ضمن أوراق مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية .

يقـول إنـه في وادي قنونا ، وآخرون يدعون أنه في بـارق ، وفريق ثالث يذكر أنه في حلي ، ولا نجـد أي معلومات دقيقة عن موقع هذا السـوق الصحيح ، وعن النشاطات الثقافية والتجاريـة والاجتماعية التي كانـت تقام فيه في الجاهلية وصدر الإسلام. ومنذ تدميره في نهاية القرن (٢هـ/٨م) حتى القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) ، لا نجد أي شيء عن تاريخ وحضارة وفكر وثقافة هذه البلاد. وفي المرحلة الثانية إذا كان ورد بعضـ الشذرات التاريخية عن العرضيـات عند بعض الرحالة فذلك أيضاً لا يفيد ، ولا نجـد فيـه أي حراك علمي وثقافي . أمـا المرحلة الثالثة فلا تعكـس هاتين الروايتين المشـار إليهما أعلاه أي نشاط ثقـافي وعلمي وفكري متقدم لأهل البلاد حتى وإن فتحت المدارس النظاميـة ، مع أن هذه المرحلة مهمة جداً لأهـل المنطقة فقد وصل إليها بعض الأساتـذة المتعاقدين الجيدين مثـل جمال ناجي ، وإبراهيم نصر الله وغيرهما كثيرون ، وهـؤلاء بـدون شك كانوا يحملون فكراً وعلماً وثقافة ، وإن كانت المنطقة وأهلها آنذاك يعانـون من الجهل والفقر والتخلف العلمي والثقافي ، إلا أن هؤلاء المعلمين كان لهم فكر وثقافة فتأثروا وأثروا في إيجاد حراك ونشاطات ثقافية وفكرية وتعليمية ، وهذه الحقبة الممتـدة مـن نهاية الستينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى نهايـة العقد الأول من القرن (١٥هـ/٢٠م) بحاجة ماسة إلى دراسة وتوثيق[1] .

<u>وخلاصـة القول :</u> فإن بلاد العرضيات واسعة الأرجاء ، متعددة القرى ، وهي ذات كثافـة سكانية جيدة، ومن خلال جولتي في أرجائهـا خرجت ببعض النتائج والتوصيات التي أسردها في النقاط الآتية:

١. تقـع هذه البلاد على واديـين فحلين (قنونا ويبة) . وهـذان الواديان لهما تاريخ عريق، وتوجد على ضفافهما الأراضي الزراعية الغنية بتربتها ونباتاتها ، إلا أننا نراهـا اليوم هجرت ، بل جرى الاعتداء على الغطـاء النباتي في هذين الواديين بالتجريـف ، وقطع أشجارها ، والمتاجرة في رمالهمـا ، والواجب على المؤسسات الحكومية المعنية ، وعلـى أعيان ووجهاء وحكماء القبائل أن يتعاونوا في الحفاظ علـى بيئة هذين الواديـين النباتية والحيوانية والمائية ، وإن فعلوا ذلك فإن نتائج ذلك سوف تكون نافعة وإيجابية على جميع أرض العرضيات وسكانها .

---

(١) وأقول إن تاريخ التطور والتنمية في العرضيات خلال الأربعين سنة الماضية من الموضوعات الجيدة التي تستحـق البحـث والدراسة ، مع ذكر العقبات ، وما عانته هذه البلاد وما زالت تعانيه من نقص حضاري في الجانبين المادي والمعنوي.

٢. كما أشرنا سابقاً ، الواجب على صناع القرار في هذه البلاد، والجهات الرسمية الحكومية والأهلية ، والتجار المستثمرين أن يقوموا على خدمة هذه الناحية سياحياً وتعليمياً وصحياً. فهناك الكثير من الأمكنة الطبيعية الجميلة التي تستحق أن تخدم من قبل الهيئة العليا للسياحة ووزارتي الزراعة والبلديات ، وكون هذه المحافظة تتبع إدارياً لإمارة مكة المكرمة ، فإن الإمارة نفسها عليها مسؤولية عظيمة في الالتفات لهذه البلاد وتنميتها سياحياً ، وتعليمياً ، وللأسف إنني لم أجد فيها أي قسم أو كلية جامعية ، ولا يوجد فيها أي مدرسة أو معهد فني أو أهلي ، وربما يكون القصور في أهلها فهم لم يطالبوا بهذه الخدمات المهمة والضرورية ، وإن كان هناك من يطالب فلا بد أن تتضافر الجهود بين أهل البلاد ليوصلوا أصواتهم إلى الجهات العليا في الدولة، وإن فعلوا ذلك فلن يعودوا مخذولين ، وسوف يحصلون على ما يسعون إلى تحقيقه. وكذلك الخدمات الصحية فهي الأخرى ضعيفة ، وإن وجد مستشفيان حكوميان في العرضيتين ، فإن خدماتهما فقط لاتزيد عن (٥٠) سريراً والواجب على وزارة الصحة أن تضاعف طاقة هذين المستشفيين.

٣. شبكة الطرق البرية مازالت محدودة ، نعم هناك طرق ضيقة وصغيرة وقديمة تربط بين القرى ، أو بين العرضيات وما جاورها من البلدان ، والذي يجب على وزارة المواصلات أن تضاعف الجهد فتوسع الطريق الرئيسي الذي يسير من المجاردة إلى المخواة عبر العرضيات حتى يصبح مزدوجاً ، وهذه ضرورة ملحة ، فهذا الطريق لا يخدم أهل العرضيات فقط ، وإنما يخدم جميع المسافرين الذين يسيرون بين مناطق عسير والباحة ومكة المكرمة . والواجب على إمارة مكة المكرمة أن تبذل جهوداً كبيرة مع وزارة المواصلات حتى يتم إصلاح وتوسيع هذه الشريان الرئيسي الهام . وإن تم ذلك فإن كثيراً من الخدمات الأخرى سوف يسهل تنفيذها .

٤. إن أعيان البلاد ووجهائها ورموزها ومثقفيها ، والمقيمين في العرضيات أو خارجها عليهم جميعاً بذل الجهود في الارتقاء بفئات الشباب (ذكوراً وإناثاً) تعليمياً وثقافياً ، وأن لا يركنوا إلى الراحة، أو التجاهل ، أو التغاضي، أو اللامبالاة ، فعليهم مسؤولية كبيرة تجاه بلادهم وأهليهم ، لأنهم يملكون من النفوذ والقوة واتساع العلاقات والسمعة ما يجعلهم قادرين على إيصال أصواتهم إلى صناع القرار في الدولة ، ومن يستطيع أن يساهم في ميادين

التطور والتنمية في ديار العرضيات[١].

٥. لا تخلو بلاد العرضيات من العنصريات والتعصبات القبلية العقيمة ، وللأسف إن البعض تراه يتعصب لقريته أو ناحيته ، ويغمط حقوق الآخرين ، وهذه المشكلة وجدتها عند كثير من سكان تهامة والسراة ، وهذه وأيم الله لا تساعد على التقدم والتطور الحضاري الحيادي والمنصف ، ونحن معاشر المثقفين ورجالات البلاد وأعيانها علينا مسؤوليات كبيرة في خدمة بلادنا على منهج كتاب ربنا وسنة نبينا ، محمد رسول الله (ﷺ) ، وأن نحرص ونبذل الجهود على أن نكون إخوة متحابين فنخدم ديننا وأرضنا وأهلنا دون أن نتعصب لإنسان دون آخر أو ناحية دون أخرى.

٦. تفتقر بلاد العرضيات إلى المكتبات العامة ، وإلى المتاحف التاريخية والتراثية، وإلى الديوانيات والمجالس والمنتديات العلمية والثقافية والحضارية . ولو قلنا إنه لا يوجد فيها مثقفون وأدباء وأرباب قلم ، فذلك كلام غير صحيح ، وإنما فيها من أبنائها من يحمل درجات علمية عالية في شتى العلوم ، وفيها وجهاء، وأثرياء ، وعقلاء ، وحكماء ، لكنني لم أر لهم أي مشاركة أو إسهامات عامة تعود على الأرض والأهل بالفائدة والنماء .

٣ـ المخواة وقلوة :

خرجت من العرضية الشمالية حوالي الساعة العاشرة صباح الأحد (١٠/٤/١٤٣٨هـ) ، وقضيت بقية ذلك اليوم ويوم الإثنين (١١/٤/١٤٣٨هـ) في محافظتي المخواة وقلوة التابعتين لإمارة منطقة الباحة[٢]. وكانت المسافة بين طرف العرضيات

---

(١) من خلال تجربتي الطويلة وسيرى في بلدان تهامة والسراة منذ بداية تسعينيات القرن (١٥هـ/٢٠م) ، ومقابلتي بعض الوجهاء أو علية المجتمع في المدن والحواضر الكبيرة في المملكة . وعند سؤال بعضهم عن أوطانهم ومساقط رؤوسهم تراهم غير مكترثين، بل بعضهم يقولون إنهم لا يعرفون عنها شيئاً وقد خرجوا منها قبل أربعين أو خمسين سنة ، ولا يهمهم كيف تكون حياة الناس فيها . وليس عندهم أي استعداد أن يساهموا بأي شيء في تطويرها وتنميتها .

(٢) في الماضي قمت برحلة ميدانية في منطقة الباحة لمدة عشرة أيام في (٢٩/١١- ٩/١٢/١٤٣٣هـ الموافق ١٥-٢٥/١٠/٢٠١٢م) ، وزرت مناطق عديدة في تهامة وسروات هذه البلاد ، ومن النواحي التي زرتها حاضرتي المخواة وقلوة وبعض الأجزاء التابعة لهاتين المحافظتين ، وللمزيد انظر ، غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحة وعسير) (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) (الجزء الخامس) ، ص١٥٩- ٢٦٤.ومحافظتا المخواة وقلوة لم تخدما بحثياً ، ويوجد في منطقة الباحة عشرات الباحثين والدراسين وبعض المؤرخين إلا أنهم لم يخدموا بلادهم في ميدان الدراسة والبحوث التاريخية والحضارية والعلمية، وبلاد قلوة والمخواة من أكثر النواحي المنسية في ميدان الدراسات ،

الشمالي ومدينة المخواة حوالي (٢٠-٢٥) كيلومتر، وأثناء سيري في تلك الطريق ، ذات السير الواحد، ما عدا كيلوات محدودة في الجزء القريب من حاضرة المخواة ، وهناك بعض القرى الصغيرة والقريبة من هذه الطريق ، كما لا تخلو تلك الطريق من محطات للوقود ومحلات تجارية صغيرة ، وبناشر وإصلاح عجلات للسيارات وبعض الخدمات الأخرى المحدودة . وعند وصول مثلث المخواة القنفذة تظهر لوحة إرشادية عليها سهم نحو اليمين ويذكر تحته أسماء (المخواة ، وقلوة ، وقرية ذات عين ، ثم الباحة) . وسهم آخر نحو اليسار ويذكر تحته (المظيلف والقنفذة) الواقعة على الطريق الدولي الذي يخرج من اليمين إلى مكة وجد ة . ويقابل مثلث المخواة من الشمال جبل أجرد متوسط الارتفاع ، فاتجهت نحو اليمين ذاهباً إلى حاضرتي المخواة وقلوة [١].

أ ـ المخواة :

المخواة اسم لمحافظة واسعة الأرجاء في تهامة منطقة الباحة ، وتعد من المحافظات الرئيسية بعد محافظتي بلجرشي والمندق في السراة [٢]. ويذكر أن المخواة سميت بهذا الاسم ، وسميت أيضاً بـ (رزقة) و (الصيادة) [٣] ، والمخواة هو الاسم الذي اشتهرت به منذ مئات السنين [٤].

وعند ذهابي من المثلث تجاه مدينة المخواة سرت في طريق مزدوج ، وشاهدت عليه العديد من المؤسسات الحكومية مثل : المستشفى العام ، وإدارة الضمان الاجتماعي، والإدارة النسائية التابعة لإدارة تعليم المخواة ، وبعد عدة كيلومترات وجدت سوق الثلاثاء الشعبي بالمخواة ، وفيه عدد من السيارات الكبيرة والصغيرة التي تبيع بعض

ونأمل من جامعة الباحة أن تدعم وتشجع من يدرس أرض وسكان هذه الأوطان وغيرها من بلدان منطقة الباحة ، وهذا أمر ضروري وواجب على الجامعة .

(١) المصدر : مشاهدات الباحث . في الساعات الأولى من يوم الأحد (١٠/٤/١٤٣٧هـ) .

(٢) للمزيد انظر تفصيلات عن منطقة الباحة في كتابنا : القول المكتوب في تاريخ الجنوب . الأجزاء (الخامس ، والسابع ، والثامن ، والعاشر ، والثاني عشر) .

(٣) يذكر أنها سميت المخواة لأن أهل واديي ضيان وراش في بلدة المخواة تصاحبوا و(تخاووا) فسميت بهذا الاسم . أما رزقة : فهي ذات موقع استراتيجي لأنها تتوسط عددا من النواحي ، والرزق والخير فيها كثيرا ، ومن يقصدها فإنه يسترزق من تجاراتها وخيراتها. واسم (صيادة) ، إذا كان إنسان له غريم أو ثأر عند أحد أقاربه فإنه يذهب إلى المخواة كي يصيد غريمه ، ويأخذ من ثأره . وتعرف أيضا باسم (السر) ، لأنها مثل السر وسط الإنسان وذلك لتوسطها بين القرى والأودية . المصدر: هذا ما سمعه الباحث من بعض أعيان المخواة في ليلة الأحد (١٠/٤/١٤٣٨هـ) .

(٤) سوف يكون لنا حديث عن تاريخها وذكرها في بعض المصادر والوثائق في نهاية هذا القسم . ونأمل من إحدى بناتنا أو أحد أبنائنا في أقسام التاريخ بالجامعات السعودية ، والدارسين في برامج الدراسات العليا ، أن يدرس تاريخ حاضرة المخواة السياسي والحضاري خلال القرون الثلاثة الماضية ، وهو موضوع جديد ويستحق البحث والدراسة .

الحبـوب والأعـلاف ، وذكر لي بعض التجار الذيـن قابلتهم في السوق أنـه ينشط من عصر يوم الإثنين ويشتد نشاطه إلى مغرب يوم الثلاثاء. ويوجد في أطراف السوق بعض (الهناجـر) الحديدية التي يستخدمها الباعة أثنـاء عرض بضائعهم ، كما يوجد على محيطـه بعض الدكاكين المسلحة التي تعرض فيهـا تجارات عديدة خلال أيام الأسبوع. وواصلـت سيري إلى وسـط مدينة المخواة الحديثـة فوجدتها تعـج بالدكاكين التجارية المتنوعـة في معروضاتها ، والعاملون في هـذه المحلات من العمال الوافدين وأغلبهم من اليمـن وبلاد الشرق مثل: الهنـد ، والباكستان ، وبنجلاديش ، وهناك عدد من المطاعم (والبوفيهـات) ، وفيهـا عدد من السعوديـين والعمال الوافدين الذيـن يتناولون بعض الأطعمـة والأشربة . والملاحـظ أن بعض السعوديين يجلسون مع بعض العمال ، وجلست قريبـاً من بعضهم لتناول بعض المشروبات ، فوجدتهـم يتفاوضون ويتناقشون في بعض الأعمـال التجارية والحرف المهنيـة[١] . وقضيت ساعات عديدة أتجول في أرجاء المدينة ، والتقيـت ببعض الإخوان الذين قامـوا بالسير معي إلى ربوع هذه الحاضرة ، ثم ذهب معـي بعضهم إلى حاضرة قلوة التي تبعد عن المخـواة (٣٥) كيلومتراً نحو الشمال ، ثم العودة في مساء الأحد إلى المخواة[٢] . ومما سمعته وشاهدته في المخواة ما يأتي :

١. تقـع مدينة المخواة على ضفاف واديي ضيان وراش ، ومناخها حار في الصيف معتدل في الشتاء ، وتتنوع تضاريسها بين الجبال والهضاب والأودية. ومن أهم جبالها شدا الأعلى وشدا الأسفل[٣] ، وجبل شُعران في الناحية الشرقية ، وجبل الجـرف الذي تقع عليه بلدة المخواة القديمة ، وجبل القيد في الشمال الشرقي مـن المدينة ، وجبـل نبايع في الجنـوب الشرقي[٤] . ومن الأوديـة : وادي راش الذي يمتد من أعالي عقبة الباحة نحو الجنوب، ووادي ضيان يمتد من الشرق إلى الغرب ، وتأتي منابعه من بلاد حزنة في سروات غامد ، ووادي بطاط ويمتد

---

(١) يكـثر العمـال الوافـدون في كل مكان مـن البلدان التي مـررت عليها في هذه الرحلة من بـارق والمجاردة إلى المخـواة ، إلا أننـي شاهدتهم بكـثرة في كل من المخواة والمجـاردة ، وتراهم يتولون جميـع الأنشطة التجارية والحرفية في أسواق هذه المدينة. وهذه ظاهرة تراها في جميع مدن وحواضر المملكة العربية السعودية . وأقول إنهـم يربحون ويجنون أموالا كثيرة من هذه الأعمال ، والأولى أن يعمل الشباب الوطني في هذه المهن الجيدة ، وللأسف نسمع عن البطالة العالية بينهم ، وهناك فرص عمل مربحة لكنهم لا يرغبون العمل فيها .

(٢) هنـاك عدد من الإخـوان الكرام الذين استقبلوني في المخواة وساروا معـي في أرجائها ، ثم ذهبوا معي إلى مدينة قلوة ، وهم: الدكتور عبد الرحمن الشعشاع ، والأساتذة موسى بن داود العُمري، وعبد العزيز محمد العُمري، وعبد الرحمن حمياني، وعلي محمد عبد الهادي . وقابلنا في قلوة الأستاذ علي بن أحمد الهيمطي . فلهم مني جزيل الشكر والتقدير وأسأل الله أن لا يحرمهم أجر ما فعلوا وقدموا .

(٣) انظر تفصيلات عن هذين الجبلين في صفحات تالية من هذا القسم .

(٤) يوجـد في حاضـرة المخواة عدد من الجبال التي تستحق أن يفرد لها دراسة مستقلة تفصل تضاريسها ، ومواقعها وما يوجد فيها من النباتات والطيور والزواحف وغيرها .

من الجنوب الشرقي نحو الشمال ، ووادي سقامة بين المخواة وقلوة ، وهو إلى المخواة أقرب، وأودية : ممنا ، ومنجل، وهوران ، ومليل ، والملح . وبعض الأودية السابقة مثل: راش ، وضيان وغيرهما تلتقي جنوب المخواة عند قرية المشايعة ، ومن هناك يبدأ وادي الأحسبة الذي يصب في البحر شمال القنفذة[١] .

٢. يستوطن حاضرة المخواة عشائر بني عُمر بفرعيها الرئيسين العلي والأشاعيب[٢] ، وهم سكانها منذ عصور قديمة[٣] ، وفي العقود الماضية المتأخرة تغيرت التركيبة السكانية في هذه الناحية فاستوطنتها عناصر عربية أخرى من غامد وزهران وبعض العشائر في بلاد تهامة والسراة ، وهناك أفراد وأسر جاءت للعمل فيها من بعض بلدان المملكة العربية السعودية ، أو من دول عربية أخرى . كما يعيش في هذه الحاضرة اليوم أعداد غير قليلة من بلدان إسلامية وغير إسلامية مثل: الأتراك ، والهنود ، والباكستانيون ، والبنجاليون وغيرهم[٤] .

٣. تتمتع مدينة المخواة اليوم بالكثير من الخدمات الحديثة ، فجميع أبنيتها العامة والخاصة السكنية والتجارية مسلحة بالحديد والبلك ، وتتراوح عمائرها من طابق واحد إلى خمسة وأحياناً إلى ستة وسبعة طوابق ، والشارع العام الذي يخرج من مثلث المخواة المظيلف إلى قرية ذات عين في عقبة الباحة[٥] ، أو

---

(١) لم تدرس هذه البلاد جغرافياً وتاريخياً واجتماعياً واقتصادياً وآثارياً ، ونأمل من جامعة الباحة أن تؤسس مراكز بحثية تهتم بهذه الأوطان في شتى الميادين ، وهي فعلاً تستحق أن يصدر عنها عدد من البحوث العلمية الموثقة .

(٢) يقول بعض الرواة إن سكان بلدة المخواة قديماً من بني عُمر آل علي ، وفرع الأشاعيب هم الأكثرية في بني عمر ويستوطنون أماكن عديدة خارج قرية المخواة القديمة . هذا ما سمعه الباحث من بعض أعيان ووجهاء حاضرة المخواة في (١٠/٤/١٤٣٨هـ) .

(٣) لمزيد من التفصيلات عن قبائل منطقة الباحة في تهامة والسراة (زهران ، وغامد ، وبني عمر) انظر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية بلاد غامد وزهران ، للأستاذ علي بن صالح السلوك (الطبعة الثانية) (الرياض: منشورات دار اليمامة،١٤٠١هـ/١٩٨١م) (٣١٢صفحة) ، انظر أيضاً ، "فروع قبائل وقرى غامد وزهران وبني عمر" مجلة العرب ، السنة الخامسة ، ربيع الأول (١٣٩١هـ/١٩٧١م)، الجزء التاسع ، ص ٨٧٤ـ ٨٧٩ .

(٤) غالبية هؤلاء السكان من الذكور ، وهناك عناصر نسائية محدودة من بلدان عربية وإسلامية وغير إسلامية يعملن في الخدمات المنزلية ، والقطاعات الصحية وبعض المهن التجارية والحرفية مثل: المشاغل النسائية ، والمدارس الأهلية وغيرها .

(٥) قرية ذات عين من الأمكنة الأثرية الهامة في المملكة العربية السعودية ، وهي غير مخدومة ، ومسؤولياتها على إمارة الباحة، والهيئة العليا للسياحة، فالواجب على هاتين الجهتين أن تبذلا قصارى جهودهما تجاه هذا المعلم التاريخي والأثري، وهو جدير بذلك . للمزيد انظر: غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ج٥ ، ١٨٥ .

قلوة، وهو الطريق الأكثر نشاطاً في الحركة الاقتصادية [١] . وهناك قرى قديمة في هـذه الحاضـرة ، بعضها مازالـت آثارها باقية ، والبعضـ الآخر تم إزالتها وحـل بدلاً منها أحياء جديدة. ومـن هذه القرى القديمة . قرية الجرف ، وهي بلـدة المخواة القديمة[٢] . وقرى الحواجر ، والقزة ، والطناطنة جنوب وجنوب غـرب المدينة . وقـرى المدق، والمشايعـة ، والحوى في الجنـوب الغربي ، وقرى الأشاعيـب في الشمال الشرقـي[٣] . ومن أحياء مدينة المخـواة الحديثة : حي الفيصلية غرب الطريق الرئيسي في المدينة، ويوجد فيه عمائر كبيرة ، ويحتوي على عدد لابأس به من المدارس وبعض الإدارات الحكومية. وحي الحدب غرب الطريـق الذاهب مـن المثلث إلى عقبة الباحة ، وفيه بعضـ المؤسسات الإدارية مثل: المحافظة ، والبلدية ، والشرطة ، والمحكمة . وأحياء الخالدية ، والقفيل ، وسيال ، والأخير يوجد به بعض أبنية فروع جامعة الباحة في المخواة[٤] .

٤. شاهدت بعض المساجد القديمة المندثرة في بلدة المخواة القديمة ، وأصبحت غير صالحـة للاستخدام ، وهناك عدد من الجوامع الكبيرة المجهزة بجميع الأدوات والخدمات ، ومنها: مسجد الردحة وسط المدينة ، وهو من أقدم المساجد ، وحل محله جامع السوق ، ومسجد الحدبة في وسط المدينة ، غرب المستشفى القديم، ويعـرف اليوم بجامع عمر بن الخطاب ، وهو من أكبر الجوامع ويُصلى فيه على الجنائـز ، ومسجـد الزربة في السـوق القديم وحل محله جامـع خالد بن الوليد ، ومسجـد القـزة وحل محله جامـع القزة ، وهو من أقـدم الجوامع في المخواة ، وجامـع البخاري في حي الحواجر وهـو أكبر وأحدث جوامع المخواة ، وجامع حي الفيصلية ، وجامع إمام الدعوة ، وجامع أبو بكر الصديق [٥] .

٥. ترتبـط حاضرة المخـواة بطرق عديدة قديمة تتصل بأجـزاء عديدة في تهامة

---

(١) العمارة والطرق في محافظة المخواة جديرة بالدراسة ، وتستحق أن تكون عناوين لبعض البحوث والرسائل العلمية.

(٢) سوف نذكر عنها بعض التفصيلات في نهاية هذا القسم .

(٣) قـرى بني عمـر الأشاعبة في المخواة ، وجميع القرى التاريخية القديمة تستحق أن يصدر عنها عدد من البحوث العلمية الموثقة.

(٤) التاريـخ الإداري والمالي لمحافظـة المخواة من الموضوعات التي لم تُدرس إطلاقـاً ، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً من أهلها ، أو من أعضاء هيئة التدريس في جامعة الباحة يدرس هذا العنوان دراسة علمية .

(٥) هـذا مـا سمعه الباحـث من بعض الخطبـاء والدعاة ، وما تم حصـره ، ومن المؤكـد أن هناك مساجد وجوامـع أخرى في مدينة المخواة وفي القرى التابعـة للمحافظة . وأقول إن تاريخ الدعوة وتاريخ المساجد في عمـوم المـدن والمحافظات التي مررت بهـا في هذه الرحلة من بارق إلى قلـوة تستحق أن يصدر عنها عشـرات البحوث والدراسات . ونأمل من أقسام التاريخ والشريعة وأصول الدين في جامعتي الملك خالد والباحـة أن تفتـح عـدداً من مراكز البحوث التي تهتـم بمثل هذه الموضوعات ، وهـذا من واجبات هذه المؤسسات العلمية والتعليمية .

والسـراة مثل: قلـوة ، وسروات الباحة في غامد وزهـران ، والحجرة ، وناوان، والقنفـذة ، والمظيلف [١] . واليـوم هناك طرق حديثة تربـط أجزاء المحافظة بعضها ببعض ، وطرق داخلية مسفلتة تصل بين جميع الأحياء في المدينة.

أمـا الطـرق الرئيسية التي تربط المخـواة مع غيرها من البلـدان ، فهي (١) طريـق جازان عسير ثم العرضيات إلى المخـواة . (٢) طريق بلجرشي المخواة عـبر وادي حزنة ، وهنـاك عقبتان من المخواة إلى بلجرشي في السراة ، الأولى عقبـة حزنة عبر وادي ضيـان ، والثانية : من بلجرشي إلى بني دحيم ثم وادي ضيـان . (٣)طريق من المخواة إلى قلوة والحجـرة والشعراء . (٤)طريق من المخـواة إلى ناوان ثـم المظيلف ، ويتفرع جنوباً إلى القنفـذة ، وشمالاً إلى مكة وجدة . (٥) طريق (عقبة) من المخواة مروراً بوادي راش إلى الباحة.

عرفـت المخواة بعضـ الأسواق الأسبوعية ، وأهمها سوقهـا الشعبي القديم يوم الخميسـ [٢] ، وكان مـن أنشط الأسواق ، ويعرف اليوم بسوق الثلاثاء ، ومازال قائمـاً حتـى الآن . وتكتـظ المخواة اليـوم بالعديد من السلـع والأسواق الكبيرة والصغـيرة الحديثة ، ومن يذهـب على طول الطريق الرئيسـي في هذه المدينة فإنه سوف يجد جميع البضائع المستوردة من بلدان عديدة داخل المملكة العربية السعوديـة وخارجهـا ، ومن أكبر هذه الأسـواق الحديثة . سـوق الراية ، وسوق الحازمي ، ومركز الحياة التجاري ، وأسواق بن زرعة ، والأسواق الحرة [٣] .

٦. لا تخلـو حاضرة المخواة وما حولها مـن المناطق السياحية الطبيعية مثل: وادي سقامـة شمال مدينة المخـواة ، وضفاف واديي ضيان وراش ، وقرية ذات عين،

(١) تعـد المخـواة من البلدان الغنية بالزراعة ، والأسواق التجارية ، فكانت حلقة وصل بين الأجزاء السروية والتهاميـة الساحليـة، وبعض البلدان المجـاورة في تهامة زهران والعرضيات وعسـير وغيرها . ودراسة التاريـخ الاقتصادي للمخـواة من الموضوعات الجديدة ويستحق أن يكون عنوانـاً لكتاب أو رسالة علمية أكاديميـة. وتاريـخ الطـرق القديمة والحديثة في محافظتـي المخواة وقلوة مـن الموضوعات الجديدة في أبوابها ، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرسها خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) .

(٢) هـذا مـا سمعـه الباحث من بعض رجالات المخـواة ، ويوجد ذكراً لهذا السوق في بعضـ الوثائق والمصادر التي يعـود تاريخها إلى القرنين الماضيين . ومن أهم السلع التي كانت تصدر من القنفذة إلى سوق الخميس بالمخواة : الملـح ، والتمور ، والأقمشة ، وسلـع أخرى عديدة تصدر من الحجاز واليمن إلى القنفذة . كما يصدر إلى هذا السوق بعض سلع السروات مثل: اللوز ، والعسل ، والسمن ، وبعض الحبوب والمحاصيل السروية . ودراسة تاريخ الأسـواق الأسبوعية في محافظتي المخواة وقلوة من العناويـن الجديدة التي لم تدرس وتستحق أن تكون عناوين لرسائل ماجستير أو دكتوراه .

(٣) ذهبـت إلى بعضـ هذه الأسـواق فوجدتها تشتمل على أنـواع وأشكال عديدة من الألبسـة ، والأطعمة ، والأثاث ، وأدوات أخرى متنوعة . كما وجدت العاملين فيها من الوافدين وبعض السعوديين والسعوديات . ومدينة المخواة تعد من المدن الكبيرة والرئيسية في تهامة الباحة وما جاروها .

وجبلي شدا الأسفل والأعلى المطلان على المخواة وقلوة من الناحية الغربية. ولا يوجد داخل المخواة متنزهات أو حدائق من أعمال البلديات ، وإنما هناك متنزهان كبيران بين قلوة والمخواة ، وهما يقعان على مساحة كبيرة ، ومخدومان بالعديد من الخدمات مثل: دورات المياه ، وبعض الألعاب ، وممرات للمشي والرياضة ، والأشجار ومسطحات خضراء[١] .

٧. عرفت المخواة بعض الكتاتيب المحدودة خلال القرن (١٣هـ/١٩م) والعقود الأولى من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وهذا ما سمعناه من بعض الرواة في مدينة المخواة وما حولها ، وكذلك العثور على بعض الوثائق التي تشير إلى بعض الأعلام اليمنيين الذين كانوا يجتازون هذه البلاد أثناء خروجهم من اليمن لأداء مناسك الحج ، ومنهم من يتوقف في بعض المحطات لتعليم الناس القراءة والكتابة ، وشيء من القرآن الكريم[٢] . بدأ التعليم النظامي في المخواة في بداية السبعينيات ، وأول مدرسة فتحت في عام (١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م). ثم تزايدت عدد المدارس حتى أصبح عددها اليوم (٣٥٤) مدرسة ابتدائية / ومتوسطة/ وثانوية للجنسين (بنين وبنات) ، وعدد من رياض الأطفال، وإجمالي عدد الفصول (١٧٨٥) فصلاً، يدرس فيها حوالي (٢٧٥٧٧) طالباً وطالبة، موزعون على أربعة قطاعات : المخواة ، وقلوة ، وغامد الزناد، والحجرة، ويشرف عليها إدارة تعليم المخواة[٣] . وافتتحت جامعة الباحة كلية العلوم وآداب في المخواة، وفيها بعض التخصصات العلمية والأدبية . وقد زرت تلك الكلية فوجدتها

---

(١) مازالت مدينة المخواة غير منظمة في أحيائها وشوارعها ، فهناك عقبات في مداخل ووسط المدينة ، وهي بحاجة إلى شبكة طرق أوسع وأفضل . كما تحتاج إلى فتح طرق كبيرة تدخل وتخرج وتحيط بالمدينة . وقد ذكرت ذلك لبعض رجالات المخواة من معلمين ومثقفين ، وكذلك أوصلت هذا الاقتراح إلى محافظ المحافظة وبعض وجهاء البلد .

(٢) بعض المعلمين اليمنيين كانوا يتوقفون في بلدات وقرى من تهامة والسراة أثناء ذهابهم للحج ، ويقومون على تعليم بعض العلوم اللغوية والشرعية ، ويحصلون على أجور قليلة مثل الحبوب وبعض الألبسة أو النقود . وأيضاً قرب المخواة من القنفذة وبعض حواضر السراة مثل بلجرشي وغيرها فجعل بعض الدعاة أو المعلمين يفدون إلى المخواة لتدريس أبنائهم وبناتهم وإمامتهم في الصلاة وقضاء حوائجهم الدينية مثل: تقسيم المواريث ، وعقد الأنكحة ، وخطب الجمعة وغيرها .

(٣) لم نجد تعليماً أهلياً واسعاً ما عدا روضتين ومدرستين ابتدائيتين للبنات . وأقول إن تاريخ التعليم العام الحديث في محافظات المخواة ، وقلوة ، والحجرة من الموضوعات الجديرة التي لم تدرس ، ويستحق أن يكون عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتوراه . ونأمل أن نرى أحد أبناء هذه المحافظات يتخذ من هذا الموضوع عنواناً لكتاب أو رسالة علمية . المصدر: أوراق وإحصائيات عديدة وصلتني من الأستاذ عبد الله عبد الهادي العُمري ، رئيس التخطيط المدرسي في إدارة تعليم المخواة ، وهذه الأوراق توجد ضمن وثائق مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية.

متواضعة في إمكاناتها وموقعها وخدماتها الإدارية والتعليمية [١].

أما النشاطات الثقافية والفكرية والدعوية فتمارس في المدارس ضمن برامج الأنشطة الطلابية ، وفي المساجد وبعض المراكز الدعوية المؤقتة التي تقام أثناء فصل الشتاء ، ويأتي من داخل منطقة الباحة وخارجها من يقدم المواعظ والدروس الدينية والثقافية في هذه التجمعات أو في جوامع المحافظة ، ومكتب الدعوة والإرشاد في المخواة يقوم بالدعوة والتنظيم لمثل هذه الأنشطة الثقافية والفكرية والدعوية . وذكر لي أثناء وجودي في المخواة أن نادي الباحة الأدبي اعتمد إنشاء لجنة ثقافية في مدينة المخواة، ومن مهام هذه اللجنة عقد الأمسيات الشعرية ، وإلقاء بعض المحاضرات الثقافية ، وقراءة بعض الروايات والقصص الأدبية [٢].

ب ـ قلوة :

اسم قلوة جاء من القلي ، وهو شوي الشيء ، فيقال : قليت الحب أو اللحم أي أنضجته ، وربما سميت بهذا الاسم لشدة حرها أثناء فصل الصيف . ويقال أيضاً أن القلا : أي البغض والكراهية ، فارتفاع حرارة الجو في الصيف جعل الناس يكرهون الإقامة فيها . وربما نسبتها إلى مكان اسمه قلوة ، أو إلى شخص يدعى قلوي أو القلوي ، أو القالي[٣] . وتبعد مدينة قلوة عن المخواة شمالاً نحو (٣٠-٤٠) كيلومتر ، وتقع بين ثلاثة جبال رئيسية : شد الأعلى في الجنوب ، وجبل نيس في الشمال ، وجبل ربا في الناحية الشمالية الغربية ، ومساحتها تقريباً (٣×٥) كيلومترات ، ويعبرها شارع

---

(١) تجولت في أمكنة عديدة من تهامة والسراة خلال الخمس سنوات الماضية ، وشاهدت بعض النواحي تعاني من عدم وجود أقسام أو كليات جامعية ، وأحيانا توجد فيها كلية أو كليتان فيها بعض الأقسام الأكاديمية المحدودة والجودة فيها ضعيفة لنقص الإمكانات الضرورية ، وتدني مستوى المكتبات والمختبرات التي يحتاجها الطلاب والأساتذة في إنجاز أعمالهم . وأستطيع القول بأن هذا النوع من التعليم العالي لا يختلف كثيراً في المستوى عن التعليم العام .

(٢) نأمل من أحد أبناء محافظة المخواة أن يدرس النشاطات الثقافية والفكرية في هذه الناحية منذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر ، ويحرص على جمع وتدوين النشاطات التي قدمها المعلمون الوافدون من بلدان عربية أثناء عملهم في مهنة التدريس في أنحاء المحافظة . والمؤكد أن هناك أساتذة وأعلام كان لهم إسهامات علمية وثقافية وأدبية وفكرية ، وجمع مادة هذا المحور من الرواة والطلاب والرجال الذين عاصروا تلك الحقبة الممتدة من سبعينيات القرن الهجري الماضي إلى عشرينيات هذا القرن.

(٣) هذه اجتهادات من الباحث ، وقد سألت في محافظة قلوة عن سبب التسمية فلم يفدني أحد بالسبب الصحيح لهذه التسمية، وقد يكون عند بعض رجالها تعريف دقيق وصحيح ، وآمل أن نرى باحثين جادين من أهل قلوة يقومون على دراسة تاريخها وأنساب سكانها وحضارتها . ولمزيد من التفصيلات عن كلمة القلى أو القلوي انظر مادة (قلا) في معجم لسان العرب لابن منظور.

مـزدوج من الشمال إلى الجنوب ، ويقدر عرضه بـ (٤٠) متراً ، ويطلق عليه شارع الملك فهـد ، وشوارع أخرى صغـيرة تتفرع من هذا الشارع الكبيرة ، وبعضها مزدوجة وأخرى ذات اتجـاه واحـد [(١)] . ومعظم سكانها الرئيسيين من قبائل زهران ، ومن العشائر التي تستوطنها ، عشيرة قلوة ، وعشير ة الأحلاف ، وفي أجزاء من محافظة قلوة عشائر تتبع بعض القبائل الزهرانية في السراة [(٢)] . كمـا يوجد في مدينة قلوة العديد من الأجناس العربيـة وغير العربيـة الذين يعملون في مهـن وحرف اجتماعيـة واقتصادية وسياحية عديـدة [(٣)] . ويعيش فيها أفراد وأسر عربيـة سعودية جاءوا من أمكنة عديدة في جنوب البـلاد السعودية وغيرها للعمل والإقامة ، وأكثر من يستوطنها من هذه الشريحة قبائل غامـد وزهران وبني عمر ، وذلك لقربهم من هذه البلدة ، ولصلاتهم النسبية والعرقية مع سكانها الأصليين [(٤)] .

ويبدو أن مدينة قلوة أفضل من مدينة المخواة في تنظيمها وتخطيطها ، فيوجد فيها وعلـى مقربة منها بعض الحدائق والمتنزهات الجميلـة ، ومنازلها وشوارعها ومرافقها في وضـع أحسـن مما رأيت في مدينة المخواة ، والواضح أن بلدية قلوة لديها رؤيا وحسن تدبير في تخطيط المدينة ونظافتها وتنظيمها . والمنازل العامة والخاصة في المدينة تتراوح من دور واحد إلى أربعة أو خمسة أدوار ، ومدينة قلوة أصغر مساحة من مدينة المخواة، وذكـر لي أنهـا أقـدم الإدارات الحكومية في تهامة غامد وزهـران في العصر الحديث ، ويوجـد فيها اليوم معظـم المؤسسات الحكوميـة وبعض الإدارات الأهليـة مثل: البنوك التجاريـة ، وبعضـ المستوصفات الخاصة[(٥)] . ورأيت فيها عـدداً من المساجد والجوامع الكبيرة مثل: جامع الملك خالد ، وجامع ابن عثيمين ، وجامع المنح، وجامع الخليف، وتقع جميعها شمال المدينة ، وجامعي الملك فهد ، والسوق الشعبي وسط المدينة ، وجامعي بن

---

(١) مشاهدات الباحث مساء الأحد (١٠/٤/١٤٣٨هـ) .

(٢) محافظـة قلوة كبـيرة المساحة ، وزيارتنا اقتصرت على مدينة قلوة التي هي مركز المحافظة ، وقد زرت هـذه المحافظة وكتبت عن شيء من جغرافيتها وتاريخها في (٢٩/١١-٩/١٢/١٤٣٣هـ) ، انظر كتابنا : القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الخامس)، ص ١٦٠ وما بعدها .

(٣) العناصر العربية وغير العربية الوافدة إلى المملكة العربية السعودية يوجدون في جميع مدن وقرى البلاد ، وهم مقيمون مؤقتون في وظائفهم وأعمالهم ، وعند الانتهاء يعودون إلى أوطانهم .

(٤) قبائـل زهـران ، وغامد ، وبني عمر في تهامة والسـراة متداخلون في البلاد ، وفي الأنساب وفي الصلات الثقافيـة والاجتماعيـة والجغرافيـة . وهـذه القبائل الثلاث تستحـق أن يصدر عنها عشـرات البحوث والكتب والدراسات التاريخية والحضارية والاجتماعية واللغوية والثقافية وجامعة الباحة عليها مسؤولية كبيرة لدعم وتشجيع مثل هذه الموضوعات والبحوث العلمية.

(٥) مقابلة شخصية مع الأستاذ علي أحمد الهيمطي في منزله بمدينة قلوة مساء الأحد (١٠/٤/١٤٣٨هـ).

باز ، وضبيعة في جنوب المدينة [١] .

ويذكر لنا علي أحمد الهيمطي[٢] أن أول سيارة دخلت إلى قلوة كانت في بداية السبعينيات [٣] ، ثم تسير إلى بلدتي المخواة والحجرة. والطرق الرئيسية التي تربط قلوة مع غيرها من البلدان المجاورة .(١) طريق قلوة المخواة . (٢) طريق قلوة حفار، وحفار مركز إداري على الساحل بين القنفذة والليث. (٣) طريق قلوة الحجرة ثم يسير إلى الشعراء وإلى الشاقة الجنوبية التابعة لمحافظة الليث . (٤) طريق من قلوة إلى الباحة في السراة عبر عقبة الملك خالد[٤] .

ومن الأسواق الأسبوعية في مدينة قلوة وما جاورها من المراكز والنواحي . (١) سوق الثلاثاء في بلدة قلوة، ويعمل يوم الإثنين ويعرف بالثلاثاء ،والسبب أن سوق المخواة يعمل الثلاثاء ، وكان يقام يوم الخميس ، لهذا رأى أهل قلوة أن يعقد سوقهم يوم الإثنين حتى لا يتضارب زمنياً مع سوق الثلاثاء في المخواة. (٢) سوق خميس الشعراء في مدينة الشعراء، ومازال قائماً حتى الآن. (٣) سوق الأحد في مدينة الحجرة ، ويعمل حتى اليوم[٥] ، (٤) سوق السبت في الرميضة ويتبع لمحافظة قلوة ، وهو حديث النشأة . أما الأسواق الحديثة في مدينة قلوة فهي منتشرة في أنحاء المدينة وتتفاوت في الأحجام والسلع ، ومن أكبرها: مركز العائلة ومعظم سلعه مواد غذائية وسلع أخرى ضرورية، وسوق (مول) الرواد ، ومجمعات ابن مستور ، والهيمطي، وسيتي مول ، ومعظم المعروضات في هذه الأسواق ألبسة وأدوات للزينة [٦] .

---

(١) مشاهدات الباحث عصر الأحد (١٠/٤/١٤٣٨هـ) .

(٢) أحد أعيان ووجهاء مدينة قلوة ومن المعلمين الأوائل في هذه المحافظة ، وله سيرة ذاتية من تدوينه نشرها في كتاب : بعنوان : هذه سيرتي ، ولا يوجد عليه معلومات للنشر ، ويقع في (١٤٥) صفحة من القطع الصغير ، ونسخة من هذا الكتاب في مكتبة الباحث .

(٣) المصدر نفسه ، كما أجريت مع الهيمطي مقابلة بمنزله في مدينة قلوة يوم الأحد (١٠/٤/١٤٣٨هـ) .

(٤) اسم هذا الطريق سابقاً ، عقبة مساعد ، نسبة إلى مساعد بن رقوش ، أحد شيوخ زهران في القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وتسير من ديار عشائر بيضان في السراة حتى تصل إلى أعالي وداي دوقة، ومنه إلى مدينة قلوة ، وهي غير مستخدمة في الوقت الحاضر . انظر : غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الخامس) ، ص ٢١٥. وأقول إن الطرق والعقبات في بلاد غامد وزهران وبني عمر تهامة وسراة تستحق أن يصدر عنها عدد من البحوث والدراسات العلمية الموثقة، ونأمل من بعض أساتذة جامعة الباحة أن يدرسوا مثل هذه الموضوعات الجيدة والجديدة في بابها .

(٥) زرت هذا السوق وكتبت عنه أثناء زيارتي لمنطقة الباحة في (٢٩/١١-٩/١٢/١٤٣٣هـ) ، وهو من الأسواق التاريخية القديمة ، للمزيد انظر، غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الخامس) ، ص١٨٢.

(٦) تاريخ التجارة والأسواق في محافظة قلوة من الموضوعات الجديدة وتستحق أن يصدر عنها دراسة علمية موثقة .

يتحدث بعض الراوة عن التعليم في قلوة ، ويذكرون أسماء بعض المعلمين القدماء الذين مارسوا القراءة والكتابة قبل السبعينيات ، وكانوا على قدر بسيط من المعرفة، وأحياناً يخلطون بين ممارسة الشعوذة والتعليم [١] ، ثم افتتحت أول مدرسة في بلدة قلوة عام (١٣٦٩هـ/١٩٤٩م) ، وفي تلك المدرسة معلم واحد ، يدعى حسين بن محمد بن خماش العمري ، يقوم على تدريس الطلاب صباحاً ومساءً ، واستمرت هذه المدرسة إلى عام (١٣٧٦هـ/١٩٥٦م) ، وتخرج فيها خمسة طلاب ، وعُيّن منهم ثلاثة معلمين، اثنان في المدرسة نفسها ، وهما: عبد الخالق بن مستور ، ومستور بن أحمد. والثالث يحيى بلقرون الذي صار معلماً في دوقة الأحلاف[٢] . وفي السبعينيات أيضاً وصلت إلى المنطقة جهود الشيخ القرعاوي الذي نشر الكثير من كتاتيبه ومدارسه في بلدان عديدة من تهامة والسراة[٣] . وفي عام (١٣٧٦هـ/١٩٥٦م) توقفت مدرسة قلوة حتى عام (١٣٨١هـ/١٩٦١م)، ثم افتتحت المدرسة مرة أخرى ، وتلاها فتح مدارس عديدة للبنين والبنات ، حتى أصبح التعليم العام منتشراً في جميع قرى محافظة قلوة . وافتتحت أيضاً بعض الأقسام العلمية الجامعية في كلية العلوم والآداب في قلوة ، ويوجد موقع جديد لكلية التقنية ، ومدرسة واحدة محدودة للتعليم الأهلي[٤] .

٤ـ الشدوان الأسفل والأعلى:

جبلا شدا الأسفل والأعلى من أطول جبال المملكة العربية السعودية، ويقعان في محيط محافظتي المخواة وقلوة [٥] ، وهما إلى الأولى أقرب. وفي يوم الإثنين (١١/٤/١٤٣٨هـ

---

(١) ممارسة الكهانة والشعوذة منتشرة في بعض بلدان وقرى تهامة والسراة ، سمعت ذلك وقرأت عنه أثناء تجوالي في أوطان هذه البلاد منذ بداية القرن (١٥هـ/٢٠م). وهذا الميدان يستحق البحث والدراسة ، ونأمل من الباحثين والمؤرخين الجادين في البلاد السروية والتهامية أن يدرسوا مثل هذا الموضوع الشائك والمهم للبحث .

(٢) تاريخ التعليم خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) من الموضوعات التي لم تدرس ويستحق أن يكون عنواناً لرسالة أو بحث علمي.

(٣) للمزيد عن جهود الشيخ عبد الله القرعاوي في جنوبي البلاد السعودية خلال النصف الثاني من القرن الهجري الماضي (١٤هـ/٢٠م) ، انظر: غيثان بن جريس . تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤-١٣٨٦هـ/١٩٣٤-١٩٦٦م) (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) . (الجزء الأول) ص ٢٦٠ وما بعدها .

(٤) قلوة مدينة تهامية قديمة حديثة ، ولها تاريخ إداري وحضاري واجتماعي واقتصادي وتستحق أن يفرد لها عدد من الدراسات التاريخية والآثارية والحضارية . ونأمل من أبنائها ، وبخاصة الباحثين وأساتذة الجامعات ، أن يدرسوا بلادهم ويخدموا أهلهم ، وهذا من الواجب عليهم تجاه أوطانهم وذويهم .

(٥) ارتفاع جبل شداً الأسفل (١٧٠٠م) ، وجبل شدا الأعلى (٢٢٠٠م) فوق سطح البحر. هذا ما سمعه الباحث من بعض الدارسين والباحثين في محافظة المخواة .

الموافق ٩/يناير/٢٠١٧م) رافقني الصديق الدكتور/ عبد الرحمن الشعشاع [١]، وبعض الإخوان من مدينة المخواة في رحلة إل جبلي شدا [٢]، وقضينا ذلك اليوم نتأمل التركيبة الجغرافية السكانية لهذين الجبلين . فالجبلان ذوا حزون وصخور ومسالك صعبة، وهما مأهولان بالسكان منذ القدم [٣]، وسكان شدا الأسفل يعودون في نسبهم وولائهم إلى عشيرة بني عبد الله الغامدية السروية ، وكذلك الجزء الجنوبي من شدا الأعلى ، أما الجزء الشمالي من شدا الأعلى فأهله من زهران . ومناخهما بارد في الشتاء ، معتدل صيفاً ، وفيهما عشرات الأنواع من النباتات ، وأنواع عديدة من الطيور والحيوانات [٤]. ويشرفان على قرى ومدن من الأراضي التهامية ، فمن الشرق يطلان على وادي سقامة وأجزاء من حاضرة المخواة ، ومن الغرب على بلدان نيرا وناوان ، ومن الجنوب على بعض أودية ونواح من المخواة ، ومن الشمال على وادي يحر وأجزاء أخرى من محافظة قلوة [٥]. وأثناء جولتي القصيرة في هذين الجبلين [٦]، خرجت ببعض الصور التاريخية الحضارية التي شاهدتها وسمعتها ، واذكر أهمها في النقاط الآتية :

١. مررت من حول هذين العلمين مرات عديدة خلال الأربعين عاماً الماضية ، ولم أتمكن من صعودهما ، وسمعت أنهما يحتويان على الكثير من الرسومات الصخرية ، وعندما ذهبت إليهما شاهدت نقوشاً عديدة على بعض الصخور ، ورسومات آدمية وحيوانية يعود تاريخها إلى آلاف السنين قبل الإسلام ، وسألت بعض من رافقني عن هذه الآثار ، هل اكتشفت ودرست؟ فقالوا لقد زارها عدد من الباحثين العرب والأجانب ، وخرج عنها بعض الدراسات المحدودة . وأقول إن طبيعة هذين

---

(١) ابن الشعشاع من أهل بيشة ، أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها في كلية العلوم والآداب في محافظة المخواة ، عرفته منذ أكثر من عشر سنوات عندما كان يدرس لدرجة الدكتوراه في الجامعة الإسلامية بالمدينة . وهو شخص لطيف المعشر، على قدر كبير من الأخلاق والأدب .

(٢) من أولئك الأصحاب ، الأساتذة علي محمد عبد الهادي الغامدي ، وناصر الشدوي ، كما التقينا في أعلى شدا الأسفل بإخوان آخرين وكان معهم العم حسين بن حسن بن ضيف اللهِ الشدوي الغامدي ، الذي استضافنا لوجبة الغداء ، وأفادنا بمعلومات كثيرة ، وعمره يتجاوز (٧٥) عاماً .

(٣) الشدوان مذكوران في بعض المصادر التاريخية والحضارية المبكرة ، قال فيها بعض الأدباء قديماً وحديثاً شعراً ونثراً . وتتبع تاريخ وحضارة هذين الجبلين من العهد القديم إلى اليوم من الموضوعات التي تستحق أن تكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية ، ونأمل أن نرى أحد المؤرخين الجادين يكتب عن تاريخهما وذكرهما في النقوش والآثار والمصادر التقليدية .

(٤) يذكر أن في هذين الجبلين الكثير من النباتات والحيوانات النادرة ، وبعضها انقرض في العقود الماضية.

(٥) هذا ما شاهدناه من أعالي الجبلين في (١١/٤/١٤٣٨هـ) .

(٦) استغرقت رحلتنا في هذين الجبلين حوالي عشر ساعات وهي غير كافية لدراسة تراثهما وجمع موروثهما العلمي والحضاري.

المكانـين وما يحتويان عليه مـن مصادر تاريخية منقوشة علـى صخورها تستحق أن يسخر لها المال والعلماء الجادون والمنصفون حتى يدرسوا ما تشتمل عليه من موروث حضاري .

٢. سرنا في طريق مسفلت في أجزاء من الجبلين ، وأخبرني أحد الرفاق أن المسافة من المخواة إلى أعلى قرية في شدا الأعلى حوالي(٢٤) كيلومتراً ، وصعدنا بعد انتهـاء الأسفلـت في طريـق صعبة ، ولا يسـير فيها إلا سيـارات قوية ذات دفع رباعـي. وصعود شـدا الأسفل أسهل مـن شدا الأعلى الـذي يتكون من قمتين، إحدهمـا في النـاحيـة الشرقيـة وهي وعـرة ويصعب تسلقهـا ، والقمة الأخرى غرباً، وهي أكثر ارتفاعاً لكن الصعود إليها أسهل . ويطلق على القمة الشرقية (القارة) ، والقمة الثانية (مصلى إبراهيم) [(١)] .

وقـال أحـد الرواة إن تمهيد الطريق من أسفل هذيـن الجبلين ، حتى أصبحت صالحـة للاستخدام بالـدواب، بدأ عام (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م) [(٢)] ، وفي حوزتنا بعضـ الوثائـق التي تؤكد هذه الرواية ، وتشـير إلى أسماء بعض العمال الذين شاركـوا في فتح تلـك الطريق في عامي (١٣٨٦هـ ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٦، ١٩٦٨م) [(٣)] . وواصـل المواطنون الشدويـون فتح طرق ترابية على حسابهـم الخاص من ثلاث جهـات للجبلـين ، وفي عـام (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) استلمـت وزارة المواصـلات هـذه الطرق للإشراف عليهـا وصيانتها ، ومنذ بدايـة العشرينيات من القرن (١٥هـ/٢٠م) تم سفلتـة الجـزء الشمالي من شـدا الأعلـى ، وسفلتة حوالي عشـرة كيلومـترات من شدا الأسفـل ، وبقي الجزء الجنوبي مـن شدا الأسفل غير مسفلت ، ومازالت المطالبات في سفلتته جارية حتى الآن[(٤)] .

---

(١) مساحـة هـذا المصلى حـوالي (٢×٢م٢) ، ويتداول الناس رواية أن المقصود بـ(إبراهيـم) ، هو إبراهيم بن الأدهم، وهـو قـول غير دقيق ، ومن المحتمل أن نسبة هذا المصلى إلى رجل صالح يدعى إبراهيم ، وربما يكون من أهل البلاد، أو من الحجاج الذين كانوا يأتون من جنوب شبه الجزيرة العربية عابرين بلاد تهامة إلى مكة والمدينة المنورة.

(٢) هذا ما سمعه الباحث من بعض رفاقه وأكد ذلك علي بن عبد الله الشدوي الغامدي من أهل شدا الأعلى في (١١/٤/١٤٣٨هـ) .

(٣) بعضـ هذه الوثائق في مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة ، وثائق القرن (١٤هـ/٢٠م) ، ج٨٣، صـ ١١٠- ١١١ . وقـد حصل على عددٍ من الوثائق غير المنشـورة من مدينتي المخواة وقلوة وبعض رجالات جبلي شدا ، وسوف ندرسها مستقبلاً ونخرجها في دراسة مستقلة .

(٤) المصـادر نفسهـا . طرق شـدا المسفلتة محدودة على الأجـزاء السفلى من هذين الجبلـين ، ومازالت الأجزاء العلويـة غـير مسفلتة، والواجب علـى وزارة المواصلات ، والهيئة العليا للسياحـة ، أن تضاعف الجهود لتسهيل طرق هذين الجبلين وسفلتتها ، حتى تكون من المعالم السياحية المشهورة والمرتادة من سياح الداخل والخارج .

٣. هـذان الجبـلان مأهولان بالسكان (١) ، وفيهما أنمـاط معمارية عديدة . ففي شـدا الأعلى عدد مـن القرى مثل: قريـة الكبسة وفيها مواقـع سياحية جميلة يرتادهـا السياح للتنـزه والتسلق، وقرية السلاطين وتتكون مـن ثلاثة أقسام : فرعة السلاطين ، والغُمار ، وبجاد . وفي الغمار فتحت أول مدرسة ابتدائية عام (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) ، ومدرسة بنات عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) . وقرية الملاليح وتشتمـل على ثلاث قـرى صغيرة هي : فرعة الملاليـح ، واللحن ، وقرن. وهذه القـرى ملاصقة لمصلى إبراهيم ، وجبل القـارة ، وتشتهر بزراعة البن والموز. وقريـة المساعـدة ، وكان يوجد فيهـا الطبيب الشعبي لعموم جبـل شدا الأعلى ويدعي (أحمد الفقيه) (٢) . وقرية لهن ، وهي من أفضل قرى الجبل انبساطاً ، ويوجد فيها بعض المزروعات، وقرى أخرى في أسفل الجبل مثل: مليل، والأحد بالقفـرة . وتـتراوح أسر هذه القـرى قديماً من (٣٠-٤٠) أسـرة، وحالياً من (٥-١٥) أسـرة ، وسبـب هـذا التناقص هجـرة معظم الأسر مـن الجبل إلى مدينتـي قلـوة والمخـواة وإلى حواضر أخـرى في المملكة ، لقلـة مظاهر التطور والتنميـة في هذا الجبل، ولتحسين أوضاعهـم الاقتصادية والاجتماعية . ومن قرى شدا الأسفل الطرف ، وآل ساحة ، والنَمرة ، والروس ، والفرع وهي أكبرها ويوجـد فيها بعضـ المؤسسات الإدارية ، وبها حـوالي (٤٠-٥٠) أسرة ، وقرية الحلـوق وهي أصغرها فلا يوجد بها إلا حـوالي خمسة منازل(٣) . ومنازل أهل شدا القديمة مشيدة بالحجارة والطين ، وتتراوح مساحاتها من غرفة إلى أربع أو خمس غرف ، حسب إمكانات أهلها ، واليوم قام بعض السكان بإنشاء منازل مسلحـة تتكـون من طابق أوطابقين ، وكل طابق يتكـون من عدة غرف. وتوجد

---

(١) كانت هذه الجبال مأهولة بسكانها قديماً ، واليوم هجرها أكثرهم ونزلوا إلى المخواة وإلى مدن ونواحي عديـدة في المملكـة العربية السعوديـة . ومازال بعضهم يسكنها حتى الآن ، ومنهـم من يستوطن المخواة أو قلـوة إلا أنهـم يـترددون عليها في الإجازات وبعض أيـام الأسبوع . كما يوجد فيهـا الآن بعض العمال الوافدين من اليمن أو الهند والبنجلاديش الذين يعملون في خدمة بعض سكانها مقابل أجور شهرية .

(٢) عاشـ أحمـد الفقيه في هذه الناحية ، ومارس بعض النشاطـات الدعوية مثل : إمامة الناس في الصلاة ، ومعالجتهـم بالقـرآن ، وتـوفي في العقد الثاني من القـرن (١٥هـ/٢٠م) .مقابلة مـع علي بن عبد الله الشـدوي الغامـدي في إدارة تعليـم المخـواة في (١١/٤/١٤٣٨هـ) . وعلـي الغامـدي مـن مواليد قرية السلاطـين في جبل شدا الأعلى عـام (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) . درس مراحل التعليم الأولى بالمخواة وحصل علـى درجة البكالوريوس في الفيزياء من جامعة الملك عبد العزيز ، ويعمـل حاليا رئيسا لقسم النشاط الطلابي بتعليم المخواة ، وأيضاً أميناً عاماً للجنة الخطة الاستراتيجية لتطوير محافظة المخواة .

(٣) مقابلـة مـع حسين بن حسن بن ضيف الله الشدوي الغامـدي في (١١/٤/١٤٣٨هـ) . وهو من أهل شدا الأسفل ، ومازال يقضي معظم أوقاته في قريته ومسقط رأسه في شدا .

الكهـوف في جبلي شدا وبخاصـة شدا الأسفل ، وصار بعضهـم يشيد الكهوف ويوسعهـا ويزوقها ، ويخدمها بالماء والكهربـاء حتى أصبحت مجالس صخرية جميلـة ، وقد استقبلنـا العم حسين بن حسن بن ضيـف الله الشدوي في كهف بشـدا الأسفـل تزيد مساحته عـن (١٠٠م٢) ، وأخـبرني أن هنـاك من يمتلك كهوفـاً أصغـر وأكبر من هذه المساحة ، وهذه من المعـالم السياحية التي يتميز بهـا جبلا شـدا . ويتبع قرى شدا قديماً وحديثاً بعض المرافق المعمارية المهمة مثل: الآبار ، والمقابر ، وفي بعض القرى مساجد كبيرة لصلاة الجمعة ، وأسواق أسبوعية [١] .

٤. يذكر أن أهالي شدا كانوا يمارسون عبادتهم في منازلهم ومساجدهم ، ويأتيهم أحيانـا مـن يعلمهم أمـور دينهم في المخـواة أو في قراهـم الرئيسية في الجبل. ومـن أولئك المعلمـين والدعاة في القرن (١٤هـ/٢٠م) الشيخان علي بن مغرم الغامـدي، وإبراهيم بن مسلم من سكان حزنة غرب سروات بلجرشي ، وأحمد وسعيد أبناء فرحة من أهل شدا ، اللذان تعلما على يد هذين الشيخين السابقين، ثـم قاما بنشر المعرفة والعلم الشرعي بين أهلهـم من سكان شدا الأسفل . وفي الثمانينيـات من القرن الهجري الماضي افتتحت مدارس نظامية في الشدوين ، وكان كثير من طلاب تلك المدارس متفوقين على مستوى منطقة القنفذة ، بل إن بعضهم كانوا من الأوائل على مستوى المملكة العربية السعودية[٢] .

ومـن الأشخاص الذين عملوا في مهنـة التعليم قبل وبعد نشـأة المدارس النظامية الأساتـذة : أحمد بن عيفان الغامدي ووالده من قبله ، وعبد الله بن أحمد الغامدي[٣] ،

---

(١) جبـلا شـدا ذوا تاريخ وحضارة إنسانية ، ففـي الماضي البعيد والقريب يتضح لنـا الكثير من البراهين والشواهـد التـي تؤكد صحة الحياة البشريـة النشطة فيهما . أما في عصر التطـور والتنمية الحضارية التـي تعيشهـا البـلاد السعودية اليوم فالحيـاة في هذين الجبلين شاقـة جداً حتـى وإن كان مازال فيها أنـاس يستوطنونهمـا ، وعندهم بعض الخدمات الإدارية والتعليم والصحيـة . وأكبر مشكلة تعاني منها هـذه الجبال وأهلهـا هو وعورة تضاريسها التي لا تساعد على العيش فيها بسهولة ويسر . وتحويل هذين الجبلـين إلى مناطـق سياحيـة اقتصادية قـد يكون مجدياً إلى حـد ما لو وجدت خدمـات صادقة توفر الراحة والاستجمام للزوار والسياح.

(٢) هذا ما سمعه الباحث من بعض الرواة في المخواة يوم الإثنين (١١/٤/١٤٣٨هـ) . بالإضافة إلى مذكرة وصلتنا من الأستاذ ناصر الشدوي أثناء رحلتنا في بلاد قلوة والمخواة ، وصورتها موجودة ضمن أوراق مكتبتنا .

(٣) عبـدالله الغامـدي من مواليد شـدا الأعلى عام (١٣٥٠هـ/١٩٣١م) ، تعلم في شبابه مبـادئ القراءة والكتابـة ، وعمل في مهنة التجارة في بعض حواضـر الحجاز الكبرى مثل: مكة وجدة والطائف ، ثم عاد إلى مسقـط رأسـه ، وبـذل جهوداً عديـدة في خدمة أهالي شـدا ، فطالب بفتح مدارس نظامية للبنين والبنـات ، وفتـح طريقـاً تسلكه السيارة ويصـل إلى أجزاء من جبلي شدا، كمـا ساهم في عمارة بعض

وأحمد بن معيض الغامدي، ومحمد أحمد الغامدي ، وعلي الغامدي من فرعة غامد ، وسعيد بن محمد صمان من المخواة ، وبعض المعلمين من نيرا مثل: سعيد بن محمد بن صالح ، وسعيد أحمد غرابان ، ومحمد حسن ربيع[١] . ويذكر أن بعض سكان الشدوين ترقوا في التعليم حتى صار منهم اليوم أساتذة في تخصصات عديدة ، ومن بناتهم وأبنائهم من يحمل درجات عالية كالبكالوريوس ، والماجستير ، والدكتوراه ، ومنهم من تدرج في سلم الوظائف الإدارية والمالية والعسكرية والمدنية [٢] .

٥. مشاهدات عامة :

في ختام هذه الرحلة ، لا أدعي أني سجلت كل ما يستحق الدراسة والتدوين في هذه البلاد الواسعة من بارق إلى قلوة ، ولكني أخال إنني أشرت إلى نقاط علمية رئيسية تستحق البحث والدراسة المستفيضة من بناتها وأبنائها المتعلمين الحريصين على حفظ تراث وتاريخ وموروث هذه الأوطان التهامية. ومازال لدينا فقرات نرغب الإشارة إليها، وهي على النحو التالي :

أ. عدم وعي الناس بأهمية البيئة ، فترى الكثير منهم يسعون إلى إتلاف الغطاء النباتي ، والقضاء على الطيور وبعض الكائنات الحية ، وتلويث الأرض برمي القمائم والمخلفات الآدمية وغيرها في الأودية والجبال أو في الطرقات والقرى والمدن ، وكل هذه السلوكيات تؤثر سلباً على حياة الأرض والسكان [٣] .

المساجد المحلية في الشدوين ، وغيرها من الخدمات الإنسانية والخيرية المدونة في بعض الوثائق التي وصلتني من ابنه علي بن عبد الله . المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٨٣، ص ١١٠- ١٢٥ .

(١) المصادر نفسها . نأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ التعليم والثقافة في الشدوين والمخواة وقلوة خلال المئة سنة الماضية. وذكر الأستاذ علي عبد الله الغامدي في إدارة تعليم المخواة أن والده عبد الله بن أحمد الغامدي كان يسعى إلى نشر الفكر والتعليم والثقافة في المخواة وشدا الأعلى ، فأنشأ عام (١٣٨١هـ/١٩٦١م) أول مكتبة تجارية في بلدة المخواة ، وجلب الراديو والكهرباء إلى سكان شدا الأعلى في ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) .

(٢) أهالي جبل شدا أذكياء في أقوالهم وأفعالهم ، ومنهم من عُرف بالرزانة والحكمة والشعر النبطي قديماً ، وفيهم اليوم الكثير من المثقفين والمتعلمين ، وآمل أن يخرج من تلك الفئات من يدرس لغة وتاريخ وحضارة واقتصاد وتعليم وثقافة أهل شدا الأسفل والأعلى ، ومن يفعل ذلك من أبنائها أو بناتها فإنه سوف يسدي إلى أرضه وأهله معروفاً كبيراً ، كما أنه سيرد شيء من المعروف والفضل الذي قدمته هذه البلاد العربية الأصيلة .

(٣) هذه الجوانب جديرة بالبحث ، فتدرس الأسباب والأخطار التي تنتج عن تدمير البيئة وإتلاف مكوناتها الطبيعية ، ونرجو أن نرى الجامعات المحلية تهتم بهذا الجانب في خططها وبحوثها واهتماماتها .

ب ـ هذه البلاد تنعم بالأمن والاستقرار ، ويمارس أهلها عباداتهم بكل سهولة ويسر ، وهـذا ما شاهدتـه في الطرقات ، والأسواق ، والمدارس ، والمساجد والجوامع والتجمعات العامة والخاصة الصغير ة والكبيرة . ومن يدرس تاريخ هذه الأوطان خلال العقود الأولى والوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م) وما قبلها فإنه سوف يتضح له الخوف والجهل والفقر الـذي كان سائـداً في أنحاء هذه الأوطان ، وغيرها من بلدان المملكـة العربية السعودية ، واليوم تغير الحال من سيء إلى حسن ، ومن رعب وفوضى إلى أمن واستقرار[١] .

ج ـ لا يخلو المجتمع من مشاكل وسلبيات مثل: نبرة العنصرية والتعصب فهي موجودة عنـد بعض الأفراد ، والأسر ، أو القـرى ، أو العشائر ، وهذا مرض اجتماعي عرفه العرب من قبل الإسلام ، ومازال يُمارس في بلادنا وبين أهلنا وإخواننا . كما يجب أن هذه البلاد المعنية في هذا القسم يتواجد في أرضها الكثير من النقوش والرسومات الصخرية والآثار ، ولا أحد يدرك أهميتها، بل إن أكثرها ناله دمار وخراب الإنسان. وكذلك الأمكنة التراثية والتاريخيـة مثل: القرى القديمـة ، والأسواق ، والطرقات، والآبـار، والمقابر، وبعض المهن والحـرف الاقتصادية القديمـة: كالصيد ، والرعـي ، والزراعة ، وكثيراً مـن الصناعات التقليديـة ، أصبحـت من الماضي ولا نرى رعاية فرديـة أو جماعية، أهلية أو حكومية تفعل شيئاً لحفظ هذا التاريخ الذي عرفه الأوائل ، وعانوا كثيراً في بنائه وصيانته .

د ـ البـلاد مليئة بالتاريخ الفكري، والثقـافي ، والأدبي ، والعلمي. فهناك لغة ولهجات، وفنون شعرية وأدبية وثقافية ، وأهازيج ، وطرفة وفكاهة ، وأقوال وأغاني، وحكم ، وقصص ، وروايـات ، وأمثال محليـة. وهناك أيضاً أعلام نسائية ورجاليـة ، وعبر ودروس وحروب أسريـة أو عشائريـة أو قبلية ، وصـلات داخلية وخارجية، ونشاطات دينيـة، واجتماعية ، واقتصاديـة ، ومعرفية. كل هذه الصور التاريخية والحضارية عرفها ومارسها إنسان هذه البـلاد التهامية ، وتستحق من ينقب عنها ويجمعها ويدرسهـا ثم ينشرها لأبنائنا في هذه العصـور الحديثـة والمعاصـرة . والفاحص للعلـم والتعليم في هذه المنطقـة يجد المدارس النظامية منتشرة في أرجائها، لكن مستوى التعليم ونوعيته هزيلة وركيكة ، والكم يغلب على الكيف، وهذه مشكلة عامة تعاني منها جميع مراحل التعليم في أرجاء البلاد السعودية[٢] .

---

(١) قـرأت آلاف الوثائق والكتب والمراجـع والمقالات التي أرخت للأرض والسـكان في الجزيرة العربية منذ العصـر القـديم إلى وقتنـا الحاضر ، ووجـدت أن الرخاء والأمـن والراحة التي يعيشها سـكان المملكة العربيـة السعوديـة اليوم لم يسبقه عهد مشرق مثلما يعيشون في عصرنا الحاضر ، وهذا فضل من الله عز وجل ، ونسأل الله أن يديم أمنه ونعمته علينا وعلى جميع المسلمين..

(٢) مـن يقـارن التعليم الحديـث مع التعليم القديم فإنه يجـد جودة التعليم في الماضـي أفضل من عصرنا الحالي، نعم هناك إمكانات كبيرة اليوم ، وأموال كثيرة تصرف ، لكن مستوى الطالبة والطالب أضعف

هـ ــ شاهـدت وعرفت وسمعت عـن كثير من أهل هـذه البلاد ، ففيهـم خطباء في الجوامـع، أو معلمـون وموجهون ومربون في المدارس ، أو موظفون كبـار ، أو أساتذة في الجامعـات ، أو أعيـان ، أو وجهـاء ، أو شيوخ قبائـل ، أو أصحاب مـال أوصناع قرار في أوطانهـم ، أو حكمـاء وعقلاء. وكل هـذه الفئات من النساء والرجـال عليهم مسؤوليات كبـيرة تجاه أنفسهـم ، وأهلهم ، وأوطانهم، فهـم الذين فيهم الأمـل، وعليهم يُعتمد في عمـارة الأرض ، وبنـاء أوطان صالحة تؤمن بربها ، وتعمل لخـير دينها وأوطانهم . وإذا لم يتحمـل هـؤلاء المسؤوليـات المنوطة بهم ، ويقومـون بها على خير وجـه للصالح العام والخاص، وإلا فإن المجتمعات سوف تغرق ، وينالها الوهن والضعف والتفكك والانهيار(١) .

ثالثاً: صور من تاريخ بعض بلدان تهامة (من بارق إلى قلوة) :

١. من تاريخها في بعض المصادر المبكرة:

هـذه البلاد المذكورة من أقل بلدان تهامة والسـراة ذكراً في كتب التراث الإسلامي المبكرة والوسيطة، لكننا نجد أحياناً إشارات قليلة عن بعض أجزائها وسكانها. ففي كتب التاريـخ الحوليـة مثل الطبري ، وابن الأثير ، وابن كثير ، وابن خلدون معلومات عن بارق وبعضـ التهاميين الذين دخلوا الإسلام في عهـد الرسول (ﷺ) ، والذين ارتدوا في عهد الخليفـة الراشد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) ، ولا تخلو كتب السير والمغازي من روايات أيضـاً . وفي هـذه المصادر العامة ورد أسماء بعض الأعلام الذين شاركوا في الصراعات السياسية والعسكرية في القرون الإسلامية الأولى داخل الجزيرة العربية وخارجها(٢) .

وكتـب التاريـخ الموضوعية التي تـؤرخ لزمان ومكان محدودين مثـل كتب الأزرقي ، والفاكهي ، والفاسي ، وبعض أسرة آل فهد المكية ، وتاريخ اليمن لعمارة الحكمي اليمني وغيرهـا ، يوجـد فيها صفحات من تاريـخ الحجاز وبخاصة مكة المكرمـة ، وأجزاء من

مـن السابـق تفكـيراً ، واجتهـاداً ، وكتابـة ، ورغبة في التعليم . قـد يقول قائل هـذا كلام غير صحيح ، فهـا نحـن نشاهد أصحاب الشهادات العليا ، وبعض المبدعـين والجادين ، وأقول كلام صحيح ، فهناك نمـاذج جيدة ومتفوقة ، لكن النمط العام الغالـب على مستوى التعليم اليوم وأثره المعرفي ، والأخلاقي ، والاجتماعي الإيجابي أضعف بكثير من السابق .

(١) خلـق الإنسـان لعمارة الأرض ، والواجـب على الفرد المسلم المؤمن أن يعمـل لتحقيق هذا الهدف ، ومن يفعل ذلك فإنه سوف ينال رضا ربه (عز وجل) ، وخدمة الدين والنفس والأهل والوطن .

(٢) ركـزت كتـب التاريخ العامة مثل: الطبري وغـيره على التاريخ السياسي والعسكـري ، لكنها لا تخلو من بعضـ الشـذرات . ومن يفحص هذه الكتب الحولية فإنه يجد صوراً تاريخية عديدة ومحدودة عن تاريخ وحضارة تهامة والسراة الواقعة بين اليمن والحجاز .

اليمـن ، لا تخلو من معلومات تتعلق بالبلاد الممتـدة من بارق إلى قلوة ، فهناك إشارات لبعض الأمكنة، وشذرات أخرى قليلة عن بعض الأحداث التاريخية في هذه البلاد(١) .

وفي كتب الطبقات والتراجم والأعلام معلومات عن تهامة بشكل عام ، وعن الأوطان التي ندرسها بشكل خاص . ومن تلك المصادر كتب الطبقات لابن سعد ، وأسد الغابة في معرفـة الصحابة لابن الأثير ، وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني . وهذه المصادر ذكرت روايات عن بعض الأعلام البشرية أو الجغرافية في تهامة مثل سوق حباشة وبعض مـن ارتاده في الجاهلية وصدر الإسلام من أهـل الحجاز أو غيرهم، وأشارت أيضاً إلى أسماء تهامية عاصرت ظهور الإسلام في الحجاز ، وبعضها خرجت مع جيوش المسلمين للجهاد في سبيله في الشام وفارس ومصر وشمال إفريقيا وبلاد الهند والسند(٢) .

كما اشتملت كتب اللغة والأدب على معلومات تاريخية عن بلدان تهامة ، مثل: وادي قنونا ويبة، وبلاد بارق وغيرها فقد ورد لها ذكر في بعض المصادر المبكرة كمعاجم اللغة العربية الرئيسية مثل: اللسان لابن منظور ، وتاج العروس للزبيدي ، وكتب أخرى ككتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، وخزانة الأدب للبغدادي ، وعمدة القاري للعيني، وبعض الدواويـن الشعرية ، كديـوان ابن هتيمل وغيره من شعراء اليمن أو الحجاز أو نجد ، أو شعراء كبار في الجاهلية والإسلام(٣) .

أمـا كتـب الجغرافيـا والرحـلات فهـي الأفضـل في حفظ الكثـير مـن المعلومات الجغرافيـة والتاريخية والحضارية عن تهامة من قلوة إلى بارق ، ومن أعم وأشمل هذه المصادر كتاب (صفة جزيرة العرب) للهمداني ، ففي هذا السفر تفصيلات كثيرة عن مواضـع وسـكان عاشوا في هذه البلاد ، ولا تخلو معلومات هـذا العالم اليمني من بعض

---

(١) ركـزت هذه المؤلفات علـى تواريخ الحجاز واليمن ، ولقرب بلاد تهامة من هـذه النواحي ، ثم للصلات التاريخيـة والحضارية للتهاميين مع الحرمين جعلت مؤلفـي هذه المصادر يلتقون بأهل السراة وتهامة ، ويسمعون بعض الأخبار عنهم وعن بلادهم وما يدور فيها من أحداث سياسية سلبية وإيجابية .

(٢) مـن يفحص هذه المصادر فإنه يجـد أسماء تهامية هاجرت إلى المدينة المنـورة ، وأخرى خرجت أثناء الفتوحات الإسلامية إلى بلدان عديدة خارج الجزيرة العربية .

(٣) مـن أولئـك الشعراء الشنفرى ، وأبو الحياش الحجري وغيرهمـا اللذان ورد في أشعارهم أسماء وقائع ومواضـع في البلدان الممتـدة من جازان جنوباً إلى مكة المكرمة شمالاً ، ومـن الأمكنة التي ذكرت بارق، وقنونـا ، والسرين ، وعشم وغيرها. حبـذا أن نرى باحثاً جاداً يجمع الأشعار التي ذكرت أحداثاً ومواقع في بلاد تهامة والسراة ، وهي متناثرة في كتب التراث الإسلامي مثل الدواوين الشعرية القديمة ، وكتب الأدب واللغـة ، وكتـب التاريخ والتراث الأخـرى . ومن يفعل ذلك فإنه سوف يسـدي لنا معروفاً كبيراً ، وسوف يطلعنا على مادة علمية غزيرة وقيمة.

الأخطـاء غير المقصودة ، ومازال كتابه مـن المصادر الرئيسية عن بلاد تهامة والسراة خـلال القـرون الأولى من عصر الإسلام [١] . ومصادر أخـرى مثل: المسالك والممالك، ومعجـم ما استعجـم للبكري، ومعجم البلـدان لياقوت الحموي ، وهـذه الكتب تأتي في المرتبـة الثانية بعد كتب الهمداني[٢] ، وفيها معلومات كثيرة عن تهامة ، والبلاد الممتدة مـن بارق إلى قلوة ورد لها ذكر لا بأس به ، فهناك مواضع عديدة تم الإشارة إلى شيء من جغرافيتها وتاريخها . ومصادر أخرى لا تخلو من اشارات طفيفة وأحياناً مبهمة عن بعض الأوطـان التهامية الممتدة من مكة المكرمة إلى جـازان ، ومن تلك الكتب : أحسن التقاسيـم في معرفة الأقاليم للمقدسي ، وسفرنامـه لناصر خسرو ، ورحلة ابن جبير ، وتاريـخ المستبصر لابن المجـاور ، ونزهة المشتاق في اختراق الآفـاق للإدريسي ، ورحلة السلطان المجاهد الرسولي من تعز إلى مكة المكرمة ، ورحلة ابن بطوطة وغيرها [٣] .

وكتـب الأنساب والموسوعات من المصادر الأولية التـي فيها لمحات تاريخية عن تهامة . فابن الكلبي في كتابه: النسب الكبير، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ، وفي كتب الأنسـاب للسمعاني والقلقشندي تفصيلات عن أصول القبائـل الأزدية التي استوطنت السـراة وتهامة ، ومعظـم العشائر القاطنة في تهامة من بارق إلى قلوة تنتسب في قبائل اليمـن وبخاصة قبيلـة الأزد ، ومازالت هذه العشائر تعيش في هـذه الأوطان حتى وقتنا

---

(١) الهمـداني : هـو الحسن بن أحمد بـن يعقوب ، يكنى بأبي يعقوب ، ويعـرف بالنسابة ، أو ابن الحائك ، ويسمـي نفسـه بـ (لسان اليمن) ، ويكني نفسه أيضاً بأبي محمد ، وهو من بلاد همدان في اليمن ، ومن علماء المسلمين الكبار ، وله كتب عديدة في الأنساب ، واللغة ، والجغرافيا ، والمعادن وغيرها . وكتبه من أفضـل المصـادر التي وصلتنا عن الجزيرة العربيـة خلال عصور الإسـلام الأولى ، وتستحق أن يصدر عنهـا عشرات الكتب والبحوث والرسائل العلميـة . للمزيد انظر: ، غيثان بن جريس "بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني" . بحث منشور في مجلة الدارة ، عدد (٣) النسة (١٩) (ربيع الآخر، والجماديان /١٤١٤هـ/١٩٩٤م) ، ص ٧٦- ١١١. والبحث نفسه أعيد نشره في كتابنا: دراسات في تاريـخ تهامة والسراة (ق ١-ق١٠هـ/ق٧-ق١٦م) ، ج١ (الرياض: مكتبة العبيكان ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ص ١٢٧- ١٦٤.

(٢) تستحـق كتـب البكري وياقوت الحموي دراسة وتحليلاً ، وبخاصة ما جاء فيها عن بلاد تهامة والسراة، ونأمـل أن نـرى أحدٍ طلابنا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالـد ، برنامج الدراسات العليا ، فيتخذ من هذا الموضوع عنواناً لرسالته في درجة الماجستير أو الدكتوراه.

(٣) كتـب الجغرافيـا والرحلات المبكرة والمتأخرة تشتمل على تفصيـلات كثيرة وجيدة عن بلدان تهامة والسراة ، ونأمـل أن تدرس في موضوعات علمية موثقة . للمزيد انظر ، غيثان بـن علي بن جريس "بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة الجغرافيون المسلمون الأوائل (ق٣-ق٨هـ)" مجلة المؤرخ العربي ، عدد (٢) ، المجلد الأول (مارس/ ١٩٩٤م) ، ص٧٣-١٠٠. وأعيد نشر هـذه الدراسة في كتاب : دراسات في تاريخ تهامة والسراة (ق١-ق١٠هـ/ق٧-ق١٦م) ، ج١، ص ١٦٥-١٩٦. انظر مجلدات عديدة من موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ج٣، ص ٣٢١- ٣٩٤. ج٤، ص ٢١-٨٦. ج٥،ص٢١-٩١. ج٩، ص١٣١- ١٩٤. للمؤلف نفسه ، بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠ق١٥م) ، ص١٥٩-٢٣٠ .

الحاضر[١] ، والمصادر الموسوعية مثل: نهاية الأرب للنويري ، ومسالك الأبصار لابن فضل الله العُمري، وصبح الأعشى للقلقشندي ، والمقصد الرفيع المنشأ للخالدي ، هذه الكتب موسوعية في معلوماتها، وتحتوي على تفصيلات تاريخية وحضارية (اجتماعية، واقتصادية، وجغرافية، وسكانية) عن بلاد تهامة والسراة ، ولا تخلو من إشارات عن البلدان المعنية في مبحثنا [٢] .

ومصادر أخرى متنوعة في أطروحاتها ، وتحتوي على فقرات من تاريخ تهامة الممتدة من قلوة والمخواة إلى بارق والمجاردة وما جاورها . ومن أهمها : كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري من أهل القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ، ويقع في عشرة مجلدات ، لكن لم يصلنا منها إلا ثلاثة فقط . وهذا المصدر يشتمل على معلومات كثيرة عن نباتات تهامة والسراة وكثير من الأشجار والنباتات التي درسها تتواجد في منطقتنا المدروسة في هذا القسم ، وفي أنحاء تهامة والسراة الممتدة من مكة والطائف إلى نجران وجازان[٣] . وهذا كتاب الأنواء لابن قتيبة من أهل القرن الثالث الهجري أيضاً ، وهذا المصدر فصّل الحديث عن مواسم العرب ، ومعرفتهم الكبيرة بفصول السنة ، وما يتخللها من تغيرات ، ومواسم الزراعة والحصاد، وكل ما يتعلق بالجو وتأثيراته على حياة الناس في جميع مهنهم الاقتصادية والاجتماعية [٤] .

ونقول إن المادة المتوفرة عن تهامة في العصر الجاهلي والقرون الإسلامية المبكرة والوسيطة قليلة جداً، وإن أشرنا إلى بعض المصادر الأولية التي ذكرت شذرات من تاريخها ، لكنها لا تعطينا صورة واضحة عن حياة الناس في هذه البلاد . وأكثر القرون غموضاً الفترة الممتدة من القرن الثاني إلى الثاني عشر الهجريين (الثامن إلى الثامن عشر الميلاديين) ، فهذه الحقب لا نجد عنها الشيء الكثير ، وإن ذكرت مواضيع محدودة، أو

---

(١) تاريخ أنساب بلاد تهامة من بارق إلى قلوة جديرة بالدراسة ، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرسها في هيئة كتاب أو رسالة علمية .

(٢) هذه الموسوعات تجمع لفيفاً من المعارف المتنوعة في أبوابها ، والسروات وتهامة ورد لها ذكر في صفحات وفصول عديدة من هذه المصادر .

(٣) السائر في بلاد تهامة وبخاصة المناطق الواقعة عند سفوح السروات الغربية من جازان إلى مكة المكرمة سوف يشاهد آلاف الأنواع من النباتات والأشجار التي ذكرها الدينوري في كتابه، ومن يسأل أهل الخبرة بهذه النباتات ثم يقرأ ما كتبه هذا العالم المسلم فإنه يجد معظم مادته العلمية صحيحة متطابقة مع أقوال أهل الدراية والخبرة من أهل البلاد .

(٤) إن القارئ لكتاب الأنواء، ثم السير في بلاد تهامة والسراة ويسمع لأقوال وروايات الأوائل عن الأنواء ، وكيف كانوا يراقبونها ويتعاملون مع تغيراتها في زراعاتهم ورعيهم وحصادهم وتجارتهم ، فإنه فعلاً سيجد هذا العالم قد أبدع في تدوينه لكثير من الصور التاريخية

أحداث ، أو أعلام ، فمازال النقص الكبير واضحاً (١) . وفي المصادر المكية الوسيطة وأوائل العصر الحديث إشارات تستحق الجمع والدراسة عن البلدان الواقعة إلى جنوب مكة المكرمة والممتدة إلى الليث والقنفذة والمخواة وبارق والبرك ودرب بني شعبة وصبيا وجازان(٢) . وهناك مصادر ومراجع حديثة تصب في خدمة هذه البلاد ، ومنها: كتاب : **منائح الكرام في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم** . لتاج الدين بن تقي الدين السنجاري المكي من أهل القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين (السابع عشر والثامن عشر الميلاديين) ، فقد ذكر معلوماتٍ قيمة عن أجزاء من تهامة وخص بلدة المخواة ببعض التفصيلات(٣) ، وسوف نذكر شيئاً من هذه المعلومات في نهاية هذا القسم (٤) .

وأصبحت القنفذة منذ القرن (١٢هـ/١٨م) ، من المدن والموانئ الرئيسية التي تؤثر وتتأثر بما يحدث في عموم بلاد تهامة والسراة ، وصارت بوابة البحر الأحمر الرئيسية على البلاد الممتدة من الطائف والليث إلى أبها ورجال ألمع ودرب بني شعبة (٥) ، كما أن وصول القوات العثمانية في العصر الحديث إلى مكة المكرمة والطائف والباحة

---

(١) هذا ما اتضح لي من خلال الاطلاع على مصادر حجازية ويمنية عديدة ، وأحياناً مصادر عامة . والبلاد التهامية والسروية الواقعة بين اليمن والحجاز مأهولة بالسكان ، وغنية بمواردها الاقتصادية ، ولأهلها صلات حضارية مع حواضر اليمن والحجاز، لكن للأسف لا نجد تاريخاً واضحاً أو حتى صوراً تاريخية محدودة لبعض هذه البلدان وسكانها، ما عدا المخلاف السليماني (منطقة جازان) ، ونجران ، والطائف فهناك بعض الكتابات والروايات عنها وهي متناثرة في مصادر ومؤلفات يمنية وحجازية .

(٢) أسير في أرجاء هذا الأوطان منذ أربعين عاماً ، والتقى ببعض أعيانها ووجهائها ، وجمعت شيئاً من وثائق وتراث أهلها. وهي بلدان ذات تاريخ وحضارة ، والواجب على الجامعات الموجودة في هذه الأجزاء أن تضاعف الجهود ، وتفتح مراكز علمية بحثية متخصصة ، وتجلب لها أساتذة مميزين حتى يدرسوا تاريخ وموروث وآثار وحضارة هذه الديار ، وهي فعلاً تستحق الرعاية والدعم . ومنذ ثلاث عقود وأنا أنادي أصحاب القرار ، والباحثين الغيورين ، والمؤسسات العلمية والثقافية في هذه البلاد ليعملوا ويجتهدوا في جمع تاريخ وموروث هذه الأوطان العريقة ، لكن حتى الآن لا نرى أي حراك أو اهتمام يصب في خدمة البلاد .

(٣) هذا الكتاب يقع في عدة مجلدات ، وفيه معلومات جيدة عن أهل تهامة والسراة ، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يجمع ما دون وغيره من معاصريه عن هذه الأوطان التهامية والسروية ، ومن يفعل ذلك فإنه سيطلعنا على تفصيلات قيمة وجديدة في بابها .

(٤) الأستاذ عبد الرحمن حمياني العُمري من أهل المخواة أصدر مقالة عن المخواة القديمة ، وأشار إلى أهمية هذا المصدر ، للمزيد انظر: هذه المقالة منشورة في نهاية هذا المحور .

(٥) إن الصلات التاريخية خلال العصر الحديث والمعاصر بين القنفذة والأجزاء التهامية الداخلية ، وأيضاً السروات من الموضوعات المهمة للبحث والدراسة . وهناك مئات الوثائق غير المنشورة وعشرات الكتب والبحوث والرسائل التي تشتمل على تفصيلات عن هذه الفترة ، ونأمل أن نرى باحثين جادين ، من طلاب درجات الماجستير والدكتوراه ، يدرسونها في عدد من البحوث العلمية ، وهي تستحق أن تدرس في بحوث وكتب عديدة .

وعسـير وجازان جعل المؤرخـين ورجال الحرب والسياسة يذكرون بـلاد السراة وتهامة في مراسلاتهـم ووثائقهـم وتقاريرهم ، ومن ثم صار هناك من يـدون ويكتب شيئاً من تاريـخ البلاد الممتدة من محايل وبـارق إلى المخواة وقلوة وما جاورها. وظهر في القرون (١٢-١٤هـ/١٨-٢٠م) دراسـات فصلـت الحديث عن بعضـ الصـور التاريخية التي عاصرهـا وشارك فيها السرويون والتهاميون . ومن تلك البحوث رحلات بعض الرحالة المسلمـين وغير المسلمين ، مثـل: نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيسـ ، للعباس بن علي الموسـوي ، الـذي زار أجزاء من تهامـة زهران والقنفذة في عـام (١١٤١هـ/١٧٢٨م) ، وكتاب: بلغة المرام في الرحلة إلى بيت الله الحرام ، ليحيى بن المطهر . ورحلة محسن بن عبد الكريم بن إسحاق. وكتاب: نيل الوطر في ذكر أحوال السفر إلى الحرم الأزهر والنبي الأنـور (ﷺ) ، لإسماعيل جغمان. وهؤلاء الرحالة الثلاثـة الآخرين يمنيون ، ومن أهل القرنين (١٢-١٣هـ/١٨-١٩م) ، اجتازوا تهامة عند ذهابهم إلى أرض الحرمين، وذكروا شيئاً من تاريخها[١]. والرحالة السويسري جون لويس بركهارت (ت١٢٣٣هـ/١٨١٧م) في كتابه: **رحلات إلى شبه الجزيرة العربية** ، دون بعض التفصيلات عن البلاد الممتدة من الطائف ومكة إلى سروات وتهامة غامد وزهران ، وهنـاك رحالة أجانب زاروا تهامة وكتبـوا عنها في القرن (١٤هـ/٢٠م) مثـل: السير كيناهات كورنواليسـ ، وسانت جون فلبـي ، وتوتيشل ، وولفرد شيجر ، وجميعهم ذكروا حاضرة القنفذة وأجزاء من تهامة الباحـة وعسير ، وفصـل بعضهم الحديث عن الحياة السياسيـة والحضارية في بارق ، والعرضيـات ، وقلوة والمخـواة[٢] . ومن الرحالة العرب الذين أشاروا إلى هذه البلاد في القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وبعضهـم في القرن(١٥هـ/٢٠م) الشريف البركاتي ، والشريف عبـد الله بـن الحسين ، وعاتق بن غيـث البلادي [٣] . وهنـاك عشـرات الكتب والبحوث والرسائـل العلميـة التي فصلت الحديث عن تاريخ مناطق جـازان ، وعسير، والحجاز، وموانـئ البحر الأحمر، وبعضها باللغـة العربية، وأخرى بلغـات أجنبية وبخاصة اللغة الإنجليزية أو الإيطالية، أو العثمانية، أو التركية الحديثة [٤]. ومعظمها تعرضت لتاريخ أرض وسكان تهامة الممتدة من درب بني شعبة ورجال المع إلى المخواة وقلوة.

---

(١) للمزيد عن هؤلاء الرحالة ، انظر: غيثان بن جريس . بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠-ق١٥هـ) ، ص ١٦٩-١٨٠.

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٨١-١٩٢-٢١٢ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٨٦-١٩١، ٢١٤ .

(٤) هذا ما عرفه الباحث خلال العشرين سنة الماضية أثناء زيارته بعض المكتبات المركزية في المملكة العربية السعوديـة ، ومصـر، وتركيا، وبريطانيا، وهولندا، وفرنسا، وإيطاليـا . وكذلك حضوره بعض المؤتمرات والنـدوات أو مناقشة بعض الرسائل العلمية في جامعات عربية وغير عربية، وأيضاً اطلاعه على بحوث علمية محكمة ومنشورة عربية وغير عربية .

٢. من تاريخها في بعض الوثائق بمكتبة د. غيثان بن جريس العلمية :

من بارق إلى قلوة جزء من تهامة الممتدة من الحجاز إلى اليمن ، وأثناء دراستي في الولايات المتحدة الأمريكية ، ثم بريطانيا ، ثم زياراتي إلى مصر ، وتركيا ، وسياحتي في مناكب السراة وتهامة ، ومقابلة الكثير من أعيانها وشيوخها ورموزها ، وتدريسي آلاف الطالبات والطلاب خلال الأربعين عاماً الماضية ، وإشرافي على بحوثهم ورسائلهم العلمية ، تكون عندي خلفية لا بأس بها عن أوطان تهامة والسراة ، ووجدت مصادرها التاريخية متنوعة مثل: المخطوطات ، والمصادر المبكرة أو النادرة ، والآثار والنقوش والرسومات الصخرية ، والمقابلات ، والروايات الشفهية ، والمتاحف ، والصور الفوتوغرافية ، والوثائق المحلية والإقليمية والعالمية ، وقد توقفت مع هذا المصدر الأخير (الوثائق) فوجدت أماكنها متعددة ، ومعلوماتها متنوعة ، وخرجت ببعض الرؤى عن هذا المصدر المهم ، وأذكرها في النقاط الآتية :

أ- أهل هذه البلاد لهم عادات وأعراف وتقاليد ، وعندهم أملاك عقارية، ولهم أحداث وصراعات حربية وسياسية داخلية وخارجية ، وهذه الأنشطة تُروى وبعضها تدون في أوراق ووثائق محلية ، وفي المنطقة أيضاً إدارات ومؤسسات إدارية تشرف وتضبط سير الحياة العامة والخاصة . كل هذا وجدته في كثير من الوثائق التي استطعت جمعها خلال العقود الأربعة الماضية ، ومعظم هذه المصادر حصلت عليها من الأفراد والجماعات وأحياناً من بعض البيوتات العلمية في الأوطان التهامية والسروية ، أو من بعض الإدارات الحكومية في القنفذة أو جازان أو أبها أو غيرها من البلدان الجنوبية السعودية[١] . وهذه الوثائق توجد في ملكيتنا ، وقد نشرت العشرات منها في كتب وبحوث مختلفة[٢] ، ومادتها متنوعة مثل: الوثائق الاقتصادية كالبيع والشراء ، أو أسعار السلع ، أو حركة الأسواق الأسبوعية ، أو امتلاك بعض العقارات كالمنازل والمزارع ، أو التبادلات التجارية ، أو أسماء بعض التجارات أو التجار في القرى أو الأسواق ، أو المدن ، أو الموانئ، أو ذكر بعض الصناعات والحرف التقليدية ، وممارسة شراء موادها الأولية،

---

(١) كثير من الوثائق التي استطعت جمعها من الأوطان المحلية مثل: محائل ، وبارق ، والعرضيات ، وقلوة ، والمخواة ، وباقي بلدان تهامة والسراة ، ومعظمها في التاريخ الحديث من القرن العاشر إلى الخامس عشر الهجريين ، وهناك وثائق قليلة قبل هذا التاريخ ، ومازالت في حوزتنا ، وهي غير منشورة وتقدر بعشرات الآلاف ، وتستحق أن تدرس في عدد من المجلدات.

(٢) انظر بعض كتبنا المطبوعة والمنشورة وهي تحتوي على عشرات الوثائق الجديدة والمتنوعة في مادتها العلمية ، وجميعها مازالت وثائق خام تحتاج إلى دراسة وتحليل ونأمل أن يأتي من طلابنا في الدراسات العليا ، أو من باحثين مجتهدين يصنفونها ويدرسونها .

وبيــع مصنوعاتهــا الجلديــة ، أو الخشبيــة ، أو المعدنية ، أو الحديديــة ، أو النباتية ، أو الحجريــة والفخارية . أو وسائل التعاملات مثل: البيــع بالمقايضة ، أو النقود ، أو الدفع بالأجــل ، ومــا يقابل هذه المعاملات من صعوبات[١] . وهنــاك وثائق أخرى اجتماعية أو تعليمية وثقافية ، أو سياسية أو عسكرية ، أو صلات إخوانية ، أو علاقات دبلوماسية[٢] .

ب ــ مــن الوثائــق الموجــودة في مكتبتنا مــا تم الحصول عليــه مــن دور الأراشيف الوثائقيــة في مصر ، وتركيا ، وبريطانيا وبعض الــدول الغربية الأخرى . ومنها أيضاً ما وجدنــاه في دارة الملــك عبد العزيز العامة ، او مكتبة الملك فهد الوطنية ، أو مكتبة الملك عبــد العزيــز العامة [٣] . وعدد هذا الصنــف من الوثائق عندنا محــدوداً ، فلا تتجاوز الآلاف ، وقــد رأيت أعداداً كثــيرة من هذه الوثائق في الأرشيــف العثماني في اسطنبول وتاريخها من القرن (١٢- ١٤هـ/ق١٨- ٢٠م) ، وبعضها يناقش تواريخ عديدة في تهامة عســير والباحــة، ومن المواضع المذكورة: بارق ، والمجــاردة ، والمخواة ، وقلوة ، والأجزاء الشرقية من منطقة القنفذة مثل: القوز ، وسبت الجارة ، وثريبان ، ونمرة[٤] .

ج ـ صدر عدد من الكتب العربية والأجنبية ، وبحوث محكمة ورسائل علمية في بعض المجــلات والجامعات السعودية والعربية والغربيــة . وكثير من هذه الأعمال تحتوي على وثائــق تاريخيــة تخص الديار التهاميــة الممتدة من مكة المكرمــة إلى صبيا وجازان[٥] . ويغلب على أكثرها أنها مصادر جديدة ، ومدروسة بطرق علمية[٦] .

---

(١) عثرنــا علــى آلاف الوثائق الاقتصادية المحلية ، وهي جديدة وغير منشــورة ، وتوضح كثير من الجوانب التاريخية الحديثة في مدن وموانئ وقرى وأسواق الأراضي التهامية الممتدة من مكة المكرمة إلى جازان. ومــا في حوزتنا من هذا النــوع من الوثائق كاف لخروج عشرات المجلــدات . ونأمل أن نرى من الباحثين الجادين من يتعاون معنا حتى نصدرها في بحوث علمية سهلة التداول .

(٢) يوجد في مكتبة د غيثان بن جريس العلمية أكثر من (١٥٠) مجلداً من الوثائق العامة ، وكثير منها جمعت مــن أهل تهامة والسراة ، ومعظمها تعكس تاريخ المناطق الجنوبية السعودية خلال الثلاثة قرون الماضية ، وهي متنوعة وتشمل معظم جوانب التاريخ السياسي والحضاري في الجزيرة العربية وبخاصة جنوبها .

(٣) مازال في هذه المكتبات وثائق كثيرة تتعلق بتاريخ بلدان السراة وتهامة ، ونأمل من طالبات وطلاب درجات الماجستير والدكتوراه في التاريخ الحديث بجامعاتنا السعو دية أن يطلعوا عليها ويستفيدوا منها في أطروحاتهم العلمية.

(٤) جميــع هذه المواضع تستحق أن يصدر عنها بحوث ودراسات علمية خلال القرنين (١٣ـ١٤هـ/١٩ـ٢٠م) ، والحصول على مواد علمية تؤرخ لهذه الفترة توجد في الأراشيف والمكتبات السابق ذكرها أعلاه .

(٥) لم نفصــل الحديث عن الوثائق وموضوعاتها وما تحتوي عليه من مواد علمية، فهذا ميدان واسع يحتاج إلى آلاف الصفحــات ، وإنمــا اقتصرنا على الحديــث على الأوعية والأماكن الرئيسيــة التي يوجد فيها وثائــق علميــة تخدم تاريخ تهامــة وبخاصة البلاد الممتدة مــن الحجاز إلى جــازان ، وتقع مناطق بارق والمجــاردة والعرضيــات والمخــواة . والشدوان ضمنها. وهــذا العرض المختصر قد يفتــح الباب لطلاب الدراسات العليا، والمؤرخين ، والباحثين الذين يجمعون ويدرسون تاريخ هذه البلدان العربية السعودية .

(٦) رأيــت خلال الأربعين عاماً الماضية كثيراً من هذه الدراســات المنشورة وغير المنشورة وفيها وثائق قيمة

٣. من تاريخها في بعض البحوث والمقالات المنشورة، وغير المنشورة :

البلاد الممتدة من شمال محائل إلى المخواة وقلوة فقيرة في ميدان الدراسات العلمية، وغير متساوية فيما صدر عنها من بحوث ومقالات علمية منشورة وغير منشورة، وفي الصفحات التالية نذكر بعض أسماء هذه البحوث الحديثة والموجودة في مكتبتنا ، وهي على النحو التالي :

أ ـ صدر عن بارق عدداً من الدراسات المطبوعة والمنشورة ، مثل :

بلاد بارق ، لعمر بن غرامة العمروي، والشارق في تاريخ وجغرافية .بلاد بارق ، لمحمود بن محمد البارقي. وبعض الكتب الأخرى لأحمد بن مريف ، ومحافظة بارق، الجزء الثامن (١٤٣٦هـ) ، بالاشتراك مع محمد بن علي آل عبد المتعالي ، والآثار والتراث في محافظة بارق(١).

ومن البحوث التي صدرت عن محافظة المجاردة ، المعالم التاريخية والسياحية في محافظة المجاردة ، لبلقاسم بن محمد الربيع ، وهو في اعتقادي أفضل الموجود من حيث التنوع في المادة العلمية ، وهو كتاب ثقافي إعلامي ، ودراسات أخرى محدودة للأستاذ محمد بن علي آل الجحيني الشهري ، ومفرح بن علي العمري ، وعلي بن سرده الشهري، وحسن فيصل الشهري وهي منشورة في بعض مؤلفاتنا التي صدرت خلال السنوات الماضية المتأخرة(٢).

وهناك عدد من البحوث غير المنشورة التي أنجزها بعض طلابنا في المرحلة الجامعية خلال الأربعة عقود الماضية ، وقد أوردها الأستاذ محمد بن أحمد معبِّر القحطاني في كتابه الموسوم: بـ : **دليل البحوث الجامعية في مكتبة الدكتور غيثان بن جريس العلمية (ببليوجرافيا مشروحة) (١٤٠١-١٤٣٥هـ / ١٩٨١-٢٠١٤م)**(٣).

عن بلدان القنفذة، والبرك ، وبارق، والمخواة، ومحايل عسير، ورجال ألمع، والقحمة، ودرب بني شعبة ، والشقيق، وجازان وغيرها. وأرجو من أبنائنا الطلاب في أقسام التاريخ في برامج الدراسات العليا وكذلك الباحثين والمؤرخين من أهل تهامة أن يلتفتوا إلى هذه النواحي ، فيجمعوا وثائقها ومصادرها الأولية ويعكفوا على دراستها وتحليها .

(١) هناك صفحات متفرقة في بعض الكتب عن بارق ، مثل رحلة البلادي ، وعسير لمحمود شاكر، وتاريخ عسير لهاشم النعمي ، وعسير لفؤاد حمزة . وتأتي بحوث أحمد بن مريف في المقدمة من حيث التنوع والشمولية، ومازالت محافظة بارق بحاجة إلى دراسات علمية موثقة ، ونأمل من أساتذة جامعة الملك خالد، فرع تهامة أن يضاعفوا الجهود ويدرسوا هذه البلاد في شتى الميادين .

(٢) ذكرنا هذه الدراسات في صفحات سابقة ، وهي منشورة في كتابي: بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) ، ص ٣١٩-٣٩٤ ، والقول المكتوب في تاريخ الجنوب ، (الجزء الحادي عشر)، ص ٧٨-١١٣ .

(٣) هذا الكتاب يقع في (٥٥٠) صفحة ، صدر من مطابع الحميضي بالرياض (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م) .

وهــي تشتمل علــى تفصيلات تاريخية وحضارية متنوعــة ، وجميعها لا يخلو من الصور الفوتوغرافية والوثائق التاريخية التي لم يسبق نشرها [(١)]. ومن هذه الدراسات عن بارق والمجــاردة مايلي: (١) بــارق دراسة تاريخية مختصرة للبنــاء واللباس والطعام خلال القــرن (١٤هــ/٢٠م) ، للباحثــين محمد بن علي بــن عبد الرحمن الشهــري ، ومريف بــن محمــد بن زاهــر البارقي ، ومحمد بــن يعن الله بــن عويضه القــرني ، في (١٨١) صفحــة[(٢)]. (٢) بارق من ظهور الإسلام إلى أواخر العصر الأموي (دراسة تاريخية) ، للباحــث محمــود بن محمد عسـيري ، (٢٨١) صفحــة[(٣)]. (٣) بلاد بــارق والمجاردة : دراســة تاريخيــة حضارية مختصرة خــلال القرن (١٤هــ/٢٠م) ، للباحثين أحمد بن موسى بن علي البارقي ، وعامر بن إبراهيم بن علي الشهري ، (١٦٤) صفحة [(٤)]. (٤) تهامة بللسمــر في القرن (١٤هـ/٢٠م) (الحياة الاجتماعيــة والاقتصادية واللهجات) ، للباحــث يحيى بــن حسن بن محمد المعربي الشهــري ، (١٣٢) صفحة[(٥)]. (٥) تهامة عســير: دراســة تاريخية مختصــرة للحياة الاجتماعيــة خلال القــرن (١٤هـ/٢٠م) ، للباحثين حسن بن محمد بن حسن أسلمي ، وحسن بن ناصر بن محمد القرني ، وحسن بــن محمد بن عبــد الهادي الشهري ، ومحمــد بن علي بن محمــد آل عايضة ، (١٨١) صفحــة [(٦)]. (٦) بلاد المجــاردة : دراسة تاريخية مختصرة للحيــاة الاقتصادية خلال القــرن (١٤هـ/٢٠م) ، للباحثين محمد بن علي بــن محمد آل يحيى الشهري، ومشعمل بــن سحــاب بن أحمــد آل مجامد الشهــري ، وعامر بــن حسن بن عبــد الله الشهري ، وسعيــد بن حسن بــن حسين المالكي(١٠٨) صفحــة [(٧)]. (٧) دراســة جغرافية مقارنة للأسواق الريفية الأسبوعية الدورية في منطقتي سراة وتهامة بني شهر ، للباحث صالح

---

(١) أورد بــن معــبِّر في هــذا الكتــاب عدد (٤٠٥) بحثــاً غير منشــور ، وتوجد في مكتبة غيثــان بن جريس ، وجميعهــا تــدور حول موروث وتاريخ بلدان تهامة والسراة الواقعــة بين حواضر اليمن والحجاز الكبرى ، وهذه الدراسات في بحوث علمية موثقة.

(٢) انظر ابن معبِّر ، دليل البحوث الجامعية ، ص٩٣ .

(٣) المرجــع نفســه ، ص٩٤. من خلال تجوالي في محافظة بارق ، وجدت البعض من أهلها يكتبون في آخر أسمائهــم (العسيري) ، وآخرون (الشهــري) ، وفريق ثالث (البارقي) . ومنهم صاحب هذه الدراسة (محمــود) فهــو من طلابي في برنامج الدراسات العليا ، واعلم أنــه بارقي، لكنه وغيره كثيرون من أهل بارق يكتبون (عسيري) أو (العسيري) ، وهذا التباين يحتاج إلى دراسة وتحليل.

(٤) المرجع نفسه ، ص ٩٨ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ٢٠٠ .

(٦) المرجع نفسه ، ص ٢٠٣.

(٧) المرجع نفسه ، ص ١٣٢ .

بن علي بن محمد الشهري [١] . (٨) مخططات التنمية وتطور المدن الصغرى في المنطقة الجنوبيــة الغربية (مثال : مدينة المجاردة في تهامة بني شهر) ، للباحث مفرح بن سعد بــن عبدالله الشهري، (١٢٠) صفحــة [٢] .(٩) معجم جغرافي تاريخي لبلاد بني عمرو (بادية ، وسراة، وتهامة)، للباحث سعيد بن عبد الرحمن جاري العمري ، وعبد العزيز بن سعيد آل حبيب العمري، وعبدالرحمن بن علي بن ديدح العمري، (١٦٧) صفحة [٣] .

ب - تعاني العرضيات من نقص كبير في مجال البحوث العلمية[٤] :

مع أن هناك بعض الصفحات المحدودة التي أنجزها عبدالله الرزقي القرني، وقد نشرناها في الجزء الثاني من سلسلة (**القول المكتوب في تاريخ الجنوب**) [٥]، وكتيب أيضاً للرزقي نفسه عن سوق حباشة، وجزئيات محدودة في كتاب: **بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠ـ ق١٥هـ)**[٦] . وأثنـاء رحلتي الأخـيرة في العرضيات اطلعت على دراسـات محـدودة ، وغير منشورة، من إعداد بعض أبناء هــذه البلاد ، مثل: إبدال لام (أل) ميماً في لهجة أهل تهامة ، للباحث مكين بن حوفان بن مكين القرني[٧] ، وقد اتصلت بــه هاتفياً وهو أستاذ مساعد في كلية قلــوة بجامعة الباحة ، وحرصت على مقابلته لكن لم يتم ذلك ، وذكر لي أن رسالته للدكتوراه عن لهجات العرضيات وما حولها، ولم أطلع على هذه الرسالة حتى الآن[٨] .ودراسة أخرى بعنوان : (الحركة العلمية في العرضيات) للباحــث محسن بن علي السهيمــي[٩] . ومن البحوث غير المنشــورة، والمذكورة في كتاب محمــد بن معــبِّر **(دليل البحــوث الجامعيــة)** ، والمحفوظة في مكتبتنا مــا يأتي: (١)

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٢٨١ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٩٧.

(٣) المرجع نفسه ، ص ٤٢٨ .

(٤) مازالــت العرضيات تعاني مــن نقص كبير في جوانب اجتماعية، واقتصادية ، وثقافية وتعليمية عديدة. ونأمل أن نراها في وضع تنموي أفضل في قادم الأيام .

(٥) انظر الكتاب ، ص ٢٨٣ـ ٤٣٤ .

(٦) انظر صفحات متفرقة من الكتاب .

(٧) صورة من هذه الدراسة توجد ضمن مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٥هـ/ ٢٠ـ٢١م) ، الجزء السابع ، ص٢٢ـ ٣٥ .

(٨) موضوع اللهجات من العناوين العلمية الجيدة ، وهناك لهجات عديدة في بلدان تهامة والسراة ، ويجب على أقسام اللغة والأدب العربي في جامعات الجنوب السعودية أن تدرس هذا الميدان ، وتشجع أعضاءها وطلابها على دراسته فهو جدير بالبحث والتوثيق .

(٩) صــورة مــن هذا البحث في مكتبة د. غيثان بن جريــس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٥هـ/ ٢٠ـ٢١م) ، ج٧، ص ٦١ـ ٦٧.

تراجـم لبعض شخصيات بلاد بلقرن التهامية التابعة لمنطقة مكة المكرمة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، للباحث عبد الله بن أحمد بن محزي القرني ، (١٣٩) صفحة[١]. (٢) تهامة بلقرن وشمران ، للباحث عبد المجيد بن حسن بن أحمد بن وهاس ، (٥٣) صفحة [٢]. (٣) دراسـة تاريخيـة حضاريـة بلاد عمـارة بمنطقة بلقـرن (١٣٠٠-١٤٠٠هـ)، للباحث فائز بن محمد بن هاشل العماري ، (١٤٨) صفحة[٣]. (٤) الطعام واللباس في تهامة بلقرن (دراسة تاريخية مختصرة خلال القرن ١٤هـ/٢٠م). للباحثين محسن بن سالم بن عبد الله الأحادبة القرني، ومرشد بن علي بن أحمد القرني ، وعبد العزيز بن عوض بـن أحمد الثابتي الشهري، وعلي بن عزيز بن فاضل العمري (١٤٢)صفحة. [٤] (٥) اللهجـات المحلية في تهامة بلقرن ، للباحـث مضحي بن محمد بن هشلول القرني، (١٠٦) صفحة [٥] .

ج ـ المخواة ، وقلوة ، والشدوان :

تعيشـ هـذه النواحـي نفس مشكلـة أهـل العرضيات من حيـث قلة وأحيانـاً ندرة الدراسـات والبحوث العلمية ، مع أن محافظة المخواة وما حولها أكثر تطوراً وتنمية من العرضيـات [٦] ، ويوجد فيها بعض الكليات وأقساماً للتعليم الجامعي[٧] . ومما اطلعت عليـه بحثان منشوران محـدودان سطحيان . **الأول: مذكرات معلـم في السعودية** ، في قريـة حدب بني عاصـم في المخواة ، لأستاذ فلسطيني ، عمل في التعليم في تلك الناحية في عـام (١٣٨٥هـ) ، ودون شيئـاً من مشاهداته وانطباعاتـه ، ونشرت هذه المذكرة في مجلـة المعرفة التـي تصدرها وزارة التعليـم ، بتاريخ (٦/٢/١٤٣٢هـ) [٨]. **والدارسة**

---

(١) انظر محمد بن معبِّر ، دليل البحوث الجامعية ، ص ١٥٧ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ١٩٩ .
(٣) المرجع نفسه ، ص ٢٦٠ .
(٤) المرجع نفسه ، ص ٣٣٤ .
(٥) المرجع نفسه ، ص ٣٧٥ .
(٦) هذا ما شاهدناه أثناء سيرنا وتجوالنا في هذه البلدان ، خلال رحلتنا المدونة في هذا القسم.
(٧) زرت بعض هذه الأقسام والكليات في المخواة وقلوة فوجدتها متواضعة في إمكاناتها ، ولا أحد من أعضاء هيئة تدريسهـا عنده الهمة أو الرغبة في بحـث أو دراسة أي مجال من مجالات الحياة في هذه الأوطان ، وربما تكون المشكلة نفسها في الجامعة الأم في الباحة ، التي يجب أن تدعم وتشجع إنشاء مراكز للبحوث العلمية التي تخدم البلاد وأهلها .
(٨) صورة من هذه الدراسة في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠م) ، ج٧، ص ١٢-١٧.

الثانية بعنوان : (شدا الأعلى هل هو جبل (ق) ، وهي منشورة في مجلة العرب ، الجزء (١١، ١٢) سنة (٤٩) ، الجماديان (١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م) [(١)] ، للأستاذ ناصر الشدوي[(٢)] . كما اطلعت على كتيب بعنوان : **هذه سيرتي** ، للأستاذ علي بن أحمد الهيمطي ، أحد رواد التعليم في محافظة قلوة ، وإن كانت معظم مادة الكتاب عن سيرته الذاتية ، فإنه لا يخلو من معلومات حضارية تصب في خدمة تاريخ وتراث قلوة الحديث . ومن أفضل ما وصلني مذكر ة بعنوان : **المخواة القديمة ، التاريخ يطل من قمة جبل الجرف**[(٣)] ، للأستاذ عبد الرحمن بن علي حمياني العُمري [(٤)] . ولجودة هذه المذكرة العلمية فضلت نشرها كما وصلتني ، فيقول: (على قمة جبل "الجرف" تقع قرية المخواة القديمة غربي المخواة الحاضرة الآن [(٥)] ، مشرفة على واديين عظيمين من الناحية الشرقية والشمالية الشرقية ، وهما: وادي ضيان ، ووادي راش ، في القطاع التهامي لمنطقة الباحة ، بعيدة عن مساقط السيل على خلاف المخواة الموجودة حالياً التي تتربع الآن على نقطة التقاء الواديين الكبيرين مما يجعلها مهددة باستمرار للسيول الجارفة[(٦)] . وبخاصة أحياء " الردحة" و "السوق" . وتمثل قرية المخواة القديمة تاريخياً لأجيال مضت ولم يبق إلا الآثار الشاهدة على حياة عامرة بالنشاط والحيوية والحكمة والعناء ، فعندما تدخل

---

(١) انظر المجلة ، ص ٨٥٩- ٨٧٥ . وما طرحه الباحث في هذه الدراسة مجرد وجهة نظر، لكنها بعيدة عن الحقيقة والواقع .

(٢) ناصر الشدوي من أبناء جبل شدا الأسفل، وعنده اهتمامات بالنقوش والرسومات الصخرية في هذين الجبلين ، كما أنه يجتهد في التعريف بهما على مستوى المملكة العربية السعودية وخارجها . وقد زودني بمذكرة غير منشورة في (٩) صفحات عنوانها : النصوص والرسومات الآثارية في جبلي شدا الأسفل والأعلى . وهذه الورقات محفوظة في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٥هـ/ ٢٠م) ، ج٧، ص ٣٦- ٤٤ .

(٣) صورة من هذه المذكرة في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠م) ، ج٧، ص٧-١١.

(٤) عبد الرحمن حمياني من مواليد عام (١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م) بوادي ضيان في محافظة المخواة . درس مراحل تعليمه الأولى في مدينة المخواة ،وحصل على درجة البكالوريوس في اللغة العربية وآدابها من جامعة الباحة عام (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، والماجستير في تخصص القيادة التربوية من جامعة الباحة أيضاً عام (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م). بدأ عمله في التعليم في مدينة جدة عام (١٤١١هـ/١٩٩١م) ، ثم انتقل إلى المخواة ، وعمل في المكتبة العامة، ثم الإشراف التربوي، ويعمل الآن مديراً لقسم التجهيزات المدرسية في إدارة تعليم المخواة. شارك في عدد من اللقاءات، والاجتماعات، والندوات ، والمؤتمرات، المحلية. وهو عضو في بعض اللجان والمجالس التعليمية والتربوية والثقافية، والإدارية، والاجتماعية ، والدعوية. وله مشاركات في عدد من الصحف والمجلات العربية المحلية والإقليمية . ويمتاز الأستاذ عبد الرحمن بحسن الخلق ، ولطف المعشر، وسهولة التعامل .

(٥) هذه البلدة مازالت ماثلة للعيان ، وهي مندثرة ، والواجب صيانتها وترميمها، (ابن جريس) .

(٦) للمزيد انظر: غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ج٥، ص١٨٣-١٨٥ (ابن جريس) .

تلك القرية فإن منازلها تشعرك بقوة أولئك الرجال، وإحكام سيطرتهم على القرية من حيث توزيع البيوت ووضع الممرات وتجميل الشرفات، بالرغم من تلاصقها التام في أغلب الأماكن ، مما يؤدي إلى الاختلافات والخصام بين سكان القرية، وحدوث المشاكل بكافة أنواعها، ولكني وجدت جواباً أزاح حيرتي حول تمكن السكان في هذه القرية العيش بسلام وسيطرتهم على كل مشكل يعكر صفوهم ، فأخبرني أحد المهتمين بالتراث أن القرية كان يسيطر عليها عشرة من الرجال، من أعيان القبيلة ، وكان لكل واحد دور يؤديه بكل إخلاص وأمانة ، بل لا يسطو أحد منهم على صلاحيات الآخر، فكانوا معنيين بنظام القرية، والبت في القضايا الحادثة سواءً فيما يتعلق بالنظام داخل القرية ، أو بالأحداث الخارجية فلابد فيها من رأي جماعي لأهل القرية(١). أما من ناحية بناء المنازل فقد وجدت أن بعض البيوت مكونة من عدة طوابق، وتستخدم الدرج الحجري الداخلي للانتقال من طابق إلى آخر ، ولها غرف واسعة ومتعددة يفصل بينها جدران حجرية ، وهذا لا يعني تساوي كل المنازل من حيث الفخامة والجودة والاتساع ، فطول بعض المنازل يصل إلى (١٥) متراً وله غرف واسعة ، وفي المقابل هناك بعض الغرف تقدر مساحتها في حدود (٢×٣متر) (٢). أما القرية بشكل عام فتتخذ اتجاهاً طولياً على رأس الجبل من الشمال إلى الجنوب ، ويقع في الشمال الشرقي للقرية مساحة كبيرة ليس فيها أي بناء وتعتبر هذه المساحة مقر السوق كما أخبرني بعض كبار السن ، وهذا السوق مجاور للمسجد الكبير في القرية ، الذي تقدر مساحته بـ (١٠×١٨م) ، وهناك مسجد آخر صغير يقع في الجهة الجنوبية الشرقية للقرية ، لكنه ليس عنده نهاية المنازل ، وتقدر مساحته بـ (٥×١٠م) ، وهو مطل على الوادي من الجهة الشرقية ، أما الممرات فهناك ممر رئيسي طولي يمتد من الجنوب إلى الشمال، وهو يقسم القرية إلى قسمين شرقي وغربي ، لكنه لا يقسم القرية بامتداد مستقيم إلى آخر القرية بسبب تهدم القرية في الوسط حيث يضطر الشخص إلى أن يسلك ممراً آخر من اليمين أو الشمال حتى يعبر إلى شمال القرية باتجاه مقر السوق ، وهذا الممر

---

(١) تاريخ القرى القديمة في بلدان تهامة والسراة ، وكيفية إدارتها والتعايش فيها وما يوجد عنها من اتفاقيات ووثائق جديرة بالبحث والدراسة في عشرات البحوث العلمية (ابن جريس) .

(٢) للمزيد عن تاريخ العمارة في بلاد تهامة والسراة ، انظر: غيثان بن جريس. عسير: دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠-١٤٠٠هـ/١٦٨٨-١٩٨٠م) . (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م) ، ص ٣٧-٥٨. للمؤلف نفسه "العمران في إقليم عسير خلال القرون المتأخرة الماضية (دراسة تاريخية حضارية) " . مجلة المنهل ، عدد (٥٧١) .المجلد (٦١) . العام (٦٦) شوال ذي القعدة (١٤٢١هـ/٢٠٠١م) ، ص ٢٦-٤٩ .(ابن جريس).

عندما يبدأ من الجهة الجنوبية ينتهي عند ساحة تقدر مساحتها بـ(١٥×٨م) ، ويتضح أن هذه المساحة كانت تؤدي دوراً اجتماعياً في القرية، مثل اجتماع أهل القرية فيها لحل مشكلة ، أو الاحتفال بمناسبة سعيدة . أما الحجارة المستخدمة في البناء فيظهر أنها من الجبل نفسه ، وبعض هذه الحجارة يصل طولها إلى متر ونصف وأخرى صغيرة جداً ، ووجدت في القرية بعض المنازل كبيرة وما زالت بنيانها متماسكاً وحجارتها كبيرة وشرفاتها مطعمة بحجارة (المروة) البيضاء رغبة في التزيين [١] ، وهذه المنازل في الجهة الغربية للقرية . كما وجدت منازل في الجهة الشمالية بعد موقع السوق تشكل خطاً مستقيماً ومنفصلة عن القرية بمسافة بسيطة خاصة في الجهة الشمالية الغربية ، وبضعة منازل في الجهة الشمالية الشرقية . والقرية تحتل موقعاً على رأس الجبال بطول (٢٥٠) متراً تقريباً ، وأكبر عرض للقرية (٧٠) متراً ، وأقل عرض في حدود (٣٠) متراً ، أما جبل (الجرف) الذي يمتد بمحاذاة الوادي الذي تتربع القرية على رأسه فيبلغ طوله من مدخل قرية" الخربان" شمالاً إلى مدخل " المخاوي" جنوباً (١كم) تقريباً. أما مقابر القرية فتقع في الجهة الجنوبية للقرية في منخفض يعتبر سهل الحفر مقارنة برأس الجبل ، وبعض آثار هذه المقابر مازال موجوداً ، وهناك بنايات صغيرة تبتعد عن المقبرة باتجاه الشمال وقريبة من المنازل الجنوبية ومرتفعة عن الأرض مستطيلة الشكل، وترتفع عن الأرض بمقدار متر واحد ومساحتها تقدر (٢×٣م) وهي في حدود تسعة . وخلال زيارتي للقرية وجدت بعض الكتابات والتواريخ على جدران بعض المنازل منها تاريخ منقوش كالتالي: (١٨صفر سنة ١١٧٣هـ) ولكني لا أستطيع الجزم أنها كتبت في يوم بناء القرية أو بعده ، أو أنها كتبت فيما بعد عن طريق بعض الزائرين للقرية بعدما تهدمت ، حيث أن الكتابة على الحجارة باستخدام الحجارة وعن طريق النقر عليها أمر سهل ، ولكن أحد الزملاء أخبرني أنه يملك وثيقة تاريخية أقدم من هذا التاريخ ، ومما يرجح صحة هذا التاريخ أنها مكتوبة على حجر في مكان مرتفع جداً في أحد الجدران الخارجية . والشيخ عون يحيى شاكر العُمري أحد كبار السن الحاليين ذكر لي أن أهل القرية كانوا يجلبون الماء من بئر عند أسفل الجبل من الجهة الشرقية ومحاذ للوادي اسمها (بئر عمر) ، وبئر أخرى تقع في الجهة الغربية للجبل ، أما المؤن والبضائع فكانت تأتي بها القوافل من بلدة القنفذة التي تقع على شاطئ البحر الأحمر،

---

(١) حبذا أن نرى باحثاً جاداً فيدرس تاريخ قرى تهامة وسراة منطقة الباحة ، بل إن بعض القرى في هذه الناحية تستحق أن يصدر عنها أكثر من دراسة . هذا ما عرفه الباحث في هذه الرحلة ، ورحلة أخرى عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) (ابن جريس).

حيث أن البلدتين (المخواة والقنفذة) تحتلان مكانة تاريخية واقتصادية كبيرة ، وهاتان البلدتــان مقصد لكثير من التجار ومورد للبضائع لجميع المناطق المحيطة بهما ، وأيضاً كانت المخواة همزة وصل بين السراة والساحل ، فكان أهل السراة يبيعون منتجاتهم في المخواة، ويأخذون منها المؤن الأخرى التي تُجلب من القنفذة والمناطق الأخرى[١] .

لاشــك أن اهتمــام المصــادر التاريخية بوصف مــكان ما يمثل كنــزاً لا يستهان به، ويعطــي دلالة عظيمة للمكانــة التاريخية والاقتصادية والاجتماعيــة لذلك المكان ، وقد عــثرت علــى مصدرين ورد فيهما ذكر المخــواة في إشارات تاريخيــة مختلفة ، وبخاصة علاقتهــا بمكة المكرمة من الناحيــة الاقتصادية ، وأيضاً تعتبر محطــة لعبور الحجاج، فأحــد المصادر لمــؤرخ مكي ، والثــاني لرحالة أوربــي. والكتاب الأول : **منائح الكرم في أخبـار مكـة والبيـت وولاة الحرم** ، الجزء الخامس لعلي بن تــاج الدين بن تقي الدين السنجاري (١٠٥٧– ١١٢٥هـ) دراسة وتحقيق الدكتورة ملك محمد خياط، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ/١٩٩٨م) من منشورات جامعة أم القرى ، والمؤلف يذكر أحداث كل سنة على حدة ، ففي الجزء الخامس بدأ من أحداث سنة (١٠٩٧هـ) إلى أحداث سنة (١١٢٤هـ) ، فلمــا جــاء إلى ذكر أحداث سنة (١١١٦هـ) ففي صفحة (٣٣٧) قال في السطر الرابع : " فدخل محمد بن عبد الكريم المخواة ، ونادى في بني علي وبني عمرو ، وبني زهران ، وغامــد، والأحلاف " ثم استمــر في ذكر الأحداث إلى صفحة (٤٠٦) ، ثم ذكر قصيدة للشيــخ أحمد بن عــلان الصديقي قال: " وممن مدحه أيضــاً صاحبنا الشيخ أحمد بن علان الصديقي وهنأه بقصيدة ، وهي هذه : أبا شاكر دُم قبلةً للمحامد موقي على رغم العــدا والحواســد " ثم ذكر في البيت العاشر: " فإن نَســأَلِ المخواة عن حال أهلها وعما دهاهم في الديار الأباعد" والقصيدة مكونة من (٤٩) بيتاً، ونجد اسم المخواة في ذلك المصدر قبل (٣١٥) سنة"[٢] .

---

(١) أشكــرك يــا أستاذ عبدالرحمن علــى هذا السرد التاريخي ، ونأمل أن نــرى أحد الباحثين الجادين من أبناء المخواة فيدرس هذه المدينة أو المحافظة دراسة علمية في هيئة كتاب أو رسالة علمية. كما أن المدن الواقعــة عنــد سفوح السروات من الغــرب والممتدة من جبال جازان إلى قلــوة والمخواة ذات تاريخ عريق وتستحــق أن تدرس في عشرات الكتب والبحــوث العلمية ، ونأمل من جامعات الجنوب السعودي أن تهتم بهذه البلدات والحواضر ، فتدرسها في أعمال علمية موثقة . (ابن جريس) .

(٢) للمخــواة تاريــخ قديم ونأمل أن نــرى أحد طلابنا في قسم التاريخ ، برنامــج الدراسات العليا ، بجامعة الملك خالد يدرس التاريخ السياسي والحضاري لهذه البلدة خلال القرون الثلاثة الماضية ، وهو موضوع جديد ويستحق الدراسة . (ابن جريس) .

أمـا الكتاب الثاني فهو " **رحـلات إلى شبه الجزيـرة العربيـة** " لمؤلفه جون لويس بوركهارت ترجمة هتاف عبد الله ، دار النشر : الانتشار العربي ، بيروت-لبنان ، الطبعة الأولى (٢٠٠٥م) ، والكتـاب مكـون مـن (٣٩٩) صفحـة ، وذكر في صفحـة (٣٧٩) ما يلـي: " في زمن السلم ، يكثر ارتياد الطريق الأخرى من مكة إلى اليمن بمحاذاة السفح الغربـي للجبال الكبيرة ، فتصل القوافـل أسبوعياً ، خاصة من المخواة التي تبعد خمس عشـرة ساعـة عن دوقة ، ويوماً واحـداً عن مقاطعة زهران ، في الجبـال . والمخواة هي مدينـة كبيرة تبعد عـن مكة مسافة تسعة أيـام حين تسير القوافل ببـطء ، وفيها أبنية حجريـة ، وهي السوق التـي يبيع فيها تجار زهران والمناطق المجـاورة إنتاج عملهم إلى تجـار مخواة الذين يرسلونه إلى مكة وجدة . والبلاد حول مخواة خصبة جداً وتسكنها قبائـل بني سليم وبنـي سعيدان وبني علي الثلاثة ، وهناك أيضـاً في مخواة العديد من قبيلـة بني غامـد ، إن التفاعل بين هـذه المدينة ومكة كبير جداً في زمـن السلم ، وربما تتـزود مكـة من هذا المكان بثلـث مؤنها من الحبوب من مختلف الأنـواع . وتقع الطريق بـين هاتـين المدينتين عبر الأوديـة بشكل أساسي ، وتقطع القليل فقـط من التلال . كما تقـع عليها بعض القرى التي يسكن في أكواخها البدو والمزارعون "[1] . ويجدر بي هنا أن أكـرر التشديد على عدم الخلط بين "مخواة ومخا" ، والمؤلف يذكر المخواة هنا بقوله (مخـواة) وأيضـاً زهران يذكرها بضـم الزاى ، وهذا قد يرجـع لطبيعته غير العربية بالرغـم أنه كان يجيـد العربية ودقيق في الوصف ، وحتى بعض الأماكن يذكرها هكذا (الليـث يذكرها ليـث) ، أما القنفذة ذكرت صحيحة ، فقد يرجـع هذا للمترجم أو أن المؤلـف ذكرهـا بهذا الشكل ، قـال المؤلف: " والبلاد حول مخـواة خصبة جداً وتسكنها قبائـل بنـي سليم وبني سعيدان وبني علي الثلاثـة " ولعله يقصد بـ (بني سعيدان) بني زيدان ، وهم القبائل المعروفة الحالية والتابعة للشيخ ابن موالا والتي تسكن شمال شرق المخـواة . ولمـا وصف الكاتب المخواة قال: أبنية حجرية وهـذا ينطبق تماماً على المخواة القديمـة . أيضـاً أشار إلى خصوبة الأرض حول المخواة ، وهـذا مشاهد وبخاصة وادي الأحسبـة وغـيره من الأودية ، والأمر المهم هو : مكانة المخـواة التجارية سواءً للمناطق حولهـا أو بالنسبة لمكة المكرمة، حيث كانت تزودها بالحبوب ، والمخواة مجمع التجارات

---

(١) مـن يطلع علـى كتب بعض الرحالـة المسلمين وغير المسلمـين ، والمصادر الحجازيـة والوثائق الموجودة في بعض دور الأرشيـف في مصـر وتركيـا فإنـه سوف يجد مـادة علمية جيدة عن بـلاد المخواة خلال الثلاثة قرون الماضية ، ونأمل أن يدرس هذا الموضوع في هيئة رسالة ماجستير أو دكتوراه في أحد أقسام جامعاتنا السعودية .(ابن جريس) .

سواءً من السراة أو من القنفذة "[١] .

ولي تعليـق بسيط على هذين المرجعين وهو : أنني لا أوافق المؤلفين في كل ما كتباه ، وبخاصة الرحالة جون لويس بوركهارت الذي له تجاوزات لا أوافق عليها ، وقد عمد إلى التشويه في كثير من المواقع في كتابه [٢] . أما كتاب منائح الكرم فقد سجل أحداثاً في تلك الحقبة بحلوها ومرها وما يهمنا هو أخذ الفائدة منه ومن الكتاب الآخر بعيداً عن الملابسات الواردة في هذه المصادر ، وربما يكون هناك مصادر أقدم مما أشرنا إليه ، ولكن هذا ما حصلت عليه[٣] . والباب مفتوح للجميع للبحث والتقصي ، وهذه النقول هدفها بيان مدى المكانة المرموقة التي كانت تحتلها المخواة عبر التاريخ بعيداً عن أي تفسيرات أو تأويلات أخرى ، أو إثبات أمر أو نفيه . وهذا ما تيسر جمعه عن المخواة القديمة [٤] ، وقد أعرضت عن ذكر أسماء الأشخاص الذين كانوا يعيشون في القرية القديمة ، وكذلك الفخوذ والعوائل التي كانت تسكن هناك ، لحاجة هذا الموضوع لجهد أكبر . وقد لا يكون هذا المقام مناسباً لذكرها . وفي الختام أرجو أن تتحول تلك القرية الأثرية إلى مقصد للزائرين ، وفتح طريق معبد للوصول إليها في يسر وسهولة ، أو تحويلها إلى متحف بكل ما تعنيه هذه الكلمة " [٥] .

__وفي مكتبتنا بعض البحوث غير المنشورة عن المخواة وما حولها ، وهي من الدراسات المنشورة في كتاب : دليل البحوث الجامعية ، ومنها :__ (١) تهامة بلاد زهران : تاريخ وحضارة (١٢٥٥ـ ١٣٥٥هـ/١٨٣٩ـ١٩٣٤م) ، للباحث محمد بن سعيد بن عيسى المضحوي

---

(١) المخواة ، وقلوة ، والمجاردة ، ومحائل ، ورجال ألمع ، والدرب ، والشقيق بلدان داخلية في تهامة ولها تاريخ ، لكنها لم تخدم من الباحثين في السابق واللاحق ، ونأمل من أبناء هذه البلاد وبخاصة الباحثين وأرباب القلم أن يجتهدوا في دراسة وتدوين تاريخها السياسي والحضاري. (ابن جريس) .

(٢) يقصد الحمياني عموم كتاب هذا الرحالة الأجنبي ، ليس ما كتب عن المخواة ، ومن يدرس كتب الرحالة الغربيين فإنه سوف يجد فيها بعض الأخطاء والمغالطات ، لكنها مازالت من المصادر المهمة التي تشتمل على معلومات تاريخية وحضارية لا توجد في أي مصدر آخر ، وهي مهمة للقراءة والاطلاع . (ابن جريس) .

(٣) وأقول نعم أن هناك مصادر حجازية أخرى أشارت إلى المخواة ، كما أن هناك وثائق غير منشورة في داخل البلاد وخارجها وفيها لمحات من تاريخ المخواة وما حولها ، ونأمل أن نرى في المستقبل من يدرس هذه المدينة دراسة علمية موثقة. (ابن جريس) .

(٤) نشكرك يا عبد الرحمن على هذه النبذة ، وقد يأت في المستقبل من يتخذ مما كتبته دليلاً لدراسة أشمل وأوسع عن محافظة المخواة . (ابن جريس) .

(٥) المثل الشعبي يقول " لايبني الأرض إلا حجارتها " ، وأقول أن ما فعلت يا عبد الرحمن من جميل الصنع لأهلك وبلادك، ونأمل أن تتوسع في إنجاز دراسات تصب في خدمة محافظة المخواة ، كما آمل أن نرى أمثالك يجمعون تاريخ وموروث بلادهم ومساقط رؤوسهم ، ولو فعلنا جميعاً ذلك فإننا بدون شك سوف نساهم في حفظ بعض الشيء من تراث آبائنا وأجدادنا. (ابن جريس) .

الزهـراني ، (٨٧) صفحـة[١] . (٢) محافظة المخواة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) ، للباحثين محمـد بن درويش الغشام الغامدي، وحمـدي بن عامر بن موسى العماري ، وعلي بن محمد بـن علـي الغامـدي ، (١٧٠) صفحة[٢] . (٣) محافظـة المخواة : دراسـة تاريخية حضارية مختصـر ة للصناعـات التقليدية والحـرف اليدوية خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) ، للباحثين حسين بن أحمد بن عبد الله العُمري ، وخالد بن حسين بن مطر العمري (٩٠) صفحة [٣] . (٤) المخواة : دراسة تاريخية مختصرة عن الألعاب الرياضية ووسائل التسلية خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) ، للباحثـين هاشم بن محمـد بن حسن الناشـري ، وعبدالرحيم بن علي بن أحمد حمياني العُمري ، وخالد بن حسن بن عبد الرحمن الشريف ، وأحمد بن علي بن أحمد المرحبـي[٤] . (٥) منطقـة الباحة (بـلاد بني عُمر وغامد وزهـران) تاريخ وحضارة خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) ، للباحث عبدالله بن علي بن سالم ، (٢٨٥) صفحة [٥] .

رابعاً: نتائج وخلاصات:

اتضح لي عن هذه البلاد التهامية عدة أمور ، أذكرها في النقاط الآتية:

١. سكانها الأصليون عرب يمنيـون يعودون في أصولهم إلى قبائل الأزد اليشجبية اليعربية القحطانية . كما أنهم وإخوانهم رجال الحجر وغامد وزهران من جد واحد ، ومازالت روابطهم النسبية سارية حتى وقتنا الحاضر.

٢. تشابـه الحيـاة الاجتماعيـة والاقتصاديـة والتعليميـة والفكريـة بـين سـكان هـذه الأوطـان التهاميـة ، مع أن نسبة التطـور تتفاوت من ناحيـة إلى أخرى ، والعرضيات هي أدناها في ميدان الخدمات التنموية .

٣. عمـوم هذه البـلاد فقيرة في مجالات البحـوث والدراسات العلميـة ، والتاريخ والآثـار والحضـارة من الموضوعـات التي لم تُخـدم ، مع أنها مليئـة بالموروث الحضاري الذي يستحق جمعه وبحثه وتحليله .

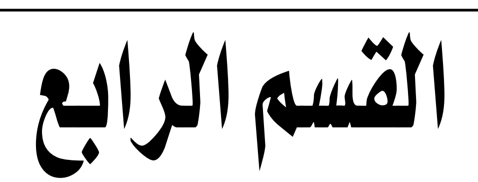
٤. علـى أرباب القلم في هذه الأجـزاء ، وعلى الجامعات والكليـات والأقسام العلمية في جامعـات الملـك عبـد العزيـز ، وأم القرى ، والملـك خالد ، والباحـة ، وجازان

---

(١) انظر محمد بن معبِّر ، دليل البحوث الجامعية ، ص ١٩٨ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٨٩ .
(٣) المرجع نفسه ، ص ٣٩٠ .
(٤) المرجع نفسه ، ص٤٠٠ .
(٥) المرجع نفسه ، ص ٤٣٩ .

مسؤوليات كبيرة تجاه جميع المناطق التهامية الممتدة من مكة المكرمة إلى مدن جازان ، وأبوعريش ، وأحد المسارحة ، وسامطة ، فالواجب دراسة تاريخها وتراثها الحضاري. كما أن على صناع القرار في هذه البلاد ، وعلى أصحاب رؤوس الأموال أن يبذلوا قصارى جهودهم لخدمة أرضهم وسكانها ، وهذه من المسؤوليات الواجبة على هذه الفئات التي تستطيع المساهمة في بناء هذه الديار وتقدمها .

٥. من خلال جولاتي في هذه الرحلة ، وأيضاً رحلات سابقة في منطقة القنفذة ، وجازان ، وأجزاء من تهامة عسير تأكد لي أن هذه البلاد تحتوي على الكثير من القصص والروايات الشفاهية ، وبعض المخطوطات والوثائق والمدونات التي تمتلكها بعض الأسر والبيوتات العلمية ، كما يوجد على أرضها الكثير من المصادر المادية متمثلة في النقوش ، والآثار ، والرسومات الصخرية ، وكذلك القرى والحصون والأسواق والطرق القديمة . وكل هذه الموارد العلمية جديرة بالجمع والحفظ ثم الدراسة والتحليل، ولإنجاز هذه المهمة لابد من تضافر جهود الجميع ، أهل البلاد أنفسهم ، وجميع الإدارات الرسمية والأهلية في هذه النواحي ، أو في أي ناحية أخرى في المناطق الجنوبية ، أو حواضر المملكة العربية السعودية الرئيسية .



القسم الرابع

قـراءات، وانـتـقـادات، وتصويبات على بعض الكتب والدراسات التي صدرت عن منطقة عسير وما حولها خـلال الـقـرن (١٥هـــ/ ٢١.٢٠م)

القسم الرابع

قراءات، وانتقادات، وتصويبات على بعض الكتب والدراسات التي صدرت عن منطقة عسير وما حولها خلال القرن (١٥هـ) [١]

م	الموضوعات	الصفحة
أولا :	مدخل	٣١٤
ثانياً :	سيف الحداثة في الجنوب السعودي : قراءة في كتاب: (نساء بلا قيود... نساء بلاد حدود). بقلم. أ. محمد بن أحمد بن معبر	٣١٧
ثالثاً :	وقفة تصويب وتوضيح على نسب ومكان الحجر بن الهنوء وسلامان ميدعان. بقلم أ. محمد بن علي بن محمد آل مسلم الشهري	٤٣٠
رابعاً :	تعليقات على كتاب: (شبه جزيرة العرب، (عسير)، لمحمود شاكر. بقلم . أ . محمد بن أحمد بن معبرّ	٤٤٠
خامساً :	آراء وتعليقات	٤٨٧

مدخل[٢] :

سلكنا في بعض مؤلفاتنا وبخاصة سلسلة كتاب: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب** ، الاستفادة من كل علم أو قول يقودنا إلى الصواب والحقيقة . وفي هذا القسم نشر ثلاث دراسات في محيط الجنوب السعودي وبخاصة منطقة عسير. فالأولى، والثالثة للأستاذ محمد بن أحمد بن معبِّر القحطاني الذي درس كتابين حديثين ، الأول : للدكتور علي بن عبد الله بن موسى العسيري[٣] ، وعنوانه : **نساء بلا قيود ... نساء بلا حدود** ،

---

(١) هناك بعض التصويبات والتعليقات على دراسات وكتب تتعلق بتاريخ وحضارة الجنوب السعودي منشورة في سلسلة كتاب (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) ، وللمزيد انظر الأجزاء العشرة الأولى من هذه السلسلة.

(٢) هذا المدخل من إعداد صاحب الموسوعة (ابن جريس) .

(٣) علي بن موسى زميل دراسة في جامعتي الملك سعود ثم الملك خالد، دراسته الجامعية الأولى كانت في اللغة الإنجليزية، ثم تخصص في علم التربية في درجة الدكتوراه ، وهو أستاذ أكاديمي جيد ، وعنده بعض الآراء والرؤى التي لا أتفق معه فيها ، وعند قراءتي هذه الدراسة المنشورة عن كتابه في هذا القسم استغربت من بعض نقاشاته وحواراته التي تتعارض مع بعض الثوابت الشرعية ، ونسأل الله لنا وله الهداية . (ابن جريس).

المطبـوع في طبعته الأولى عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، ويقع الكتاب في (٣٤٧) صفحة من القطـع الصغير[١] . أمـا الكتاب الثاني فهـو للأستاذ الدكتور محمـود شاكر ، بعنوان: **شبـه جزيـرة العرب (عسير)**، وأول طبعة صـدرت لهذا الكتاب كانت في العقد الأخير مـن القرن (١٤هـ/٢٠م) ، واعتمد ابن معـبِّر في نقده على الطبعة الثالثة المنشورة عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م) [٢] . أمـا الدراسة الأخرى ، والثانية في هـذا القسم ، فهي لباحث مجتهـد هو محمـد بن علي بن محمـد آل مسلم الشهـري[٣]، وعنـوان مشاركته: وقفة

---

(١) هـذا الكتاب أهـدي إليّ من المؤلف في حـرم جامعة الملك خالد في (١٤٣٣/٦/٣٠هـ) الموافق ٥/٢١/ ٢٠١٢م) ، وعليه عباراتٍ إهداءٍ من المؤلف قال فيها " أخي الأستاذ الدكتور الباحث المؤرخ الأول لمنطقة عسير والذي يعد مرجعاً مهماً للتاريخ والإنسان بارك الله في جهودك وأعانك. هذه محاولة لقراءة الواقع وليسـت مـن أعمال المؤرخين من أمثالكم ولكنها سرد من الذاكرة ، أرجو أن يكون فيها ما ينفع . أخوكم المحب علي بن موسى" . وأقول لأخي الدكتور علي أشكرك على هذه العبارات التي لا أستحقها واعلم أنني تصفحت كتابك عندما أهديته إلينا ، لكنني لم أتعمق في قراءته لضيق الوقت ، وعندما وصلتني دراسة ابن معبِّر المنشورة في هذا المجلد رقم (١٢) من موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) ، ورأيت بعض أطروحاتك، عدت فقرأت الكتاب، ووجدت في نهاية كتابك أن عندك النية في طباعته ونشره مرة ثانية ، بل إنك سوف تترجمه ، وأقول أسأل الله لنا ولك التوفيق ، لكن أنصح أخي علي أن يراجع بعض مدوناته وأقواله وحواراته وبخاصة ما يتعارض مع ثوابت الدين الإسلامي الحنيف ، وأرجو يا أخي علي أن تصغي لقول إنسان يحبك ويحب لك الخير ، إنه أخوك (غيثان بن علي بن جريس) ، فلا تكتب وتجادل إلا في شيء يعود عليك بالنفع في الآخرة قبل الدنيا ، ووالله لا أقول لك إلا ما أرضاه وأحبه لنفسي ، فعليك يا أخي أن تراقـب الله في كل أقوالـك وأفعالك حتـى تكون حجة لك لا حجة ووبالاً عليك يـوم القيامة . والدراسة في مجملها جيدة ، لكن راجع ما ذكرنا لك في هذه الدراسة. اللهم إني نصحت وبلغت، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.(ابن جريس) .

(٢) الدكتور محمود شاكر، من أعلام التاريخ الحديث، عمل في بعض الجامعات السعودية منذ العقود الأخيرة في القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) ،وله عشرات الكتب والدراسات في التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط والحديث والمعاصر ، ويستحق أن يصدر عنه وعن منهجه العلمي أو البحثي العديد من البحوث والدراسـات. أمـا كتابه (عسير) المذكور في هـذا القسم ، فقد اقتنيته من نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) واستفدت منه في عدد من دراساتي ، كما أن هناك نسخة من هذا الكتاب صدرت في ثمانينيات القرن الهجري الماضي، وكان عليها اعتراضات وملحوظات من بعض الأسر والأفراد في منطقة عسير ، ومن ثم سحبت من الأسواق ومنع تداولها ، ثم أعاد الأستاذ مراجعة الكتاب، وحذف منه بعض الفقرات والسطور التي جرى حولها الاعتراضات ، وخرجت هذه النسخة في طبعتها الأولى عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) ، ثم صدر منها طبعات أخرى عديدة .(ابن جريس).

(٣) هو محمد بن علي بن محمد آل مسلم آلِ النهي الدحيمي الشهري من مواليد الرياض عام (١٤٠١هـ)، يحمل شهادة الثانوية ويدرس الآن انتساباً في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، تخصص(إدارة أعمـال) ، يعمـل في القطاع العسكري ، ومهتم بعلم التاريخ والأنساب ، وله بعض الكتب والدراسات غير المنشورة، ومنها: (١) جوانب من التاريخ السياسي والعسكري في الدولة النبوية والخلافة الراشدة . (٢) معجم شعراء الأزد في الجاهلية والإسلام . (٣) قبائل الهنوء بن الأزد عند النسابة ابن الكلبي. (٤) نشوة النصر في أخبار رجال الحجر . (ابن جريس).

تصويــب وتوضيح على نســب ومكان الحجر بــن الهنوء وسلامان ميدعــان[١] . وسوف نقــوم بنشر هذه البحوث ومراجعتها وتدوين ملحوظاتنــا عليها في الحواشي ، مع إيراد مصطلــح (ابــن جريس) في نهاية كل حاشية تذكر ، ونأمــل أن نصل إلى دراسة ونشر كل عمل علمي صحيح وموثق [٢] .

---

(١) هذا العنوان من إعداد صاحب الموسوعة . (ابن جريس).

(٢) دائماً وأبداً لا ندعي الكمال في كل ما ندرس ونناقش وننشر ، وإنما نحن باحثون عن الحق والحقيقة ، فمن وجــد لنــا أخطاء فليصوبنا بــكل رأي أو قول أو معلومــة صحيحة (والله الهادي إلى ســواء السبيل) . (ابن جريس).

ثانياً : سيف الحداثة في الجنوب السعودي : قراءة في كتاب : (نساء بلا قيود ... نساء بلا حدود) . بقلم أ . محمد بن أحمد بن معبر[٣] .

م	الموضوع	الصفحة
أولاً:	المقدمة	٣١٨
ثانياً:	**الملاحظات العامة :** (١) إهمال البسملة (٢) الحد المكاني والزماني (٣) الجنوب، (٤) مجلة العربي (٥) المثالية (٦) التفاصيل (٧) التكرار . (٨) ضبط الألفاظ. (٩) الحداثة	٣٢٠
ثالثاً:	**التعليقات التفصيلية :** (١) تمهيد.(٢) صورة الغلاف.(٣) صلاة الفجر. (٤) قرآن الفجر.(٥) القروع.(٦) الاستعداد للعمل.(٧) الحوش أو الزريبة.(٨) الثّور.(٩) الرِّجال.(١٠) النساء . (١١) الظهيرة، وأذان الظهر.(١٢) العَشية .(١٣) الحمية للمزارع.(١٤) الجرن والدوس.(١٥) الذّرّاه.(١٦) الصِّناعة (١٧) الرَّعي.(١٨) الاستقاء .(١٩) الخبز.(٢٠) الأطعمة.(٢١) آداب الطعام. (٢٢) إدارة القرى.(٢٣) الجيرة والرفقة .(٢٤) بيوت الجنوب.(٢٥) النظافة واللبس . (٢٦) الحجاب . (٢٧) الحُبُّ والهوى . (٢٨) الزَّواج. (٢٩) الحَمْل.(٣٠) المرأة في المجلس.(٣١) الزيارات النسائية. (٣٢) تَعَدُّد الزوجات.(٣٣) خلاف الزوجين.(٣٤) الموت والعَزاء . (٣٥) ألف ليلة وليلة في الجنوب. (٣٦) لمحة تاريخية .(٣٧) الرسول ﷺ والأزد .(٣٨) علي بن أبي طالب والأزد.(٣٩) علاقة السّراة بمكة. (٤٠) الدولة والمواطنة.(٤١) الكرم والضيافة.(٤٢) المذياع والبَكَم.(٤٣) مدارس البنين .(٤٤) مدارس البنات.(٤٥) الوعظ والإرشاد. (٤٦) دخل الأجانب وخرج الأقارب.(٤٧) الخُلوة والأجانب. (٤٨) الملبس والمظهر. (٤٩) عمل المرأة.(٥٠) النِّقاب والحجاب.(٥١) النِّقاب في تحوّل جديد. (٥٢) النساء والحداثة.(٥٣) حوار ونقاش.(٥٤) المحافظون والليبراليون. (٥٥) حديث حول الحداثة.(٥٦) شاهد على العصر.(٥٧) الخاتمة[١]..	٣٢٦
رابعاً:	المراجع	٤٢٧

(٣) انظر ترجمة ابن معبِّر ، غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٢، ص١٦٥، محمد بن أحمد بن معبِّر . نقش القلم (١٣٨٢-١٤٣٥هـ) (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٦هـ/٢٠١٤م). (٤٤٦ صفحة) . (ابن جريس).

أولاً : المقدمة :

الحمد لله القائل: [**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**]. والصلاة والسلام على النبي الخاتم الذي أرشدنا إلى الخير والصلاح في ديننا ودنيانا. أما بعد: فحين قرأت **كتاب (نساء بلا قيود ... نساء بلا حدود)**(١) لمؤلفه الدكتور علي بن عبد الله بن موسى ، أدركت أنّ المؤلف يقوم بمناورة بارعة، حشد فيها كل طاقاته القولية . فمن خلال القراءة الأولى للكتاب تتكوّن فكرة عامّة مُؤدَّاها الإعجاب والانبهار بهذا المجتمع الجنوبي في مناطقه الإدارية الأربع (الباحة ، جازان، عسير، نجران). المجتمع الزاخر بالإيمان الخالص ، والحيوية المتدفقة ، والمُشْتَمِل بالطُهْر والبراءة . المجتمع الذي لا يعرف البدع والشركيات، المجتمع الذي يختلط فيه الفتّيان والفتيات ولا تُسَجّل أي مخالفة أو تَحرّش !!(٢). هذا هو الوجه المُشْرق لمجتمع الجنوب السعودي، كما يصفه المؤلف.

ثم يدير المؤلف قلمه إلى وَجْه يتنزى حُزناً وألماً على مصير هذا المجتمع ، وقد أفسدت حياته الآلات والأدوات ، وحَوّلَتْه من مجتمع قروي إلى مجتمع مدني. ولا يصمد هذا الانطباع بِوَجْهيه السَّابقين ؛ عند القراءة المتأنية الفاحصة الناقدة ، فالمؤلف وإنْ قال: (لا يعتمد هذا الكتاب على منهج بحث مُعَيَّن ، ولكنه سرد من الذاكرة ، مستعيناً بما رأيته وعلمته وعشته وسمعته من المجتمع)(٣) قد مارس أنواعاً - بقصد أو دون قصد - من المثاليات ، والمغالطات ، والإسقاطات ، والتعميمات ، والإطلاقات. وبعد هذه الممارسات يُشْهِرُ المؤلف (سَيف الحداثة) أي الحداثة الفكرية ، لا حداثة الآلات والأدوات ، ويرى في ذلك (الحداثة الخَلاَّقة) التي تحمل بشائر التغيير ، والسعادة للمجتمع الجنوبي. وكنت أتمنى أن المؤلف أخذ في اعتباره القُرَّاء من أبناء الجنوب ، ولاسيما الذين عاشوا نفس تجربته ، وتختزن ذاكرة كل واحدة منهم ما يملأ صفحات كتاب ككتابه(٤).

---

(١) الطبعة الأولى ،(١٤٣٣هـ ، الرياض) ، ٣٤٧ ص . (ابن معبِّر) .

(٢) هكذا كان المجتمع الجنوبي السعودي في القرون الماضية . ونقول إن حياة الناس آنذاك تستحق دراسات علمية موثقة. والأمل في جامعاتنا المحلية ، فتسعى إلى خدمة هذه البلاد وأهلها . (ابن جريس) .

(٣) ص ١١ . (ابن معبِّر) .

(٤) الدكتور ابن موسى اجتهد ، وجزاه اللهِ كل خير ، وحبذا أن نرى غيره من الأكاديميين والباحثين فيعملون مثل ما فعل ونحن يكمل بعضنا بعضاً ، وميدان النقد موجود لمن أراد أن يشارك بقول أو رأي يفيد . (ابن جريس).

ولهـذا كانت صفحات بحثي هذا (سيف الحداثة) كقراءة نقدية لكتاب (**نساء بلا قيود ... نساء بلا حدود**) ، وهي صفحات سيغضب منها الدكتور علي بلاشك ، وأعزي نفسي أمام غَضْبته أنني أردت بها رضا الله سبحانه وتعالى بالمنافحة عن شَرْعه الكريم الـذي تَعَبَّدنـا بـه. ومما يجب علـيّ قوله في هذه المقدمـة أنّ المؤلف قَدّم عمـلاً رائعاً في مُجْمله، يحمل فكرة رائدة، لو احتذى بها الكثير من رجال ونساء منطقة عسير على وجه الخصوص ، وأضرابهم من مناطق الجنوب الأخرى على وجه العموم ، فإنهم سيحفظون لنا وللأجيال تراثاً كادت تعصف به عاصة الآلة والأداة ، أو هي قد عصفت به [١].

ولا يهولنَّكـم حجـم دراستـي هـذه (سيـف الحداثـة) ومـا فيها مـن ملاحظات وتعليقـات، فـإن مجموع صفحات ما نقدته من كتـاب (نساء بلا قيود ...) لا يزيد عن سبعـين صفحة ، بمعنـى أن هناك ما يقرب من ثلاثمئة صفحة لم أُعَلِّق عليها إلاّ ببعض الإضافـات ، ممّـا لا يجهلها المؤلف وبعض القرّاء . وهذا يعني أن كتاب (نساء بلا قيود ...) يحتـل مكانة مُمَيَّزة ، ويستحق القراءة، ففيه الكثير مما لم يُسْبَق المؤلف به ، وهو بذلك قد أدَّى الواجب المطلوب منه ومن أمثاله [٢].

أمـا مـا قمت به من ملاحظـات وتعليقات ، فهي من الامتثال لقـول الرسول ﷺ : (الدِّيـن النصيحـة ـ ثلاثـاً ـ قلنا لمن يـا رسول الله ؟ . قـال : لله ، ولكتابـه ، ورسوله ، ولأئمـة المسلمين وعامَّتهم)[٣]. ثُمَّ لمـا قاله المؤلف في آخر كتابه: (وأترك لكم الكلام) [٤]مـع طلبـه – في آخر كتابه أيضاً – إبـداء الرأي حول مـا ورد في الكتاب. ولن يَضير المؤلِـف تراجعه عن بعض مـا في كتابه[٥] ، وأظنه سيرجو محبّـة الله تعالى القائل [**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**][٦]. وأسأل الله جَلّ في عُلاه أن يغفر لي ولَه ولسائر المسلمين ، وأن يرزقنا الإخلاص له قولاً وعملاً ، وأن يختم بالصالحات أعمالنا ، هو ولي ذلك والقادر عليه .محمد بن أحمد مُعَبِّر (١٤٣٧/٧/١هـ) .

---

(١) نأمـل أن نـرى باحثين جادين أمثال الدكتـور ابن موسى ، وأصحاب الدرجـات كثيرون في الجامعات ، لكنهم متقاعسون . (ابن جريس) .

(٢) نعم هذه حقيقة ففي هذا الكتاب إبداع وتميز ، والنقص والخطأ من طبيعة البشر . (ابن جريس) .

(٣) صحيح مسلم ، الحديث رقم (٥٥) .

(٤) ص٣٣٧. (ابن معبِّر) .

(٥) حسـب علمي بالدكتور علي فهـو أستاذ جاد وآمل أن يصوب ما وقع فيه من أخطاء ، وإذا كان له رأي أو وجهة نظر يطرحها ، وانا على استعداد أن أنشر أقواله وتعليقاته . والله ولي التوفيق (ابن جريس) .

(٦) سورة البقرة ، آية (٢٢٢) .(ابن معبِّر) .

ثانياً : الملاحظات العامة :

١ - إهمال البسملة، والتحميد لله تعالى، والصلاة والسلام على الرسول ﷺ .
والمؤلف كثير الاحتفاء بأهل الجنوب ، وأنهم لا يهملون الواجبات الدينية . حسب قوله . كما يسوق ألفاظ الأذان للصلاة كاملا ، وبلغ عدد صفحات كتابه (٣٤٧صفحة) ، فهل ضاقت هذه الصفحات عن بضعة أسطر في أول الكتاب يدون فيها البسملة والحمدلة؟ والمؤلف من أهل الجنوب الذين يلتزمون بكل تعاليم الإسلام ، حسب قوله[١] .
٢- الحَدُّ المَكَاني والزّماني : يحتاج القارئ الذي لا يعرف الجنوب إلى بضعة أسطر عن جغرافية الجنوب ، مع خارطة توضيحية ، وهو ما يفتقده الكتاب عن الحدود المكانية[٢] . ولذا أرى أن يتم تحديد المكان اعتبارا من تاريخ بداية تسمية الجنوب بالمنطقة الجنوبية ، والغالب أن ذلك حصل بعد توحيد البلاد السعودية .أما الحدّ الزّمني ؛ فيتضح من سياق كلام المؤلف في مواضع مُتعدّدة من كتابه بأنه ما قبل دخول الآلات والأدوات الحديثة، وما بعدها حتى اليوم . ويلزم ذلك معرفة تاريخ بداية دخول هذه الآلات والأدوات ، ولعل المذياع هو أول آلة دخلت، فمتى كان تاريخ دخوله؟ . **٣- الجنوب :** المنطقة الجنوبية : اصطلاح جغرافي إداري ، يُقصد به المناطق الإدارية الأربع (الباحة ، جازان ، عسير ، نجران) في جنوب المملكة العربية السعودية[٣] . وهذا هو مُراد المؤلف حين يقول (أهل الجنوب) أو (قرى الجنوب) ، وعند التّمعّن في صفحات كتابه بقسميه لا نرى إلا (منطقة عسير) على أبعد مدى[٤] ، ولا سيما قرية المؤلف ومدينة أبها . أمّا بقية بعض جهات عسير ، ومناطق : الباحة ، وجازان ، ونجران ، فليس لها أي حُضور في كتابه، إلا من خلال اشتراكها في بعض ما كتبه المؤلف عن قريته ، وعن مدينة أبها. ولو أتعب المؤلف نفسه وقرأ بعض ما كتب عن الجنوب – في مجال موضوع كتابه – لوجد الكثير من المعلومات ، ومنها: (١) مؤلفات الدكتور عبد الله بن محمد أبو داهش . (٢)مؤلفات الأستاذ علي بن صالح السلوك الزهراني . (٣) مؤلفات الدكتور غيثان بن علي بن

---

(١) معرفتي بابن موسى طويلة تزيد على ثلاثين عاماً ، وهو رجل. كما نحسبه. صالح في دينه وأخلاقه . وربما سقطت الملحوظة سهواً . (ابن جريس) .

(٢) نعم هذه ملحوظة جوهرية ويجب الأخذ بها في الطبعة الثانية . (ابن جريس) .

(٣) المنطقة أو المناطق الجنوبية أوسع مما ذكرت ، أين ذهبت البلاد الواقعة جنوب مكة والطائف إلى بلاد زهران والقنفذة ؟ (ابن جريس) .

(٤) بلاد عسير صاحبة نفوذ على معظم مناطق الجنوب منذ بدايات القرن (١٣هـ/١٩م) ، والمصادر والوثائق تؤكد ذلك ، وهذا الموضوع يستحق أن يفرد في دراسة مستقلة . (ابن جريس) .

جُرَيس. (٤) مؤلفات الشيخ محمد بن أحمد العقيلي .(٥) سلسلة كتب (هذه بلادنا) التي تصدرها الرئاسة العامة لرعاية الشباب[1]. وربما كان بعضها في مكتبته الخاصة ، وإن كان غير ذلك ، فهي في المكتبة المركزية لجامعة الملك خالد ، التي يعمل فيها . والكتاب بوضعه الحالي لا يُمَثل مناطق الجنوب (الباحة ، جازان ، عسير ، نجران) ، فهناك من الفروق بين كل منطقة وأخرى ، بل يوجد الكثير من الفروق داخل المنطقة الواحدة .

وعلى سبيل المثال ، فإن ما كتبه المؤلف تحت عنوان (بيوت الجنوب)[2]، لا يمثل إلاّ جزءاً من منطقة عسير ، فكل ما أورده حول أنواع المنازل من الجنوب ، وقد يكون الحجر هو القاسم المشترك في عملية البناء ، مع اختلاف في شكل المبنى . فالمنازل في فيفا بمنطقة جازان تختلف اختلافاً بَيّناً عن منازل بيشة في منطقة عسير ، ومنازل تهامة زهران بمنطقة الباحة تختلف عن منازل النماص بمنطقة عسير ، ومنازل النماص تختلف عن منازل منطقة نجران .

بل نجد الاختلاف داخل المنطقة الواحدة ، فنجد في منطقة عسير صوراً مختلفة من أشكال المنازل ، ومواد البناء ، فمنازل رجال ألمع تختلف عن منازل تثليث وطريب ، ومنازل وادي ابن هشبل تختلف عن منازل تمنية .كما يجعل المؤلِّف مِنَ (الرَّقَف) طرازاً سائداً في الجنوب ، علماً أن الرَّقَف لا يُستعمل إلاَّ في أماكن محدودة في منطقة عسير . وعندما تحدث المؤلِّف تحت عنوان (آداب الطعام) لم نجد عنده مما يتعلق بآداب الطعام ، والعبارات الاصطلاحية المستعملة في هذا الشأن ، سوى ما يُعرف في بعض جهات عسير . ومثل ذلك تحت عنوان (التحية في الطرقات) فكل ما ورد في مضمونه لا يمثل إلاّ بعض جهات منطقة عسير . وعلى ذلك جرى قلم المؤلف، فهو يتنفّس بعبق عسيري سَرَوي ، ولا سيما في مدينتي أبها وخميس مشيط وأحوازهما ، وإن طَوَّح قلمه إلى ربوع تهامة ، فهو لا يجاوز التهائم المتصلة بالجبال أو أصدارها [3].

---

(١) هناك مئات البحوث والرسائل والدراسات الأكاديمية المنشورة ، وآلاف الوثائق غير المنشورة وجميعها تصب في خدمة تراث وفكر مناطق الجنوب السعودي منذ القرن العاشر الهجري إلى وقتنا الحاضر . (ابن جريس) .

(٢) ص ص ١١٤- ١٢٤. (ابن معبِّر) .

(٣) نلتمس العذر لابن موسى فهو أستاذ عمل في مجال اللغة الإنجليزية في بداية دراسته الجامعية ، ثم اتجه إلى علوم التربية ، ويخرج لنا هذه الدراسة الجيدة ، فنشكره على ذلك . أما موضوعات العمارة والطعام والشراب ، والعادات والتقاليد مثل التحية في الطرقات وغيرها ، فهذه موضوعات لم تدرس بشكل جيد ، ونأمل أن نرى باحثين جادين يتولونها بالبحث والدراسة . (ابن جريس) .

٤- مجلة العربي : قامت مجلة (العربي) الكويتية بإعداد استطلاع عن عسير ، ونشرته في العدد (١٢٨) في شهر ربيع الأول من سنة ١٣٨٩هـ . وقد أولِعَ المؤلف بهذا الاستطلاع ، فدأب على النَّقْل منه للاستشهاد على ما يقول ، وبلغ عدد المواضع التي حضرت فيها مجلة (العربي) سبعة مواضع في الصفحات(٢٠٨-٢٠٩/٢١٩/٢٢٣-٢٢٤/ ٢٢٨-٢٢٩/٢٧٧-٢٧٨/ ٢٧٩-٢٨٠/ ٢٨٩) . ومن المآخذ على اعتماد المؤلف على هذه المجلة ما يلي : (أ) جرى استطلاع مجلة العربي في مدينة أبها ، وهذا يؤكد عدم شمول الكتاب لمناطق الجنوب، ولو استعان المؤلف ببعض المؤلفات التي ذكرتها سابقاً ، مع استطلاع مجلة العربي لما كان هذا المأخذ. ومدينة أبها لا تمثل منطقة عسير بشكل دقيق ، فمن باب أولى أنها لا تمثل الجنوب كافة[1].(ب) الاستطلاع رحلة لمندوب المجلة ومرافقه المُصَوِّر ، ومدة هذه الرحلة قصيرة، ولا يمكن لهذا المندوب أن يحصل على معلومات دقيقة ، فوقته لا يسمح له بالتَّقَصِّي . والاعتماد على هذا الاستطلاع كمرجع وحيد استعان به المؤلف، لا يؤدي إلى مصداقية علمية دقيقة .(ج) مجلة العربي، ولا سيما في مدة رئاسة الدكتور أحمد زكي لتحريرها، مجلة تحارب الحجاب والعفَّة ، في جميع أرجاء الوطن العربي، فقد اعتادت في استطلاعاتها وصم الحجاب والمحجبات بالتخلف والرجعية ، حينما تضع صوراً للمحجبات، أما صور النساء على الشواطئ بالمايوه ، أو صورهن وهُنَّ سافرات ، فتصفها وصاحبات الصُّوَر بالتّقدم والحرية. ولا أقول هذا اعتباطاً ، فأنا أعرف مجلة العربي صفحة صفحة ، فقد بدأت في اقتنائها منذ سنة (١٣٨٨هـ) حتى اليوم (١٤٣٧هـ) .وبناء على ذلك فإنه لا يوثق بمجلة العربي في أحكامها حول الحجاب وغيره مما يخص المرأة ، إلاّ بحذر ، مع المقارنة بالكتب التاريخية التي تتحدث عن الفترة التي تتحدث عنها مجلة العربي . (د) لو قبلنا بما جاء في استطلاع مجلة العربي ، فإننا نقبل ذلك في إطار زمني محدود ، لا يُعَمّم على ما قبله وما بعده . **٥- المثالية :** يتحدث المؤلف عن أهل الجنوب بمثالية مُطْلَقَة ، لا يستثني ، ولا يُبَعِّض ، ومن ذلك : (أ) التزامهم بكل الأدعية والأذكار ، ويجعل ذلك صفة عامة ، ودَيْدَنا لا ينقطع ، وهذا يخالف واقعهم ، فهم لا يلتزمون بكل الأدعية والأذكار ، وهم الآن أكثر التزاماً بها ، ولذلك انتشرت كتب وكتيبات الأدعية والأذكار انتشاراً واسعاً . ولا يعني ذلك أنَّهُم الآن أفضل من سابقيهم ، ولا يعني – أيضاً – أن من سبقهم أكثر ترديداً لها من المعاصرين . والمعروف أنَّهُم في السَّابق لا يلتزمون بشكل عام بهذه

(١) أتفق مع ابن معبِّر في هذا القول ، وأشكر ابن موسى على ما قدم ، والواجب على الباحث أن يطلع على أكبر قدر ممكن من المصادر والمراجع التي تثري موضوعه أو دراسته . (ابن جريس) .

الأدعيــة كلها ، فهم أكثر إيماناً واقَــلّ كلاماً في هذه الأدعية والأذكار. (ب) يؤكد المؤلف بأن أهل الجنوب ـ كلهم ـ من المحافظين على الطهارة، والصلاة، وسائر العبادات .وكأنّه لا يعرفــ أو يتجاهــل ـ أنّ منهم المتساهل في العبادات ، ومنهم التَّارك للصلاة والصِّيام. (ج) يرسم المؤلف صورة مثالية في موضوعه (إدارة القرى) فقبائل الجنوب قد تجتمع تحــت لــواء واحــد ، وتنتقل المشيخــة أو النوابة في سلاســة ، فلا مشــاكل أو منازعات ، وتجتمــع جميع الصفــات الحسنة في كل شيــخ . ومن الطريف أن المؤلــف هنا خرج عن منطقة عسير ، ووصل إلى بلاد غامد وزهران، وذكر تسمية (العَريفة) عندهم ، وهي تقابــل النائب عندنا في عسير . المهم أن ما أورده المؤلف عن المثاليات في إدارة القرى لا تتوافــق مــع الواقع حينذاك وحتى الآن . فقبائل الجنوب لا تجتمع تحت لواء واحد ، وكم حصل من الخلافات والمشاكل حول المشيخة أو النوابة ، وكم من شيخ أو نائب بخيل ، أو جبان. ويُذَكِّرنا المؤلف بهذه المثاليات بجمهورية أفلاطون ، أو مدينة الفَارَابي الفاضلة ، وهــو أقرب إلى الفارابي[١] . **٦- التَّفَاصِيل :** أدَّى استغراق المؤلف في التفاصيل إلى ذكر أشيــاء تُعَدُّ من البديهيّات ، ويُعْتَــبرُ إيرادها من التَّزَيُّد الذي لا فائدة منه ولا جديد فيه ومن ذلك : (أ) سياقه لألفاظ أذان الفجر في سبعة عشر سطراً (ص١٥) . (ب) وصفه التفصيلي لعملية التَّطَهّر والوضوء (ص١٨). (ج) استغراقه في تفاصيل صلاة الفجر ، حتــى أنــه يورد ألفــاظ الإقامة كاملــة (ص ص١٩-٢٣). (د) التفاصيــل الزائدة عن الحاجــة في موضوعه (الموت والعزاء) (ص ص١٨٤-١٨٧) ومنها : وصف صلاة الميت ، وهو يسميها صلاة الجنازة - ، ووصف اتجاه القبر ، ووصف اللحد ، وكيفية وضع الميت في القبر ، وغير ذلك . (هـ) استغراقه في تفاصيل الصلاة مما يعرف بالبداهة، وذلك في عنوانــين همــا: (الصلاة والعبادة) صــ١٤٣. (و) (صلاة الجمعــة) ص١٤٤[٢].

٧- التَّكْرَار : يُكَرِّر المؤلف بعض موضوعات كتابه دون حاجة توجب التكرار ، ومن ذلك: (أ) أورد المؤلــف في صفحــة (١٧) موضوعاً بعنوان (الوضوء والطهارة) ثم كرر بعض مــا جاء فيه في موضوع (صلاة المرأة) في (صــ٢٧) ولا فرق بين وضوء الرجل والمرأة. (ب) يُكَــرِّر المؤلف الموضــوع الواحد تحت عدة عناوين ، ومن ذلك (الاستعداد للعمل) صــ٢٩، و(الانطــلاق للعمــل) صــ٤٤ ، و (الرجال) صــ٤٦ ، و(النســاء) ص٤٨ ،

---

(١) أقول إن تاريخ إدارة القرى أو العشائر خلال القرون الماضية المتأخرة حتى الآن لم تدرس وتستحق أن يفرد لها بحوث ودراسات عديدة ، والأمل في أبنائنا وبناتنا من طلاب وطالبات الدراسات العليا في جامعاتنا الجنوبية السعودية . (ابن جريس) .

(٢) كان الواجــب على الدكتور علي أن يعرض خطة بحثه وكتابه على بعض زملائه الأكاديميين حتى يتجنب الوقوع في بعض الأخطاء العلمية والمنهجية . (ابن جريس) .

وبإمكانه صياغتها تحت عنوان واحد . (ج) تكرار الموضوع الواحد في عنوانين هما : (الظهيرة) ص٥٢، و (أذان الظُّهر) ص٥٣ . (د) تكرار موضوع الملابس في عنوانين هما: (النظافة واللبس) ص١٢٨ ، و (الملابس النسائية) ص١٣١. (هـ) تكرار موضوع العيد في أربعة عناوين ، وهي (العيد) ص١٣٥، (و) (عيد الفطر) ص١٣٧، و (عيد الأضحى) ص١٤١ ، و (عزائم الأضحى) ص١٤٢ ، مع استغراق في بعض التفاصيل دون الحاجة لها . (ز) تكرار موضوع السِّلاح في عنوانين ، هما: (الأسلحة) ص٨٦ ، و (البندقية) ص٢٠٢ . **٨- ضبط الألفاظ :** قَدّم المؤلف مجموعة كبيرة من الألفاظ في مواضع متعددة من كتابه، وهي تخلو من الضبط ، مما يستشكل على بعض القراء قراءتها قراءة صحيحة ، ومن ذلك: (ا) القَرُوع .(ب) المُوَسَّم .(ج) العَثَّري . (د) القَرّف . (هـ) الشَّريم . (و) المِجْنَد [(١)] . **٩- الحداثة :** تعاطى المؤلف مع (الحداَثة) بمفهومين مُتَغَايرَيْن ، وهما : (أ) الحداثة بمعنى الشيء الحادث أو الحديث ، أي الجديد ، ويتمثل ذلك في الآلات والأدوات، التي كانت حديثة مع أول وصول لها إلى الناس ـ حينذاك ـ مثل : المذياع، والبَكَم ، والمُسَجِّل ، والغسالة ، والمكنسة ، والفرن ، ونحو ذلك. وكان لهذه الآلات والأدوات ـ مع فائدة بعضها ـ بعض الآثار السلبية المؤدية إلى انصراف الناس عن أعمال الزراعة وغيرها[(٢)]. ولا نختلف مع المؤلف حول هذا المفهوم للحداثة ، فهو في حدود الدّلالة اللفظيَّة للتعبير عن الأشياء الحديثة . (ب) الحداثة الفكرية ، وهي ما انغمس فيه المؤلف تحت عنوان:(حديث حول الحداثة)[(٣)] ، وأخذ يصول ويجول بمفردات وعبارات لا تدع مجالاً للشك في تَقَمُّصه الحداثة الفكرية . ويتوافق كلام المؤلف عن الحداثة مع مبادئ الحداثة الفكرية ، فهو يقول : الحداثة هي التطور والتقدم والاختراع والاكتشاف والعلم والتقنية والقيم الناتجة عنها، إضافة إلى الثقافة وأنماط التفكير وغيرها من نتائج التطور الطارئ على الإنسان الذي تغيرت مصادر معرفته ومعلوماته ، فتمكن من إحداث تغييرات جذرية في حياته وبيئته بهدف الحصول على حياة وخدمات أفضل . تلك الحداثة دخلت في كل مجال وكل شأن في الحياة سواء الخاص أو العام ، لتتغير معها أوضاع المجتمع إلى حال أخرى)[(٤)]. وقوله هذا يتطابق

---

(١) دراسة المفردات المحلية واللهجات من الموضوعات الجديدة التي تستحق جهوداً كبيرة من الباحثين. (ابن جريس) .

(٢) من يقارن تلك الآلات مع ما نعيشه اليوم ، لا يجد وجهاً للمقارنة ، فاليوم غزتنا أنواع كثيرة من أدوات التقنية حتى أصبحنا نقضي أجزاء كبيرة من أوقاتنا معها. (ابن جريس) .

(٣) ض ٣٢٤ وما بعدها .(ابن معبِّر) .

(٤) ص ٣٢٧ .(ابن معبِّر) .

مـع مبـدأ الحداثة القائـل:(الحداثة مذهب فكـري شامل يدعو إلى التغيـير) . ونقرأ للمؤلف قوله :(لهذا سوف يستمر النقاش والحوار والجدل والاختلاف حول الكثير من الموضوعات والممارسات ومنتجات الحداثة حتى يصل المتحاورون إلى مرحلة تكون فيها الحداثـة ومعطياتها قد قفزت بالنقاش والحـوار إلى موضوعات أخرى مستجدة نتيجة التسـارع الكبير في الحداثة ومنتجاتها المختلفـة ، ولن يزول هذا الحوار إلا بحوار مبني علـى العمـل المؤسسـي ، والبحـث العلمي الجـاد والتقـاء المتحاورين حـول العديد من الموضوعات التي تخدم المجتمع ومؤسساته وطموح أبنائه ، وبما يضمن لهم استقرارهم وسيادتهم فوق أراضيهم. على أن ينتج عن هذه النقاشات والحوارات قوانين وتشريعات تنظم العلاقة بين جميع أفراد المجتمع ، وبين المؤسسات ، ومنتجات الحداثة المختلفة[١] .

ويتوافـق قوله هـذا مع مبدأ آخر من مبادئ الحداثـة ؛ فالحداثة تدعو إلى المواءمة بين الدِّيـن والواقـع ، وتدعو في سبيـل ذلك إلى النقاش حولهما . وبذلـك يوضع الدِّين على قَـدَم المسـاواة مع الأفـكار البشرية ، ويصبـح القـرآن والسُّنَّة مـن موضوعات الحوار والنقاش. ويدور المؤلف مـع مصطلح (الإنسانية)[٢] ، وهو مصطلـح دار حوله فلاسفة الغرب، حتى قالوا (بالديانة الإنسانية) يتشارك فيها كل الناس، ويُسْتَمَدُّ منها أسباب الحيـاة المادية والعقلية والخُلُقيّة ، واحتكمـوا إلى الضمير ، فيقول (جان جاك روسو): (كل مـا أحسـه شرّاً فهو شرّ ، الضمير خير الفقهـاء)[٣]. ويقول أيضاً : (على أن يكون هذا الدِّين ـ المسيحية ـ مقصوراً على العقائد الضرورية للحياة)[٤].ولذلك قال المؤلف وهـو يعزف على وتَـر الإنسانية: (أكتب ليس لنساء الجنوب وحدهن ،واللواتي أخذتهن نموذجاً للنساء في جميع القرى، وإنما لجميع نساء العالم ورجالهن ، ففي كل أرض وفي كل وطـن وفي كل مدينـة وهجرة وقرية وبيت امرأة ورجـل ، هما عنوان لقصتنا الكبيرة التـي لم نروها بعد لأبنائنا وبناتنا ، لنقول لهـم جميعاً إن من في الأرض من بني البشر هـم أهـل قربى وأهل صلة ، هم أهـل القرى الذين تربطنا بهم وحـدة الجنس البشري الـذي نسله مـن آدم وحـواء ، وأصله من تراب ينتهـي في التراب. والإنسـان ليس عدو الإنسان ولكنه أخوه وأخته في الإنسانية، والجميع شركاء في الحياة ذكوراً كانوا أم إناثاً.

---

(١) ص ٣٣٠ . (ابن معبِّر) .

(٢) ص ص ٣٢٤-٣٣٠ . (ابن معبِّر) .

(٣) الحداثة من الموضوعات التي أسهب فيها الباحثون في معظم جامعات ومراكز البحوث في العالم، ولها محاربون ومؤيدون، والإسلام لا يحارب التطور والحداثة ، لكنه يحارب الانحراف وعدم السير على طريق مستقيم في الأقوال والأفعال . (ابن جريس) .

(٤) تاريخ الفلسفة الحديثة ، يوسف كرم ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٦ . (ابن معبِّر) .

ولــو ربينا أبناءنــا على القيم الإنسانية ، وكرامة الإنســان ، وحرمة دمه وعرضه وماله، وأعطيناه حقوقه ، وساويناه بأنفسنا ، وعدلنا معه ، لما أزهقت الأنفس، وأحرقت الأرض، وخربت الحياة بأيدينا نحن البشر . إن الحياة شراكة بيننا وبين كائنات كثيرة ، نتقاسم حلوهــا ومرهــا ، ونتبادل المصالح فيمــا بيننا لنعيش فيها ما شــاء الله في سلام وإخاء، ومودة وصداقة وسعادة ، ثم نعود إلى حيث يجب أن نعود جميعاً ، إلى التراب الذي خلقنا منه لنعود إليه، كل محاسب على عمله ، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر) [١] .

وقول المؤلف في النَّص أعلاه : (إن من في الأرض من بني البشر هم أهل قربى...) يُنَــافي رابطة العقيدة الإسلامية ، التي تُعَدّ فوق جميع الروابط من نَسَب ودَم ، ولا عبْرة بالانتســاب إلى آدم عليه السلام ، فالذي خلق آدمٍ وذُرّيته هو الذي حَدَّد رابطَة العقيدةِ ، فيقول جَلّ في عُلاه : [**لا تَجدُ قَوْمًا يُؤْمنُونَ باللّه وَالْيَوْم الآخر يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللّه وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إخْوَانَهُمْ أَوْ عَشيرَتَهُمْ**]. [٢] ويقول سبحانه [**يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخذُوا آبَاءَكُمْ وَإخْوَانَكُمْ أَوْليَاءَ إن اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإيمَان وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ منْكُمْ فَأُولَئكَ هُمُ الظَّالمُونَ**]. [٣] ويقول تعالى [**يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْليَاءَ تُلْقُونَ إلَيْهمْ بالْمَوَدَّة وَقَدْ كَفَرُوا بمَا جَاءَكُمْ منَ الْحَقِّ**] [٤] . ويقــول تعالى [**إنَّمَا الْمُؤْمنُونَ إخْوَةٌ**] [٥] ويقول تعــالى [**فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بنعْمَته إخْوَانًا**] [٦] .

ثالثاً : التعليقات التفصيلية :

١.تمهيد : التزمت في هــذه التعليقات الطريقة التي سار عليهــا المؤلف ، فهو يضع العنــوان الجانبي، ثم يكتب تحته ما يُنَاسبه .فعنــد التعليق على موضوع من موضوعات كتابه أقوم بإثبات العنوان الجانبي الذي أثبته المؤلِّف ، ثم أَدْرِج من كلامه ما يحتاج إلى تعليــق ، ومن ثَــمَّ أبدأ في التعليق . وقد طالت بعض النصوص المنقولة من كلام المؤلف

---

(١) نساء بلا قيود ، ص٦ (ابن معبِّر) . وهذه الأقوال نص عليها القرآن الكريم والسنة النبوية ، والمشكلة في سلوكياتنا وعدم استقامتنا على منهج الله وفهم مصادر ديننا فهماً صحيحاً ، وإذا فعلنا ذلك فسوف نكون قدوة حسنة لغيرنا (ابن جريس) .

(٢) سورة المجادلة ، آية ٢٢ . (ابن معبِّر) .

(٣) سورة التوبة ، آية ٢٣ . (ابن معبِّر) .

(٤) سورة الممتحنة ، آية ١ . (ابن معبِّر) .

(٥) سورة الحجرات ، آية (ابن معبِّر) .

(٦) سورة آل عمران ، آية ١٠٣ . (ابن معبِّر) .

في بعض الموضوعات ، ويعود ذلك إلى سببين: (أ) عدم تشتيت ذهن القارئ حين أحيله على كتاب المؤلف : (نساء بلا قيود ... نساء بلا حدود) أثناء التعليق ، فقد لا يكون الكتاب بين يديه ، أو لم يقرأه أصلاً . (ب) وجود نصوص رائعة ، وهي تستحق الإظهار، وإمتاع القارئ بقراءتها . **٢ـ صورة الغلاف :** تعود صورة الغلاف إلى عام(١٩٧٧م) ، حيث نشرت في كتاب وثائقي بعنوان المملكة العربية السعودية. نشرته Satecy International ويتم نشرها بموافقة الناشر. وهي صورة معبرة للغاية، وتعكس نوعية مظهر المرأة وملابسها التي كانت تلبسها قبل عدة عقود. وتعد الصورة وثيقة تاريخية مميزة تعكس فترة زمنية مهمة من تاريخ الجنوب، الذي يمثل جزءاً من تاريخ التحول الكبير في المملكة العربية السعودية التي شهدت تطوراً سريعاً وانتقالاً كبيراً من حالة اجتماعية تقليدية إلى مجتمع متمدّن ضمن إطار الدولة الحديثة ومؤسساتها المختلفة. وقد تم تصميم الغلاف باللون الأسود الذي يمثل العباءة السوداء التي تلبسها المرأة، بينما تمثل الصورة نافذة مفتوحة على عالم النساء في الجنوب .

يمُثَل الكلام أعلاه قراءة المؤلف لصورة غلاف كتابه . وتُعَدُّ الصُّورة – بالفعل – ذات دلالة في زمنها ، ولكنها لا تحمل الدّلالة المكانية للجنوب السعودي كلّه ، فهي تُمَثِّل بعض جهات منطقة عسير .ومع مزيد من التَّمَعُّن في وجْهَي المرأتين ، نجد أنّ قطار الشَّباب قد جاوزهما ، وبذلك تفقد الصُّورة دلالتها التي يريدها المؤلف ، سوى دلالة كشف الوجه .ولكن لماذا أهمل المؤلف صُوراً في الجنوب السعودي قبل سنة (١٣٩٧هـ) ، وقد ظهر فيها النساء محجبات الأوجه .وبمزيد من القراءة للصُّورة يَتَبَيَّن للناظر أنّ الملابس واسعة وفضفاضة ، بينما نجد البنت الصغيرة تلبس (الكُرْتة) وهي تتميز بضيقها .

٣ـ صلاة الفجر : كتب المؤلف تحت هذا العنوان (٩٣ سَطْراً) منها (٨٢ سطراً) في صفة الصلاة منذ الذهاب إلى المسجد حتى يُسلّم الإمام ، مع الأدعية التي تقال حين الذهاب إلى المسجد ، والتي تقال بعد الصلاة ، إضافة إلى كتابته سورة الفاتحة وسورة الإخلاص . فما هو الجديد ، وماذا يستفيد القارئ ؟؟ وبعد ذلك قال المؤلف: (هذه الصلاة هي الصلاة نفسها التي كان يصلّيها الرسول – ﷺ – وأصحابه ولا تزال تُصلّى في مكة والمدينة. هي الصلاة نفسها التي يصليها أهل الجنوب منذ دخولهم في الإسلام برغبتهم وفطرتهم حتى يومنا هذا. ولم يدخل عليها لا تحريف ولا تبديل ولا زيادة ولا نقصان. وهكذا هو حال الصلوات الخمس التي يصليها أهل الجنوب في الظهر والعصر والمغرب والعشاء إضافة إلى الفجر. بل أكثر من هذا إن أهل الجنوب

يقومــون الليل ويتهجدون ويدخلون في خلوة مــع الله في منازلهم ومساجدهم. وبعضهم يقــوم بالكثير مــن النوافل مثل الصلاة بعد شروق الشمســ (صلاة الضحى)[١]. قلت: أهــل الجنوب يُصَلُّون ، ويَتَحــرَّون الصلاة الصحيحة، إلاّ أنّ بعضهم يقع في الخطأ وهو يعلم أو لا يعلم، وهذا من طبيعة البشر، فما بالك بمن يتساهلون أو يهملون الصلاة، ألم يقــل الله تعالى: [**فَوَيْلٌ للْمُصَلِّينَ (٤) الَّذينَ هُمْ عَنْ صَلاتهمْ سَاهُونَ (٥)**][٢]. ولذلك قال [**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمنينَ**][٣]. وقال المؤلف: (لم يدخل عليها لا تحريف ولا تبديــل ولا زيــادة ولا نقصان) . وهذا من المبالغة، فــكل ذلك يحصل من بعضهم. ومثل هــذه المبالغة في قوله: (أهل الجنوب يقومون الليــل ويتهجدون) . وقد يُقبل ذلك منه في حال إرادته سياق الحالة العامة لأهل الجنوب كمسلمين يحرصون على أداء العبادات.

٤ـ قرآن الفجر: قال المؤلف: (بعد صلاة الفجر يتجه رجال الجنوب وخاصة كبار الســن فيهم إلى نوافذهم للبحث عن ضوء النهار بعــد أن يتناولوا مصاحفهم التي يتم المحافظة عليها في الرفوف الخاصة بها وقد تم تغليفها بالجلد حتى تتم حمايتها من التلف . يبدأ أولئك الرجال بقراءة القرآن الكريم بأصوات جهورية وكأن أصواتهم دوي النحل ، وأنت تسمع البيوت معظم البيوت في الجنوب تقرأ وتجود وترتل القرآن ترتيلاً . القرى الجنوبية في كل صبح تبدأ نهارها بالصلاة والقرآن الكريم والدعاء والاستغفار والتوبة والشكــر والحمــد . تهلل وتكبر وتحمد الله وتدعو للنــاس وللحيوان وللأرض وللعالم كله بالخير والرحمة من الله [**وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا**] (سورة الإسراء ، الآية ٧٨) . إنهم يؤمنون بالله ويتعبدونه بقراءة القرآن في الفجر ، ويتوقعون الأجر من الله . وهــم بقــراءة القرآن ينشدون الفلاح في الدنيا والآخــرة . القراءة الجهرية كانت بهدف إسماع الناس القرآن ، وإسماع الحيوانات والكائنات ، بل وإسماع الأرض والجن وكل المخلوقــات ، حيــث يقول تعالى : [**قُلْ أُوحــيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مــنَ الْجنِّ فَقَالُوا إِنَّــا سَمعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدي إِلَى الرُّشْــد فَآمَنَّا به وَلَنْ نُشْركَ برَبِّنَا أَحَدًا(٢)**] (ســورة الجن ، الآيتــان١ ،٢) . حتى الطيور في الجنوب تزقزق وتغــرد، وتزقر وكأنها تصدح بالدعاء . وكذا الغنم والماعز والبقر والحمير وكل الدواب والكائنات في الجنوب

(١) ص ٢٢ . (ابن معبِّر) .
(٢) سورة الماعون ، آية ٥ . نعم الجهل كان سائداً بين الناس ، ومن ثم فهم يقعون في أخطاء عن غير قصد أثناء ممارسة صلواتهم وعباداتهم الأخرى. وهناك وثائق كثيرة تذكر فقر الحياة العلمية والتعليمية ، مع أنه كان يوجد بعض القراء والمتعلمين الذين يعلمون الناس بعض شرائع الدين (ابن جريس) .
(٣) سورة الذاريات ، آية ٥٥ . (اب معبِّر) .

تبتهـج بالصباح. بـل إن الناس تشعر أن كل المخلوقات تكـبّر وتهلل وتحمد هي الأخـرى [**تُسَبِّـحُ لَـهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِـنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُـونَ تَسْبِيحَهُـمْ إِنَّـهُ كَانَ حَلِيمًـا غَفُـورًا (٤٤)**] (سورة الإسـراء ، الآية ٤٤) . فالديك في الجنوب هو أول من يرفع الأذان في وسط الطيور والحيوانات في القرية ، بل إنه يرافق أصوات المؤذنين ورجال القرية وهم ينادون للصلاة في الفجر ، والبعض منهم يقولـون وهـم في طرقهم إلى المساجد ((الصلاة الصلاة يا عباد الله)) .إنه الجنوب المؤمـن الذي يفخر بسلامـة العقيدة ونقاء المعتقد . حتى الشجـر ، وهو يتنفس ، يشعر الـكل بطهارتـه وعطره وهـو ينشره في الحيـاة ليطيب الجميع ، ويمـلأ الحياة برائحته الزكية وبصلاته ودعائه وتسبيحه . الكل هناك في ذلك المكان يصلي ويتطهر ويعبد الله . الـكل هنـاك لهم حياة لا تشبهها أي حياة فيما سواها . هناك يجتمع الإنسان والأرض والسمـاء والحيـوان والنبـات والمـاء وكل الكائنات حتـى الوحوش في عبـادة الله . أهل الجنـوب لا يعرفون إلا الله في السماء ولا يوجد عندهم أي بدع ولا شركيات ولا خرافات ولا قبور ولا أئمة . فطريون غير متمذهبين وحياتهم لا تسمح لهم بالغلو والتطرف . لأنهم مجتمـع متكافئ يشتركون في الحقوق والواجبات . يعرفون الواجبات الدينية تمام المعرفة ويلتزمـون بهـا ويؤدونها على خير وجه . حتى وهم يأكلـون ويشربون لا يأكلون من أجل أن يشبعـوا ، ولذلـك لا سمنـة فيهم ، فهم مثل نمـور وغزلان تلك الجبـال العالية ، ولكنهم يأكلون من أجل أن يعيشوا أصحاء أقوياء ويصبحوا قادرين على العمل والعبادة)[١] .

قلت : لا يخلو ما كتبه المؤلف تحت عنوان (قرآن الفجر) من المبالغة والمثالية ، ولا يخلو أيضاً من المصداقية ، فهناك من يقرأ القرآن بعد الفجر ، ولكنها ليست قراءة عامة في معظم البيوت . وقول المؤلف : (القراءة الجهرية كانت بهدف إِسْمَاع الناس ... وكل المخلوقـات) فكيف تَسَنَّى له استطلاع هذا الهدف في جميع أنحاء الجنوب[٢] . ولا محلّ لاستشهاده بآيتين من سورة الجن . ثم نقرأ للمؤلف قوله : (أهل الجنوب لا يعرفون إلا الله ...) . هذا (النَّفْي المطلق) لا يتوافق مع الواقع بشكل دقيق ، فالبدع، والشِّركيات، والخرافـات ، والقبوريات ، والاستعانـة بالسحرة والمشعوذين ، والحلف بغير الله ، كانت

---

(١) ص٢٣ . (ابن معبِّر) . نعم يا دكتور علي هذه الحياة القديمة عند الآباء والأجداد كانت جميلة بكل معانيها ، بل كانوا يسعون إلى الفضيلة في أقوالهم وأفعالهم ، واليوم مازال الناس في خير ، لكن أمراضهم زادت في شتى الميادين . (ابن جريس) .

(٢) أعتقد أن ابن موسى يقصد الفضيلة والخيرية كانت عامة بين الناس ، وأنا متأكد أنه يدرك أن المجتمع لا يخلو من المقصرين ، لكنه قال ذلك لحبه وإعجابه بحياة الأوائل من أهل الجنوب (ابن جريس) .

منتشرة في جميع أرجاء الجنوب . ونَفْيُ التَّمذهب في الجنوب (الباحة ، جازان ، عسير ، نجران) لا تقوم به حجة عند المؤلف ، فهو يرسل الكلام إرسالاً ، فالجنوب لا يختلف عن العالم الإسلامي من حيث التمذهب بمذهب مُعَيّن ، إضافة إلى وجود الفرَق الباطنية ، والطُّرق الصّوفية[(١)] . والمؤلف ـ نفسه ـ يذكر في صفحة (٣٠٦) مذهب الشافعي كمذهب لأهل الجنوب . ويدل هذا التناقض على عدم دقة المؤلف في أحكامه ، وأنّه لا يكلف نفسه عناء البحث ، ويكتفي بمجرد كتابة ما يخطر له . ويقول المؤلف عن أهل الجنوب: (يعرفون الواجبات الدينية تمام المعرفة ويلتزمون بها ويؤدونها على خير وجه) . ولا أدري كيف تمكن المؤلف من استقصاء أحوال أهل الجنوب في عباداتهم ، ثم يصدر حكماً عاماً لا يستثني منهم أحداً . فهناك البعض ـ وهم قلّة ـ لا يعرفون الصلاة والصوم، وإنْ عرفوا ذلك قاموا به على نَقْص .وقول المؤلف (الواجبات الدينية) تعبير خاطئ عن (العبادات) ، فحياة المسلم حسب الشريعة تنقسم إلى عبادات، ومعاملات .

٥ـ القروع[(٢)]**:** وجبة الإفطار ، وتُنطق بفتح القاف أو ضمها .وتقال أيضاً: القُرَاعة .قال المؤلف : (إشعال النار في الموقد أو الميفى أو الموسم أو التَّنُّور، وجميعها مواقد) . قلت : حبذا لو حذف كلمة (الموقد) واكتفى بتعريفها في قوله (وجميعها مواقد) . وقد عُرف الميفى منذ العصر العباسي ، وورد ذكر التنور في القرآن . أما المُوَسَّم فلا أعلم تاريخه واشتقاقه ، إلاّ أنهم يضبطونه بضم الميم وفتح الواو وفتح السين مع الشَّدَّة . ويغلب عليهم ـ في عسير ـ تأنيث التَّنُّور ويُضاف إلى (الملَهَب) كاسم للمطبخ (المِسْقَف) وسمي بالمسقف لأنه يكون في أعلى المنزل ، وسقفه أعلى السقوف[(٣)] .

٦ـ الاستعداد للعمل[(٤)]**:** تحدّث المؤلف عن (السَّفَالي وهي الغرف التي في الدور الأرضي، المُعَدَّة لمبيت الماشية ومفردها : سفْلي ، وسفْل ، والفصيح ضم السين . ويضاف إلى السَّفالي كلمة مُرَادفة هي (الرِّيشَة) وجمعها : رِيَش .

٧ـ الحَوْش أو الزَّريبة[(٥)]**:** الحَوْش: فناء المنزل ، ويقال له أيضاً : (الحَوي) أو (الحَصِير) .الزَّرِيبة : مكان للمواشي يُسوّر بالشجيرات أو الحطب ، ويقال له أيضاً:

---

(١) الفرق الباطنية وغيرها من التيارات في جنوبي البلاد السعودية من الموضوعات التي لم تدرس ونأمل من أقسام التاريخ والشريعة في جامعات الجنوب دراسة مثل هذه المواضيع المهمة (ابن جريس) .

(٢) ص٢٨ . (ابن معبِّر) .

(٣) حبذا أن نرى الأستاذ ابن معبِّر أو غيره فيدرسوا المفردات المحلية لأدوات الطعام والشراب ،واللباس والزينة، والزراعة ، والتجارة ، والحرف والصناعات التقليدية ، والتعليم وغيرها . (ابن جريس) .

(٤) ص٢٩ . (ابن معبِّر) .

(٥) ص٣٠ . (ابن معبِّر) .

الزَّرْبَة ، والزَّرْبَة أكثر دوراناً على الألسنة . والقُرَاش، بضم القاف، جمع : قَارِشَة .

٨ـ الثَّـور[١]**:** قـال المؤلف: (ويتم خرص الثور في أذنـه حيث يوضع له رباط بحيث يتـم اقتيـاده بأذنه) . قلت : الذي أعرفه هو خَزْم الثور ، وذلـك بثقب أنفه لا أذنه[٢]. وقال المؤلف: (لقد كان المزارعون يخلعون أحذيتهم ويضعونها في أطراف المزارع مثلما يخلعونهـا حين يدخلون منازلهـم ومساجدهم تقديراً واحترامـاً وتقديساً لها) .قلت : يغلـب عليهم عـدم لبس الحذاء ، فجميع الطرق المؤديـة إلى المزارع خالية من الحصى والأشـواك ونحـو ذلك ، وكما يقال: مِثْـل الكفّ [٣]. وليس خلعهـم لأخذيتهم للتقدير أو الاحترام أو التقديس ، وإنّما يخشون من الضرر الذي قد يلحق بالأحذية ، ولا سيما إذا كان طين المزرعة مُبْتَلاًّ .

٩ـ الرِّجَال : قال المؤلف: (ينطلق المُزَارع إلى مزرعته إما ليحرث أو ليسقي أو يطوف البلاد ، بمعنى يتفقدها ويلقي عليها النظر أو يطرد الطيور أو الحيوانات من المزارع)[٤]. البِلاَد: جمع لا واحد له، والمراد بها المزارع وتسمى الواحدة: (عَاسَ) أو (رَكِيب) أو (حَبَل) أو (غُفَار) أو (جِزْعة)[٥].

١٠ـ النسـاء : قـال المؤلف: (ثم يتجه البعض الآخر منهنّ إما للحطب من الجبال، ومـن ((الأصـدار)) وهي بطون الجبـال العالية)[٦] .لو قال: للاحْتِطَـاب، فهي أدَقّ . أمـا تعريفه للأَصْدَار ببطون الجبال العاليـة، فهذا يخالف الواقع ، فالأصدار ومفردها ((صَدْر)) تعني الأماكن القريبة من أعلى الجبال ، ويمتد الصَّدر منْ أعلى الجبل إلى نحو (٥٠٠م) في اتجاه النُّزُول ، وبطون الجبال ما بين الأصدار وأسافل الجبال[٧] .

---

(١) ص ٣٢ . (ابن معبِّر) .

(٢) الغالب أنه يخزم الثور في أذنه ، وهذا ما شاهدته منذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) في سروات غامد وزهران ورجـال الحجـر ومـا جاورهـا . ولم أشهد في تلـك النواحي من يخـزم الثور أو غـيره في الأنف .(ابن جريس) .

(٣) هذا الكلام مبالغ فيه ، وإنما الطرقات مليئة بالأحجار والأتربة وغيرها .(ابن جريس) .

(٤) ص ٤٦ . (ابن معبِّر) .

(٥) المصطلحات اللغوية المحلية في عموم جنوبي البلاد السعودية منذ بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى العقود الأولى من هذا القرن جديرة بالبحث والدراسة . حبذا أن نرى أحد أساتذة اللغة في جامعة الملك خالد فيعكف على دراستها (ابن جريس) .

(٦) ص ٤٨ . (ابن معبِّر) .

(٧) الذي عرفه الناس أن الأصدار هي السفوح الغربية لجبال السروات ، وما ذكره ابن معبِّر أيضاً صحيح . (ابن جريس).

١١ـ الظهـيرة، وأذان الظهـر: وضـع المؤلف (الظهـيرة)[١] كعنوان تحـدث فيه بنحو (١٣) سطراً ، ثم أتبعه بعنوان آخر هو (أذان الظهر) . فليته جمعهما تحت عنوان واحد.

١٢ـ العَشيَّـة : ذكرهــا المؤلف بأنهــا العودة إلى ممارسة الأعمــال بعد الزوال[٢]. قلـت: مــا ذكَره عن وقـت العودة بأنه بعد الــزوال نتفق عليه ، أمــا (العَشيّة) فهي بعد العصر . وبعضهم يسمي هذه العودة إلى الأعمال (النَّشْرَة) بالفتح أو الضم أو الكسر للنــون مـع التشديد ؛ فيقال: نَشَرَ فلان ، أي ذهب إلى عملـه ـ أيّاً كان ـ منذ وقت الزوال إلى العصر. وهي غير (البُرْهَةَ) التي تكون في الصباح .

١٣ـ الحِمية للمَزَارِع[٣] **:** قال المؤلف : (تبدأ السنابل والعذوق في الظهور ، وتبدأ معها مرحلـة أخرى هي مرحلة (الحمية) للزرع . أو مراقبة المزارع من الطيور والحيوانات، وأحيانــاً من بعض المــارة ممن يهيمون بين القرى والذين قد يعتــدون على المزارع ليلاً . فيتـم بنــاء (عشة) للوقاية من الشمس والمطر ، وتكون مقــراً للحامي ، وهي غالباً من العيـدان ، ومــن الأشجار الصغـيرة ، وتغطى بالشجـر والحشائش ، وقـد تهدم بنهاية الموسـم ، ليتم بنــاء أخرى في الموسم القادم . وفي الليل يوجد من يراقب المزارع أحياناً ، أمــا في النهــار فيكون في المزرعة من يحميهــا ، ويستخدم أدوات عـدة منها (الخيال) وهــو علــى شكل هيكل لإنسان ، عبــارة عن ثوب توضع بداخله عيـدان وكأنه رجل واقف لإخافــة الطيــور . وأيضــاً يتم استخـدام (المرجمة) وهي عبارة عــن كف محبوك من صناعــة المزارع وتوضع فيها الحجــارة ولها طرفان طويلان ويقــوم الحامي للزرع بلف المرجمة وفيها الحجر فوق رأسه ثم يفلت أحد أطرافها لينطلق الحجر باتجاه الطيور أو الحيوانات التي قد تأتي على الزروع . وأحياناً يستخدم الحامي للزرع (المفقاع) ، وهو عبــارة عن حبال صغيرة من القماش مضفــورة ، وفي طرفها مثل (الفتيلة) المفكوكة ، وفي الطرف الآخر للضفيرة خشبة أو عصا صغيرة للمسك باليد. ويديرها الحامي حول رأســه بسرعة عدة مرات ثم يعكسها بسرعة لتعطي صوتــاً مدوياً كأنه إطلاق رصاص من بندقية لطرد الطيور)[٤]. أمّا (السنابل) فهي تختص بنبات البُرّ – أي القمح – ،

(١) ص ٥٢ . (ابن معبِّر) .
(٢) ص٥٥ . (ابن معبِّر) .
(٣) أشكـر الدكتـور ابـن موسـى علـى هـذا الرصـد الـذي عرفنـاه في أيـام شبابنـا مـع أهلنـا وأقاربنـا . ومثـل هذه المعلومـات انقرضـت، ولم نعـد نراها تمارس، وأبنائنا وأحفادنا لا يعرفـون عنها أي شيء والواجـب على الباحثين أن يحفظـوا مثـل هـذا التراث ، ومازال هنــاك الشيء الكثير الذي لم يدون وسوف يضيـع إذا لم يُسجل ويُحفظ. (ابن جريس).
(٤) ص ٦٨. (ابن معبِّر) .

والشَّعـير .وهو يريد (بالعذوق) ثمر نبات الذُّرة، وهو ما يسمى في بعض جهات عسير (المَطْـوَ) .ويضاف إلى اسم (الخَيَـال) تسمية أخرى شائعة ، هي (تهْيَابَة) . وللمِرْجَمة اسم آخر هو: (المِيضَافَة) . وللمِفْقَاع اسم آخر هو: (المِخْرَاق)[1] .

١٤ـ الجـرن والدوس[2]**:** قـال المؤلف: (ويتم نقـل الزَّرْع أيضاً حسـب الكمية إمّا بالجمـال أو الحمير وغالباً تقـوم النساء بحمل الزَّرع إلى الجرن) . قلت: الزَّرْع لا يُنقل ، فالزّرع اسم للأرض المحاطة بسور، يقال: زَرْعُ كذا ، وقد يعنون بذلك الأرض والنبات معـاً. أمـا الذي يُنقل فهو (النَّبَـات) أو (المَحْصُول) من بُـرٍّ أو ذُرَة أو شعير .والنساء يُشاركـن في نقـل النبـات من الـزَّرْع إلى الجرين ، ويمكـن ترتيب نَقَلَة النبـات هكذا : الحمـير ، ثم الجِمَال ، ثم الرجـال والنساء والأطفال ، وتتقدم الجِمَال على الجميع إذا كان المحصـول مـن الذُّرَة لطول سيقان الذُّرَة . ثم قال المؤلـف: (وتُسَمَّى هذه العملية : الدّويسة) . قلت: الأشهر: الدَّويس[3] .

١٥ـ الـذراة[4]**:** تضبـط الكلمة هكذا: الذِّرَاة. ويقـال أيضاً الذِّرَّى .قال المؤلف عن الكَسَّابـة: (وقـد تَجمّع كثير من النّاس الذين يأتون مـن مناطق بعيدة، ولا توجد لديهم مزارع، ويسمون ((متكسبين)) أو كسابة) .قلت: (الكَسَّابَة) الكلمة الشائعة ، ومفردها (كَسَّاب) . ويحدث خلال استلامهم الحبوب التَّنَافس الشديد بين الكَسّابة ، ويتضجرون حين يزيد عددهم؛ لأن ذلك يؤدي إلى نقص الكميـة لكل واحد منهم، ولذلك جرى المثل (الكَسَّاب غَمَّة الكَسَّاب) وأصبح يقال للمتنافسين على الشيء أيّاً كان[5] .

١٦ـ الصناعة: قال المؤلف:(والحزام تحتزم به المرأة ويسمى أحياناً رشرش، وهو عبـارة عن حزام غالباً من الفضة)[6] .قلت الـذي يسمي (الرَّشرش) هو القلادة ذات الطبقات من الذهب ، ويُعَلّق في الرقبة ، ويَنْسَدِل على صدر المرأة .

---

(١) كان على الأستاذ ابن معبِّر إضافة بعض التعليقات التفصيلية على ما أورده ابن موسى في السطور السابقة . (ابن جريس) .

(٢) ص ٧٠ . (ابن معبِّر) .

(٣) أكرر شكري لابن موسى ، وآمل أن يواصل بعض دراساته في موروث الآباء والأجداد في منطقة عسير وما حولها. (ابن جريس) .

(٤) ص٧٢ . (ابن معبِّر) .

(٥) كنا نشاهد هؤلاء الكسابة الذين يأتون من شرق السروات أو من تهامة ، وأحياناً من بعض البلاد والقرى المتجاورة في منطقة عسير وما حولها . (ابن جريس) .

(٦) ص ٧٨ . (ابن معبِّر) وهذا الحزام تلبسه النساء في المناسبات مثل الزواج والأعياد وغيرها ، أما أوقات العمل فإنهن يلبسن حزاماً من القماش أو حبال المرخ . (ابن جريس) .

١٧ـ الرَّعْي : قال المؤلف: (رعي الأغنام يُسَمّى ((المسرح)) والسارح هو الرَّاعي، والرعي من أهم الأعمال في القرى الجنوبية ، ويعدُّ الرَّعي بالغنم والضأن وجميع المواشي من جمال وأبقار وحمير من أهم الوظائف التي يقوم بها أهل القرى الجنوبية)[١] . قلت: الرَّعي هو الاسم العام لعملية إخراج المواشي إلى المراعي ، ويطلق على القائم بذلك (الرَّاعي) وهذا هو الأصل اللغوي المعروف، وقد تستعار لفظة (الرّاعي) فتطلق على ربُّ الأسرة ، والحاكم ، والمتعهد للشيء بالحفظ والرعاية .أما (سَرَح) فهي بمعنى خرج لأداء أيّ عمل ، ومن هذه الأعمال (رَعْي المواشي) . أما (المَسْرَح) فتطلق على عملية الخروج بالمواشي إلى أماكن الرَّعي ، أو على الخروج لأداء أيّ عمل أو السفر، كما تُطلق على الأرض الفضاء ، سواء كان بها مرعى أم غير ذلك .ولفظة (السَّارح) لا تختص بالرّاعي فحسب ، بل تشمل كل من يخرج لأداء عمل ، أو مجرد الخروج فقط. والمؤلف يجمع بين الغنم والضأن ، ويكفيه إيراد الفظة (الغنم) فهي تشمل الضأن والمَعز . وأورد المؤلف (الجمال، والأبقار ، والحمير) كمواش يتم إخراجها إلى المراعي. أما الجمال والبقر فلا يتم إخراجها إلى المراعي إلاّ إذا كانت كثيرة العدد ، ولا سيما الجمال عند أهل البادية ، والبقر في تهامة . أمّا المعروف في منطقة عسير السَّرَويَّة ، فإنّه يتم إطعام الجمال والبقر عن طريق (التَّلْقيم) حيث تؤخذ أعواد نبات (الذُّرة) ويكسر العود الواحد إلى عدة أجزاء ، ويصل طول الجزء إلى ما بين (٢٠ — ٢٥سم) ، ثم تؤخذ بضعة أعواد ويُلَفُّ عليها شيئ من البرسيم (القَضْب) ثم يُدَفَعُ بها إلى فم الجمل أو الثور[٢] . كما يتم وضع بعض التِّبْن أو البرسيم في مذاود (جمع مِذْود) فتأكل منها الجمال والبقر وغيرها. عندما يريدون زيادة إدْرَار البقر للحليب ، فإنهم يصنعون لها (الرِّوَاكَة) وهي خليط بقايا (العصيدة) والخبز ، ويضاف إليهما الماء والملح[٣].

---

(١) ص٨١ . (ابن معبِّر) ومهنة الرعي من المهن الرئيسية في جنوبي البلاد السعودية ، ويستحق هذا الموضوع أن يدرس في بحوث وكتب ورسائل عديدة. للمزيد انظر ،غيثان بن جريس. عسير (١١٠٠ـ١٤٠٠هـ) (جدة: دار البلاد ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م) ، ص ١٢١ وما بعدها . (ابن جريس) .

(٢) هناك أناس يرسلون أبقارهم وجمالهم إلى بعض الأحمية القريبة منهم ، أو إلى بعض البوادي أو مناطق الأصدار، ويتابعون سيرها كل عدة أيام وهذا ما عرفته وشاهدته في بلاد رجال الحجر وبعض بلاد السراة من النماص إلى الباحة خلال العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) . (ابن جريس) .

(٣) من على صفحات هذا الكتاب (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) أشكر الأخوين الكريمين الدكتور علي ابن عبد الله بن موسى ، والأستاذ محمد بن أحمد بن معبِّر على تدوين مثل هذه المعلومات التي تعكس صورة حضارية من حياة الآباء والأجداد ، وأقول لهما ولغيرهما من الباحثين الجادين اجتهدوا واعملوا على حفظ موروثنا التاريخي والحضاري وبخاصة ما عرفتموه ومارستموه مع آبائكم وأجدادكم ، والله الموفق . (ابن جريس).

أمـا الحمير فلا يتم إخراجها إلى المراعي ، وإنما تأكل ما تجده من أعشاب في القرية ، أو ما يحضّر لها في المذاود مثل بقية المواشي .

١٨ـ الاستقاء : قال المؤلف : (ثـم يوضـع ((الشنق)) وهو عبـارة عن حزام مصنـوع من سعف النخل، وكل امرأة لديها شنقان تضـع ظهرها على القربة ثم تدخل يدهـا في الشنـف من اليمين ثم الشنق من اليسار ، وتهـم بحمل القربة ، وهناك أماكن تستريـح فيها النساء وقوفـاً والقرب على ظهورهــن ، ولكنهن يسنــدن ظهورهن وقوفاً ويسمـى: المنتسـم)[١]. قلت: التَّسْميـة المعروفة (الشِّناق) وهي مـن شَنَقَ الشيء ، إذا رَفَعَـه وعَلّقـه . وتَشَنَّقت المرأة القِرْبـة ، إذا عَلَّقَتْهَا على ظهرهـا بالشِّنَاقين . والشِّنَاق : رباط دائري الشكل ، طول دائرته (١٤٠) سم تقريباً ، وعرضه في نحو (٨) سم تقريباً ، يصنـع من السعف ، وإطاره من الجلـد أو القماش. أما صفة استعماله ، فيكون بوضع القِرْبـة علـى مكان مرتفع بجوار نبع الماء بعد ملئها بالماء وربط فمها ، ثم بوضع الشِّنَاق الأَول مما يلي طرف القربة ، ويوضع الثاني مما يلي الطرف الآخر منها ، أي أن الشِّنَاق يبعـد عـن طرف القربة بنحـو (١٥ إلى ٢٠) سم، ثم تقوم المـرأة بالاستدارة ، وتجعل ظهرها على القربة ، والقربة في الوضع الأفقي ، ثم تدخل يدها اليمنى في الشِّنَاق لتعلقه علـى كتفها ، ومثل ذلك لليسـرى ، ثم تنهض بالقربة، وهذه العمليـة تؤدي إلى تخفيف الحِمْـل ، وتساعـد على السير به لمسافـات طويلة . وإذا تعبت المـرأة لجأت إلى صخرة ونحوهـا ، وأسندت حملهـا إلى هذه الصخرة لبرهة من الوقت لتستريح أو تَتَنَسّم . وفي اللغة:(النَّسَمُ والنَّسَمَة : نَفَسُ الروح ، وما بها نَسَمَة أي نَفَس . وتَنَسَّم : تَنَفَّس)[٢].

١٩ـ الخبـز : قـال المؤلف: (عندما يحين موعد الخبـز لأي وجبة كانت المرأة تتجه إلى (الميفـى) التنور الذي توقد فيه النـار ، وتجهزه للخبز ولإعداد الطعام . حيث تقوم بوضع الحطب في الميفى ، وقد تستخدم الجمر في إشعال النار وخاصة أن عيدان الثقاب أو الكبريـت لم تكن متوفـرة ، بل كان الناس يتبادلون نقل الجمـر من منـزل إلى آخر . وأحيانـاً تستخدم الحجـارة في إشعال النار . وبينما النار تشتعـل في الميفى تتجه المرأة إلى أخـذ الكمية المطلوبة من الدقيق وتبدأ (بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم بارك لنا فيمـا أعطيـت) ، ثم تضعه في إناء من الخشب ، وتبـدأ في سكب الماء على الدقيق رويداً

---

(١) ص٩٠ . (ابن معبِّر) هذا ما عرفته منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، بل نحن عندما كنا شباباً مارسنا حمل المياه على ظهورنا ، وهناك من كان يحمل مياه الشرب والسقيا على الحمير . (ابن جريس) .

(٢) لسان العرب (نسم) . (ابن معبِّر) .

رويـداً حتى تشكل العجينة ، ثم تقوم بدعكهـا بيدها وعجنها مرات ومرات حتى تصبح جاهـزة للتقطيـع . عندها يتم قطـع العجينة إلى عدة قطع متساويـة ، ثم تقوم بفردها لتأخـذ شـكل قرص . تعود المرأة للميفى الذي يكون قـد أصبح حاراً بما فيه الكفاية. ثم تقوم بنقل النار إلى خارج الميفى لاستخدامها لاحقاً ، يلي ذلك تنظيف الميفى ، ومسحه بقطعة قماش تسمى (لحاحة) للتأكد من خلوه من العجاج الناتج من احتراق الحطب . بعدها تقوم بوضع الأقراص في الميفى واحداً بعد الآخر حتى ينتهي قرص الخبز . تتأكد من أن الخبز قد التصق بالميفى ، وأنه لن يسقط لتبدأ مهمة أخرى، هي إعداد القهوة. تأخـذ المـرأة النار المتوفـرة من الميفى وتضعهـا في (الصلل) الذي يجتمـع حوله جميع أفراد الأسرة في مكان هو عبارة عن جلسة العائلة . تضع الدلة في النار حتى تغلي المياه في داخلهـا ، وتكون قد أعدت القهوة ، أو تكون القهوة معدة سابقاً، حيث يتم (حمسها) في النـار ، ثم بعـد ذلك يتم طحنها في (الهاون أو المهراسـ) ، ويتم دقها حتى تصبح دقيقـة وجاهـزة لوضعها في الدلة المصنوعة من النحاس ، ويتـم إضافة بعض الحوائج كمـا يسمونهـا في الجنوب على القهوة مثل النخوة والزنجبيـل. الحوار. والهيل إن توفر وغـيره من الأشياء التـي تضيف مذاقاً خاصـاً على القهوة . وبعـد أن تصبح الأقراص جاهزة يتم ((قشطها)) من الميفى ووضعها في آنية مصنوعة من سعف النخيل تسمى (المنسف) أو (المشهفة) لتبريدها أيضاً لتحضيرها لم يأكل ، أو استعداداً لوضعها في (الجونة) ، وهي عبارة عن إناء مصنوع من سعف النخيل ، وتكون له فوهة كبيرة يغطى بغطـاء على شكل قبعة . وهذه الجونة بأحجام مختلفـة)[1]. (المِيفَى) أو (الميفا) من الألفاظ المعروفة في العهد العباسي، وقد شرح المؤلف لفظة (الميفَى) بلفظة (التَّنُّور) والغالب في منطقة عسير تأنيث التَّنُّور الذي يوجد في (المِسْقَف) أو (المَلْهب) وكلاهما اسـم للمطبخ ، ويكون في المطبخ مجموعة من التَّنَانـير الثَابتة في جانب من المطبخ .أمّا التَّنُّور المنفصل الذي يمكن نقله من مكان إلى آخر ، فيغلب عليه التَّذكير، ويُسَمَّى أيضاً (الميفـى). وليس كُلّ امرأة تنطق بالدعاء (بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم بارك لنا فيمـا أعطيـت) فالغالب قولها (بسم الله) فحسب . وتُسَمَّى (اللِّحَاحَة) أيضاً : مَلَحَّة. ويُسَمّـى (الهـاون أو المهراس) : مُفْـرَاز ، وتُسَمّى اليد التي يُدَقُّ بهـا : وَدِي .ويُسمَّى ما

---

(١) ص٩٢ . (ابن معبِّر) . سرد جميل يا دكتور علي ، لكن ليس كل الناس يعدون خبزهم في الميفى ، وإنما هناك من يعمل خبز الملة الذي يدفن تحت الرماد والجمر ، وآخرون وهم كثيرون يعملون أقراص الخبز في الصاج الحديدي الذي يوضع فوق النار ، ويوضع عليه العجين حتى يستوي الوجه الملاصق للصاج ثم يقلب على الوجه الآخر ، وهكذا . (ابن جريس) .

يُضـاف على القهوة من نخـوة وزنجبيل ونحوهما : حُوَاجة . أما شكل غطاء (الجُونَة) فهو على الشكل المخروطي ، وليس على شكل القُبّعة .

٢٠ـ الأطعمـة : قـال المؤلف:(أمـا العصيدة) فهي دائماً حاضـرة في الغداء وفي العشـاء. وخاصـة مـع اللبن ومع المـرق . وهي عبارة عـن دقيق يخلط بالمـاء الساخن ، ويعصد في الإناء فوق النار حتى يصبح جاهزاً للأكل . ويتم تحضيرها أيضاً مع السمن ومع العسل ، ومع اللبن والمرق حيث يفتجي من يأكل العصيدة . والافتجاء يعني أن يقطع جزءاً من العصيدة ويقوم بتكويرها بين أصابعه الثلاثة (الإبهام ، والسبابة ، والوسطى) ، ثـم يضـع إصبعه الإبهام في وسـط العصيدة المكورة ، ويكوّن بهـا حفرة في النصف ليملأهـا بالمـرق ، أو اللبن ثـم يأكلها)[١]. قلت : أخـذوا الإفْتِجَاء مـن (الفَجْوَة) ، لأن الآكل يقـوم بعد تكوير القطعة من العَصيدة بعمل فَجْـوَة فيهاً . وهنـاك لفظة أخرى لها نفسـ الدلالة ، وهي (الفَقْوة) ، وهي قَطعة من العَصيد يُكَوِّرها الآكل في يده ، ثم يُدْخل إبهامـه فيها لتُصْبح مُقَـوَّرة ، أو مُجَوَّفة ، ثم يغمسهَا في المَـرَق ، فيمتلئ جوف الفَقْوة ، ويرفعهـا إلى فَمـه .ولعلهم أخذوها من : (الفَقْء : نَقْرٌ في حجر يجتمع فيه الماء . وقيل : هو كالحفرة في وَسط الحَرَّة)[٢].

٢١ـ آداب الطعـام : قال المؤلف : (قوموا قـام حظكم ... وسمّوا بالرحمن .كل أكل وشـرب يذكر اسـم الله عليه قبل أكلـه ، ويحمد الله عليه بعـد الأكل في الجنوب مرات ومرات ، حتى وهم يقضمون الحب ، ويعتلكون البر (القمح) البلدي يسمّون ويدعون الله بالبركـة. هناك نظام متبع في الجنوب عنـد الطعام حيث يقول صاحب البيت للضيفان قومـوا قام حظكم ، ويبدأ الجميع بالغسيل ، وهذا يسمى (الرحوض) أو (الرحاض) ، وهـو عبـارة عن إناء يتم سكب الماء منه على يد من يغسـل يديه ، ويكون هنـاك إناء ثان تسقط فيه المياه الناتجة عن الغسل . وبعد أن ينتهي الجميع من الغسل يبدأون بسم الله الرحمن الرحيم ، وغالباً الكبير هو من يبدأ باسم الله يليه أهل بيته في الأكل ، وإذا كان هنـاك ضيف فيقول لهـم صاحب البيت المضيف وهو يدعوهم لـلأكل سموا بالرحمن . ليبدأ الضيوف بسم الله الرحمن الرحيم ، وأهل الجنوب لا يجلسون مع الضيف تقديراً

---

(١) صـ٩٤ . (ابن معبِّر) أشكرك يـا ابن موسى على هذا التدوين . وحبذا أن نراك أو غيرك من الأساتذة الباحثين في منطقة عسير فتدرسوا تاريخ الطعام والشراب في هذه البلاد خلال القرون الماضية المتأخرة ، وهذا العنوان من الموضوعات الجديدة والجديرة بالدراسة . (ابن جريس) .

(٢) اللسان (فقأ) . (ابن معبِّر) كما أشكرك يا ابن معبر ، وأرجو أن تدرس المفردات الخاصة بالطعام والشراب ثم تذكر أصولها في مصادر اللغة العربية . (ابن جريس) .

لـه . ويتركونه وحـده أو وحدهم إن كانوا مجموعة[١] . وقد يدخـل عليهم صاحب البيت فيقطـع لهم ويجبرهـم على الأكل . وقد درجت العادة في الجنـوب أن الضيوف أيضاً لا يأكلـون بشراهـة ويقومون عندما يقوم كبيرهم الذي قـدر متى يقومون من على الأكل . وطبعاً يراعى في ذلك وجود آخرين يمكن أن يلحقوا بتلك المائدة ، ويأكلوا منها . أو توزع على بعض من يرون لهم حقوقاً سواء من أهل القرية أو غيرهم . وبعض الضيوف يقوم بعدما (يدنونه) أهل المنـزل على الضيفة أو المائدة ، ومعنى يدنونه يجلسونه على المائدة. وعندمـا يغلق البـاب على الضيف يأخذ بعض الطعام ويعزلـه جانباً لأهل البيت خاصة إذا كان معـه مجموعـة ، والوجبة من اللحم . ومن هذه الآداب أن يحمد الله الناس بعد الأكل ، فعندمـا يعزمهم صاحب البيت على الأكل يقولون الحمد لله ، أكلنا ، الله يغنيكم بغناتـه ، ويكرمكم بطاعتـه . شيء طيب والله ما (وديناه) يعني مـا استحينا من الأكل (أي أننا أكلنا كفايتنا منه) ، بينما النواميس تقضي باحترام الموائد ، وبالتالي يصاحب تلـك الموائد الدعـاء والشكر لله على نعمه[٢] . ثم يتم الغسل مرة ثانية حيث يكون هناك مـن يسكب الماء بيد على من يغسل ويتلقى بإناء آخر الماء الناتج عن الغسل . تلي المائدة الرئيسية القهوة والشاي . وأحياناً الحقنة ، وهي اللبن الذي يقدم اليوم . أما ما يتبقى من الطعام فيوزع بطرق مختلفة حسب المائدة وكبرها ومحتواها ، فاللحم مثلاً يختلف عن موائد البر والسمن والعسل ، وقد يوزع على الجماعة الحاضرين فيما يسمى (النصد) فلا يأكل الرجل وحده ، وإنما يحمل نصيبه معه إلى بيته لتشاركه الأسرة في ذلك)[٣] .

قلت : لا غبار على كلام المؤلف بشكل عام ، إلاّ أن هذه الآداب لا تسري على الجنوب كافة، فأغلبهـا في نطـاق منطقة عسير على أبعد مدى . فالرَّحوض والرحاض ليس لهما من الشُّيوع والسَّيْرُورَة مثل (الغَسُول) الواسعة النِّطَاق. أما عادة عدم الجلوس مع الضَّيْف عند الأكل ، فهي عادة محدودة في بعض الجهات ، بل نجد قرية تلتزم هذه العادة ، بينما نجـد قرية مجاورة لها لا تتقيـد بهذه العادة .وكلمة (الحقنة) غـير منتشرة ، وأشهر منهـا كلمة (الحَقِينَة) ولا سيما في بـلاد بلقرن.وكلمة (اللبن) أوسع انتشاراً في كثير مـن جهات عسير .أمـا (النَّصَد) فيؤكل أثناء الوليمة ، ثـم يُقَام إلى العصيد والمرق،

---

(١) ليس في كل أنحاء الجنوب ، وإنما في مناطق دون أخرى . (ابن جريس) .

(٢) تلك عادات جميلة عاشها الآباء والأجداد ، واليوم مازال بعضها لكنها ليست بالجمال والمعنى الذي عرفه الأوائل . ونحن في أمس الحاجة إلى إنجاز بحوث مقارنة تبين حياة الأوائل والمتأخرين في آداب الطعام والشراب، وكذلك أنواع الأشربة والأطعمة القديمة والحديثة . (ابن جريس) .

(٣) ص٩٦. (ابن معبِّر) . هذه عادة تعكس روح التعاون والرحمة والألفة والود الذي كان يعيشه الأوائل مع أفراد أسرهم ومع جيرانهم ومن يعيش معهم . (ابن جريس) .

ولكـنّ البعضـ ـ ولا سيما الفقـراء ـ يُؤثرون أولادهــم على أنفسهم ، فــلا يأكلون اللحم (النَّصَد) ويذهبون به إلى منازلهم[١] .

٢٢ـ إدارة القـرى : قــال المؤلف: (الجنوب عبارة عــن قبائل كثيرة قد تجتمع تحت لــواء واحــد ينظم علاقتها من زمن لآخر ، وكل قبيلة لها شيخ شمل ، وتتبع لها مجموعة مــن القــرى ، ولكل قرية نائب (عريفــة) ينسق أمورها ، وهو مســؤول مباشر لدى شيخ الشمــل . وكل قريــة مكونــة مــن أسرة أو فخــذ ولها ممثــل في كبار الجماعــة أو رؤوس الجماعــة أو أعيانهــا ممن يتخــذ القرارات في القريــة، ويعد كل ممثــل للأسرة ضمن أعيــان القرية حسب عــدد الأسر ، فمثلاً يقال ، فلان سابع سبعة في جماعته ، يعني أنه واحــد من السبعة الممثلين لسبع أسر تقطن القريــة . ويختار ممثل الأسرة لكبر سنه أو مكانتــه في الأسرة . والأسرة هي المكون الأساســي لتنظيم القرية والقبيلة. ويتم اختيار النائــب في القرية بناء على مشاورات واتفاق أو إجمــاع وتوافق بين أهل القرية على من يمثلهــم ، ويكون مســؤولاً أمامهم وأمام شيخ القبيلة الذي يعــد أعلى سلطة في القبيلة . وفي عجــز أو وفــاة النائب يمكــن أن يرشح ابنه أو أحد أقاربه أو يتــم انتقال النوابة إلى أســرة أخــرى بالتوافق والتشاور . ويجري على شيــخ القبيلة ما يجري على النائب حيث يعد النواب وأعيان القرى هم من يسهم في ترشيح شيخ القبيلة عند فراغ هذا المنصب، ويكــون الترشيح حسب إجماع وتوافق النواب وأعيــان القبيلة على الشيخ الجديد. ويتم التشــاور بــين أعيان القــرى لاختيــار الشيخ ممن تتوافــر فيه سمات القيــادة والحكمة والصبر والشجاعة والكرم والعــدل وغيرها من الخصال الحميدة. وشيوخ القبائل هم من بأيديهم الحــل والربط واتخاذ الكثير من القرارات العامة بالتشاور مع النواب ومع أعيــان القــرى . حيث يعود نواب القرى إلى شيوخ قبائلهــم بما يجمع عليه أعيان القرى في أي رأي أو مشورة . وقد يلتقي شيوخ القبائل في حلف وتعاون وتكتل ضد أي مداهمات خارجية أو أطماع محيطة بهم . أما القرارات على مستوى القرى فتتم بين سكان القرية أنفسهــم بشــكل شورى في أي أمــر كان. وغالباً يتم التشــاور في المسجد الذي يعد مركز القريــة ، وأحيانــا في بيــوت النواب في القرى حســب المواضيع والقضايــا وحسب درجة حساسيتهــا وسريتها . وقــد يعقد الاجتماع في مناطق محايدة خــارج القرى، خصوصاً إذا نشب خلاف بين أفراد القرية أو بين القرى الأخرى المجاورة. وهذا الجو المفتوح من

---

(١) أسمــاء الأدوات وغيرهــا من المصطلحات تختلف من عشيرة إلى أخرى، ومن تهامة إلى السراة . وهذا الموضــوع جديــر بالبحث والدراسة ، حبذا أن نــرى باحثاً جاداً يدرس هذا الموضــوع في رسالة علمية. (ابن جريس) .

الشـورى والشراكة في اتخاذ القرار يؤسس للعدالة والمسـاواة والصدق ويحمي المجتمع مـن الاستغلال والاستبـداد والفساد . وحتى يسود الأمن والاستقـرار بين الناس تدخل القبائـل في كفالـة مع قبائل أخرى تكون هي الضامنة لعدم تكـرار الأحداث ، أو لمنع أي ثـأر أو نقض لما تم الاتفاق عليه . وتتم المكاتبة في هذا الشأن بين جميع الأطراف بوثائق تبـين الصلح ، وتبين الحقوق والواجبات على جميع الأطراف . وتُسمّى هذه المخطوطات قواعـد ، ويتم توقيعها مـن معظم الحضور والمشاركين . وشيوخ القبائل والنواب هم من يتلقى جميع المعلومات عن أوضاع الناس ، وهم من ينظم حياتهم وأيضاً هم من يقومون بتوجيههـم . ولا يخرج الناس عن إجماعهم علـى الكثير من القضايا ، وخاصة القضايا العامة التي تستدعي مشاركة الجميع ، ومنها المشاركة في الحروب التي تنشب أحياناً مع الغـزاة للجنوب ، وتتواصل القبائل وتتحامـى فيما بينها مع وجود بعض الخروقات التي تتم بينها عبر تاريخهم الطويل من الحياة المشتركة)[١].

قلـت: رسم المؤلف صـورة مثالية لشيوخ القبائل ونُوَّابَهُـم ، وكأنَّ عملية اختيار الشيـخ تتـم دون معارضـة أو خلاف ، وهي صـورة تخالف الواقـع في كثير من الحالات .وقـد بـدأ حديثه بقولـه: (الجنوب عبارة عـن قبائل كثيرة قد تجتمع تحـت لواء واحد ...) .فـإن كان يعنـي بالجنـوب مناطق (الباحـة ، وجازان ، وعسـير ، ونجران) فقد أبعـد النُّجْعَـة، فلم يحصل في عصور التاريخ أن اجتمعـت قبائل هذه الناطق تحت لواء واحـد ، إلاّ تحت لواء الدولة الإسلامية في بعض عصورها ، أو لواء الدولة السعودية[٢]. أمـا إذا أراد بالجنـوب منطقـة عسير ، فهـي كذلك لم تجتمع تحت لـواء واحد ، إلاّ ما سبـق ذكـره عن المناطق الأربع . قـد يحصل التحالف بين قبيلتـين ، أو بضع قبائل على أبعد مدى . ومن المستحيل اتحاد قبائل الجنوب في المناطق الأربع تحت لواء واحد ، من خـلال اتفاق شيـوخ القبائل ، أي من دون وجود دولة غالبة على هذه المناطق ، ومن أهم العوامل المانعة: التباعـد الجغرافي ، والاختلاف القبلي الناشئ من التباعد الجغرافي ،

---

(١) صـ ٩٨. (ابـن معـبِّر) . طرح جيد يا ابن موسـى ، وحياة أهل الجنوب السعودي تـدور في فلك القبائل والعشائر ، وشيوخ القبائل كانوا أصحاب الحل والعقد وبخاصة في الماضي ، ومازال لهم دور مؤثر تحت مظلة الدولة السعودية الحديثة. وهناك آلاف الوثائق غير المنشورة التي تفصل الحديث عن تاريخ القبائل الجنوبية ، أوضاعها الإدارية والسياسية ، تركيبتها الاجتماعية والاقتصادية ، حياته الثقافية ، وصلاتها ببعضها ، كما يوجد هناك الكثير من الوثائق التي تعكس صراعاتها الحربية ، وعلاقاتها بالإمارات والحكومات التي ظهرت في المنطقـة منذ ظهور الإسلام حتى وقتنا الحاضر. وهذا الجانـب كبير في معلوماته وتفصيلاته ويحتاج إلى دراسات في عشرات الكتب والبحوث العلمية . (ابن جريس) .

(٢) تاريخ هذه البلاد خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة مازال غامضاً ، والمؤكد أن القبيلة كانت هي المهيمنة في بلادها ، وربما يوجد بعض التحالفات بين القبائل في بعض النواحي.(ابن جريس).

وعـدم وجود المُسَوّغ الفعلي لهـذا الاجتماع ، وعدم إمكانية جمـع عشرات القبائل تحت لواء واحد[١] . أما قول المؤلف : (ويتم التشاور بين أعيان القرى لاختيار الشيخ ...) فإن الصفات التي سردها لا تتوافر كلها في شخص واحد إلاّ نادراً ، فكم من شيخ يُعَدُّ مَضْرِب المثـل في البُخْـلِ ، أو الظُّلـم ، أو الرُّعُونة .فهنـاك المؤثرات التي تؤثـر في اختيار الشيـخ ، ومنهـا - غالبـاً - المصالح ، أو قوة وهيبة الشيخ، أو قدرته على توجيه التَّيَّار لمصلحته ، أو لما يُقدّمه من أعطيات وهبات ، ونحو ذلك .[٢] ولا أعني بكلامي هذا التعميم المُطْلَق، فهناك الكثير من المشايخ وصلوا إلى منصب المشيخة عن طريق الجدارة والاستحقاق .

٢٣ـ الجيرة والرفقة : قـال المؤلـف : (يأتي الفـرد من القـرى والقبائل الأخرى فيطلـب رفقـة أهل قرى أخرى ، وتتـم الموافقة له بالرفق بعد التشـاور ، ويصبح بعدها رفيقـاً ، ويذبـح شاة الرفق ويدعـو جميع أهل القرية التي سوف ينتسـب إليها ، ويسمى نـزل لأنه نزل بينهم . كمـا يأتي البعض للعمل مع أهل القرى سـواء في المزارع أو لرعي الأغنام ، ويسمى بالجار . وقد تتحول الجيرة إلى رفق مع الوقت الطويل . ويصبح الجار مـن بين أهل القرية، ويجري عليه مـا يجري عليهم من الحقوق والواجبات . وقد يعطى أرضاً ليصلحها ويحولها إلى مزرعة . وبعضهم يبدأ في شراء المزارع والأراضي من أهل القريـة ويسمـى هذا بالفيـد)[٣] . قلت : هذا هو الواقع الذي كان سائـداً ، إلاّ أنَّ هناك مُسمّـىً آخـر للرَّفَق ، وهو (الغُرْم) بمعنـى التحالف على الخير والشّـر ، ويقوم المُغَارم بذبح (شاة الغُرْم) .

---

(١) من فضائل الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل (يرحمه الله) أنه استطاع أن يوحد شتات هذه القبائل تحت لواء دولة عصرية حديثة ، وفي حوزتنا مئات الوثائق التي تعكس معاناة هذا الملك العربي حتى نجح في توحيد شتات القبائل في الجنوب وغيرها تحت راية (لا إله إلا الله محمد رسوله) ، وتحت علم دولة (المملكة العربية السعودية) . (ابن جريس) .

(٢) نمتلك عشرات الوثائق التي تعكس صراع بعض الشيوخ على منصب المشيخة ، ومن هذه المصادر أيضاً ما يوضح الظلم والجبروت الذي كان يمارسه بعض شيوخ القبائل على أقوامهم ومن يتولى رعايتهم ، بل أحياناً كان معه أشخاص يطلق عليهم في بعض العشائر (الثمانية) أو (العشرة) ، وهم ثمانية أو عشرة أشخاص من المقربين إلى الشيخ ، وهم الذين يسيرون أمر قبائلهم بالتآزر والتكاتف مع شيخ القبيلة ، وأحياناً يصدر منهم ظلم وجور في أحكامهم على بعض أفراد القبيلة وبخاصة من يعارضهم أو يبين سلبياتهم . ومثل هذه الحالات شاهدتهـا في بعض عشائـر رجال الحجر وما حولها خـلال العقود الأخيرة من القـرن (١٤هـ/٢٠م. (ابن جريس) .

(٣) ص١١٢ . (ابن معبِّر) . أقول يا دكتور علي إن طرحك لهذه المعلومات جيد ، واعلم أنك عملت ما لم يعمله أصحـاب التخصـص من المؤرخين أو الباحثين . وأقول أيضاً أنك تملك حسـاً تاريخياً جيداً ، فأرجو أن لا تحـرم طلابـك وإخوانك من العمل في تدوين وحفظ موروث أهلك مـن أهل الجنوب ، وسوف يذكرك أبناؤهم وأحفادهم بخير لأنك حفظت جزءاً من تاريخ وحضارة أجدادهم . (ابن جريس) .

٢٤ـ بيـوت الجنـوب : قال المؤلف : (بيوت الجنوب متجـاورة بل متلاصقة ببعضها البعضـ إلى درجـة أن بيوتهم كأنها بيت واحد) [١] . وقال أيضاً : (وهناك نماذج مختلفة مـن البيـوت في الجنوب أهمهـا المبنية من الحجـر ، ومن الحجر والطـين ، ومن الطين فقـط . وتمتاز بيـوت الجنوب بالرقف وهو استخدام الحجـارة المسطحة لحماية البيوت مـن الأمطـار ، ومن تسللها إلى الداخل. ويتم صف الرقف جنب بعضها . ويحيط الرقف بالجـدران الخارجية للبيوت الطين على شكل صفوف الواحـدة فوق الأخرى) [٢] . قلت: يـورد المؤلـف – كثـيراً – كلمة (الجنوب) ثم يتحدث عن بعضـ جهات منطقة عسير . فقولـه : (بيـوت الجنوب متجاورة بـل متلاصقة ...) لا يتوافق مـع كل مناطق الجنوب (الباحـة ، جازان ، عسير ، نجران) فليسـت كل بيوتها متلاصقة، حتى منطقة عسير ، هنـاك البيوت المنفردة عن غيرها ، ونرى ذلك في قرى بلاد شهران في محافظة خميس مشيط ومراكزها ، وفي نجران ، والباحة ، وجازان [٣] . وقول المؤلف أيضاً : (وتمتاز بيوت الجنـوب بالرَّقـف ...) والمؤلف يعرف تمـام المعرفة أن الرَّقف لا يستعمـل إلاّ في أماكن محدودة في منطقة عسير ، ونرى ذلك في مدينة أبها ، وقرى الشعف ، والواديين، وشعف جارمة ، ولا نراه في بلاد شهران .ثم يسترسل المؤلف في وصف عملية البناء التي تتوافق مع أساليب البناء في بعض جهات منطقة عسير ، وليس كل الجنوب في جميع التفاصيل .

٢٥ـ النظافـة واللبس : قـال المؤلـف : (أهل الجنوب يتزينون رجـالاً ونساءً صغاراً وكبـاراً. وكان الرجـال يحلقون رؤوسهم ويتنظفـون بشكل مستمـر) [٤] .قلت : ليس كل

---

(١) ص ١١٤ . (ابن معبِّر) .

(٢) صـ١١٥. (ابن معـبِّر) . تاريخ العمارة في عسير وما حولها من الموضوعـات التي لم تدرس بشكل علمي أكاديمـي، والذاهب في أرجاء منطقة عسير أو الجنوب السعـودي ، ثم الرجوع لبعض المصادر والوثائق والـرواة يعـرف أن المنطقة عرفت أنماطاً عديدة مـن العمارة بل إنها متنوعة في مـواد بنائها وأشكالها واستخداماتهـا . ونأمـل من أقســام التاريخ في جامعات عسـير ، ونجران ، والباحـة ، وجازان أن تولي ميـدان العمــارة أهمية في خططهـا البحثية، وأن تفتح المراكـز العلمية التي تحفظ مـوروث هذه البلاد والعمــارة من الموروثات الحضارية الجديرة بالبحث والدراسة . للمزيد انظر: غيثان بن جريس ، عسير (١١٠٠ـ١٤٠٠هـ) ، ص ٣٧ـ٥٨ . للمؤلف نفسه "العمران في إقليم عسير خلال القرون المتأخرة الماضية (دارسة تاريخية حضارية) . مجلة المنهل. العدد (٥٧١) . المجلد (٦١) . العام (٦٦) شوال ـ ذو القعدة (١٤٢١هـ/٢٠٠١م) ص ٢٦ـ٤٩ . ونشر هذا البحث أيضاً في كتاب لابن جريس عنوانه : بحوث في تاريخ عسير الحديث والمعاصر (١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م) ص ٣٣ـ ٧٦ .

(٣) القرى القديمة تستحق دراسة علمية ، وكثير منها اندثرت ، خلال جولاتي في مناطق الجنوب وبخاصة بلاد السـراة وأجـزاء من تهامة لاحظت أن منازل القرى متلاصقة، ولا يفصل بينها إلا أزقة صغيرة . (ابن جريس) .

(٤) ص١٢٨. (ابن معبِّر) اللباس والزينة من الموضوعات التاريخية الحضارية الجديرة بالدراسة في عموم المناطق الجنوبية وبخاصة ألبسة وزينة الأوائل حتى العقد الأول من القرن (١٥هـ/٢٠م) ، والتي مازلنا

الرجال يحلقون رؤوسهم ، إذ الأصل إرسال شعر الرأس ، وإعفاء اللحية ، ولا زال بعض أهل تهامة على عادتهم في إرسال شعر رؤوسهم .وقد ارتبط حلق شعر الرأس مع ظهور الغُتَّرة والطَّاقِيَّة بعد سنة (١٣٥٠هـ) تقريباً ، ثم أصبح الحَلْقُ مطلباً أساسياً لطلاب المدارس[١].

٢٦- الحجاب: قال المؤلف: (ارتبطت عفة المرأة وحشمتها وكرامتها في الجنوب بعفة الرجال وحشمتهم وشرفهم وكرامتهم وحياتهم وترفعهم ، وعلى تلك الأخلاق تربى الجميع ذكوراً وإناثاً . والمرأة محجبة في الجنوب ، لا تتنقب من الأجنبي أو الأجناب فهي تتحدث بثقة في النفس ، وترد على من يسلم بالسلام ، وتأخذ مسافة كافية بينها وبين الآخرين . وهي تجالس الأرحام من الأقارب والجيران وأهل القرية. وقد تبادر إلى دعوة الشخص الذي تلقاه في الطريق أو عند منزلها لمجرد الكرم والضيافة ونواميس القرية التي تعتبر الضيافة جزءاً أساسياً من نواميسها . ولا ينكر عليها أحد الضيافة للضيف. وهي ليست بمعزل عن أسرتها وأهل قريتها ، فعندما يأتي الغريب وتعزمه في غياب أو بعد الرجال عن بيتها ، وخاصة عندما يبادر عابر السبيل بالسلام والسؤال عن شخص أو بيت وترد المرأة عليه ، فقد تدعوه حسب تقييمها السريع له إن كان يستحق الدعوة لكبر سنه ومقامه ، وقد يكون قاصداً أهل بيتها ، عندها تبادر بالدعوة وتقول له (امرق) يعني ادخل أو تفضل ثم تتجه لبعض رجال القرية لدعوتهم للجلوس مع الضيف إذا وافق على الدعوة، وخاصة إذا كان له غرض من أهل بيتها. ويأتي الرجال من أهل القرية لمجالسته والتحدث معه ، وهي تحقق بهذا عدة مواقف، فهي ترحب بالضيف ، وليست في خلوة معه ، وأيضاً تعبر عن قيم القرية وتقاليدها في صيانة سمعة أفرادها. ويكون هؤلاء الرجال في انتظار صاحب المنزل حتى يصل ويرحب

نشاهد بعضاً منها في المتاحف المحلية في بلدان الجنوب، أو بعض كبار السن مازالوا يلبسون شيئاً منها، وفي بعض الأسواق الشعبية تعرض بعضها للبيع والشراء . (ابن جريس) .

(١) إن عمل دراسة مقارنة عن اللباس والزينة قديماً وحديثاً من الموضوعات القيمة التي تستحق دراسة علمية أكاديمية . وللمزيد عن أنواع الألبسة والزينة . انظر: غيثان بن جريس ، عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ) ، ص ٦٥- ٧٤. وهناك موضوعات أخرى درست هذا المحور منشورة في بعض أجزاء (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) . وهناك عشرات البحوث غير المنشورة والموجودة في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية .

للمزيد انظر: كتاب محمد بن معبِّر ، دليل البحوث الجامعية في مكتبة الدكتور غيثان بن جريس العلمية. (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م) . (ابن جريس).

بالضيف ، ويشكر رفيقه من قريته على مؤانسته للضيف والجلوس معه[١] . إنها نواميس القرية الرفيعة والمترفعة عن الحساسيات التي تربط الرجل بالمرأة . ترسل المرأة لصاحب البيت تعلمه بوجود ضيف في المنزل سواء كان في مزرعته أو في أي عمل آخر . وقد يحضر ومعه ضيف آخر . وصاحب البيت يرحب ويسأل المرأة عن الضيف، فإذا عرفه وقد لا تعرفه هي أو تسمع عنه، وكان عزيزاً على صاحب البيت وله واجب الضيافة الكبرى، وهي الذبح ، يبادر بالذبح له قبل الدخول عليه والترحيب به. وغالباً يفاجئه برمي ساق ((كراع)) الذبيحة أمامه حتى لا يحلف أو يرفض الضيفة. وبعدها يأخذ منه العلوم أو الردودة، وهي عبارة عن خطبة أو كلمة يتحدث فيها الضيف عن سبب زيارته وما يحمله من أخبار .

تتوالى التراحيب وتكون المرأة قد باشرت مهامها في إكرام الضيف ، فتحضر النار والقهوة ، وقد يتولى الرجال من أهل القرية صب القهوة للضيف . وقد تكون هناك ترتيبات أخرى بعد وصول صاحب المنزل ، الذي قد يطلب للضيف نوعاً معيناً من الطعام حسب أهميته ودعوة أهل القرية للحضور والمشاركة في تكريم الضيف . وأهل القرية كرماء بطبعهم فحضورهم ليس للأكل فهم يتركون أعمالهم وبيوتهم ويستجيبون للداعي لرغبتهم الصادقة في دعوة الضيف والحلف عليه بأيمان عظيمة وغليظة وهم يعبرون عن صدقهم أن يتقبل دعوتهم تقديراً لرفيقهم وضيفه ، وتعبيراً عن أخلاق الكرم والضيافة لديهم . وبعض الرجال المبالغ في الضيافة يحلف بيمين غير محبب ولكنه آخر ما لديه من الحلفان لتمرير دعوته وطلبه ، فيطلق من رأس زوجته أن يوافق ضيفه على دعوته . وعندها يسلم الضيف بالأمر الواقع مهما كانت الظروف ، وإلا فسوف يفقد الرجل امرأته بحماقة الضيف الرافض للدعوة ، وحماقة الزوج بالحلفان بالطلاق . وغالباً فإن الرجال يقدرون هذا الحلفان بأعز ما عند الرجل وهي زوجته. نعم يبالغ أهل الجنوب في كرمهم وضيافتهم للقريب والبعيد ، ولكنهم جبلوا على حب الضيف وإكرامه . وهؤلاء الناس يألفون الناس ثقة في أنفسهم، وتمسكاً بقيمهم وشيمهم

---

(١) نعم هذه عادات وتقاليد عشناها ورأيناها في قرانا وبلداتنا . وحياة الناس آنذاك كانت تفرض على الناس (نساءً ورجالا) أن يعملوا سويا ، وليس هناك فصل بين الرجال والنساء . وإذا أعدنا ذلك إلى قواعد الشرع فإنها لا تخلو من التجاوزات . ومنذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) انتشر الوعي والدعوة بين الناس ، وصارت النساء يحتجبن عن الرجال الأجانب . وأقول إن كلية الشريعة التي تم افتتاحها في أبها عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) كان لها فضل في نشر الوعي الديني بين الناس ، إلى جانب الندوات والمحاضرات وغيرها التي كانت تقام في المساجد وأماكن التجمعات في المناسبات والأسواق وغيرها. والمدة الزمنية الممتدة من عام (١٣٩٠-١٤١٠هـ/١٩٧٠-١٩٩٠م) من الفترات التي يجب دراستها تاريخيا وحضاريا في منطقة عسير وعموم المنطقة الجنوبية ، لأن تلك الفترة جرى فيها من التغيرات الإيجابية والسلبية الشيء الكثير وأنادي طلابنا في برامج الدراسات العليا في جامعات الجنوب السعودي أن لا يتركوا هذه الحقبة من الحفظ والتدوين ، والله الموفق .(ابن جريس) .

وعاداتهـم وتقاليدهـم . ولهذا عندما يجد الرجل نفسـه في بيته وقد حان وقت وجبة أو أعد له قهوة أن يخرج من نافذة منزله ليدعو من يراه من المارة أو من جيرانه لمشاركته في قهوتـه ووجبتـه . أناسٍ تربوا على الكـرم وعلى الإيثار وعلى الشراكـة مع الآخرين ، وتقاسم المصالح وأحياناً المكاره ، إذ يدخلون في مساندة جيرانهم وأقاربهم ورفاقهم في أي مشكلـة قد يواجهونها)[١] . قلت: لفظة (الحجـاب) غير مناسبة لما جاء تحتها من كلام ، فـالأولى أن يكـون العنوان : (استقبال المـرأة للضيوف) أو (المرأة والضيوف) . كما أنَّ كلامه يوحي بعموم هذا الفعْل في جميع أرجاء الجنوب بمناطقه الأربع ، وهذا لا يستقيم مع الأعراف العربية أصلاً . ويجب التفصيل حيال ذلك ، فهل كل امرأة صغيرة أم كبـيرة تستقبـل الرجـال أو الرجل؟ .والجواب خـلاف ذلـك ؛ لأنَّ القرية قبل وجود الوظائـف الحكومية والمدارس لا تخلو بيوتها وطرقاتهـا من الرجال والشباب والأطفال والنسـاء ، فـإن حصـل مرور غريـب – أو غرباء – على القرية، وصـادف مروره وجود امرأة، فإنّه يسألها عن فلان ، أو فلان ، فإن كانت امرأة صغيرة وجميلة، فإنها ستدني لثامهـا على وجهها حين تراه ، ثم تجيبه عن سؤالـه ، وربما وجهت إليه دعوة الضيافة، وهما في قارعة الطريق ، وكما قلت آنفاً بعدم خلو طرقات القرية من الرجال أو الشباب، فـإن المرأة ستجد من تدعوه. من أهلها وجيرانها. لاستقبال الضيف ، ومرافقته للدخول إلى المنـزل[٢] . ويُضـاف إلى ذلـك أن المنـزل يعـجّ بأسـرة الرجل ، سواء مـن إخوانه وعائلاتهم ، أو من أولاده البنين وعائلاتهم ، أي أنَّ المرأة إذا دعت الضيف أو الضيوف، فإنها تعلم بوجود غيرها من النساء والرجال في المنـزل . أما المرأة الكبيرة – العجوز – فحالها كحال المرأة الصغيرة ، إلاّ أنّ منهن من اشتهرت بمجابهة الحياة، بسبب انقطاع

---

(١) صـ١٣٣. (ابـن معبِّر) . نعـم إن التقارب والتكافل والتعاون بين الناس قديماً من الصفـات الحميدة التي مارسها الناس . واليـوم ضعفـت وانعـدم بعضهـا عندما زاد الخير في أيـدي الأسر والأفـراد . ودراسة هذه الجوانـب دراسة مقارنة من الموضوعات المهمة التي يجب على أساتذة علوم التاريخ والاجتماع دراستها . ونقول لأقسام التاريخ والحضارة في جامعاتنا الجنوبية وجهوا طالباتكم وطلابكم إلى دراسة مثل هذه الموضوعات الجديدة . (ابن جريس).

(٢) كلامـك يا ابن معبر صحيح وكلام ابن موسى أيضاً صحيح ، الاختلاط كان موجوداً في القرى والبوادي وغيرها ، وكما ذكرت سابقا ، إن ظروف الحياة هي التي فرضت على النـاس هذا النوع من الحياة . ولا أحد ينكر أن المبادئ والقيم الطيبة كانت هي السائدة على حياة الناس لكن اختلاط الرجال بالنساء الذي عرفناه لا يجيزه الشارع الحكيم ، والدليل على ذلك أننا رأينا النساء يلبسن الحجاب ولا يختلطن بالرجال عندما عرفن قول الشرع في ذلك ، وعندما سمعن الدروس والمحاضرات الدينية التي صححت مسار حياة الناس في عباداتهم وممارساتهم العقائدية . وقد شاهدت بعض كبار السن ، عندما رأوا النساء يحتجبن عن الإخوان والأقارب (الأجانب شرعاً) ، كانوا غير راضين بذلك التصرف ، لكن حجة النساء وطلبة العلم الشرعي وغيرهم أن وضحوا لهم أن ذلك لا يجوز ، ولم يأت بداية العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م) إلا وعموم النساء منفصلات عن الرجال في جميع ميادين الحياة . (ابن جريس).

أقاربها من الرجال ، فهي تقوم ببعض أعمال الرجال ، ومنها استقبال الضيوف، ثم دعوة بعض رجال القرية للجلوس معهم ، وتقوم هي بإعداد الشراب والطعام .أمّا أن يدخل الضيف أو الضيوف في بيت ، وليس معهم إلاّ امرأة صغيرة وجميلة ، فهذا ما تأباه الأعراف والشيم العربية الأصيلة، كما يعزّ على الشيطان أن يترك شيمته في حضور هذه الدعوة. وإذا نظرنا إلى قول المؤلف: (ارتبطت عفة... حتى ... وهي تجالس الأرحام من الأقارب والجيران وأهل القرية) وجدنا إيهاماً ومغالطة . فلا معنى لارتباط العفَّة للمرأة بعفَّة الرّجل ، فالرّجل الذي يُجَالس المرأة ، ولا تَتحرّك فيه غريزة الرغبة والاشتهاء ، فإنه يعاني من مرض يمنعه من اكتمال سمات الرُّجولة ، وكذلك المرأة التي لا تتحرك فيها غريزة الرغبة ، فإنها ناقصة الأنوثة [١] . فإذا أضيف إلى ذلك التعاليم الواردة في القرآن والسنة، فإن الأمر جدير بالاتباع للشرع ، وليس للثقة والعفّة المثالية التي يرسمها المؤلف كحقيقة عامّة وشاملة ، فقد كان في قرى الجنوب وغيرها بعض الأخطاء والتجاوزات الشرعية، ولا يُنكر ذلك إلاّ الجاهل المعاند[٢]. أما قول المؤلف : (والمرأة محجبة في الجنوب، ولا تتنقب من الأجنبي أو الأجناب) فقول من الأقوال المرسلة دون عناية وتفصيل. فكيف يقول (محجبة) ثم يقول (ولا تتنقب)! وما هي صفة هذا الحجاب ؟ وخلاصة القول أنّ استقبال المرأة للضيوف من الأمور المعروفة ، ولا أقول في الجنوب كافة ، وإنما في بعض جهات عسير التي أعرفها ، إلاّ أنّ ذلك وِفق التفصيل السابق [٣].

٢٧ـ الحب والهوى: قال المؤلف : " أهل الجنوب يحبون ويعشقون ويهوون ويتغنون بالحب. ويستخدمونه في كلماتهم وتعابيرهم اليومية ، إنه مجتمع يجيش بالعواطف

---

(١) أعتقد يا ابن معبِّر أن هذا الأمر الذي ذهبت إليه ليس مقصد ابن موسى ، ونقول إن العفة والنقاء كانا موجودين في ذلك الزمن ، إلا أن الاختلاط آنذاك ليس محموداً من وجهة نظر القرآن والسنة حتى وإن ألف الناس تلك الحياة وعاشوها . وأقول إن تلك الحقب التاريخية جديرة بالدراسة مع توخي رصد الحقيقة ، والإلمام بشتى ظروف الحياة في تلك الأزمنة المنصرمة . (ابن جريس).

(٢) هذا كلام صحيح ، وهو نتيجة للجهل والاختلاط ، واليوم في اعتقادي أكثر من السابق حتى وإن كان هناك حجاب ، بل إن مدنية الناس اليوم وجهل المسلمين بدينهم في أنحاء العالم تجعلهم يقعون في كثير من المحرمات . (ابن جريس).

(٣) يا محمد بن معبِّر إن ما تكتبه هو تاريخ سوف يقرأ ، ومن ثم فالواجب الدقة في السرد والتحليل . وإذا كان ابن موسى أشار إلى صور من التاريخ الاجتماعي في أوطاننا قديماً ، فالواجب عليه وعليك أن تفصلوا الحديث في هذه القضية مع الإشارة إلى الأسباب التي جعلت النساء لا يغطين وجوههن ، ولا ينفصلن عن الرجال الأجانب . والذي رأيته وعرفته منذ بدايات الثمانينات إلى منتصف التسعينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م) إن معظم سروات وتهامة منطقة عسير يعيشون حياة عامة مختلطة في مزارعهم ، وقراهم ، ومرعاهم وغيرها ، ولا أعتقد أن بقية بلدان تهامة والسراة شذت عن هذا النمط من الحياة . بل ربما عموم سكان الجزيرة العربية . وأقول إن هذا الموضوع جدير بالبحث والدراسة من قبل الباحثين والمؤرخين وغيرهم . (ابن جريس).

والأحاسيس الصادقة تجاه كل شيء في حياتهم ، حتى حبهم لبعض . ولذلك يقول أهل الجنوب لبعضهم ممن يعز عليهم (فداك عيني) وهي للتشجيع ، (وخذت ضيمك) وتقال للمريض ، وأيضاً الله يطعني عنك ، وبروحي عنك ، وقبرتني ، والله يجعلني فداك، والله يجعل يومي قبل يومك ، ومت قبلك، ولا عدمتك ، ويجاوب المخاطب فيقول، إلا مجار. وأيضاً يقال لمن يقدم الخدمة لا هنت، فيقول له الآخر ولا تهون ، وعندما ينادي الأولاد والبنات يقولون لمن يناديهم لبيك، فيقول من يناديهم ، لبيت حاج . وهناك مفردات مليئة بالطاعة وبالتودد لمن يطلب منهم خدمة فيرد الواحد والواحدة بإبشر ، وعلى عيني ، وعلى خشمي ، وأجل همك . وعندما يطلب من أحد أن يحضر للسرعة والضرورة فيقال له ، أو للمرسل إليه أن يبلغه بقوله ، هب يدك في الماء ولا تجف إلا عندنا [١] . ولكن عندما يحب الإنسان يكون للحياة طعم آخر . لا يخفي أهل الجنوب مشاعرهم ويعبرون عنها بكل صدق ووضوح ، وبكل شرف ورفعة وطهر . ولذلك يسمونه الحب العذري أو صحبة نقى . يعني حب عفيف فيه المشاعر ، ولكن أيضاً فيه قيم وكرامة، وشهامة وغيرة وعفة أهل القرى الذين يحضر معهم العرض والعار والشرهة والمنقود المبنية على الدين. ولهذا لا يتعدى أحد حدوده مهما كانت المشاعر والأحاسيس. ويقابل تلك المشاعر الجياشة درجة عالية من الانضباط والشعور بالمسؤولية تجاه النفس أولاً ، ثم تجاه مقدسات المجتمع ومنها المرأة. والحب حاجة بشرية [٢]، فهذا الرسول – ﷺ – يقول: ((**حبب لي من دنياكم الطيب والنساء**)) . وأهم مجال لإبراز المشاعر والتعبير عن الحب هو الشعر الذي يقوله أهل القرى في احتفالاتهم وفي سمراتهم ، وفي طروقهم وبدوعهم ونشائدهم التي يتغنون بها وهم يعملون أو يسرحون أو يصرمون وحتى وهم يمشون في الطرقات . ولا يعني أن كل الناس على هذه الحال ، ولكنها ظاهرة مشهورة بين الناس ، فهم يتذوقون الشعر ويرحبون بما فيه من مشاعر وأحاسيس إنسانية .

---

(١) الحكم والأمثال ، والأهازيج ، والطرفة وغيرها موجودة ومازالت تمارس بين سكان أهل الجنوب. وهذا الجانب المعرفي لم يدرس، مع أن في هذا الجنوب أكثر من خمس جامعات، وهناك عشرات الباحثين والأساتذة في أقسام اللغة والأدب والبلاغة والتاريخ وعلم الاجتماع وغيرها ، وحتى الآن لا نجد دراسات أكاديمية في هذه الموضوعات ، ونأمل أن نرى باحثين جادين يتولونها بالدراسة والتحليل. وهذا ابن موسى أستاذ في علم التربية لكنه أفادنا بعض الشيء في هذا الجانب ، ونتمنى أن يتوسع في دراسة ما تم طرحه في هذه الجزئية وغيرها من الموضوعات القيمة المنشورة في كتابه . (ابن جريس).

(٢) أشكرك يا دكتور على هذا الطرح ، وكم نحن في أمسّ الحاجة إلى تدوين وتوثيق تلك الأهازيج والموروث الشعبي الذي مارسه الأجداد والجدات والآباء والأمهات. إن حياتهم كانت مليئة بالفنون والأغاني الجميلة، التي سمعنا ورأينا بعضهم يقولها ويتغنى بها في أماكن عدة . أكرر دعوتي إليك يا ابن موسى فتعمل على جمع مثل هذه الفنون ونشرها ، ونحن على استعداد أيضاً على نشرها في موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) . (ابن جريس).

والحب حاجة بشريــة، وهذا أحد شعراء الجنوب القدامى يصف من يحبها بأنها تشبه بنات الروم .

هـــالي مــريــضــ يـعــلــم الــرب حــالي دقــو الـتـحـزيـن يـا محـزنينـا

مــن حــب صــفـرا كـنـهـا مــن بـنـات الـروم من يزرى إمصدامي ولـو تلف

وهناك الكثير مما يمكن قوله عن الحب والعشق والهوى في حياة ومفردات وكلمات أهــل الجنوب . وعلى الرغــم من ذلك الكم الهائــل من المشاعــر والأحاسيس الراقية، لا تتــم العلاقة بــين الجنسين إلا من خلال الــزواج الشرعي الذي يحضــره أهل القرى ويشاركــون فيــه. ولذلك يتم الزواج في سن مبكرة جــداً في الجنوب . ولعله من المناسب أيضــاً أن نشــير إلى أن العــار والعيب ليس علــى المرأة كما يتصور البعضــ ، ولكن الأب والأســرة عندهــا غيرة علــى الابن الشاب ، وتخشــى عليه ، ولهذا تحافــظ على شرفها بسرعــة تزويجــه ، وأيضاً بتعليمــه أخلاق ونبل أهــل القرى. وهم بتزويجــه يستجيبون لحاجتــه العاطفيــة مبكراً . والحب ليس هنا فقط بــين الجنسين ، ولكن أساسه هو حب الأهــل ، وخاصة الوالدين ، وأفــراد الأسرة، والأقارب وحب الأرض والطبيعة ، والمزرعة والقرية والقبيلة والدين والعادات والشيم التي يعيشونها ويعبرون عن حبهم لها)[١] .

قلت : كلام رائع ، وأروع منه الحُبّ والهوى ، وهو ممَّا أودعه الله سبحانه وتعالى في قلــوب عباده ، وأهل الجنوب كسواهم من خلــق الله تعالى في جميع أنحاء العالم يُحبُّون ويعشقون كما قال المؤلف . ولكنّه تناسى الخطيئة التي قد تحصل مع هذا الحُبّ والهَوى ، ورسم صورة مثالية لا يمكن أنْ تُمَثِّل الواقع بكل دقّة ، فعبارة (صُحْبَة نَقَا) مع إهمال الهمــز ، ولا سيمــا في منطقة عسير ، عبــارة سارَت لتُخْفي الكثير مــن الأخطاء ، فمتى تكــون صُحْبَة النَّقاء بين فتى وفتاة وهمــا في عُنْفُوان شبابهما ، وذلك حين تواريهما عن الأنظــار .هي عبــارة يقولها (الشِّيبان) كمــا تقول النساء عبــارة (مَقْطَعه واحد)[٢]

(١) ص١٦٧ . (ابن معبِّر) . كل هذه الموضوعات التي أشرت إليها يا ابن موسى جديرة بالدراسة التفصيلية ، ومــن يفعــل ذلك فسوف ينقل لأبنائنا وبناتنا في الوقت الحاضــر صوراً جميلة ومشرقة في حياة الآباء والأجداد.(ابن جريس) .

(٢) (صحبــة نَقَــا) و (مقطعه واحد) و (القلوب نظيفة) وغيرها مــن المصطلحات مازلنا نسمعها عند الرجال والنســاء مــن كبار السن ، بل إنهــم يتذكرون أيام شبابهم ، ويثنون على تلك الأيــام . بما فيها من الهدوء وسعة البــال ونقــاء التعايش فيمــا بينهم . وأنا أتفــق مع ابن معبِّر أن ذلــك المجتمع أو أي مجتمــع لا يخلو من السيء والحســن . وديننــا وشريعــة القرآن والسنة رسمت صــورة واضحة جلية لحياة المسلم الــذي يخاف الله ويتقيه. (ابن جريس).

لِصَرْف الرجال عن التَّعَدُّد .أما عبارة (الحب العُذْري) فغير معروفة ولا سائرة في منطقة عسير .وإنْ حصل شيء من الحُبّ العذري – كما يقول المؤلف – فهي في حكم القلَّة .فمجتمع الجنوب (الباحة ، وجازان ، وعسير ، ونجران) لا يخلو من التجاوزات والأخطاء البشرية ، وشواهدها ظاهرة ، وهذا يناقض قول المؤلف (لا تتم العلاقة بين الجنسين إلاّ مِنْ خلال الزواج الشرعي) فأقَلّ هذه العلاقة (القُبْلَة) التي تسمى في بعض جهات عسير (الحِبَّة) [١] .

٢٨ـ الزّواج : قال المؤلف : (يتجه الوالد والولد إلى والد البنت أو وليها في بيته مسلمين ثم يختصان به . حيث يفاتح (يرد) أبو الولد لوالد البنت بقوله : ((والله عفاك مثلما تعرف إن ولدي فلان أصبح في سن الزواج ، ونرغب في تزويجه على سنة الله ورسوله ، ولم نجد أكفأ منكم جينا طالبين القرب والنسب ، ونبغى بنتك فلانة لولدنا . وأنتم تعرفون ما نحن عليه من جيرة ورفقة وصلة . هذا في قد علمنا وسلامتك)) [٢].ثم قال : (ثم يستمر دخول النساء وترحيبهم بالعريس وأبيه) [٣]. قلت: كلمة (أصبح في سن الزّواج) غير سائرة في الزّمن الذي يتحدث عنه المؤلف ، والكلمة المعروفة حينذاك وحتى الآن ، هي : (فلان أو فلانة في حَقِّ الزواج) . أما قوله عن دخول النساء وترحيبهن بالعريس وأبيه ، وعدم تفصيله في ذلك ، يوهم القارئ ، لأن النساء من غير العروس وأمها لا يدخلن إلاّ إذا كان الأب والعريس من الأقارب ، وليس هذا على إطلاقه. وذكر المؤلف (الحَادِيَة) وهي أم العروس أو إحدى قريباتها التي ترافق العروس إلى بيت الزوج ، فهي تسمى ـ أيضاً ـ اللَّحَّاقة .

٢٩ـ الحَمْل : قال المؤلف : (عندما تحمل المرأة تكون هناك فرحة كبيرة بغض النظر عن المولود ذكراً كان أم أنثى) [٤]. قلت : المؤلف يُدْرِك أنهم كانوا لا يعرفون جِنس الجنين قَبْل الولادة . ولا يُسَمّى الجنين بالمولود حتى يخرج من بطن أمّه[٥].

---

(١) يا ابن معبِّر هذه ممارسات كنا نشاهدها عند البعض في المزارع وأماكن الرعي وغيرها، ومن ثم فالإسلام أكد على الحجاب، والفصل بين الجنسين من الأمور التي تساعد على نشر الفضيلة والطهر بين الجنسين (ابن جريس).

(٢) ص١٦٩ . (ابن معبِّر) .

(٣) ص١٧٠. (ابن معبّر) . وتاريخ الزواج في الماضي من الموضوعات الاجتماعية التي تعكس صوراً من حياة الناس الاجتماعية . وهذا الموضوع يستحق أن يفرد في دراسات عديدة . للمزيد انظر: غيثان بن جريس . عسير (١١٠٠ـ ١٤٠٠هـ) ، ص ٧٨ ـ ٨٥ . (ابن جريس) .

(٤) ص١٧٢. (ابن معبِّر) .

(٥) كانوا يطلقون على الجنين في بطن الأم (الولد) أو (البزر) أو (المولود) ، أو (الزقر) وبخاصة في

٣٠ـ المرأة في المجلس : قال المؤلف :(المرأة الجنوبية تجالس الرجال من أفراد أسرتها وأقاربها وقريتها ، وإذا كان هناك أغراب فهي لا تجالسهم ، ولكنها لا تتنقب عليهم . وفي جلستها لا تتربع مثل الرجل فهي تجلس جلسة الركبة ونصف (جلسة القرفصاء) تعبيراً عن حشمتها وتأدبها في جلستها ، ولا تمد رجليها في أي مكان إلا إذا كانت مع صديقاتها أو في وحدتها . ولكنها في جلستها تتبع مستوى عالياً من الحشمة والوقار . وتتحدث بلباقة وبأدب جم ، ولكنها أيضاً تشارك في الحديث حسب الجلسة ، وحسب من يكون فيها من الناس سواء كانوا أقارب أو من أهل القرية . وقد يكون هناك أجانب من أهل القرى المجاورة ولكنهم ليسوا من الأسرة . ولذلك تتحدث معهم المرأة بلغة الحشمة ، وتكون مشاركتها بالسؤال عن الناس وصحتهم ، وخاصة الكبار في السن وإذا سألت أو أرادت التعقيب على ما يرد في الجلسة من أحاديث قد يكون لها فيها وجهة نظر ، فإنها تقوم بذلك ، ولكنها تبتسم وتضحك ، وتواصل ضيافتها بالقهوة وما يتفضل به أهل البيت على الجالسين)[١] . قلت : هذا ما يحصل حينذاك ، إلاّ أنّه ليس على الإطلاق ، إذْ ليس كل النساء يُجالسن الرجال بهذه الكيفية ، بل بعضهن ، أما عدم الانتقاب على الأغراب ، فإذا قلنا بعدم معرفتهن للنِّقَاب ، فإنّ أَقَلّ ما يفعلنه هو إِدْنَاء اللِّثَام حتى الأنف .

٣١ـ الزيارات النسائية : قال المؤلف: (نساء القرى الجنوبية لا تشبههن أي نساء في الكون في الكثير من المزايا التي يتميزن بها وبخاصة الشيمة والتقدير والواجب والتواصل وغيرها من العادات الحميدة ، فلا يخلو يوم من زيارة للنساء لبعضهن بعض، أو لزيارة شخص ، أو أسرة للقيام بالواجب والعرف في التواصل والتواد بين أهل القرى)[٢] . ثم يقول : (ولكن أهل القرى يتزاورون وخاصة النساء بشكل كبير . وتكون الزيارات بعد الظهر وبعد العصر . ويلبسن النساء ملابسهن الجميلة ويتطيبن ويذهبن للزيارة . وعندما تصل النساء للبيوت التي يزرنها لأداء الواجب تتحدث إحداهن وغالباً الكبيرة في السن وترد الردودة المعتادة وهي التعريف بسبب الزيارة وإشعار من يتم

بعض مناطق نجران . وربما هناك مصطلحات أخرى لا نعرفها ، وهذه المصطلحات التي كان يقولها الناس أيام زمان جديرة بالبحث والدراسة . (ابن جريس) .

(١) ص١٧٨ ، الأحاديث في الجلسات العامة والخاصة ، وفي ليالي السمر عند مجتمعات الجنوب قديماً جميلة وجديرة بالبحث والدراسة . (ابن جريس) .

(٢) ص١٧٨ . (ابن معبِّر)) .

زيارتـه بمـا له أو لهـا من الحق والواجب في الزيـارة أياً كان سبب الزيـارة)[١]. قلت : قـول المؤلـف بأنّ (نساء القرى الجنوبية لا تشبههن أي نساء في الكون) من الإطلاقات التـي لا تصح . فالنساء من اليابـان شرقاً ، حتى فرانسسكو غرباً ، ومن شمال أوروبا ، حتـى جنوب أفريقيا وقارة استراليا ، يتبادلن الزيـارات والهدايا ، وإن حصل التَّمايُز ، فيكون في أساليب وكيفية الزيارات ، وتنوع الهدايا . وأضيف إلى المقطع الثاني ، وخاصة أوقـات الزيارات النسائية ، بـأنّ وقت الصباح يعدّ من أوقات الزيـارات النسائية . أما الرَّدُودَة فليست بشكل دائم ، ولكنها في حالات خاصّة ، ولا سيما إذا كانت الزيارة بسبب الخُطوبة ، أو أي أمر من الأمور مما يحتاج إلى الرَّدُودَة[٢] .

٣٢ـ تَعَدُّدُ الزَّوْجَات : قال المؤلف : (المجتمعات القروية لا تسمح بأي علاقة خارج إطار الزواج حتى لغير المتزوجين) [٣]. قلت : هي لا تسمح ، ولكنه يحصل .

٣٣ـ خـلاف الزوجـين : قال المؤلف : (لم يكن هناك عقـد زواج مكتوب وموثق كما هو الحال اليوم، ولكن كان هنـاك أسلوب شرعي تعارف عليه النـاس عبر السنين ، فبعد أن يتـم الاتفـاق على الزواج وتوضـع الشروط بين الزوجين أو العائلتـين يحضر المأذون الشرعي أو المملك ويكون هنـاك شاهدان يحضران ذلك الاتفاق)[٤]. قلت: النَّفْي المُطْلق الـذي قال به المؤلف في عدم وجود عقـد زواج مكتوب لا يمكن القبول به، وعلى الأقل في حواضـر الجنـوب التي يوجد بها العلماء ، فقد كانت هنـاك العقود المكتوبة ، ومثال ذلك مـا كان يجـري من كتابة العقود في (رُجَال ألمع) و (ظهران الجنوب) بمنطقة عسير. وعقـود الزواج المكتوبة منتشـرة في جميع أنحاء العالم الإسلامـي، وشواهدها موجودة في مكتبـات العـالم ، وفي ثنايا كتب التاريخ والأدب، وكُتب بعض العقود قبل سبعة قرون، والجنوب (الباحة ، جازان عسير ، نجران) من أجزاء العالم الإسلامي[٥]. ورُبّما يكون

(١) ص١٧٩. (ابن معبِّر) .

(٢) الـردودات وما يدور في حوار اللقـاءات والجلسات والزيارات عند أهل الجنوب من الأدب الذي مارسوه وتنوعوا في قوله . ومثل هذا الميدان المعرفي جدير بالبحث والدراسة . (ابن جريس) .

(٣) ص١٨٠. (ابن معبِّر) .

(٤) ص١٨١،(ابن معبِّر). ليتك يا علي موسى متخصص في التاريخ والحضارة لأنك ترصد وتدون معلومات حضارية لم يستطع أصحاب الاختصاص تدوينها وهم كثيرون في مناطق جنوب المملكة العربية السعودية . (ابن جريس).

(٥) العقود المكتوبة كانت موجودة لكنها قليلة ، ومعظم القرى والبوادي يعقدون أنكحتهم بدون وثائق مدونة. وهذا ما وجدته منذ أربعين عاماً وأنا أجمع الوثائق المختلفة في أبوابها وموضوعاتها ،فلم أجد وثائق كثيرة في هذا الباب وبخاصة إذا رجعنا إلى القرن الثالث عشر الهجري وما قبله ، وحتى العقود الأولى من القرن (١٤هـ/٢٠م) . (ابن جريس) .

عـدم وجود عقود الزواج المكتوبة في جهـات منعزلة في بعض مناطق الجنوب . ولو عدنا إلى مقدمـة المؤلـف (صـ١١) فسنجد قولـه :(لا يعتمد هذا الكتـاب على منهج بحث معـين، لكنه سرد مـن الذاكرة لما شاهدته منذ أن ولـدت) إلى قوله: (وقرأته وسمعته من المجتمع عبر السنين ، وما توارثناه من الروايات والقصص) .أي أن النطاق الزمني لمـا ورد في كتابـه (لا يتعدى مئة سنة ، ومع إضافة البعـد الجغرافي (الباحة ، جازان ، عسير ، نجران) فإن الجَزْم بعدم وجود عقود زواج مكتوبة لا يمكن القبول به .ومع هذا فالأمـر يحتـاج إلى بحث عن الوثائق التي تتعلق بالزّواج في منطقة عسير ، أو في مناطق أخـرى . ونسـأل المؤلف عن دور المـأذون الشرعي والشاهدين الذيـن حضروا الاتفاق ، ولماذا حضروا ؟؟؟[1] .

٣٤ـ المـوت والعـزاء: قال المؤلف: (مثل الرجال تحيا المـرأة وتموت ، وتقبر في المقابر نفسهـا ، ويُعزّى فيها . والنسـاء لهن شخصيات قيادية وهن صاحبات رأي في الأسرة ، وفي قضايـا المجتمع ، وقـد يتدخلن في تهدئة الكثير من الجبهات التـي تنشب بين بعض الأسر، وحتى القبائل . والمرأة عندما تتزوج من قرية أخرى تعد سفيرة لتلك القرية . ويصبح لتلك المصاهـرة والنسب أثر كبـير في تحسن العلاقات بين أهل القـرى المختلفة ، ودائماً يفتخر الولد بأخواله وهم أهل والدته، والنساء يدخلن في بعض القضايا المهمة فيكون لهن تأثير في حل بعض النـزاعات أو في التقريب بين النـاس ، وعندما تحل كارثة بأهل البيت أو أهل القرية في الوفـاة مثـلاً ، أو أي ملمة أخرى فإن المرأة تعبر عن حزنهـا بالبكاء ، وأحياناً بصمتها ، وبعضهن يحاولن أن يصمدن ويبدين رباطة جأش حتى لا ينظر إليهن على أنهن ضعيفات ، ولكن حسب الكارثة التي تلم بهم جميعاً . وعندما تتوفى المرأة يبلغ النـاس بالوفاة ويبدأ أهل القريـة والقرى المجاورة بالذهاب إلى المقبرة، والتي تسمى (المجنة) ويبدأون بحفر القبر حسـب طول المرأة وحجمها . وغالبـاً لا يحتاج النـاس لأكثر من أن يتنادوا ويتعالموا بالخير . ليجتمـع الجميع في (المجنة) . في الوقـت نفسه يتم غسل المرأة من قبل أهل بيتها وخاصة النسـاء أو مـن أولادها ، ويتم إعـداد الكفن لها)[2].ثم سرد المؤلـف : صفة صلاة الميت ، وكيفيـة القبر في اتجاهه وعمقه ، وكيفية إحضار الجنازة ودفنها ، وصفة العزاء . وكل هذا

---

(١) أهل منطقة عسير ، أو أهل تهامة والسراة أصحاب عقائد صافية ، ومسلمون ، لذا فهم حريصون على توفر شروط عقد الأنكحة والمأذون والشهود يجب حضورهم في أي عقد . كذلك إذا قصرنا حديثنا على السبعين أو الثمانين سنة الأخيرة فالعقود المكتوبة موجودة إلى حد ما ، أما قبل هذا التاريخ فإنها تكاد تكون معدومة عند عامة الناس . (ابن جريس) .

(٢) ص ١٨٤. (ابن معبِّر) .

كلام كثير لا تحصل به الفائدة ، مع تركيز المؤلف على المرأة، وكأنها من كوكب آخر[١].

٣٥- ألف ليلة وليلة في الجنوب : قال المؤلف : (لقد دخلت الحداثة وأدخلت معها أدواتها التي غيرت مسار الحياة في القرى الجنوبية، وبعدما كان النهار للعمل ، والليل للنوم والراحة ، تغير البرنامج وأصبح السهر وكثير من الأنشطة تتم في الليل ، حتى أن الأسواق تنشط ليلاً أكثر من النهار . وحتى شهر رمضان الذي يعد شهر العبادة والصلاة ، تحول إلى سهر وبرامج مكثفة بعكس النهار الذي لا يعمل فيه الناس إلا الشيء القليل ، وفيه ينامون بكثرة ، هذا التغير في الحياة الليلية في الجنوب كان من نتائج الحداثة ومن التغير الكبير الذي طرأ على المجتمع ، من هنا كانت ألف ليلة وليلة)[٢].

قلت : هذا هو مدخل القسم الثاني (نساء بلا حدود) ، سطور تكتب بمداد الذّهب، وكلمات تَتَنَفَّس الحقيقة القاتمة ، وفي ذرى هذه السطور والكلمات لفظة (الحَدَاثة) ، ولعلّ المؤلف هو أول من أحسن التعبير عن الأدوات والآلات بهذه اللفظة ، ولم يقل (الحضارة) أو (مُتَحضِّر) لأن الحَضَارة تمثل تفاعل الإنسان مع مكتسباته العلمية والفكرية وتوظيفها ، والإفادة من الحضارات الأخرى ، مع المحافظة على العقيدة والقيم الرّاسخة .أما (الحَدَاثة) فتمثل صورة نمطية من التقليد والاستيراد للأدوات والآلات والقيم ، وليس هناك أدنى مجهود في إعمال العقل أو البدن .و (الحداثة) أيضاً : دَاعِية إلى الكسل والخمول ، والسّعي نحو الشهوات.

ولكنّ المؤلف لا يثبت على هذا المفهوم حول (الحداثة) وهو ما نتفق عليه معه فيه، لأن نصّ المؤلف الذي سقته آنفاً يقع خارج الحداثة التي سيعزف المؤلف على أوتارها في بعض صفحات القسم الثاني من كتابه ، ولا سيما في صفحة (٣٢٠) وما بعدها .

٣٦- لمحة تاريخية : قال المؤلف : (نظراً لوعورة المنطقة الجنوبية وجبالها العالية فقد كانت محمية من الغزوات والغارات الأجنبية سوى الأتراك الذين نظر إليهم على أنهم امتداد للحكم الإسلامي . كما أن محمد علي باشا دخل عسير ضمن حملته على الدعوة في الدرعية وكافة قبائل العرب الموالية لها ، وقد تصدى له أهالي عسير وأجبروه

---

(١) يا ابن معبرٍّ لا تحتقر من الأمر شيئاً ، فهذه معلومات تاريخية حضارية تفيد الأجيال القادمة حتى يطلعوا على حياة آبائهم وأجدادهم في دفن الميت وإجراء مراسيم الدفن والعزاء . (ابن جريس) .

(٢) هذا ما عرفنا ونعيشه الآن . أما قول المؤلف (ألف ليلةٍ وليلة) ، فهذا المصطلح في بعض كتب التراث ، ومن يقرأ كتاب (ألف ليلة وليلة) يجد أنه مختلف كثيراً عما أشار إليه الباحث. والمدنية الحديثة هي التي أنتجت هذا الحراك الاجتماعي الذي يعيشه أهل الجنوبِ، بل عموم سكان المملكة العربية السعودية ، وهذا مما صدرته لنا العولمة، وللأسف أن هناك عادات وأعرافا كثيرة يعيشها الناس اليوم ، وهي دخيلة علينا بل أضرارها كبيرة في كثير من أمور حياتنا العامة والخاصة . (ابن جريس) .

علـى عقد الصلح معهـم ، ثم عاد الأتراك مرة أخرى ، وقد لقـوا المقاومة من المواطنين في مناطـق مختلفة، وخاصـة في الجنوب ، مما اضطر الحاكـم العثماني إلى عقد صلح مـع رؤساء تلك القبائل غـير أن الأتراك العثمانيين بسطوا نفوذهـم في بعض الأماكن ، وأقاموا لهم بعض القلاع . وكانوا لا يختلطون بالمواطنين حتى سقطت الدولة العثمانية ، وخرجوا من بلاد العرب كافة . وقد تعرض الأتراك للكثير من الاستفزازات ومن الهجوم مـن قِبل المواطنين الذيـن لم يأنسوا بهم بالرغـم من محدودية دورهم الـذي كان دوراً أمنيـاً ، فهـم لا يتدخلـون في حياة الناس إلا عنـد الضرورة التي تحتـم عليهم التدخل . ومن الروايات الكثيرة أن أحد رجال الجنوب ويدعى (ابن سحبة) وقد اشتهر بالسرعة والشعر ، والقدرة على مناكفة الأتراك ، قد قام بمهاجمة مجموعة منهم ، وقتل بعضهم وهـرب بأسلحتهم ، وطاردوه حتـى علموا بوجوده في إحدى القرى المسماة (وادي البيح) فهجموا على القرية بحثاً عنه ، مما جعل أهل القرية يتبادلون إطلاق النيران مع الأتراك ، بينما تمكن ابن سحبة من الهرب . وقد وثق تلك الحادثة ببيتين من الشعر قال فيها :

يقل ابـن سحبه لا سقى وادي البيح هـدت علـى الخيـلُ والـضـابـطـيـة

وأنجـاني الله مـن رصـاص الكبكلي وحـطـه الله بـين علـكـم والأتـــراك

ولم يجلـب الأتراك للمنطقة أي شـيء سوى أنهم كانوا يقبضون على من يطلب من قبل السلطة في اسطنبول ، ويجمعون الزكاة والضرائب من الناس [١] . وقد جاء في إحدى الروايـات أن أحـد رجال قبائل الجنوب قد ألقي القبض عليه من قبل الأتراك ، وبينما هـو في طريقه مع الأتـراك متجهين به عبر قرى محايل للوصـول إلى ميناء البرك على البحـر الأحمر لأخـذه إلى اسطنبول ، فرح بعض الناس في محايل بأنهم أخذوه وصاروا يصفقون ويضحكون مبتهجين بالقبض عليه . وعندما سأله الأتراك لماذا الناس فرحون بالقبض عليه ؟ قال : ((لي عندهم ديون وفرحوا بأنني لم أعد قادراً على أخذها)) ، فما كان من الأتراك إلا أن أخذوا ما طلبه من أهل محايل ، وصار هذا مثلاً يحكى حيث يقال (تخلوفة ابن أحمد على أهل محايل) [٢] .لقد تعرضت بعض قرى الجنوب وقبائلها

---

(١) كلامـك يـا ابـن موسى عـام ووصـول العثمانيين إلى عسـير وإلى جنـوب الجزيرة العربيـة فصلته كثـير من الكتب مع ما فيها من خلط وتجن على الدولة العثمانية . نعم كان لهم سلبيات لكن أيضا لهم إيجابيات لم يذكرها المؤرخون . ومازال هناك كثير من الوَثائق غير المنشورة التي تشير إلى صور من تاريخ بني عثمان الإيجابي في الجزيرة العربية بـل في عموم البلاد العربية . ومن المؤسـف أن المؤرخين المسلمين والعرب بالغوا في ذكر مثالب الدولة العثمانية وتجنوا عليها في كثير من الجوانب ، مع أنهم مسلمون قدموا الشيء الكثير لصالح الإسلام والمسلمين . (ابن جريس) .

(٢) يوجد تناقض في هذا القول ، ففي السطور السابقة ذكرت (ابن سحبة) ، وهنا ذكرت (ابن أحمد) ، فهل هما اسمان لشخص واحد ، أم ماذا ؟ (ابن جريس) .

للأطماع من قبل بعض القوى ، والتي ما إن تظهر حتى تسقط أو تغيب . حيث يذكر التاريخ أن الإدريسي حاكم صبيا وهو من أصل مغربي من مراكش جاء لمكة ثم انتقل إلى صبيا ، وتمكن من إقامة حكم محلي فيها ، ثم بعد وفاته جاء أحد أحفاده ، الذي راوده حلم إقامة حكم أوسع فقرر مكاتبة القبائل في الجنوب ، وخاصة في عسير بناء على اتفاق خدع به الدولة العثمانية التي توجست من بسط نفوذه على بعض القبائل . وقد غرر بها حيث بين أنه تحت مظلة الدولة العثمانية، ويرغب في بسط نفوذ العثمانيين على تلك القبائل ، وقد أسهموا في دعمه بمكاتبة شيوخ القبائل ، واستغل ذلك الدعم . فقدم الدعوة لمشايخ عسير، وادعى أنه المهدي المنتظر، وقد قام بخداعهم ببعض التصرفات لإثبات ذلك الادعاء ، ولهذا قبل أولئك الرجال دعوته، وخاصة أنه قد جاء بواسطة الدين الذي يحاول من خلاله كسب أولئك المؤمنين[١] . لهذا كان الدين هو المدخل الدائم لهذه المنطقة وأهلها لما يمثله من أهمية عند الناس ، بحكم عقيدتهم الصافية ، وممارساتهم الدينية المنضبطة . من هنا يمكن القول بأن الجنوب استمر محافظاً على دينه وعقيدته ، وطبيعته الزراعية منذ دخل في الإسلام . وتميز أيضاً بمحافظتهم على قيمه وتقاليده ، وأعرافه وثوابته . وقد كان أهله من أوائل من دخل في الإسلام برغبة من الناس، وليس نتيجة أي حروب أو غزوات ، فالناس فطريون بطبيعتهم[٢] . وعندما دخلوا في الإسلام أخذوه ببساطته وأصالته وحافظوا عليه ، وقاموا به على خير وجه . فهم يمتنعون عن حرامه ، ويحللون حلاله ، ويتناصحون فيما بينهم . ولم يخرج أهل المنطقة الجنوبية من مناطقهم إلا للمشاركة في الجهاد والفتوحات الإسلامية ، أو للحج أو طلب العلم وأحياناً يخرج بعضهم بهدف البحث عن سلعة . وخاصة أن هذه المناطق من أغنى المناطق في جزيرة العرب ، وكانت مشهورة بمواردها الزراعية ، والنباتية والحيوانية المتنوعة إضافة إلى المياه الجوفية ، وكثرة الأمطار)[٣] .

---

(١) أيضاً يا دكتور علي أنت تخلط في تدوين هذه الأقوال ، وكان الواجب عليك أن تتوسع في قراءة أحداث ذلك الزمن الذي تتحدث عنه ، وتطلع أكثر على تاريخ الأدارسة في منطقة جازان منذ ظهورهم حتى نهايتهم. (ابن جريس) .

(٢) يا دكتور علي أوشكت أن أحذف هذه الجزئيات التي دونها ابن معبِّر نقلاً من كتابك ، لأنها معلومات سطحية ، وأحياناً غير دقيقة وغير صحيحة. والواجب على أي باحث في التاريخ أن يتثبت من معلوماته قبل تدوينها ونشرها على الناس . (ابن جريس) .

(٣) ص٩١٣. (ابن معبِّر) . ما ذكرت صحيح ، لكنها معلومات عامة، والحقيقة أن مناطق الجنوب مر عليها أحداث ورزايا منذ عصور ما قبل الإسلام ، وعبر عصور التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط والحديث ، نعم إن الدين الإسلامي وصل إليها ودخل أهلها الإسلام ، لكن فيهم من ارتد في حروب الردة ، وشاركوا في أحداث التاريخ المختلفة التي وقعت داخل الجزيرة العربية أو خارجها ، وهناك سلبيات وإيجابيات مارسها الكثير من سكان هذه البلاد عبر أطوار التاريخ الإسلامي . (ابن جريس) .

قلت : من الأوّلى أن تكون هذه اللمحة التاريخية في أول الكتاب بعد المقدمة ، مع إضافة الموضوعات التي تلتها وهي (الرسول والأزد) و (علي بن أبي طالب والأزد) و (علاقة السراة بمكة) إلى اللمحة التاريخية ، ومراعاة الترتيب الزمني ابتداء بالعهد النبوي ، ثم العصور الإسلامية على التوالي ، إضافة إلى تدوين التواريخ لكل فترة . ونقر أللمؤلف قوله : (من هنا يمكن القول بأن الجنوب استمر ... حتى ... وكثرة الأمطار) وفي هذا القول إطلاقات ومثاليات يحاول إسقاطها على أهل الجنوب . نعم ، لقد دخل بعض أهل الجنوب في الإسلام عن طواعية وانقياد دون حرب . ولكن التاريخ يذكر لنا السَّرايا التي بعثها الرسول ﷺ إلى مناطق الجنوب ، ومن بعده الخلفاء الراشدين . رضي الله عنهم . ففي شمال الجنوب وفي ذي الخلصة التي كانت مقصداً لإحدى السرايا ، وغير بعيد ذهبت سرية إلى بلاد زهران في أرض دوس . ووجه الرسول ﷺ إلى بلاد الجنوب جيشاً بقيادة صُرد بن عبد الله الأزدي لفتح مدينة جُرَش . وليس عيباً أن يدخل الناس في الإسلام عن طريق الحرب ، فها هي مكة ، وهي أشرف بقاع الأرض ، يقدم إليها الرسول ﷺ غازياً ، فهل يُعاب على أهل مكة ممن أسلم في عام الفتح إسلامهم بالحرب . ويدل ما ورد في موضوع (لمحة تاريخية) أن المؤلف لا يريد التَّعب بالبحث في كتب التاريخ وغيرها ، وإنما يكتفي بما عَلِقَ بذاكرته من بعض الإشارات التاريخية ، ويشفعها بالمثاليات [١] .

٣٧ـ الرسول ﷺ والأزد : قال المؤلف : (أهل الجنوب هم من الأزد الذين تفرعت منهم بطون وقبائل كثيرة ، وقد حظي دخولهم في الإسلام بأهمية خاصة من رسول الله ﷺ . (حيث ذكر أبو نعيم في معرفة الصحابة بسنده قال : سمعت أبا سليمان الدارمي قال حدثني علقمة بن مرثد عن سويد الأزدي قال حدثني أبي عن جدي عن سويد بن الحارث الأزدي قال: وفدت سابع سبعة من قومي على رسول الله فلما دخلنا عليه ، وكلمناه فأعجبه ما رأى من سمتنا وزينا فقال : ما أنتم ؟ . قلنا : مؤمنون ، فتبسم رسول الله وقال : إن لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وإيمانكم ؟ قلنا: خمس عشرة خصلة ، خمس منها أمرتنا رسلك أن نؤمن بها وخمس أمرتنا أن نعمل بها وخمس تخلقنا بها في الجاهلية فنحن عليها إلا أن نكره منها شيئاً .فقال رسول الله : ما الخمسة التي

(١) نعم يا ابن معبِّر هذا بيت القصيد ، فكلام ابن موسى غير دقيق ومضطرب أحياناً في هذا المحور كان من الأفضل أن لا يكتب عن هذا العنصر فهو مبسوط في كثير من المصادر والمراجع ، أو أنه يدرس حقب التاريخ الإسلامي في هذه البلاد ويوفيها حقها من البحث والدراسة . (ابن جريس) .

أمرتكم رسلي أن تؤمنوا بها ؟ قلنا : أمرتنا أن نؤمن بالله .. وملائكته .. وكتبه .. ورسله .. والبعث بعد الموت .قال : وما الخمسة التي أمرتكم رسلي أن تعملوا بها ؟قلنا : أمرتنا أن نقول لا إله إلا الله .. ونقيم الصلاة .. ونؤتي الزكاة .. ونصوم رمضان .. ونحج البيت من استطاع إليه سبيلاً .فقال : وما الخمسة التي تخلقتم بها في الجاهلية ؟ قالوا : الشكر عند الرخاء .. والصبر عند البلاء .. والرضى بمُر القضاء .. والصدق في مواطن اللقاء .. وترك الشماتة بالأعداء . فقال الرسول : حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء . ثم قال : وأنا أزيدكم خمساً فيتم لكم عشرون خصلة إن كنتم كما تقولون . فلا تجمعوا ما لا تأكلون ، ولا تبنوا ما لا تسكنون ، ولا تنافسوا في شيء أنتم عنه غداً تزولون ، واتقوا الله الذي إليه ترجعون وعليه تعرضون ، وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون . فانصرف القوم من عند رسول الله ، وحفظوا وصيته وعملوا بها) . (البداية والنهاية – ابن كثير ٥/ ٩٤) .وعن شعيب بن الحبحاب ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : (الأزد أسد الله في الأرض ، يريد الناس أن يضعوهم ، ويأبى الله إلاّ أن يرفعهم، وليأتين على الناس زمان ، يقول الرجل : يا ليت أبي كان أزدياً ، يا ليت أمي كانت أزدية) . أخرجه الترمذي (٣٩٣٧) قال : حدثنا عبد القدوس بن محمد العطار ، حدثني عمي صالح بن عبد الكبير بن شعيب بن الحبحاب، حدثني عمي عبد السلام بن شعيب ، عن أبيه ، فذكره .واستمر أهل الجنوب يحافظون على الدين ويمارسون شعائرهم بكل أمانة مثلما وصفهم رسول الله ـ ﷺ حيث لم تدخل عليهم أي مؤثرات لتلوث أفكارهم ومعتقداتهم[(١)] . وقد وصفهم الرسول ـ ﷺ بالأمانة لما رأى منهم من خصال حميدة. قال رسول الله ـ ﷺ : (مرحبا بالأزد أحسن الناس وجوهاً وأشجعهم قلوباً وأطيبهم أفواهاً وأعظمهم أمانة ، شعاركم يا مبرور) عن ابن عباس. وهناك أحاديث كثيرة لمن يريد المزيد وردت عن رسول الله ـ ﷺ يثني فيها على الأزديين وأخلاقهم الحميدة ودورهم في الفتوحات الإسلامية المختلفة)[(٢)] . قلت : بدأ المؤلف حديثه بقوله : (أهل الجنوب من الأزد ...) . فإذا أراد المؤلف بأهل الجنوب

---

(١) أهل الجنوب ، أو الأزد في الجنوب أو غيرها دخلوا الإسلام وشاركوا في بناء الحضارة الإسلامية ، وكان فيهم أيضاً من له مشاركات سلبية في بعض الأحداث الداخلية في جزيرة العرب أو خارجها . وهم مثلهم مثل غيرهم من الأقوام يصيبون ويخطئون . (ابن جريس) .

(٢) للمزيد عن تاريخ الأزد أو أهل تهامة والسراة في القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة . انظر غيثان بن جريس. دراسات في تاريخ تهامة والسراة (ق١ ـ ق١٠هـ/ق٧ ـ ق١٦هـ). كتاب صدر في مجلدين في حوالي ألف صفحة . (ابن جريس) .

جميع المناطق الإدارية (الباحة ، جازان ، عسير ، نجران) فإنه يُخالف الحقيقة التاريخية منذ عهد الرسول ﷺ حتى اليوم . فالقبائل الأزدية في الجنوب كما يلي: (١) غامد . (٢) زهران . (٣) رجال الحَجْر (٤) بارق .(٥) رجال ألمع . ويشتمل الجنوب ـ مع الأزد ـ على قبائل كثيرة لا تنتسب إلى الأزد ومنها : (أ) خثعم . (ب)شهران ، وهي من خثعم . (ج) قبيلة عنْز بن وائل، وفروعها : رُفَيْدة ، وأراشة ، وعسير . (د) عبيدة. (هـ) يام (و) بلحارث بن كعب. (ز)بنو شُعبة .(ح) مَذْحج .وغيرهم [١]. وقد ساق المؤلف ثلاثة أحاديث تتعلق بالأزد، وكأنّه يؤكد على انفراد الأزد بخصيصة ذكرهم في السُّنَّة . ولو نظر المؤلف في كتب السيرة ، وكتب الأنساب ، فإنه سيجد الكثير من القبائل الجنوبية ـ من غير الأزد ـ ممن وصلت وفودهم إلى النبي ﷺ ، والأحاديث التي ساقها المؤلف في الأزد ضعيفة ، في سندها المجاهيل والمتروكين[٢] . **٣٨. علي بن أبي طالب والأزد:** قال المؤلف:(ورد في ديوان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، الذي نشرته دار الكتاب العربي، ببيروت ، وصف الأزد الذين سجل لهم التاريخ مواقف مشرفة ، يمكن أن تقرأ وتحلل وتستنتج من وصف علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين كرم الله وجهه فيهم، حيث قال :

الأَزْدُ سَيْفي على الأعداءِ كُلِّهم وسَيْفُ أحمدَ مَنْ دانَتْ له العربُ[٣]

وساق المؤلف بعد هذا المطلع تسعة عشر بيتاً ، ثم قال : (هكذا هم أهل القرى الجنوبية ، الذين استمر تمسكهم بدينهم منذ دخولهم في الإسلام، لم يزيدوا فيه ولم ينقصوا . وقد حافظوا على الزراعة وعلى الرعي عندما كانت تعد من أهم الوظائف والأعمال ، التي يشتغل بها الجميع . وتفانوا في الزراعة وحولوا الجبال إلى مدرجات زراعية غاية في الجمال ، مما منحهم الاستقرار والاستمرار في حياة كريمة)[٤]. قلت: لقد نُسِبَ إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه الكثير من الشِّعْر، وتعددت

---

(١) صدر عن هذه القبائل والبلاد عدد من البحوث والدراسات لكنها مازالت بحاجة إلى دراسات أشمل وأعمق وبخاصة في أنسابها وهجراتها وصلاتها ببعضها . (ابن جريس) .

(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة ، الألباني (٢٤٦٧) . الكامل في الضعفاء ، ابن عدي ، جـ٦ ، ص٥٧ . محجة القرب ، العراقي ، ص١٥٨ ، ص٣٢١ . ميزان الاعتدال ، الذهبي ، جـ٣ ، ص٢٠٦ . (ابن معبِّر) وأقول إن بضاعة ابن موسى في التاريخ بسيطة وسطحية ، وكان عليه أن يوسع قراءته ، أو لا يدخل في ذكر أخبار تاريخية قديمة دون الرجوع إلى المصادر الرئيسية في علم التاريخ . (ابن جريس) .

(٣) ص١٩٧. (ابن معبِّر) .

(٤) ص١٩٨. (ابن معبِّر). تاريخ الاقتصاد وبخاصة الرعي والزراعة في بلاد تهامة والسراة (الجنوب) من الموضوعات التي لم تبحث بطريقة علمية موسعة . (ابن جريس) .

طبعـات ديوانه مـن غير طبعة دار الكتاب العربي في بيروت ، ومن هذا الشِّعر ما صَحّت نسبتـه إليه ، ومنه المَنْحـول[1] . والمنحول أكثر . ولا يصح قـول المؤلف: (هكذا هم أهل القرى الجنوبية) فليس كل أهل الجنوب من الأزد.[2]

٣٩. علاقـة السَّـرَاة بمكة : قال المؤلف: (العلاقة بين أهـل القرى الجنوبية ومكة مرتبطـة بالدين، فهم يتجهـون في صلاتهم إلى الكعبة ، غير أن العلاقة المباشرة تتمثل في موسم الحج الذي يشارك فيه الكثير من الجنوبيين لأداء فريضة الحج ، تلك العلاقة الوثيقة تجعل أهل الجنوب في حالة تواصل مستمر مع العلماء والمسلمين الذين يأتون إلى مكـة من كل الحواضر والبـلاد الإسلامية ، إضافة إلى ارتباط مكة بالجنوب من خلال التجـارة كما ورد عن رحلة الشتاء والصيف التـي كانت تتم مع مكة عبر آلاف السنين ، ولكن تلك العلاقة توثقت مع دخول أهل القرى الجنوبية في الإسلام . فقد ذكر ابن جبير في رحلته إلى مكة ((الميرة)) التي كانت تأتي بها قوافل القبائل القادمة من السراة إلى مكة للحج وفيها آلاف الرجال والجمال والتي تحتوي على مختلف أنواع الأطعمة والحبوب من الحنطة حتى اللوبيا وما دونها ، والسمن والعسل والزبيب والفواكه المجففة ، ويجتمع في ((المـيرة)) ما هو طعام ومـا هو فاكهة. فيعم مكة وما حولها رغد العيش وترخص الأسعار ويحصلون على ما يتوقون إليه ، ويدخرون منه ما يكفيهم لمدة عام حتى تأتي الميرة في العام الذي يليه، ولولا تلك ((الميرة)) التي تأتي من السراة لكان أهل مكة في شظف من العيش . وقد أكد ابن جبير أن أهل السراة لا يبيعون ما يجلبونه معهم من أرزاق وخيرات لمكـة بدينـار أو درهم ، ولكن كانوا يأخذون مقابلها الملابس والأقمشة والشمل التي يعدها أهل مكة للبيع والشراء من أهل السراة). انظر: ابن جبير ، أبو الحسن محمد بن أحمد (ت٦١٤هـ الموافـق ١٢١٧م) : تذكـرة الأخبار عن إنفـاق الأسفار المعـروف برحلة ابن جبـير، دار الهلال . ببيروت . ولهذا كانت الزراعة هي المصدر الأساس الذي يعتمد عليه أهل الجنوب الذين سخروا حياتهم لتطوير الزراعة التي كانت شغلهم الشاغل ، فتنوعت محاصيلها وثمارها ومنتجاتها لتغطي الاحتياج في مناطق مختلفة ومنها مكة)[3] .

---

(١) علي بن أبي طالب : شعره وحكمه ، أحمد تيمور ، ص ١٦ وما بعدها .(ابن معبِّر) .

(٢) صـدر بعض الرسائـل العلمية والبحوث الموثقة عـن قبائل الأزد داخل وخارج شبـه الجزيرة العربية . وتاريخهم في محيط بلاد تهامة والسراة لم يدرس دراسة موثقة وواسعة ، ونأمل أن نرى أحد أبنائنا في برامج الدراسات العليا فيدرس هذا الموضوع دراسة أكاديمية . (ابن جريس).

(٣) ص١٩٩.(ابن معبِّر) . اتفق مع ما ذكره ابن موسى على أن أرض السراة تزود بلدان الحجاز بالمون الكبيرة وبخاصة الحبوب والمواشي . وهذا التموين استمر خلال عصور الإسلام إلى النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) فهناك بعض الرواة الذين التقيت بهم في بلدان تهامة والسراة من مناطق عسير خلال

قلت : اجتزأ المؤلف بعض ما في نصّ ابن جبير ، ولم يورده بنصه ، لأنه يريد إسقاط ذلك على أهل الجنوب (الباحة ، جازان ، عسير ، نجران) كافَّة .وحتى نعلم ما قاله ابن جبير عن أهل السراة ، فإنني أوصي القارئ بالرجوع إلى نصوص ابن جبير كاملة في كتابه الرحلة[١] .

وقد اعتمد الكثير من الباحثين على نصوص ابن جبير عندما يكتبون عن السراة من مدينة الطائف إلى مدينة أبها ، وكل باحث يسقط النَّص على المكان الذي يكتب عنه من بلاد السَّرَاة، وعلى هذا جرى الدكتور علي بن موسى[٢] . ولأنّ رحلة ابن جبير محدودة المكان والزمان ، فإنها لا تحمل الدلالة على كل قبائل السَّراة. فابن جبير قال: (وهم قبائل شتى كبجيلة وسواها) ، وهذا ـ على التخصيص المكاني ـ لا يتعدّى السراة القريبة حول مدينة الطائف[٣] .كما أنّ ابن جبير لا يمكنه الإحاطة بجميع القبائل الوافدة من السراة ، إذْ ينتشرون في جميع المشاعر في موسم الحج ، فما ذكره من مشاهدته لبعضهم لا يمكن الحكم به على جميع حجاجٍ بلادٍ السّراة. ومن ذلك وصفه لصلاتهم بقوله : (يسجدون دون ركوع ، وينقرون بالسجود نقْراً ...) فهل يقال بأنّ كل أهل السراة على هذا الحال من الجهل بالصلاة ؟ ، لأنّ ابن جبير قال ذلك ، وهو لم يتصل بهم كُلّهم[٤] . ولذلك لا يؤخذ كلام ابن جبير على علاَّته ، فيقال بأن أهل السراة الذين وصف حال بعضهم في رحلته ، وهو لا يعرف بلادهم ، فهو ينقل عن غيره في بعض حديثه ، ويصف بعض حالات فردية شاهدها بنفسه ، ولا تقوم بهذه المشاهدات الحجة على كل أهل السراة . وليس كل الحجاج من السراة يفدون

الأربعين سنة الماضية وذكروا لي أن الكثير من محاصيل مزارعهم وكذلك مواشيهم كانت تصدر إلى أسواق الحجاز وبخاصة مكة المكرمة في مواسم الحج وغيرها . بل إن هناك بعض الأجداد والأقارب من عشيرتنا من عملوا في جلب هذه السلع إلى الطائف ومكة خلال العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م) . المصدر هذا ما جمعه الباحث وسمعه أثناء تجواله في بلدان تهامة والسراة منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر . (ابن جريس) .

(١) انظر: رحلة ابن جبير، ص ١١٠-١١٣ . ابن معبِّر نقل حوالي ثلاث صفحات من كتاب ابن جبير في بحثه هذا ، وبسبب طول هذه النصوص حذفتها وأشرت في المتن إلى أهمية الرجوع إلى تلك النصوص في كتاب ابن جبير . (ابن جريس) .

(٢) من المؤكد أن بلاد السراة التي أشار إليها ابن جبير وغيره والممتدة من الطائف إلى سروات مذحج كانت تزود بلاد الحجاز بالكثير من السلع وبخاصة المحاصيل الزراعية والمواشي وغيرها . والسرويون يستوردون من الحجاز سلعاً تفيدهم في أوطانهم مثل الألبسة وغيرها . (ابن جريس) .

(٣) هذا ما ذكره ابن جبير ولكنه أيضاً ذكر بلاد السراة وسكانها وهم (السرو) أو السرويون وليست سراة بجيلة الوحيدة في بلاد السراة وإنما هناك سروات أخرى عديدة ذكرها بعض القدماء من الرحالة وكتب التراث الأخرى . (ابن جريس) .

(٤) هذا كلام صحيح ، وأتفق مع هذا القول ، لكن ابن جبير أيضاً أفرد في كتابه صفحات عن السرويين الذين ينتسبون إلى بلادة السراة . وللمزيد انظر تلك الصفحات . (ابن جريس) .

إلى مكة بنيّة العمرة وميرة أهل مكة ، بل بعضهم من يفعل ذلك . ويقول ابن جُبير : (ولولا هذه الميرة لكان أهل مكةَ في شظف من العيش) . ولا يستقيم هذا النّص مع الواقع حينذاك ، فهناك الكثير من البلدان – عدا السّراة – تصل ميرتها إلى مكة ، بل بعضها بالقرب من مكة ، ومنها (الزَّيْمَة) و (الطائف) وغيرها . وفي نصّ رحلة ابن جبير ما يُنَاقض قول الدكتور علي بن موسى في التزام أهل الجنوب – السَّرَاة – بالعبادات دون زيادة أو نقصان، فابن جبير يرسم صورة مضحكة لأهل السَّراة في أداء الصلاة[1] .

٤٠ـ الدولة والمواطنة : قال المؤلف : (ولأن المرأة في عصمة الرجل فقط فالمرأة مضافة في التابعية، أو حفيظة النفوس أو في دفتر العائلة . ومؤخراً أصبح لبعضهن بطاقة شخصية . إلا أن المرأة لا تستطيع أن تحصل على كثير من المصالح والحقوق بدون موافقة ولي أمرها ، أو من تتبع له في وثائقه الرسمية ، ولذا يصعب على النساء أن يسافرن بدون موافقة مسبقة من الرجل الولي ، حتى وإن كانت الأم المطلقة أو الأرملة ، أو المرأة المسؤولة . حتى أهل الأوضاع الخاصة، ممن هم بحاجة لأن يباشرن احتياجاتهن بأنفسهن لا تزال لديهن الرغبة في معالجة الكثير من الصعوبات التي تواجههن . ومع أن بعض النساء قد حصلن على الهوية الشخصية ، وعلى جوازات السفر بموافقة أولياء أمورهن غير أن بعض النسوة لا يزال يحتاج إلى الهوية الوطنية حسب احتياجاتهن ، وظروفهن ، وحتى تستفيد المرأة من الخدمات والمكتسبات التي يمنحها الوطن. وبالرغم من كل تلك التحديات ، فإن هناك الكثير ممن حصلن على دعم وتشجيع أولياء أمورهن ، وعلى الهوية الشخصية وجواز السفر والموافقة بالتنقل والتصرف في ما يرينه من حقوقهن) [2] .

---

(١) ربما شاهد ابن جبير حالات فردية أو قليلة فيما يخص عباداتهم . أما تزويدهم أهل الحجاز بالمؤن مثل الحبوب والمواشي فهذه حقيقة مؤكدة ، وذلك لوفرة المحاصيل الزراعية في أرضهم ، وكثرة المواشي (الأغنام، والأبقار، والإبل) في بلادهم،وهذا الذي وجدناه في كثير من الوثائق التي اطلعنا عليها خلال الثلاثة عقود الماضية،وكذلك ما ذكره ورواه بعض الرحالة والرواة في القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م).
وأثناء قيام الدولة السعودية الحديثة: كانت مناطق الجنوب هي مخازن الحبوب والثروات الحيوانية التي تدعم وترفد مالية الدولة السعودية الحديثة ، وفي حوزتنا آلاف الوثائق التي تؤكد هذه المعلومات. (ابن جريس) .

(٢) ص٢٠١ . (ابن معبِّر) . إن كلامك يا دكتور لا يخلو من الخلط ، فالسفر وما ذكرته عن المصالح التي تحتاجها المرأة وعلاقاتها بالرجل مذكورة في كثير من الوثائق والمدونات الرسمية التي أصدرتها الدولة ، ثم إن هناك أمور شرعية مذكورة في القرآن والسنة تنظم حياة المرأة وحفظ حقوقها وعلاقتها بالرجال. وكان الواجب عليك أن تفصل الحديث في هذاٍ المحور ، لأن من يقرأ أقوالك يقفز إلى النتيجة بأن المرأة مظلومة ولا تأخذ حقها ، وهذه النداءات نسمعها كثيرا من وسائل الإعلام ، وعند بعض الباحثين وغيرهم ، وليس هدفهم كما يدعون إنصاف المرأة ، لكنهم يهدفون إلى وجوب منافستها للرجل والمشاركة في جميع ميادين الأعمال التي يعمل فيها

قلت : إضافة المرأة في الوثيقة الرَّسميّة العائدة للرجل مسألة تنظيمية ، مثلها مثل الإبـن الذي يسجل في هذه الوثيقة .أمّا السَّفر والتنقل للمرأة ، واشتراط الإذن من ولي الأمـر، أو شرط وجود المَحْرَم ، فليس هذا من تشريعات الدولة ابتداءً ، فالدولة أخذت بالتشريع الإسلامي في هـذا الشأن.وأمّا المصالح والحقوق والخدمات والمكتسبات التي يقـول المؤلف بعـدم حصول المرأة عليها ، فذلك مُرْتهن بنـوع المصلحة ، ولأن المؤلف لم يُفَصِّل ويَشْرَح هذه المصالح، فالأمر مجرد دفاع عن المرأة بدون دليل[١] .

٤١ـ الكرم والضيافة : تسع صفحات (٢٠٣ – ٢١١) تحدث فيها المؤلف عن تقاليد الضيافـة في قرى الجنـوب .والقارئ لهذه الصفحات من غير أهـل الجنوب ، سيرى فيها صـورة لجميـع مناطق الجنوب (الباحة ، جازان ، عسير ، نجـران) ، وهي صورة مُغَايرة للواقـع ، لأنَّ كلام المؤلف يخصـ منطقة عسير ، بل بعض جهاتها فقط .حتى الدليل الذي قدّمه المؤلف ، وهو بعض ما جاء في استطلاع عن مدينة أبها في مجلة (العربي) الكويتية ، في عدده (١٢٨) ، ربيع الآخر ١٣٨٩هـ ، وهذا الاستشهاد لا يُعَبِّر عن قرى الجنوب ، فهو يخصـ جزءاً من عسير، فكيف يجعله دليلاً على كل الجنوب؟ أما كلام الأستاذ محمد بن صالـح الفَوّاز مدير التعليـم في أبها ، الذي استضافه أهل (هضبـة بني جُرَي) لمدة ثلاثة أيـام بلياليهـا ، ولم يذهـب لأداء عمله ، فلا يمكن قبوله ولا سيمـا أن هضبة بني جُري في طـرف مدينـة أبها ، ويمكنـه أن يذهب إلى مقر عمله ، ويعود إليهـم لتناول طعام الغداء ، وهكذا، إلاّ أن يكون قد طاب له المقام والاسترخاء، رحمه الله تعالى[٢] .

٤٢ـ المذيـاع والبَكَـم: قال المؤلـف: (لقد كان الطارشـ) أو الغايب عن قريته هو مـن عـاد ومعه أول أدوات الحداثة التـي يكون قد جلبها من المدينـة ، وخاصة (الرادو والبكـم) أو المسجل، ومعها السلاح والرصاص. وإذا كان الاستعمار قد أرسل المبشرين

الرجال ، كما أنهم يرغبون في خروج المرأة ونزع جلباب الحياء والاختلاط بالمجتمع الرجالي مثل غيرها من نساء الغرب والشرق ، ونسأل الله أن يحفظ بناتنا ونسائنا من التبرج والاختلاط والرذيلة . (ابن جريس) .

(١) ما ذكرته يا ابن معبِّر هو عين الصواب ، وأستغرب من الدكتور علي أن يقول هذه الأقوال وهو من بلدة وأسرة محافظة ، لكن ربما عامل السفر وكثرة الاختلاط مع النساء جعل ابن موسى ينادي بهذه الأقوال، ونجـد أمثالـه كثير في جامعاتنا وفي طول البلاد وعرضها ونسأل الله لنا ولهم التوفيق والرشاد .(ابن جريس).

(٢) إن عادة الكرم والضيافة عند أهل الجنوب السعودي موضوع كبير ويحتاج إلى أن يدرس في مئات الصفحات. ونأمل أن نرى أحد الباحثين الجادين فيتولاه بالدراسة العلمية الموثقة. كما أن الأستاذ محمد صالح الفواز (مدير تعليم أبها منذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) يحتاج إلى من يدرس حياته في رسالة علمية ونرجو من طلاب برامج الماجستير والدكتوراه في جامعة الملك خالد أن يدرسوا تاريخ هذا العلم وغيره .(ابن جريس) .

إلى البـلاد التي يريـد الدخول إليها لنشر دينه وثقافته وتحبيب الناس في المستعمرين ، بينما كان يعمل أولئك المبشرون على التعرف على حياة تلك الشعوب تمهيداً لدخول القوة العسكرية إلى بلادهم[١] ، غير أن المبشرين بالحداثة ليسوا بشراً فقط ، ولكنها أدوات وتقنية وصناعة الحداثة مثل (الرادو والبكم) والمسجل .جاءت تلك الأدوات لتفتح عقول الناس تمهيداً لدخول أدوات أخرى أشد فتكاً وتأثيراً على كل شيء في حياة أهل الجنوب، وغيرهـم مـن أهل القرى . لم يكن الناس يعرفون أي شيء من الأدوات الحديثة ، فكيف والقادم هو (الرادو) الذي كان لأبناء القرى الذين عملوا في الحواضر الدور الأساسي في إدخال تلك الأجهزة إلى القرى الجنوبية . جاء (الرادو) لينقل لهم الأخبار ، والأغاني والتمثيليـات ، والبرامج الثقافية ، ويربطهم بالعالم بطـرق لم يشهدوها من قبل. ذلك (الرادو) لم ينقل الأخبار عن العالم فقط ، بل إنه نقل أهل القرى إلى عالم غير عالمهم، وأدخل عليهم كلمات وتصورات ومصطلحات ومفاهيم كانت فيها صعوبة كبيرة لفهمها وتصورهـا وتخيلهـا. شكل (الـرادو) تغييراً وحركـة ثقافية جديدة في قـرى الجنوب، وغيرها من القرى في الوسطى ، والغربية ، والشرقية ، والشمالية . نعم لقد كان السبق للإعلام ممثلاً في المذياع الذي سبق كل أدوات الحداثة في تغيير حياة الجنوبيين الذين كانوا يجتمعون حوله ليستمعوا لذلك المارد الجديد الذي اقتحم حياتهم ، وبعثر أفكارهم وأحلامهـم ، ومهـد الطريق أمام الكثير مـن المتغيرات التي أخـذت تدخل بعد ذلك في حياتهـم . لقد كانـت آذان أهل القرى الجنوبية وغيرها من القـرى أول متأثر بالأدوات الحديثـة وما جاء فيها من معلومات وأفكار ومصطلحات ومفاهيم لتصل بعد ذلك إلى عقـول وقلوب أولئـك القرويين[٢] . كما دخل (البكم) إلى القـرى الجنوبية وهو عبارة عن أسطوانات للأغاني حيث انضم إلى أوائل الوافدين ، فقد كان الناس يجتمعون حول صاحب (البكم) والذي يكون غالبا من أولئك الشباب القادمين على قراهم من السفر

---

(١) إن دراسة الاستعمار العسكري والثقافي في جزيرة العرب منذ القرن (١٢هـ/١٨م) إلى وقتنا الحاضر من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس ويستحق هذا المجال إلى البحث والدراسة في عدد من البحوث والكتب والرسائل العلمية ، ونرجو من المؤرخين والباحثين في هذه البلاد العربية أن يلتفتوا إلى دراسة مثل هذا الميدان المهم. (ابن جريس) .

(٢) مـن خلال جولاتـي في مناطق الجنوب ، ومقابلتي بعض رواد المتعلمـين والمثقفين ، واطلاعي على بعض المذكرات والوثائق اتضح لي أسماء أفراد عديدين سعوا إلى جلب الراديو والأدوات الحديثة إلى مناطق جـازان ونجـران وعسير والباحة وما حولها ، وكان منهم الشيـوخ ، والأعيان والتجار وبعض المتعلمين وغيرهـم ،وكان الراديـو فعلا من الأدوات الحديثة التي أثرت في حياة الناس ، كما أن تأثير هذا الجهاز كان إيجابيـا لمـا ينشـر من أخبار وأحاديث قيمـة وهادفة . وقد وجدت بعض الرحالـة الذين جاءوا إلى الجنـوب السعـودي في منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) مثل فلبـي ، وفيليب لبنز ، وتوتيشل ، ومحمد عمر رفيع ، وفؤاد حمزة يشيرون إلى وجود الراديو عند بعض الأسر في هذه البلاد . (ابن جريس) .

بعـد الغربـة . حتى أصبح صاحب (البكم) من أهل القريـة يأتي إلى منازل أهل القرية ليجتمـع الجميع رجالاً ونسـاءً حوله. وتكون للشاب العائد مـن السفر وللضيف الجديد (البكـم) الصـدارة في المجلس ، حيث يتوسط الجميع وهـم يلتفون حوله رجالاً ونساءً وأطفـالا . وهنـا لأول مرة يسمع أهل الجنوب الأغاني وصـوت الموسيقى التي تطرب لها أسماعهـم . نعم إنها الموسيقا التي تدخل الآذان، وتلامس الوجدان ، وتبعث في الداخل البهجـة والمـرح ، فتهتز الرؤوس وتـردد الكلمات ، وهي تطرب لما تسمـع من موسيقى ، ومـن كلمـات مصاحبة [١] . لا أحـد يدري ماذا كان يدور في مخيلـة كل واحد من أولئك الجنوبيين وهم يسمعون تلك الأغنيات، وتلك الآلات الموسيقية التي تستمتع بها الآذان؟ نعم إنها تثير الشجون، وتحرك المشاعر، بل إنها تعبر عن حياة أخرى غير حياة القرية . إنـه عالم غريب ليس عالم المزرعة والرعـي والحطب والصناعة. لا بـد من أن ذلك العالم الغريب عالم يغمره الفرح والرقص والموسيقى . عالم لا شقاء فيه ولا عناء . أين أنت يا تلك البلاد ؟ وكيف يمكن الوصول إليك ؟ وربما يشعر البعض بالتقزز وبالسخف مما يسمعون ، ويعتبر تلك التصرفات وتلك الحياة ماجنة ، يعمها الغناء ، وما يصاحب الغناء من تفلت في الأخلاق والقيم. بل هي في نظره حياة فاسدة . لهذا كان البعض يقول: ((اللهم احفظ علينا ديننا)) [٢] . تداعيات الموقف ليست بالسهلة ، وقد أدت إلى صراع في داخـل عقـول أهل القرى التي كانت تبحث عن إجابة على ما تقدمه تلك الأجهزة من معلومات ومفاهيم جديدة وغريبة . كثيرون من أهل القرى الجنوبية حدثوا أنفسهم عن القيامة والساعة وقرب موعدها . والتي من علاماتها إذا نطق الحديد ، وقرب البعيد . نعـم هم يؤمنون بالقيامة والساعة ويتابعون علاماتها . وبالرغم من الفرق بين القيامة الحقيقية ، والقيامة التي جاءت بها وسائل الحداثة ممثلة في المذياع ، إلا أن أهل القرى لديهـم هواجسهم ، ولديهم حدسهم بأن الأمور سوف تتصاعد إلى وضع غير محمود ، يهـدد زراعتهم ورعيهم وقراهم. أولئك المؤمنون من أهل القرى يربطون كل شيء بالله

---

(١) نعم ما ذكره ابن موسى صحيح وأشارت إليه بعض الأقوال والمدونات المنشورة . ونقول إن بلاد الجنوب عرفت الأغاني والأناشيد والطرب المحلي ، ثم وصل إلى المنطقة أدوات موسيقية وأغاني وفنون مستوردة . ومثل هذا الحراك الاجتماعي الذي عاشه الناس خلال القرن (١٤هـ/ ٢٠م) حتى العقود الأولى من هذا القرن(١٥هـ/ ٢٠م) تستحق من يدرسها ويحللها ويقارنها ، ونأمل من أحد الباحثين الجادين أن يتولى هذا الموضوع بالبحث والدراسة . (ابن جريس) .

(٢) تلـك الأيـام الجميلة لا تقارن مع مـا يعيشه مجتمعنا اليوم مـع التقنيـات وأدوات التواصل التي عرفها واقتناها جيل اليوم . إن فتك هذه الأدوات الحديثة أشد وأقوى من الراديو والبكم في السابق . ومثل هذا الموضـوع يحتاج إلى دراسـة مع الإشارة إلى خطورة ما يعيشه الناس اليـوم من ضياع للوقت وتدهور في القيم والأخلاق وذلك بسبب الإعلام وأدوات الاتصالات الحديثة . (ابن جريس) .

تعالى . ومع هذا لم يمانعوا من دخول تلك الأدوات والأجهزة الحديثة ، بل كانوا يباركون لمن يقتنيها ، ويعزم الناس عليها ، ويتسامرون حولها . وغالباً يجلبها الأبناء من جيل الشباب الذين يبادرون إلى إدخال تلك الأدوات إلى قراهم[١] . لا بد وأن تلك الوسائل الإعلامية الحديثة قد فعلت فعلتها وهي لا تدري عن نتائجها الوخيمة على ذلك المجتمع القروي الزراعي التقليدي ، الذي لم تدخل عليه أي ملوثات لا للعين ولا للأذن ولا للعقل ولا للقلب ، ولا للروح . ومع استمرار تدفق تلك الأدوات الحديثة استمر مجتمع القرية في زراعته ، ورعيه وأعماله المختلفة ، ولكن قد يتأخر بعضهم هنا وهناك . نعم قليلاً قليلاً بدأ التلكؤ والتمرد على الحياة وقوانينها في العقول ، وانعكس ذلك التفكير والمجالسة (للرادو والبكم) حتى أثر على الجسد ، وبدأ الجدول في الانحراف، وأصبح الكبار يغضبون مما سيؤدي إليه اقتناء تلك الأجهزة ، التي غيرت الوقت والسلوك وجلبت العديد من المشكلات في الأدمغة ، والبيوت ، وفي القرية وفي الجنوب بكامله، مثلما فعلت في جميع القرى [٢].

لقد أصبح الناس يبحثون عن تلك الأدوات المسلية ويستمعون إليها لتكون شغلهم الشاغل، حتى أربكت حياتهم وأثارت فضولهم ، وتوجسوا منها ، ومما سيلحقها من أشياء . وهم من حيث لا يعلمون يشكون ويتوجسون بأنها أدوات لتغيير العقول قبل الحقول . ومضت الأيام وذلك المارد يغزو البيوت بيتاً بيتاً ، حتى إن البيت الذي يدخله (الرادو والبكم) لأول مرة يقدم الدعوة للجيران ، والأصدقاء لحضور حفل التدشين والاستقبال لتلك الوسيلة الجديدة التي سوف تدفع ثمنها الأرض ، والزراعة والرعي، والصناعة ، والحياة القروية بكاملها ، وإلى الأبد. وتدريجياً أصبحت الشبابيك التي كانت تصدح بقراءة القرآن في كل صباح تتحول إلى إذاعات منزلية ، كل يسمع

---

(١) هذا الذي كان يشعر به أهل ذلك الزمان ، بل بعضهم كان غير راض عن هذه الأدوات (الراديو والبكم) ، ومع مرور الزمن تزايدت هذه الأدوات ووصل إلى البلاد أجهزة حديثة أشد تأثيراً على قيم وأخلاق الناس مثل: التلفاز (الرائي) ، ثم أطباق الاتصالات، أو ما يعرف بـ (الدش) ، ثم دخول الشبكة العنكبوتية التي عن طريقها دخل أشكال وألوان من أدوات الاتصال ، ومن ثم فأهل الجنوب وغيرهم تتابع عليهم هجمات هذه الأدوات مع أن بعضهم حاربها في البداية مثل (التلفاز، والدش ، والجوال) وغيرها ، واليوم تزايدت هذه الهجمات التقنية الفكرية حتى عم خيرها وشرها أرجاء البلاد .(ابن جريس).

(٢) يا ليت أولئك الآباء والأجداد يشاهدون أبناءهم وأحفادهم اليوم ، ماذا جرى لهم مع ما وصل إلى البلاد من أدوات حديثة ، والراديو والبكم أصبح عند جيل اليوم من التراث ، ولا ندري ما هو قادم علينا وعلى أبنائنا وأحفادنا، فقد يأتي يوم تصبح أدوات اليوم تراثية ويأتي ما خطره أدهى وأمر مما نراه ونقتنيه اليوم. (ابن جريس) .

الآخريـن مـا يريد مـن مذياعه . وبـدأ الناس يتراخون شيئـاً فشيئاً . ولعـل ما جاء به أبناؤهـم من الغربة مـن معلومات وأفكار ، وأخبـار وأدوات الحداثة وخاصة الإعلامية وغيرهـا من الصناعات قد شجع الكثيرين من أبناء القرى على السفر للبحث عن تلك الحيـاة الجديدة ، التـي بشر بها (الرادو والبكم) وأبناؤهـم المغتربون في الحواضر . كمـا أن ما جلبه أبنـاء القرى معهم من أموال ، ومـن أدوات شجعت البقية من الشباب لـترك القرى والذهاب مع أبناء قراهم إلى تلـك الحواضر [١] . لم تكن تلك الصناعات الحديثـة التـي جاء بها أبناء القـرى المغتربون لتنجح بتلك السرعة لـو أنها جاءت على يـد غريب ، لأنها سوف تلقى من الممانعة والرفض والشك الشيء الكثير . وهنا ينطبق المثل (إغز الديرة بأهلها) . ولأن أدوات الحداثة جاءت على يد أبناء القرى الجنوبية، الذيـن سبـق وأن اقتنعوا بها في سفرهم فجلبوها معهـم، لهذا اقتنع معظم أهلهم بها . كيـف لا ، والابن ابنهم وهو أخو أبنائهم وبناتهم . لهذا لم يكن الاستنكار كبيراً بالرغم مـن الشعور بالغيظ الداخلي من كبار السن لمـا رأوه من تأثير سريع لتلك الأجهزة على سلوك وتصرف أبنائهم . بدأت أصوات المآذن تضعف أمام أصوات (الرادو والبكم) ، وبدأ المؤذنون والأئمة يتضجرون ، وخاصة من أولئك الذين سوف يتأخرون عن الحضور للمساجـد بعد الأذان. لقد كان ذلك مؤشراً خطيراً لتغيير قادم لا يعرفونه . بدأ السهر والسمـر يدخل إلى حياة المزارعين من أهـل القرى الجنوبية . وأخذ الناس يتأخرون في الذهاب إلى فرشهم للنوم ، مما جعلهم يتثاقلون في صحوتهم ، واستيقاظهم للصلاة ، وحتى للعمل . وأصبحت نسبة المتأخرين في الصلاة تشاهد شيئاً فشيئاً . يغضب الإمام والمـؤذن وكبار السـن ، ويشتكي بعضهم لبعض ، ولكن المارد الذي دخل القرية كان أكثر تأثـيراً وإمتاعـاً وإقناعاً ممـا يسمعونه من أهلهم الذين يهاجمون تلـك الآلة الناطقة . نعـم صارت الأحـلام والكوابيس تغزو مضاجـع الناس ، وتصعقهم بمـا يتخيلونه وهم نائمون . لقد تغيرت أحلامهم وقصصهم ورواياتهم وتخيلاتهم . أربكتهم تلك الأجهزة ، وزلزلـت عقولهم وأفكارهـم وحياتهم . ومع تكاثر أجهزة (الـرادو) في القرى بدأت الحيـاة تتغـير ، ويدخل إليهـا الكثير من المعلومـات ، والموضوعـات ، والقضايا التي لم تعهدهـا تلك القـرى من قبل . إنهم يسمعون في الأخبار عـن القيادات ، وعن المسؤولين

---

(١) لقـد صدقـت في أقوالك يا ابن موسى فهذه النماذج من حياة الناس شاهدناها في بلدات رجال الحجر وسـروات غامـد وزهران خـلال الثمانينيات والتسعينيـات من القرن (١٤هـ/٢٠م) . وتاريخ الحياة الاجتماعية في تلك البلدان جديرة بالبحث والدراسة مع التركيز على التغيرات التي جرت على أهل البلاد منذ بدايات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى العقود الأولى من القرن (١٥هـ/٢٠م) . (ابن جريس) .

الذين لا يعرفونهم أصلاً ، بل أصبح الناس يرددون بعض ما فهموه ، أو ما لم يفهموه من كلمات ومصطلحات ، ومفاهيم وموضوعات ، ويتهكمون عليها . ولكن مع ذلك الجهاز وردت الأخبار عن الدول ، وعن الحروب والكوارث ، وعن الفن والدعايات ، والمسرحيات والمسلسلات وغيرها من المؤثرات التي قدمت مفاهيم ومعلومات ومصطلحات جديدة لم تكن في قواميس أولئك القرويين، ولم تدخل إلى عقل أحدهم من قبل[1] . بدأ الصغار من أبناء القرى ينظرون إلى الكبار من شبابهم على أنهم رموز جديدة ، وهم يرون ما جلبوا لهم من أدوات الحداثة ، وما رأوا عليهم من تغير في ملبسهم ومظهرهم، وأصبحوا يمثلون لهم القدوة والمثل الأعلى، ليكونوا مثلهم ، وليحصلوا على أدوات الحداثة والمال الذي جلبه أبناء قراهم من الغربة. بينما آباؤهم يفكرون بلغة مختلفة تماماً ، بل يحدقون في أبنائهم الذين جلبوا لهم تلك الأجهزة والأدوات ، وكأنهم يلومون أنفسهم على ما يرونه من بدايات للتغير والتحول . هم أذكياء إلى درجة الشك فيما يرونه يحدث لأبنائهم وبناتهم في بيوتهم ، وطرقاتهم ومزارعهم ومراعيهم ومجالسهم، وما يسمعون من أفكار وآراء ، وطموح غير ما عهدوه)[2] .

قلت : آثرت نقل كل ما كتبه المؤلف تحت عنوان (المذياع والبَكَم) لما فيه من وصف رائع لحياة القرى حين وصل إليها (المذياع ، والمُسَجِّل ، والبَكَم) والبَكَم أَقَلّها حضوراً. لقد ضرب المؤلف على وتَر حَسَّاس ، فآلات وأدوات الحداثة بداية لحياة الكسل والخمول والاسترخاء ، ويعقبها الإعراض والتأخر عن مباشرة الأعمال التي تقوم عليها القرى، وينتهي الأمر في بعض الأحوال بالازدراء للقرى وحياتها .وليت الأمر وقف على (المذياع، والمسجل ، والبكم) فهي على الأقل لا تحتاج إلى صرف العين عن العمل ، فبإمكان العامل في الحقل أن يسمع هذه الآلات وأن يعمل في ذات الوقت .فالمصيبة كانت مع التِّلفاز وذُرِّيَته.

٤٣ـ مدارس البنين: قال المؤلف : (لقد احتوت المناهج والمقررات على دروس دينية، وخاصة فقهية تتناول الكثير من القضايا الدينية ، ومنها الحجاب والنقاب ، والاختلاط والخلوة، وعلاقة الرجل بالمرأة . وهذه الثقافة الدينية بدأت تدخل للمنازل في القرى

---

(١) شكر الله لك يا دكتور علي على هذا الرصد الجيد. والواجب علينا كباحثين وأرباب أقلام أن نسجل تاريخ تلك العصور حتى يطلع عليها أبناؤنا وبناتنا والحفدة من بعدهم . وأقول إن حياة الراديو والبكم وغيرها في السابق كانت أهون في فتكها وتأثيرها على عقول الناس مما نراه من أدوات العصر الحديث ، وتسخير الشبكة العنكبوتية في الإضرار بأخلاق وقيم ومبادئ أهلنا وبناتنا وأبنائنا ، (والله المستعان) ، إن الشر اليوم علا في البر والبحر ، وهناك أناس أخيار فضلاء من الدعاة والمعلمين والمربين يحاربون تأثير هذه الأدوات الحديثة اليوم ، لكنها فاضت وانتشرت وانتشر شرها في كل مكان . (ابن جريس) .

(٢) ص ٢١٢ . (ابن معبِّر) .

الجنوبيـة مثل غيرها مـن القرى في الدولة ، وصار الناس يسمعـون من أبنائهم نصوصاً دينية في موضوع النقاب ، والاختلاط والخلوة ، والتبرج والسفور . ولم يكن لديهم معرفة بالنقـاب لأنـه ليس من ثقافتهم ، ولكـن الحجاب هو الأساس الذي عاشـوا عليه وألفوه ، والممثل في كشف الوجه واليدين ، وتغطية الرأس . ولم يدخل إلى مخيلتهم أن ينظر إليهم علـى أن اختلاطهـم فيه أي محذور شرعي ، لأنهم يرون أن الشرع ما هم عليه ، فهم أهلٍ ديـن وعمل ، وأهـل أخلاق وعادات صارمة . ولهذا لم يكن يعنـي لهم ذلك كثيراً ، وطبعاً الكتاب له مكانته وقدسيته ، وبالتالي لم يعارضوه أو يعترضوا عليه . ولأنهم يؤمنون بأهمية ما يأتي في الكتب فقد تقبلوا فكرة النقاب من دون تطبيقها للمرة الأولى في تاريخهم بكل رضاً ، بالرغم من أنه يختلف مع ما جاء به أجدادهم الذين التحقوا بالإسلام وورثوه لهم جيلاً بعد جيل ، كما أنه يختلف مع ما اعتادوا عليه في حياتهم اليومية في بيوتهم وقراهم ومزارعهـم ومراعيهـم وأعمالهم من مئات السنـين . ولأن الكتب لا يكتبها إلا العلماء في نظرهـم لهذا أخذت تلك الثقافة الدينية شرعية وترحيباً كبيراً)[1] .

قلت : أورد المؤلف تحت عنوان (مدارس البنين) كلاماً يتحدث فيه عن التعليم في القـرى والجنوب ، وللاستشهاد لكلامه قدّم نصّاً واحداً من مجلة ٠ العربي) الكويتية، وهـو من استطلاع صحفي أجرته المجلة سنة (١٣٨٩هـ) في مدينة أبها ، وهو يكثر من الاستشهـاد بهـذا الاستطلاع في مواضع متعددة من كتابـه . وهذا الاستطلاع في مدينة أبهـا ، فأين الاستشهادات على قرى الجنوب (الباحة جازان ، عسير ، نجران) . وإذا كان كتابـه (نسـاء بلا قيود ...) قد صدر سنة (١٤٣٣هـ) ، فهذا يعني أنه تجاهل ما كتبـه الدكتور عبد الله أبو داهش عـن الحياة الفكرية والعلمية والأدبية في الجنوب منذ سنة (١٤٠١هـ) . وتجاهل ما كتبه الدكتور غيثان ابن جريس عن التعليم في عسير ، وما كتبه أبناء الباحة، والقنفذة ، ونجران، عن التعليم ، ونشروه في بعض مجلدات: (القول المكتـوب في تاريـخ الجنـوب) وهناك سلسلـة (هذه بلادنـا) التي تصدرهـا الرئاسة العامـة لرعايـة الشباب ، وكل عدد من هـذه السلسلة يختص بمدينـة معينة ، ولا يخلو مـن حديث عن التعليم في تلك المدينة قديماً وحديثاً . ومن هذه السلسلة : (١) الباحة. (٢) أبها . (٣) سراة عبيدة .(٤) صبيا .(٥) تنومة . (٦) النماص . (٧) أبو عريش. وغيرهـا . ولا يعني ذلك أنني أرفض الاستشهاد بما في مجلة (العربي) إذا جاء ذلك

---

(١) ص٢١٨ . (ابن معبِّر) . حبذا يا دكتور علي لو فصلت الحديث أكثر في هذا المحور مع الإشارة إلى حياة النسـاء قبل الحجـاب ، ثم اقناعتهن في الحجاب وتغطية الوجه عن الرجال الأجانب ، وهذه التبدلات الاجتماعية جديرة بالدراسة والتدوين . (ابن جريس) .

مـع مصـادر أخرى[١] ، وربما كان بعضها في مكتبة المؤلف الخاصة . وأنا من قُرَّاء مجلة العربي ، وآخذ منها في بعض أبحاثي ، وصلتي بها تعود إلى سنة (١٣٨٨هـ) ، فمنذ تلك السنـة وأنا أشتريها حتى الآن. وأعود إلى نَصِّ المؤلف الذي أوردته آنفاً ، وهذا النص تكتنفـه المغالطـات والإسقاطات. وأبدأ بكلمة (الثقافة الدينيـة) التي يُعبِّر بها المؤلف عـن (الشَّرْع) ، فالثقافة مصطلح مـن المصطلحات العامة ، وتكون في نطاق المقاييس البشريـة، فيقـال (العَـالم) و (المُثَقَّـف) فالعَـالمُ : هو الذي يعـرف كل شيء في شيء واحـد، والمُثقَـف : هو من يَعرف شيئـاً من عدة أشَياء ، وبهذا فـإن الثقافة لا تخرج عن المقاييـس البشرية .كما أن الثقافـة تدل على ما يختزنه المرء من معلومات حصل عليها بالاكتسـاب، سواء عن طريـق التعليم ، أم القراءة الحُرّة . ونقـرأ للمؤلف عبارة أخرى هي (القضايا الدينية) ، وكأنه يريد زَحْزحة الدليل الشرعي عن الحجاب والاختلاط، والخلـوة ، وعلاقـة الرجل بالمرأة ، حتى يخرج بها إلى نطاق (القضية) لتكون في مَحلّ الخـلاف ، ومـع التمـادي يقال مسألة خلافيـة ، قيل فيها كذا وكذا ، حتـى يصل الأمر إلى القـول بأنَّ ما سَمَّـاه المؤلف بالقضايا الدينية من العادات والتقاليد ، وهو ما قال به المؤلـف حين قال (وعادات صارمة) وقولـه (وما اعتادوا عليه في حياتهم ...) وقد قال الله تعـالى: [**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّه قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْه آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**][٢]. وممّا يُرَوّج له في الجنوب عن كشف الوجـه واليديـن بأن ذلك على مذهـب الشافعي الذي يعتنقه أهـل الجنوب، ثم يتنامى هذا التّرويج إلى شيء أخطر، ألا وهو إيقاد نار الفتنة، وذلك بتبغيض المذهب الحنبلي، وأنّه خاص بأهل نجد ، ولا علاقة لأهل الجنوب به ، ومن هنا تظهر نغمة المناهضة لكل مـا يأتـي من نجـد ، ويزيد من أوار ذلك نظـر بعض أهل نجد إلى أهـل الجنوب نظرة سلبية[٣] . والمؤلف يعزف على عادات الجنوب كشرع يخالف ما جاء في المقررات والمناهج،

(١) هنـاك أيضـاً عشـرات الوثائـق والمذكرات والمدونـات والسجلات المنشـورة وغير المنشـورة التي تحدثت عن التعليم وبخاصة تعليم الفتاة الذي بدأ في الجنوب من بداية ثمانينيات القرن(١٤هـ/٢٠م).(ابن جريس).

(٢) سورة البقرة ، آية : ١٧٠ . (ابن معبِّر) .

(٣) للأسف إن هذه النظرة من أهل الجنوب أو نجد ، أو أي ناحية من نواحي المملكة العربية السعودية نظرة عنصرية جاهلية ،وقد قال الرسول ﷺ (دعوها فإنها منتنة) ،والمقصود بذلك النعرات القبلية والنعرات الجاهلية. إن من يستقرئ تاريخ هذه البلاد السعودية قبل (٨٠) أو (٩٠) عاماً وربما أقل يجد أن البلاد كانت في حروب قبلية شرسة ، فلا أمان ولا حياة مستقرة ، وإنما الناس في صراعات داخلية ، وفي فوضى سياسية وإدارية وحضارية ،وعندما وحد الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل البلاد تحت راية واحدة اجتمع الناس على الخير والفضيلة ، وانتشر الأمن والرخاء ، أما الذين يقولون مذهب الشافعي أو أحمد أو غيرهما فهم للأسف لا يعرفون قدر أولئك العلماء الفقهاء الذين بهم انتشر العلم الشرعي وفهم أمور الدين على حقيقتها.(ابن جريس).

ويصنـــع من عادات الجنوب مذهباً مستقــلاً ، وما جاء في المقررات والمناهج التي كتبها العلمــاء مجرد ثقافة دينيـــة أخذت شرعيتها بقوة النظام .ونقــرأ للمؤلف عبارة تقول : (فقــد تقبلوا فكــرة النقاب) ! فهل النقــاب فكرة تجيء وتذهب حســب المزاج ؟ وليت المؤلـف اقتصر على الوصف والسرد دون المناهضة ، فالحجاب ، والاختلاط ، والخلوة، وعلاقــة الرجــل بالمرأة ، قد فُصلَ فيهــا بنصوص كثيرة في القــرآن والسُّنَّة ، والإجماع والقياس، والشّرّع حاكم على العَادات ، وليس العكس .

٤٤ـ مدارس البنــات : قــال المؤلف:(وما هي إلا سنــوات قليلة حتى بدأت مدارس البنات في الظهور ، لتوجه ضربة أخرى للرعي وللزراعة وغيرها من الأعمال التي تعمل بهــا البنــات ، حيث بدأن يتركن الرعــي والعمل ويتجهن للمدارس . كانت هناك بعض التســاؤلات حــول الغرض من تعليم المــرأة ، وقد ذهب القلة إلى عــدم الرغبة في تعليم ابنته خشية من أن تتعلم ما لا يفيدها وخاصة في القرى ، وقد يكون ذلك سبباً في تعرف البنات على الشباب ، وكتابة الرسائل الغرامية . وهكذا كان تفكير القلة ممن يخاف من تــرك بناتــه للعمل في الرعي والمزارع . ولكن تلك الأفــكار لم يكن لها أهمية من الغالبية العظمى الذين أرسلوا بناتهم للمدارس . وبدأت البنات يجدن فرصة جديدة في التعليم مثــل البنين . وترصد مجلة العربي البدايــات الأولى لتعليم البنات في عسير قبل نصف قــرن من الزمن ثــم أورد الدكتور علي حــوالي ثلاث صفحات نقلاً مــن مجلة العربي ، وضح فيها كيف بدأ تعليم البنات في أبها وما حولها ، وأشار إلى المناهج ، وإلى المعلمات ، وإلى نقل الطالبات إلى المدارس ، وإلى ألبسة المدرسة وغيرها من التفصيلات[١] .

قلــت : في حديثــه عــن مدارســ البنـــين تطــرق المؤلــف إلى الحجــاب ، والخلوة ، والاختــلاط، وهــا هو يعــود الآن إلى دَيْدَنه ، ولكن عبر مجلة (العربــي) التي أصبحت عند المؤلف دستوراً يعود إليه إذا لزمه الدَليل ، وكأنها الولد الذي ليس مثله في البلد[٢] . ينقــل قول (سليــم أحمد الرشيد) مسؤول تعليم الفتاة في أبهــا ، الذي يقول : (**ولكننا لا نُشَــدِّد في كشــف الوجــه واليديــن لوجــود اختلاف بــين الفقهــاء في هــذا الشأن**)

(١) للمزيد انظر: مجلة العربي ، عدد(١٢٨) في شهر ربيع الأول من سنة (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م) وانظر كتاب ابن موسى (نساء بلا قيود ...) ط١(١٤٣٣هـ) ، ص٢٢٢(ابن معبِّر).

(٢) انظر : كتاب (نساء بلا قيود ....) ، ص٢٢٢. (ابن معبِّر) . وللمزيد عن تاريخ التعليم في أبها أو منطقة عسـير(بنـين وبنـات) انظر: غيثان بن جريس . تاريخ التعليم في منطقة عسـير (١٣٥٤ـ١٣٨٦هـ / ١٩٣٤ـ١٩٦٦م) (جـدة : دار البـلاد ، ١٤١٦هــ/١٩٩٥م) ، ج١، ص٥٢ومابعدهـا. للمؤلـف نفسـه . من رواد التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية (محمد أحمد أنور) (دراسات، وشهادات، ووثائق) (الرياض: مطابع الحميضي، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م). الطبعة الثانية (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م) ، ص ٢٢ وما بعدها. (ابن جريس).

ويقصد الرشيد بذلك المعلمات الوافدات . وكأنّ هذه العبارة مما يريده المؤلف من استشهاده بمجلة (العربي) فكشف الوجه واليدين محل خلاف ، أي أنّ ما ورد في مجلة (العربي) الطاهرة ، أصدق مما هو في المناهج والمقررات ، بل مما هو في القرآن والسُّنَّة .ثم يسترسل المؤلف فيقول : (**وبعد المدرسة يخرج الأولاد**[1] **من المدارس ، وتخرج البنات من مدارسهن ... إلخ**) ثم يقول: (**ولم تسجل أي مخالفة تحرش**) . ألف طالبة في مدينة أبها ـ كما يقول المؤلف ـ يلتقون بعد خروجهم من المدارس، ولا يحصل التَّحَرّش[2] .!!، أي جهاز هذا الذي استطاع رصد مئات الطلاب والطالبات في أنحاء مدينة أبها، وسَجّل خلو هذه اللقاءات من أي تَحرّش أو مُغازلة . وفي هذا إنكار للغريزة التي أودعها الله تعالى في خلقه ، فالذكر يميل إلى الأنثى ، والأنثى تميل إلى الذَّكر ، وهذا يستدعي المغازلة والإعجاب ، ومُسَارَقة النظرات على أقل تقدير . وإنْ صَحّ عدم وجود المغازلة – وهذا لا يصح – فإن هؤلاء الطلاب أشباه رجال ، والطالبات أشباه نساء . في مدينة رسول الله ﷺ ، سواء في حياته عليه الصلاة والسلام ، أو بعد مماته ، وُجدت حالات من المغازلة ، وحالات من الزِّنا ، فهل مدينة أبها أو قرى الجنوب أطهر من مدينة الرسول ﷺ .وإنّ ما يقوله المؤلف ويدّعيه من غلبة النواميس والقِيَم، هو من مُكَابَرة الفطرة والغريزة التي جعلها الله تعالى في خَلْقه[3] .

<u>٤٥ـ الوعظ والإرشاد :</u> قال المؤلف: (لقد تطورت الأوضاع بشكل سريع ، حيث رافقت التعليم حملة من المواعظ والإرشاد والمحاضرات في المساجد والتجمعات العامة التي يحضرها الناس، فيتم تثقيفهم من قبل وعاظ شددوا على أهمية النقاب والعباءة وعدم الاختلاط والسفور، وعلى مجال عمل المرأة وأماكن تواجدها . وانفتحت (الاستديوهات) الدينية مثلما سبقتها (الاستديوهات) الفنية وانتشرت الأشرطة في الطرفين غناء من جهة ومواعظ من جهة أخرى . وصارت الأشرطة تسمع في السيارات، وفي البيوت . بدأت الأشرطة والثقافة الدينية عن النقاب والعباءة والاختلاط والخلوة والسفور والتبرج تنتشر مثلما تنتشر الأغاني. بدأ الصراع في المفاهيم والمصطلحات والأفكار بطريقة لم تكن في ذهنية أهل الجنوب ، ولكنها انتشرت بسرعة، يرافقها الحديث عن الوعيد الشديد ، والويل والثبور، والعقاب من الله لمن لم يمتثل لأمره وينته

(١) الأولاد : تطلق على البنين والبنات . (ابن معبِّر) .

(٢) انظر : كتاب <u>(نساء بلا قيود ....)</u> ، ص٢٢٢. (ابن معبِّر) .

(٣) نعم هناك مبالغة في تدوين الدكتور ابن موسى ، لكنه أيضاً يشكر على هذا الرصد الجيد ، ونأمل منه وغيره أن يعملوا على حفظ موروث آبائنا وأجدادنا في شتى الميادين ، ومن يدرس تاريخهم يجده مليئاً بالصور التاريخية الحضارية الرائعة. (ابن جريس).

عن نواهيه . وأخذ بعض الرجال يطالبون بحضور النساء للمواعظ في المساجد . وأصبح الرجـال يتلقفون تلك المواعظ ، وينقلونهـا لبيوتهم حتى تم تعميم تلك القيم والمفاهيم، وأخـذ النـاسـ يطيقونها مع الاستمـرار في وجود أجواء مفتوحـة في البيوت بين الأرحام والأقارب والجيران. ولكن تكثيـف المحاضرات وظهور الكثير من الضغوط ، وخاصة في الأسـواق ، والأماكن العامـة دفعت بالرجال إلى فرض النقـاب على النساء في الجنوب حتى وصل الخوف على المرأة ببعضهم إلى درجة عدم ذكر اسمها إلا بصوت منخفض، أو استخـدام بنت فـلان أو زوجة فلان أو أخت أو بنت عم أو خـال فلان . وأحياناً يقال يـا مرة أو يـا بنت بدون ذكر الاسم ، وبعضـ آخر يستخدم عبارات غـير معروفة سوى أنهـا تـدل على مناداته للمـرأة . وأصبحت المـرأة تعرف باسم قريبهـا أو أحد الأرحام مثـل قـول البعض أخت أو زوجة فلان . ثم صار البعض منهم إذا ذكر اسمها قال فلانة وأنـت بكرامـة ، أو النسـوان أكرمكم الله [1]. وهكـذا أصبحت المـرأة تتحدث من وراء النقـاب، فتضعه على وجههـا وتخرج للتحدث مع من بدأت تضعهم في خانة المستبعدين من الأرحام والأقارب والأجانب والأجناب . ثم بعد ذلك صارت تتحدث من خلف الباب، ثـم اختفت ولم تسمعهـم أو يسمعونهـا [2]. وتتحدث مجلة العربـي في تقريرها المذكور سابقـاً مع بعض المواطنين من أهل الجنوب[3]. عن المـرأة في منطقتهم حيث أوردت ما يلي: ((وقصة تطور المرأة في أبها[4]. تختلف عن قصص تطور المرأة العادية في مختلف بلدان العالم)) كانت معظم نسائنا إلى عشر سنوات مضت يسرن سافرات دون حجاب، ويختلطـن بالرجال في حدود العائلة ، وكانت أبهـا بمثابة عائلة كبيرة يسيطر عليها جو الأسـرة الواحدة ، وكان عدد سكانها لا يتجاوز خمسة آلاف نسمة . وذاع صيت أبها من ناحية طيب المناخ ، وارتفاعها الشاهق ، وكثرة غاباتها وجبالها المكسوة بالخضرة طوال السنـة ، فضلاً عـن الاختلاط الأسري الـذي لم يكن له مثل في أي مـكان آخر بالمملكة

(١) نعم هذه الأعراف والتحولات الاجتماعية عاصرناها في بلدان منطقة عسير وما جاورها من أرض السراة ، وأشكر الدكتور علي على تدوينها فهي حقيقة . ونأمل من الباحثين الجادين أن يدرسوا تلك الحقبة التي ذكرهـا وكتب عنها ابن موسـى في بحثه ، وهي الفترة الممتدة من ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى منتصف العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م) ، وهذه العقود الأربعة ظهر فيها الكثير من المتغيرات الفكرية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية وغيرها ، وهي مهمة ويجب توثيقها والكتابة عنها مع الحرص على إتباع المنهج العلمي الرصين . وأكرر شكري للدكتور علي بن عبد الله بن موسى ونرجو منه أن يتوسع في المحاور التي ذكرها المذكور أعلاه ، أو أي محور لم يعالجه ويستطيع أن يفيدنا فيه (ابن جريس) .

(٢) وهذا الذي يجب على المرأة فلا تختلط بالرجل الأجنبي ، وهذا ما نص عليه الدليل في القرآن والسنة . (ابن جريس) .

(٣) المؤلف (ابن موسى) يقول: أهل الجنوب، ومجلة العربي تقول: في أبها ، وهذا من استغفال القارئ (ابن معبِّر) .

(٤) المؤلف (ابن موسى) يقول: أهل الجنوب، ومجلة العربي تقول: في أبها ، وهذا من استغفال القارئ (ابن معبِّر) .

السعوديـة [١]، وجـاء النـاس من كل مكان من القصيـم ، والرياض ، والخرج ، وسدير ، والمدينـة ، ومكـة ، والطائـف ، والنماص ، وزهران ، جاء كل منهـم إلى أبها حاملاً معه عاداتـه وتقاليده . ومن بينها الحجاب يضعونه على وجوه نسائهم ، وبدلاً من أن تنطبق عليهم عاداتنا وتقاليدنا ، فرضوا هم عاداتهم علينا ، ومن بينها حجاب الوجه ، فرضوه على كل امرأة في أبها ، وفي السوق يقف بعض الرجال يفرضون الحجاب على البدويات السافـرات القادمات مـن البادية على ظهور جمالهن[٢]، وهـذا التطور العكسي للمرأة دفـع بجريدة عـكاظ المحافظة التي تصدر في الرياض العاصمـة ، إلى كتابة مقال جاء فيـه : ((كانـت المرأة في أبها تشـارك الرجل في عمله تزرع وتحطـب وتسقي ، وتتحدث مـع الرجل في جـرأة وشجاعـة ، كل هذا يتـم في أدب واحترام متبادلـين ... قيل عنها وقيل ... وأصبح ما قيل في حكم القصص ، يحكيها الشيخ فيتحسر ، ويتناقلها الشباب ويتأسـف ، وتجمـع الآراء علـى أنهم فقدوا ذلك التقليـد وأضاعوا تراثـاً مجيداً وعادة طيبـة كانت القبائل وبقية الأقاليم يحسدونهم عليها ، وبدلاً من أن يطوروا هذا المفهوم أصبحـوا يعيشون على مبدأ (إلى الخلف سـر) وأصبحت المرأة تفزع لقدوم الرجل، أو تداري نفسها وتشيح بوجهها..) . من هنا أصبحت المرأة تتحول إلى عورة ، كلها ، حتى اسمهـا وصوتها . فعند كل باب مدرسـة يقف البواب أو الحارس ، وهو يناديهن للخروج باسـم الأب أو الزوج أو الأسرة. وأصبحت المرأة رقماً سرياً خاصاً بالعائلة .كان الرجل مـن أهل القرى يدعو امرأته أو بنته أو أخته أمـام أهل القرى وأمام الأجانب والأجناب باسمهـا وهـو يقول يا شريفة ويـا حليمة ويا عزيزة ويا صالحة ويـا غالية ويا خيرية ويا عفيفة . والكل يعرفهن بأسمائهن التي تدل عليهن بأنهن شريفات ، وحليمات وعزيزات، وصالحـات ، وغاليـات ، وخيرات ، وعفيفات ، إلا الصغار فقد كانوا يقولوا لهن ، يا أمي حليمة يا أمي صالحة ، يا أمي شريفة .. كيف تحول اسم المرأة إلى عورة وسر ؟ هذا ما لا يمكـن تفسـيره إلا بالفهم الخاطئ غير المبرر حتى من اسمهـا الذي يتحول إلى اسم جديـد غير مـا يعرفه أهل القرى نتيجة الحداثة ، ودخول أسماء جديدة تدل على تحول كبير للمرأة في الاتجاه المعاكس لما يراد لها من قبل من أقنعها أو أجبرها على النقاب، أو اعتبرها عورة لتتغير أسماؤهن في المستقبل . ويدل على هذا التغيير الذي سوف يحدث

---

(١) للمزيد من التفصيلات عن مدينة أبها انظر : غيثان بن جريس . أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية) (الرياض: مطابع الفرزدق ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م) (٥٦٩صفحة) . (ابن جريس) .

(٢) يا ابن موسى هذا رصد يجانب الحقيقة ، ليس الوافدون من أهل البلاد المجاورة هم الذين فرضوا الحجاب على أهل أبها عندما استقروا فيها ، وإنما الوعي الديني والتحولات الاجتماعية الثقافية في عموم البلاد السعودية هي التي جعلت الحجاب ينتشر في كل مكان، بل النساء أنفسهن عرفن أن لبس الحجاب هو الطريقة الشرعية الصحيحة ، ولهذا لم يتأخرن في اتباع المنهج الإسلامي الصحيح . (ابن جريس) .

في المستقبل تغير أسماء بناتهن الصغيرات ، اللاتي لا يعرف البعض نطقها من تعقيدها وغرابتها بل وحداثتها) [١].

قلت : مدارس البنين) ثم (مدارس البنات) ثم (الوعظ والإرشاد) ثلاث اسطوانات في (بَكَم) المؤلف ، ليس فيها إلاّ الحديث عن الحجاب ، والاختلاط والخلوة، وعلاقة الرجل بالمرأة ، ومجلة العربي !! ، ولا يفتأ المؤلف من ترديد عبارته (الثقافة الدينية) وكأنّ ما في هذه الثقافة الدينية ، من آيات كريمة وأحاديث شريفة من الأخطار المحدقة بقرى الجنوب ، ولم يتحدث المؤلف عن قرى الجنوب ، فليس في جعبته إلاّ مجلة العربي ومدينة أبها . حتى مجلة العربي أصابها حَيّف المؤلف ، فلا نستبين ما جاء في مجلة العربي ، الذي خلطه بكلامه ، وبكلام جريدة عكاظ التي تصدر في الرياض العاصمة ، كما يقول. ونقرأ للمؤلف قوله: (ثم صار البعض منهم إذا ذُكر اسمها قال فلانة وأنت بكرامة ، أو النسوان أكرمكم الله) وفي هذا مغالطة كبرى، لأنّ هذه العبارات وأمثالها مثل : (فلانة الله يعزّك) من الموروث عن الآباء والأجداد ، وليست حادثة ، بل العكس صحيح، فقد أخذت هذه العبارات في الانقراض . وإذا كان الشيء بالشيء يُذكر ، فإنني ألفت نظر المؤلف إلى موروث قبيح ورثناه من أسلافنا، وهو حرمان المرأة من الميراث ، حتى أصبحت المرأة التي تطالب بميراثها في عداد المغضوب عليهن ، وقليلات الحياء . ومن ذلك الموروث البغيض استئثار رَبُّ العائلة بخبز البُرّ (القمح) ولبقية أفراد العائلة خبز الذرة أو الشعير . ومن الموروث الأقبح والأشنع أنَّ لابن العمّ منع ابنة عمّه من الزواج بغيره، وإن كانت مُبْغضة لابن العمّ هذا . ومن الموروث السّافل أن أحد الرجال إذا غضب من امرأة ، ولو كانت ابنته أو أخته قال لها عبارة فاحشة (يا ... فُلان) . ومع كل هذا فإن هذه الموروثات كانت محدودة النطاق ، عدا حرمان المرأة من الميراث ، فهو من الأمور الشائعة . و(الثقافة الدينية) التي يَصُبُّ

---

(١) ص٢٢٧. (ابن معبِّر) . والله إني أعجب من طرح الأخ ابن موسى ، ولو أنني لا أعرفه لقلت إن هذا من المستشرقين أو الباحثين المارقين الذين يحاربون شرع الله من خلال المرأة وحجابها ، أو العلاقة بين الرجل والمرأة ، أو غير ذلك من الموضوعات التي استغلها أعداء الله في صراعهم الثقافي والفكري مع المسلمين. وفي الأربعين سنة الماضية قرأت عشرات الكتب والبحوث لكثير من المستشرقين والباحثين الشرقيين العرب أو المسلمين أو الأجانب في بلدان أوربا وأمريكا وغيرها فوجدت كثير منهم يطرحون موضوعات تاريخية وسياسية وحضارية ودينية ومن خلالها يطعنون في تراث المسلمين وجوانب من حياتهم العامة والخاصة . وللأسف أننا نجد بعض إخواننا وأبنائنا ممن ذهب إلى الدراسة في الشرق أو الغرب ثم ساروا في ركاب هؤلاء المغرضين بقصد أو بدون قصد . ونقلوا لهم وللدكتور علي أيضاً اتقوا الله يا إخواننا فإنه ينظر إليكم ومن أهلكم أنكم قدوة فكونوا فعلاً قدوة قولاً وعملاً ، ولا تطرحوا وتناقشوا مثل هذه الموضوعات المزيفة في كتاب ودراسات من أجل نشر التضليل والتشكيك بين أبناء وبنات المسلمين ، وهذا ديدن أعداء الإسلام في كل مكان . (ابن جريس) .

عليهـا المؤلف جامّ غضبه هي التي تحارب هذه الموروثـات القبيحة . ومجلة (العربي) تنتقص صحيح البخاري ، ولكنها مُقَدَّسة عند المؤلف [١] .

٤٦ـ دخـل الأجانـب وخـرج الأقـارب : قـال المؤلف : " لقد تغـيرت نساء الجنوب مثـل جميع نساء القرى في الشمالية والغربيـة والشرقية والوسطى مثلما تغيرت الأرض والمـزارع التقليديـة والرعي والحياة في القرى ، كل القـرى . وذهبت البنات للمدارس ، وأصبـح عليهن أن يرتدين النقاب والعباءة والـزي المدرسي الذي لم يسبق لهن معرفته مـن قبـل . وصار النقاب والعباءة معهن في كل مكان . كبرن وصار هذا اللباس هو الزي الرسمـي في الحيـاة اليومية . أما الأمهات فقـد أصبحن سيدات منـزل وربات بيوت ، وأصبح العمل في الخارج من الأمور غير المقبولة لهن ، لأنه يعرضهن للاختلاط بالأجانب والأغـراب ، والأقارب والأرحام [٢] . وبعد ذهـاب الأولاد والبنات للمدارس تغيرت حياة الناس في القرى . وحل بالأرض والمزارع والحيوانات والصناعات التقليدية ما حل بها . ووجد الناس أنفسهم بحاجة لمن يقوم بتلك المهام والأعمال التي كانوا يعملونها ويقومون بها في الماضي القريب[٣] ، فبدأ الطلب على العمالة الأجنبية. وفتحت مكاتب الاستقدام أبوابهـا بسهولة ويسر . بل تحول موضوع جلب العمالة الأجنبية إلى سوق كبير تسبب في

---

(١) أعتقد الدكتور ابن موسى من المفلسين في فهم أحداث وتاريخ وحضارة أهل المنطقة ، وهذا ما توصلت إليه بعد قراءة حوالي (٩٥) صفحة من بحثك يا ابن معبِّر ، وكتاب الدكتور اقتنيته وتصفحته يوم أهدي إليّ من قبله، وأنت يا ابن معبِّر تجعلني الآن أعود فأقرأ الكتاب صفحة صفحة واكتشف فكر ابن موسى الذي أعرفه منذ زمن بعيد ، نعم إنني اختلفت معه أحياناً ، لكنني لم أتصور أنه يؤمن بهذا الطرح الذي نشرته مجلة العربي، أو ما ذكره في طيات بحثه . إنني في بداية بحثك يا ابن معبر وجدت رصد وسرد ابن موسى جيداً ، ولا أدري ماذا سوف أقرأ في الصفحات القامة من بحثك هذا (والله المستعان) . أما ما ذكرت يا ابن معبِّر من عادات عاشها ومازال يعيشها بعض الناس في مناطق الجنوب فهي فعلاً أخطاء اجتماعية شنيعة ، ويجب محاربتها ، كما يجب على جميع الرجال أن يتقوا الله في نسائهم وهذا ما حث عليه القرآن الكريم والسنة النبوية . وإنني على يقين أن كثيراً مما ذكرته سوف يزول (بإذن الله تعالى) ، إلا حرمان المرأة من الميراث ، فهذه عادة مازالت موجودة عند معظم الناس ، وعندما تتحدث مع الرجال في هذا الجانب يقولون هذا غير صحيح ، ونحن نعطي المرأة حقها، وقد وقفت على حالات عديدة خلال العشر سنوات الماضية (١٤٢٦ـ ١٤٣٧هـ) ، عنـد بعض الأقارب والأصدقاء في أوطاننا فتراهـم يتحايلون في هذا الباب ، وهناك طرق عديدة لتحايلهم لحرمان النساء من ميراثهم ، إنهم يصلون ويمارسون جميع العبادات ، لكنهم في هذا الجانب لا يرغبون في تطبيق شرع الله في الميراث مع النساء. (ابن جريس) .

(٢) يا الله العجب منك يا ابن موسى فأنت تتحدث عن هذا الحجاب وكأنه عدوك اللدود ، أنت فعلاً غريب في طرحـك وتحليلـك ، مع أنك من حاضِرة أبها ، ولكن غربتك سنوات طوال في الغرب وفي بعض البلدان العربية ، ثم مخالطتك وقراءاتك كتباً ودراسات تحارب الإسلام ربما جعلتك تقول هذه الأقوال وتنافح عنها. (ابن جريس) .

(٣) يا أخي علي رصدك أحياناً جيد وعلمي وواقعي ، لكنك لا تستمر على هذه الوتيرة ، وإنما تشطح أحياناً بآراء وأطروحات تخالف الواقع وتحارب الدين. (ابن جريس) .

دخـول الملايين من العمال من الذكور والإناث إلى المجتمع . أصبح أهل القرى الجنوبية مثـل غيرهـم من أهـل القرى بحاجـة لمن يرعـى الغنم ويـزرع المزارع ، ويقـوم بالمهن المختلفـة، ثم جاء دور السائقين والعامـلات في المنازل . وشيئاً فشيئاً دخل الأجانب إلى وظائف كثيرة من خلال القطاع الحكومي ، وأيضاً في القطاع الأهلي الذي جلب ملايين العمالـة من التقنيين والمهنيين في مهن وأعمال لم يعرفها أهل القرى الجنوبية وغيرهم مـن قبـل . وفي فـترة قصيرة تحولت قرى الجنـوب إلى قرى عالميـة لا تشبه الكثير من القرى في العالم بل تتفوق عليها في عالميتها . نعم في قرى الجنوب جنسيات بالعشرات ، وخاصة مـن آسيا وأفريقيا وأوروبا . جاءت هذه العمالة بأديانها ومذاهبها ، وتقاليدها وسلوكياتهـا ، ومشاكلهـا وإفرازاتها معهـا . هذه العمالة الوافـدة تدين بمعظم الأديان والملـل والنحـل الموجـودة في العالم . لقد دخلـوا إلى المزارع والرعـي والمحلات والمباني ومراكـز الاقتصاد والتجارة والأعمـال التي انفتحت في البلاد. ثـم أخذوا يدخلون إلى البيـوت من خلال السائقين والعاملات المنـزليـات. يتسللون إلى كل شيء ، إلى الملابس إلى الأطعمة والموائد والفرش ، إنهم من يعد الطعام ، ويهيئ الملابس ، ويربي الأطفال ، ويرعـى الأسرة الكريمة ، ويتكفل بنقلها من مكان إلى آخر[١] . لقد خرج الأقارب ودخل الأجانـب. نعم خرج الأقارب، ودخل الأجانب مرتين: مرة لمـلء الفراغ الذي سببه ترك المرأة لمكان عملها بحجة النقاب والمحارم والاختلاط ، ومرة أخرى عن طريق الحاجة لمن يقوم بالمهام التي لا يستطيع الرجال القيام بها في ظل وجود المسؤولية تجاه المرأة، ونتيجة عدم قدرتها على القيام بمهامها الشخصية والاعتماد على نفسها. هي بحاجة لمن يبقى في المنـزل أثناء غيابها ، وهي بحاجة لمن ينقلها إلى عملها وأقاربها والسوق والمستشفى وغيرهـا من الأماكن التي تحتاج إليهـا في الوقت الذي يكون فيه الرجال من المحارم في أعمالهـم ومدارسهم [٢] . توقف الجميع هنا. بـل احتارت العقول وعميت الأبصار . هنا قمة التناقض بين المبدأ الأساسي من وراء النقاب والعباءة ومنع الاختلاط وبين الممارسة والسلوك والحاجة الاجتماعية التي نقضت هذه المبادئ . يخرج الأقارب بحجة أنهم غير محـارم للمـرأة ، ويدخل الأجانب بحجة أنه لا يحق للمـرأة القيام بمهامها الشخصية، ولا بـد مـن رجل يقوم بهذه المهام ، وأي أجانب ، إنهم من ملل ونحل وثقافات غير ثقافة

---

(١) نعم هذه حقائق لا ينكرها إلا مكابر ، وهذه من مشكلات العصر ، والواجب علينا جميعاً أن ندرس هذه المشاكل ونقترح الحلول المناسبة لها ، ثم نرفع بحوثنا ودراساتنا واقوالنا إلى صناع القرار في البلاد ، وهذه مسؤولية كبيرة ، وعلينا أن نقدم شيئاً لمحاربة هذه الآفات ، ولا ندندن على لبس المرأة للحجاب وماحل بها من الظلم من وجهة نظرك ، من خلال هذا الحجاب الذي سترت به جسدها . (ابن جريس) .

(٢) يـا علـي نوافقـك علـى ما ذكـرت في السطـور السابقة ، ولكنـك لا تتـورع أن تدس السـم في العسل . (ابن جريس) .

وقيم وأعراف وثوابت أهل القرى في الوسطى والغربية والشرقية والشمالية والجنوبية. ملايين السائقين والعاملات المنزليات وغيرهم من الأجانب في الوطن يتحركون في الصباح بسياراتهم ، وهم يحملون معهم النساء والأطفال ، وأيضاً بعض الرجال الذين أصبحوا يعتمدون على السائقين الأجانب . والمشهد الملفت للنظر الذي يعبر عن التحول الكبير هو عند أبواب المدارس أو المؤسسات التي تعمل فيها المرأة ، وهناك تكون الغالبية ممن يحضر لاصطحاب النساء إلى منازلهن من السائقين الأجانب . بنات ونساء منقبات يرتدين العباءة ، وبعضهن قد وضعت في أيديهن القفاز لتغطي كامل جسدها بالملابس السوداء ، ثم يركبن مع السائقين الأجانب جماعات وفرادى ثيبات وأبكاراً ، وكأنه محرم لهن يجوز لهن أن يكشفن وجوههن أو يختلين به أو يختلي بهن ، وكأنه ابن الأخ أو ابن الأخت أو العم أو الخال أو أقرب قريب . وربما يسهل التعامل معه فهو مأمور ينفذ كل ما يطلب منه(١). أما النسوة اللاتي لا سائق معهن فالسائق الأجنبي – أيضاً – هو الحل ، فسيارات الأجرة بمئات الآلاف يسوقها أجانب . وبالتالي لا ضرر من ركوب المرأة في سيارة الأجرة مع الأجنبي. ولكن كم ستكون مصيبة لو أن صاحب سيارة الأجرة مواطن؟ هنا سوف تحوم حوله وحولها الشبهات ، لماذا ؟ لأن هناك أزمة كبيرة بين الناس، وإن النقاب مرتبط ليس بقضايا دينية فقط ، ولكن بعادات العار والعيب (المنقود) . حتى المواطن السائق هو في دائرة الشك مقارنة بالأجنبي . لماذا كل هذا؟ أين الدين والنخوة والكرامة والشهامة والغيرة وغيرها من المفاهيم والمصطلحات التي تضيع في أماكن وتحضر في أماكن أخرى ؟ إنها منظومة القيم الطارئة مع أدوات الحداثة وسلوكياتها . غير أن الخلل الذي يرافق الازدواجية يكمن في كيفية التعامل مع تلك المستجدات التي أوجدت التناقضات . إذاً المشكلة ليست مع الآخر ، بل بين أهل القرى جميعاً في الوسطى والشرقية والغربية والجنوبية والشمالية . لا يثقون ببعضهم البعض ، حتى أن الأخ أصبح مشبوهاً ومشكوكاً فيه (الحمو الموت) ، لماذا يعظمون خطاياهم بينما يستصغرون الآخرين ويستصغرون خطاياهم ؟ أولئك الآخرون يرون ما لا ترى ويسمع أهل القرى عن أنفسهم . يكفي أن يركب أحد أهل القرى مع أحد

---

(١) لا ننكر أن لهذه العمالة سلبيات علينا في حياتنا العامة والخاصة ، ولكنك بأقوالك هذه تشكك في كل النساء وتقذفهن وتطعن في شرفهن بطريقة غير مباشرة ، وكأنك تقول الحل هو أن تخرج المرأة بدون حجاب إلى الشارع فتعمل مثل الرجل سواءً بسواء ، وكأنك تقول أيضاً هؤلاء النساء السافرات في أنحاء العالم يعشن بحرية وبلا قيود ، والمفروض أن تكون نساؤنا مثلهن ، هذا كلام خطير تحارب فيه شرع الله ، وأيضاً تنادي في معشر النساء وتقول لهن أن حياتكن سجن وكابوس تحت مظلة الرجل ، وعليكن الانتفاضة وعدم الرضا بهذه الحياة ، إنها صيحة نسمعها من نساء ورجال كثيرين في بلادنا العربية والإسلامية ، وأرجو أن تكون نداءات هؤلاء خيبة وخسارة عليهم في الدنيا والآخرة. (ابن جريس).

أولئك الأجانب بدون لبسه الوطني ويتكلم بلغة أجنبية ليسمع عن مجتمعه ووطنه ، وعن النساء والرجال ما لا يرضيه من حقيقة يعرفها ولكنه لا يريد أن يسمعها ، يراها ولكنه لا يريد أن يعترف بها ، يعيشها ولكنها لا تعنيه . وكما تعود الفرد قول ليست مشكلتي لوحدي إنها مشكلة الجميع . هؤلاء السائقون ليسوا فقط يحملون النساء والأطفال بل إنهم يحملون الجميع[١] . معظم أهل القرى كل القرى في الشمالية والشرقية والجنوبية والغربية والوسطى أصبح عندهم سائقون وعاملات في المنازل ، ولديهم مشكلات مع احتياجات نسائهم في موضوعات كثيرة تضطرهن لوجودهن بخلوة أو بدون خلوة مع الأجانب . حتى وإن كان من يعمل معهن من المسلمين فلن يغير من المشكلة أي شيء. هنا يوجد الأجانب ، وليسوا المحارم ولا الأقارب) [٢].

قلت : عبارة المؤلف: (دخل الأجانب وخرج الأقارب) عبارة رائعة ، لو أحسن المؤلف توجيهها ، لأنَّه جعلها بكلامه الذي دار تحتها (كلمة حق أريد بها باطل) . فالأجانب والأقارب على مَحكٍ واحد في خطرهم على المرأة ، فالدَّاخل معه شيطانه وغريزته ، والخارج مثله . وقد ساق المؤلف الحديث الشريف (الحمو الموت) كعبارة دارجة ، ويشوب إدراجه لها - بحسب السِّيَاق - السُّخرية بالحديث . ونقرأ للمؤلف قوله : (يخرج الأقارب بحجة أنهم غير محارم للمرأة ...) وكأنَّه يريد أنْ ينفي ما قَرّره الشَّرْع بشأن المَحْرم وغير المَحْرَم ، ويَقْرنُ ذلك بدخول الأجانب ، ليُوهم القارئ بأن الأجنبي أخطر من القريب ، وكلاهما أخطَر من الآخر ، وجَدُّ البقر ثَور [٣] .

---

(١) أنت يا علي متناقض في أقوالك ، وتذكر حقائق يعيشها مجتمعنا ، والحل من وجهة نظرك أن المرأة تخلع حجاب وجهها ثم تدخل في معترك الحياة مع الرجال ، وللأسف أنك لا تدرك أو تتغافل الفرق بين مجتمع الأوائل من الآباء والأجداد وظروف الحياة آنذاك ، والحياة والانفتاح الذي يعيشه العالم اليوم ، ثم تقول إن الحل الوحيد أن ترمي المرأة بحجابها وراء ظهرها وتشارك الرجال في كل مكان ، إنها فعلا أفكار مسمومة .(ابن جريس).

(٢) ص ٢٦٦. (ابن معبِّر) .

(٣) أعتقد يا ابن معبِّر أن النقاش مع هذ الأنواع من الأساتذة والباحثين والدارسين مضيعة للوقت ، لكن لا ننكر خطورتهم وما يسعون إلى تحقيقه . إن الدارس لتركيبة الأسر والمجتمع السعودي أو الجنوبي اليوم لا ينكر أن هناك عيوبا وأخطاء في حياة الناس أفرادا وجماعات ، نساءً ورجالا ، بل إن هناك تجاوزات كثيرة في أمور شرعية ، والمحاكم الشرعية ومؤسسات الشرطة وحقوق الإنسان تغص بهذه القضايا الاجتماعية . والقول بأن اختلاط النساء بالرجال قديما أفضل مما نشاهده اليوم من الحشمة والفضيلة والأعمال الصالحة ، فهذا ادعاء باطل من ابن موسى وأشباهه ، وكما قلت (كلمة حق أريد بها باطل) ، وللأسف أن الدكتور علي يصور لنا المجتمع السعودي بين السائق الخاص أو سائق التاكسي ، وكأنه مجتمع تخيم عليه الرذيلة والفحش ، ولا ينظر إلى حياة الناس في منازلهم وأسواقهم ومساجدهم ومدارسهم وجامعاتهم والحشمة التي تسود نساءهم وتفصل الرجال عن النساء ، أيرغب أن تتحول بلادنا إلى مراكز للرقص والاختلاط والفحش كما نراه في بلدان كثيرة من العالم ، ولا نقول إلا (حسبنا الله ونعم الوكيل) على من سعى ويسعى إلى محاربتنا في أعراضنا وديننا. (ابن جريس) .

٤٧ـ الخلوة والأجانب: قال المؤلف : (يحدث الاختلاط وكشف النقاب والخلوة مع الأجانب والأجناب في أماكن مختلفة ، ويحدث معها الحوار والنقاش والجدال حول هذه الموضوعات الثلاثة التي تعد من أهم موضوعات النقاش والحوار والجدل بين أهل القرى . ولقد نتجت أشياء كثيرة من وجود هذه العمالة الوافدة بشكل غير مسبوق في تاريخ القرى كل القرى ، وبقية القرى في بلاد العرب ممن احتاج للعمالة الوافدة بكثرة. والسؤال : هل يمكن الجلوس على طاولة النقاش والحوار المستمر ؟ يجب طرح الأسئلة الصعبة ، والبحث عن الأجوبة الصحيحة ، وتقديم المبادرات والحلول ، من خلال البحث العلمي بكل تخصصاته ، بما فيها الشرعي ، لإيجاد حل لهذه المشكلة المركبة التي تمس الدين والأخلاق والمبادئ ، بل إنها تهدد الأمن والاستقرار ، وتنسف القيم الوطنية المبنية على الثوابت ، إن تركها كالمعلقة سوف يستثمر ويدخل المرأة والمجتمع في كل جحر. المسألة لا تحتاج لمن ينافح عن هذه القضية ليتكسب من خلفها مكاسب اجتماعية أو مالية أو وظيفية ، أو المحافظة على الامتيازات أو للمزايدات على البعض . هنا مشكلة عمالة تسكن في بيوت الناس ، وتقاسمهم لقمة العيش ، وتحتل أماكنهم حتى في بيوتهم، لقد وصلت إلى غرف نومهم ومضاجعهم ، إنها تطلع على عوراتهم وتعرف عنهم وعن خصوصياتهم ما لا يعرف أهل القرى كل القرى عن أنفسهم [١]. النقاب والمرأة وعملها وحركتها مواطن الصراع بين أهل القرى كل القرى ، من تحدث فيهما اتهموه ((بالليبرالية)) أو ((بالعلمانية)) أو بالعبثية أو بعدم الغيرة أو بنقص الدين ، بل يصل الأمر ببعض المتشددين إلى اتهام خصومه بالكفر والعمالة لجهات خارجية. كل هذا لأن المرأة وعملها والنقاب والاختلاط هي الموضوع . وفي الجهة الأخرى يتهم من ينافح عن النقاب وعن المرأة بالرجعي والمؤخر والمعطل للتنمية وللتطور ونهضة المجتمع والمتطرف والأصولي وغيرها من الألقاب والاتهامات التي تصل إلى درجة الاتهام بالإرهاب لخصومهم . والمشكلة أن الطرفين ليس لديهما حلول ويتقاذفان بالاتهامات ، ويعمقان الخلاف والصراع بينهما ، والكل لديه منطقه ومبرراته ، ولكن الآن من يستطيع

---

(١) يا أستاذ أنت تكتب وكأنك تعيش مع معظم الناس في منازلهم وجلساتهم العامة والخاصة. نعم لا ننكر أن العمالة انتشرت في كل مكان ، ومنهم السائقون ، لكن التعميم بهذه الطريقة الفجة والقذف الصريح يجعلنا نقول إن مجتمعنا انتهى وأصبح في عداد الساقط المدمر ، وللأسف إنك لا تركز إلا على السلبيات فقط،ولم تنظر إلى الإيجابيات التي يعيشها المجتمع اليوم . صحيح البحث عن حلول بهدف التقليل من العمالة الوافدة، واستبدالها بالشباب السعودي مطلب وطني وجيد ، لكن تركيزك على السائق أو صاحب التاكسي يقودك في النهاية إلى نهاية المجتمع ، وفي نظرك لا حل لهذه المعضلة إلا بخروج المرأة إلى الشارع ومشاركة الرجل في كل شيء ، والأفضل عندك أن تنزع حجابها عن وجهها وتسير كغيرها من نساء العالم السافرات المتبرجات . وأقول لك أنك على خطر أمام الله عز وجل ، فلا تجتهد وتنافح من أجل إفساد المرأة وتدميرها أخلاقياً وقيمياً.(ابن جريس) .

أن يقدم الحل ؟ من لديه القدرة العلمية والفقهية والاجتماعية والقانونية وغيرها لنعالج هـذه القضية ؟ لهـذا يجب أن يتوقف الصـراع والنقاش المبني علـى التهم غير المبررة ، والتمترسـ في مواقـع الخصومة وترك المشكلة تنمو وتـزداد وتتعقد حتى تولد ما لا تحمد عقباه . هناك أزمة وقضية تمس الجميع : الفرد والأسرة والمجتمع والدولة ، فهل من حل ؟

أرصـدوا مـا ورد في السنة من روايـات وحقائق عن الرسـول ﷺ وعن الأسباب والظروف التي فيها الكثير من الأحاديث والروايات لتجدوا الحل أمام أعينكم ، واقرأوا آراء الفقهاء الذين اجتهدوا في عصرهم ، وتذكروا أن المعطيات التي بنوا عليها مواقفهم تتغير مما يستدعي البحث والتعمق في الفهم لهذه المتغيرات التي يجب مناقشتها وبحثها وفهمهـا ووضع المسوغات والمبادرات والخطط والبرامج العلمية المبنية على الحقائق في معالجتهـا . ليسـ أحد مكلفاً بأن يبتدع من عنده ما يخالف السنة من باب سد الذرائع، ويجـب أن يفتح بـاب الاجتهاد بنقاشـ معمق بين العلمـاء الفقهاء من جميـع المدارس الفقهيـة ، مع إشراك المتخصصين والمسؤولين ومـن يمثل أطراف النقاش، ومن لديهم حقائـق وبيانات عن المتغيرات التي يواجهها المجتمع بجميـع شرائحه ، ومنهم النسـاء ، ومـن يستطيع إفهام المتحاورين بعض القضايـا والموضوعات التخصصية التي لا يلمون بها . لقد تغيرت معطيات كثيرة ، ومستجدات عظيمة ، وسوف تستمر في التطور والتغير لتصل إلى حد لا يستطيع عنده المتحاورون تجاوز الواقع ، وقد يتغير المتحاورون مع الزمن ليحل محلهم متحاورون آخرون يتجاوزون ما توقف عنده المتحاورون اليوم [1] . لقد انفتح العـالم على بعضـه، وصار الواحد يرى مجتمعات إسلامية لهـا تطبيقاتها ، ولها رؤيتها حول القضايا الحساسة، ومنها المرأة والنقاب والاختلاط والعمل ، بل إن الناس تستطيع أن تبحـث في جميـع الموضوعـات وتتواصل مع علمـاء آخرين من خـارج الحدود ، ومن خلال الإعلام الديني المتنوع والإنترنـت والتواصل الإلكتروني بجميع المكتبات والمراجع الفقهيـة . وكل هذه المصادر والمعارف والعلوم والأطروحـات تربك الفرد والمجتمع عند

---

(١) إن التحاور والنقاش مطلوب في أي زمان ومكان ، والمشاكل موجودة ومستمرة ، والصراعات بين الفرقاء قائمة وسوف تستمر، بل هي موجودة من عصور الإسلام الأولى ، لكن تركيزك على الحجاب والمناداة بتركه ثم خروج المرأة دون أن تستر جسدها من الرجال الأجانب لا يوافقك على هذا النداء أنت ومن يقـول بقولـك أي قانون شرعي، وكان باستطاعتك أنت ومن ينادي معك بهذا القول أن تنادوا بضرورة مشاركة المرأة في الحياة العامة مع الحفاظ على حجابها وستر جسدها من الأجنبي الذي ورد عنه أقوال شرعية في القرآن وكتب السنن ، ومن يقول بهذا القول فإن كلامه سوف يقبل عند المرأة المسلمة نفسها وعند طلبة العلم الشرعي وغيرهم . أما من يجرد سلاحه ويشهره في وجه من ينادي بحجاب المرأة ويقال له، إنه متخلف ورجعي ، فهذا قول لا يرد به قول الحق ، وإنما يسعى إلى نشر الإباحية والرذيلة في المجتمع المسلم . والمعادون للإسلام لا يستغرب منهم هذا الكلام ، لكن الشذوذ والغرابة الشديدة من يقول بذلك وهو مسلم وعاش في بلاد إسلامية تحكم بكتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) . (ابن جريس) .

المقارنة بالواقع ، وبالفهم لدى البعض ، وخاصة أن هناك علماء معاصرين لهم آراؤهم وفتاواهم في هذه الأمور . ولكن لا بد أن توضح الأمور هنا ، فالفتوى الفردية غير ملزمة وغير كافية ، بل إنها تكون مصدر فوضى في كثير من الأحيان مثلما حصل في بعض الموضوعات التي تطرح من قبل بعض المنتسبين للعلم الشرعي الذين يتحدثون عن موضوعات هي من صلب تخصص الخاصة من العلماء وليست للجمهور . المطلوب عمل جماعي مؤسسي يخضع للبحث والتدقق والمناقشة والمراجعة قبل إخراجه للناس[١] . الرجل والمرأة اليوم متعلمان ـ أيضاً ـ ويفهمان ويستوعبان ، ويبحثان وينقبان عن كل صغيرة وكبيرة، ويناقشان كل القضايا الحساسة بدون وجل أو خوف لأنها قضاياهم التي تمس حياتهم ومصالحهم وعيشهم ومستقبلهم ودنياهم وآخرتهم) [٢] .

قلت: كأَنَّ المؤلف يريد أن يجعل (الاختلاط ، وكشف النقاب ، والخلوة) قَضية يترافع فيها ويتحاور ويُنَاقش فيها كُلّ من هَبَّ ودَبَّ ، وربما وصل الأمر إلى الدَّعوة إلى الاستفتاء والتصويت علىَ الأحكام الشرعية وأدلَّتها[٣] . والمؤلف يرسم أزمة وقضية تبعاً للمتغيرات والمعطيات . وتجاهل أو تغافل أو نسي أنّ اللّه تعالى خَلَقَ خَلْقَه ، وبعث الأنبياء والرسل عليهم السلام بالشرائع ، وختم ذلك بالرسول الخاتم ﷺ ، وأنزل عليه القرآن ، وقال تعالى عن سُنَّة رسوله ﷺ : [**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى (٤)**] [٤] ، واستقر علماء الأمة رحمهم الله تعالى على تحديد أدلّةَ الأحكام الأربعة المُتَّفَقُ عليها ، وهي (١) القرآن . (٢) السنة . (٣) الإجماع . (٤) القياس . كما أنّ اللّه تعالى يعلم بما سيكون من تغيُّرات وانحرافات ، وقال جل وعلا : [**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا**] [٥] ، وهذا الدّين بأدلته قد فَصَل فِيما يخص (الحجابَ ، والنقابَ، والاختلاطَ والخلوة ، وعلاقة الرّجل بالمرأة) .

---

(١) من يقرأ بعض نقاشاتك يا دكتور علي يجدها تدخل في صلب (تخصص الخاصة من العلماء) ، فأنت تناقش وتفتي في الحجاب ، والخلوة ، والرجل الأجنبي مع المرأة ، وذلك من قراءاتك وقناعاتك وليس من مصادر الشرع الصحيحة . إنك بهذه الأقوال تناقض نفسك يا علي ، وتصدر الفتوى في بعض القضايا الرئيسية في حياة المسلم والمسلمة ، ثم تقول ، اتركوا العلماء والفقهاء يقولون آراءهم في بعض ما طرحت ، أنت وغيرك، ثم تقحمون أنفسكم في أمور فقهية شرعية أكبر من قدراتكم وفهمكم .(ابن جريس) .

(٢) ص٢٦٩ . (ابن معبِّر) . اتفق معك في كل ما قلت لكن أي امرأة أو رجل لا يتكلم في علوم الشرع الشائكة إلا عن فهمٍ وعلم شرعي ، أو عنده شهادة ثم يصدر الأحكام مثلك بدون دليل فهذا لا يجوز لا عرفاً ولا شرعاً .(ابن جريس) .

(٣) هذا الذي طرحه ويتطلع إليه الدكتور علي ومعه من أمثاله كثيرين ، ولكن دين الله محفوظ ، حتى ولو تحدث فيه بعض المرجفين . (ابن جريس) .

(٤) سورة النجم ، آية (٣ـ٤) . (ابن معبِّر) .

(٥) سورة المائدة ، آية : (٣) . (ابن معبِّر) .

والعاقل عندما يقرأ قوله تعالى : [**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**][(١)] ويتأمل في (أدْنى أن يُعْرَفْنَ) ثم يسأل نفسه : بمَ يُعْرف الإنسان. الرجل والمرأة. ، وسيأتيه الجواب سريعاً دون تفكير : بالوَجْه فلو تَعَرّى الرّجل أو المرأة مع ستر الوجه ، فَلَنْ يُعْرَفا ، إلاّ الرّجل فتعرفه امرأته ، والمرأة سيعرفها زوجها ، إلى حدٍّ ما . وفي هذا الدليل القاطع المانع لسَتر المرأة وجهها ، إلاّ إذا أراد المؤلف علي ابن موسى أن نأتي بدين جديد[(٢)] وقرآن جديد ، ونَبيٍّ جديد .وهذه الآية من أدلة أصحاب (الثقافة الدينية) التي يتنقّصها علي بن موسى . إنّ معنى قول المؤلف: (يجب أن يفتح باب الاجتهاد بنقاش مُعَمّق ...) هو أنْ نضع هذه الآية وغيرها من الآيات ، والأحاديث على طاولة البحث العلمي ، ويكون حول الطاولة :الفقهاء ، وعلماء النفس والاجتماع ، وأرباب الصحافة، ومندوب الجامعة العربية ، ومندوب هيئة الأمم المتحدة ، ويكون حوارهم حول آيات الحجاب في القرآن والسُّنَّة ، وأقوال العلماء المسلمين ، ثم يُقرُّون منها ما يرونه مناسباً لتغيرات العصر ومعطياته ، وتشابه البقر علينا !!! .[(٣)]

٤٨ـ الملبس والمظهر : قال المؤلف: (ومع استمرار تدفق وسائل الحداثة وأدواتها إلى القرى ، وتغير حياة الناس وممارساتهم بدأ يتغير حتى مظهرهم وملبسهم ، ومأكلهم ومشربهم . وصار يظهر على الناس ملابس غير التي كانوا يلبسونها ، ويرتدونها ، وصاروا يقلدون أهل الحواضر والمدن . بل وصل التغيير إلى درجة لبس البعض الملابس الإفرنجية مثل الأجانب ، وخاصة النساء . نعم لقد فرضت عليهم الوظائف والاختلاط مع أمثالهم من الرجال أن يظهروا مثل غيرهم من المتمدنين . وشيئاً فشيئاً قام أولئك بالتخلي عن محازمهم ، وعن جنابيهم وعن خناجرهم التي لا تعترف بها الحياة المدنية. إنهم يتجردون من قيم وليس عن لبس. فالحزام والخنجر والجنبية والعصبة للرأس كانت قيماً يفتخرون بها ، ويعاقبون من يعتدي عليها ، أو يتهاون فيها على أنه مارق وخارج على قيم وتقاليد وأعراف أهل القرية . وتعد تلك المخالفات من خوارم المروءة. وبالرغم من تمسك البعض بلبسهم فقد صدرت تعاميم تمنع من دخول المراجعين

(١) سورة الأحزاب ، آية : (٥٩) . (ابن معبِّر).

(٢) لا تستغرب يا ابن معبِّر من قول ابن موسى فهناك أمثاله كثيرون في بلادنا العربية وغيرها من البلدان . والصراع بين الحق والباطل وجد من قديم الزمان وباقيا حتى تقوم الساعة . (ابن جريس) .

(٣) لا حول ولا قوة إلا بالله ، إنه من المحزن أن نجد من أبنائنا وإخواننا من يسير في ركاب المحاربين لله ولرسوله (ﷺ) . وذلك بالنقاش والقول والتحليل فيما يعارض شرع الله وأمور الدين العامة والخاصة. (ابن جريس) .

للدوائـر الحكوميـة بالخناجر والجنابـي ، ممـا أدى إلى تركها عند أبـواب المؤسسات الحكوميـة. وأصبـح النـاس يتجردون مـن تقاليد قراهـم ، وعاداتهـم وثقافتهم وعن لباسهـم إلا في الاحتفالات والمناسبـات الاجتماعية [(١)] أصبحـت ملابس النـاس تصمم وتخاط في الخارج ، وتأتي إلى الأسواق من دول العالم المختلفة ، بينما انتشر الخياطون الأجانـب في كل حـي من أحياء المدينة ، وفي التجمعـات القروية، وهم يخيطون الملابس للرجـال والنسـاء . واليوم تتغير الملابس شيئاً فشيئاً حتى صار النـاس يلبسون ويقلدون ملابسـ الغرب ، وأخذت القمصـان المكتوب عليها بحروف لاتينية وصور غريبة تدخل إلى البيوت وحتى المساجد . بل إن هناك من يتابع الموضات في كل محل أزياء عالمي، حتى صار مـن بين أهل القرى مـن اقتحم مجال تصميم الأزياء، وصار يعرض آخر صرعاته معهم . لقد تغيرت حتى قصات الشعر والتسريحات ، وأصبح البعض يقلد أشباهه في الخارج ، من خلال ما يقوم به الحلاقون أو من خلال صالونات ومراكز خدمات النسـاء . وأخذت أشكال النـاسـ ومظاهرهم في التغـير) [(٢)]. قلت : هذه اللفتة من لفتات المؤلف الجميلة، وهي التي تحتاج إلى (طاولة النقاش والحوار المستمر) كما يقول المؤلف في موضع سابق .

٤٩ـ عمل المرأة : قال المؤلف: (لا بد أن الطريق شاقة وصعبة حتى تتم المواءمة بين الثقافـة الدينية والاجتماعية ، وبين الحاجة للتعليـم وعمل المرأة . ومن يتتبع ما حققته المـرأة حتـى الآن سـواء في التعليم أو في العمـل يلاحظ أن المرأة قـد أسهمت في الكثير مـن المجالات، وخاصة في تطوير وضع الأسرة سواء مـن الناحية المادية أو حتى العلمية والتنمويـة . فهي التـي تعمل بشكل كامـل في المؤسسات التعليمية النسائيـة ، بالإضافة إلى الجامعـات . بالرغـم من النقاش الحاد بـين أنصار عمل المـرأة والمعارضين له في بعضـ التخصصات غير أن هنـاك احتياجات للمرأة ماديـة وإنسانية ومالية لا يمكنها التغلـب عليهـا إلا بالعمـل الشريف الذي يؤمن لهـا متطلبات عيشهـا ، وخاصة في هذا الزمـن الذي ابتعد فيه الأقارب ، وضعـف الترابط الاجتماعي الذي كانت تعرفه القرى

---

(١) هذه الحقيقة ، وتلك الحياة الاجتماعية السابقة في باب اللباس والزينة تستحق أن تُدرس في بحوث ورسائل علميـة ، وذلـك من أجل حفظ ذلك الموروث التاريخي لأجيال اليوم ومن سيأتي بعدهم . (ابن جريس) .

(٢) صـ٢٨٤ . (ابـن معـبِّر) . نقاشك مقبول يا علي في هـذه الجزئية ، لكنك لم تتحـدث عن أسباب هذه التحولات في اللباس والزينة ، وما هو الذي يتوافق مع الشرع أو لا يتوافق ، ولم تشر إلى التقليد الأعمى ولبس الألبسة الشفافة والخليعة أحياناً من قبل النساء في بعض المناسبات كالزواجات وغيرها . ومن المفروض أنك أشرت إلى هذا التقصير والأخطاء التي يرتكبها المسلم والمسلمة أثناء لبس بعض الألبسة ، والباحث يجب أن يكون منصفاً ، فأنت فصلت الحديث عن النقاب ، أو الحجاب ، أو الخلوة ، أو السائق وقلت قولك في ذلك ، وكان عليك أن تدلي برأيك في موضوع اللباس والزينة أيضاً . (ابن جريس) .

في الماضي ، حيث كانت احتياجات المرأة محدودة ، وكانت محمية بالتكافل الاجتماعي والأسري في القرى. ولم تكن حياتها في الماضي فيها التعقيدات التي يشهدها المجتمع في الحاضر. المرأة مضطرة للعيش بكرامة من خلال العمل الذي يضمن لها دخلاً يحميها من استغلال الكثيرين لها بسبب عدم توافر احتياجاتها، ولأن القيم الاجتماعية في حالة تغير . لقد أصبح بعض الناس يتخلون عن بعض أقاربهم من النساء والرجال ولا يستطيعون تحملهم لتغطية التكلفة العالية لحياتهم من سكن وملبس ومأكل ومشرب وصحة وتعليم وغيره من متطلبات الحياة اليوم. [١]

لقد تغير الكثير من القيم ، وأصبح كثيرون لا يستطيعون القيام بمسؤولياتهم تجاه بعض أفراد أسرهم ، وخاصة النساء . لهذا أصبح عمل المرأة ضرورة وحاجة ، وليس ترفاً حتى تحافظ على كرامتها ، خاصة وأن هناك المطلقات والأرامل والأيتام وغيرهن ممن يشكلن حملاً إضافياً على بعض الأسر التي لا تستطيع الوفاء باحتياجات الكثير من النساء ، هذا بالإضافة إلى أن بنات ونساء الميسورين يرين أن هناك حاجة للعمل لما يحققه لهن من استقلالية ، وإثبات للذات ، والمشاركة في المجتمع بكل مؤسساته ، وضماناً للمتغيرات التي تحدث مع تسارع تطور المجتمع وحراكه في مجالات عديدة . البعض لا يستطيع تصور احتياجات الآخرين ، وينظر إليهم من خلال ما يعيشه من رغد وسعة في العيش من دون أن يتصور أن هناك من لا دخل له ولا عائل، وخاصة من النساء ، ويتحدث من سعة دون أن ينغمس في احتياجات الناس وظروفهم ، ويقدم الحلول العملية لقضايا هي أشد خطورة على المجتمع وعلى المرأة ، خصوصاً في هذا الزمن الذي كثرت فيه الاحتياجات وقلت المسؤوليات الأسرية والاجتماعية . ويلاحظ أن هناك من يناقش هذه المسائل الاجتماعية الخطيرة من باب الترف الفكري ، من دون مواجهة المشكلة وتقديم المبادرات، ولهذا يلجأ المعارضون لعمل المرأة لمبررات تتعارض مع احتياجات المرأة ، ومع التطور الذي حدث في الأسرة ، وبين الأرحام والأقارب ، وتباعد الناس عن بعضهم. بينما أنصار عمل المرأة يهيجون النقاش مما يجعل المعارضين لعمل المرأة في بعض الميادين العامة يحولون القضية إلى موضوع للنقاش والحوار والجدل من دون حلول. مع أن المعارضين والمؤيدين لعمل المرأة لديهم نساء، ويحتاجون إلى توفير الأعمال لهم. هنا يمكن أن يتدخل القياس الذي لم يجتهد بعد في كثير من الأمور ، حيث توقف عند محطات في الماضي تختلف من حيث الزمان والمكان والمسببات والمتغيرات

---

(١) هذه حالات نراها عند بعض الأسر في القرى والمدن ، وعمل المرأة جيد ، لكن حفاظها على حجابها وعفتها سواءً عملت أم لم تعمل أهم وأعظم . (ابن جريس) .

والمعطيات والنتائج عن الزمن الحالي ، وليس هذا عجزاً في الشريعة ، ولكن في فهمها وتفسيرها ، واستيعاب المتغيرات التي طرأت وكيفية التعامل معها . ولو كان من نقرأ معرفتهم وعلمهم بيننا اليوم من علماء المسلمين لكان لهم مقال غير ما ينقل عنهم في الكثير من القضايا الملحة التي تحدثوا عنها في الماضي . وقد حدث في التاريخ الإسلامي الكثير من المواقف الفقهية التي تتغير بتغير الزمان والمكان والمعطيات . كما يجب لمن يناقش قضايا المرأة أن يتذكر موقف أبي بكر مع المرأة التي كانت تعاني مع أطفالها من الجوع وكيف اقتفى أثره عمر ليرى ماذا يفعل . وعندها قال كلمته المشهورة: ((ماذا تركت لمن بعدك يا أبا بكر)) . كما يجب أن يتذكر الحوار الذي دار بين عمر والمرأة التي اعترضت على تحديد المهر ، عندما قالت له ماذا تقول في قوله تعالى : [**وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا**] (النساء ٢٠). فقال : أصابت امرأة وأخطأ عمر ، بعدما اعتلى المنبر وصحح ما كان قد نصح به من تحديد المهور ، وقد ترك الأمر للرجل لينفق كل من سعته امتثالاً لما ورد في القرآن الكريم [١] . ولهذا وجب على أنصار عمل المرأة ومعارضيه الجلوس إلى طاولة واحدة ومناقشة هذه المشكلات ، وتقديم الحلول لها من خلال البحث ، وبما يضمن عمل المرأة في وضع شرعي وقانوني[٢] ولكن الملاحظ أن كل من يتحدث عن عمل المرأة هم أصحاب رأي وليسوا أصحاب قرار ، وبالتالي يحدثون الكثير من الربكة والضوضاء وسط المجتمع، لتستمر المشكلات في التراكم من دون حلول . ولأن تراكم هذه القضايا سوف يوسع من إفرازاتها لتتحول إلى مشكلات اجتماعية ، ويصبح التعامل معها مستحيلاً ، لهذا فإن من الضرورة أن تدرس قضية عمل المرأة بشكل دقيق ومعمق من جميع أهل الاختصاص ، حتى وإن تم الاختلاف في بعض وجهات النظر ، فيجب أن تدون جميع التحفظات وتقدم لصناع القرار ، لأن هذا يسهم في التخطيط وفي وضع البرامج التي تخدم المجتمع ، وتعزز من توفير كافة احتياجات البنية الأساسية للدولة لتستمر في النمو والتطور والاستقرار ، وتقديم الخدمات لكافة المواطنين والمواطنات وخاصة ذوي الحاجات) [٣] .

---

(١) كلامك يا علي معقول فيما ذكرت في هذه السطور ، والمرأة اليوم تستطيع العمل في قطاعات عديدة مع حفاظها على حجابها وتجنبها مخالطة الرجال، وهذا الكلام يزعجك ، لكن هذه الحقيقة وما حث عليه علماء المسلمين في السابق واللاحق . (ابن جريس) .

(٢) أعتقد أن العقلاء المنصفين من الرجال لن يعارضوا هذا الطرح ، والشرع رسم الخطوط العامة لحياة المسلم والمسلمة ، أما القانون الذي تنادي به فإن كان وفق شرع الله فهذا أمر محمود ، وإن كان يسير في إطار القوانين الوضعية التي تنادي باختلاط المرأة وتبرجها فهذا نداء لا يستقيم مع مصادر الملة السمحة.(ابن جريس).

(٣) ص ٢٨٦ . (ابن معبِّر) . صاحب القرار هو من يصدر الموافقة أو الرفض ، ونسأل الله أن يولي علينا خيارنا ، وأن يرزقهم تحكيم شرع الله وتطبيقه في الحياتين العامة والخاصة في أنحاء البلاد ، وأن يصرف عن بلادنا أصحاب القرار الذين يريدون نشر الفوضى والبعد عما فرضه الله على المسلم . (ابن جريس) .

قلت : لكلام المؤلف وجاهته بشكل عام ، ولكنه يقوم بإسقاطات ، منها (الثقافة الدينية) و (المشاركة في المجتمع بكل مؤسساته) ثم يقترح جلوس أنصار عمل المرأة ومعارضيه حول الطاولة ومناقشة هذه المشكلات ، وتقديم الحلول . وأقف مع المؤلف عدة وقفات ، هي :

(١) أدرج المؤلف عبارة (الثقافة الدينية) وقد عرفنا مُراده منها تحت عنوان سابق، وهو (مدارس البنين) فهو يقصد بها المقررات والمناهج ، وهي تحتوي على الأحكام الشرعية وفق أدلتها من القرآن والسُّنَّة ، فهو إذا يُعَبِّر بالثقافة الدينية عن (الشَّرْع) (٢) الشريعة الإسلامية لن تُحَرِّم عمل المرأة ، على أن يكون وفق ضوابط الشريعة ، ولأنّ الله تعالى يَزَع بالسّلطان ما لا يَزع بالقرآن ، فقد كان للدولة أن تسعى إلى وضع ضوابط لعمل المرأة وتعليمها ، وهذه الضوابط مستمدة ـ غالباً ـ من الشريعة الإسلامية . (٣) المؤلف يُلَمِّح أو يُسْقط بعبارته (في المجتمع بكل مؤسساته) على مشاركة المرأة في جميع أعمال الرجال دون استثناء ، وهو بذلك يتجاهل طبيعة المرأة وقُدُرَاتها ، ثُمّ أنّ بعض هذه الأعمال ممّا يتطلّب أن تخالف فيه المرأة الشريعة الإسلامية، وهذا هو محور الخلاف بين أنصار عمل المرأة ومعارضيه . وليست حاجة المجتمع ومتغيراته مما يُسَوّغ معه المخالفة لشَرْع هو من عند الله تعالى ، وهو أعلم بحاجة خَلْقه على الإطلاق زماناً ومكاناً . (٤) وهي أهم الوقفات ، فالمؤلف قد ذكر علَّة حاجة المرأة إلى العمل، وهي انصراف الرجال عن مساعدة من أوجب الله تعالى عليهم رعايتهم من أقاربهم، من الرّجال والنساء . وهنا تكمن العلّة التي يجب أن تكون في محل النّقَاش، فهي التي أفْرَزت حاجة المرأة إلى العمل . وقبلَ الولوج في أصول هذه العلَّة يجب أن نتذكر أن الكثير من مؤسسات المجتمع، هي ـ أصلاً ـ من تحتاج إلى المرأة في العمل ، ومنها جميع المؤسسات النسائية ، كالمدارس ، والكليات ، وسجون النساء ، والإدارات النسائية، ونحوها . وأعود إلى مُشكلة انصراف بعض الرجال عن القيام بما أمرهم الله تعالى به من صلة الأرحام والأقارب، وهذا ما وضع بعض النساء في موضع الحاجة إلى العمل. وإذا كان حَقُّ الرِّعاية للمرأة مما أوجبه الله تعالى على قريبها من الرجال ، فإنّ لها المطالبة بهذا الحق عن طريق المحكمة ، وليت من يتباكى على حقوق المرأة أن يتجه إلى مساعدتها في هذا الجانب . أما إذا كانت المرأة مُنْقَطعة من الأرحام والأقارب الواجب عليهم رعايتها ، أو أنَّ هؤلاء من الفقراء وهم بحاجة إلى المساعدة ، فعند ذلك يأتي دور الدولة ، وهي لم تهمل هذا الجانب ، فهناك الضمان الاجتماعي ، وهناك بعض الجمعيات الخيرية ، ولكن المشكلة تكمن في مدى كفاية ما يُقَدِّمه الضمان، أو الجمعيات، وهو ما يجب أن يكون في مَحِلّ البحث ، وإيجاد الحلول . فهلاَّ يُشارك من

يضعون أنفسهم في صف المدافعين عن حقوق المرأة ، ويرفعون أصواتهم للمطالبة بقيام أولي الأمر بمعالجة هذا الوضع [١] . (٥) هل يمثل ما ذكره المؤلف عن عمل المرأة نسبة تفوق (٢٠٪) من المجتمع السعودي ، وقلت (المجتمع السعودي) لأنّ المؤلف نَسي أن يذكر (قرى الجنوب) فيما كتبه تحت عنوان (عمل المرأة) . فإذا كانت النسبة تفوق(٢٠٪) ، فهو ما يتطلب البحث وإيجاد الحلول .ويقول المؤلف : (هنا يمكن أن يتدخل القياس الذي لم يجتهد بعد ... حتى قوله ... المواقف الفقهية التي تتغير بتغير الزمان والمكان والمعطيات) .قلت: مع اضطراب الصياغة ، فإنّ المؤلّف يقتحم الثّوابت المتمثلة في (الأحكامِ) المستمدة من القرآن والسُّنَّة ، ويربط فهمها وتفسيرها بما يَجدُّ من المتغيرات والمُعطيات ، ويتجاهل مصدر هذه الأحكام ، وهو الله سبحانه وتعالى ، الذي يعلم خَلْقَه ومدى حاجتهم في ظل المتغيرات زماناً ومكاناً .

ويُقَابلُ (الأحكام) الثابتة (الفَتَاوِى) التي تُرَاعي الظروف الوقتية ، وهي لا تصدر عبثاً ، وإنما وفق الأدلة الشرعية المعتبرة .والشَّرْع حاكم على المعطيات والمتغيرات ، وليس العكس [٢] .

٥٠- النِّقَاب والحجاب: قال المؤلف :(لم تعرف نساء الجنوب النقاب أو العباءة قبل الحداثة ، ولكن المرأة محجبة أولاً بالحجاب الأخلاقي الذي يرتديه الرجل والمرأة معاً ، ثم الحجاب الشرعي ، وهو تغطية رأسها مع الإبقاء على وجهها ويديها مكشوفة . وقد يختلف الناس فيما بينهم حسب المذهب الذي يتبعون في هذه المسألة ، فسكان الجنوب كانوا يعتقدون أنهم يتبعون المذهب الشافعي في لبس الحجاب ، ومع دخول المدارس والمناهج و (الرادو والتلفزيون) والمواعظ أخذوا ينتقلون للمذهب الحنبلي الذي يرى وجوب لبس النقاب . كانت هناك ممانعة في البداية من الناس لتبني النقاب ، لأنه لن يسمح للنساء بالعمل ، وسوف يؤدي إلى فصل داخل المجتمع الجنوبي ، وبالتالي تتوقف الأعمال والأشغال لانكفاء النساء عن العمل من ناحية ، ومن ناحية أخرى وجود حواجز أمام الرجال للدخول إلى الأماكن التي توجد فيها النساء .

وعندما أصبح الجنوب جزءاً من الدولة الحديثة جاء الدعاة من نجد لتوعية الناس للأمور الدينية ، مثلما جاءت مؤسسات الدولة المختلفة ، وقام أولئك الدعاة بالمواعظ

---

(١) هذا الواجب فعله من الباحثين والناعقين على المرأة وحقوقها . إن الدين الإسلامي رسم خطوات دقيقة لحفظ حقوق أفراد المجتمع ، وصلتهم ببعضهم ، كما بين واجب الدولة تجاه الفقراء والمساكين والمحتاجين. (ابن جريس) .

(٢) ما أورد علي بن موسى في هذا العنصر مقبول إلى حد ما ، وأهم ما دون هو بعض الحقائق التي عاشها ومازال يعيشها المجتمع السعودي . ونتطلع إلى تدوين تاريخ الأجيال الماضية القريبة قبل أن يضيع . (ابن جريس) .

وفتح المدارس مثل مدارس القرعاوي والعمل في القضاء ، واستقروا في الجنوب وخالطوا الناس وتزاوجوا مع بعضهم ، ولم ينكر أولئك العلماء على أهل الجنوب ممارساتهم الدينية لأنها كانت غنية بالتطبيقات والممارسات الشرعية ، وأيضاً قدر أولئك الدعاة اختلاف المذاهب في بعض المسائل الفقهية وخاصة في موضوع النقاب الذي ترى أغلبية المذاهب كشف الوجه واليدين ، إلا المذهب الحنبلي الذي ذهب للحيطة إلى الأخذ بتغطية الوجه إذا خشيت المرأة على نفسها من الفتنة [١] . كان هذا الفهم موجوداً لدى الناس ، مع حرصهم الشديد على عدم الإخلال بالدين في أي مسألة ، لهذا لم يفرض النقاب بالقوة ، واستمرت النساء من أهل الجنوب على ما يعتقدن أنه المذهب الشافعي الذي يجيز كشف الوجه واليدين ، غير أنهن تدريجياً ومع كثرة المواعظ وظهور شباب من أبنائهن ممن تعلم في المعاهد الدينية ، مثل أقرانهم الذين أدخلوا ((الرادو والبكم)) ، صاروا هم من يتصدر بالوعظ مما جعل الناس يتبنون ما يطرح عليهم بشكل تدريجي ، حيث أخذ بعض النساء يغطين وجوههن في البداية ، ويقمن ببعض الأعمال مع غيرهن من الرجال ، وقد يستقبلن الضيوف أو أقاربهن من أبناء العمومة والأخوال وإخوان الزوج وغيرهم من أعضاء الأسرة من الأقارب والأرحام مثل أزواج الأخوات والعمات وغيرهم وهن منقبات أو متلثمات . ثم بدأت العباءة تدخل على المجتمع بشكل تدريجي من خلال المدارس والطالبات اللاتي تعلمن من الكتب الدينية عن النقاب والعباءة ، وكيف تتستر المرأة وتغطي نفسها على الأجانب والأجناب والأرحام . وقد ساعد ذلك التحول الداعم للبس النقاب والعباءة دخول أدوات الحداثة التي أسهمت في التغيير ، وخاصة (الرادو) والمسجل و (التلفزيون) التي تسمع فيها المواعظ مثلما تسمع في المساجد . بدأ الحجاب المعتاد في الجنوب يتراجع أمام النقاب وأمام المواعظ المكثفة في المساجد[٢] ، وصار الناس ينقلون تلك المواعظ لبيوتهم وخاصة أن هناك تأكيداً من أولئك الوعاظ من أبناء تلك القرى بأن ما يقوم به أهل الجنوب من حجاب هو أمر غير شرعي ، وبدأوا يركزون على السفور والاختلاط وعلى النساء وتغطية وجوههن . ولم يكن الأمر بالسهل أن تغطي المرأة وجهها وخاصة أنها قد عاشت في تلك البقعة مئات السنين بل منذ دخول الإسلام إليها وهي تلبس بتلك الطريقة الشرعية . وهناك نقاش كبير بين العلماء عن النقاب والحجاب والبرقع في الماضي وفي الحاضر وسيستمر في المستقبل وخاصة في

---

(١) أنا أسألك يا علي إذا كان هناك فتنة للمرأة والسبب فتح وجهها ، فهل تغطيه ، أو تتوارى عن الرجال الأجانب الذين قد يفتنونها أو تفتنهم ؟ واعتقد أن الإجابة سوف تكون وجوب تغطية الوجه إذا كنت مؤمناً بما جاء في القرآن الكريم وما ذكره كثير من العلماء والفقهاء . (ابن جريس) .

(٢) هذا السرد التاريخي حقيقي ، وبعد معرفة النساء بأن النقاب أو الحجاب يزيد في أجورهن عند الله لأنهن اتبعن شرع الله الذي نص عليه القرآن والسنة ، وبالتالي لم يتورعن عن لبسه والحفاظ عليه . (ابن جريس) .

المذاهب الأربعة ، وغيرها من المذاهب والمدارس الفقهية ثم مع الوقت وظهور جيل المتعلمات اللاتي تبنين المذهب الحنبلي من خلال الدراسة ومن خلال النظام التعليمي بدأت المرأة تتغير في الجنوب ، وبدأ البنات والأبناء يؤثرن في أقاربهم وأهل بيوتهم حتى طال ذلك التغيير الأمهات والكبيرات في السن . وقد قبلت كبيرات السن تلك الملابس الجديدة على مضض ، إذ لم يكن مقتنعات بأنهن كن يخالفن الشريعة . وأيضاً من بينهن من ترى أن ذلك النقاب سوف يضع بينهن وبين أقاربهن ومعارفهن من أهل قراهم مسافة ، وسوف يمنعهن من القيام بواجباتهن التي تعودن عليها ، مثل زيارة المريض ولقاء كبار السن من أهلهن سواء كانوا أعماماً أو أخوالاً أو أبناءهم أو أقاربهن وأزواج قريباتهن، والمشاركة في المناسبات العامة ، والعمل بحرية في المزارع وأماكن العمل . وكانت النساء يتذمرن من هذا النقاب الذي أدى إلى هذا الفصل بينهن وبين المجتمع وخاصة من بعض كبيرات السن ، لأنهن وجدن صعوبة في التأقلم مع ذلك الوافد الجديد . ولم يمر الأمر بدون نقاش وجدل بين الناس في بيوتهم لرفضهم التشكيك في ممارساتهم الدينية التي عاشوا عليها منذ دخلها الإسلام ولم ينكر عليهم أحد ذلك بالرغم من التواصل المستمر مع مكة من خلال الحج ، وأيضاً من خلال وجود العلماء من أهل المنطقة الذين لديهم تواصل مع غيرهم من علماء المسلمين، وخاصة في مكة والمدينة[١] . لقد ساهم النقاب بشكل كبير في توسيع الفجوة بين الأسر التي كانت تعيش مع بعضها وأصبح الأخ (الحمو الذي ذكر بأنه الموت) يخرج بزوجته في بيت لوحدها ، بحجة النقاب والكشف على المحارم واستغلت النساء هذا الجانب لفتح بيوت جديدة والاستقلالية من الأسر بالرغم من وجود إمكانية السكن مع بعضهم، مع عدم الكشف من النساء على الأقارب وخاصة الأخوة .

احتدم الصراع داخل الأسرة باسم النقاب ، وصار الناس يتوسعون في البناء وفي السكن الخارجي في مبان مستأجرة . وصارت المتزوجة تضع شرطها بالعيش في سكن مستقل ليلحق بالسكن متطلبات أخرى لم تكن في حسبان الجميع أدت إلى خروج الأقارب والأرحام ودخول الأجانب[٢] . ومثلما وصل (الرادو والتلفزيون) وشارك أبناء

---

(١) المشكلة يا علي أن سردك لا يخلو من الاضطراب ، فالذي جرى من تبدل وذكرت شيئاً منه فهو صحيح ، لكن قولك أن النساء صغاراً وكباراً لبسن النقاب أو الحجاب على مضض هذه عبارة غير صحيحة . والذي جعلهن يقبلن الحجاب هو معرفتهن لنصوص القرآن والسنة وحثهما المرأة على الالتزام بالحجاب في حضرة الرجال الأجانب. صحيح هناك من دعا ونادى من الأبناء والدعاة إلى هذا التغيير ، لكنه لم يكن إلزامياً ، وإنما بينوا للرجال والنساء أهمية الحجاب من منظور شرعي فاقتنعت النساء بلبسه ، لأنه كمال في الدين.(ابن جريس).

(٢) قولك (خروج الأقارب والأرحام ودخول الأجانب) عبارة غير دقيقة ، فالأجنبي أو العامل يقوم ببعض الخدمات لأهل البيت لكنه لا يعيش معهم . ونقرأ في عهد السلف الصالح وفي عصور الإسلام الأولى أن الخادم كان يعمل في بيوت العلماء والفقهاء ورجال الدولة وغيرهم . أما القريب الذي ليس محرماً للمرأة

القرى في وصولها للقرى ، شاركوا أيضاً في تعميم النقاب ، وفي منع الاختلاط من خلال تسنمهم للمنابر ، ومشاركتهم في المواعظ والخطب ، التي كان تركيز المواعظ فيها على الاختلاط والتبرج والسفور ، وما لذلك من العقاب والعذاب والحساب . ولهذا كان التهويل بالعقاب من الله من أهم أدوات الدعوة التي رافقت دخول النقاب والعباءة إلى القرى الجنوبية [١] . وقد كثرت المحاضرات والندوات الموجهة للرجال الذين قاموا بتغطية نسائهم ، بل وصل الأمر ببعض الوعاظ إلى أن يطلق على من يدخل (التلفزيون) إلى بيته مصطلح ((ديوث)) . وبالرغم من التكلفة العالية للنقاب ، وخاصة على الزراعة ، والرعي ، وعلى الوضع الاجتماعي ، غير أن هيبة وسلطة الدين كانت أقوى من الممانعة التي كانت تظهر من كبيرات السن لعدم اقتناعهن بتلك الملابس. ولأنها أعاقت تحركهن، وأدت إلى تحويلهن إلى قواعد في بيوتهن . وأكثر من هذا أصبحن محاصرات نتيجة عدم الخروج أو الإطلالة حتى من النافذة ، وأصبح حتى الخروج للأماكن العامة ممنوع إلا بمحرم، وحتى وهن في سيارتهن مع أهلهن في الطرقات خارج القرى والمدن لا يستطيع البعض الكشف عن وجوههن . هذا الصراع ولد عدداً من المشكلات لدى من عشن حياتهن يتمتعن بحرية الحركة والعمل والمشاركة الفاعلة في الحياة اليومية لم يكن لديهن أي شك في أنفسهن أو في الآخرين . كن واثقات وقادرات على العيش بكرامة وعزة وبدون أدنى شك ، حين كان الشك زائلاً بين أهل القرى من أبناء وبنات العمومة والأخوال . ليس هذا فحسب ولكن كان الناس يتربون ذكوراً وإناثاً على الاحترام والتقدير ومعرفة حدودهم . ولا يستطيع أحد أن يشكك في أحد لما سوف يلحق بعد ذلك من تبعات وعقاب اجتماعي كبير . لهذا عاش المجتمع في وئام وسلام، وتقدير واحترام ، وخاصة للمرأة ، لما تمثله من مكانة كأم وأخت وابنة وزوجة وعمة وخالة ، ولدورها الأساسي في البيت والمجتمع . ولم يسجل التاريخ أي حوادث نتيجة العرف القبلي الذي يركز على الأخلاق ، وعلى كرامة الجميع وحمايتهم صغاراً وكباراً وأولهم المرأة، وأيضاً تمسكهم بالدين على فطرتهم وصدقهم بدون تطرف، وكان ((الشك زايل)) [٢]. ومع تبني النقاب وعدم عمل المرأة مثلما كانت في المزارع والجبال

فكان يعيش في المنزل ويجلس وأحياناً ينام في الغرف التي فيها نساء أجنبيات وليس محرماً لهن ، فالواجب عليك أن توضح عبارتك وتشرح الفرق بين القريب والأجنبي . (ابن جريس) .

(١) وهذه الحقيقة التي ذكرها الله عز وجل في القرآن وأكد عليها الرسول (ﷺ) . (ابن جريس).

(٢) أنت حولت الأمر يا علي إلى جريمة كبرى وقع فيها الدعاة إلى الخير ، وجعلت نفسك محامياً عن النساء وكأنك تتكلم بألسنتهن ، وتقول إن الحجاب هو مصدر كل مشاكلنا التي نعيشها اليوم . ونقول لك اتق الله فيما كتبت أناملك ، وفيما تسعى إلى تحقيقه . هذا هو الحجاب يستخدم في المدارس وفي أماكن عديدة خارج المنزل ، وهؤلاء بناتنا وأخواتنا يعملن في معظم المجالات ويحافظن على نقابهن أو حجابهن ، ويشاركن الرجال من الآباء والأزواج والإخوان والأولاد وغيرهم، ولا نرى في ذلك أي ضير أو عقبة . (ابن جريس).

وعلـى الآبار وحتـى في البيوت، أصبحت المـرأة لا تتحرك خارج المنــزل إلا نادراً ، وإذا تحركت فهي في سيارة تنقلها لعملها أو لحاجتها في السوق والمستشفى أو زيارة الأقارب، وأحيانــاً النـزهــة ، وغالباً العمل إما موظفة إدارية أو معلمــة . وقد أثر ذلك على شكلها ومظهرهــا وصحتهــا ، وأصبحت تواجه أنواعاً جديدة مــن المرض وفي مقدمتها السمنة والكولســترول والسكـر والروماتـزم والضغط والــدوالي والترهل والكسـل وغيرها من الأمراض العصرية الناتجة عن عدم ممارستها للحيــاة بشكل طبيعي ، وعدم الحركة التــي هي مطلب حياتي مهم له علاقــة بصحة الإنسان وبدوره في الحياة والاعتماد على الــذات وفي إعمــار الأرض[1] .واستمر النقاش والحــوار والممارسة في فرض النقاب من الأقارب، ومن الوعاظ في الأسواق والأماكن العامة ، حتى تحول جميع النســاء إلى منقبات، ويلبســن العباءة السوداء . ولم يقــف الوضع عند هذا الحد بل ذهب إلى أكثر من ذلك، فقد أصبح النساء يصنفن أنفسهن حسب نوعية من يلبس العباءة ، ومن يلبس النقاب، ومــن تضع القفاز في يديها والشــراب في قدميها [2]. وهكذا صارت النساء تحت المجهر مــن الآخرين ومن أنفسهن ، وأخذن يراقبن بعضهــن، ويعظن من باب الحسبة ، بشكل تطوعــي أو ضمن جماعــات ضاغطة ، وينهين عن لبس ما فيه إثــارة أو شبهة ، وخاصة كيفيــة لبس العباءة ونوعيتها ، حتى أصبحت كيفية لبسها على الرأس ، أو على الأكتاف يعبر عن التدين من عدمه . ومع الوقت أصبحت العباءة مصدر إثارة وجزءاً من الموضة، وأصبحــت تصمم بأشكال كثيرة فيها من الأناقة والجمال والجاذبية بل الإغراء الشيء الكثـير بسبــب التصميم وحداثة الملابس[3] . لم تكن المــرأة الجنوبية متبرجة أو سافرة كمــا كان في الجاهليــة ، أو في المجتمعات المتحررة في بلــدان العالم المختلفة ، فقد كانت تلبســ من أجمل الملابس وأكثرها حياء وحشمة . وكانــت المرأة منتجة وعاملة تعيش في مجتمعها القروي العفيف رجالاً ونساء من دون أي أجنبي . يمشون في الطرقات نفسها، ويلتقــون فيهــا ، وفي المــزارع ، وعلى الآبــار ، وفي المراعي ، وفي قراهــن وهن متحجبات

(١) هل تريد أن تذهب المرأة سيراً على الأقدام إلى عملها أو أي مكان ترغب الذهاب إليه . هذا نحن الرجال جالسون في بيوتنا ومكاتبنا ولا تذهب إلى أي مكان إلا في السيارة . ماذا تريد للمرأة يا علي أتريدها أن ترمي حجابها وتذهب في الشوارع والأسواق كاسية عارية ، اتق الله في أطروحاتك وما تسعى إلى تحقيقه أو المناداة به. (ابن جريس) .

(٢) ألم تتعب وتمل من تكرار هذه العبارات والأقوال الرخيصة . من يقرأ الصفحات السابقة يجدك كررت هذه الجمل مرات عديدة ، وكان يكفي أن توردها ، مرة أو مرتين وقد وصل الهدف الذي تريد قوله وتحقيقه . (ابن جريس) .

(٣) أتدري ما هو السبب ، لأن أعداء الله أصابهم القلق والحزن عندما ارتدت المسلمة الحجاب فهم يريدونها أن تحاكي غيرها من النساء السافرات المتبرجات في الغرب أو الشرق ، أو من يخرج في القنوات الفضائية وغيرهــا وهن كاسيات عاريات . وأنت يا علــي وضعت نفسك في طابور هؤلاء المغرضين الذين يريدون إخراج المرأة المسلمة من خدرها إلى حياة أعم وأوسع هي حياة العري والتفسخ . (ابن جريس) .

ولا يغطين وجوههن بالنقاب . كل يعرف قدره ومكانته وحدوده . تربوا جميعاً ذكوراً وإناثاً على فضائل ونواميس جعلتهم يقدرون ويحترمون بعضهم بعضاً . إنها التربية التي تربوا عليها كباراً وصغاراً رجالاً ونساءً . إن تعاليم وقيم المجتمع القروي الجنوبي وثوابته تنظر إلى المرأة باحترام وتقدير ، فهي العار وهي العرض . ولا يمكن لأحد أن يجرؤ على تدنيس هذا المقدس ، أو السطو على عرض أي امرأة كانت [١] . المرأة هي حرمة (مقدّسة) لدى الجميع ، فلا يستطيع أحد أن يمد يده على امرأة أو يتلفظ عليها بكلمة تجرح كرامتها ، لأن هذا يعد نقصاً في رجولته ، واعتداء على كرامة وعرض غيره من رجال القرية إن فعل أحد ذلك ، وعندها سوف يكون العقاب كبيراً من الجميع . ولهذا يلتقي الرجال والنساء ، ويسلمون على بعضهم البعض . والكل يحترم نفسه وحدوده ومسافته . ولا يستطيع أي إنسان أن يرمي المرأة بسوء ، أو يقدح أو يذم فيها[٢] ، لأنه إن حدث مثل ذلك فسوف يكون رد أهلها والمجتمع قاسياً . وأيضاً لا يقبل الرجال أن يقدح في نسائهم وأمهاتهم وأخواتهم وبناتهم ، ولا ينظر إليهن بنظرة ريبة من أحد مهما تحدثوا مع الناس ولاطفوهم ، ومهما عملوا معاً ، أو اجتمعوا في أي مكان كان[٣] . والمرأة أيضاً ليست بالسهلة الهينة فلديها شخصيتها وكرامتها واستقلاليتها وشجاعتها لأن تدافع عن نفسها ، وعن عرضها وكرامتها ، وهي تعرف أنها لو تعرضت لأي اعتداء فهي قادرة على رده حتى لو وصل ذلك إلى قتلها لمن يعتدي عليها ، لوقوف الجميع معها ، نعم كان مجتمعاً له قوانينه المبنية على الاحترام والتقدير بين جميع أفراده ذكوراً أو إناثاً . كل شيء يمكن أن يكون فيه الحديث والأخذ والعطاء إلا عرض المرأة وعرض الأرض ، وكان (الشك زايل) [٤] .

---

(١) رددت هذا الكلام كثيراً ، وكانوا فعلاً كذلك ، فهم يعيشون في مجتمع صغير ومتواضع في إمكاناته ، ثم إن ظروف وكسب العيش من رعي وزراعة وغيرها تجعلهم يقضون معظم النهار في الخارج . وزماننا الحالي اختلف عن الماضي ، وتقاربت الأمكنة وتداخل العالم بعضه مع بعض . وهذا الاختلاف في الماضي والحاضر يحتاج إلى بحوث علمية موثقة مع توضيح الجوانب المتشابهة والمختلفة، وما تميز به كل عصر . (ابن جريس) .

(٢) هذا كلام صحيح ، لكن من نقاشك وأطروحاتك تقدح في عرض وشرف نساء اليوم عندما تتحدث عن السائق ، وصاحب التاكسي ، والخلوات وغيرها ، ولسان حالك يقول إن نساء اليوم يقعن في محظورات شرعية بسبب ما حدث في حياتهم الاجتماعية من تغيرات . (ابن جريس) .

(٣) نعم كان الرجال في الزمن الذي تتحدث عنه ، أما اليوم فهذا أنت وأشباهك يا علي تتجاوزون الخطوط الحمراء وتشككون في شرف نساء هذا العصر ، وفي غيرة ومروءة رجالهم . وإذا عارضكم أحد تقولون أنهم من الفريق المتشدد أو المتدين أو المتخلف ، وتكيلون التهم والسباب لهم لأنهم يسعون إلى حفظ نسائهم ممن في قلبه مرض ولا يتورع أن يقع في أعراض الناس . (ابن جريس) .

(٤) أقوالك هذه جعلتني في حيرة ، فالنساء قديماً كن قويات ولسن هينات ، أما نساء اليوم فهن من خلال سياق حديثك ضعيفات ولا يستطعن الحصول على حقوقهن وحماية أنفسهن . هذا كلام مغلوط ، بل النساء اليوم أكثر قوة وجرأة من النساء في الزمن الماضي . ولكل عصر ظروفه ومقوماته ، فالنساء في الماضي كن يعشن كريمات عزيزات ، وكذلك نساء اليوم ، ولكل عصر سلبياته وإيجابياته . (ابن جريس) .

قلت : المؤلف أستاذ جامعي ، وهو يدرك أنّ من تقاليد البحث عدم إصدار الحكم أو النتيجة إلاّ بدليل . فهو يقول (لم تعرف نساء الجنوب النقاب أو العباءة قبل الحداثة) ومن المفترض أن يُحَدّد تاريخ عدم المعرفة ، ومتى كانت الحداثة .ثم يقول (الحجاب الأخلاقي الذي يرتديه الرجل والمرأة معاً) وكأنه يقول إن رجال ونساء الجنوب أعَفّ وأطهر من نساء المدينة المنورة في العهد النبوي ، فقد نزلت آيات الحجاب لنساء المدينة ومنهن نساء النبي ﷺ ، ونساء الجنوب في غير حاجة إلى حجاب نساء المدينة، فعندهن (الحجاب الأخلاقي) ، وشيطان المدينة ومكة أقوى من شيطان الجنوب .وقُلتُ (شيطان المدينة ومكة) على سبيل التبكيت ، ففي حجة النبي ﷺ مَرّت به ظُعن يَجْرين ، فجعل الفضل بن العباس.وكان رديف رسول الله ﷺ ينظر إليهن ، فوضع الرسول ﷺ يده على وجه الفضل ، فحوّل الفضل وجهه إلى الشق الآخر لينظر ، فحول رسول الله ﷺ يده من الشق الآخر على وجه الفضل .فقال له العباس : لويت عنق ابن عمك يا رسول الله ، فقال : (رأيت شاباً وشابة ، فلم آمن الشيطان عليها ، والحديث في صحيح مسلم ، وسنن الترمذي .

فهل قال ﷺ بالحجاب الأخلاقي ، ولا سيما أنهما في أقدس بقاع الأرض ، وفي موسم الحج ، والفضل رديف رسول الله ﷺ . وهذا ما عنيته بشيطان مكة والمدينة ، وشيطان الجنوب . ثم قال المؤلف : (الحجاب الشرعي ، وهو تغطية رأسها مع الإبقاء على وجهها ويديها مكشوفة ، فسكان الجنوب كانوا يعتقدون أنهم يتبعون المذهب الشافعي) ولو ترك المؤلف الجزم بأن الحجاب الشرعي هو تغطية الرأس وكشف الوجه واليدين ، وقال : وهُنّ – أي نساء الجنوب – لا يُغَطِّين وجوههن وأيديهن ، لكان له في ذلك مخرجاً ، فالحجاب بمعنى السِّتر والتَّغْطية ، ففي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها ، قالت: (فخمّرت وجهي بجلبابي)[1] . والشافعية وغيرهم يقولون بأنّ تغطية وجه المرأة الحُرّة الشَّابة عند خوف الفتنة بها واجب ، ويَدُلُّ التَّقْييد بالحاجة على أصل التغطية ، بل ذهب الفقهاء من المذاهب الأربعة على أن المرأة إن كانت في الصلاة وعندها أجانب، أنها تستر وجهها[2] . وقال المؤلف: (لأنّه ـ أي النقاب لن يسمح للنساء بالعمل، وسوف

---

(١) صحيح البخاري (٤١٤١) (٤٧٥٠) . صحيح مسلم (٢٧٧٠) . (ابن معبِّر) .

(٢) الحجاب في الشرع والفطرة . عبد العزيز الطريفي ، ص ٦٦ . (ابن معبِّر) . هذه النصوص الشرعية لا يعرفها الأستاذ علي ولم يطلع عليها ، ولو عرفها فهو لا يريد ذكرها أو الاستدلال بها ، لأن هدفه أن تعود المرأة وتخالط الرجال مثلما كانت في السابق ، ويرى أن هذه الطريقة هي الأمثل والأفضل من وجهة نظره ووجهة نظر من ينادي بالاختلاط بين الرجال والنساء ، ويرى أنها من صور التمدن والحضارة. (ابن جريس) .

يـؤدي إلى فصل داخل المجتمـع الجنوبي) .[١] ورَبْطُ المؤلف بـين النقاب وعدم إمكانية العمـل لا تقـوم بـه حجة ، لأنَّ مكان عمـل المرأة وطبيعتـه لا يحول دون عملهـا ، إلاّ إذا أراد بالعمـل تلك الأعمال الشاقة من أعمال البنـاء والحفر، والصعود على السقالات ، وتركيب الرُّخام[٢] . ولو نظرنا إلى العُمَّال في هذه الأعمال ـ إذا تقيدوا بشروط السلامة ـ فسنجدهـم قـد اعتمروا الخوذات ، ووضـع بعضهم على أنفه وفمه وجـزءاً من وجهه الكمّامـات ، لأدركنـا أن ذلك لا يختلـف عن الحجاب إلاّ قليلاً .[٣] أمـا قوله : (وسوف يؤدي ...) فيلزمه تحرير معنى هذا الفَصْل ، وهل المجتمع الجنوبي بعاداته حاكم على الشَّرْع ، وهل توقفت الأعمال منذ وصول دعاة نجد . والأمر المؤسف أنَّ أنصار عمل المرأة ومعارضيه يَنْسَوْن وهم يتجادلون في ساحة المعركة أنّ المرأة في جميع أرجاء العالم أكثر عملاً من الرَّجُل ، فلا تقف عن العمل إلاّ في ساعات نومها ، حتى هذه الساعات لا تسلم من المنغصات، كبكاء ولدها ، فتهب من نومها لتُهَدْهِدُه، أو تنظر في سبب يقظته . تقوم المرأة ـ في الغالب ـ بجميع أعمال المنـزل ، من كَنْس ، وغسيل للملابس مع كَيّها ، والطّبخ وغسيل أدوات المطبخ ، وتنظيم الأثاث ، وقد تقوم برتق الملابس ، وتمشيط شعر بناتها ، ورعايـة الأطفال بإطعامهم وإلباسهم ومباسطتهم ، كمـا تقوم بمتابعة دروس أولادها ، إلى آخـره من جميع أعمال المنـزل . وربمـا كان زوجها شرساً كثير الشتم لها ، والتقليل مـن مكانتهـا .ولو كُلّف خمسة من الرجال بعمل امرأة واحدة لعجزوا عن ذلك . ومع كل هـذا يقـول أنصار عمل المرأة بأنّ المرأة غير العاملة تمثل (الطاقة المُعَطّلة) . إن المرأة (ربَّـة المنـزل) تستحق أن يكون لها راتباً ، فهـي التي تُعدُّ الأجيال من البنين والبنات ،

---

(١) إن الاختـلاط في المجتمـع هـو من الأهداف الرئيسية التـي يريد الدكتور علي تحقيقهـا ، فهو من كثرة أسفـاره وجولاتـه يرى أن الاختلاط حضـارة ورقي ، وهو للأسـف ينادي فينا يا معاشـر بني جلدته أن نكـون مثـل هذه المجتمعات المتقدمـة التي يختلط رجالهـا ونسائها في جميع ميادين الحيـاة . وأقول إن الدكتـور علي وأشباهه مساكين ، فهم يـرون أن عزتنا وفلاحنا هو في إخراج نسائنا ليعشن سواءً بسواء مـع الرجال في كل مكان، وأقول لـه وأشباهه من أبناء العربية والإسلام ارجعوا فاقرأوا نصوص القرآن والسنـة والفقـه في هذه المسائل لعلكم تعودون إلى رشدكم ، ولعلكم تتوبـون وتستغفرون من الأوزار التي وقعتم فيها بسبب نداءاتكم المضللة. (ابن جريس) .

(٢) الأخ علي بن موسى يريد فاعلية المرأة في مجتمعنا فتشارك في كل الأعمال ، بصرف النظر عن سهولتها أو صعوبتها ، نعم هذا الرجل له هدف وهو ان تكون جميع أعمال النساء مثل أعمال الرجال سواءً بسواء. (ابن جريس).

(٣) يا ابن معبِّر لا تتعب نفسك بهذه النظريات والأقوال ، فأخونا علي لا ينظر من هذه الزاوية التي تذكرها ، وإنما يورد الآراء والأقوال من أجل إقناع النساء والرجال على أن ما نفعله يا معاشر الرجال ويفعل نساءنا اليـوم ، من حيث الستر وارتداء الحجاب ، إنـه سلوك رجعي ومعطل لقيام حيـاة متطورة وحضارية ، والأفضـل عنـده أن تلبس المـرأة البنطال و القميص وتعيش مثلها مثل غيرهـا من نساء العالم المتقدم المتحضر. (ابن جريس).

وهي التي تحفظ بيت زوجها[١]. ومن الشقاء الذي يلحق بالمرأة العاملة ، وهي ربّة منزل إلى جانب عملها الخارجي، أنَّ زوجها وأقاربها يطمعون في راتبها . ومع أنني أكره ما يسمى بالأيام العالمية، فإنني أقترح أن يكون لربّة المنزل يوماً عالمياً [٢]. ثم يقول المؤلف: (بدأ الحجاب المعتاد في الجنوب ...) وهو يعيد ما قاله في مواضع سابقة ، ويثير غُبَار الشكّ حول المذاهب الفقهية ، وعلماء هذه المذاهب ، بأنهم لم يصلوا إلى حَلٍّ ، وكأنّه لم يقرأ كتبهم ، ولم يعرف إجماعهم حول الحجاب ، وقد بُني هذا الإجماع على الأدلّة من القرآن والسنة [٣]. ثم يقول المؤلف: (لقد ساهم النِّقَاب بشكل كبير في توسيع الفجوة بين الأسر التي كانت تعيش مع بعضها ، وأصبح الأخ ((الحمو الذي ذكر بأنه الموت)) يخرج بزوجته في بيت لوحدها ، بحجة النقاب والكشف على المحارم) . والمؤلف في هذا النَّص يتهم ما جاء به الشّرع حول الحجاب ، وبأنّ ذلك هو السبب في توسيع الفجوة بين الأسر ، والمؤلف هو نفسه الذي يقول تحت عنوان (عمل المرأة) : (في هذا الزمن الذي ابتعد فيه الأقارب ، وضعف الترابط الاجتماعي) فأيهما السبب : الحجاب الذي وسَّع الفجوة بين الأسر ، أم ابتعاد الأقارب وضعف الترابط الاجتماعي؟؟ وهو بهذا يقف على طرفي نقيض[٤].وللمرّة الثانية يورد المؤلف كلمة (الحمو...) وكأنها عبارة عابرة من عبارات المجتمع الجنوبي الدارجة ، ويسوقها على سبيل التعريض والانتقاص . وهي جزء من حديث ، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه ، أنّ رسول الله ﷺ قال: (إياكم والدخول على النساء) فقال رجل من الأنصار : يارسول الله ، أفرأيت الحمو؟ قال :

---

(١) والله يا ابن معبِّر إن علي بن موسى يعرف هذه الأمور أكثر مني ومنك ، لكنه للأسف لا يريد الاعتراف بذلك ، وذلك بسبب الفكر والقناعات التي درسها ورآها في بلدان عديدة من العالم ، فهو لا يريد للمرأة المسلمة الحشمة والستر والعفاف ، وإنما يريدها أن تكون متمدنة مثل نساء كثيرات في العالم ، فلا تجلس في البيت للإشراف على أسرتها ، ولا تستر نفسها بحجابها وإنما تتخلص منه وتجاري غيرها من المتقدمات في نظر علي ومن يقول بقوله . (ابن جريس) .

(٢) هذا هو القول الصحيح ، فو الله إن نساءنا وأمثالهن من المسلمات اللاتي يحافظن على دينهن وسترهن وكرامتهن إنهن يستحققن أعلى أوسمة التقدير والاحترام والتبجيل. نعم إن كثيراً من رجالنا غير جيدين في معاملة زوجاتهم وأخواتهم وقريباتهم ،فقد يعاملونهن بالقسوة والظلم والجور والعضل وغيرها ،هذه حالات كثيرة نعرفها ونشاهدها ، بل إن المحاكم الشرعية فيها الكثير من هذه المشاكل الاجتماعية التي سببها الرجال ويجب علينا يا معشر الباحثين أن ندرس هذه القضايا ونذكر أسبابها وطرق علاجها ، ولا نفعل مثل الدكتور علي الذي يبذل كل ما في وسعه من أجل اقناع المرأة بترك حجابها والاختلاط بالرجال في كل مكان. ونحن أصحاب رسالة ربانية ويجب أن نتصف بالعدل والإنصاف في كل ما نعمل ويقودنا إلى الخير ومرضاة الله عز وجل . (ابن جريس) .

(٣) الدكتور علي لا يريد الولوج في هذا الباب ، لأنه سوف يجد ما يكدر خاطره ولا يوافق رأيه وهواه وما يريد تحقيقه. (ابن جريس) .

(٤) أقوال الأخ علي مليئة بالمتناقضات ، وليس فقط في هذه الجزئية التي ذكرتها يا ابن معبِّر. (ابن جريس) .

(الحمو الموت) [١]. والحمو قريب الزوج الذي لا يحلّ للمرأة .ويستمر المؤلف في الانتقاص من الشَّرع، فها هو يقول : (كان تركيز المواعظ على الاختلاط والتبرج والسفور ، وما لذلك من العقاب والحساب ، ولهذا كان التهويل بالعقاب من الله من أهم أدوات الدعوة ....) [٢]. وليس العقاب والحساب الذي يذكره الدعاة في مواعظهم من أفكارهم وأقوالهم الخاصة ، وإنّما يسوقون الأدلّة من القرآن والسُّنَّة ، فهل يقال بأن هذه الأدلة مُجَرّد تهويل من الله تعالى ورسوله ﷺ . ثم يقول المؤلف : (وبالرغم من التكلفة العالية للنقاب ، وخاصة على الزراعة ، وعلى الوضع الاجتماعي) . وهذا هو التهويل الحقيقي ، فالمرأة ليست العامل الرئيسي في الزراعة والرّعي ، فالرّجل بدوره ترك الزراعة والرَّعي ، فلماذا نُعَلِّق الجرس في رقبة المرأة .المجتمع. رجالاً ونساءً. خَلَد إلى الرّاحة ، وأوكل أمور الزراعة والرّعي إلى الوافدين، ويُنْبئ تهويل المؤلف لأمر الحجاب عن انحراف في التَّوجّه ، فهو يجعل حقائق الشريعة الإسلامية من المصائب التي تحيق بالمجتمع ، بينما يجعل من عادات الجنوب وتقاليده مراكب الخلاص التي تقود المجتمع إلى الرُّقي والرفاهية والسَّعادة[٣]. ومن أعجب كلام المؤلف قوله : (ولم يسجل التاريخ أي حوادث[٤]. نتيجة العُرْف القَبَلي الذي يُرَكّز على الأخلاق ، وعلى كرامة الجميع ...) وكأنّه يقول إنّ رجال ونساء الجنوب قد فقدوا الغرائز التي أو دعها الله تعالى فيهم ، وهذا (العُرْف القبلي) أقوى من النّوازع الفطرية ، وأقوى من أحكام الشَّرع ، وأقوى

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب النكاح . صحيح مسلم ، رقم ٢١٧٢. سنن الترمذي ، رقم (١١٧١) . (ابن معبِّر) .

(٢) الأخ علي قارئ جيد ، وأنا متأكد أنه قرأ القرآن الكريم ودرس ما فيه من آيات كريمة تذكر كثير من الذنوب وما هي عقوباتها عند الله ، ومنها الاختلاط الذي يقود أحياناً إلى الزنا ، ومنها أيضاً الأعراض والعفة وغيرها، لكن هذا الأستاذ لا يريد أن يعيش مع القرآن وما ينادي به ، وإنما إعجابه بحياة الغرب والشرق المتطورة ، وكذلك اطلاعه على كثير من الأقوال والنظريات المخالفة للشريعة الإسلامية ، التي تنادي باختلاط الرجال والنساء ، ووجوب الاشتراك في كل الأعمال وفي شتى الميادين ، هذه شخصية علي وما يحبذه وينادي به . (والله المستعان) . (ابن جريس) .

(٣) يا أستاذ ابن معبِّر نحن أبناء العرب والمسلمين لم نصل إلى درجة الكمال في دراسة مشاكلنا التي لا تعد، وإذا أخذنا مناطق الجنوب السعودي فهي جزء صغير من عالم المسلمين . وعندنا آلاف المشاكل والقضايا التي تحتاج إلى دراسات وبحوث وحلول ، والحياة الاجتماعية والاقتصادية في بلادنا واحدة من الميادين التي تستحق معالجات وحلول مثل الزراعة والرعي وتعايش الناس مع بعضهم البعض . وياحبذا أن الدكتور علي شغل نفسه بدراسة شيء من هذه المشاكل التي عرفها منذ ستة عقود ، لكنه للأسف لا يريد ذلك ، وإنما الذي أزعجه هو احتجاب المرأة والتخلص من هذا الجلباب (الحجاب) الذي يراه عدوه الدود ومن هو على شاكلته ، ونسأل الله له الهداية ومن حذا حذوه . (ابن جريس) .

(٤) يقصد بالتحرش ونحوه . (ابن معبِّر) .

مـن مؤسسـات الأمم المتحدة وتشريعاتهـا [١]. ولا أدري كيف توصّل المؤلـف إلى حُكْمه الـذي قـال فيه: (لم يسجـل التاريخ أي حوادث) وهـو قد سمع - بلا شـك - كما سمعنَا تلـك القصص التـي يَنْدى لها الجبين، من قصص التحرشـ والاغتصاب ، التي رواها (شيبـان) مـدن وقرى الجنوب ، وكان من حصيلتها العديـد من الأخطاء البشرية[٢]. وليسـ أهل الجنوب ممّن تفرّد في هذا الجانـب ، فكل مدن وقرى العَالَم تشهد مثل هذا وأكـثر . بـل إنّ من ضمن دعـوات الرُّسل والأنبيـاء عليهم الصـلاة والسلام ، محاربة الرذيلة وأسبابها ، وأنزل الله تعالى الأحكام الشرعية العقابية لمعاقبة أصحاب الرذيلة.

أما (العُرْف القبلي) الذي يقول به المؤلف ، فالنّاس يعرفون محاسنه ، ويحرصون علـى تطبيقهـا ، كما أنّ له بعض المساوئ ، ومنها : (أ) التمايـز والعنصرية والطَّبَقيَّة ، مُمَثَّلَة في فئات من المجتمع ، فَرَضَ عليها العُرْف القَبَلي أن تكون أدنى من أبناء القبائل، ومنهـم أصحاب الصناعات والمِهَن ونحوهم . (ب) تَمكين ابـن العَمّ من مَنْع زواج ابنة عمّـه من غـيره ، وحجره عليها . (ج) حرمان المرأة من المـيراث. (د) مَنْح (الخَالِيَة) وهـي البنت أو المُطَلَّقة حريـة المغازلة ومحادثة الرِّجَال بعيداً عـن أنظار الناس[٣]. ولا يعني ذلك أن هذه المساوئ من الأمور الشائعة بشكل واسع ، ولكنها تحصل في ظلّ العُرْف القبلـي ، ولعل أكثرها شيوعاً ، هو حرمـان المرأة من الإرث . وأحبّ أن أذكر أن الفقهاء جعلوا (العُرْف) من أدلة الأحكام الستة المختلف فيها[٤] ، وهي بعد أدلّة التشريع المتفق

---

(١) كلام كررتـه سابقـاً يا ابن معبِّر وعلي يعرف ذلـك ، لكنه لا يريد الاعتراف بما نقول ، أو أنه الصواب . (ابن جريس) .

(٢) وأؤكـد لـك يا ابن معـبِّر أن علي يعرف ذلك ، فهو الذي عاش في قـرى ووهاد الجنوب ، وفي بلاد عسير تحديداً ، وهناك الكثير من الموضوعات التي عرفها جنوب المجتمع السعودي ، وتستحق البحث والدراسة ، لكن علي لا يهمه مثل هذه الأمور ، وإنما الذي يشغله هو إخراج المرأة من تحت حجابها لتعيش مع الرجال بدون أي حواجز أو موانع .وأفيدك يا ابن معبِّر وغيرك أنني أعيش في أروقة الجامعات السعودية منذ تسعينيات القرن الهجري الماضي ، وعاصرت وجالست وسمعت عشرات الأساتذة وغيرهم في مجتمعنا السعودي وهم ينادون بما يقول ابن موسى تجاه المرأة ، بأنها مظلومة ومقهورة ، ويجب أن تتخلص من الحجاب وتخالط الرجال في كل مكان ، ومن هذه النداءات المضللة ، مع أن هناك مشاكل أخرى أدهى وأمر تواجه المرأة ويواجهها المجتمع السعودي وتحتاج إلى بحث ودراسة ، ولا أحد من هؤلاء المدعين للتنوير والإصلاح يلتفت لها أو يدرسها . (ابن جريس) .

(٣) هذه أمثلة قليلة وهناك عشرات بل مئات الأمثلة في مجتمعاتنا ، التي يجب على الباحثين والأساتذة أمثال الدكتور علي بن موسى أن يدرسوها ويناقشونها وإيجاد حلول لها ، كما يجب على الجميع عدم السماع لهؤلاء المرجفين الذين يقولون أن جل مشاكلنا في احتجاب المرأة عن الرجال . (ابن جريس) .

(٤) وهي الاستحسان ، والاستصحاب ، والمصالح المرسلة ، والعُرْف ، وشرع من قبلنا ، ومذهب الصحابي . (ابن معبِّر) . الإسلام وضح لنا جميعاً أمور الدين وتعايش الناس بعضهم مع بعض ، لكن جهلنا بالدين جعلنـا نسـير في ركاب نظريات الشرق والغرب ثم نجلبها إلى بلادنا كـي نعلمها لأهلنا وأولادنا وبناتنا. (ابن جريس) .

عليهـا: (القـرآن ، والسنة ، والإجمـاع ، والقياس). ونقرأ للمؤلف قولـه : (ومع تَبَنِّي النقـاب ... حتـى ... وفي إعمـار الأرض) . وهو يرسـم فيه حياة كئيبة للمـرأة بسبب الحجاب ، وكأنّ هذا الحجاب هو البلاء الأكبر الذي أفسد حياة المرأة فَتَعَاوَرَتْها الأمراض من كل جانب[١]. فهل النِّساء أقلّ من الرجال الذين أصابتهم نفس الأمراض، ويحتاج الأمر إلى إحصائيـة عن رُوّاد المستشفيات ، والمستوصفات ، والمراكز الصحية، من الرجال والنساء، وذلك لتحديد نسبة المرضى من الجنسين . والأهم من ذلك أن الله تعالى هو أرحم بعباده من أنفسهم، فهـو يقول: (**وَقَرْنَ فِي بُيُوتكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَـبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّة الأُولى**)[٢]. فهل يَصْدُر من الرحيم الـرؤوف بعباده مـا فيه فساد ومرض لجسد المرأة ؟ . وهل المؤلّف أعلـم بالأسباب والمُسَبِّبات من خالـق هـذا الكون جل وعـلا ؟ .وهو القائـل تعالى : (**ومَـا كان لمُؤمـن ولا مُؤمنـة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرَة من أمرهم ومن يَعْص الله ورسوله فقد ضَلَّ ضَلالاً مُبينا**)[٣].

ويقـول المؤلف: (لم تكن المرأة الجنوبية متبرجة أو سافرة ... حتى ... وكان الشّك زايل) .وكأنّه يُمَوّه على القُرّاء في معنى التبرج والسفور ، فها هو عاشق (ليلى الأخيلية) يقول :

وكنت إذا ما زُرْتِ ليلى تَبَرْقَعت وقد رَابَني منها الغداة سُفُورها

ولو استزدت من أمثال هذا البيت لملأت عشر صفحات على أقل تقدير .

ويسترسـل المؤلف ، فيصف المرأة الجنوبية بأنها حُرْمَة (مُقَدّسة) ، ولا يمكن لأي رجـل أن يمدّ يده على امـرأة ، وكأنه يستهزئ بالقارئ ، وربمـا كان هذا القارئ يحفظ مـن القصص ما يجعله يضحك من حكم المؤلف بقداسـة المرأة . وكأنّ المؤلف – أيضاً – يتجاهل أثر الشيطان وبراعته في الإغواء ، فقد قال الله تعالى : [**أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّه سَمِيعٌ عَلِيمٌ**][٤].

---

(١) إنه والله نقاش عقيم ، يجعل الإنسان يشعر بالملل عندما يقرأ لهؤلاء الأنواع من الدارسين الذين يدعون وينظـرون لأهلهـم ومجتمعاتهم . بهـدف إفسادهم ومعارضة دينهم الذي عرفـوه في القرآن والسنة . (ابن جريس).

(٢) سورة الأحزاب ، آية (٣٣). (ابن معبِّر) .

(٣) سورة الأحزاب ، آية (٣٦) (ابن معبِّر).

(٤) سورة النور ، آية (٢١) (ابن معبِّر). يا أستاذ محمد معبِّر أخونا علي بن موسى لا يريدك أن تزوده بهذه الأدلة الشرعية ، لأنه قرأها وسمعها منك ومن غيرك ، فهو رجل له هدف ومعه أعوان كثيرون وجميعهم يريدون لهذه المرأة المسلمة أن تترك حجابها وتنادي بالحرية والاختلاط وتنبذ شرع ربها وأعراف وتقاليد آبائهـا وأجدادهـا وراء ظهرها ، وهذا هو الذي يسعون له ، ولو درسـت آراء وأقوال بعض المستشرقين

هــذا هــو خالق الخلق جَلّ في عُلاَه ينهى عباده عن تتبع خطوات الشيطان ، وهو أعلـم بخلقــه منذ خلق آدم عليه السلام حتى تقوم السـاعــة . فهل نَتَعالم وندّعي العلْم ، ونستدعي الأعراف القبلية ، حتى نصل إلى تفضيل عِلْمنا وأعرافنا على الوَحْيَيْن ؟ [١] .

٥١. النِّقَاب في تحول جديد : قال المؤلف:(لقد أصبح النقاب والعباءة في الجنوب من التقاليد والقيم والثوابت والعادات التي تقوم بها النساء في حياتهن اليومية ، وأصبح النـاس يؤكـدون عليها من باب الدين والغيرة على النساء مـن نظرات الرجال الأقارب والأجناب والأجانب . نعم ليست المسألة الدينية وحدها التي تحكم الموضوع الآن ، وإنما يحكم النقاب والعباءة ولبسها الغيرة على المرأة من النظر إليها من الرجال الآخرين . ولهذا تشدد الرجال في هذا الجانب) [٢] .

قلـت : ها هو المؤلف يقلب فِكْـرَه في اتجاه آخر ، فقد كان يحارب النقاب والحجاب لأنَّ ذلـك . في زعمــه . يخالف العَادات والتقاليد في الجنوب التي تتمثل في كشف الوجه، وأنَّ الحجــاب من الثقافة الدينية الوافدة من نجد . ولكنه هنا يرى أنَّ النِّقاب والعباءة مــن التقاليــد والثوابت والعــادات ، لأنَّه يريــد التخلص من أن يكون الحجــاب عبادة ،

وسمعت أيضاً ما ينادي به بعض إخواننا وأبنائنا ممن أعجبوا بحياة الانفلات الأخلاقي في الشرق والغرب ، وممــن ذهبــوا إلى بعض البلــدان الأجنبية للسياحة أو الدراســة ، ثم عادوا للعيشــ في أوطانهم وبين أهلهم ومجتمعاتهم باذلين كل ما في وسعهم لنشر ما جلبوه من ثقافات علمانية تعارض ما ورد في مصادر الرسالة المحمدية . إن هذه الأمور جميعها ليست وليدة اليوم ، وإنما هي تعود إلى الوراء عقود عديدة .(ابن جريس) .

(١) إن أعداء الله (عز وجل) وأعداء الرسل موجودون منذ خلق الله السماوات والأرض ، وسوف يستمرون حتى تقوم الساعة ، والنصر كما وعد الله لأهل الحق على أهل الباطل . (ابن جريس) .

(٢) صـ ٣١٢. (ابــن معــبِّر) . أكرر استغرابي من هــذا الدارس (ابن موسى) فهــو يتكلم كأنه واحد من المستشرقين الذين درسنا بعض كتبهم وأقوالهم التي تحدثت في بعض الجوانب الشرعية عند المسلمين مثل الحجاب وغيره . وكوني مكثت حوالي (١١) سنة أثناء دراستي درجتي الماجستير والدكتوراه في أمريكا وبريطانيا فكنا نناقش ونتحدث مع بعض الأساتذة الغربيين في مثل هذه القضايا ،ونجدهم يناقشون ويجادلون كما يناقش صاحبنا ابن موسى ، ونحن نعذرهم ، لأنهم يهود أو نصارى ، بل يعلنون أحياناً عدائهم للإسلام وأهلــه ، ولكــن الشيء المحزن والمؤلم أن نسمع مثل هذه النقاشات ونرى مثل هذه الدراسات من زملاءٍ عرفناهــم مــن أيام شبابهم ، بل زاملونا في سنوات عديدة أيام مراحل الطلب العلمي ، بل إنهم أحياناً يحاضرون ويناقشون في موضوعات مهمة مثل: بعض القيم والأخلاق التي عاشها الآباء والأجداد ويؤكد عليها الشرع ، بل سمعت منهم مثل الدكتور علي ينافحون عن أصالة بعض قيمنا الإسلامية ، ولغتنا العربية، وكثـير من أعرافنا المحكومة بالشريعة الإسلامية . وهنا نجده وأمثاله يطرح مثل هذه الأفكار المعوجة والمحاربة لشرع الله . إنني والله أعجب من هؤلاء ، هل هم فعلاً مقتنعون بما يقولون ؟ أم هم يعملون لغيرهم من أجل هدم ثوابت مجتمعاتنا التي تتخذ من الشرع الحنيف دليلاً وقائداً إلى حب الله ومرضاته ؟ إنني فعلاً أكرر حيرتي مع هؤلاء الأنواع من الباحثين ، وحتى الآن لم أستطع أن أعرف أسباب تناقضهم وتقلباتهم . (ابن جريس) .

لِيَصل إلى أنّه عادة . ويقول : (ليست المسألة الدينية وحدها التي تحكم الموضوع الآن ، وإنما يحكم النقاب والعباءة ولبسها الغَيْرَة على المرأة) .

كأنّه يقول إنّ التزام المرأة بالنقاب والعباءة لا يُعَدّ من التَدَيُّن الخالص، وإنما شاب ذلك الغَيْرة . فهل جَهل أنّ الغَيْرة من الدِّين ، وأنْ لا تعارض في ارتداء الحجاب غَيْرَة من قبل الرجال ، أم تَدَيُّناً وتَعَبُّداً لله تعالى . فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ، قال: قال سعد بن عبادة : لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مُصْفح ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : (تعجبون من غَيْرَة سعد ؟ والله، لأنا أغْيَر منه ، والله أغْيَر مني) [١] . وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (رأيتني دخلتُ الجنة) الحديث ، وفيه: (ورأيت قصراً بفنائه جارية ، فقلت : لمن هذا ؟ ، فقال: لِعُمَر فأردت أن أدخله وأنظر إليه ، فذكرت غَيْرَتك) . وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه : (فقلت : لمن هذا القصر ؟ قالوا : لِعُمَر ، فذكرت غَيْرَتَه ، فولّيتُ مُدْبراً) فقال عمر : بأبي وأمي يا رسول الله ، أعليك أغارُ [٢] .

٥٢ـ النساء والحداثة : قال المؤلف: (لقد أصبحت المرأة في الوسطى والجنوبية والشرقية والغربية والشمالية تتغير داخلياً ، وتقتني أحدث أدوات الحداثة وتنافس النساء غير المحجبات ، بل تتفوق عليهن في بعض الأحيان . بعضهن تلبس آخر (الماركات) والمصنوعات في العالم . ولهذا فهي تتأثر وتتابع كل ما يبثه (التلفزيون) أو تنشره مجلات الموضة ، ولم يبق سوى أن تظهر المرأة بدون عباءتها ونقابها لتخرج بشكل لا يختلف عن أي امرأة أخرى في الدول المتقدمة ، سوى أنها عكفت على التغيير الداخلي تحت العباءة والنقاب الذي لم تعد تلبسه بعض النسوة إلا لإرضاء أهلهن وأقاربهن ومجتمعهن . وتمسكاً بالنظام الذي يفرض عليهن لبس العباءة والنقاب .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الحدود ، باب من رأى مع امرأته رجلاً فقتله ، صحيح مسلم ، رقم (١٤٩٩) . (ابن معبِّر) . يا أستاذ محمد صاحبنا لا يريدك أن تدمغه بالأدلة الشرعية ، وإنما يريد جدالك على منهج من يقول بقوله. (ابن جريس) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، رقم (٣٦٧٩) و (٣٦٨٠) . (ابن معبِّر) . ابن موسى وبعض من هو على شاكلته يعرفون هذه البراهين ويستطيعون الوصول إليها فهم باحثون ، وأساتذة في الجامعات ومراكز البحوث العلمية ، ولكنهم لا يرغبون الاطلاع أو الاقتناع بهذه الأقوال الشرعية ، لأنها تدحض أقوالهم ، وتبين عوارهم ، وهدفهم أن ينشروا ضلالهم على من لا يعرف فكرهم وأهدافهم . ونقول لهم وبخاصة الأخ علي ومن هو في ركابه أصحوا من غيكم وعودوا إلى شرعكم فأقرأوه وتعلموه كما جاء به الرسول الكريم (ﷺ) ، وإذا فعلتم ذلك بهدف الوصول إلى الحقيقة والقول الصحيح فإنكم سوف تكتشفون أخطاءكم ، وعندئذ أرجو أن تتوبوا إلى الله مما كتبتم وجالدتم من أجله . (ابن جريس) .

إنـه الخـوف من المجتمع ، مـن الناس ، وبالتحديد من الرجـال ، وخاصة من المواطنين والأقـارب الذيـن حل محلهـم الأجانب ، بـل إن الرجال يخافون من الرجـال خشية أن يقـال فيهـم وفي شرفهم ما يعكر حياتهم . وإلا فـإن البعض ممن يسافرون إلى الخارج مـن الرجال يسمحـون لنسائهم بالحجاب بـدون النقاب مع الحشمـة [١]. الأمثلة على هـذا التغيير يمكـن ملاحظتها عند السفـر إلى خارج البلاد ، حيث تدخـل النساء من المواطنـات والوافـدات وهن يلبسن العبـاءة والنقاب ، وما أن تقلـع الطائرة حتى تتغير الأشـكال والوجوه ، إلا قلة مـن النساء اللاتي يحافظن على النقـاب والعباءة ، والأكثر منهـن علـى الحجاب ، وأخرياتٍ تعـرف منهن وتنكر ، والعكس صحيـح فأنت تتجه من مطـارات العالم لتركب متجهاً إلى الوطن لتجد نسـاء كثيرات لا تميز منهن إلا من هن منقبـات أو المحجبات وهن أكثر ، ثـم أخريات لا تميزهن عن غيرهن من نساء العالم . هؤلاء جميعاً بينهن الوطنيات والأجنبيات . وما إن تركب في الطائرة وتقترب من محطة الوصـول حتى ترى العبـاءات تملأ الطائرة بشكل ملفت للنظـر ، وكأن العباءة والنقاب والبرقع زي وطني يستخدم في أماكن دون أخرى [٢]. هذا أيضاً ما يفعله الرجال الذين يلبسون الزي الأجنبي عند السفر ، ويخلعون ملابسهم الوطنية ويتركونها في منازلهم أو حقائبهم . ليس هذا ذنبهم ، إنه وزر المجتمع بأكمله ، لأنه لم يستطع أن يتعامل أو يتحول من مجتمع زراعي أو بدوي يرعى الأغنام والإبل إلى الحداثة بشكل تدريجي ، وبناء على قناعـات وتحـولات ثقافية ، ونقاش وحـوار وحراك وتفاعل اجتماعـي ومؤسسي ، فجاء

---

(١) ليـس عندي الآن مجـال للشك أن هذا الأستاذ العسيري السعودي لا يريـد إلا نشر الفتنة والضلال في مجتمعاتنا ، وللأسف إن معه من يؤيده في البلاد . ونقول لهؤلاء نعم إنه دخل ألوان وأنواع من ألبسة وزينة النساء ، وهذه الأسواق تعج بهذه الألبسة المستوردة ، وهناك أيضاً من النساء من تريد الخروج إلى كل مكان بدون الحجاب ومرتدية هذه الألبسة التي نراها في الأسواق، هذا هو الصحيح ، لكن لو سمح النظام وأيضاً الرجال لنداء علي بن موسى ومن ينادي بقوله وتركوا النساء بدون حجاب فهل مشاكلنا الصغيرة والكبيرة سوف تحل ، أعتقد أن الجواب (لا) . وننادي في كل الأجناس والأطياف في مجتمعنا أن يحرصوا على ستر وحجب نسائهم ، وأكبر دليل هو ما نشاهده من تفسخ وانفلات عند الرجال والنساء في عالمنا القريب والبعيد . (ابن جريس) .

(٢) نعم هذا ما شاهدناه ونحن نسافر شرقاً وغرباً منذ عام (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) إلى يومنا الحاضر ، ونقول إن المراقب لهذه الفترة الزمنية يلحظ أن كثيراً من النساء في السنوات الأخرى يحرصن على لبس أحجبتهن في الداخـل والخـارج ، بل إن ظاهرة النقاب أو الحجاب انتشـرت في العقدين الأخيرين في عالمنا العربي والإسلامي، وهذا يدل على الوعي الديني الذي عرفه النساء والرجال ، ونحن لا نكابر يا علي ونقول إن هذا الكلام غير صحيح ، ولكن الواجب علينا كمسلمين وأساتذة في الجامعات ، وعندنا غيرة في ديننا وعلـى أهلنـا أن نعمل كل ما ينفع ويفيد لبنـاء مجتمعاتنا ، ولا نقول للنساء والرجال تحرروا في اللباس الشرعي،وقدوتنا رسولنا (ﷺ) الذي نزل عليه القرآن،وشرح لنا بأقواله وأفعاله ما يدلنا إلى الخير ويقودنا إلى الجنـة (بـإذن الله تعـالى) ، والواجب علينـا أن نعمل في محيط هذا التشريـع الإسلامي . (ابن جريس) .

التطور مــن الخارج من خلال التقنيــة والصناعات الحديثة والإعــلام والعلم والمعرفة والمعلومــة بـكل أشكالها ، ليحدث أكـبر تغيير في سلـوك الإنســان وممارساته وخاصة النساء في جميع المجتمعات والدول[١] . لقد مورست ضغوط كبيرة على المرأة من جانبين : من جانب أدوات الحداثة ووسائلها ، ومحتوياتها ومروجيها الذين تمكنوا من الدخول للمرأة وعقلها وفكرها وسمعها وبصرها ومشاعرها واحتياجاتها تحت عباءتها ونقابها . واستطاعـوا أن يغيروها تغيـيراً جذرياً من خلال مقتنيات الحداثــة وأدواتها . وأيضاً مارس عليها أهلها الذين أدخلـوا عليها أدوات الحداثة من كل بــاب ونافذة ضغوطهم وتوجيهاتهم وأفكارهم مثلما أقنعوها بالنقاب والعباءة من خلال المواعظ التي يسمعونها ويتعرضون لها في أماكن مختلفة[٢] . المرأة في صراع بين واقع المرأة عبر التاريخ وأدوارها ومواقفهــا ومواقعهــا ، وما تريد أن تعيشه وتقتنيه ، وما تفكر به وتعمله في حياتها ، وبين ما يراد لها أن تفكر وتلبس وتقتني وتعمل. هي لا تزال المرأة المطيعة المتمسكة أولاً بدينها وعقيدتهــا ، وصلاتهــا وصيامهــا ، وعبادتها وبشرفهــا ، وأسرتها وأقاربهــا ، وبكرامتها وبمجتمعهــا ، وبولائها وانتمائها لوطنها. ولكــن لها احتياجاتها وطموحها وحقوقها التي تسمــع عنهــا في البرامج والمحاضرات ، والنــدوات والمؤتمرات ، والأخبــار وفي الأفلام ، وفي الكتــب والمجــلات والصحــف وفي التقارير الدوليــة ، وفي المسرحيــات وفي القنوات الفضائية التي تنشر حياة الآخرين وقيمهم وثوابتهم وتقاليدهم وأعرافهم ومصالحهم وبضائعهم في كل دول العالم المختلفة . لهذا فإن المرأة محاطة بضغوط أكبر من حجمها ومــن إمكاناتهــا ، حتــى وإن لم تتلفظ بها ، ولكنهــا تضمرها ، وتــدل عليها ممارساتها ومشترياتهــا ومقتنياتهــا وتوجهاتها . المــرأة تتطور تحت عباءتهــا بأشكال مختلفة. ولا يعــرف أحد كيــف تتطور المرأة ، ومــاذا تلبســ إلا النساء؟ ولا يعرف فيمــا تفكر وماذا تريــد ، إلا النساء ؟[٣] . المــرأة اليوم متعلمة وتقرأ القــرآن والتفسير والحديث ، وتسمع

---

(١) اللباس والزينة ، والطعام والشراب ، والأعراف والعادات والثقافات جرى عليها تغيرات بسبب تقارب العــالم ، واتساع عــالم الاتصالات . كل هذه الأمور وقعت، والتحول مستمــر ، لكن ما هو الواجب علينا ، إنــه التمسك بالشرع الحنيف الصحيح ، والعمل بجد واجتهاد على أن نتعلم كل ما يرفع من شأن بلادنا ومجتمعاتنــا في ضــوء شرع الله ، لأن ذلــك هو النجاة والسير في الطريق الصحيــح في الدنيا والآخرة . (ابن جريس) .

(٢) يفهــم منــك يا علي، إما نعيد النساء إلى حياة الرعي والزراعــة ونمنعهن من التعليم واقتناء أدوات الحداثة، أو نتركهن يعشن كما يرغبن دون الالتزام بما شرعه الله لنا ولهن ، إنه والله نداء غريب وعجيب. (ابن جريس) .

(٣) يا علي من أقوالك يبدو أنك تعرف عن النساء أكثر من أنفسهن ، وترى أن لا خلاص من هذه المشاكل إلا أن تخرج المرأة من تحت عباءاتها . أنت فعلاً تذكر معلومات هي صحيحة ونشاهدها في أنحاء البلاد ، لكن حلك الوحيد شاذ وغريب ، وكأنك تقول " ياناس ياعرب ، يا مسلمين إن حل جميع مشاكلكم توجد في هذا الحجاب أو النقاب الذي ترتديه نساؤكم ، وإذا أردتم النصر والعزة والكرامة لأمة الإسلام فعليكم

الأشرطة وتطلع على الكتب الدينية وتبحث في الإنترنت أكثر من الرجال . لهذا قد يتفاجأ البعض بمعرفتهن لحقوقهن الشرعية المستباحة من الرجال . ولو طالبت النساء بما جاء في القرآن والسنة من حقوق لهن لتفوقن على جميع مؤسسات ومنظمات حقوق المرأة والإنسان في العالم ، لأنها حقوق وضعها من خلقها [١] . ولا بد أن التعليم قد أفرز أنواعاً مختلفة من النساء ، فهناك من النساء من يتمسك بالنقاب بشدة ، لأنه طريقة حياة تربين عليها ، وأصبح يمثل مقدساً لا يمكن المساس به . وهذا من باب الحرص على منع الفتنة والابتعاد عن أي مؤثر ، وتمسك بالتفسير للنص القرآني في الكثير من الآيات التي تتعلق بهذا الجانب . وأيضاً من باب أخذ الحيطة ، وإقفال مصادر الفتنة والشبهات في حال عدم وجود النقاب ، وهؤلاء النسوة لهن إبداعهن ومشاركتهن وأدوارهن المهمة في الحياة اليومية. كما أن هناك نساء لديهن الحجة والقدرة على النقاش والحوار ، والبحث في جميع المجالات التي لها علاقة بالإنسان وبالكون ، ولهن أطروحاتهن ورؤاهن مثل غيرهن من صاحبات الرأي والفكر والعلم في العالم . ويحملن أعلى الدرجات والرتب العلمية ، ويشاركن في الندوات والمؤتمرات وفي البحث العلمي بل وفي الابتكار . منهن من تكتب الشعر والرواية والقصة ، وتشارك في وسائل الإعلام المختلفة وتسهم في الفنون التشكيلية من خلال الرسم وغيره من الفنون . وكثير من هؤلاء النساء من يتمتعن باستقلالية إلى حد كبير في قراراتهن ، وطريقة عيشهن وفق تعاليم الدين وبقدر ما يسمح به المجتمع ، وبتشجيع من أسرهن مع رغبتهن في عدم لبس النقاب [٢] . وقسم آخر من النساء يعشن الخوف من التعبير عن وجهات نظرهن

التخلص من هذا الجلباب الأسود المجرم الذي أوصلكم إلى هذا الانحطاط والهلاك والدمار". لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا إله إلا الله ، نسألك يا ربنا الرحمة واللطف ، إذا كانت هذه أقوال ونظريات أساتذة جامعاتنا ومن يعلمون بناتنا وأبنائنا وصلت إلى هذه الدرجة ، فالله المستعان ، كيف تكون أجيالنا وحفدتنا في السنوات القادمة القريبة . اللهم إنا نسألك العفو والعافية . (ابن جريس) .

(١) يا علي أنت توجه نصائحك للرجال والنساء ، ولكن هل تأملت فيمن خلقك وخلقهم ، وماذا شرع لك ولهم ، أعتقد لو أنك فكرت في ذلك بطريقة منصفة ومحايدة ، فإنك سوف تصل إلى قناعة أن عندنا مشاكل كثيرة ، لكن ليس حلها نصح المرأة المسلمة بترك حجابها أو نقابها ، أرجو أن تجلس مع نفسك ، وتراجع أقوالك وتراقب ربك في كل ما تنادي به وتنصح . (ابن جريس) .

(٢) وهذا الذي تريده يا علي . وتمسك المرأة بالحجاب ليس مقصوراً على الشريحة الأولى التي ذكرتها في نصوصك السابقة ، وإنما هناك نساء كثيرات يحضرن مؤتمرات وندوات ويشاركن في أعمال عديدة ، وعندهن درجات عالية ، وجميعهن يحافظن على سترتهن ونقابهن ، وأنا متأكد أنك شاهدت وسمعت واشتركت مع هذا الصنف من النساء في كثير من المحافل العلمية المحلية والإقليمية والعالمية. وأقول: ، هل كان الحجاب عائقاً لهؤلاء النسوة ؟ وأعتقد أن إجابتك ستكون (لا) لم يكن عائقاً ، وبالتالي فالمشكلة ليست في النساء ، ولكنها عند من قلوبهم مريضة فهم يرغبون من أخواتهم المؤمنات المسلمات أن يتخلصن من حجابهن ، ثم يشاركونك وأمثالك . يا سبحان الله لهذا القول وهذا التفكير من إنسان مسلم يعرف الكثير من نصوص الشريعة في العلاقة بين الرجال والنساء . نعم إن هناك نساء يجادلن ويتبرجن ويشاركن ،

نتيجة التنشئة التي فرضت عليهن عدم المشاركة وإبداء الرأي من قبل الأهل الذين يرون العيب في ذلك نتيجة ثقافة الأسرة . وعلى العكس هناك سيدات أعمال كثيرات يرثن الملايين ، ويعملن في مراكز إنتاجية وتجارية مختلفة ، وأيضاً لديهن طموحاتهن التجارية ، ويقمن بدور إيجابي كبير في التجارة على الصعيدين الوطني والدولي .

المجتمع النسائي متنوع ومتعدد نتيجة التعليم والتربية والتنشئة الأسرية والاجتماعية التي تقوم بدور مهم في هذا الجانب . كما أن الإعلام يعد من أهم مصادر التأثير على المرأة وكيفية حياتها وتعاملها . ومع هذا تبقى المرأة موافقة الرجل للظهور على حقيقتها التي سوف يصدم بها الكثيرون من الرجال والنساء ، الذين لا يعرفون معنى الحراك الاجتماعي والتطور التدريجي للسلوك البشري ، والتلاقح الحضاري ، والتأثير الثقافي والفكري ، قيم تفنى وقيم جديدة تدخل الحياة القروية في الجنوب مثل غيرها من القرى والهجر في الوسطى والشرقية ، والغربية والشمالية وفي كل قرى العالم) [(١)] .

قلت : أعترف بأن المؤلف تَفَوّق على نفسه ، ولم يطلق لها العنان ، فهو يحترز بالتَّبْعيض والتصنيف ، فيقول (بعض) أو (قسْم آخر) . ويغلب على كلامه تحت عنوانه (النسَاء والحداثة) التلاعب بالألفاظ عن حال المرأة تحت العباءة ، وتأثير الحداثة عليها . ولكنه يُصرُّ على تسمية سُفُور الوجه بالحجاب .ثم يقول في آخر كلامه : (قيَم تفنى وقيم جَديدة تدخل الحياة الفردية في الجنوب) فإنْ أراد بالقيَم العادات والتقاليد والسُّلوك ، مما تواضع عليه البَشر ، فلا خلاف حول ذلك . وإنْ أراد بالقيَم شرائع الدِّين الإسلامي ، فإنّ ذلك لا يستقيم له ، لأنّه لا فناء للدِّين وشرائعه ، وإنما هو الانحراف عن شرع الله تعالى ، وهو القائل جلّ في عُلاه : (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**) [(٢)].

لكن هل هن قدوة للمرأة المسلمة المؤمنة ؟ أترك لك الإجابة على هذا السؤال وغيره من الأسئلة المشابهة . (ابن جريس) .

(١) ص ٣١٤ . (ابن معبِّر) . لا أحد ينكر أن التغيير موجود وسوف يستمر لكن ليس الحل محصوراً في الحجاب ، كما تقول وتدعي يا ابن موسى ، والمفروض أن تدرس الأسباب الحقيقية للتغير الجاري ، وكيف نواجهه ونتصدى لمشاكله . (ابن جريس) .

(٢) سورة المائدة ، آية ٣.(ابن معبِّر) . لو فرق ابن موسى بين شرائع الدين، والعادات والتقاليد والأعراف ، وعرف ما هو الأهم ؟ وما الذي يجب على المؤمن المسلم اتباعه ؟ لما دخلنا في هذا الجدل القائم على الأهواء والقناعات التي تشربها الباحث من الدراسة واللقاءات والسير في مناكب الأرض. والجميل في حياة المسلم الصادق أن عنده شريعة ربانية ، فعليه التمسك بها ، ومن يفعل ذلك فلن يظل أبداً ، وهذا ما ذكره الله- عز وجل- في القرآن ، وما حث عليه الرسول الكريم (ﷺ) في سنته النبوية . وأعتقد أن علي بن موسى يعرف ذلك تماما ، لكنه يصر وينادي إلى الحوار والنقاش والتفكير، ولا مانع لديه أن تكون هذه النداءات خارج دائرة الشريعة الإسلامية . (ابن جريس) .

٥٣- حوار ونقاش: قال المؤلف: " يا سيدتي ، لا تحزني فلست وحدك من أثرت عليه الحداثة واستهدفه (التلفزيون) ، فلقد أصبح ألد أعدائه في الماضي من نجومه الكبار ، وممن يقتنيه بأكبر الشاشات وآخر التجهيزات ، فلهم برامجهم وقنواتهم، ويتسابقون كي يراهم الجميع ، حتى المواقع الإلكترونية . وأصبحت صورهم في كل مكان، بل إن صورهم حية يتحركون فيها ، ويتحدثون ويبتسمون ويغضبون ويعبسون ويوجهون من خلالها كل الرسائل التي يريدون إبلاغها للمشاهدين . هذه الصور ليست صوراً (فوتوغرافية) جامدة أو رسوماً ، إذاً ماذا يحدث ؟ هل أصبحت الصورة حلالاً ؟ هل هو انقلاب في القيم وفي التفكير ؟ أم أن الفهم يأتي متأخراً، ويكون قد فاتنا الكثير من المصالح لنضطر للتعامل مع منتجات الحداثة بعد أن يكون قد فاتنا الكثير ؟ أم أن أدوات الحداثة وقوة التغيير أكبر من الطاقة على الاستيعاب أو التصدي لمحتوى الآلة والتقنية والصناعة التي حطمت النواميس ، وألغت المسافات ، وكشفت الأقنعة، وعرّت الناس كلٍ الناس في العالم ، ليظهروا على حقيقتهم ؟ وماذا بعد هذا التغيير الذي يمر مسرعاً من دون أن يشعر به الناس ؟ نعم هم يشعرون به ، ولكنهم سكارى بهذا التغيير الذي يتعاطونه ويتلذذون به، يعرفون حلاله ويعرفون حرامه . ولكن استفتِ قلبك لتعرف أين أنت من هذا كله [١]. في البداية ظهرت المعارضة للتلفزيون ، ثم جاءت الصحون أو الأطباق الهوائية وثار البعض ضدها ، ثم كشفت القنوات الفضائية عن عوراتها ، ثم دخل الإنترنت ثم دخل معها الجميع في كل جحر ولن يخرجوا منه . العجب أن الإمبراطوريات الإعلامية العربية هي التي تهيمن على سماء العرب ، وهي التي تروّج لكل شيء بهدف الربح والمال والسلطة وغيرها . الهواء أيضاً هو جزء من العرض والعار ، مثله مثل الأرض التي تخلّى عنها المزارع لتتحول إلى مخططات للبيع والشراء ، وملاعب للكرة ، وميادين للعاطلين الذين يعبثون بسياراتهم وممتلكاتهم فيها . الهواء ملك عام ، ويجب تقنينه وحمايته حتى لا تخترقه كل قنوات ((التلفزة)) وكل موجات (الرادو) في العالم الموجهة على رؤوس أهل القرى ، كل القرى في الغربية والشرقية

---

(١) أقول لك يا سعادة المنظر والفيلسوف أن كثيراً مما قلته صحيح ، فعجلة التطور والحداثة سائرة في طريقها على الرجال والنساء الصغار والكبار ، لكنك توجه النداء هنا للمرأة وتهمس في أذنها قائلاً : إن الحل الوحيد لك أن تطلقي الحجاب والنقاب ، ومن ثم فكل مشاكلك ومشاكل مجتمعك سوف تكون (صافي يالبن) . وأنا أقول لك ومن ينادي بهذه الآراء ، أنهم لا يريدون إلا نشر الفوضى الاجتماعية ، وكأن لسان حالهم يقول أن ستر المرأة لجسدها أصبح من الماضي ، وعليها خلع حجابها حتى يطلق عليها متقدمة أو متطورة ، وهذه والله انتكاسة في المفاهيم عندما تصدر هذه الآراء من أناس عاشوا وتربوا في منازل مسلمة ، وصاموا وصلوا ومارسوا جميع الشرائع الدينية . ونقول مثلاً أن النساء خرجن عاريات كاسيات ، ونبذن حجابهن ، يا ترى ما هو النجاح الذي سوف يتحقق ؟ وهل النساء لا يستطعن القيام بأعمالهن إلا بنزع الحجاب؟ ومجالسة الغرباء من الرجال والتعامل معهم ؟ . (ابن جريس) .

والوسطى والشمالية والجنوبية . نعم رؤوسهم هي المستهدفة بل عقولهم وأفكارهم وأبصارهم وأسماعهم وأفئدتهم ومشاعرهم وأحاسيسهم . إنها أذواقهم وقيمهم وأعرافهم التي يراد لها أن تتغير ، وتستمر في التغيير من مغير إلى مغير آخر . كيف يمكن أن تصمد المرأة في الجنوب ، بل في كل القرى في الوسطى والشرقية والغربية والشمالية وهي تتعرض لهذا الكم الهائل من الحقن بالصور والمعلومات والقيم والأخلاقيات والمفاهيم والأفكار والمصطلحات التي تهد الجبال ؟ صعب عليها الصمود حتى لو لبست آلاف العباءات والنقاب فالطوفان أكبر من قطعة من القماش تغطي الخارج ولا تستر الداخل. إن الحجاب الحقيقي للمرأة في الجنوب في كل القرى في الوسطى والغربية والشرقية والشمالية هو بعفة الرجال ، الجد والأب والابن والعم والخال وأبناؤهم وأبناء أبنائهم أولاً ، وجميع الرجال من الأجانب والأجناب . ولهذا يقول الرسول - ﷺ - ((عفّوا تعفّ نساؤكم)) . فإذا ربى كل واحد أبناءه وطلابه وموظفيه ومجتمعه على العفة والأخلاق، ووضعت القوانين التي تحمي المرأة والرجل من نفسه ومن المرأة ، حتى تضبط السلوك، فالمرأة بطبعها عفيفة وشريفة ، ولهذا يجب أن يزول الشك ، وأن يتم تقييم برامج (التلفزيونات) كل (التلفزيونات) وأن تقنن بشكل يحمي الأسرة ، وخاصة الأطفال والمرأة والرجل . ثانياً ، أكبر حماية للمرأة تكون بحثها على التعليم النوعي الذي يعتمد على بناء القيم والأخلاق ، والشعور بالمسؤولية في إطار الثوابت والمرجعيات الأساسية ، ومنحها كل أسباب القوة ، وفتح المجال لها في كل التخصصات ، وهي ترتدي رداء العزة والأنفة ، والشهامة والغيرة، الذي كان يعيش به الأجداد في قراهم ، وهم يرفعون رؤوسهم ، ويعملون مع بعضهم بعدما حصنوا أنفسهم بمنظومة من القيم والأخلاقيات، والمبادئ والنواميس ، والعادات والتقاليد، والأعراف الرفيعة ، وكان (الشك زايل) ، فعاشوا بها مئات السنين محصّنين متحابين متآلفين ، تندر فيهم النظرة السيئة إلى بعضهم رجالاً كانوا أم نساء) [١] .

قلت : ثلاثون سطراً كتبها المؤلف كحقنة مخدرة ، أو تقليداً لخُطُوات الشيطان في قوله

---

(١) ص ٣١٧. (ابن معبِّر) . أشار ابن موسى إلى حقائق ، مثل: إعلامنا العربي ومن يهيمن عليه ويسعى إلى إفساد المجتمع العربي المسلم ، وذلك بكل ما يبث ويقال في وسائل الأعلام المختلفة . وهذه كارثة أخرى يعيشها عالمنا ، وأبناء جلدتنا هم الذين جمعوا أموال بلادنا ثم صرفوها في هدم قيمنا وأخلاقنا . وقال أيضاً يجب تعليم المرأة وتربيتها على القيم الحميدة، وفتح الباب لها للعمل في كل عمل وعلم نافع يعود عليها وعلى المجتمع بالفائدة. كل هذه الأقوال جيدة ويجب على كل إنسان منصف أن يصطف إلى جانبها ويؤيدها، والذي فهمته من الأستاذ ابن موسى ، أن كل العقبات في النقاب والحجاب ، وإذا تخلصت المرأة منه فسوف تحصل على كل ما تريد. وهذه نظرية خاطئة وقول لا يريد به صاحبه وجه الله ، ونقول ما المانع أن المرأة تحافظ على ستر عورتها من الرجال ؟ ثم تشترك في كل عمل يوافق تركيبتها الجسدية والعقلية. أما القول بحذف الحجاب والنقاب من حياة المرأة ، فمخالف للشريعة الإسلامية ، والمسلم خلق لعبادة الله عز وجل ، والاجتهاد من أجل الحصول على مرضاة الله . (ابن جريس) .

تعـالـى : [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**] [١] . ثم أتبع المؤلف تلك الأسطر بتساؤل ظاهره البراءة ، فقال: (كيف يمكن أنّ تصمد المرأة في الجنوب ...) وأجاب على نفسه بقوله : (صَعْبٌ عليها الصمود حتى لو لبست آلاف العباءات والنقاب فالطوفان أكبر من قطعة قماش) [٢] . [**أَتَقُولُونَ عَلَى اللّه مَا لا تَعْلَمُونَ**] [٣]، إنّ (قطعة القماش) التي يزدريها المؤلف لم تكن من أفكار أصحاب (الثقافة الدينية) الذين لا يستلطفهم المؤلف ، فهم في نظره الذين أدخلوا قطعة القماش إلى الجنوب . جاءت قطعة القماش في قوله تعالى : [**أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللّه غَفُورًا رَحِيمًا**][٤] . وإذا كان المؤلف ينفي صمود (قطعة القماش) فإنه يتجرأ في نَفْي قُدرة اللّه تعالى في حفظ عباده الذين يتبعون أوامره ويجتنبون نواهيه ، ويرجون رحمته ، حيث قال تعالى : [**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**] [٥]. أفلا يثق المؤلف في رحمة ربّه تعالى ؟ .ثم يقول المؤلف: (إنّ الحجاب الحقيقي ...) كأنّ المؤلف من قوله هذا حتى نهاية كلامه ، يريد أن يصنع ديناً جديداً ، أو على الأقلّ إعادة كتابة الشرائع وتهذيبها في قالب قوانين تحمي المرأة والرَّجُل ، وأنّ تكون العادات والتقاليد والأعراف الرَّفيعة هي الحاكمة على المجتمع . وكأنَّ اللّه تعالى لم يقل : [**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**][٦] . وكأنّ سُنّة رسوله ﷺ مِمَّا يؤخذ منها وما يُتْرك ، وقد

---

(١) سورة النور ، آية (٢١) . (ابن معبِّر) .
(٢) نداء الأستاذ ابن موسى لا لبس فيه ، وهو يقول : يا نساء هذا هو حل تعبكن وشقائكن ، انزعن أقنعتكن عن وجوهكن وأجسادكن ، وبالتالي سوف تجدن العزة والسعادة والتفوق . (ابن جريس).
(٣) سورة الأعراف ، آية ٢٨ . (ابن معبِّر) .
(٤) سورة الأحزاب ، آية ٥٩ . (ابن معبِّر) .
(٥) سورة الأعراف ، آية ١٥٦ . (ابن معبِّر) .
(٦) سورة المائدة ، آية ٣. (ابن معبِّر) . لا نستغرب هذا القول من ابن موسى لأننا سمعنا مثل هذه المقولات عند كثير ممن يسمون أنفسهم (مفكرين) ، أو (باحثين) ، أو (منظرين) في عالمنا العربي والإسلامي . كما سمعناها وقرأناها في كتب بعض الباحثين والدارسين في مراكز البحوث والجامعات العربية والشرقية ممن يحاربون الإسلام والمسلمين . وهذا ابن موسى يفعل فعلهم ويسير على خطاهم ، ويقول: عليكم التفكير ياناس (رجال ونساء) ، عليكم التجديد والسير على نمط المتغيرات الحديثة ، بل لسان حاله ومن هو على شاكلته يقول إن شرائع الإسلام ليست ثابتة ، وإنما يجب التفكير فيها ، والانسلاخ والبعد عن كل ما يقف أمام التحولات الجديدة ، وهذا هو الحجاب الذي تلبسه النساء . أصبح من الماضي ، فعليكن يا سيدات تركه وعشن حياتكم ، وقلدوا غيركم من النساء المتطورات في مشارق الأرض ومغاربها . (ابن جريس).

قال الله تعالى في رسوله ﷺ: [**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى**] (١) .أمّا حديث: (عِفُّوا تعفُّ نساؤكم) فقال عنه الهيثمي : فيه يزيد بنَ خالد العمي، وهو كذّاب(٢) .

٥٤ـ المحافظون والليبراليون : قال المؤلف : " لقد انقسم أهل المسجد الواحد من الأقارب والأرحام وأبناء العمومة والأخوال في كل القرى في الوسطى والشمالية والجنوبية والشرقية والغربية الذين درسوا في مدرسة واحدة وكتاب واحد ، ولم يفرق بينهم سوى التعليم العالي ليتخصص كل واحد في تخصص يعده لمهنة جديدة ضمن متطلبات الدولة والمجتمع ، انقسموا بين ((ليبرالي)) و ((علماني)) وأصولي ومتطرف ، وهم لا يدركون عواقب ما يقولون وما يسمعون بالرغم من أنهم جميعاً محافظون ، أي متمسكون بالدين في حياتهم اليومية من صلاة وغيرها . وهم يستهلكون الكلام كما يستهلكون الأكل والشراب والملبس من دون أن يعرفوا مكوناته العلمية ومصادره وسبب صناعته ، وحتى تاريخ صلاحيته . أي أناس هؤلاء الذين يفرقون أبناءهم وبناتهم ، ويشككون في أخلاقهم وقيمهم وثوابتهم ، وتقاليدهم وأعرافهم ومرجعياتهم . حتى أهل البيت الواحد انقسموا وهم يعلمون أو لا يعلمون ، أن الشخص الواحد منهم سواء جعلوه متحرراً أو علمانياً أو أصولياً متطرفاً منقسم على عقله ، وفي ذاته بين قسمين: قسم يراعي به الناس وينشد به رضاهم ، ليحصل على حقوقه ويحقق مكتسباته ، وقسم يتنازع فيه مع نفسه ووعيه واحتياجاته وطبيعته وفطرته . جميع أهل القرى في الوسطى والشرقية والجنوبية والغربية والشمالية لم تنقسم عقولهم إلا بعدما دخلت عليهم الحداثة من كل ثقب ، ودخلوا معها في كل جحر(٣) الصراع والانقسام والانحياز

---

(١) سورة النجم ، آية ٣ـ ٤. (ابن معبِّر) .

(٢) مختصر المقاصد الحسنة ، ص ١٤١ . تنزيه الشريعة المرفوعة ، ج٢ ، ص ٢٢٧ (ابن معبِّر) .

(٣) هذه الانقسامات موجودة ، بل وجدت الانقسامات بين المسلمين منذ عهد الرسول (ﷺ) ، وعصور الخلافة الراشدة والقرون الأولى من عصر الإسلام ، وأخرج أسفاراً عديدة في الاختلاف بين الفقهاء أنفسهم ، كما ظهر عشرات الملل والفرق التي واكبت المسلمين عبر أطوار التاريخ الإسلامي. وهناك مئات المصادر والمراجع والرسائل والمقالات التي فصلت الحديث عن الاختلافات بين الأمم والأقوام والعشائر وحتى الأفراد في المدينة أو الدولة أو الأسرة الواحدة ، ولم يأت ابن موسى بجديد في هذه الأقوال ، ونشاهد اليوم على المستوى الفكري والعقائدي والسياسي الاختلافات في كل مكان . والذي يعلم هو الله ـ عز وجل ـ بكل من هو على حق أو باطل . وكون من سماهم الأستاذ علي (المحافظون والليبراليون) فهذه مصطلحات حديثة ، مع أن الاختلاف نفسه قديماً . ونقول إن الذي يحكم أفعاله وأقواله بقوانين وشرائع شرعها خالق الخلق ، فذلك هو الناجي ، وأعتقد أن من يسلك هذا المنهج فهو الموفق عند الله وليس عند من اختلفت معهم ، أو عند القبيلة أو الدولة أو الأمة التي ينتمي إليها. إننا هنا نحتكم إلى ما ورد في القرآن والسنة ، وليس إلى آراء وأقوال فلان أو علان ، وهذا هو بيت القصيد . (ابن معبِّر) .

لموقـف أو لقضيــة دون أخرى ليس على العقيدة ولا علــى الثوابت ولا على الأخلاق ، إنما علــى المصالــح والعادات ، وأكثر مــن هذا الصراع على الخوف . نعــم إنهم يتصارعون علــى الخوف مما رأوا من تأثـير للحداثة التي ليست من صنعهــم ، بل إنهم جميعاً من إفرازاتهــا ، وهم لا يعلمون . وأيضاً يتصارعون علــى خوفهم من القادم ، ومن المجهول الذي لن يدري أحد ماذا سوف يجلب ؟ وإلى أين سيصل ؟ كل هذا لأنهم مستهلكون ولم يسجـل لهم التاريخ في عصر الحداثة أي صناعــة أو مشاركة تستفيد منها مجتمعاتهم أو العــالم ، ولهذا فهم يستوردون كل شــيء ، حتى الصراع والاختلاف ، مثلما استوردوا الصــراع بين ليبرالي ومحافظ ، ولكن ليس بالخــوف تعالج القضايا وتواجه المشكلات، بـل إن مواجهتهــا تتم بالعــودة إلى المسجد الــذي كان يلتقي فيه أهل القــرى . يجب أن يعــود الجميــع إلى قيم أجدادهم الذين كانوا أقــرب إلى الإسلام منهم، وفي الحديث (خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) ، اجلسوا في ((صوحه)) أو ساحته، عــودوا إلى المسجــد وتناقشوا وتحاوروا واعرضــوا كل هواجسكم وتحفظاتكم ، وعلمكم ومعرفتكــم ومخاوفكــم ، في خشوع ووعي وصدق بعيداً عن الهــوى وسوء الظن . وفكروا بصوت عال جداً ، حتى لا يبقى في صدر أحدكم ريبة ولا شك)[(١)] .

قلــت : حــين يقول المؤلف : (لقــد انقسم أهل المسجد الواحــد ...) فهو يُعَمِّمُ ذلك علــى جميع المجتمع السعــودي ؛ وهذا الانقســام الذي يقول به المؤلــف لا يصح إطلاقه علــى جميــع أفراد المجتمع ، إذْ يختص بالبعض القليل منهم ، فَرُوَّاد المساجد أقرب إلى بعضهــم البعض .ثم يقول المؤلــف: (أي أناس هؤلاء ... حتى ... ويشككون في أخلاقهم وقيمهم وثوابتهم وتقاليدهم وأعرافهم ومرجعياتهم) .

ثــم ينســف قوله بعــد بضعــة أسطــر بقولــه : (الصــراع والانقســام ... حتى ... إنمــا علــى المصالح والعــادات) فكيــف يتــم التشكيك في الثوابــت ، ثم يقــول إن هذا الصــراع ليســ علــى العقيــدة والثوابــت؟[(٢)] . وتَكْمُــن الإشكاليــة في مُــرَاد المؤلف من

(١) ص ٣٢٠. (ابن معبِّر) . إنني أجد نفسي مضطرباً مع هذا الأستاذ الذي يقول يا نساء يا سيدات اتركن حجابكن ونقابكن ، ثم يقول إن حلكن في المسجد وساحته . إن هذا الرجل متناقض في أقواله ، فمرات يقول كلاماً صحيحاً ذكرته شرائع الإسلام ، ثم لا يستمر كثيراً في هذا الطريق حتى ينحرف ويقول إن الطريق الأفضل هو خروج المرأة بدون حجاب ومشاركة الرجال في كل الأعمال. (ابن جريس) .

(٢) هناك خلط واضطراب في سرد أقوال ابن موسى، ولا ندري هل هو اجتهاد ونظرية يريد أن يخرج بها، لكنه عندما يتمادى في أقواله يعاتبه ضميره فيضطر أن يذكر هذه الأقوال المخدرة حتى لا يستثير الرأي العام، إنني أتوقف وأحتار عند كثير من أطروحات هذا الرجل . والمشكلة كما ذكرت سابقاً أنه رجل جيد في أخلاقه وكثير من أطروحاته وذلك بحكم مجالسته ومعرفتي له سنوات طويلة . (ابن جريس) .

(الثوابت) هل المراد بها أحكام وشرائع الدين الإسلامي ؟ أم ثوابت العادات والتقاليد ؟ .لا مرَاء ولا جدال في أنّ كل ما أمرنا اللّه تعالى به ، وكلّ ما نهانا عنه من الثوابت ، وليس آكدَ في ذلك من قوله تعالى: [**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**][١] ويقول الرسول ﷺ : (مَنْ رَغبَ عن سُنَّتي فليس منِّي)[٢]. أما ثوابت العادات والتقاليد ، فما وافق ثوابت الشريعة الإسلامية فهو حسن ، وما خالف الشريعة فهو باطل. وليس ما يراه المؤلف ، ويحاول الإيهام بوجوده في جميع أفراد المجتمع السعودي ، من صراع ، وانقسام ، وانحياز ، إلاّ من قَبيل (الترّف الفكري) والتَّعالم على حساب الثوابت الشَّرعية .ثم يقول المؤلف : (يجب أن يعود الجميع إلى قيم أجدادهم الذين كانوا أقرب إلى الإسلام منهم ...) وهو يعني بقيم الأجداد : العادات والتقاليد والأعراف التي سبق له الإشادة بها كثيراً ، بمعنى أنَّه يجعل من هذه القيم الأساس الذي سيدور حوله الحوار والنقاش في المسجد[٣]، وأراد بذكره للمسجد إضفاء بعض الإثارة العاطفية ، ورَسْم صورة إيمانية يتوسطها المسجد ، ثم يدعوهم إلى الجدل والنقاش في أمور قد فَصَل فيها القرآن والسُّنَّة ، ويُريد من هؤلاء النّاس الذين لم يُحدّد صفتهم ، هل هم من العلماء ، أم من العامّة ، فأما العلماء الفقهاء فيعلمون أنه لا مُسوِّغ لهذا الاجتماع والجدل ، وأما العامّة ، فقد قال اللّه تعالى فيمن يحب المجادلة منهم : ويؤجّج المؤلف مصطلح (الخوف) من الحداثة ووسائلها ، ومما هو قادمٍ ومجهول ، وكأنّه يتجاهل ما وعد اللّه تعالى به عباده ، فقال: [**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللّه ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**][٤]. فهل يخاف المؤمن مما هو آت وهو يقرأ هذه الآية ويستيقنها . إنَّ المؤمن يعلم من حديث رسول اللّه ﷺ حين قال : (بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود كما بدأ ، فطوبى للغرباء)[٥]. أنه سيكون هناك أهوالاً من الانحرافات والصِّراعات، ولكنه لا يخاف إلاّ من عذاب اللّه ، لأنّه يقرأ قوله تعالى : [**وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ**][٦]، ومَنْ يخاف من عذاب اللّه تعالى ، فإنه يسعى إلى

---

(١) سورة الحشر ، آية ٧ . (ابن معبِّر) .

(٢) صحيح البخاري ، الحديث رقم (٥٠٦٣) ، صحيح مسلم ، الحديث رقم (١٤٠١) . (ابن معبِّر) .

(٣) أقول لك يا ابن معبِّر وأقول لابن موسى أيضاً (ما أسس على باطل فهو باطل) ، إن جعل العادات والأعراف هي القاعدة في حياتنا ليست عملاً سليماً ، وهذه مصادرنا القرآن والسنة ، فهي أساس قوتنا والطريق التي يجب علينا كمسلمين السير فيها . (ابن جريس) .

(٤) سورة الحج ، آية ٣ . (ابن معبِّر) .

(٥) صحيح مسلم ، الحديث رقم (١٤٥) . (ابن معبِّر) .

(٦) سورة الإسراء ، آية ٥٧ . (ابن معبِّر) .

مـا أمره الله تعالى به ، ولا يسعى إلى المسجد لعقد الحوارات في قيم الأجداد وعاداتهم ، لأنه يقرأ أيضاً قوله تعالى: [**يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**][1].إنه (الخوف) المرتبط بغاية عظمى ، هي الدخول إلى الجنَّة ، وليس (الخوف) مما تفرزه الحداثة وأدواتها ورجالها ، وشَتّان ما بين الخَوْفين[2].

٥٥. حديث حول الحداثة : قال المؤلف : "لم يتمكن أهل القرى كل القرى من فهم الحداثة التي وصلت إليهم بوسائلها المختلفة ، التقنية والتنظيمية والمؤسسية والتعليمية والفكريـة والإعلاميـة والصناعيـة والعلميـة والطبية والتجاريـة والغذائيـة والثقافية وغيرهـا . وبالرغم من أن جميع مؤسسات المجتمع بـدون استثناء هي مؤسسات حديثة حتى وإن كان محتوى تلك المؤسسات مرتبطاً بالتخصص الذي ينتمي إلى ثقافة المجتمع، غـير أن أسبـاب نشأة تلـك المؤسسات وتنظيمهـا مرتبط بدخول الحداثـة ومؤسساتها المختلفة ، ولهذا نتجت إفرازات كثيرة للحداثة أدت إلى تغير في القيم والسلوك والحياة بكل مساراتها [3]. وانتقلت مع أدوات الحداثة عادات وتقاليد وأعراف وسلوك وممارسات جديـدة مرتبطة بكل وسائل الحداثة المختلفة. ونتـج عن الحداثة ردود فعل عكسية هي من نتائج الحداثة ، حتى وإن كانت مضادة أو معارضة للحداثة وأدواتها ومخرجاتها إلا أنهـا من حيـث لا تعلم تلـك المؤسسـات أو الأفراد تعد مـن إفـرازات الحداثة ونظمها وأفكارهـا وفلسفاتها حتـى لو لبست لباساً ثقافيـاً محلياً[4]. وبالرغم مـن أن الحداثة مرتبطة بالتطور ودخول الصناعة والتقنية والتنظيم الاجتماعي والثقافي الحديث الذي جـاء مع الدولة الحديثة ، غير أن انتقال تلـك الحداثة من موطنها الأصلي لا يعني أنها تتـلاءم مع المجتمعات التي استـوردت الحداثة بكل معطياتها ، ولهـذا ولد الصراع بين القيم والعادات ، والسلوك والمفاهيم التي ترتبط بالحداثة مع ما يقابلها لدى المجتمعات التـي انتقلت إليها . وبالرغم من أن الحداثة عبارة عـن نظم ومؤسسات وأفكار وثقافة

---

(١) سورة النحل ، آية ٥٠ . (ابن معبِّر) . وأرجو من الأخ ابن موسى أن يخاف الله ويخاف عذابه ، ولا يدافع عن الحداثة وما أفرزت لنا من عقول وأفكار ونظريات وحوارات ونقاشات سيئة . (ابن جريس) .

(٢) ولو استشعرنا جميعاً هذا الخوف من الله ، والخوف من عقابه لما أجهدنا أنفسنا بهذه الفلسفات والآراء المستقاة من أدب وتراث أعداء الإسلام ، وكنا عكفنا على فهم ديننا (دين الوسطية) وعشنا حياتنا في محيط تعاليمه . (ابن جريس) .

(٣) أفكارك يا دكتور علي وما تنادي به أحد إفرازات الحداثة التي تتحدث عنها ، فهذا أنت تنادي بترك شيء من الثوابت واستبداله بأعراف وضعية داخلية وخارجية . (ابن جريس) .

(٤) نعم جدلك ونقاشاتك هذه من نتاج الحداثة المستوردة ، سواءً علمت أم لم تعلم ، ولست الوحيد في هذا الميدان ، وإنما أمثالك كثيرون (نساءً ورجالاً) يقولون بما تقول ، وتذكرون شيئاً من الثوابت الشرعية على أنها رجعية وتخلف . (ابن جريس) .

ومنتجاتها ، غير أن ما يستورد من الحداثة هو الجانب الاستهلاكي التسويقي فقط . وليست أدوات إنتاج الحداثة وبنائها . ولهذا تتم عملية الاستهلاك لإفرازات الحداثة ومنتجاتها في الكثير من المجتمعات. وبالرغم من إمكانية توظيف الحداثة ومؤسساتها توظيفاً بنائياً يخدم المجتمع والفرد والمؤسسات الوطنية ، وينتج منتجات حديثة تتلاءم مع الثقافة وتحافظ على الثوابت والقيم ضمن المرجعية العامة للمجتمع ، إلا أن هناك عوامل كثيرة تتحكم في كيفية التعامل مع الحداثة وتحديد نوعية ما يمكن اكتسابه منها ، وما يمكن رفضه [١] . وعلى سبيل المثال لم تتمكن الكثير من المجتمعات من نقل مقومات الحداثة الخلاقة مثل الصناعة ، والاقتصاد ، والبحث العلمي ، والإدارة والتنظيم ، والتخطيط الدقيق ، وإنشاء المؤسسات ، وفصل السلطات، ووضع التشريعات، والمحاسبة والحرية المسؤولة، والعدالة والمساواة وغيرها[٢] ، ولكن في المقابل تمكنت الكثير من المجتمعات من استيراد منتجات مؤسسات الحداثة ، وموادها الاستهلاكية التي تنتجها الدول التي نشأت منها الحداثة أو تطورت فيها . وانتقلت لتلك المجتمعات إفرازات الحداثة التي تتعلق بالفكر والسلوك والعادات والثقافة ، إضافة للمنتجات الاستهلاكية المختلفة . وقد نتج عن انتقال الحداثة من موطنها إلى البلدان المستوردة صراع بين القادم والقائم ، وتحول المجتمع المستورد للحداثة إلى معارض لمنتجاتها ومؤيد لها ، بينما يعيش الجميع عليها ويستخدمها ، مع أن المؤيد للحداثة لا يستهلك منها إلا الكلام والبضائع والمواد الاستهلاكية التي لم يتمكن من إنتاجها وتصنيعها أو تقليدها . ومن هنا كان الصراع بين أفراد المجتمع الواحد الذي يتصارع على الحداثة بالرغم من أنهم جميعاً من إنتاج الحداثة وإفرازاتها[٣] . لقد أفرزت الحداثة الكثير من السلوك والتفكير والعادات الاستهلاكية . وأيضاً انتشار الأوبئة الحديثة مثل التدخين والمخدرات والكحول والإغراء والإثارة ، وتغيير القيم والتقاليد ، بالإضافة إلى انتشار الجرائم الحديثة المصاحبة لها . وكل تلك الإفرازات يمكن التغلب عليها في حال تمكن أبناء المجتمع من

---

(١) من وجهة نظرك أن نزع النقاب عند النساء والانخراط في جميع أمور الحياة المجتمعية من عوامل التكيف والتأقلم مع صور الحداثة المستوردة ، وهذا نداء بئيس ، فأنتم ترون أن لا تقدم ولا نجاح إلا إذا ابتعدنا عن ثوابت العقيدة ، وهذا والله الخسارة الكبيرة وليست مكسباً . (ابن جريس) .

(٢) هذا نداء جيد ويجب أن نعمل من أجله مع الحفاظ على الثوابت في الدين والأخلاق والقيم . (ابن جريس) .

(٣) الواجب على الجميع منا أن نتعلم ونأخذ من عالم الحداثة ما يعود علينا بالفائدة في صناعتنا وبناء أوطاننا ، ونأخذ أيضاً ما يرفع من مستوى معارفنا وعلومنا وثقافتنا لكن ليس ذلك على حساب التخلي عن الأساسيات التي قام عليها دين الإسلام ، وحفظ العرض والطهر والبعد عن الرذائل ، فذلك من الأمور التي حث عليها الشارع الحكيم . (ابن جريس) .

مناقشتهـا بهـدف الاستفادة من الحداثـة، وتطويعها للمصالح العامـة الاستراتيجية، بعيداً عن المصالح الضيقة، الخاصة والفئوية[١]. وبغض النظر عما يدور بين المتحاورين حـول الحداثة ومنتجاتهـا، يبقى أن الحداثة ليست شراً كما يصورها البعض، أو خيراً كمـا يصورهـا البعض الآخـر. ولكن لا شك أنهـا قدمت للإنسانيـة الكثير من الحلول والإنجـازات، وسهلت الكثـير من العقبات. والمشكلة الحقيقية هي في استيراد الحداثة واستغلالها من قبل البعض في إفراز صراع بين فئتين: معارضة ومؤيدة[٢]، بالرغم من أن النقاش والحوار حـول الحداثة ومنتجاتهـا يحتاجان لهـدوء، واستمرارية النقاش بشـكل رسمي ضمن الثوابت المشتركة والمصالح العامة، وحصر ذلك بين المتخصصين وليسـ بمن يعيش على الصـراع لتحقيق مكاسب فئوية لا تخـدم المصلحة العامة. أسوأ مشكلة سببتها الحداثة هي تحويل المجتمعات التي دخلت إليها إلى مجتمعات استهلاكية غـير منتجـة. وإدخالهـا في تبعية مفرطـة تضر بمستقبل تلـك المجتمعـات وبسيادتها واستقلاليتهـا وباعتمادها علـى إمكاناتها الداخلية. وقد اختلـف الناس حول الحداثة ومضمونهـا، وأسباب ظهورهـا، وكيفية التعامل معها ومع أدواتهـا، حيث يتم التعامل معها حسب الفهم والكم المعرفي والمعلوماتي الذي توفر للفرد والمجتمع عن الحداثة التي جـاءت نتيجة مرجعيـة وفلسفة مادية وعلـم ومعرفة وصناعة وتجـارة واقتصاد ونظم وتشريعـات وقيـم جديدة يحتاجها المجتمـع للحصول على الخدمـات المختلفة. بل إنها أيضـا كانـت نتـاج حـروب وصراعـات أدت للكثير من الإنجـازات والابتـكارات ومنها الإنترنت. ويمكن فهم الحداثة على أنها المعاصرة، أو الحياة العصرية التي ينتج عنها تطـور أنماط التفكير والنظم الاجتماعية وأساليـب العيش التي تختلف عن فترة زمنية سابقـة، فيتم استحداث وسائل وطرائق للعيشـ حسبما يمليه العصر الذي تحدث فيه الحداثـة متأثرة بعوامل داخلية وخارجية [٣]. والحداثة هـي التطور والتقدم والاختراع

(١) نقاشـك يـا ابن موسى في هذه الصفحات جيد وواقعي، والمعلـوم أن الحداثة جلبت لنا أموراً سلبية وإيجابية كثـيرة، والمسؤوليـة ملقاة على عواتقنا، فلنعمل على تطويع الحداثة لما هو في مصلحتنا ومصلحة أمتنا ورفعة ديننا، وعدم التخلي عن ثوابتنا. هذا هو النقاش الذي يجب العمل من أجله، والسعي إلى تحقيقه في أوطاننا. (ابن جريس).

(٢) الحوار مطلب جيد، لكن إذا جاء أحد المتحاورين مثل الأستاذ ابن موسى وصور أن المرأة ولباسها أساس كل شرٍ في المجتمع، ثم جاء بالحل، وقال على المرأة أن تنزع الحجاب والنقاب، وبالتالي فالحل سوف يكون برداً وسلاماً على جميع فئات المجتمع. هذا كلام لن يقبل من هؤلاء النوع من المتحاورين لأنهم لا يبحثون إلا عن الشيء الغالي الرفيع عند المسلم ثم يدندنون حوله. (ابن جريس).

(٣) هذه الجمل التي ترصها في سردك يا علي قرأناها في كثير من كتب الحداثة الأجنبية أو المعربة أو العربية، ولا نخالفك القول فيما ذكرت، وما صدّرت الحداثة إلى عالم أهل السنة والجماعة فالواجب عليهم أن يستفيدوا منها، مع الحفاظ على ثوابتهم التي نص عليها القرآن والسنة. (ابن جريس).

والاكتشاف والعلم والتقنية والقيم الناتجة عنها[١] ، إضافة إلى الثقافة وأنماط التفكير وغيرها من نتاج التطور الطارئ على الإنسان الذي تغيرت مصادر معرفته ومعلوماته ، فتمكن من إحداث تغييرات جذرية في حياته وبيئته بهدف الحصول على حياة وخدمات أفضل . تلك الحداثة دخلت في كل مجال وكل شأن في الحياة سواء الخاص أو العام ، لتتغير معها أوضاع المجتمع إلى حال أخرى ، ليس بالضرورة أنها سيئة، بل إنها تقدم بدائل وخيارات جديدة للفرد والمجتمع. ولكن – أيضاً– ليست بالحسنة في بعض جوانبها ، وخاصة أن هناك ضحايا للحداثة منها المادي والثقافي والاجتماعي والإنساني والبيئي ونظم الحياة وطريقة العيش وأساليب التفكير والموروثات المادية التي عاش عليها الناس ما قبل الحداثة وغيرها . وهي ليست شراً في ذاتها غير أن الشر في كيفية استخدامها والتعامل معها وسوء استخدامها . وإذا كان الكم الكبير من أدوات الحداثة هي أدوات سلمية لخدمة ورفاهية وسعادة الإنسان ، فإن منها الكثير الذي يعد للقتل والتدمير والتخريب والفساد . والحداثة ليست فكراً فقط كما يصورها البعض ، ولكنها علم وصناعة وتقنية وأنظمة وتشريعات ومؤسسات وطريقة حياة جديدة، لها وسائلها وأدواتها ومتطلباتها[٢] . المشكلة ليست في الحداثة نفسها أو في أدواتها، فالدين يحث على الأخذ بكل أسباب التطور والتقدم والتحضر والعلم والمعرفة والصناعة والاختراع والاكتشاف والقوة والمنعة والتعمق في البحث والدراسة حتى في النفس البشرية [٣] . ويعد القرآن الكريم المصدر التشريعي الأول في الإسلام أكثر ما يحث على الاكتشاف والاختراعات وعلى التدبر والتفكر والبحث ، والأخذ بأسباب العلم والصناعة ، كجزء من رسالة الإنسان في الحياة وإعمار الأرض التي لن يستطيع إعمارها إلا بأدوات قادرة على تحقيق هذه الرسالة ، مع العمل على توفير جميع أسباب الرفاه والخير للناس وفق

---

(١) هذا جزء مهم في عالم الحداثة ولا نعترض على ذلك والواجب الاستفادة منه ، والعمل حتى نكون مجتمع نبدع ونسهم في هذه الحضارة المادية ، ولا نكون فقط متلقين مستهلكين . (ابن جريس) .

(٢) نعم الحداثة لها شقان مادي ومعنوي ، والخطورة في الفرع الأخير ، وهو ما طرأ على الفكر ، واللغة ، وعادات اللباس والطعام والشراب وغيرها من الأمور الاجتماعية والثقافية والمعرفية . والكثير من إخواننا مثل الدكتور علي بن موسى يقولون الواجب السير في ركاب التحول والتغير حتى ولو كان في صميم الثوابت مثل نزع الحجاب واختلاط الرجال بالنساء ، ويوردون مبررات هزيلة من أجل إقناع الناس وبخاصة النساء بأن هذه الحلول الناجعة تجلب الاستقرار والتقدم . (ابن جريس) .

(٣) نعم الدين ، أي الإسلام ، يحث على التطور في كل ما يحترم الإنسان ، لأنه دين شامل كامل باق إلى يوم القيامة ، ثم إنه الشريعة الخاتمة والوسطية ، وهذا الذي يجب أن نعمل من أجله فيكون الدين الإسلامي هو المظلة العليا التي يعيش الناس تحتها ، لكن لا نبحث عن مبررات ومخارج تجعلنا نتخلى عن توجيه رباني في أمورنا الخاصة والعامة ، وللأسف إن البعض يبحث عن البراهين الضعيفة التي تقوي حجته ، مع أن القرآن والسنة فيهما من الوضوح ما يجعل المسلم الصادق لن يضل. (ابن جريس) .

قوانـين وأنظمة تحفظ الحقوق وتفرض الواجبات حتى لا يعتدي أحـد على التوازن في الأرض ، وخاصة مع الشركاء في الحياة من كائنات ومخلوقات مختلفة وجدت من أجل الإنسـان . كما أن الدين جاء ليحرر الناس مـن الكثير من العادات والتقاليد والأعراف التي تتعارض مع كرامة الإنسان وحقوقه وواجباته ووظيفته ، ويحفزهم على الأخذ بكل أسباب الاستقـلال والقوة والحرية من العبودية والاستغلال[١] . ويعد تعامل الإنسان مع الحداثة هو المشكلة الأساسية ، إذ أدى استخدامه غير المنظم والمقنن للحداثة إلى توقف العديد من المؤسسات التقليدية ، وانتهاء الكثير من الأدوات التي كان الإنسان يستخدمها ، واختفـاء الكثـير من الكائنات التي كانت شريكة في حيـاة الإنسان، وتدمير الكثير من المصـادر والمـوارد والـثروة الحيوانية والطبيعيـة [٢] . ولأن الحداثـة في المجتمعات التي انتقلـت إليها لم تكن نتيجـة تطور داخلي في القرى أدى إلى تغـيرات فكرية أو علمية أو صناعيـة ، ولكنها جاءت نتيجة وجود ثروة طبيعية كانت لها عوائد مالية أدت إلى شراء كل أدوات الحداثـة من الآلة حتى المعرفة والتقنيـة والمؤسسات والثقافة وغيرها . وهذه المقتنيات الحديثة جاءت على حساب المقتنيات والمؤسسات القديمة التي لم يتم التعامل معهـا بحذر وضمن ضوابـط تعمل على تحقيـق إعمار الأرض وتحافـظ على الموروثات والمكتسبـات الإنسانية ، مـع العمل بحرص على التوازن الطبيعـي والبيئي ، على أن تتم الاستفـادة من المنجزات التي قدمتها الحداثة المستـوردة بشكل لا يتناقض مع هواجس وثقافة المجتمعات المستوردة للحداثة ومنتجاتها[٣] . ما حدث في القرى الجنوبية وغيرها مـن القرى في الشرقية والغربية والوسطى والشمالية هو وجود هذه القرى ضمن الدولة الحديثـة التي نشـأت بمؤسساتها المختلفـة ، واعتمـاد مؤسسات الدولة علـى الوسائل الحديثـة في توفير الخدمات ، وبسـط سلطة الدولة ، وتنفيذ خططها التي تضمن قوتها واستقرارهـا واستمراريـة التطـور والنمو فيها ، وارتبـاط مصالحهـا بمصالح عالمية اقتصادية وسياسية ، وتعليمية وأمنية وعلمية ، وصناعية وتنموية .. وغيرها من مقومات

---

(١) هـذا والله كلام صحيـح ، ولا يعارضك يا ابن موسـى إلا كاذب ضال ، ولكن إذا كان خروج المرأة بدون حجاب واختلاطها بالرجال ، كما أشرت في صفحات سابقة ، هو حل لكثير من مشاكلنا التي تسردها في بحثك ، فلا أعرف كيف نترك شرع ربنا ، ونخالف توجيهاته بهذه النداءات ثم نقول إن القرآن حث وذكر وأورد كذا وكذا ، ولا نتورع أن نضع بعض الحلول التي يبرأ منها القرآن . (ابن جريس) .

(٢) الناظر في موروثاتنا الحضارية في بلادنا بل في كثير من بلاد العرب والمسلمين يلاحظ أنها اندثرت وتركت وحل محلها أشياء جديدة مستوردة من بيئات غريبة مختلفة علينا ، ولا نقول أنه يجب تبديل الحضارات الوافدة ، وإنما الواجب الأخذ بالمفيد منها ، لكن ليس على حساب شريعتنا وما جاء في القرآن الكريم. (ابن جريس) .

(٣) هذا الذي يجب أن نعمل من أجله حكومات وأسراً وأفراداً ، وليس الأخذ بالجديد ، والبعد عن بعض أمور الدين التي هي سبب سعادة المسلم والفوز بالجنة . (ابن جريس) .

الدولة المعاصرة التي تحتاج إلى توفير الخدمات لشعبها . وقد نتج عن هذه المتغيرات ردود أفعال مؤيدة ومعارضة[١] ، وهذه الردود بالرغم من أنها من إفرازات الحداثة جميعها المعارض والمؤيد ، غير أنها لم تستوعب حجم التغير الذي طرأ ، فنتج عن ذلك صراع في الفهم ، مما أدى إلى التشبث ببعض المواقف التي ستزول مع الوقت بزوال الفهم والاستيعاب المنقوص ، والاستعمال الخاطئ للكثير من أدواتها ومقوماتها[٢] . السر في الحداثة هو في كيفية استعمال أدواتها والتعامل معها ، سواء كانت مؤسسات أو تقنيات أو آلات ، أو مصنوعات ، أو فكراً أو ثقافة ، أو قيماً أو سلوكيات ، وممارسات ، أو أنظمة أو تشريعات[٣] ، فالناس ليس لديهم مشكلة مع جميع أدوات الحداثة من السيارة والطيارة والمعدات والأجهزة وغيرها ، ولكن المشكلة هي في فهم الناس للقيم والسلوك والثقافة التي جاءت أو نتجت عن تلك المؤسسات والصناعات والتقنيات الحديثة. وأيضاً يعود السر إلى ردود الفعل على ما جاءت به الحداثة من مقتنيات وتقنيات، وآلات وابتكارات تعدت قدرات البشر على استيعابها لبعض القيم والثوابت من ناحية ومن ناحية أخرى لعدم وجود من لديه العلم والمعرفة والرؤية الشاملة ليوفق بين أدوات الحداثة واحتياجات المجتمع منها وفق ثوابته وقيمه واحتياجاته بشكل منظم بحيث تخضع لسياسات واستراتيجيات وقوانين حماية من الجميع للجميع[٤] . لهذا سوف يستمر النقاش والحوار والجدل والاختلاف حول الكثير من الموضوعات والممارسات ومنتجات الحداثة حتى يصل المتحاورون إلى مرحلة تكون فيها الحداثة ومعطياتها قد قفزت بالنقاش والحوار إلى موضوعات أخرى مستجدة نتيجة التسارع الكبير في الحداثة ومنتجاتها المختلفة ، ولن يزول هذا الحوار إلا بحوار مبني على العمل المؤسسي ، والبحث العلمي الجاد ، والتقاء المتحاورين حول العديد من الموضوعات التي تخدم المجتمع ومؤسساته وطموح أبنائه [٥] ، وبما يضمن لهم استقرارهم وسيادتهم

---

(١) هذه الحقيقة ، وردود الأفعال شيء طبيعي ، لكن المهم والأهم هو الحفاظ على ثوابت الدين ، وبخاصة ما ورد فيه نصوص شرعية واضحة. (ابن جريس).

(٢) كل شيء محتمل أن يقع ، إلا نصرة الدين الصحيح ، وليس الدين القائم على رؤى وأفكار ضعيفة أو مضللة . (ابن جريس).

(٣) هذا الكلام يا دكتور علي كررته كثيراً وكرره غيرك ولا نخالفكم في ذلك . (ابن جريس).

(٤) من يفهم الدين بشكل صحيح فإنه سوف يجد فيه جميع الحلول التي تساعد المجتمع للأخذ بكل جديد وتطوير مع البقاء على تعاليم الشريعة السمحة التي عاشها الرسول (ﷺ) وصحابته الكرام. (ابن جريس).

(٥) سمعنا وقرأنا لك هذه الآراء في سطور سابقة يا ابن موسى ، والحوار والنقاش مطلوب ، لكن ليس كحوارك في صفحات مضت عندما توجه للنساء نداءً وتقول أبعدوا أقنعتكن من على أجسادكن وادخلن معترك الحياة من أوسع أبوابها ، أو أي نداءات مثل هذه الأقوال ، فاعلم أنه لن يقبل منك هذا النداء

فوق أراضيهم على أن ينتج عن هذه النقاشات والحوارات قوانين وتشريعات تنظم العلاقة بين جميع أفراد المجتمع ، وبين المؤسسات ، ومنتجات الحداثة المختلفة)[1] .

قلت : بدأ المؤلف حديثه حول الحداثة بتَجهيل أهل الجنوب كافَّة ، وذلك بعدم فهمهم للحداثة ، حيث يقول : (لم يتمكن أهل القرى) ثم أتبع ذلك بقوله : (كل القرى) . وهذا افتئات من المؤلف على ملايين البشر الذين يملأون بلاد الجنوب (الباحة ، جازان، عَسير، نجران) ، ومنهم المئات بل الآلاف وأكثر الذين يمكن وصفهم بالعبقرية والنُّبُوغ ، ناهيك عن الذكاء الخارق ، والقدرة الفائقة على التعامل مع مستجدات الحياة . وإنّ القول بعدم فهمهم للحداثة بشكلٍ عامٍ من الأقوال المُرْسَلة ، التي لا تستند إلى حجة واضحة . والمؤلف لم يُقَدِّم تعريفاً دقيقاً للحداثة، سوى قوله: (الحداثة : المُعَاصَرَة، أو الحياة العصرية ...) ، وقد سبق له ـ في صفحات سابقة من كتابه ـ استخدام كلمة (الحَدَاثة) على أنها الآلات والأدوات الوافدة ، كالمذياع ، والبكم ، والمُسَجِّل ، والتلفاز، والغسّالة، والثلاجة، والمكنسة ، وغيرها من الأدوات والآلات . وكأنّه يريد استقرار هذا المفهوم في إطار (الآلات والأدوات) في ذهن القارئ ، ولا يتجه إلى المفهوم الفكري للحداثة الذي يُنَافي الشريعة الإسلامية ، فيطمئن القارئ، ويُسَلِم عَقْله للمؤلِّف الذي سيلقنه الحداثة بمفهومها الفكري تحت عنوان (حديث حول الحداثة) الذي يحاول فيه المؤلف الموائمة بين النصوص المقصودة ـ فعلاً ـ وبين النصوص المُوهمة بسلامة مقصده[2] .

(*) فمن النصوص المقصودة ؛قوله:(الحداثة عبارة عن نُظُم ومؤسسات وأفكار وثقافة ومنتجاتها ...) . ويقول : (لم تتمكن الكثير من المجتمعات من نقل مقومات الحداثة الخلاّقة مثل الصناعة والعلم ، والاقتصاد ، والبحث العلمي ، والإدارة

، وإن قبله البعض من النساء والرجال ، فذلك لن يصمد أمام براهين الشريعة الصحيحة . (ابن جريس) .

(١) ص ٣٢٤. (ابن معبِّر) . إذا كان هذا النقاش في نظرك يا أستاذ علي سوف يولد شرائع وديناً جديداً فهذا كلام باطل، لأن الإسلام جاء به الرسول الكريم (ﷺ) من عند الله وهو خاتم الأديان ، بل هو الدين الذي فيه حلول كل المشكلات التي يواجهها الناس على مر العصور . (ابن جريس) .

(٢) والله يا ابن معبر إنني في ريبة من أطروحات هذا الرجل ، فلا أدري ماذا يجول في صدره وقلبه ، فربما كان قصده حسناً ، لكنه لم يوفق في تقديم أطروحاته حتى يقبلها المسلم المعتدل في إسلامه . أو أنه فعلاً ذكر ما أورده في كتابه بهدف نشر الفوضى والرذيلة في مجتمعه الذي عاش في كنفه . فإذا كان من أصحاب القصد السليم فنسأل الله له التوفيق والرشاد. وإن كان من الضالين المضلين المتعمدين فنسأل الله له العودة إلى الصواب . ولا يستغرب ما أورده هذا الأستاذ الجامعي في جامعاتنا العربية فقد عاصرت وسمعت أساتذة كثيرين يسعون إلى نشر السموم في أوطانهم الإسلامية عن رضى وقناعة (والله المستعان) . (ابن جريس) .

والتنظيم، والتخطيط الدقيق ، وإنشاء المؤسسات ، وفصل السلطات، ووضع التشريعات، والمحاسبة والحرية المسؤولة ، والعدالة والمساواة وغيرها) [١]. و يقول: (الحداثة التي جاءت نتيجة مرجعية وفلسفة مادية وعلم ومعرفة ...) .ويقول :(الحداثة هي التطور والتقدم ... إضافة إلى الثقافة وأنماط التفكير ...) . ويقول:(الحداثة ليست فكراً فقط ، ولكنها علم وصناعة ... وأنظمة وتشريعات...) . ويقول : (السر في الحداثة هو في كيفية استعمال أدواتها والتعامل معها ، سواء كانت مؤسسات أو تقنيات أو آلات ... أو فكراً أو ثقافة ، أو قيماً أو سلوكيات ، وممارسات، أو أنظمة أو تشريعات) [٢].

(*)ومن النُّصوص المُوهمة : قوله (غير أن انتقال تلك الحداثة من موطنها الأصلي لا يعني أنها تتلاءم مع المجتمعات التي استوردت الحداثة بكل معطياتها) .ويقول: (بالرغم من إمكانية توظيف الحداثة ... تحافظ على الثوابت والقيم ضمن المرجعية العامة للمجتمع) [٣]. ويقول: (لقد أفرزت الحداثة الكثير من السلوك والتفكير ...وانتشار الأوبئة الحديثة ...). ويقول: (ليس بالضرورة أنها سيئة ، وليست بالحسنة في بعض جوانبها ، وخاصة أن هناك ضحايا للحداثة ...) . ويقول : (الدِّين يحث على الأخذ بكل أسباب التطور ... ويُعَدُّ القرآن الكريم المصدر التشريعي الأول في الإسلام أكثر ما يحث على الاكتشافات ...) [٤].

قلت : كانت الحداثة عند المؤلف فيما قبل صفحة (٣٢٠) تدور في مجال (الآلات والأدوات) ، ولكنها تطورت إلى مفهوم حَفَلَ بالمفردات التالية : (١) (الاختراع (٢) الإدارة.(٣) الاقتصاد .(٤) الاكتشاف .(٥) البحث العلمي .(٦) التجارة .(٧) التخطيط . (٨) التشريعات .(٩) التطور .(١٠) التقدّم . (١١) التنظيم .(١٢) التقنية . (١٣) الثقافة . (١٤) الحرية المسؤولة .(١٥) السعادة .(١٦) السلوك. (١٧) الصناعة. (١٨) العدالة . (١٩) العصرية. (٢٠) العلم . (٢١) فصل السلطات (٢٢)

---

(١) هذا كلام صحيح ، ولدينا معاشر العرب والمسلمين مشاكل كثيرة في هذا الباب ، والواجب علينا جميعاً أن نعمل بكل جد واجتهاد لحلها ، والاستفادة من التقنية المادية التي لا تؤثر على مبادئ شريعتنا السمحة . (ابن جريس).

(٢) نعم ، ماذا يجب علينا كمسلمين أن نفعله من أجل استعمال هذه الأدوات الحديثة والتعامل معها؟ هذا سؤال وجيه ، والواجب علينا أن نأخذ بكل جديد ومفيد ، لكن ليس على حساب التخلي عن الثوابت الرئيسية في شريعتنا والعقيدة التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة . (ابن جريس).

(٣) هذا كلام جميل وطرح موزون ومعقول . (ابن جريس).

(٤) هذا حوار ونقاش مقبول ونستطيع أن نأخذ ونعطي في هذه الأطروحات ، لكن أن يأتي باحث أو صاحب قول أو رأي ثم يقول اتركوا بعض الأساسيات في شريعة الإسلام ، ثم نجلس ونتحاور فهذا كلام غير منطقي وغير مقبول . (ابن جريس).

الفكـر .(٢٣) فلسفـة ماديـة. (٢٤) القوانـين. (٢٥) القيَـم .(٢٦) المحاسبة. (٢٧) المساواة. (٢٨) المعرفة.(٢٩) نُظُم. (٣٠) نُظُم اجتماعيةَ [١].

كُلّ هذه المفردات ضمن (النصوص المقصودة) في حديث المؤلف عن (الحداثة) ، أي أنهـا هي الحداثة ومخرجاتها المرشحـة للتطبيق في المجتمع السعودي .وهي ما زعم المؤلـف في بدايـة حديثـه أنّ كلّ أهـل القـرى لم يتمكنوا مـن فهمها . فما هـو القاسم المشـترك بين هذه المفردات ؟؟ وهـل ساقها المؤلف ضمن حديثه عـن إدراك بمكان كل مُفْـرَدة مـن العلوم المعروفة ، ومن النشاطات البَشَرِيَّـة ، أم كان مُجَرّد حَشْد للمفردات ، والتلاعـب بها ، لمزيد من التَّعْمِيَة والتَّمْويـه ، في سَبيل ترسيخ الحداثة الفكْرية ؟؟[٢] . والشريعـة الإسلاميـة لا تُعَارِض أو ترفض هـذه المفردات ومخرجاتهـا ، ومنها : (١) الاخـتراع . (٢) الاكتشـاف . (٣) الإدارة . (٤) البحث العلمـي .(٥) التخطيط .(٦) التنظيـم . (٧) التقنيـة .(٨) الصناعـة . (٩) العلم . (١٠) المعرفـة. بل تدخل ضمن العلـوم التي يشـترك في معرفتها وممارستها جميع مَنْ في الكون منذ بدايات مبكرة من عصـور التدوين التاريخي ، وليس للحداثة الفكرية أي فضل عليها ، ولا يمكن ربط هذه المفـردات بالحداثة [٣]. أما المفردات الثلاث (التطور ، التَّقَدّم ، العصرية) فلا تدخل ضمـن العلوم ، فـكل واحدة منها تُمَثِّل سِمَة عامّة للدلالة على حصول مستجدات حَادثة تشمـل جميع مناحي الحيـاة البشرية ، وتُمَيّزها عن فترة سابقة ، كمـا أنها لا تُمَثّل أي خصوصيـة أو دلالـة فكرية مستقلـة . وفي المفردتين (الاقتصـاد ، التجارة) ما يوجب

(١) كل عنصر من العناصر المذكورة أعلاه صدر عنها عشرات البحوث والدراسات بشتى اللغات ، وهي محاور مهمة ولها ثقل كبير في حياة الأمم على مر العصور ولكن توظيفها للنيل من حياة الشعوب المسلمة التي دستورها القرآن الكريم والسنة المحمدية أمر يجب التوقف عنده والرد على من ينهجه ردوداً علمية موثقة. (ابن جريس).

(٢) أقول أن الأستاذ علي بن موسى وتوجهاته الفكرية لا بأس بها ، لأنني أعرفه منذ أكثر من أربعة عقود ، وربمـا كان التأثـير والتأثـر الـذي جناه من رحلاتـه وأسفاره ، إعجابـه بالحياة الغربيـة وما أفرزت مـن أحـداث وتغيرات مادية ومعنوية جعلته ينادي بهذه الآراء والأقوال التي طرحها في كتابه ، ونحن لا نعارض بعض أقواله وبخاصة ما جرى في بلاد العرب والمسلمين نتيجة اختلاط الشرق بالغرب أو انفتاح العالم بعضه على بعض ، ولكن الذي لا نقبله إطلاقاً أن يتخذ بعض الأساسيات في علم الشريعة مطية حتى يمرر أقواله وأفكاره ويقنعنا بها ، لأنه وللأسف يضرب على وتر مهم وحساس في إطار شرائع الإسلام . (ابن جريس).

(٣) نعم الإسلام الصحيح لا يعارض كل ما سبق ذكره ، حتى وإن ظهر عند بعض المتشددين المتنطعين بالدين الذيـن يقولـون أن هنـاك تعارض أو لا يجوز وهكذا ، فذلك من باب التطـرف الفكري ، وإلا فالإسلام وشرائعه السمحة تنادي وتحث على التقدم والتطور في جميع أمور الحياة مع الحفاظ على الثوابت التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة . (ابن جريس).

التفصيـل ، فالاقتصـاد والتجـارة بشكل عام مـن ممارسات الشعوب قديمـاً وحديثاً ، وتتمثـل في البيع والشراء والزراعة والصناعة ونحـو ذلك ، وهي داخلة بهذا المفهوم في كثـير من أبـواب الفقه الإسلامي .أما إذا دخلت ـ ولا سيمـا الاقتصاد ـ في إطار المفهوم والاصطلاح (الرأسمالي) و (الاشتراكي) ، فإنها تصبح في دائرة الاتهام الذي يصل إلى الرفض في بعض الأحوال والممارسات [(١)] . ومدخل الحداثة الفكرية يكون من خلال الرأسماليـة والاشتراكيـة ، وذلك عنـد ممارسة الضغوط من قبَل مواطـن الرأسمالية والاشتراكية على الشعوب وفرض الأفكار الدائرة في فلك الحداثة ، من خلال الظروف الاقتصادية . وللاقتصاد والتجارة محيط آخر ، يتمثل في كونهما من العلوم التي تُدَرّس في الكليـات والمعاهـد ، ولا يكون الخلاف حولها إلا بقـدر ما تحمل من توجهات في إطار المذاهـب الاقتصادية الإسلامية، أو الرأسمالية ، والاشتراكيـة . أمّا المفردات الأربع (الثقافـة ، الفكر ، المحاسبة ، نُظُم) فَتُمَثـل إطلاقات عامة على مخرجات بعض العلوم أو الممارسـات ، ولا سيمـا الثقافة والفكر. والمؤلف لا يُحدد مُـرَاده بمفردة (المحاسبة) فقـد عطـف (الحريـة) عليها ، فـإن كان يريد بهـا محاسبة ما يتعلـق بالحريات وما يـدور في فلكهـا ، فهي بذلك تتبع الحريـة . أمّا إذا كان يريد بها العلـم الذي يُدَرّس في كليـات ومعاهـد التجارة فهذا لا غبار عليه ، ولا صلة لـه بالحداثة الفكرية التي يتحدث عنهـا المؤلـف . ومفردة (نُظُم) مـن المُفردات العامـة الدّالّة على التعليمـات المُنَظِّمة للمؤسسـات أو الـوزارات ونحوهـا ، ولا تتعلق بالحداثة إلاّ بقدر ما قـد تشتمل عليه من تعليمات تنظم لها طريقة انتشارها وترسيخها . وبذلك نُخْرج (المحاسبة والنظم) إذْ لا خلاف حولهما . أما (الثقافة والفكر) فهي من المفردات الشائعة والمشتركة في جميع أنحـاء العالم، إلاّ أن الفَرْق يَكْمُن في مخرجات الثقافة والفكر ، فمن هذه المخرجات ما لا غُبَـار عليه بالنسبة للشريعـة الإسلامية ، مع رفض واستبعاد ما يخالفها، لأن الثقافة والفكـر إنتاج بشري فيه المحاسن والمساوئ ، وليـس للحداثة هيمنة مُطْلَقة على الثقافة والفكـر ، إلاّ بقـدر ما تصنعه هي ذاتها من ثقافة أو فكـر يختص بها ، أو تتسرّب بعض أفكارها وثقافتها في بعض الآداب من شعر أو قصص أو نثر [(٢)] . ونقف مع أربع مفردات

---

(١) دين الإسلام لم يشرع ويأت إلا بكل مفيد وصالح للإنسان ، بل الشريعة الإسلامية رسمت خطوطاً واضحة لحياة الإنسان في الدنيا والآخرة ، حتى يكون عضواً صالحاً في دنياه فيعمل الخير ويسلك طريق الحق التي تقوده إلى الفوز بالجنة بعد الممات . (ابن جريس) .

(٢) من يقرأ ما كتب ونشر عن الحداثة خلال المئة سنة الماضية فإنه سوف يقف أمام كم هائل من البحوث والدراسـات التـي فصلـت الحديث عن الحداثة وما جـاءت به ، وكيف دخلت كل بلـد؟ وكيف عرفتها

هـي (السعادة ، السلوك ، العدالة ، المساواة) ساقها المؤلف مع مفردات أخرى لا غبار عليهـا ، مثـل (الصناعة ، والعلم ، والبحـث العلمي) وذلك للإيهـام ، وقد أطلق على مجموعهـا : (مقومـات الحداثة الخلاَّقة) . كأنّه يقول إنّ السعـادة والسلوك والعدالة والمسـاواة ، لا تتحقق إلاّ من خلال الحداثة ، وهذه مـن مقوّماتها [١] . ويَنْبَني على ذلك الاتهـام بقصـور الشريعة الإسلامية عن الوفاء بهذه المطالـب[٢] . ومفردة (السعادة) تـدل على شعور نفسـي بالرضا والسَّكينـة الطُّمأنينة ، وهي تحصـل للمسلم والكافر ، ولكنهـا ترتبط عند المسلم بقولِـه تعالى : [**هُوَ الَّذي أَنْـزَلَ السَّكينَةَ في قُلُـوب الْمُؤْمنينَ ليَـزْدَادُوا إيمَانًا مَعَ إيمَانهمْ وَللّه جُنُـودُ السَّمَاوَات وَالأَرْض وَكَانَ اللّه عَليمًا حَكيمًا**][٣] . وقولـه تعالى : [**الَّذينَ آمَنُوا وَتَطْمَئـنُّ قُلُوبُهُمْ بذكْر اللّه أَلا بذكْـر اللّه تَطْمَئنُّ الْقُلُوبُ**][٤] . وأبـاح الخالـق جلّ وعـلا للناس ما تحصل به السعـادة في الدنيا ، فقال تعـالى : [**زُيِّنَ للنَّاس حُـبُّ الشَّهَـوَات مـنَ النِّسَاء وَالْبَنـينَ وَالْقَنَاطـير الْمُقَنْطَـرَة منَ الذَّهَـب وَالْفضَّة وَالْخَيْل الْمُسَوَّمَة وَالأَنْعَام وَالْحَرْث ذَلكَ مَتَاعُ الْحَيَاة الدُّنْيَا وَاللّه عنْدَهُ حُسْنُ الْمَآب**][٥] . فهـل ننتظـر السّعادة التـي تَعدُ بها الحداثـة ؟ . وتأتي مفـردة (السلوك) وهي تدل علـى ممارسـة قوليـة وفعليـة – حَسَنَة أو سيئة – خـلال التعامل مع الغـير ، وقد يُعبّر عنهـا بالأخلاق أو الخُلُـق . والشريعة الإسلامية حافلة في هذا الجانب بما لا يحتاج إلى مزيـد[٦] . ولن تُقدّم الحداثة أي فائدة تذكر فيمـا يخص السلوك أو الأخلاق. ومفردتا

وتعاملت معها شعوب وأمم العالم ؟ إن موضوع الحداثة كبير ، وللأسف كثير من كتب الحداثة هاجمت الإسلام ، ووصفته بالدين الرجعي أو المتخلف ، وليس لأنه كذلك ، ولكن لأنه يعتمد على كتاب رباني هو القرآن الكريم الذي نزل من عند الله (عز وجل) ، وعلى السنة النبوية الصحيحة التي مصدرها رسول الله (محمد بن عبد الله) (عليه أفضل الصلاة والسلام) ، والذي نزل عليه القرآن . هذا هو العداء الرئيسي بين الكثير من أرباب الحداثة والمنافحين عنها يرون أن العقبة الكؤود في طريقهم وأمام صيحاتهم هو القرآن الكريم والسنة النبوية . (ابن جريس).

(١) كل هذه المصطلحات فصلت فيها مصادر التشريع الإسلامية ، وبينت الطرق الحقيقية لتحقيق العدالة ، والمساواة ، والسعادة وغيرها . (ابن جريس).

(٢) هذا كلام غير صحيح وادعاء باطل . (ابن جريس).

(٣) سورة الفتح ، آية (٤). (ابن معبِّر).

(٤) سورة الرعد ، آية (٢٨) . (ابن معبِّر) .

(٥) سورة آل عمران ، آية (١٤) . (ابن معبِّر) . سبحان الله فلم يخلق الله (عز وجل) الإنسان عبثاً ، وإنما خلقه ورسم له سير الحياة إذا أراد أن يكون من السعداء في الدنيا والآخرة ، وأيضاً بين طرق الشر التي تقود من يذهب فيها إلى الهلاك والدمار في الدارين . (ابن جريس) .

(٦) هناك مئات الأدلة والبراهين والشواهد الواردة في القرآن الكريم وسنة الرسول (ﷺ) التي توضح للإنسان طرقاً وأقوالاً وأساليب عديدة تدور في فلك السلوك أو الأخلاق وما شابهها . (ابن جريس) .

(العدالة والمساواة) بمعنى واحد ، إلاّ أنّ المساواة من مخرجات العدل ، والعَدْل ممارسة قولية أو فعلية ، تؤدّي إلى القبول والرضاء من جميع الأطراف ، وهي من الممارسات المشتركة في أنحاء الدنيا . وقد أمرنا الله تعالى بالعدل قولاً وفعلاً ، فقال : [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ**][1] ، وقال : [**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ**][2] ، وقال : [**وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ**][3] . وقال : [**وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا**][4] . وقال [**وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا**][5] . وليس للحداثة ما يمكن أن تقدّمه في جانب العدل والمساواة إلاّ ما تنادي به من المساواة بين المرأة والرجل .حتى هذه المساواة لا تستقيم للحداثة إلا من جانب التبرج والسفور والاختلاط. فقد ساوى الله تعالى بين الرجل والمرأة فيما هو أفضل من ذلك ، حيث قال تعالى : [**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**] [6] . وقال تعالى: [**أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى**][7] . وقال: [**يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ**] [8] . وبقي من مفردات المؤلف ما يلي : (١) التشريعات. (٢) الحرية المسؤولة . (٣) فصل السلطات. (٤) فلسفة مادية .(٥) القوانين. (٦) القِيَم . (٧) نُظُم اجتماعية .وهو لا يعني بها أن تكون مُسْتَمَدَّة من الشريعة الإسلامية ؛ فقد صَرَّح المؤلف قبل إيراد بعض هذه المفردات بقوله : (لم تتمكن الكثير من المجتمعات من نقل مقومات الحداثة الخلاّقة مثل الصناعة ...) بمعنى أن نستورد التشريع والقيم والنُّظُم الاجتماعية ، وما يتبعها من فلسفة مادية ، وحريات ، وفصل للسلطات .وليس إدراج المؤلف لمفردات : الصناعة ، والعلم ، والإدارة ، والتخطيط ونحوها ، إلاّ لتجاوز الاعتراض والرفض للمفردات المقصودة ، وهي التشريعات وما معها .ولا يعني نقل مقومات الحداثة الخلاّقة إلاّ مِنَ الاستدبار للشريعة الإسلامية واتهامها

(١) سورة النساء ، آية (١٣٥) . (ابن معبِّر) .
(٢) سورة النحل ، آية (٩٠) . (ابن معبِّر) .
(٣) سورة النساء ، آية (٥٨) . (ابن معبِّر) .
(٤) سورة الأنعام ، آية (١٥٢) . (ابن معبِّر) .
(٥) سورة المائدة ، آية (٨) . (ابن معبِّر) .
(٦) سورة النحل ، آية (٩٧) . (ابن معبِّر) .
(٧) سورة آل عمران ، آية (١٩٥) . (ابن معبِّر) . إن العادل هو اسم من أسماء الله (عز وجل) ، ولهذا فهو سبحانه خلق جميع المخلوقات في الأرض ، وأنزل عليهم آيات وأحكام تحفظ حياة التوازن في الكون ، فلم يترك أمراً من أمور الدنا والآخرة إلا وضحه للإنسان ، ومن ثم أقام الحجة على خلقه حتى يحاجهم بها يوم القيامة. (ابن جريس) .
(٨) سورة الحديد ، آية (١٣) . (ابن معبِّر) .

بالقصور، والتجاهل لقوله تعالى : [**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**](١) . وقوله تعالى: [**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ**](٢) . ولو قلنا بمسايرة المؤلف في نقل واستيراد التشريعات والقيم ، والنُّظم الاجتماعية ، والفلسفة المادية ، والقوانين ونحوها ، فإن ذلك يؤدي إلى التنازع بين الأصيل والدّخيل ، ولأنّ الأصيل هو شريعة رَبَّانية ، والدّخيل شريعة وصناعة بشرية ، فيلزم من ذلك الاختيار بينهما(٣) . وقبل الاختيار نقرأ قوله تعالى : [**ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**](٤) ،وقال الرسول ﷺ: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ)(٥) . وقال ﷺ: (من رغب عن سُنّتي فليس مني)(٦) . فأي أرض تُقلّ، وأي سماء تُظِلُّ مَنْ يختار غير ما جاء مِنْ فوق السموات ، مِنْ خالق الكون جَلّ في عُلاَه(٧) .

٥٦- شاهد على العصر: قال المؤلف: ليس هناك أبلغ من شهادة الأمير خالد الفيصل على ما حصل من تغير في القرى الجنوبية ، وغيرها من القرى ، فهو بما يمثله من موقع القيادة والريادة ، والمكانة والرؤية ، والمعرفة والثقافة ، والمشاهدة والمتابعة

---

(١) سورة الإسراء ، آية (٩) . (ابن معبِّر) .

(٢) سورة النحل ، آية (٨٩) . (ابن معبِّر) . هذه الأطروحات التي يطرحها علي بن موسى مذكورة ومنشورة في كثير من الكتب والدراسات التي أصدرها بعض المعجبين بحياة العالم الجديدة من حداثة وغيرها ، وللأسف أن بعضهم من أبنائنا وإخواننا وممن يعيش بين ظهرانينا . (ابن جريس) .

(٣) هذا هو رأيك يا ابن معبِّر لأنك درست القرآن والسنة وتسعى للتمسك بما ورد فيهما ، ولم تغزك (عقدة الخواجة) فتنبهر وتقلد كل غث وسمين جاء من الشرق والغرب. وأنا والأستاذ علي بن موسى ومن هو على شاكلتنا ذهبنا إلى بلدان بني الأصفر وغيرهم فأصابنا الذهول والإعجاب بكل ما يمارسون ويعملون ، ومن ثم عدنا إلى أهلنا وأقوامنا نقول لهم إنكم متخلفون إنكم رجعيون ، انظروا إلى أولئك الأقوام الذين صنعوا الطائرة والقطار والجوال وغيرها ، وحتى تكونوا أمثالهم اسلكوا مسالكهم وقلدوا حياتهم في ألبستكم وأشربتكم وأطعمتكم ، وفي أقوالكم وأفعالكم ، ومعاملاتكم ، وإن فعلتم ذلك فسوف تكونوا شعوباً متقدمة متحضرة. هذا هو خلاصة ما نسعى تحقيقه يا بعض من سافرنا وسرنا وتعلمنا في معاهد وجامعات ومراكز العوالم الغربية والشرقية . (ابن جريس) .

(٤) سورة الجاثية ، آية (١٨) . (ابن معبِّر) .

(٥) صحيح البخاري ، الحديث رقم (٢٦٩٧) (ابن معبِّر) .

(٦) صحيح البخاري ، الحديث رقم (٥٠٦٣) . صحيح مسلم ، الحديث رقم (١٤٠١) . (ابن معبِّر) .

(٧) كل ما ذكرت أو استشهدت به يا ابن معبِّر لم نعد نراه يصلح لزماننا ، إننا درسنا علوم الغرب ولغاتهم ، وعشنا في بلدانهم سنوات عديدة وهذا مما يجعلنا أفضل حالاً وفكراً من الذين يؤمنون ويعتقدون بما نقول ونورد من براهين . يا سبحان الله ، اللهم لا تفتنا في ديننا ، اللهم لا تحرفنا عن الصواب والجادة . إن من يقرأ تاريخ الأمم وبخاصة التي عاصرت الرسل السابقين لعهد الإسلام ، أو منذ نزول القرآن الكريم على الرسول الكريم (ﷺ) فسوف يجد مئات الأمثلة من الذين ضلوا الطريق ، وتنكبوا طريق الشيطان ، والنظر إلى مصادر الوحي أنها رجعية ولم تعد تصلح ، وكثير من هذه الأمثلة ، وما يطرحه ابن موسى ليس إلا حجر صغير في بحر متلاطم الأمواج ، وجميعها تحارب الإسلام وما جاء به القرآن الكريم. (ابن جريس) .

اليوميـة ، أكـثر صدقية وقدرة على نقـد الواقع ، وإلماماً بحجم التغـير الذي طرأ . كما أنـه - أيضـاً – أقدر من غيره على تقدير الضرر من التغـير غير المحسوب الذي يمكن أن يحـدث في ظل متغيرات داخلية وخارجيـة لا يدركها البعض ، لقلة علمهم ومعرفتهم واطلاعهـم. ليس هـذا فحسب ، بل إن المدة التـي قضاها حاكماً لمنطقـة عسير ، ومن مشاهداتـه ومتابعتـه اليومية على مـر سبعة وثلاثين عاماً لقضايـا المنطقة كافة تجعله الأقـدر والأحق بأن ينقـد ويحكم على نوعية التغير الذي حصـل ، وقد لخص هواجسه ورؤيتـه لما حصل من تغير فقال[1] : " قد يعتقـد البعض أن هذا الهوى الرفيع بيني وبين عسير يرجع إلى الطبيعة الخلابة ، والجو البديع ، بيد أن المرجعية الأساسية لهذا الحب والإعجاب إلى حـد الانبهـار - كانـت ولا تـزال - إلى إنسان عسـير : دينه وخلقـه وإبداعه ، ثم حبـه للحياة . وممارستهـا بتلك البهجة العسيرية الجميلـة المميزة . هذا الإنسان المشهـور بالأصالة والشجاعة والكـرم ، يتمتع بروح جميلة فريدة في استقباله لـك بالترحيب: ((ارحبو)) ، ((مرحباً ألف)) مفردات عسيرية تنطلق بها الحناجر ، وتخفق لها القلوب ، وتستبشر بها الوجوه ، وترتاح النفوس إشراقـة وبهجـة ، وبسمة عريضة فـوق الشفاه .. وأشعـار وأهازيج ، والعرضـات التي تقام في كل المناسبات والأفراح والحفلات . للصوت غناء وطرب ، ولقرع الطبول والدفوف إيقاع ورقصة حياة وسعادة . وحين كنت أقود سيارتي في طرق ترابية في جبال عسير ، كانت تستوقفني مشاهد الجمال في كل مـا حـولي : الطبيعـة – المنـاخ .. وفي الإنسان ، وأنـا أرى الأسرة العسيريـة: الرجل والمرأة والطفـل يعملـون في الحقـول على قلب واحـد ، وبروح جماعيـة .. وتقوم العلاقة بـين الأسرة على الأخوة والأمان والنخوة ، والأخلاق النبيلة ، لباسهم تلك الثياب الزاهية بألوانها الجميلة : الأبيض والأحمر والأخضر ، وذلك المنديل الأصفر و ((الطفشة)) فوق الرأس للحماية من الشمس)[2] .
قلت : شهادة الأمير تخص منطقة عسير جملة وتفصيلاً ، وليس كلّ الجنوب[3] .

---

(١) لا نعارضك يا أستاذ علي في كل ما ذكرت فالأمير خالد عاش في المنطقة الجنوبية حاكماً ومخططاً ومسؤولاً حوالي أربعة عقود ، وبالتالي فهو يعرف الشيء الكثير عن هذه البلاد ، لكن إذا كانت أقواله سوف تكون مثل أقوالك بأن سبب تخلفنا وتدهورنا هو النقاب أو الحجاب أو السائق فكلامكما غير صحيح ، وفيه افتراء وتجن على مجتمعكم وتاريخ وحضارة أقوامكما . (ابن جريس) .

(٢) ص ٣٣١. (ابن معبِّر).

(٣) يا ابن موسى أنت تجيد التدليس ووضع السم في العسل ، لقد قرات كثيراً من أقوالك التي لا تقوم على براهين وشواهد ذات مصداقية . ثم جئت في نهاية حديثك وتقول سوف أستشهد بأقوال الأمير خالد الفيصـل علـى الحياة في منطقة عسير ، وكنت ظننت أنك سـوف تورد أقوالاً وروايات دونها وهي تؤيد منظورك الحداثي المفلس ، إنك جعلتني أسيء الظن في هذا الأمير واقول إنه ربما طرح أطروحات ونشر أقوالا تنادي بخلع الحجاب سبب التخلف في بلادنا ، كما قلت وجاهدت من أجله . ونجدك عندئذ تورد حضارة الآباء والأجداد الرفيعة ، والتي يجب علينا يا معشر الباحثين أن ندرسها ونوثقها لأبنائنا وحفدَتنا ، ولا نقضـي زهـرة حياتنا ، كما تفعل يـا علي في نشر الفوضى والتخلي عن ثوابت الدين ، وحياة الأوائل الصالحين. (ابن جريس).

٥٧ـ الخاتمة : قال المؤلف: (قف ...تأمّل بعمق في المشهد الكبير ... ثم قلْ : لا ، وكررها بصوت عالٍ لا ، ولو لمرة واحدة . إنْهر فيها نفسك قبل أن تقول لها : نعم ملايين المرات ، اقمع شهواتك وغرائزك ، قلْ : لا إذا أردت أن تتعلم وتفهم وتستوعب ، وتعمل وتنتج وتبدع وتنطق وتتقدم .كُنْ صادقاً مع نفسك .قُلْ : لا للجهل والغرور والكبرياء .قُلْ : نعم ملايين المرات ، للعلم والمعرفة والتعليم والحوار والنقاش والابتكار ولاختراع والتصنيع ، مهما طال بك السفر إليه لتحرر نفسك من الجهل ومن التعصب وقصر النظر ، ولتعرف الحقوق والواجبات لك ولغيرك ، ولتفهم دورك في الحياة .وهنا نقول : أما بعد ، فألف يوم ويوم ، وألف ليلة وليلة في الجنوب أكثر من أي ألف يوم وليلة في سواها . إنها قفزة بين زمانين، وعالمين وثقافتين ، وجيلين وقريتين ، وتفكيرين ومذهبين وإنسانين... نعم كان يوماً طويلاً ، وليلاً أطول على من يقرأ هذه القصة الحقيقية لمجتمع يتصارع مع نفسه ، وفوق أرضه . بل إنها حقيقة العالم بكل قراه ومجتمعاته وأفراده يتنازع بعضهم بعضاً... وحتى يكون الفرق واضحاً بين البداية وبين النهاية ، بين فجر قديم ، وفجر جديد ، يأبى المؤذن إلا أن يُعيدنا لنقطة البداية ، إلى أذان الفجر مرة أخرى[1] .لم يعد الأذان هو الأذان ، ولم تعد الآذان هي الآذان ، ولم يعد الرجال هم الرجال ، ولا النساء هن النساء ، ولم تعد القرى هي القرى ، بالرغم من مكبرات الصوت ، ومن ارتفاع المآذن . حتى والأذان في جوالاتنا ، وفي ساعاتنا ، يؤذن الفجر والظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء ، فلم نعد نسمعه ! فهل تسمعني أنت ؟ إنني لا أسمع نفسي من الزحام ، من الفوضى ، من العبث ، من الضجيج بل لم نعد نرى أجسادنا ، ولا ننظر في أنفسنا ، بالرغم من أننا عراة بملابسنا . ولم نعد نتحدث بلغتنا ، ولم يعد يفهم أهل القرى بعضهم بعضاً إلا بلغة أخرى . وقبل الختام [**وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)**] وإذا كان الإنسان هو موضوع الصراع والنقاش والحوار ، فإن جميع الناس معنيون بالحوار والنقاش ، وتبادل وجهات النظر ، والمصالح المشتركة، والاحترام المتبادل الذي يجب أن يبادر به الجميع تجاه بعضهم البعض ، مهما اختلفت مجتمعاتهم وثقافاتهم وطرق عيشهم ومصالحهم ، وبما يضمن حقوق بعضهم على بعض . وخاصة أن الجميع سواسية أمام من خلقهم، فهو أعلم بهم من أنفسهم . قال تعالى [**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**]

---

(١) أورد المؤلف بعد هذا ألفاظ أذان الفجر في خمسة عشر سطراً. (ابن معبِّر).

(سورة الحجرات ، الآية ١٣) . وأخيراً ، أستغفر الله ، فسوف أصوم عن الكلام مثلما صامت مريم خير نساء العالمين عندما وضعت نبي الله عيسى . عليهما جميعاً السلام . حتى لا ترد على من لا يستطيع عقله وفكره وعلمه أن يمكنه من فهم القصة الحقيقية . وأترك لكم الكلام...) [(١)].

قلت : قول المؤلف : (قُلْ : نعم ملايين المَرّات ، للعلم ...) يحمل دلالة الاتهام لأهل الجنوب بالجهل والتّعصب وقصر النظر ، كما يحمل الدلالة على قصور الشريعة الإسلامية في إبلاغ الحقوق والواجبات . نعم ؛ أهل الجنوب السعودي من الجاهلين للحداثة الفكرية ، ومن المتعصبين ضدها ، ومن قصيري النظر في التعامل معها ، لأنهم يسيرون في نور ربهم جَلّ في عُلاه الذي قال : [**قَدْ جَاءَكُم مِنَ اللَّه نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ**] [(٢)]. ويفهمون دورهم في الحياة بفهمهم لقوله تعالى : [**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون**] [(٣)]، ويعرفون الحقوق والواجبات من خلال اتباعهم لما أمرهم الله تعالى به ، واجتناب ما نهاهم عنه ، ولا محال للحوار والنقاش مع الطّاعة لله تعالى الذي خاطبهم بقوله : [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّه وَرَسُولَهُ**] [(٤)]، وإلى جانب ذلك يفهمون التوازن والاعتدال من قوله تعالى : [**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّه الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**] [(٥)]، وقال المؤلف

---

(١) ص ٣٣٥. (ابن معبِّر) . بعد قراءة ما سرده ابن موسى أقول إن بعضاً مما ذكر صحيح ، فالواجب على الجميع التفكير في كل صالح مفيد يعود على الفرد والجماعة بالخير العميم . وهذا نداء وضحه الشارع الحكيم في القرآن الكريم وقاله وفعله الرسول الكريم (ﷺ) . وأقول أيضاً إن أطروحات أخرى لعلي بن موسى لا تخلو من الخلط والتخبط ، وأجد أحياناً من بعض أقواله إن عنده عقدة نفسية تجاه وطنه ومجتمعه، وليس الأستاذ على الوحيد الذي عنده مثل هذه المشكلة ، وإنما رأيت في حياتي العلمية والعملية أمثاله كثيرا فمنهم من يعبر عن ذلك في اللقاءات والمجالس مشافهة ، ومنهم من يكتب آراءه ووجهات نظره على صفحات الجرائد والمجلات والكتب والآن في مواقع الشبكة العنكبوتية . وما يفعله هؤلاء ليس جديداً لأنه سبقهم آلاف البشر من الكتاب والمنظرين وحتى العامة . ونقول لهؤلاء جميعاً إن عندنا شريعة وسطية ولن نحيد عنها بإذن الله تعالى ، وأن قصرنا فالله يتولانا برعايته . (ابن جريس) .

(٢) سورة المائدة ، آية (١٥) . (ابن معبِّر) .

(٣) سورة الذاريات ، آية (٥٦) . (ابن معبِّر) .

(٤) سورة الأنفال ، آية (٢٠) . (ابن معبِّر) .

(٥) سورة القصص ، آية (٧٧) . (ابن معبِّر) . لا ننكر يا ابن معبِّر أن مجتمعنا في الجنوب مثل غيره من المجتمعات فيه كثير من الأخطاء والعيوب ، ومصادر التشريع رسمت لنا ولغيرنا طريق الحياة الطيبة المستقيمة والواجب علينا جميعاً أنا وأنت وعلي بن موسى وجميع المسلمين أن نهتدي بهدي الآيات القرآنية والسنة النبوية ، وأن لا نكون معاول هدم لأهلنا وبلادنا ، نحن من معاشر المثقفين والمتعلمين ، والواجب على الجميع أن يسخروا علومهم ومعارفهم للبناء والرفعة للدين أولاً ثم للأهل والوطن ، هذا الذي يتوجب على الجميع ، ولا نتوقف عند التنظير ونقول إن الشعب الفلاني جاهل ، أو أن المنطقة الفلانية متخلفة ، وإنما المفروض أن نسأل أنفسنا ، ونقول ما هو دورنا للإصلاح وإفادة غيرنا ، على أن يكون منطلقنا في جميع أعمالنا هو كتاب ربنا وسنة نبينا محمد (ﷺ) . (ابن جريس) .

: (لم يعـد الأذان ...) وهـذا من التهويمـات اللّفظية التي لا مدلـول لها ، فالله تعالى تعبّدنـا إلى قيـام الساعة ، فالأذان هو الأذان منذ شرعـه الله تعالى ، فقد قال تعالى: [**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**] [1] ، ولم يقل سبحانـه بأن ذلك سيتغير في عصـر الحداثـة. والمؤلف بقوله السابق يرسم صورة قاتمـة لمجتمع الجنوب السعودي، وقـد أحـاط بهذه الصـورة اليأس والقنوط والتشـاؤم ، وكأنّه يتحـدى رحمةً الله تعالى بعبـاده حيـث قال تعالى: [**وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**][2]، وقال تعالى: [**وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ**][3].

رابعاً: المراجع:

١. **أدلّة التشريع المختلف في الاحتجاج بها** .د. عبد العزيز بن عبد الرحمن بن علي الربيعة (ط٢ : ١٤٠٢هـ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة) .

٢. **تاريخ الفكر الأوربي الحديث**.رونالد سترومبرج، ترجمـة: أحمد الشيباني. (ط١: ١٤٠٥هـ، جدة ، مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر .

٣. **تاريخ الفلسفة الحديثة** ، يوسف كرم ، ط : د.ت ، بيروت ، دار القلم .

٤. **تعاشيب اللغة في منطقة عسير**، محمـد بن أحمد مُعَبِّر، طبـع ضمن كتاب: (القـول المكتوب في تاريخ الجنوب) .د. غيثان بن علي جريس ،(ط١ : ١٤٣٧هـ ، الرياض، مطابع الحميضي ، جـ١٠ ، ص ص ٢١١ – ٢٧٦) .

٥. **تنزيـه الشريعة المرفوعة عن الأخبـار الشنيعة الموضوعة**.أبو الحسن علي بـن محمد بن عرَاق الكناني (ت٩٦٣هـ) (ط : ١٣٩٩هـ ، بيروت ، دار الكتب العلمية) .

٦. **الحجاب في الشّرع والفطرة**، بين الدليل والقول الدخيل. عبد العزيز بن مرزوق الطريفي. (ط٢ : ١٤٣٦هـ ، الرياض ، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع) .

---

(١) سورة الذاريات ، آية (٥٦) . (ابن معبِّر).

(٢) سورة يوسف ، آية (٨٧) . (ابن معبِّر).

(٣) سورة الحجر ، آية (٥٦) . (ابن معبِّر) . اللهم يا عزيز يا جبار ثبتنا على دين نبينا محمد بن عبد الله (عليه أفضـل الصـلاة والسلام) ، واجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، آمين يارب العالمين . (ابن جريس).

٧. **الحداثة في ميزان الإسلام.** عوض بن محمد القرني، تقديم: عبد العزيز بن عبد الله بن باز. (ط١: ١٤٠٨هـ ، القاهرة ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان) .

٨. **رحلة ابن جبير.** أبو الحسن محمد بن أحمد بن جُبَير (ت٦١٤هـ) ،(ط:١٣٩٩هـ، بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر) .

٩. **سلسلة الأحاديث الضعيفة،** محمد ناصر الدين الألباني ،(ط: بيروت ، المكتب الإسلامي) .

١٠. **صحيح البخاري .** (ط : بيروت ، دار الجيل) .

١١. **صحيح مسلم .** (ط : بيروت) .

١٢. **صِدْق (البرمجة الإسلامية للحياة)**، محمد بن أحمد مُعَبِّر، (مُعَدٌّ للطبع) .

١٣. **علي بن أبي طالب:** شِعْره وحِكَمه، أحمد تيمور، (ط١: ١٣٧٨هـ، القاهرة ، لجنة نشر المؤلفات التيمورية) .

١٤. **الفقه الإسلامي:** أهميته والعناية بمصادره وأهله ، د. عبد الله بن عبد المحسن التركي(ط١: ١٤٢٧هـ ، الرياض) ، (كتيب المجلة العربية – ١١٨) .

١٥. **الكامل في ضعفاء الرجال،** أبو أحمد عبد الله بن عدي، (ط: ١٤٠٥هـ ، بيروت، دار الفكر) .

١٦. **اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة،** جلال الدين عبد الرحمن السيوطي(ت٩١١هـ) (ط : د.ت ، بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر) .

١٧. **لسان العرب،** أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور،(ط:د.ت، بيروت، دار صادر) .

١٨. **لمحات في الثقافة الإسلامية،** عمر عودة الخطيب، (ط٢: ١٣٩٧هـ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة) .

١٩. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،** نور الدين الهيثمي، (ط: ب١٣٥٢هـ ، القاهرة ، مكتبة القدسي) .

٢٠. **محجّة القُرب إلى محبّة العرب**، أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت٨٠٦هـ) تحقيق : عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزّير آل حمد (ط١: ١٤٢٠هـ، الرياض ،دار العاصمة) .

٢١. **مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة.** محمد بن عبد الباقي الزرقاني (ت١١٢٢هـ) .تحقيق : د. محمد بن لطفي الصبّاغ (ط : ١٤٠١هـ ، الرياض ، مكتب التربية العربي لدول الخليج) .

٢٢. **المصقول في علم الأصول**، محمد جلي زاده الكويي، تحقيق : عبد الرزاق بيمار، (ط١:١٤٠١هـ ، بغداد ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية .

٢٣. **مع الفارابي والمدن الفاضلة**، فاروق سعد ،(ط١: ١٤٠٢هـ، بيروت، القاهرة، دار الشروق .

٢٤. **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ط : بيروت ، دار المعرفة .

ثالثا : وقفة تصويب وتوضيح على نسب ومكان الحجر بن الهنوء وسلامان ميدعان . بقلم . أ . محمد بن علي بن محمد آل مسلم الشهري [١] .

م	الموضوع	الصفحة
أولاً :	مدخل	٤٣٠
ثانياً :	الحجر بن الهنوء وسلامان ميدعان	٤٣١
ثالثا :	خلاصة القول	٤٣٩

مدخل :

الحجر بن الهنوء وسلامان ميدعان من سلالة قبائل الأزد اليمنية . وبلاد الحجر في الجنوب السعودي اليوم تنضوي تحت مظلتها أربع قبائل معاصرة هي: بنو شهر ، وبنو عمر ، وبللسمر ، وبللحمر ، وتستوطن أرضها الحالية منذ عصور ما قبل الإسلام ، أشارت إليها كثير من كتب الأنساب والتراث الإسلامي الأخرى ، وأطلق على أهلها ومن جاورهم من الشمال (أزد السراة) [٢] ، أو السرو ، أو السرويون [٣] ، والبلاد الممتدة من شمال مدينة أبها إلى الطائف، وبلاد الحجر تقع في طرفها الجنوبي تستحق أن يفرد لها العديد من البحوث العلمية الموثقة ، ونأمل أن نرى من أبنائها من المؤرخين الجادين من يدرس أوضاعها التاريخية والحضارية عبر عصور التاريخ [٤] ، وفي الصفحات التالية نعرض مشاركة أحد الباحثين المجتهدين الذي دون ورقات مختصرة في سلامان ميدعان والحجر بن الهنوء الأزدي [٥] .

---

(١) انظر ترجمته في عنصر المدخل المدون في بدايات هذا القسم (ابن جريس) .

(٢) أزد السراة تطلق على القبائل الموجودة في جبال السروات ، من قبيلة بللحمر الحجرية جنوباً إلى قبيلة زهران شمالاً . (ابن جريس) .

(٣) للمزيد انظر: بعض الكتب التراثية مثل: أخبار مكة للأزرقي ، ومعجم ما استعجم للبكري ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي ، ورحلتي ابن جبير وابن بطوطة ، وتاريخ المستبصر لابن المجاور وغيرها . (ابن جريس).

(٤) للمزيد من التفصيلات انظر غيثان بن جريس . بلاد بني شهر وبني عمرر (الطبعة الثالثة) ، وأيضاً دراسات في تاريخ تهامة والسراة (ق١-ق١٠هـ/ق٧-ق١٦م) حوالي ألف صفحة. وانظر بحوثاً عديدة عن هذه السروات في سلسلة كتاب: (القول المكتوب في تاريخ الجنوب . (١١) جزءاً .(ابن جريس).

(٥) أوردنا هذه المشاركة لعدة أسباب هي : (١) أنها لا تخلو من معلومات علمية مستقاة من بعض المصادر الأساسية (٢) تشجيع هذا الباحث الذي لا يخلو طرحه من لمسات علمية موثقة، ونأمل أن يطور مهاراته في القراءة والبحث، وإن فعل ذلك فسيكون له نصيب حسن في ميدان التاريخ والحضارة. (٣) نرجو أن نرى شباباً آخرين يقتدون بهذا الشاب في دراسة موروث آبائهم وأجدادهم وبلادهم التي هي في حاجتهم وحاجة كل شاب صالح يقدم النفع والخير لأهله وبلاده. (ابن جريس) .

ثانياً: الحجر بن الهنو وسلامان ميدعان:

اطلعت على بعض مؤلفات الدكتور عمر بن غرامة العمروي، ومن ضمنها كتاب: قبائل إقليم عسير[١]، وقرأت رد الأستاذ مسفر بن محمد الشرايف، وتعقيباته على كتاب العمروي المنشورة في "مجلة العرب" و "صحيفة الرياض"[٢]، وقرأت واستمعت أيضاً إلى كثير من التعليقات الهامة، التي تصب في مصلحة البحث العلمي، وتُصحح بعض الأخطاء[٣]، ثم قمت بتسجيلها وتفنيد بعضها والزيادة عليها، ورجعت إلى كثير من المصادر والمراجع المطبوعة والمخطوطة، أو تفنيد كل ما كتبه العمروي أو الشرايف وإنما اكتفيت بتوضيح وتصحيح بعض النقاط[٤]، وهي على النحو التالي:

أولاً: وهم الكثير في تحديد "حجر الأزد" حتى ظن البعض أن المقصود به "الحجر ابن عمران" دون غيره! والصحيح أن هناك أيضاً من أبناء "الأزد" من يدخل في "حجر الأزد" وهو "الحجر بن الهنوء الأزدي"، قال ابن الكلبي (المتوفى: ٢٠٤هـ): (ولد الهنو بن الأزد.. الحَجْر بطن) [جمهرة النسب، ص ٢٥٧؛ ونسب معد، ص ١٨٨]. وقال الهمداني (المتوفى: ٣٣٤هـ تقريباً): (سراة الحجر بن الهنو ابن الأزد ومدنها الجهو ومنها تنومة والشرع من باحان..) [صفة جزيرة العرب، ص ٢٣١][٥]، ونجد الرشاطي الأندلسي (المتوفى: ٥٤٢هـ) يفرق بينهما. ومما ينبغي الإشارة إليه وتوضيحه عن قبائل "رجال الحجر" الحالية، أن ابن الكلبي ذكر من أبناء "ربيعة بن الأواس بن الحجر بن الهنوء بن الأزد" الأخوين "شهراً" و "عمراً"، وأتى من بعده الحسن الهمداني، وأبو علي الهجري (المتوفى: ٣٠٠هـ تقريباً)، فذكر "شهراً" مرة أخرى بصورة أوسع، وبخاصة عند لسان اليمن الهمداني، ودون ذكر لأخيه "عمرو"! كما أضاف لنا الهمداني في

---

(١) هذا الكتاب صدر في جزئين من نادي أبها الأدبي عام (١٤١١هـ/١٩٩٠م)، وهو جهد يشكر عليه صاحبه، لكن يعتريه العديد من الأخطاء العلمية، وقد صدر عنه عدة دراسات نقدية، ونأمل من الأستاذ العمروي أن يعيد النظر في تلك الانتقادات ويأخذ بالمفيد منها ثم يعيد طباعته ونشره. وللمزيد انظر: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م)، الجزء الثامن، ص ٢٩٥-٣٣٦. (ابن جريس).

(٢) لم أطلع على هذه التعليقات، وكان على الباحث أن يذكر عناوين تلك التعليقات وملخصها. (ابن جريس).

(٣) أذكر أمثلة من هذه التعليقات الأخرى التي اطلعت عليها، وإذا كان المتن لا يتسع لذكرها أوردها في الحاشية. (ابن جريس).

(٤) هذا جهد جيد منك، ونأمل أن تطور اهتماماتك وقراءاتك العلمية والبحثية. (ابن جريس).

(٥) منذ زمن وأنا أنادي في الباحثين الجادين أن يدرسوا كتاب: صفة جزيرة العرب للهمداني، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً فيتخذه عنواناً لأطروحته لدرجة الماجستير أو الدكتوراه. (ابن جريس).

كتابه " صفة جزيرة العرب" اسم " الأسمر" ، كأول ظهور له في القرن الرابع الهجري، وحسب اطلاعي لم أجد من ذكرهم غيره ، وربما كان السبب أن الهمداني مر بسروات الحجر ، وأيضاً اطلع على مصادر تذكر ذلك .وكما هو معلوم أن ابن الكلبي والهمداني والهجري عاشوا جميعهم في القرون الهجرية الأولى ، ويدل ذلك على قدم هذه القبائل، ولم تكن قد تشكلت بصورة مستقلة كما هو الآن ، وكما قرأنا عنها في القرون الماضية المتأخرة[١] .

ثانياً: خلط الكثير بين أعلام " الحجر بن الهنوء " و" الحجر بن عمران " ، وللتفريق بينهما ينبغي معرفة الآتي " (أ) قبل ظهور الإسلام كان أغلب " الحجر بن عمران " يسكنون بلاد عُمان ، وفي ذلك يقول الصحاري العوتبي (المتوفى: في القرن الخامس الهجري تقريباً) : (أول من خرج من الأزد إلى عمان، ولحق مالك بن فهم، عمران بن عمرو بن عامر ماء السماء وخرج معه ابناه الحجر والأسد" [الأنساب ، ص ٧١١/٢] ؛ وكان من أعلامهم في العصر الجاهلي ، الشاعران المطرب بن مالك بن عنزة بن هداد بن زيد مناة من الحجر ، وابن عمه هداد بن عمرو، ولهما قصة ذكرها الهمداني في إكليله[٢] ، أما "الحجر بن الهنوء" فقد كان أغلبهم يسكنون بلاد السراة الواقعة بين مكة وصنعاء، قال الهمداني : " أما من سكن السروات فالحجر بن الهنوء" [صفة جزيرة العرب، ص ٣٣٠] ، ومن أعلامهم في العصر الجاهلي ، مالك ابن الأدرم بن الحارث بن ربيعة ابن الأواس الحجري الأزدي، وابنه الشاعر الفتاك الشنفرى بن مالك الأزدي صاحب " لامية العرب"[٣]، (ب) بعد الفتوحات الإسلامية انتقل أغلب " الحجر بن عمران " إلى بلاد العراق، قال ابن دريد (المتوفى : ٣٢١هـ): (من رجال الحجر بن عمران .. سود [منهم] طاحية بن سود وزياد وعلي وعبد الله وإياد .. ومنهم بنو علي بن سود ، لهم

---

(١) هذه القبائل الأربع (بنو شهر ، وبنو عمرو ، وبللسمر ، وبللحمر) لم تنل حقها من البحث والدراسة ، وبخاصة في أنسابها وهجرتها من أوطانها الرئيسية واستقرارها في أرض السروات،وكذلك أحداثها التاريخية قبل الإسلام وبعده ،وأحوالها الإدارية والعسكرية وغيرها من الجوانب الحضارية ،ونأمل أن نرى من طلابنا في برامج الدراسات العليا (أقسام التاريخ) من يدرس هذه البلاد وسكانها وما جاورها من بلاد تهامة والسراة الممتد من حواضر اليمن الرئيسية إلى أرض الطائف ومكة المكرمة . (ابن جريس) .

(٢) الكثير من سكان عمان اليوم هم من الأزد ومن قبائل عربية يمنية أخرى ، وهناك بعض الرسائل العلمية والكتب والبحوث التي صدرت خلال العقود الماضية المتأخرة ، وكثير منها يناقش فروع الأزد التي هاجرت من بلدان عديدة في جنوب الجزيرة العربية إلى عمان وبلدان أخرى مثل الشام، ومصر ، والعراق، وبلاد فارس ، وشمال إفريقيا ، والأندلس ، وخراسان وغيرها . (ابن جريس) .

(٣) مازال الحجريون يستوطنون بلاد السراة الممتدة من شمال أبها إلى سروات بلقرن وشمران وخثعم ، ويطلق عليهم حتى الآن (بلاد رجال الحجر) . (ابن جريس) .

خطـة بالبصرة وحوض)[الاشتقـاق ، ص ٤٨٤] ، وقال السمعاني (المتوفى: ٥٦٢هـ) : (طاحية وهي محلة بالبصرة هكذا ذكر لي شيخنا أبو محمد جابر بن محمد الأنصاري الحافـظ في البصرة ، قلـت : وطاحية قبيلة من الأزد نزلت هذه المحلة فنسبت إليهم .. [منهـم] نافع بن خالـد) [الأنساب، ج٨/ص ١٦٩]. وأما هجرات قبائل "الحجر بن الهنـوء" ، فقـد خرج جزء كبير منهـم إلى الجهات الغربية من جزيـرة العرب ، وكانت أغلب خططهم في بلاد مصر، قال ابن عبد الحكم (المتوفى: ٢٥٧هـ) في خطط الجيزة: (طائفـة من الحجر، منهم [الصحابي] علقمة بن جنادة أحد بني مالك بن الحجر) [فتوح مصر والمغرب ، ص ١٧٦] ، وقال ابن دقماق (المتوفى : ٨٠٩هـ): لما رجع [عمروٍ بـن العاصـ] مـن الإسكندرية ونزل الفسطـاط جعل طائفة من جيشـه بالجيزة خوفاً مـن عـدو يغشاهم .. وجعـل فيها طائفة مـن الأزديين من الحجر بن الهنـو بن الأزد) [الانتصار ، ج٤/ ص ١٢٦] [1]، (ج) مما سبق يتضح أن أغلب أعلام "حجر الأزد" في مصـر، هم من (الحجـر بن الهنوء بن الأزد) ، ومما يزيد اليقين في ذلك ، ذكر بعض مؤرخي مصر بعضاً من بطونهم ، التي دونتها كتب الأنساب ، ولعل أشهرها[2] .

١- "**بنـو مالـك**" ، وكان استقرارهم في مدينة الجيزة : ومنهم أحد مؤسسيها ، قال ابـن عبد الحكم فيمن اختط بالجيزة: (طائفة من الحجر منهم [الصحابي] علقمة بـن جنـادة أحد بني مالك بن الحجر) [فتوح مصـر والمغرب ، ص ١٧٦] ، و" مالك " هذا ذكره ابن الكلبي والهمداني في مواضع مختلفة ، فمنهم " مالك بن كعب" و " مالك بن الأواس". قال الصحاري العوتبي : (من الأوس بن حجر : علقمة ...) [الأنساب ، صـ٢/٥١٧] ، والصحيح كما عند ابن الكلبي وغيره " الأواس " ، وهناك أيضاً " مالك

---

(١) قبائـل شبـه الجزيرة العربية لهم دور بارز في نشر الإسلام في أصقـاع العالم الإسلامي ، وهناك كتب ورسائـل علميـةٍ حديثة ناقشت هذا الجانـب. وقبائل تهامة والسـروات الممتدة من اليمـن إلى الحجاز ساهمـت أيضـا في المـد الإسلامي الذي وصـل إلى الأندلس ، وإلى جنـوب شرق آسيـا ، وإلى تركستان وجمهوريـات روسيـا الإسلامية.وهذا الموضوع لم يعـط حقه في البحث والدراسـة ، ونأمل من الباحثين الجاديـن في هذه البـلاد أو في المؤسسات والجامعـات العلمية أن يتولوا هذا البـاب بالبحث والتأصيل. للمزيد انظر: غيثان بن علي بن جريس "دور أهل تهامة والسراة في ميادين الفتوحات الإسلامية المبكرة في صـدر الإسـلام" بحث منشور في كتاب: دراسات في تاريخ تهامـة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكـرة والوسيطة (ق١-ق ١٠هـ / ق٧-ق١٦م) (الرياض: مكتبة العبيكان ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) . الجزء الأول ، ص٥٥-٩٢. (ابن جريس) .

(٢) حبـذا أن نـراك أيها الباحث أو غيرك من الباحثين الجادين فيدرس لنا حياة وتراجم ومشاهير رجال الحجر بن الهنـوء الذين عاشوا في القرون الإسلاميـة الثلاثة الأولى . وكتب التراث والتراجم تشتمل على الكثير منهم (ابن جريس) .

بن ربيعة بن الأواس" ، وجميعهم يعودون نسباً إلى " الحجر بن الهنوء " [١] .

٢- "بنو عامر" ذكرهم ابن يونس (المتوفى: ٣٤٧هـ) في تاريخه ، وذكر أحد رؤسائهم الفاتحين وهو : [الصحابي] عبيدة بن عبد الله الأزدي الحجري من بني عامر بن الحجر شهد فتح مصر) [تاريخ المصريين ، ج١ / ص٣٣٤] ، وقال الهمداني في كتابه الجغرافي أن : (الأشجان قرية كبيرة ليس في السراة قرية أكبر منها بعد الجهوة سكانها بنوعبد من بني عامر بن الحجر) [٢] ، [صفة جزيرة العرب ، ص ٢٣٤] ، وكان لهم ذكر استمر حتى القرن الخامس الهجري ، وكان من أعلامهم من التابعين سعيد بن بشر بن مروان، روى عنه الطحاوي الحجري، وعبد الغني بن سعيد الأزدي الحجري العامري وغيرهم، وفي قبائل "بنو شهر" حالياً يوجد قبيل ضخم يسمون بـ " العوامر" ، مازال أغلبهم في مواقعهم التي ذكرها الهمداني ، وهم على قسمين عوامر السراة ، وعوامر تهامة الذين قال عنهم الهمداني : (خاط وسكانه بنو عامر الغورية من الحجر) [٣] ، [صفة جزيرة العرب ، ص ٣٣٥] ، وحالياً يسكنون قرى خاط، وهناك من الباحثين من أضاف إليهم أثرب وثربان ، وقد خالفهم بعض الباحثين في ثربان، وسيأتي ذكرهم في سلامان، والمؤكد أن بين هذه القبائل تحالفات سارية مفعولها إلى وقتنا الحاضر ، ومعلوم أن الحلف في بعض الأحيان يطغى على النسب [٤] .!.

٣- "بنو كعب" ذكرهم المقريزي (المتوفى : ٨٤٥هـ) في خططه حيث قال :

---

(١) أحسنت يا صاحب هذه الطرح ، وحبذا أن تتوسع مستقبلاً في سردك وتحليلاتك العلمية التاريخية ، وأشد على يدك أيضاً وأقول: ضاعف جهودك في دراسة موضوعات تاريخية وحضارية لم تُدرس في بلدات سروات الحجر وغيرها من بلاد السراة الممتدة من الحجاز إلى اليمن ، وهذه الأوطان تستحق الكثير من أبنائها الباحثين المجتهدين . (ابن جريس) .

(٢) هناك مواضع كثيرة في أرض تهامة والسراة لها ذكر وتاريخ منذ عصور ما قبل الإسلام ، وعلى الباحثين والمؤرخين والآثاريين الجادين دراستها دراسة علمية أكاديمية بعيدة عن العنصرية والتعصب . وهذه أرض الجهوة من الأمكنة التي أشار إليها بعض الدارسين ، فأخرجوا دراسات عنها ، لكن ، وللأسف ، كثير من هذه البحوث التي صدرت يغلب عليها التعصب ، حتى أن أهل البلاد أنفسهم أصبحوا في حيرة من موقع الجهوة هل هي في بلدة النماص ؟ أم في أرض حلباء؟ أم في ديار تنومة ؟ ومازلنا حتى اليوم نشاهد قرية الجهوة في مكانها الواقع ضمن أرض عشيرة بني بكر الواقعة في محيط بلدة النماص . (ابن جريس) .

(٣) المعروف اليوم أن معظم سكان حاضرة خاط التهامية من قبيلة بني عمرو الأزدية ، وعشائر العوامر التهامية يتناثرون في أمكنة عديدة من تهامة بني شهر . (ابن جريس) .

(٤) هذه البلدات والتفريعات العشائرية في تهامة والسراة تستحق أن يفرد لها دراسات علمية موثقة ، ونأمل من الباحثين الجادين فيها أن يقدموا بعض الدراسات التي تصب في خدمة هذه البلدان وأهلها . كما أن موضوع التحالفات العشائرية في أوطان رجال الحجر أو في بلاد تهامة والسراة من الميادين العلمية المهمة يجب الالتفات لدراستها وتوثيقها. (ابن جريس) .

(واختط بنو كعب بن مالك بن الحجر بن الهنو بن الأزد فيما بين بكيل ويافع) [المواعظ والاعتبـار ، طبعة دار الكتب المصرية ، ج١/ص ٣٨١]، والصحيح كما عند النسابة ابن الكلبي أنهم : " بنو مالك بن كعب بن الحجر" ، وبحسب ما ذكر أيضاً أن لـ " مالك بن كعـب " عـدداً من الأبناء منتشرين في بلاد الحجر ، تمتـد منازلهم من تنومة إلى بلاد " بللحمـر " تقريبـاً ، كمـا أن هنـاك حالياً في "بني عمرو" قبيلـة اسمها كعب ، أهلها يسكنون في صدر آيد وعاكسة وغيرها [١]،

(د) قديمـاً كان أغلب أعلام " الحجر بن الهنوء "ينتهي نسبهم بـ" الحجري" ، إما قبـل "الأزدي " أو بعده ، بمعنى أنهم منذ العصر الجاهلي إلى عهدنا الحاضر، مازالوا ينسبـون أنفسهم إليه ، ويسمون في وقتنا الحاضـر " رجال الحجر" ونقل لنا أبو الفرج الأصفهـاني (المتوفى : ٣٥٦هـ) [الأغاني ، ج٢١/ص ١١٨] تفاخـر الشاعر الجاهلي الشنفرى بقبيلته ، حينما خاطب فتاة " بني سلامان بن مفرح " قائلاً :

أنـا ابـن خيـار الحجـر بيتـاً ومنصبـاً وأمـي ابنـة الأحـرار لـو تعـرفينهـا[٢]

وعكس ذلك إخوانهم " الحجر بن عمران "وقد ذكر ابن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) اسم أحـد الصحابة العمانيين ، ونسبه إلى " الطاحـي " دون " الحجري" ، حيث قال: (بريح بن أسد الطاحي ، من أهل عمان ، هاجر إلى النبي ﷺ وسلم فوجده قد مات) [الإصابة في تمييز الصحابة ، ج١/ص ٦٤٠] ، ومعلوم أن "طاحية" يرجعون في نسبهم إلى "سود بن الحجر بن عمران" ، أي أن (حجر) جد لطاحية ![جمهرة النسب ، د. علي عمر ، ص٢٦٨] ، وقد وجدت في وقتنا الحاضر، قبيلة عمانية تضيف إلى نسبها الأخير " الحجري" وهم بحسب ما ذكر السيابي العماني أنهم من الأزد ، ومنازلهم في واحة بدية[٣] .

---

(١) بعض عشائر كعب العمرية تقطن أيضاً أجزاء من بلاد عمرو الشام ، ومنهم فروع أيضاً في الأجزاء التهامية والبـوادي . وكعـب أحـد الفروع الرئيسية في قبيلـة بني عمرو. وأقول إن عشائر بنـي عمرو وبني شهر وبللسمر وبللحمر المعروفة باسم (رجال الحجر) تحتاج إلى دراسة علمية موثقة تفصل الحديث عن أصولهم وتواريخهم عبر أطوار التاريخ من عصور ما قبل الإسلام حتى وقتنا الحاضر. للمزيد انظر، غيثان بن جريس. بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (١٩-٢٠م) (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) (الطبعة الثالثة) (٥٥٥صفحة) . (ابن جريس) .

(٢) نلحظ في وقتنا الحاضر ومنذ سنوات شداً وجذباً بين بعض الباحثين والدارسين في أرض السروات ، فهناك من يناقش ويجادل ويصر على أن الشنفرى من بلاد الحجر ومن أرض بني شهر تحديداً ، وهناك من يقول إنه يعود في نسبه إلى زهران. والمعروف أن زهران وبني شهر يعودون إلى جد واحد ، والذي نريد الوصول إليه هي الحقيقة المؤيدة بالبراهين والأدلة القوية. (والله من وراء القصد) . (ابن جريس) .

(٣) كمـا ذكرت سابقاً ، هناك عشرات الدراسـات والبحوث التي فصلت الحديث عن العشائر الأزدية التي هاجرت إلى عُمان وغيرها من بلدان العالم الإسلامي . وبعض من هذه البحوث جيدة في تحليلاتها وفي رجوعها إلى أمهات المصادر التراثية من علم الأنساب وغيرها . (ابن جريس) .

ثالثاً: بناءً على ما تقدم ، نستطيع القول إن العالم الجليل والمحدث الفقيه، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الحجري الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ) ، المشهور بالعقيدة الطحاوية ، علم من أعلام "الحجر بن الهنوء بن الأزد" ، وفي ذلك يقول المحدث عبد الغني بن سعيد العامري الحجري الأزدي (المتوفى: ٤٠٩هـ) : (من حجر الأزد : أبو عثمان سعيد ابن بشر بن مروان بن عبد العزيز بن مروان الأزدي الحجري ثم العامري ..) إلى أن قال : (وأبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الأزدي الحجري الفقيه " [مشتبه النسبة ، ط٧٩] والحافظ عبد الغني بن سعيد من أوائل من صنف في علم المؤتلف والمختلف في أسماء الرواة وأنسابهم ، ويعتبر أستاذاً في هذه الفن[١] .

رابعاً: يعتبر "سلامان" "بنو شهر" أحد أهم قسمي القبيلة في وقتنا الحاضر، ويقابله في الطرف الآخر حلف "بنو أثلة" واستطاع الساسة في أزمنة مختلفة استخدام عصبية "السلامانية والأثلية" في تأجيج الفتن والتعصبات الجاهلية فيما بينهم ، إلى أن وصل الأمر أن تجد في القبيلة الواحدة السلامي ! والأثلي! رغم أنهم في حقيقة الأمر إخوان من نسب واحد! على سبيل المثال: قبيلتا دحيم وبلحصين من العوامر ، "دحيم" في حلف "سلامان" و "بلحصين" في حلف "بنو أثلة" ، رغم أن كليهما من "بني عبد بن عامر بن الحجر بن الهنوء" نسباً ، أي أنه يعتبر جداً لـ " أثلة بن نصر بن ربيعة بن الأواس" ، وكما ترى فإن "سلامان" و "أثلة" بدأت بتعصبات نسبية ، وأصبحت تحالفات حزبية ! لامست نيرانها باقي قبائل "رجال الحجر"[٢]. وعوداً على "سلامان" نقول : إن "سلامان" "بنو شهر" ، ليسوا من "سلامان قضاعة" ولا من "سلامان زهران" والراجح فيهم أنهم من "سلامان ميدعان" ، هذا القبيل الذي وهم فيه الكثير من الباحثين ؟

---

(١) هناك بحوث ورسائل علمية صدرت عن المحدث والفقيه أبو جعفر الطحاوي ، ومعظم هذه الدراسات ذكرت نسبه وأصله فهو يعود إلى الحجر بن الهنوء الأزدي . وهناك أعلام كثيرون يعودون في أنسابهم إلى بلاد السراة الممتدة من الطائف حتى نجران. وهذا الموضوع يحتاج إلى من ينبري له فيدرس تراجم أولئك الأعلام خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة ، وكتب التراث مليئة بهم. (ابن جريس) .

(٢) هذه الأقوال التي نوردها ليست مقصورة على فروع بني شهر ، وإنما هي عقبة عاصرتها ومازالت تعيشها معظم القبائل العربية في الجزيرة العربية وخارجها. ومن يقرأ تاريخ الأمة الإسلامية في الشام والعراق ومصر وشمال إفريقيا والأندلس ، وبلاد المشرق الإسلامي وغيرها يجد أن كثيراً من الأمم والأحداث قامت على العصبية القبلية ، وأن التحالفات أيضاً كانت ظاهرة ومازالت موجودة حتى اليوم . بل إن من يقرأ ويشاهد الناس في وقتنا الحاضر في المملكة العربية السعودية ، أو دول الخليج ، أو اليمن ، أو بعض الدول العربية. يجد أن العنصرية القبلية مازالت حاضرة بقوة . ولا نقول إن كل ما يتعلق بأحوال وحياة القبائل شيء سيء ، فهناك جوانب حسنة وأخرى غير جيدة ، لكن عندما تتحول الأمور إلى نعرات وتعصبات فهذا مكمن الخطر ، والواجب على الجميع حكومات وأفراداً وتيارات وغيرها أن لا يوظفوا عنصريات القبائل في حياة الناس العامة، فذلك مما يفسد روح الأخوة والمحبة . (ابن جريس) .

أمـا نسـب "سلامـان ميدعان" ، فقد قـال ابن الكلبـي عن "ميدعـان" : (ولد نصـر بـن الأزد مالـكاً فولد .. ميدعـان) [جمهرة النسب ، د. علـي عمر ، ص٢٩٩]، وأمـا عـن "سلامان" فقد ذكـر أبو الفـرج الأصفهـاني : (بنو سلامان بـن مفرج بن عـوف بن ميدعـان بن مالك بـن الأزد) [الأغـاني ، ج٢١/ص١٢٨] ، وأتـى من بعده العوتبـي الصحـاري وقال: (ولد ميدعـان.. عوف بن ميدعان .. وولـد عوف مفرج ... فولـد مفـرج.. سلامان ، وهم رهط عبـد الملك بن أبي الكنـود) [الأنساب ، ص٦٦٢و ٦٦٣]، وقد توسع في ذكر أبناء "ميدعان" ، وكذلك في أبناء "سلامان" ، وكما ترى فإن "سلامـان ميدعان" لم تخف عن بعض النسابة ، والأمر لم يتوقف عند هذا القدر ، بل جـاء نسبهم وتاريخهـم مفصلاً على لسان أحد الشعراء الجاهليـين ، فقد نقل لنا ابن ميمـون البغدادي (المتوفى: ٥٩٧هـ) في كتابـه [منتهى الطلب، ج٨/ص ٢٨٩] قصيدة للشاعـر الجاهلـي عبيد بن عبد العزى السلامي ، يذكر فيها نسب قبيلته "سلامان بن مفرج " إلى "ميدعان" ويذكر بعضاً من أخبارها حيث قال:

سـلامـان إن المجـد فينـا عمـارة ... على الخلق الذاكي الـذي لم يكدر

بقيـة مجـد الأوّل الأوّل الـذي ... بنـى ميـدعـان ثـم لم يتـغـيـر[1]

وقال أيضاً [ج٨ /ص٢٩٢]:

بـنـوا مـفـرج أهـل المكـارم والعلـى ... وأهـل القبـاب والسـوام المعكـر

وقال متفاخراً بقتل " سلامان " ، للشاعر الجاهلي الشنفرى [ج٨/ص٢٩٢]:

ونحـن قتلنـا بالنـواصـف شنفرى ... حـديـد السـلاح مقبلاً غير مدبـر

ولعـل ما قالـه الشاعر فيما سلف ، يكشـف لنا أوهام بعض الباحثـين وأخطائهم ! لأن القصيـدة بمـا فيها من تفصيل، دليل دامغ يؤكد وجود "سلامان ميدعان"[2] فمن

(١) مـا مـن شـك أن الأدب والشعر من مصـادر التاريخ المهمة ، لكـن عندما نوظف الشعـر (العربي) أو (الشعبـي) في خدمـة التاريـخ فلا بـد أن نكون حذرين في أخـذ المعلومة ، وذلك من أجـل الحصول على الحقيقـة ، فهناك بعض الشعراء الذين يبالغـون في مدحهم أو هجائهم أو ذكرهم أخباراً غير صحيحة ، ومـن يستخدم أشعارهم كمصادر لكتابـة التاريخ فقد يقع في الخطأ وتدوين معلومات مغلوطة . (ابن جريس) .

(٢) هـذه المشكلـة عند بعض الباحثين ، فعندما يطلعون على رواية واحدة أو على بيت شعر أو أبيات معدودة تراهـم يصـدرون الحكم النهائـي مثل قولهم (وهذه الحقيقة) أو (هـذا الدليل الدامغ) وغيرها من المصطلحـات . ونقـول أن الباحث الثبت يتوجب عليه الرجـوع إلى مصادر عديدة ويقارن بين معلوماتها وبعـد مـا يفعل ذلك مع توفر الجد والاجتهاد يستطيع أن يصدر أحكامه المبنية على أسس علمية . (ابن جريس) .

أخبارهم القاطعة إثبات أنهم هم من قتل الشنفرى ! ذاك الشاعر الصعلوك ، الذي نذر أن يقتل منهم مائة نفس جزاء أفعالهم به ، فأكثر الغارات فيهم حتى اغتيل دون إتمامه المائة ، وشاء الله أن يأتي رجل من " سلامان " ، كان قد فاته مقتل الشنفرى ، فركل جمجمته المتهشمة ، فأصابت قدمه عظمة ، مات على إثرها ، فتم به المائة ! والقصة مشهورة معلومة ، نقلتها لنا كتب التراث العربي[١] .

خامساً: قبل الإسلام كان أغلب قبائل " ميدعان " يسكنون السراة ، قال العوتبي الصحاري: (وميدعان كلهم بالسراة ، ليس منهم أحد في عمان) [الأنساب ، ص٢٣١]، رغم أن هناك إشارات من العوتبي الصحاري نفسه ، تدل على وجود بعضهم في غير السراة ! أضف إلى ذلك أن الهمداني أثناء رحلته في السراة ، لم يذكر من أبناء " ميدعان " حسب ترجيحنا إلا " سلامان بن مفرج " والهمداني متقدم عن العوتبي! وأما هجراتهم بعد ظهور الإسلام ، فقد اتجه جزء كبير منهم إلى مصر ، مثل إخوانهم " الحجر بن الهنوء " ، وفي ذلك يقول ابن عبد الحكم: (كان في غزوة عبد الله بن سعد سبعمائة [مقاتل] ، [من] ميدعان من الأزد) [فتوح مصر والمغرب، ص٢١١] ، وكان رئيس قبائل " سلامان ميدعان " هو كما ذكره ابن يونس الصحابي : (سعد بن مالك بن الأقيصر بن مالك بن قريع بن ذهل بن الدّئل بن مالك بن سلامان بن ميدعان بن كعب بن مالك بن الأزد .. وفد على النبي ﷺ ، وعقد له راية على قومه سوداء ، فيها هلال أبيض وشهد فتح مصر ، وله بها عقب روى عنه ابنه الأشيم بن أبي الكنود .) [تاريخ المصريين ، ج١/ص ٢٠١و ٢٠٢] ، وكان من أعلامهم في العصر الجاهلي قريع بن ذهل ، الذي من أحفاده الصحابي سعد بن مالك الأزدي [٢] ، ومما ينبغي الإشارة إليه هنا ، أنه يوجد في قبائل ثربان " بنو شهر " ، بطن كبير يسمى "قريع" ، رجح أحد الباحثين أنهم من ذرية قريع بن ذهل الجاهلي ، وهم مازالوا في حلف "سلامان" إلى وقتنا الحاضر، علماً أن تعداد قبائل ثربان يشكل ربع تعداد قبائل بنو شهر تهامة ، وتقع منازلهم على قمم جبال ثربان في تهامة[٣] .

---

(١) مثل هذه القصة وغيرها من قصص التاريخ لا تخلو من المبالغات والتهويل أحياناً ، وعلى المؤرخ الجيد أن يتريث في إصدار أحكامه من خلال رواية أو روايتين حتى وإن ذكرتها بعض كتب التراث المتقدمة . وكم نحن في أمس الحاجة إلى غربلة تاريخنا الإسلامي المبكر والوسيط وحتى الحديث والمعاصر إذ يخلو من الكذب والتدليس والمبالغات . (ابن جريس) .

(٢) أشكرك يا أستاذ محمد الدحيمي على هذه الأطروحات ، وكونك مازلت مبتدئاً في إصدار بحوث علمية موثقة ، أقول لك امض على بركة الله ، وتثبت من أقوالك ومدوناتك ووثقها من مصادر موثوقة ، وإن فعلت ذلك فسوف يكون لك شأن في البحث التاريخي والحضاري، ونسأل الله لك التوفيق والسداد . (ابن جريس) .

(٣) قولك إن قريع الموجود حالياً في تهامة بني شهر ينتسب إلى ذرية قريع بن ذهل الجاهلي ، وحجتك في ذلك قول أحد الباحثين المحدثين ، ، فهذا قول يحتاج إلى تأن فليس تشابه الأسماء حجة إلى أن يكون

سادساً: أما اسم " شنوءة " فقد اختلف العلماء في تحديده ، فمنهم من قال أنهم أبناء مالك بن نصر بن الأزد " وهو الأشهر ، وفي ذلك يقول القلقشندي (المتوفى: ٨٣١هـ) : (شنوءة لقب لنصر غلب على بنيه) [صبح الأعشى ، ج١/ص٣٧٠] ، وفي الجانب الآخر هناك من قال أنه موضع بالسراة ، قال الطبري (المتوفى :٣١٠هـ) : (بعث عثمان بن أبي العاص بعثاً إلى شنوءة وقد تجمعت بها جماع من الأزد وبجيلة وخثعم) [تاريخ الرسل والملوك ، ج٣/ص٣٢٠] ، وحدد البعض أنه اسم لجبل في السراة ، ونقل لنا المخلص البغدادي (المتوفى : ٣٩٣هـ) في كتابه أن : (أزد شنوءة ليس هم نسب إنما شنوءة جبل) [الملخصيات ، ج٢/ص٤٢] ، وفي ذلك ينقل لنا الشيخ حمد الجاسر ، قول الشيخ عبد الرحمن بن حاقان ـ رحمهما الله جميعاً ـ ، من أن (شنوءة ..اسم جبل لا يزال معروفاً في بلاد عسير) [في سراة غامد وزهران ، ص ٢١٠] ، وبذلك نستطيع القول أن تراجم الأعلام تختلف من مؤلف إلى آخر، نظراً لاختلاف المفاهيم بينهم في اسم "شنوءة "(١) .

ثالثاً : خلاصة القول :

وبهذا نكون قد انتهينا من التعقيبات والتعليقات التي اقتبسناها من كتابنا المخطوط: " **نشوة النصر في أخبار رجال الحجر** " ، وللموضوع بقية بمشيئة الله ، [**وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**] [يوسف : ٧٦] ، [**وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلا**] [الإسراء : ٨٥] ، هذا ونسأل المولى الأجر والثواب(٢) .

هـذا الفـرع الثربان الحديث يعود إلى ذلك الجـد الجاهلي . هذه مشكلتنا في تدويـن التاريخ، فأحياناً ليس هدف الباحث إلا أن يطلق آراء وأقوال ثم يصدر الحكم الجازم الذي لا لبس فيه . يا محمد نحن معاشر الباحثين يجب أن نعلم أن ما نكتب هو أمانة والواجب على الجميع أن يحرص على هذه الأمانة (قولاً أو عملاً) ، ويعرف أنه سوف يحاسب عليها عند الله ، فالحذر الحذر على الاندفاع ، ويجب أن لا نكتب إلا ما نرى أنه حقيقة ، حتى ننال رضا الله عز وجل ، ثم إيصال الأخبار الصحيحة إلى الناس . (ابن جريس) .

(١) شنوءة : موضوع آخر ذكر في مصادر كتب الأنساب وغيرها من كتب التراث ، كما درسه وناقشه بعض الكتاب والمؤلفين المحدثين . ومازال فعلاً ، كما ذكر بن حاقان وغيره ، فهو مكان معروف في بلاد عسير بـ (شنوءة) أو (جبل شنوءة) ، لكن تسمية هذا المكان بهذا الاسم لا يكفي أن نقول إن تاريخ وأحداث أزد شنوءة في بلاد عسير ، أو في سراة عسير ، أو في أرض السراة فقط . ومن المؤكد أن شنوءة هؤلاء قوم عرفوا في قديم الزمان في أرض السروات ، لكننا نجهل تفاصيل هجراتهم وأماكن استيطانهم وتاريخهم السياسي والحضاري . ونأمل من أحد طلابنا في برامج الدراسات العليا في قسم التاريخ. بجامعة الملك خالد أن يتخذ من هذا الموضوع عنواناً لرسالته في درجتي الماجستير أو الدكتوراه ، ومن يفعل ذلك فقد يعطينا صورة واضحة ودقيقة عن شنوءة (أرضاً وسكاناً) . (ابن جريس) .

(٢) وفقك الله يا محمد الدحيمي، ونتطلع إلى صدور كتابك المذكور أعلاه (نشوة النصر في أخبار رجال الحجر) ، والذي أعجبني في أطروحاتك يا محمد أنك دقيق في إسناد معلوماتك إلى مصادر أولية ، ثم أنك غير متعصب لعنصر أو قوم أو نسب دون آخر ، وهذا الحس التاريخي الذي نريده ، ونتطلع إليه ،

رابعا: تعليقـات على كتاب (شبه جزيـرة العرب: عسير، لمحمود شاكر). بقلم محمد بن أحمد معبر[١].

م	الموضوع	الصفحة
أولاً:	المقدمة	٤٤٠
ثانياً:	الوصف الببليوجرافي لكتاب (شبه جزيرة العرب : عسير	٤٤٣
ثالثاً:	تعليقاتِ على كتاب (شبه جزيرة العرب : عسير)	٤٤٤
	١ـ نسب السكان	٤٤٤
	٢ـ قبيلة عسير	٤٥٤
	٣ـ العادات الاجتماعية عند قبائل عسير	٤٥٨
	٤ـ رجال الحجر	٤٦١
	٥ـ شهران	٤٦١
	٦ـ قحطان	٤٦٢
	٧ـ بلاد عسير في العصور الإسلامية	٤٦٣
	٨ ـ أيام الضعف	٤٧٧
	٩ـ الاستقلال	٤٧٨
رابعاً	الخلاصة والنتائج	٤٨١
	١ - الخلاصة	٤٨١
	٢ - النتائج	٤٨١
خامساً	المراجع	٤٨٤

أولاً: المقدمة :

الحمـد لله الذي هدانـا إلى نعمة الإسلام ، وأسبغ علينا مـن فيض نعَمه الظاهرة والباطنـة، والصلاة والسلام علـى خاتم الأنبياء والمرسلـين، ﷺ ، وبعد: فقد حَظيت منطقـة عسير فيما بـين سنة (١٣٧٠هـ) وسنة (١٣٩٦هـ) بصدور أربعة كتب عنها[٢]،

فمـن يسلـك هذا المسار سوف يجعل القارئ يأمن ويثق فيما كتـب أو رصد، ولا مانع أن يعارض أو ينتقد الشخص أو الباحث باحث آخر، لكن حسب المناهج العلمية المعروفة التي تقوم على المصداقية والوصول إلى الحقيقة . (ابن جريس).

(١) انظر : ترجمة ابن معبِّر في بداية المحور الأول في أول هذا القسم . (ابن جريس).

(٢) مـن يبحـث في المكتبـات المحلية والعربية والعالمية يجـد أن هناك تقارير ودراسـات عديدة خرجت عن منطقـة عسير، وعـن مناطق أخرى في جنوبي البلاد السعودية ، وبعضهـا صدرت في هيئة كتب وأخرى مازالت مسودات أو مدونات مخطوطة عند أصحابها ، أو في بعض خزانات الكتب والوثائق والمخطوطات

وهـي (١) في بـلاد عسير ، فؤاد حمزة (ط١ : ١٣٧٠هـ) . (٢) في ربوع عسير ، محمد عمـر رفيع (ط١ : ١٣٧٣هـ) . (٣) تاريخ عسير ، هاشم النعمي (ط١: ١٣٨١هـ) . (٤) شبـه جزيرة العـرب: عسير ، محمود شاكـر (ط١ : ١٣٩٦هـ) . وأصبحت هذه الكتب الأربعـة مـن المصادر المطبوعـة لبلاد عسير ، يُرْجَـع إليها عند الكتابـة عن تاريخ هذه البـلاد. وبقـي هذا الوضع كما هـو عليه حتى نهايـة القرن الرابع عشـر الهجري، ومع إطلالة القرن الخامس عشر الهجري أخذت الكتب والأبحاث عن عسير تَتْرى على مدى السنـوات منذ سنة(١٤٠١هـ) حتى هـذه السنة (١٤٣٧هـ)[1]. وشملت أغلب جوانب الحيـاة السياسية، والاقتصادية ، والتاريخية ، والحضارية ، والاجتماعية ، والجغرافية ، والأنساب، وغير ذلك . وأمام هذا الكَمّ الزاخر من المؤلفات تظهر الحاجة إلى النَّقْد الموضوعي الهادف، من تصحيح ، وتعليق ، وإضافة ، وشرح ، ونحو ذلك . ويتم من خلال عمليـة النَّقْد تَنْقيَة الأعمال التأليفية من الغموض ، والأخطاء ، والأوهام ، مع استدراك النَّقْص بالإضافَة[2]. ولا يتم ذلك إلاّ بتوجه أهل الاختصاص إلى هذا التراث ، وإعمال النَّقد العلمي في هذا الكَمّ الهائل ، مع التَّجَرُّد من الأهواء والعواطف . وانطلاقاً من هذا الـذي أدعو إليه ، فقد بدأت في البحث والدراسـة لبعض الأعمال التي صدرت عن بلاد عسـير ، وأصدرت بعض الكتب والأبحاث. ومِـنْ ذلك هذه الدراسة التي تحمل عنوان (تعليقات على كتاب: شبه جزيرة العرب ، عسير) .

وقد يَعِنُّ لأحدهم التساؤل عن سبب تأخير نقد الكتاب إلى هذه السنة(١٤٣٧هـ)؟. ولهذا التساؤل وجاهة إلى حد بعيد ، وتقتضي الإجابة عنه . فأقول : في سنة(١٤٠٤هـ) اقتنيـت كتاب: **(شبه جزيرة العرب: عسير)** لمؤلفه الأستاذ محمود شاكر[3]، بطبعته

في أمكنة عديدة من العالم. (ابن جريس).

(١) في هـذه الفـترة التي أشرت إليهـا ، وقبل هذا التاريخ هنـاك مئات البحوث العلميـة المنشورة في بعض المجـلات المحكمـة أو الثقافيـة ، وكذلك الرسائـل العلمية باللغـة العربية ولغات أخـرى أجنبية ، وكتب وتحقيقـات عديـدة . والأستاذ عبد الرحمن بن حامد نشر شيئاً من ذلك في كتاب أصدره النادي الأدبي في أبها عام (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م) ، ومازال هناك الكثير من الدراسات العربية والأجنبية التي تستحق أن تُجمع في كتاب أو عمل علمي يفيد الباحثين والدارسين . (ابن جريس).

(٢) جزاك الله خير يا ابن معبِّر ، فهذا الذي تفعله وما زلت تواصل جهودك في هذا الباب ، ونسأل الله أن يرزقنا وإياك العمل الصالح ، وأن يوفقنا إلى إنجاز كل ما يعود على بلادنا وأهلنا بالفائدة والعلم النافع . (ابن جريس).

(٣) كما أشرت في مقدمة هذا القسم أن الدكتور محمود شاكر من كبار علماء التاريخ في عصرنا الحديث ، ولـه جهـود تذكر فتشكر ، فقد أصدر لنا عشرات البحوث والكتب عن تاريخ العرب والمسلمين في العالمين العربـي والإسلامـي ، ومـن أشمل كتبه (التاريـخ الإسلامي) في أكثر من عشرين مجلـداً ، وله أعمال

الثالثة الصادرة سنة (١٤٠١هـ) ، وقرأته حينذاك ، فأحدث في نفسي انطباعاً مثيراً ، ففيه من المعلومات التي لم أطّلع عليها في الكتب التي صدرت قبله . ومع ضيق الأفق التاريخي عندي ـ حينذاك ـ والذي يحول دون إبداء رأي أو تعليق على الكتاب ، وهو الواقع الذي يعيشه الكثير من أمثالي . ومع اتساع الأفق التاريخي بالقراءة ، وظهور المؤلفات والأبحاث والمقالات عن منطقة عسير ، حصل من خلال ذلك زوال النَّظْرَة السابقة المحدودة ، ولا سيما مع بداياتي في التأليف في المجال التاريخي ، حيث بدأت في سنة (١٤٠١هـ) في وضع كتابي (**مدينة جُرَش من المراكز الحضارية القديمة**). وأنجزته في سنة (١٤٠٦هـ) ، ومضيت في هذا السبيل حتى سنة (١٤٢٦هـ) ، وهي السّنة التي بدأت فيها بالاستغراق في القراءة والكتابة عن منطقة عسير ، وأعدت القراءة في الكتب والأبحاث التي صدرت عن منطقة عسير ، مع تكرار القراءة لكل عمل ، وتمخّض ذلك عن رؤية جديدة ، فقد زالت الكثير من الأوهام التاريخية المصاحبة للانبهار الذي كنت أعيشه قبل أكثر من ثلاثين سنة . وتمثل هذه الدراسة (**تعليقات على كتاب: شبه جزيرة العرب: عسير**)[1] نتيجة حتميّة للاستغراق في تاريخ بلاد عسير . ومن خلال عدة قراءات للكتاب سجّلت الأخطاء الواردة فيه ، ثم بدأت عملية النَّقْد مستعيناً بالله تعالى ، ثم بالكثير من الكتب والأبحاث القديمة والحديثة، مع السَّير في اتجاه البحث عن الحقائق ، حتى استوت هذه الدراسة في صورة آمل أن تكون جديرة بالقراءة . وقد سرت فيها على طريقة عرض كلام المؤلف الأستاذ محمود شاكر حسب تقسيمه للكتاب على الأبواب والفصول ، فأضع عنوان الفصل كما جاء عند المؤلف ، ثم أورد بعض المقاطع التي تحتاج إلى تعليق ، وبعدها يتم التعليق ، حتى فرغت من كتابه بشكل كامل[2] . وأدرجت في آخر الدراسة (الخلاصة والنتائج) التي خرجت بها من خلال مباحث الدراسة ، ولا أدعي الصواب أو الكمال المطلق فيما كتبته ، ولكنه جهد المُقلّ والمُقصِّر، الذي لا يسلم من الخطأ والقصور ، والذي أرجو أن يكون في مجال النقد – أيضاً – من

أخرى كثيرة ، ونأمل أن نرى أحد طلاب الدراسات التاريخية في عالمنا العربي أو الإسلامي فيدرس حياة هذا الأستاذ القدير وما قدم من جهود علمية وأكاديمية.

(١) إن الأستاذ محمود شاكر يعد واحداً من الرواد الذين كتبوا عن منطقة عسير خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وعن مناطق أخرى داخل الجزيرة العربية وخارجها ، ومن ثم فواجبه علينا نحن معاشر المؤرخين أن نذكر محاسنه وإيجابياته ، ولا يمنع أن ننقد ما وصلنا من مؤلفاته بهدف الوصول إلى الحقيقة . (ابن جريس).

(٢) كتابه الخاص ببلاد عسير من القطع الصغير ، وطبعته الثالثة (١٤٠١هـ/١٩٨١م) تقع في (٢٧٧) صفحة ، تتكون من مقدمة وخاتمة وثلاثة أبواب رئيسية ، بالإضافة إلى قائمة للمراجع وبعض الفهارس الأخرى. (ابن جريس).

قبَل أهـل الاختصاص ، ومن يهمهم هـذا التراث .وأسأل الله تعـالى أن يجعل أعمالنا وَأعمالكـم خالصـة لوجهه الكريم ، وأن يختم بالصالحـات أعمالنا وأعمالكم، هو ولي ذلك والقادر عليه . المملكة العربية السعودية محمد بن أحمد مُعَبِّر . (١٤٣٧/٤/٢هـ) .

ثانياً : الوصف الببليوجرافي للكتاب :

اسم الكتاب: المؤلف : محمود شاكر .الطبعة الثالثة : ١٤٠١هـ (ط١ : ١٣٩٦هـ - ط٢ : ١٣٩٨هـ) [١]. بلد النشر : بيروت .الناشر : المكتب الإسلامي . عدد الصفحات : (٢٧٧) . المقاس : (٢٠×١٤سم) . السلسلة : مواطن الشعوب الإسلامية في آسيا (١٤) .

تم ترتيـب موضوعـات الكتـاب كمـا يلـي:(١) المقدمـة .(٢)البـاب الأول : (٢) الجغرافية : الفصل الأول : التضاريس .الفصل الثاني : المناخ .الفصل الثالث : الأودية والميـاه . الفصل الرابع: النبات والحيوان .(٣) البـاب الثاني: السُّكّان : الفصل الأول : نسـب السكان . الفصـل الثاني : قبيلة عسير: فروع القبيلـة . العادات الاجتماعية عند قبائـل عسير .المراكز البشرية عنـد فبائل عسير . الفصل الثالث: رجـال ألمع : القبيلة والأرض . العـادات الاجتماعية عند رجال ألمـع . العمران والمراكـز البشرية . الفصل الرابـع رجال الحجر : القبيلة وفروعها .الفصل الخامـس: شهران .الفصل السادس : قحطان. (٤) الباب الثالث : التاريخ : الفصل الأول : بلاد عسير في العصور الإسلامية : العهـد النبوي وصـدر الإسلام . عهد الخلفاء الراشدين . عهد الدولة العباسية . عهد الدولـة الطولونية . عهد الدولة الأيوبية . الفصـل الثاني : أيام الضعف . عهد المماليك إلى الدولـة العثمانيـة . حالة المناطق المجاورة : (أ) اليمـن .(ب) الحجاز .(ج) تهامة . (د) نجـد. الفصـل الثالث: العصـور الحديثة (١٢٠٠ – ١٢٣٦هــ). الفصل الرابع: الاستقـلال. سعيـد بن مسلط. علي بـن مجثل (١٢٤٢- ١٢٤٩هــ). عائض بن مرعي (١٢٤٩ – ١٢٧٣هــ). محمـد بـن عائضـ (١٢٧٣ – ١٢٨٩هـ). الحكـم العثماني (١٢٨٩ – ١٣٣٧هــ). ناصر بن عائضـ (١٢٨٩ – ١٢٩٥هـ). عبد الرحمن بن عائض (١٢٩٧ – ١٣٠٥هــ). علي بن محمد بن عائض (١٣١٨ – ١٣٢٤هـ).الأدارسة. نهاية الأتـراك . الاستقلال . موجز تاريخ عسير .(٥) الخاتمـة . (٦) المراجع . (٧) فهرس المصورات. (٨) فهرس الموضوعات[٢] .

---

(١) عنـد ذكـر تاريـخ الطبعة الثانيـة في مقدمة الكتاب مـن الطبعة الثالثـة تم تدوين التاريـخ (١٣٨٨هـ) والصحيح ما ذكرته يا ابن معبِّر أعلاه . (ابن جريس).

(٢) مـا تم الإشارة إليه أعـلاه هي المحاور الرئيسية التي اختطها صاحب الكتـاب، وعلى ضوئها طبع كتابه ونشره . (ابن جريس).

ثالثاً : تعليقات على كتاب (شبه جزيرة العرب : عسير) :

١ـ نَسَب السُّكّان :

تحدث محمود شاكر تحت هذا العنوان (نسب السكان) ،ولكنه خلط كلامه بكلام (عبد الرحمن الحاقان) و (يحيى بن إبراهيم الألمعي) .ونختار بعض المقاطع من الصفحات (٤٥ – ٥٣) وهـي الصفحات التي دار فيها الحديث حول النَّسب ، ومن ذلك : **(أ) المقطع الأول :** " سُكنت السراة منذ القديم ، وكان من قاطنيها من باد واندرست آثاره، وكان منهم من جلا عنها وارتحل منها ، وكان منهم من انصهر مع من غلبهم على بلادهم . فقد قيل : إن العمالقة قد عمروها حتى انقرضوا منها ، كما قيل : إن الأنباط قد انطلقوا منها إلى أطراف جنوبي بلاد الشام ، وقيل إن بني ثابر قد عاشوا فيها حتى جاءتهم الأزد وقد تفرقت في الأرض بعد خراب سد مأرب فحطت رحال بعضهم فيها[1] ، وغلبوا قاطنيها ، فأقاموا فيها ، وانتسب المغلوب للغالب ، ونُسب أهلها الجُدد إليها تمييزاً لهم عن بقية إخوانهم وتعريفاً لهم بمُقامهم فيقال: أزد السراة كما يقال أزد عُمان ، لأنها كانت قبيلة كبيرة لا يسع أفرادها مكان واحد ، ولا يكفي حيواناتها مرعى واحد . وكانت بطونها قد خرجت من مستقرها وتريد الاستيطان واختيار المكان فكان لا بد لها من أن تقاتل أقواماً سبقتها وجماعات حلت في أماكن طيبة وبقاع خصبة، وانطلقت أكثر البطون تخاصم وتخاصم ، ولم يرق لأزد السراة أن ينصروا إخوانهم في قتال خزاعة فسموا شنوءة لشنآن بينهم وتباغض وتبرؤ ، وعرفوا من بعدها باسم أزد شنوءة وهم بنو الحارث بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد كما أقامت معهم بعض البطون الأخرى . وتحالفت بعض البطون مع بعض ومع من جاءها مع غيرها حليفاً أو زائراً مستضيفاً أو مستجيراً رديفاً فشكلت قبيلة واحدة فاختلطت بذلك بعض الأنساب وضاع بعضها الآخر حتى لم يعرف إلا أنه من القبيلة الجديدة المتحالفة كقبيلة عسير التي أعطت المنطقة اسمها)[2] . **(ب)المقطع الثاني :** (وهنا لا يهمنا كثيراً أانتسب

---

(١) هـذه الأقوال وردت عن محمود شاكر ومن أخذ عنهم ، كما ذكرها باحثون ودارسون آخرون ، وعندما نعود إلى بعض من المصادر الأولية نجدها لا تخلو من الغموض والخلط في هذا الباب . ومازالت هذه البلاد في حاجة ماسة إلى دراستها أثرياً لعلنا نطلع على حقائق صحيحة توضح لنا سكانها الأوائل ، بل أيضاً الأقوام الذين تعاقبوا الاستيطان في أرضها . (ابن جريس).

(٢) ص٤٥. (ابن معبِّر) . ما من شك أن بعض الأزديين استوطنوا منطقة عسير من قبل الإسلام، وكعادة القبائل أن القبيلة القوية تهيمن على الأرض وسكانها ،وبالتالي يغلب نفوذها واسمها وسطوتها على الأرض التي استوطنتها. وهناك أمثلة كثيرة على مر التاريخ في الجزيرة العربية وغيرها. (ابن جريس) .

عسير إلى عدنان أم قحطان ؟ إذ عندما جاءت القبائل اليمانية إلى المنطقة كانت تقيم فيها قبائل تنتمي إلى عك بن عدنان وحدث قتال بين الطرفين وإذا كانت قد انتصرت اليمانية على العدنانية إلا أن الثانية لم تغادر أماكنها نهائياً ولا زالت من مواطنها تماماً وإنما اختلطت مع الزمن بالغالبين عن طريق الحلف والمصاهرة والموالاة ، وغلب على الجميع اسم عسير . وإن كان كثير من الناس من يحب الانتماء للغالب ولهذا انتسبوا إلى الأزد) [١]. **(ج)المقطع الثالث :** "كتب الشيخ عبد الرحمن الحاقان بعض البحوث التاريخية عن منطقة عسير جاء فيها ما يلي: (١) قبائل شهران بن عفرس ، وناهس بن عفرس ، وهم بلا شك من قبائل خثعم، وقد وقع في نسبهم اختلاف كما وقع في نسب غيرهم، فمن المؤرخين من يزعم أنهم من بني أنمار بن نزار ، والذي نعتقد أنه صحيح أنهم من القبائل القحطانية ، ويدخل فيهم من القبائل العدنانية بنو مالك (أهل تمنية) وبنو شيبة (أهل المسقي والقرعاء) فإنهم من عَنْز . كما ذكر الهمداني ويدخل فيهم أيضاً (العواسج) ويسمون الآن (العواشز) وهم أهل مدينة جرش وهم من (حمير) ويدخل فيهم (كود) وهم من (عنْز) [٢]. **(د)المقطع الرابع :** "وفيهم من القبائل العدنانية بنو رفيدة بن أراشة من (عنز) ، ويطلق عليهم الآن (رفيدة) [٣]. **(هـ)المقطع الخامس :** " ثم يليهم قبائل (رجال ألمع) وألمع اسم لجدهم، وهو من القبائل القحطانية. وهم عشر قبائل كالآتي: بنو ظالم ، بنو قطبة، بنو العوص، البناء، بنو شحب، بنو زيد ، وأهل صلب ، بنو جونة ، بنو قيس ، شديدة ، ويذكر بعض المؤرخين أن أهل صلب وبني زيد يقال لهم (بنو بكر) ، وبنو قيس ، وبنو جونة يقال لهم (بنو مسعود) وهذه القبائل الأربع يزعم بعضهم بأنهم من القبائل العدنانية) [٤].

---

(١) ص٥٠. (ابن معبِّر) .هذه الحالة لم تقع مع الأزد فقط أرض السراة ، وإنما جرت حالات كثيرة مع قبائل أخرى في جنوب الجزيرة العربية وشمالها ، وفي بلدان أخرى عديدة خارج جزيرة العرب.(ابن جريس).

(٢) ص٥١. (ابن معبِّر).

(٣) ص٥٢. ابن معبِّر) . هناك بعض الدراسات الحديثة التي صدرت عن قبائل منطقة عسر ، ولكنها جميعاً مليئة بالأخطاء والمعلومات التي تحتاج إلى نقد وتحليل. ونأمل من ابن معبِّر أو غيره من المؤرخين والباحثين في منطقة عسير أن يعكفوا على دراسة هذه البحوث وتنقيحها وتوثيق معلوماتها من مصادر علمية موثقة . (ابن جريس).

(٤) ص٥٢.(ابن معبِّر) . كذلك صدر بعض الدراسات عن تاريخ وأنساب رجال ألمع ، لكن هذه البحوث أيضاً لا تخلو من الخلط ، وهي الأخرى تحتاج إلى دراسة وتدقيق ، ويوجد في بلاد عسير الكثير من الباحثين والدارسين المهتمين، ونأمل أن نرى بعضهم أو أحدهم يتولى هذا الموضوع بالدراسة التحليلية . (ابن جريس).

ونبـدأ بالمقطـع الأول: فقد أجمـل المؤلف محمـود شاكر في كلامه عـن (السَّرَاة) إلى درجـة الإيهـام، مع العلم أن المؤلف سيذكر لاحقـاً امتداد دولة آل عائض إلى جميع السروات تقريباً ، وهذا يستلزم شيئاً من التفصيل عن السروات. ولذلك أقول: (السراة) و (الحجاز) بينهما تلازم أبدي في المكان ، واختلاف في الحدود حسب المفهوم السياسي لكل عصر.ولعـل فيما قاله الهمداني ما يؤكد التلازم المـكاني، إذ يقول: "جبل السراة، وهـو أعظمُ جبال العـرب وأذْكَرُها أَقْبَلَ من قعرة اليمن حتـى بلغ أطراف بوادي الشام فسمّتْـه العرب حجازاً لأنه حجز بين الغَوْر وهو هابط، وبين نجد وهو ظاهر"[١]. ويقول الشيـخ حمد الجاسر: "تمتد في غرب بـلاد العرب سلسلة من الجبال، من اليمن جنوباً إلى الشـام شمالاً، وهذه السلسلة تخترقهـا أودية وشعاب كثيرة، يُشَرِّق بعضها وبعضها يغـرِّب، وليست هذت السلسلة على درجة واحدة من حيث الارتفاع فمنها الشامخ ومنها المنخفض ، ومنهـا مسطح القمة له فِـرَاع واسعة فيها سكان، ومنها مـا هو مؤلل أصلع القمـة خال من النبـات ومن وسائل الحياة . هـذه السلسلة تسمى الحجـاز[٢] ، ويعلل المتقدمـون التسميـة بأنها حجزت بين الغور ـ وهو منخفض متصـل بالبحر ـ وبين نجد ـ وهو أعـالي الجزيرة المرتفعة ذات الأرض السهلة التربة الكثيرة النبات عندما يجودها الغيـث ، ويطلق على هـذه السلسلة أيضاً اسم (الطَّوْد) ولكنـه يخص جنوبها من قرب مكـة حتى اليمن ، وقد يطلق على الطرف الجنوبـي الشرقي اسم الجبل الأسود ، وعلى القسم الشمالي حجاز المدينة ، كما يسمى القسم الجنوبي أيضاً باسم السراة وقد يقال فيـه السـروات ، لأن كل قسم فيه ينسـب إلى قبيلة ويدعى سراة ، أمـا القسم الشمالي فقـد يطلـق عليه اسم السّـراة وخاصة الجبـال الواقعة بين عسفـان والمدينة) [٣] وعن تكـوّن جبـال السراة يذكر الجغرافيـون أنه : في الزمن الجيولوجـي الثالث حدثت عدة حركات عنيفة أصابت منطقة البحر الأحمر ، ونتج عنها تكوين أخدود ، وجبال السراة

(١) صفـة جزيـرة العرب ، ص ٥٨ . (ابن معـبِّر) . من يرجع إلى أكثر مـن المكتبات العربيـة والإسلامية والعالميـة ، ويطلع على بعض كتب التراث ، والكتب والبحـوث العلمية الحديثة ، وكذلك الرسائل العلمية فإنـه سوف يجد تفصيلات مطولة عن أرض الحجاز ، وعن السراة ، أو السروات لطبيعتها الجغرافية ، سكانهـا ، ثرواتها الحيوانية والنباتية ، وجوانب أخـرى عديدة) ، والفاحص لهذا التراث الأدبي سوف يجـد اختلافـات ورؤى عديدة عنـد الباحثين المتقدمـين والمتأخرين وبخاصة عـن جغرافية هذه البلاد وسكانها . (ابن جريس).

(٢) ليـس حمـد الجاسر هو الوحيد الذي قال بهذه الأقوال، وإنما سبقـه كثيرون وبخاصة من كتاب التراث الأوائل ، الذين فصلوا الحديث عن هذه الجبال السروية . (ابن جريس).

(٣) في سـراة غامد وزهران ، ص٣٥٣. (ابن معـبِّر) . هناك جغرافيون متقدمون ومتأخرون قالوا السروات الجنوبية، والوسطى ، والشمالية ، وفصلوا الحديث في هذه التقسيمات . (ابن جريس).

أو السروات ، وامتد الأخدود من الجنوب ابتداء من بحيرة تنجانيقا ثم يتجه شمالاً إلى خليج العقبة ، والبحر الميت ، وغور الأردن، وسهل البقاع ، والغاب ، والعمق ، وبهذا كوَّن أكبر صدع أخدودي في العالم [(١)] . هذا هو ما يهمنا عن (السراة / الحجاز) بشكل عام ، أما الجانب المهم وهو (السراة) أو (السروات) التي تُمثل (سراة عَنْز) أحد أجزاءها ، فسيكون المسار العام الذي نصل من خلاله إلى (سراة عَنْز) التي تمثل جزءاً من منطقة عسير حالياً .

(*) السروات : [(٢)]

رسم الهمداني أقسام السروات بدءاً من شمال عدن ، ثم اتجه شمالاً، وهي: سراة المعافر. سراة الكلاع .سراة بني سيف .سراة جبلان .سراة أَلْهَان . سراة المصانع . سراة قُدَم. سراة عُذَر وهِنَوم .سراة خولان .سراة جَنْب. سراة عَنْز. سراة الحَجْر. سراة ناه، (ويقال: باه). سراة الخال. سراة زهران. سراة بجيلة. سراة بني شبابة وعدوان .سراة الطائف[(٣)].وقال في موضع آخر: ثم يتلو سراة عَنْز سراة الحجْر ، ثم يتلوها سراة غامد ، ثم سراة دَوْس ، ثم سراة فهم وعدوان ، ثم سراة الطائف[(٤)]. ويُعَدُّ الهمداني - فيما أعلم - صاحب السبق في تحديد أجزاء السروات وسكانها من عدن إلى الطائف. [(٥)] أما السروات من الطائف إلى عسير ، فقد ذكرها حمد الجاسر ، في ضوء كلام الهمداني ، مع بعض التحديد المعاصر لهذه السروات ، فقال : "السروات : في هذا

---

(١) الجغرافيا التاريخية لشبه الجزيرة العربية في عصور ما قبل التاريخ ، د. محمد خميس الزوكة ، ص٦١. (ابن معبِّر) . ونجد عند بعض مؤرخي التاريخ القديم والجغرافيين تحليلات وتفصيلات على التركيبة الجغرافية والجيولوجية لجبال الحجاز (السروات) ولا تخلو هذه البحوث من المغالطات والأخطاء وتحتاج إلى من يدرسها ويحققها ويتثبت من معلوماتها . (ابن جريس).

(٢) كل سراة من هذه السروات تحتاج إلى دراسة جغرافية تاريخية أثرية ، ونأمل من جامعات نجران ، والملك خالد ، والباحة أن تبذل قصارى جهودها لدراسة تاريخ وحضارة هذه السروات الممتدة من اليمن (صعدة) إلى الطائف. (ابن جريس).

(٣) صفة جزيرة العرب ، ص ٩٩. (ابن معبِّر) . هذه السروات مأهولة بالسكان منذ القدم ، كما أنها مخزن الكثير من الخيرات مثل: المياه ، والنباتات والمحاصيل الزراعية، والثروات الحيوانية. وأهلها أصحاب شجاعة وكرم ومروءات وغيرها ،ونقول أن هذه البلاد تستحق من يدرس تاريخها وحضارتها القديمة والوسيطة والحديثة والمعاصرة . (ابن جريس).

(٤) المصدر نفسه . (ابن معبِّر) . هذه السروات تقع اليوم ضمن ثلاث مناطق رئيسية في المملكة العربية السعودية هي (عسير ، والباحة ، ومكة المكرمة) . (ابن جريس) .

(٥) نعم هو من أصحاب الريادة فيما وصلنا من تراث مطبوع ومنشور ، وربما يظهر في المستقبل مصادر أخرى سبقت . الهمداني في هذا الباب . (ابن جريس).

القسـم الجنوبي مـن الحجاز كما قلنا سروات كثيرة مـن أشهرها :(١) سراة الطائف غورهـا مكة ونواحيها ونجدها ديار هوازن من عكاظ والفتـق. أي الأرض الواقعة شرق الطائـف علـى مقربة منه .(٢) سراة فهـم وعدوان وهي السـراة الثانية ، وتعرف هذه السراة بسراة بني شبابة وعدوان وغورها الليث ومركوب ويلملم ، ونجدها يَصلى مطار أي الأرض الواقعة شرق أودية الطائف والتـي تفيض سيولها إلى بسل ثم كلاخ وتفضي إلى طرف ركبة الجنوبي .(٣) سراة بجيلة : وهذه متصلة بسراة الأزد ، وهي ما يعرف الآن باسـم سـراة بني مالك ، وهم فخذ مـن بجيلة ، وسماها أحـد الشعراء سراة بني جريـر نسبة لجرير بن عبد الله البجلي ، قال هذا الشاعر ويدعى ابن نوفل يهجو خالد القسري :

تمـنَّـى الـفـخـرَ في قيـسٍ وقَـسْـرٍ كـأنَّـك مـن سـراة بـنـي جـريـر

(٤) سـراة زهـران ودوس وغامد ، وذكر الهمداني أن نجـد هذه السراة في عهده يسكنـه بنو سواءة من عامر بن صعصعة من هوازن ، وأن غورها يسكنه بنو لهب وعويل وبنـو عمرو من الأزد. (٥) سراة الحال لبني شكر من الأزد ، نجدهم خثعم ، وغورهم قبائـل من الأزد على ما ذكر الهمداني . (٦)سراة باه وبنو القرن وبنو الخالد من الأزد ، نجدهـم خثعـم وغورهم قبائل أزدية ، وكلمة (باه) كذا وردت في كتب كثيرة ولكن لم أجـد لها ضبطاً أو تحقيقاً . (٧) سراة الحجر بـن الهنو بن الأزد ومن مدنها : الجهوة وتنومـة. في عهـد الهمـداني. . (٨) **سـراة** عَنْـز على مـا ذكر الهمـداني ، وهي بلاد عسير[1] (٩)سراة جنب . وقد أجمل هذه السروات في موضع آخر من كتابه فقال : ثم يتلو معدن البُرام ومُطار صاعداً إلى اليمن : سراة بني علي وفهم ثم سراة بجيلة والأزد بـن سلامان بن مفرج ، وألمع وبارق ودوس وغامـد والحجر إلى جرش . وهذه السروات

(١) تمثـل سـراة عَنْز بن وائـل بلاد (رفيدة ، وأراشـة ، وعسير) .(ابن معبِّر) . لقـد سافرت وتجولت في كثـير من أجزاء هذه السروات خلال العقود الأربعة الماضية ، واتضح لي أن معظم سكان هذه السروات مازالوا يعيشون في أوطانهم التي ذكرها الهمداني منذ القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وأقول أن بلـدان السـروات مازالت من أفضـل الأوطان في الجزيرة العربية وبخاصـة في حفاظها على وحدتها القبليـة وكثير من أصولها وأعرافها وتقاليدها . نعم في وقتنا الحاضر التقى العالم بعضه ببعض وغزت هـذه الديـار الكثير مـن أدوات الحداثـة والتقنية فأصبح هناك مـن يتخلى عن كثير مـن أعراف آبائه وأجـداده ، والمشكلـة مع الشابـات والشباب الصغار في هذه المجتمعات فهـم لا يعرفون شيئاً من موروث الأوائـل ، وأصبـح جل همهم وثقافتهم مستقاة من هذه الثقافـات المستوردة التي تحارب ما عرفه الآباء والأجـداد من موروث حضـاري وثقافي. وعلى مؤسسات العلم والثقافة والإعـلام والأسر وجميع شرائح المجتمع مسؤوليات كبيرة من أجل الحفاظ على الموروث الجيد الذي مارسه وعاصره الأوائل من أجدادنا وآبائنا . (ابن جريس) .

التـي تقدم ذكرها تغـيرت أسماؤها الآن وتداخل سكانها ، واختلطـوا ، وأصبح المشهور المعروف منها : (أ) سراة ثقيف ، وهي السراة المطلة على عرفات وما حولها وتمتد نحو الجنـوب .(ب) سراة بني مالك من بجيلة ويليها مـن الجنوب متصلة بها : (ج) سراة غامـد وزهـران، القسم الشمالي الغربي تنتشر فيه قبائل زهـران فالقسم الشرقي من عـدوان ، والقسـم الغربي دوس ، وجنوب هذه السراة وشرقهـا تسكنه قبيلة غامد حتى بـلاد خثعم مـن الجنوب ، وهي الفاصلة بين هذه السراة وبـين : سراة الحجر وسكانها هـم قبائل الحجر الأزدية القديمة، ويتصل بهذه السراة من الناحية الجنوبية الشرقية ما سماه الهمداني بـ (سراة عَنْز) وهي: سراة عسير[١] .

وهذه السروات الخمس ، تمتد فيما بين الدرجة الطولية (٢١/٣٠) شمالاً و (٠٠ / ١٨ ً جنوباً) ، أما موقعها بالنسبة لدرجات العرض فإنها تكون متعرجة بحيث يقع أولها فيما بين درجتي (٠٠/٤٠ ً و ٣٠/٤٠ ً) ووسطها فيما بين (٠٠/٤١ ً و ٣٥/٤١ ً) وطرفها الجنوبي فيما بين (٠٠ /٤٢ ً إلى ٤٠/ ٤٣ ً) [٢].

ويقـدم الدكتـور غيثان بن علي بن جريس صورة أشمـل وأوضح عن السروات التي ذكرهـا الهمداني ، ثم الجاسر، ولا سيمـا في العصر الحاضر ، فيقول: "وأول جزء من سـراة الطائـف الهـداة ، الواقعة غرب الطائـف ، وهي عبارة عن جبـل ضخم يسكنها قبائـل مـن ثقيـف ، ومعهم جماعة من هذيـل ، ولذا يليها من الجنـوب شفا هذيل ، ثم يليهـا شفـا بني سفيان ، وهم بطن من ثقيـف ، ويلي ذلك من الجنوب سراة بني سعد ، ثـم سراة بالحارث، وجميع السروات والأشفية تسمى بسراة الطائف ، وربما أطلق على الأجـزاء المحاذية للقسم الجنوبي من الطائف سراة فهم ، وعدوان ، وقد تعرف بسراة شبابـة وعدوان، وغورها الليث ويلملم ، ونجدها الأراضـي الواقعة شرق أودية الطائف وجنوبهـا التي أشار إليها الهمداني بقوله يصلى مطار . سراة بني مالك ، وهذه السراة كانـت تعرف بسراة بجيلة على بعد مئـة كيلو متر جنوب الطائف وتجري المياه المنحدرة مـن شرقها صـوب تربة ، والميـاه المنحدرة من غربها صـوب الليث ، وقـد سماها أحد الشعراء بسراة بني جرير[٣] . أما سراة غامد وزهران ، فتبدأ من أول حدود بني مالك

---

(١) في الغالب أن السروات الحديثة هي نفس السروات المعروفة قديماً، حتى وإن تداخلت بعض العشائر في بعض ، أو انقرضت بعض القبائل الصغيرة ودخلت تحت مظلة القبائل الكبيرة ، ومازالت حتى اليوم . (ابن جريس).

(٢) في سراة غامد وزهران ، ص ٣٥٦. (ابن معبِّر) .

(٣) هـذه السـروات الممتـدة من الطائـف إلى شمال زهـران مازالت من أقـل الأوطان في ميـدان البحوث والدراسات التاريخية وغيرها . وقريباً بإذن الله أخصص لها رحلة أتجول في ربوعها وأكتب عن أرضها وسكانهـا مدونـات أشمل وأطـول . وأنادي في جامعة الطائـف ، وفي معاشر المؤرخـين والباحثين الذين ينتمـون إلى هـذه البـلاد، وهم كثيرون في الجامعـات وغيرهـا ، إلى أن يلتفتوا إلى دراسـة هذه البلاد

وبلحارث ، وتبدأ صعوداً في جبل شمرخ الممتد جنوباً إلى بلد خثعم وشمران ، وتصب مياهها الشرقية شمالها في تربة ، وشرقها في رنية ، أما مياهها الغربية فتصب من الشمال إلى الجنوب في وادي عليب ، ووادي دوقة ووادي الأحسبة ، وكلها في الأغوار التهامية والباحة قاعدة سراة غامد وزهران[١] . وتقع سراة خثعم وشمران إلى الجنوب من سراة غامد وزهران ، والممتدة نحو الشرق والجنوب الشرقي حتى السهل ، ومياهها الشرقية تصب في بيشة ، والغربية في وادي قنونا الذي يصب في سهول القنفذة من الشرق . أما سراة بلقرن الواقعة ما بين سراة خثعم وشمران في الشمال ، وبلاد الحجر في الجنوب، وتصب مياهها الغربية في مناطق القنفذة وما حولها ، والشرقية في بيشة ، وقاعدة هذه السراة سبت العلاية[٢] . وتمتاز سراة بلاد الحجر بطولها وعرضها ، فهي تمتد من بلاد بلقرن شمالاً إلى المناطق القريبة من مدينة أبها جنوباً ، وتتكون من أربع قبائل هي : بنو عمرو، وبنو شهر ، وبللسمر ، وبللحمر ، ومعظم قرى هذه القبائل تقع في الأجزاء السروية ، في حين أن هناك أفخاذاً وقرى في تهامة والبوادي تتبع بلاد السراة ، ومن أكثر المراكز فيها النماص ، وتنومة ببلاد بني شهر ، وسوق الاثنين ببللسمر ، وصبح ببللحمر ، وتصب مياه الحجر الغربية في واديين كبيرين هما (يبه) و (حلي) وكلها تصب جنوب القنفذة ، أما في شرقها فلا زال وادي بيشة يبتلع كل أودية السروات، وأهم روافد بيشة ببلاد الحجر، وادي ترج ، ووادي عياء ، ووادي صلحلح[٣] .

أما سراة عسير (عَنْز) فتحيط بمدينة أبها ، وتشتمل على أشهر القبائل العسيرية، وهي ، علكم ، وبنو مغيد ، وربيعة ورفيدة ، وبنو مالك . وكل هذه القبائل تقطن في

المأهولة بالسكان ، والتي كان لها ومازال تاريخ وعلاقات متنوعة مع حواضر الحجاز الكبرى . كما أنه خرج منها أعلام كبار ساهموا في بناء الحضارة الإسلامية في مواطن وبلدان عديدة في العالم الإسلامي منذ عهد النبي ﷺ إلى العصر الحديث والمعاصر. (ابن جريس).

(١) منطقة الباحة (غامد وزهران) لها تاريخ قدم ، وجرى على أرضها أحداثاً كثيرة . واعلم أنه يوجد في هذه البلاد عشرات الأساتذة الجيدين ، وأقول أن عليهم واجب كبير تجاه أهلهم وبلادهم فيسعوا إلى حفظ تاريخها وموروثها الحضاري ، كما أن جامعة الباحة نفسها عليها مسؤولية عظمى فتؤسس مراكز بحوث جيدة ، وتشجع أساتذتها على دراسة موروث هذه الأوطان العربية الماجدة . (ابن جريس) .

(٢) سروات بلقرن وما جاورها ذات تاريخ وحضارة ، وقد ذهبت إلى هذه الأوطان في عام (١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م) ، وتجولت في أرجائها وكتبت عن شيء من تاريخها ، وقلت وأقول الآن أن هذه البلاد تستحق من أبنائها الباحثين ، ومن أساتذة جامعة بيشة من يدرس حضارتها وتراثها . للمزيد انظر ما كتبنا عنها في رحلتنا الآنف ذكرها في كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الحادي عشر) (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) ، ص ٢٣٨ وما بعدها. (ابن جريس).

(٣) بلاد الحجر تستحق منا الكثير ، فالواجب دراسة تاريخها وحضارتها ، وأنساب قبائلها ، وما جرى فيها خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة والمعاصرة . (ابن جريس).

الأجـزاء الجبليـة من عسـير ، ويتبعها قبائل رجـال ألمع في تهامة ، وتصـب مياه سراة عسـير الشرقيـة في وادي بيشـة ، أما مياه السـراة الغربية فتصـب في مناطق البرك ، والقحمة ، والشقيق في تهامة ، وأهم الأودية ، وادي محايل الذي يصب في حلي ، ووادي ريم وعرمـرم اللـذان يصبـان في مناطق الشقيـق ، أما وادي عتود فيصـب في المناطق الواقعة إلى الجنوب من البرك والقحمة والشقيق[1] . أما سراة قحطان والمسماة قديماً بـ (سـراة جنـب) والواقعة إلى الجنوب الشرقـي من سراة عسير ((عَنْـز)) ، وتبدأ هـذه السراة بالمناطـق الواقعة من الشمال والشمال الشرقي مـن سراة عسير إلى ديار نجران وما حولها من الجنوب . وغالبية سكان هذه السراة من قبائل قحطان ، كوادعة، وسنحـان ، وبنـو بشر ، وعبيدة ، ورفيدة ، وقبائل أخـرى ، وهذه السراة عبارة عن طود عظيـم يقع ما بـين السهول الممتدة شرقـاً إلى التهائم غرباً ، ومياههـا تتجه إلى ثلاثة اتجاهـات، شمالاً نحـو بيشة ، وغرباً نحو بيش ، وأهل بيشـة في الشمال ، وأهل بيش في الغرب يتقاسمان الماء الآتي من السراة الواقعة ما بين أبها ونجران ، أما المياه الشرقية للسراة نفسها فتصب في واديي حبونن واليدمة نحو بلاد يام.

وقـد انطلـق الهمـداني - في رحلتـه - من سراة جنـب (بلاد قحطـان) متجهاً من الجنـوب نحـو الشمال ، وأثنـاء رحلته ذكر سراة عَنْـز ، وبعض المواطـن والمراكز التي كانـت بهـا ، ثم سراة الحجر ، وسراة بلقرن وغامد وزهران حتى وصل بذكره إلى بجيلة وعـدوان والطائـف ، ويستفاد مما ذكـره أن هنـاك أسماء للسروات مـا زالت إلى يومنا هـذا حيّة في الأذهان متداولـة على اللسان ، وبعضها اندثر ، مثل ناه ، وأحياناً تلفظ باه ، والخـال لشكر ، وأحياناً أخرى يذكر أسمـاء أماكن في البوادي أو الأغوار ، فيشير إلى أن سكانهـا من قبائل بلاد الأزد السروية ، لكنه لا يذكر لأي الأفخاذ أو العشائر ينتمون ، ولا نـدري ما سرّ اختفاء هذه الأسمـاء ، وما هي العوامل التي أدت إلى إخفائها . ومن

---

(١) للأسـف إن سـروات عسير لم تخدم من جامعاتها ، ففي السابق فرعـي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وجامعة الملك سعود ، ثم اندمج هذين الفرعين في جامعة الملك خالد عام (١٤١٩هـ/١٩٩٩م) ، وحتى هذا التاريخ لا نرى لهذه الجامعات إسهامات تذكر في حفظ موروث وحضارة وتراث هذه البلاد الجنوبيـة السعوديـة. نعم إن هـذه الجامعات قديمـاً وحديثاً فتحت كليـات وأقسام علميـة تخرج فيها آلاف الطالبـات والطلاب الذين انخرطوا في الحيـاة العملية ، لكن شكوانا حول ما قدمت هذه الجامعة وفروعهـا السابقـة في ميدان إصدار البحـوث العلمية التي تخدم المنطقة وأهلهـا ، وهل أسست مكتبات ومتاحـف ومراكـز بحوث تقوم على حفـظ التاريـخ الإداري والحضاري لهذه البلاد ، وهـذا الذي نريد تحقيقه . (ابن جريس).

سياق حديث الهمداني عن ناه أو باه ، والخال لشكر ، وأيضاً بنو خالد [١] ، تبين أن مواطنهم ربما كانت ببلاد سراة الحجر أو سراة بلقرن ، أو ضمن الأجزاء الخثعمية ، شرق سراتي بلاد الحجر وبلقرن ، والدليل على هذا القول أن الهمداني نفسه يذكر سراة الحجر في أثناء ذهابه من الجنوب إلى الشمال ، ثم يذكر السروات التالية لبلاد الحجر نحو الشمال ، قائلاً (وسراة الأزد ، وبنو القرن ، وبنو خالد ، نجدهم خثعم وغورهم قبائل من الأزد ، ثم سراة الخال لشكر ، نجدهم خثعم وغورهم قبائل من الأزد بن عمران) ، وبهذا الوصف يذكر سراة الحجر من الجنوب ، وخثعم من الشرق، وبنو القرن (الذين يطلق عليهم في وقتنا الحالي بلقرن) في الوسط ، وربما إلى الشمال مع بعض عشائر خثعم ، ثم يلي ذلك بقية السروات السابقة الذكر ، كغامد ، وزهران، وبجيلة وغيرها . وبهذا العرض الجغرافي يتضح أن ناه ، وبنو خالد ، والخال لشكر ، كانت ربما مجاورة لبلاد الحجر من الشمال ، ومن المحتمل أن تكون مشاركة لها في بعض المواطن الشمالية، أما بلاد بلقرن فمن المؤكد أنها مجاورة لهم ، بل ومشاركة لهم في كثير من المواطن ، لأننا نجد الهمداني في الوصف السابق يذكر ناه ثم بنو القرن (بلقرن) ، ثم بنو خالد ، والخال لشكر ، ثم غامد وزهران حتى يصل بلاد الطائف . وسر اختفاء ناه والخال لشكر وبنو خالد ، ربما أنهم اندمجوا مع قبائل السراة المجاورة، كسراة بلقرن ، أو بلاد الحجر ، أو خثعم ، فصاروا جزءاً منهم [٢] .

وقد تناول الشيخ حمد الجاسر سكان السروات (سروات الحجاز) على قسمين: **(أ) الأمم القديمة :** ثمود ، الأنباط ، العماليق ، ثابر ، عبد ضخم . **(ب) القبائل الحديثة :** ألمع، بارق، باه ، بجيلة ، البقوم ، ثقيف ، ثمالة ، جنب ، حاء ، بلحارث ، الحال ، الحجر ، حوالة، بنو خالد ، خثعم ، دوس ، زهران ، سلامان ، سنحان ، شبابة ، شكر ، شمران ، بنو شهر ،شهران ، عبيدة ، عدوان ، بنو عمرو ، علي بن عثمان ، ، عَنْز ،

---

(١) بنو خالد : من بلحارث في تَرْج . (ابن معبِّر) .

(٢) انظر: غيثان بن جريس . دراسات في تاريخ تهامة والسراة ، ج١ ، ص١٣٧. (ابن معبِّر) إن هذه السروات الممتدة من نجران في الجنوب إلى الطائف في الحجاز تستحق من جامعاتها المحلية بذل الجهود الكبيرة لحفظ تاريخها وتراثها وحضارتها. والباحث في كتب التراث المبكر يجد أن هذه الأوطان غنية بموروثاتها الحضاري. ومازلنا نأمل ونرجو من المؤسسات المعنية بالآثار والرسومات الصخرية أن تبذل جهوداً جيدة في دراسة هذا الموروث التاريخي المهم . كما لا نعفي الأغنياء وأصحاب الاموال في مناطق الجنوب من تبني بعض الكراسي أو المراكز البحثية التي تخدم أرض وإنسان هذه البلاد العربية العريقة .(ابن جريس).

غامد ، فهم ، بنو القرن ، لهب ، النمر ، وادعة ، هوازن[١]. ولعل في كلام الدكتور غيثان بن جريس - الذي مر معنا سابقاً - بعض الإضافات على حديث الجاسر ، بالنسبة للوضع المعاصر للقبائل من سكان السروات . وبذلك تتضح الصورة عن السروات ، ويعطينا ذلك مفهوماً أوسع وأشمل عن البلاد وسكانها . ثم يقول محمود شاكر في نهاية المقطع الأول :(وتحالفت بعض البطون ... حتى ... كقبيلة عسير التي أعطت المنطقة اسمها) .قلت: نَعْتُه لقبيلة عسير بـ (المتحالفة) يخالف الواقع القديم والحديث لقبيلة عسير ، فهي لا تمثل حلفاً مع غيرها ، إذ تحمل اسم (عسير) كقبيلة مستقلة من فروع (عَنْز بن وائل) وقبيلة عَنْز قبيلة مستقلة – أيضاً – منذ العهد الجاهلي حتى العصر الحديث ، حيث كانت فروعها (عسير ، وأراشة ، ورُفَيْدة) تحمل هذا الانتماء العَنْزي [٢]

وفي المقطع الثاني : يقول محمود شاكر : (وهنا لا يهمنا كثيراً أأنتسب عسير إلى قحطان أم عدنان ... حتى ... ولهذا انتسبوا إلى الأزد) . قلت : لقد مَرّ معنا سابقاً – في المقطع الأول – تحديد السروات وسكانها، وتبين لنا أن عسيراً غير الأزد ، ولكل منهما استقلاله عن الآخر ، ولا يمنع ذلك من بعض التداخل والتمازج ، ولا سيما مع تلاصق حدود سراة الحَجْر (الأزدية) مع سراة عَنْز بن وائل من جهة قبيلة عسير المتاخمة لسراة الحَجْر [٣] وهذا يدفع حكم محمود شاكر الذي قال فيه بانتساب عسير إلى الأزد . **أما المقطع الثالث :** فقد أسنده إلى الشيخ عبد الرحمن الحاقان ، ولكنه لم يحدد نهاية كلام الحاقان ، مما يؤدي إلى جهلنا عن مصدر المقاطع التالية ، هل هي من كلام الحاقان أم غيره ؟ وورد في هذا المقطع (من بني نمار بن نزار) والصواب : أنمار .**وقال في المقطع الرابع :** (رُفَيْدة بن أراشة) وأراشة ليست من رُفيدة ، فرفيدة وأراشة تعودان - سويّاً - إلى عَنْز ، فلا يُعدّ رُفيدة ابناً أو نسلاً من أراشة . **وتحدث في المقطع الخامس :** عن رجال ألمع ، وتعداده للقبائل العشر لا غُبَار عليه ، وكذلك حكمه بقحطانيتها . إلاّ أنه يقول (ويذكر بعض المؤرخين) وقوله (يزعم بعضهم) .وكل ذلك دون سند ، فمن هم بعض المؤرخين ؟ ومَنْ هم أصحاب هذا الزَّعم ؟[٤] .

---

(١) في سراة غامد وزهران ، ص ٤٠٤. (ابن معبِّر) .

(٢) سراة عَنْز بن وائل ، محمد معبِّر ، ص٣٧. (ابن معبِّر).

(٣) الذي أعتقده أن التداخل كبيراً بين قبائل عسير الرئيسية وغيرها ، وفيما يبدو أن بعضاً من عشائر الأزد وغيرها اختلطت مع قبائل عنز بن وائل من قديم الزمان .(ابن جريس).

(٤) أقول أن قبائل عَنْز بن وائل ، أو رفيدة أو رجال ألمع مازالت تحتاج إلى بحوث عميقة تعتمد على مصادر رئيسية توضح بعض الغموض واللبس الذي جعل الباحثين يختلفون في أنساب وأمكنة وهجرات هذه القبائل. (ابن جريس).

٢ـ قبيلة عسير:

قال محمود شاكر : (قبيلة عسير حلف من القبائل ذات الأصول المختلفة ولكن كثرتها من أزد السراة فيها عناصر من قحطان وشهران وهذا أمر طبيعي بالنظر إلى رابطة الجوار وضرورات الاختلاط الناشئ عن الغلبة والسلطان والمصاهرة والولاء ، وإن إرجاع أنساب القبائل العربية المعاصرة إلى أصولها أمر هو من الصعوبة بمكان عظيم نظراً للاختلاط الذي حصل خلال الزمن الطويل في ((الجزيرة العربية)) أن قبيلة عسير يمانية تنزرت) [١].وقد نقل هذا المقطع بتصرف يسير من كتاب (في بلاد عسير) لفؤاد حمزة ، ولم يسنده إليه .ومن الأولى ـ وقد جعل عنوان هذا الفصل : قبيلة عسير ـ أن يقصر كلامه على قبيلة عسير ، فلا يدخل معها (قحطان وشهران) . أما قوله (قبيلة عسير حلف من القبائل ...) فهو مجرد سياق كلام بدأ به الحديث عن قبيلة عسير . فعسير : قبيلة مستقلة ذات أصول معروفة تعود إلى القبيلة الأم عَنْز بن وائل ، وهي تعيش في مواضعها منذ العصر الجاهلي حتى اليوم [٢] ، في إطار (سراة عَنْز ابن وائل) ، وهو ما ذكرته الكثير من المصادر التاريخية [٣]. أما الأزد فقبيلة ذات فروع منها (غامد ، وزهران ، ورجال الحجر ، وبارق ، ورجال ألمع) ، ولم ترد لهم أي صلة بسراة عَنْز بن وائل ، أو بلاد قبيلة عسير إلاّ في زمن متأخر، من خلال بعض الكتب التي خلت من المصداقية [٤]. وربما اعتمد البعض على عنوان كتبه الشيخ حمد الجاسر في مجلته (العرب) سنة (١٣٩١هـ) بعنوان: (جُرَش قاعدة الأزد) ، وكأنَّ الجاسر ربط بين فتح جُرَش على يد صُرَد بن عبد الله الأزدي (رضي الله عنه) وقومه من الأزد [٥].

---

(١) ص٥٤. (ابن معبِّر) . ما ذكر محمود شاكر من الاختلاط والتداخل بين العشائر وضع صحيح ، بل هذا ما جرى مع كثير من قبائل الجزيرة العربية .(ابن جريس).

(٢) هذا القول فيه تعميم ، وقولك تعيش في موضوعها منذ العصر الجاهلي يحتاج إلى براهين قوية تؤيد هذا الرأي، بل إن المصادر التراثية التي تحدثت في هذه تحتاج إلى دراسة وتحليل وغربلة في معلوماتها ، وكذلك ما ذكرته عن قبيلة عنز وغيرها .(ابن جريس).

(٣) سراة عَنْز بن وائل ، محمد أحمد معبِّر ، وفيه أغلب ما ذكرته تلك المصادر التاريخية .(ابن معبِّر) .

(٤) يجب أن لا تجزم بهذا القول ، فربما هناك مصادر ناقشت هذه الجزئية لكنها لم تصلنا بعد. وقولك أنه لم يكن بين هذه القبائل صلة فهذا قول ينقصه الدليل ، والسبب أن هذه القبائل المتجاورة في الأرض ، ومن المؤكد تداخل بعض المصالح الاقتصادية والسياسية والعسكرية ، وتقول أنه لم يكن بينها صلات ، فهذا كلام لا يعقل .(ابن جريس).

(٥) هذا أنت تورد اسم صرد الأزدي ، وكتب السيرة والتراجم وغيرها تذكر صرد عندما فتح بلاد جرش وسير أمور الدولة الإسلامية في جرش وما حولها ، وبلاد عسير الرئيسية كانت جزءاً من مخلاف جُرش . (ابن جريس).

بينمـا نجـد أغلب المصادر ـ إن لم يكـن كلّها ـ لم تذكر الأزد كسـكان لمدينة جُرَش ، أما إذا قصدنـا المخلاف فنعم .فياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) قـال عن سبب تسمية جُرَش :(بـأن تبّعاً أسعد بن كُليكَرُب خرج من اليمنِ غازياً حتى إذا كان بجُرَش، وهي إذْ ذاك خربـة ، ومعـدّ حالةٌ حواليها فخلف بها جمعاً ممن كان صحبـه رأى فيهم ضعفاً ، وقال : اجرشـوا ههنا أي البثوا ، فسميـت جُرَش بذلك) [١] .فلم يذكر الأزد ، وزاد على ذلك قولـه (وهي إذْ ذاك خربة ، ومعـد حالة حواليها) . وكذلك الزبيدي[٢]، وابن حزم[٣]، والوزيـر المغربي[٤]، وابن حجـر[٥]، وابن حبيب[٦]، والمـبرد[٧]، وغيرهم قد ذكروا أن قبيلة حمْيَر من أوائل من سكن مدينة جُرَش ، ولم يرد للأزد أي ذكر عندهم . ولم نجد الأزد إلاّ في الـكلام عن الفتـح الإسلامي لمدينة جُرَش ، حيث قدم وفد الأزد إلى المدينة وعلـى رأسهـم صُرد بن عبد الله الأزدي ، فأمَّرَه الرسـول ﷺ على من أسلم من قومه ، وأمَـرَه أن يجاهـد بمن أسلم على مـن كان يليه من أهل الشـرك ، فانطلق صرد حتى حاصـر مدينة جُرَشـ ، وبقية القصة معروفـة[٨]. ومما يدل على أن حمـيراً كانوا من سكان(جُرَش) قول رجل من الأزد كان مع صرد:

يـا غــزوة مـا غـزونـا غـير خـائـبـة ... فيـها الـبـغـال وفيـها الخيـل والحُـمـر

حـتـى أتـيـنـا حُـمَـيْراً في مـصـانـعـها ... وجـمـع خثـعـم قـد شـاعـت لـها الـنُّـذَر

لأن خثعم ضوت إلى داخل جُرَش[٩] . وفي القرن الثاني للهجرة نزح أحمد بن يزيد العوسجـي من صعدة إلى بلاد عَنْـز بن وائل، ونزل في تندحة ، وقامت الحرب مع قبيلة

---

(١) معجم البلدان (جرش) . (ابن معبِّر) .

(٢) تاج العروس مادة (جُرَش) . (ابن معبِّر) .

(٣) جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٧٨ .(ابن معبِّر) .

(٤) الإيناس في علم الأنساب ، ص ١٠٢. (ابن معبِّر) .

(٥) تبصير المنتبه ، ج١، ص ٢٤٨. (ابن معبِّر) .

(٦) مختلف القبائل ، ص ٣٤٣. (ابن معبِّر) .

(٧) الأزد قبيلـة عربية كبـيرة انتشرت في أماكن كثيرة داخل الجزيرة العربية وخارجها ، وليس من المعقول أن لا يكون في مدينة جرش بعض الأزديين ، وهذا الوالي الذي تولى إدارتها في عهد الرسول (ﷺ) من الأزد . (ابن جريس).

(٨) أنت يا محمد معبِّر تنفي ثم تثبت وجود الأزد في جرش ، فكيف هذا التناقض. (ابن جريس).

(٩) إن مدينة جُرش وعموم مخلاف جرش كانت مسكونة بالعديد من العشائر والقبائل العربية ، والأزد من أكبر القبائل التي استوطنت هذه الأرض ، بل إن معظم سكان مخلاف جرش كانوا من القبائل اليمانية القحطانية. (ابن جريس).

عَنْز ، ودخل إلى جُرَش ، واستمر الوجود الحميري ـ الممثل في العواسج ـ مع قبيلة عَنْز في جُرَش حتى نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس الهجريين ، حيث أدّى الخلاف والصراع إلى نُزوح العواسج إلى وادي ابن هشبل وغيره. ولم يرد أي ذكر للأزد في هذا الصراع[١]. أما قوله : (وفيها عناصر من قحطان وشهران ...) فيخالف الواقع ؛ فقحطان أو شهران من القبائل المعروفة في نطاق منطقة عسير الإدارية ـ حالياً ـ وهما ذات تاريخ مستقل ومواضع معروفة منذ العهد الجاهلي حتى اليوم، ولا يمكن القول بدخولها في حلف مع عسير إلاّ بدليل[٢] . وفي قول محمود شاكر : (وإن إرجاع أنساب ... إلخ) بعض الحقيقة ، ولا سيما في زمن تأليفه لكتابه ، إذ لم تظهر حينذاك بعض الكتب التي أماطت بعض الغموض ، ولكن ذلك لا يُسَوِّغ القول بصعوبة إرجاع أنساب القبائل ـ بشكل عام ـ إلى أصولها [٣]. أمّا العبارة الشائعة التي أدرجها في آخر النص السابق وهي : (قبيلة عسير يمانية تَنَزَّرت) فهي عبارة لا يمكن اعتبارها دليلاً قاطعاً، على افتراض وجودها في محيط مكاني يماني ، مع وجود من ينتسب إلى نزار ، لأن هذا الافتراض لا يقوم به الدليل مع وجود بعض النزارية في هذا المحيط منذ العصر الجاهلي[٤]. ويمضي محمود شاكر في حديثه عن فروع قبيلة عسير مبتدءاً ببني مُغَيِّد ، فقال عن أفخاذهم : (١) آل ناجح : ومنهم آل يزيد ، وهم رؤوس عسير ، ويقولون : إنهم ينتمون إلى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الخليفة الأموي الثاني ، وقد قدموا إلى المنطقة بعد زوال دولة بني أمية في الشام وملاحقة بني العباس لهم ، وعندما وصلوا إلى المنطقة تحالفوا مع بني مغيد[٥] . ويذكر ابن كثير في كتابه: ((**البداية والنهاية**)) أنه

---

(١) هذه الروايات التي أشرت إليها ذكرتها بعض المصادر الإسلامية المبكرة ، ولكنها لم تتحدث عن الأزد وصراعهم مع هذه القبائل ، وذلك لا يعني أنهم وغيرهم من القبائل اليمنية لم يكونوا موجودين في مدينة جرش وما حولها. (ابن جريس) .

(٢) يا محمد أنت تتكلم عن كل قبيلة على أنها مستقلة تماماً عن القبيلة الأخرى المجاورة ، وهذا كلام غير دقيق ، بل من المؤكد أنه كان هناك صلات يسودها الاتفاق أو الاختلاف وذلك بحكم الجوار في الأرض وأحياناً التحالفات القبلية .

(٣) هذا كلام صحيح ، لكن الحديث أيضاً عن أنساب القبائل في الأزمنة البعيدة الغابرة يسودها الكثير من الغموض وعدم الوضوح لندرة المصادر الموثوقة التي تفصل الحديث في هذا الباب .(ابن جريس) .

(٤) النزاريون موجودون في أجزاء عديدة من بلاد تهامة والسراة منذ عصور ما قبل الإسلام ، لكن السواد الأعظم من سكان السراة الممتدة من الطائف حتى حواضر اليمن من القبائل العربية اليمنية. (ابن جريس) .

(٥) هذا الكلام أسهب فيه بعض الكتاب والباحثين المتأخرين ، لكن عندما نحتكم إلى مصادر التاريخ الإسلامي المبكرة ، فإن حقيقة هذا القول غير مؤكدة ولا نجد أي برهان أو دليل يؤيد هذا الكلام. (ابن جريس) .

كان ليزيد بن معاوية خمسة عشر ولداً ذكراً هم : معاوية ، وخالد وأبو سفيان ، وأمهم أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وعبد العزيز وأمه أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر ، وعبد الله الأصغر ، وأبو بكر ، وعتبة ، وعبد الرحمن ، والربيع ، ومحمد ، ويزيد ، وحرب ، وعمر ، وعثمان وهؤلاء أمهاتهم أمهات أولاد .وله من البنات خمس هن : عاتكة ، ورملة ، وأم عبد الرحمن ، وأم يزيد ، وأم محمد . ويقول ابن كثير : وقد انقرضوا كافة فلم يبق ليزيد عقب . [١] والواقع أن رأي ابن كثير غير مقبول إذ من المستبعد أن ينقرض نسل خمسة عشر ذكراً فلم ينجب أحدهم في حين كان يتزوج الواحد منهم عدة نساء ، وإنما الذي يبدو صحيحاً أن قيام دولة بني العباس وملاحقة الأمويين ومنهم أبناء يزيد وأحفادهم قد جعلهم يغادرون المنطقة التي كانوا فيها وهي دمشق ويتجهون إلى مناطق نائية فلم يعد يعرف لهم أثر في منطقتهم التي نشأوا فيها وبخاصة أن هذا لم يحدث بعد مدة طويلة من أيام يزيد إذ دارت الدائرة على بني أمية ولم يمض على وفاة يزيد أكثر من ثمانية وستين عاماً فقد يكون بعض أبنائه لا يزالون أحياء ، وعندما وصلوا إلى مناطقهم الجديدة التي حلوا فيها لم يشتهر أمرهم فيها إذ لم يعرّفوا على أنفسهم خوفاً من بطش السلطة بهم وهي التي تدين بالولاء لخصومهم بني العباس، كما أن التاريخ لم يؤرخ - مع الأسف - إلا للأمراء والملوك فنسيهم عندما أعلنوا عن أنفسهم في وقت ضعفت سلطة بني العباس . وقد تكون أسر أخرى تنتمي إلى يزيد في جهات ثانية . ولهذا عندما قال ابن كثير بأنهم قد انقرضوا كافة فلم يبق ليزيد عقب فهو صادق مع نفسه إذ لم يسمع حتى أيامه بأحد ينتمي إليه في منطقة دمشق أو بآخر طارت شهرته في منطقة ثانية[٢] . وهم الذين يحملون رايات عسير في الحروب ، والراية قطعة من قماش خضراء ، طولها خمسة أذرع ، وعرضها ذراعان ، كتب عليها في الأعلى لا إله إلا الله محمد رسول الله وفي الأسفل نصر من الله وفتح قريب . (٢) آل عبد العزيز . (٣) آل وازع . (٤) آل مغيد الوطى ومنهم آل الشرف وآل يزيد الشعف الذين دخل معهم آخرون بالمصاهرة والحلف . ويعتبر بنو مغيد فيقولون عن أنفسهم مغيد الخطى) [٣].

---

(١) ابن كثير من المصادر التاريخية المبكرة ، وهو هنا ينفي أن يكون ليزيد بن معاوية عقب ، والذين تحدثوا عن الإمارة اليزيدية في عسير يقولون أنهم يعودون إلى جدهم الأعلى الذي هو من سلالة يزيد بن معاوية. (ابن جريس).

(٢) تحليل معقول ومقبول . (ابن جريس) .

(٣) ص ٥٦ (ابن معبِّر) .

قلت : يخلو النص السابق من أي توثيق سوى قوله (يقولون) ولا ندري من هم هؤلاء الذين يقولون ؟ . وهي معضلة تكتنف الكتاب ، وهي عدم التوثيق ، مما جعله أقرب إلى أحاديث الأسمار ، التي تدور في سلسلة من الأحداث والأعلام ، فيها الصحيح والسقيم . ويحمل النص - أيضاً - إرهاصاً لما سيذكره شاكر - لاحقاً - عن عسير في العهود الإسلامية ، ولا سيما في العهد العباسي . ونتفق مع شاكر في شكّه بصحة انقراض نسل يزيد بن معاوية ، مع إمكانية رحيل بعض نسل يزيد إلى منطقة عسير ، ويأتي الإشكال في غموض تاريخ هذا النّسل في عسير ، فقد أطبق التاريخ على عدم ذكرهم خلال القرون السابقة حتى ظهر كتاب (إمتاع السامر) ومجموعته ، بينما نجد الأحداث التي دارت في داخل منطقة عسير ومحيطها خلال القرون السابقة، وليس فيها أي إشارة إلى دولة أمويّة ، وهذا ما سيتم تناوله لاحقاً تحت عنوان: (بلاد عسير في العصور الإسلامية)[١]. وبعد أن انتهى من ذكر فروع قبيلة عسير (مُغَيّد ، وعلكم ، وربيعة ، ورُفَيْدة ، وبني مالك) قال محمود شاكر : (ويتبع عسير عدد من القبائل الصغرى دون الأولى في المركز الاجتماعي وذلك بسبب قوة الشوكة والشكيمة ، كما أنها هي تختلف فيما بينها ، كما لها فروع في المناطق الثانية وبين القبائل التي تقيم في البقاع الأخرى من السراة كشهران وقحطان ورجال الحجر ، وأهم هذه القبائل : (البلاحطة ، والفيوض ، والهتمان ، والكحلة ، والدواسر ، والعبيد ، والمحّاحة)[٢]. قلت : لا يتوافق نَعْته لها بالقبائل مع الواقع ، فهي من فئات المجتمع . والمُسَمَّيَات التي أثبتها المؤلّف لا تدل - في الغالب - على عمود نسب يُرجَعُ إليه المُسَمَّى[٣] ، وبذلك لا تُنْعت هذه الفئات بمسمى القبائل.

٣- العادات الاجتماعية عند قبائل عسير:

الكثير مما أورده محمود شاكر تحت هذا العنوان نقله من كتاب (في ربوع عسير) لمحمد عمر رفيع ، ولم يذكر هذا الكتاب في حواشيه سوى مَرّة واحدة ، وأحال ذلك إلى صفحة (٣٤) من في ربوع عسير ، وهو قد نقل من صفحتي (٣٥) و (٣٦) ، ولا يمكن

---

(١) هذا هو عين الحقيقة ، كيف تصمت المصادر الأولية عن هذه الإمارة اليزيدية خلال القرون الإسلامية المبكرة، إن ذلك غير معقول ، مع أن هذه المصادر ذكرت أحداث وأخبار محدودة عن بني أمية وغيرهم في أصقاع عديدة من العالم الإسلامي . (ابن جريس) .

(٢) ص ٥٩. (ابن معبِّر) . هذه الفئات يجب أن تذكر في التاريخ وتدرس أحوالها الاجتماعية والاقتصادية تحت مظلة القبائل العربية ، أو ما ينالهم أحياناً من الظلم والإهانة من بعض شرائح المجتمع . (ابن جريس) .

(٣) نعم إنها من شرائح أو طبقات المجتمع وليست عشائر مستقلة . (ابن جريس) .

تفسير ذلك بأنه أشار إلى صفحة (٣٤) وما بعدها يتبعها ، فالنصوص المنقولة من صفحتي (٣٥) و (٣٦) جاءت بعد حاشيته التي أحال فيها إلى صفحة ٣٤ من كتاب (في ربوع عسير)[١].وليس عيباً أن ينقل ما ورد عند رفيع بتصرف أو دون تصرف ، إلاّ أن العيب في تجاهله وإهماله توثيق النصوص[٢]. ومما كتبه عن هذه العادات قوله : " من العادات الشائعة أن البنت لا تتزوج حتى تبلغ سن الخامسة والعشرين من عمرها لأن أهلها يريدون أن يستفيدوا منها في العمل في المزارع) [٣].

وهذا القول يخالف الحقيقة ، فقد كان سِنُّ الزواج يبدأ من سن الثالثة عشر للفتاة، ومن النّادر أن تتجاوز الفتاة سنّ الثامنة عشر من سنّها دون زواج، وقد استمر ذلك حتى سنة (١٣٩٠هـ) تقريباً ، فقد أخذ في التناقص ، وارتبط ذلك مع تعليم البنات ، فأصبح مرتبطاً مع نهاية المرحلة المتوسطة والفتاة في الخامسة عشر، أو السادسة عشر، ثم تلازم ذلك مع تخرجها في المرحلة الثانوية في سن الثامنة عشرة ، أو التاسعة عشرة، ومع ظهور التعليم العالي للبنات امتد سنّ الزواج للفتاة إلى ما بعد العشرين[٤] . وقد قمت بدراسة في سجلات عقود أنكحة للشيخ محمد بن صالح الشهراني (ت١٤٠٣هـ) ، وقد أجرى (٧٢٢) عقد نكاح خلال المدة من (١٣٧٢/٥/١٢هـ حتى ١٤٠٣/٨/٢٠هـ) ، وانتخبت عَيِّنة عشوائية بلغت (٣١١) عقد نكاح، وجاءت نتيجة الدراسة فيما يخص سنّ الزواج للمرأة كالتالي: (١) من سنّ ١٠ حتى ١٢سنة (٨ حالات) .(٢) من سنّ ١٣ حتى ١٥ سنة (٦٢ حالة) . (٣) من سنّ ١٦ حتى ٢٠ سنة (٦١ حالة) .(٤)من سنّ ٢١ حتى ٣٠ سنة (٢٣ حالة) . (٥)من سنّ ٣١ حتى ٤٠ سنة (٤ حالات). (٦)من سنّ ٤١ حتى ٥٠ سنة (حالتان) [٥]. ويتضح من ذلك أن سنّ الزواج في سنّ العشرين وما قبلها أكثر بكثير من غير ذلك . وكانت هذه العقود ضمن نطاق جغرافي يشمل مدينة أبها، ومدينة خميس مشيط ، والشعف من جنوب مدينة أبها حتى تمنية، ومدينة

---

(١) إن محمود شاكر وقبله محمد عمر رفيع ، وفؤاد حمزة ، وفلبي وغيرهم حفظوا لنا الكثير من تاريخ وحضارة آبائنا وأجدادنا ، فشكر الله لهم ، حتى وإن وقعوا في بعض الأخطاء أو أوردوا بعض الأخبار المغلوطة. (ابن جريس) .

(٢) هذا هو الكلام الصحيح والمنهج العلمي الذي يجب على الباحث النزيه اتباعه . (ابن جريس) .

(٣) ص ٦٣. (ابن معبِّر) .

(٤) تاريخ الزواج في بلاد السراة من الموضوعات التي لم تدرس بشكل دقيق ومطول ، ونأمل أن نرى باحثين جادين أو طلاب الدراسات العليا فيتولون هذا الموضوع بالدراسات العلمية الموثقة . (ابن جريس) .

(٥) محمد بن صالح الشهراني (مدرس المسقي في رحاب المجتمع) ، محمد بن أحمد معبِّر) ، ص٢٥٧. (ابن معبِّر) .

أحد رُفَيْدة، والوادبين. وقال شاكر عن المرأة: (لا تحتجب المرأة في عسير أي لا تغطي وجهها ، وإنما لباس الحشمة هو الشائع بين النساء جميعاً ، وهن يعملن مع الرجال في الحقول وهذا شأن أكثر المناطق الزراعية وبخاصة وقت الحصاد وجني المحصول ... وتعمل المرأة مع الرجل في شؤونه كلها إضافة إلى عملها الخاص الموكلة به وهو تدبير المنزل ، وفي جلب الماء وإحضار الحطب، وقلما تعمل المرأة في الخياطة إذ أن هذه المهنة من اختصاص الرجل) [١]. في هذا النص تعميم لما ورد فيه ، وهذا يعطي تَصوّراً عاماً لحجاب المرأة وعملها في منطقة عسير ، وليس هذا ممّا يَسْري على كُلِّ النساء [٢]. نتفق في عدم تغطية الوجه بشكل كامل ، إلاّ أنّ اللِّثَام يحلّ مَحلّ التغطية، فالمرأة تُدْني على وجهها بجزء من غطاء الرأس ، ويكون ذلك على الأنف ، أو على الفم، ولا سيما إذا كانت في مجتمع من الرجال من غير أسرتها[٣] . أما إطلاق عملها مع الرجال في الحقول أو في جميع الشؤون، فهذا من التعميم ، فالمرأة لا تُشارك الرجل في أعمال الزراعة إلاّ في نطاق محدود ، ولا سيما في حال قلّة الرجال ، أو لعدم وجود أقارب لها ، فهي تُشَارك في البذَار، أو الحصاد ، وبعض الأعمال الزراعية الجانبية، أما الحراثة ، وجلب الماء لريِّ المزارع ، والإشراف اليومي على أعمال الزراعة فمن اختصاص الرَّجُل إلاّ في بعض الحالات النّادرة[٤]. وكذلك الشؤون الأخرى المختصة بالرجل ، مثل : جلب الحجارة والأخشاب للبناء ، وعملية البناء [٥]، ورعي الماشية في

---

(١) ص ٦٦. (ابن معبِّر) .

(٢) يا محمد أنا أتفق مع محمود شاكر فيما قال فلقد عاصرنا حياة الكثير من سكان منطقة عسير منذ الثمانينيات إلى نهاية التسعينيات ومعظمهم يعيشون الحياة التي ذكرها في النصوص المذكورة أعلاه . (ابن جريس) .

(٣) حياة الناس في الماضي شاقة ، من رعي وزراعة وجلب الحطب والحشائش ، ومن ثم كانوا جميعاً النساء والرجال في شغل شاغل ، بل إن حياتهم كانت بسيطة في اللباس والزينة والطعام والشراب وغيرها. وللأسف إن بعض المغرضين يقولون أن النساء في الجنوب كن لا يحتجبن ، ونقول إنهم كانوا حريصين على تغطية كامل الجسد والرأس ماعدا الوجه والكفين ، والذي جعلهم يفعلون ذلك هو صعوبة الأعمال التي يمارسونها خارج البيت ، وعندما عم الخير في البلاد وعرف النساء أن تغطية الوجه ضرورة شرعية إذا خشيت الفتنة بعد ذلك أصبحن جميعهن يلبسن حجاباً كاملاً على سائر الجسد . (ابن جريس) .

(٤) هذا كلام غير صحيح، فلقد عشنا في محافظة النماص منذ بداية الثمانينيات وكان أفراد الأسرة رجالاً ونساءً بل جميع سكان القرية والقرى يعملون جميعاً في جميع المهن الرئيسية مثل الزراعة ، والرعي، وجمع الحطب وغيرها من الأعمال الضرورية التي يقتاتون من خلالها . (ابن جريس) .

(٥) هذه الأعمال الشاقة كانت من اختصاص الرجال ، والنساء يساعدن في الأعمال المساندة لهذه المهن مثل جلب الماء من الآبار ، وطهي الطعام للقائمين بهذه الأعمال وغيرها . (ابن جريس) .

الأماكن البعيدة عن القرية، وحفر الآبار، ونحو ذلك ، فإن مشاركة المرأة في الأعمال السابقة من الحالات النادرة .وفي المقابل تقوم المرأة بعدة أعمال خارج المنزل، ومنها: جلب الماء للشرب، والاستعمالات المنزلية ،الاحتطاب ، رعي الماشية في الأماكن القريبة من القرية ، مع صحبة من بنات جنسها في الغالب . المشاركة في الحصاد . عملية حصاد البرسيم . قيامها بتوصيل الطعام للرجال في أماكن عملهم . ويضاف إلى ذلك الأعمال داخل المنزل ، ومنها : رعاية الأولاد . حَلْب وتغذية الماشية . أعمال إعداد الطعام . صيانة المنزل من كنس ونحوه . تزيين المنزل من الداخل بما يسمى (القَطّ) أو الخطوط . بعض أعمال البناء داخل المنزل[1] . وعن لباس الرأس للرجل قال شاكر: (كان الرجل حاسر الرأس أما الآن فقد أصبح يضع على رأسه الغترة) [2]. قلت : كان يلبس العمامة، أو أي قماش يلفه على رأسه ، وفي بعض جهات منطقة عسير ، ولا سيما التهامية فإنّ الرجل يضع على رأسه إطاراً من النباتات كالريحان ونحوه، ويسمى هذا الإطار: غرارة. وقال شاكر في قلب أل التعريف إلى (أم): (يقلبون الألمعي إلى اممعي) [3]. والصواب: امّلْمَعِي ، أو مَلْمَعِي .

٤.رجال الحَجْر:

أدرج محمود شاكر (بالقرن) ضمن قبائل رجال الحَجْر [4].وهذا خطأ، فقبائل رجال الحَجْر تتكون من : بللحمر ، وبللسمر ، وبني شهر ، وبني عمرو[5].

٥. شَهْرَان:

قال محمود شاكر :" شهران قبيلة كبيرة ولهذا تسمى العريضة ، وهي تسكن وادي بيشة وفروعه عدا بعض أعاليه حيث تقيم فيها قبيلة رفيدة من قحطان . كما توجد في مجراه الأسفل بعض فروع من قبائل خثعم وأكلب وبلحارث وبالقرن وشمران. وكذلك

---

(١) هذه فعلاً من أعمال المرأة الرئيسية بل إنها كانت مساندة للرجل في كل أعماله ، فهي عضو رئيسي وفاعل في المجتمع . (ابن جريس) .

(٢) ص ٦٨ . (ابن معبِّر) .

(٣) ص ٧٠ . (ابن معبِّر) . وأقول إن دراسة تاريخ اللباس والزينة ، وكذلك اللهجات في منطقة عسير وغيرها من مناطق الجنوب السعودي من الموضوعات المهمة التي يجب دراستها ، وهذه مسؤوليات أقسام التاريخ واللغة العربية في جامعات الباحة وبيشة والملك خالد ، وجازان ، ونجران فتدرس هذه الموضوعات دراسات علمية موثقة. (ابن جريس) .

(٤) ص ١٠٠ . (ابن معبِّر) .

(٥) وهذه القبائل تستحق من يدرس أنسابها وتاريخها في الجاهلية وعبر عصور الإسلام المختلفة ، وهي تستوطن في وسط السروات الممتدة من الطائف إلى نجران . (ابن معبِّر) .

فإن هذه القبيلة تملك منطقة وادي المسيرق الذي يتألف من اجتماع أودية السليل وخيبر والشيق . ويسكن بعض شهران قسماً من منطقة الشعف تسمى شعف شهران وفيها عدة قـرى منها القرعـاء ، ومسقي ، وتمنية ، وبني جابرة ، وآل سرحـان ، وآل القارية ، وآل ينفـع وكذلك يقيـم أفرادها في سيل القـاع أحد روافد وادي تثليـث . والقبيلة من أصل قحطـاني عدا إراشـة فإنهم ينحدرون من عَنْـز أي من القبائل العدنانيـة) [١]. قلت : قبيلة رفيدة من عَنْز بن وائل منذ العهد الجاهلي حتى اليوم[٢].

أما قوله : (ويسكن بعض شهران قسماً من منطقة الشعف تسمى شعف شهران...) فتعوزه الدّقة ، لأن الشعف لا يسكنه بعض شهران ، بل أراشة وبعض رفيدة ، وإنما حصل بعد سنة (١٣٤٠هـ) بعض الملابسات في تبعية مشيخة (أراشة) لشهران ، فدارت كلمة (شعـف شهران) في نطاق محدود ، وقـد تناولت ذلك في بحث بعنوان :(قبيلة شهران وسراة عَنْز بن وائل) [٣]. وقد عاد محمود شاكر إلى الصواب بقوله (عدا شعف أراشة فإنهم ينحدرون من عَنْز) .

٦ـ قَحْطَان :

خلط محمود شاكر في هذا الفصل ، فضمّ رُفيدة إلى عبيدة[٤]. ثم عاد فذكر بعض فـروع رُفَيـدة مثل (الحاف ، وذُعـي ، وقيس ، وجارمة ، وخطّـاب) [٥].ثم أخرج وقشة وآل الشـواط مـن رُفَيدة [٦] ، وأهمل : آل الجحل، وآل مستنير . ولكنه أثبت الصواب في انتماء رفيدة إلى عَنْز بن وائل [٧] .

---

(١) ص١٠٢ . (ابن معبِّر) . قبيلة شهران أو بلاد شهران لم تخدم بحثياً ونأمل من جامعتي بيشة والملك خالد أن تشجع طلابها وأساتذتها لدراسة تاريخ وحضارة هذه البلاد الجنوبية السعودية المهمة . (ابن جريس) .

(٢) سـراة عَنْـز بن وائل ، محمد معبِّر ، ص٤٤ . (ابن معبِّر) . أصبحت بلاد أحد رفيدة اليوم مختلطة مع غيرهـا مـن القبائل ونأمل منك يـا ابن معبِّر أن تخصص دراسة مستقلة لهـذه العشيرة منذ عصور ما قبل الإسلام حتى وقتنا الحاضر ، وإن فعلت ذلك فسوف تخدمنا جميعاً يا معاشر الباحثين والدارسين . (ابن جريس) .

(٣) كثـير من قرى وفخـوذ قبيلة شهران مازالوا يستوطنون هذا الشعف ، بـل إنهم يعيشون في أفضل وأهم أجزاء هذا الشعف . وأقول أن قبيلة شهران العريضة تحتاج إلى دراسة أو دراسات عديدة توضح أصولها ، ومواطنها وتاريخها السياسي والعسكري والحضاري منذ ظهور الإسلام إلى وقتنا الحاضر ، ونأمل أن نرى من الباحثين الجادين من يتولى هذا الموضوع بالبحث والتحليل . (ابن جريس) .

(٤) ص ١٠٦ . (ابن معبِّر) .

(٥) ص ١٠٧ . (ابن معبِّر) .

(٦) ص ١٠٧ . (ابن معبِّر) .

(٧) محمـود شاكـر معذور في هـذا الخلط لأنه من يتجول في أرجاء بلاد قحطـان اليوم يجد تداخل مواطن

٧ـ بلاد عسير في العصور الإسلامية :

يمثل هذا الفصل توطئة لإثبات دولة في عسير حكامها من نسل بني أمية، ففي وثبات سريعة منذ فتح مدينة جُرش وتولية صرد بن عبد الله الأزدي (رضي الله عنه) عليها ، وبضعة أسطر عن عهد الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) حتى يقفز إلى العصر العباسي دون ذكر للدولة الأموية في دمشق . وبدأ المؤلف الفصل بقوله : (كان لقبائل عسير في الجاهلية مركز كبير بين القبائل العربية ، وقوة يخشى بأسها وبخاصة في وقت كانت قيمة القبائل بقوتها ومركزها بعدد أفرادها، وقد أضافت مناعة بلادها زيادة إلى جانبها المرهوب ، فقد وضعت الأزد أتاوة على عير قريش المنطلقة نحو اليمن في رحلتها الموسمية في فصل الشتاء) [١] . وهذا نص فضفاض ربط فيه بين عسير والأزد ، ولاخلاف إذا كان المقصود منطقة عسير بحدودها الإدارية لهذا العصر الذي نعيشه ، أما إذا كان المقصود بذلك قبيلة عسير وموطنها سراة عَنْز بن وائل ، فهذا مما لا نتفق عليه ، إذ لا وجود للأزد في سراة عَنْز، فالأزد في سراة الحَجْر إلى الشمال من سراة عَنْز ، وهو ما اتفق عليه الكثير من الجغرافيين والمؤرخين[٢].ثم يحدد المؤلف موقع مدينة جُرَش وأنها تقع (في سفح جبل شكر من جهته الغربية ، وعند هذا الجبل وقعت الموقعة التي تمكن صرد من خلالها الاستيلاء على جرش) [٣]. وهو يقصد جبل (حمومة) الذي يقع في شرق جُرَش . وجبل شَكَر غير جبل حمومة ، وقد تحدثتُ عن الجبلين في

العشائر بعضها في بعض ، وليس هذا الأمر محصوراً في قحطان ، ولكن هذه المشكلة وجدتها عند كثير من قبائل تهامة والسراة ، وبعض قبائل الحجاز ونجد والشمال . والسبب أن هذه القبائل تتداخل وتتصاهر وتتحارب وتتجاور مع بعضها البعض منذ العصر الجاهلي وعبر عصور التاريخ الإسلامي ، ولهذا فإن اختلاط الأرض والسكان بعضها مع بعض في كثير من المواطن شيء طبيعي بحكم التعايش والجوار . وأقول إن قبائل قحطان الأخرى غير رفيدة مازالت بحاجة إلى دراسات تاريخية واجتماعية واقتصادية ، وسياسية وعسكرية ، وهذه من مسؤوليات الباحثين والمؤرخين الذين ينتمون إلى هذه القبائل ، وكذلك إلى الباحثين الجادين من أبناء بلدان تهامة والسراة . (ابن جريس).

(١) ص ١١٣ . (ابن معبِّر) . مازلنا نجهل الكثير من تاريخ بلاد عسير في الجاهلية ، ونأمل من الآثاريين أن يبذلوا جهوداً في هذا الباب ، لعلهم يطلعون على شيء من تاريخها في ذلك الزمن القديم . (ابن جريس).

(٢) سراة عَنْز بن وائل، محمد معبِّر ، ص ٤٠ . وانظر المبحث السابق بعنوان (قبيلة عسير) . (ابن معبِّر). هذا الذي تنافح عنه يا ابن معبِّر ، لكن بعض الأزديين كانوا يعيشون في هذه البلاد أيضاً ، صحيح أن جل تركيزهم في أزد السراة من قبائل بللحمر إلى زهران ، وأقول إن هذا الموضوع يحتاج إلى دراسة أعمق ويجب أن لا يكون قولك جازماً . (ابن جريس) .

(٣) ص ١١٧ . (ابن معبِّر) .

كتابي (مدينة جرش من المراكز الحضارية القديمة) [١]، ثم كتبت نقداً لما كتبته ، ونشرته في كتابي (قصة البحث عن جُرَش) [٢]. فَقُلْت : **جَبَلا حَمُومَة وشَكَر :** يمثل هذا العنوان المبحث الثالث من الفصل الأول ضمن كتابي: (مدينة جُرَش من المراكز الحضارية القديمة) وفيما يلي أسوق النص الكامل لهذا المبحث : في كتاب صفة جزيرة العرب[٣]. ذكر جبل حمومة أنه يقع شرقي جُرَش وبينهما مسيل ، وهذا المسيل هو وادي بيشة . وذكر ابن هشام في خبر وفد صُرد بن عبد الله الأزدي (رضي الله عنه) أن أهل جُرَش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يرتادان وينظران ، فبينا هما عند رسول الله ﷺ عشية بعد صلاة العصر ، إذ قال رسول الله ﷺ : بأي بلاد الله شَكَر ؟ فقام إليه الجرشيان فقالا : يا رسول الله ببلادنا جبل يقال له كشر ؛ وكذلك يسميه أهل جُرَش ، فقال : إنه ليس بكشر ، ولكنه شكر[٤]. ويقول هاشم بن سعيد النعمي[٥]. إنّ جبل حمومة هو جبل شكر . وأوردت حوليّة الآثار العربية السعودية (أطلال) ما نصه : (وعلى بُعْد (٣/٤كم) تقريباً إلى الشرق من جُرَش ، هناك موقع جبل حمومة الذي عثرنا فوقه على ستة نقوش كتابية على الأقل يوجد معظمها بالقرب من قمة الجبل ، التي وجدنا فوقها بقايا أساسات لمبنى صغير مساحته (١٠×١٥) متراً ، ومشيد من جلاميد ضخمة ملئت الفراغات فيما بينها بالدبش[٦]، ويوضح المخطط وجود ثلاث غرف على الأقل ممتدة بالطول ، بينما يتناثر حوله كمية كبيرة من الفخار البني اللون) [٧]. ولنا

---

(١) طبع سنة (١٤٠٨هـ) . (ابن معبِّر) .

(٢) طبع سنة (١٤٣٤هـ) . (ابن معبِّر) .

(٣) الهمداني ، ص ٢٥٦ . (ابن معبِّر) . هناك نصوص كثيرة وردت في بعض كتب التراث عن موطن جرش وبعض جبالها وسكانها وشيء من تاريخها . لكننا مازلنا نتطلع إلى أقوال وأبحاث الآثاريين المعمقة والدقيقة التي تفصل الحديث في كثير من القضايا التي حولها خلاف في هذا البلاد ، وهذا نحن ننادي في أقسام وكليات الآثار والهيئة العليا للسياحة على أن يبذلوا قصارى جهودهم في هذا الباب حتى نطلع على التاريخ الحقيقي لهذه المدينة (جرش) الحضارية . نعم هناك بعض الدراسات الأثرية المحدودة لكنها حتى الآن لم تحل المشكل الذي يدور حول بعض الجوانب التاريخية التي حدثت في هذه البلاد الجرشية الجنوبية .(ابن جريس) .

(٤) السيرة النبوية ، ج٤ ، ص ١٧٣ . (ابن معبِّر) .

(٥) تاريخ عسير ، ص١٣ . (ابن معبِّر) .

(٦) صغار الحجارة المخلوطة بالحصى . (ابن معبِّر) .

(٧) العدد الخامس ، (١٤٠١هـ) ، ص٢٦ . (ابن معبِّر) . هذه الأقوال التي نشرتها حولية أطلال ، لكن هل فصلت الحديث عن العصر الذي تعود إليه هذه النقوش؟ وهل هذه الآثار التي أشارت إليها المجلة في العصر الجاهلي أم الإسلامي ؟ إننا نريد أن نعرف شيئاً من التاريخ الحقيقي لمدينة جرش في الصور القديمة والإسلامية المبكرة. (ابن جريس) .

وقفـة مـع هذه النصوص من حيـث تسمية جبل حمومة بشكر هي : أننـا نعلم أن جُرَش اشتهـرت بصناعة المنجنيق والعرّادات وغيرها من وسائل الحرب ، إضافة إلى أن جبل حمومة يقع على بعد (٧٠٠) متر تقريباً إلى الشرق من جُرَش ، ونعلم ـ أيضاً ـ أن طريق جُرَش إلى المدينة المنورة يتجه إلى الشمـال الغربي من جُرَش. وفي خبر صرد ابن عبد الله الأزدي أثنـاء غزوه لأهل جُرَش أنـه رجع عنهم قافلاً حتى وصل جبل شكر ، فخرج أهـل جُرَش في طلبه . وبهذا نحدد هذه المناقشة بعدة نقاط هي : **أولاً :** أن المسافة بين جُرَش وجبل حمومة لا تعطي التصور لأهل جُرَش أنّه انسحب عنهم لعدة أسباب منها : (أ) قـرب الجبل منهم مما يمكنهم مـن إصابة سفحه بالمنجنيق والعرّادات . (ب) أنّه في غـير اتجاه الطريق الصحيح فكيف تجوز هـذه الخدعة . (ج) هذه المسافة لا تصلح لجـولات الخيل وانطلاق الرجال لوقوع الوادي بينهما ، وعـدم استواء الأرض. **ثانياً :** تملّك أهل جُرَش للأسلحة المتطورة في وقتهم يجعل جبل حمومة في مجال قذائفهم . كما أنّه يمثل موقعاً مهماً للمحاصرين من أصحاب صُرد[1] . **ثالثاً :** لو نظرنا إلى موقع جبل (شَكَـر) الذي يقع شمال جبل ضمك الشامخ القمة لكان لدينا من الأسباب والأدلة ما يمكن أن يقال : إنّه جبل شكر وهي : (أ) وقوعه تقريباً في اتجاه الطريق الصحيح للعودة من جُرَش إلى المدينـة المنورة. (ب) يعطي التصور الصحيح لعملية الانسحاب التي قام بها صرد ، فهناك من البعد بينه وبين جُرَش ما يؤيد هذا التصور. (ج) استواء الأرض حولـه مما يمكّن الخيل والرجال من الكرِّ والفرِّ. (د) وجود التحصينات الطبيعية التي ساعـدت علـى اختباء جيش صـرد. **رابعاً :** إجمـاع الكثير من رجـال المنطقة العقلاء وكبـار السن على أن جبل (شَكَـر) هو الجبل الذي يقع شمال جبل(ضَمَكْ) . **خامساً :** يعتبر جبل (ضمك) وجبل (حمومة) من الجبال المكشوفة التي لا تصلح لاختباء أفراد الجيشـ ، أمـا جبل (شكر) فإنّ الذي يراه عن قرب يرى مدى أهمية المواقع العسكرية التي مَكّنت جيش صُرد من الاختباء ثم الظهور بسرعة والاشتباك مع أهل جُرَش[2] . أمّا

---

(١) قرأت ودرست شيئاً من تاريخ مخلاف جرش ، لكن القول بأنهم يمتلكون بعض الأسلحة المتطورة تحتاج إلى توقـف ، كيف حصلوا على هـذه المهارات المتقدمة لصناعة الأسلحة ؟ وغيرهـا من التساؤلات التي تفرض نفسها في هذه البلاد التي يحيط بها الكثير من العقبات الجغرافية والقبلية والتاريخية. نعم إننا أحياناً نطلق الجمل والعبارات التاريخية على علاتها لكن الواجب علينا أن نتوقف عند كثير من نصوص تاريخنا الإسلامي التي مازالت تحتاج إلى كثير من التمحيص والغربلة . (ابن معبِّر) .

(٢) يا محمد كلامك جميل ومنطقي، لكن هذه النصوص التي أشرت إلى بعضها والتي كثيراً منها وردت في مصـادر التاريخ الأولية ليست أقوال مسلم بهـا ، والواجب علينا جميعاً أن نقارن هذه النصوص بعضها

اعتمـاد الشيخ هاشم النعمي علـى أن السيل فَصَلَ بين الجيشين واتخاذه دليلاً على أنّه وادي بيشة الذي يقع بين جبل حمومة وجُرَش ؛ فنجد أنّ حَول جبل (شكر) عدة مسايل تعتـبر أوديـة صغيرة . وبهذا نجد أنّ جبل (شكر) يقـع شمال غرب جبل (ضمك) كما يُسَمّى الموقع شرقي جبل (شكر) بـ (البَغَث) .

هـذا مـا ذكرته عن هذين الجبلين في كتابي (مدينة جُرَش من المراكز...) . ودار كلامـي في محوريـن ، همـا : (١) أن جبـل حمومة ليس جبـل شَكَـر . (٢) إثبات جبل شَكَـر في شمال جبل ضمك . ولا زلت مُصرّاً علـى المحور الأول[1] ، وهو أنّ جبل حمومة ليس جبل شَكَر، وذلك تبعاً للأسباب المذكورة في مكانها. وأقف مع المحور الثاني موقف المتأني ، فهو يحتاج إلى إعادة النظر ، مع ملاحظة التحفظ الوارد في كلامي حيث قلت (مـا يمكـن أن يقـال : إنّه جبل شَكَـر) وأعود هنا لأقول: لا يمكن الجـزم بما قلته عن جبـل شَكَـر الواقع شمال جبـل ضمك ، فقد يكون ضمك هو شكـر ، وقد يكون غيره من الجبـال القريبة، خاصة ما يكون في طريق عودة صرد بن عبد الله الأزدي وجيشه ، لأن أهـل جُرَشـ توهموا انسحابه ، ولا يكون كذلك إلا بقرينة تـدل على ذلك ، ولا تتضح إلا عندمـا يسلك طريق العودة[2] . فهل جبل حمومة القريب جداً من جُرَش يعطي التصور بالانسحاب فيما لو لجأ إليه صرد ؟ . قطعاً ، لا . وجبل حمومة من صميم مدينة جُرَش ذاتهـا ، فقـد كان في أعلاه مبنى يتكون مـن ثلاث غرف تقريباً، ولـو أمْعَنّا النظر فيما ورد في تقرير المسح الأثري، الذي تم عام (١٤٠٠هـ) ونشر في مجلة أطلال لأدركنا أننا أمام جبل لا يبعد عن جُرَش إلا بنحو (٧٠٠) متراً تقريباً ، وتحديد هذه المسافة تم على واقع الأطلال الظاهرة من مباني المدينة ، والتي تم كشف بعضه عام (١٤٢٩هـ) ، فأين سـور المدينة الذي جعل صرد ينسحـب عنه بعد حصاره لجُرَش . ربما كان جبل حمومة داخـل هـذا السـور ، وإن لم يكن كذلـك فإنه سيكـون (أي السور) علـى ضفة الوادي

مع بعض ، ثم نحث على دراسة المنطقة دراسة أثرية شاملة ، وإن تم ذلك فقد تتبدل وجهات نظرنا ، وقد نراجع بعض أقوالنا ونصوصنا التي دونها في بحوثنا واعتمدنا فيها فقط على المصادر التراثية التقليدية . (ابن معبِّر) .

(١) ربما تغير رأيك في المستقبل ، وبخاصة إذا ظهرت تنقيبات ودراسات أثرية تصحح أو تؤكد بعض النتائج التي توصلت إليها أنت وغيرك ممن درسوا وبحثوا في تاريخ مخلاف جرش . (ابن معبِّر) .

(٢) هذه أقوال مقبولة ، فالجزم أحياناً في الدراسات التاريخية عبارات قوية ، وقد تقود صاحبها إلى الوقوع في الخطـأ الواضـح متعمـداً أو غير متعمـد . والواجب علـى الباحث الجيد أن يترك عنـده خط رجعة. وبخاصة إذا كان يكتب أو يناقش موضوعاً شائكاً يحتمل أكثر من رأي أو قول . (ابن معبِّر) .

الغربيـة، وعند ذلك تقل المسافة المقدرة حالياً بـ (٧٠٠م) تقريباً [١]. فهل نقبل بعد كل هـذا بقاء التصور لأهل جُرَش بانسحاب المحاصرين لهم إلى جبل أقل ما يقال عنه أنه كان مجـاوراً لجُرَشـ إن لم يقع داخلها . ويبقى لنا المجـال في تحديد تاريخ تسمية جبل حمومة بحمومة ، وتحديد مكان جبل (شَكَر) . ومما يَحْسُن إيراده هنا ضبط (شَكَر) فقد أثْبَتّه في كتابي (مدينة جُرَش ...) بفتح الشين والكاف. وفي كتاب (الأمكنة والمياه والجبـال والآثار المذكـورة في الأخبار والأشعار) [٢] لأبي الفتـح نصر ابن عبد الرحمن الإسكندري (ت٥٦١هـ تقريباً) قال :(شَكْر: بفتح الشِّين المعجمة وسُكون الكاف : صُقْعٌ ، أَحْسِبُهُ من السَّرَاة ، ورُوي أن النبي ﷺ قال يوماً: (بأيِّ بلاد شَكْرٌ) ؟ قالوا : بموضع كـذا، قال : (فإنَّ بُـدْنَ اللّه تُنْحَرُ عنده الآن) ، وكان هُنَاك قَومٌ من ذلك الموضع ، فلمَّا رَجعوا رأوا قَومَهم قُتلُوا في ذلك اليوم ، ومن قبائل الأزد شَكْرُ ، وأراهم سُمُّوا باسم هذا الموضـع) [٣]. وعلّق الشيـخ حمد الجاسر ـ رحمه اللّه ـ على ذلك بقوله : " قال ياقوت في المعجـم : شَكْـرُ : جَبَلٌ باليَمن قريب من جُرَش ، له ذكْرٌ في المغازي ، أَوْقَع عنْده صُرَدُ بن عبد اللّه الأزْدي بأهل جُرَش ، وكان قدمَ على رسول اللّه ﷺ فأنفذه إلى أهل جُرَش فلم يُطيعُوه فأوقع بهم ، قال نَصْرٌ : رُوي أن النبي ﷺ قال يوماً : بأي بلاد اللّه شَكْر؟ قالوا : بموضـع كـذا ، قال فإن بُدْن اللّه تُنْحَر عنْـدَه الآن ، وكان هُناك قوم من ذلك الموضع ، فلمـا رجعـوا رأوا قومهم قُتلوا في ذلك اليَوم ، وأظنّه يوم أوقـع بهم صُرَد . انتهى . وقد تحدثـت بتوسـع عن شَكْر وعـن جُرَش في كتاب في سَـرَاة غَامد وزَهْـرَان (ص٤١) وما بعدهـا، وأوضحتُ أنّ جُرَش بلدةٌ لا تزال أطلالهـا معروفة بالقرب من جبل شَكْر الذي يُسمـى الآن حَمُومَـة أو الحمَّة في وسَط بلاد رُفَيْدَة في الجنـوب الشرقي من مدينة أبها بنحـو (٤٠)كيلاً في أعـالي وادي بيشة ، وهناك جبل بقرب حَمُومـة يُدعى شكَبَ ، وقد يكـون هو شكْرُ ، وتقع جُرَش هذه بقرب (خط الطول: ٤٣/٠٠ً وخط العرض : ١٥ /١٨ً) ، وقـول المتقدمـين عن جُرَش في اليمن من قبيل إطلاق اليَمَن على ما يقع يمين الكَعْبَة ، أمّا قول نَصر بأن قبيلة شَكْر سُمُّوا باسم هذا الموضع فلا يتفق مع ما نَصّ ابن الكلبي عليـه في كتـاب: النّسب الكَبير نقلاً عن الشرقـي أنّه سُمِّي شَكْر لأنه مَـرَّ بقوم فأعطوه

(١) وأكـرر القول أن توسيع الحفريـات الأثرية ،وزيادة الدراسات التي تعتمد على علم الآثار في هذه المدينة التاريخية سوف تجلي لنا الكثير من الحقائق والأقوال التي نقولها ونرددها في بحوثنا منذ سنوات طويلة .(ابن معبِّر) .

(٢) تحقيق الشيخ حمد الجاسر ، وصدر عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات عام (١٤٢٥هـ). (ابن معبِّر).

(٣) ج٢، ص ٦١. (ابن معبِّر) .

شكراً وهو الحَمَلُ ، وانظر عن هذه القبيلة كتاب: في سَرَاة غَامد وزَهْرَان . (ص٤٦٥) ، ومـا بعدها) قلت: لاحظ قول الجاسر: وقد يكون هو شَكْر . فلَم يجزم بأن جبل حمومة هـو شَكْر ، وهذا مما يُعرف من دقته وتحرّزه[1]. وقـد ذكره نصر الاسكندري في كتابه السابق ، وذلك في رسم (كَشَر).

ونصل إلى (العهد العباسي) ففيه حظّ المؤلف - محمود شاكر - ركابه متحدثاً عن الدولـة الأموية في عسير ، وعلـى رأسها (علي بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن يزيد بن معاوية (رضي الله عنه) واستغرق حديثه الصفحات (١٢٠ – ١٢٧) دون الاستناد إلى مصدر واحد يؤيد ما ذهب إليه، فمن أين أتى بهذه المعلومات التي تتوافق مع ما ورد في كتاب (إمتـاع السامر) ومجموعته[2]. وهـذا يبعث الشّك والريبة في العلاقة بين صُنّاع إمتاع السامـر وبـين المؤلف محمود شاكر [3]. وإليكم ما قاله المؤلـف عن دولة عسير الأموية: " ولمـا قامت الدولـة العباسية وبدأت تلاحـق بني أمية وتقاتلهـم ، توزعوا في الأمصار واختفـوا في الأقاليـم وبخاصة الغربية منها والجنوبية ، وقـد استطاع أحدهم وهو علي بـن محمد بـن عبد الرحمن بن محمد بن يزيد بن معاوية بـن أبي سفيان أن يصل إلى عسـير وأن يؤسـس أسرة تتسلم زعامة عسير وإمارتهـا ،ولم يمض على ذلك سوى عدة سنـوات، واستمـرت الزعامة فيها حتـى العصر الحديث غير فـترات قصيرة كان يقع خلالهـا خلاف بين أبناء العمومة وفـروع الأسرة على من يتسلم الزعامة وفي أيها تكون الإمـارة ؟ وهو ما يقع دائماً في الأسر على مدار التاريخ ، وعندها يضعف أمرها وتطمح إليـه غيرهـا ثم لا يلبث أن يعود إليها . كما يمكن أن يضعف شأنها عندما يقوم عميدها بحركة على الدولة أو يحارب أمراً آخر مجاوراً له أو منافساً وتكون النتيجة هزيمة أهل عسـير أو مقتـل قائدهم ، وكذلك لا يلبث بعـد مدة أن يرجع الأمر كمـا كان وأن يرجع الأولاد إلى رئاسة البلاد " [4]. ولعل في هذه الأسرة التي نتكلم عنها وهي الأسرة الأموية

---

(١) الدقـة والتحـرز من الصفـات التي يجب أن يتصف بها المؤرخ . كما أن حمد الجاسـر سرد تفصيلات عن بعض المعالم الجغرافية في مخلاف جرش ، وأقول أن ما أورده أيضا مازال يحتاج إلى إعادة قراءة وتحليل وتصويب. (ابن معبِّر) .

(٢) هـذه القضيـة عالجناها في أكثر من مـكان من موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنـوب) وفي دراسات أخرى، وقلنا إن كثيراً مما ذكره محمود شاكر ومن سبقه يشوبها الاضطراب والخلط وعدم الدقة فيما تم تدوينه ونشره . (ابن جريس) .

(٣) الجزم بهذا القول يا ابن معبِّر ،يحتاج إلى دليل وبرهان ، ومحمود شاكر مؤرخ وباحث وربما حصل على معلوماته من كتاب (امتاع السامر) أو غيره ، لكن قولك أن هناك علاقة بينه وبين صناع إمتاع السامر ، فليس ذلك مؤكداً ، حتى وإن اقتبس في دراسته شيء من ذلك الكتاب . (ابن جريس) .

(٤) ما ذكره الأستاذ محمود شاكر شيء طبيعي في تاريخ الإمارات والدويلات التي ظهرت في مشارق العالم الإسلامي ومغاربه . (ابن جريس) .

أكـثر مـن أنموذج واحد لهـذه التضحية وهذا البـذل وإن كان التاريـخ لم يحفظ لنا إلا صـورة واحدة وهي صورة عبد الرحمن الداخـل الذي ذهب إلى الأندلس[١]. وصل علي ابن محمد إلى عسير وتحالف مع قبائلها ، واستطاع بمدة وجيزة أن يكون صاحب الكلمة المسموعـة وصاحـب النفوذ ، وقـد يكون قد أخفـى نفسه في بداية الأمـر حتى لا يطلبه الوالي ويدفعه إلى بغداد لينال هناك جزاء العداوة وعقاب الفرار وهذا ما يضيف سبباً ثانياً إلى الاعتقاد بانقطاع نسل يزيد بن معاوية . دفعت علياً نفسه وقد رأى من قوته ما رأى أن يثـور على الدولـة العباسية وقد صار الأمر فيها إلى المهدي ولكن دون أن يفصح عن شخصه ومن غير أن يعلن عن هويته حتى لا يزداد الاهتمام بأمره ما دام من سلالة الأسـرة التي زال منها الحكم ولا يزال لها من الأنصار العديد ، وبخاصة وأن وضع بني العباسـ لم يرق للكثيرين الذين كانوا يؤيدونهم سواء من العرب عامة أم من الطالبيين خاصـة ، أم مـن الذيـن كان يسوؤهم وضع بنـي أمية في أواخر عهدهـم فكانوا يرجون الاصـلاح بتغيير الأوضـاع فلما تمّ ساءتهم عواقبه فقلبوا ظهـر المجن إلا أن السيف قد أخرسـ الألسـن فكفت عن الكلام ومحـا أسطار البلاغة فاختفت الكتـب التي تريد أن تظهر بعض الحقيقة ، إلا أن الجيش الذي أرسله المهدي إلى اليمن والذي رغب علي بن محمد أن ينازله وأن يوقعه في كمين ينصبه له ، ولكن قوته لم تكن قد اكتملت بعد وليست بحالة تؤهله للوقوف أمام هذا الجيش الكبير الذي كان بقيادة عبد الله بن عبد الرحمن بـن عبد الله الغامدي فمات قتيلاً عام (١٦٩هـ) ورغم هذه النكبة التي أصابت الأسرة هناك وأضعفت كلمتها إلا أن نفوذها لم ينته ، واستطاع أبناء علي بن محمد وأحفاده أن يعيشـوا في تلك الأرجاء ويحاولـوا التماسك فيما بينهم والاحتفاظ بمركزهم بين قبائل عسير وبماضيهم الذي ورثوه واستمر ذلك حتى منتصف القرن السابع الهجري ، حيث وقع الخلاف على الزعامة بين أبناء العم فصقر بن حسان بن سليمان وهو الذي ينتسب إليـه آل عائض وابن عمه علي بن إبراهيم بن سليمان الذي ينتمي إليه آل يزيد الشعف والـذي كانت إمارته على قحطان وشهران ، حدث بينهما الخلاف فانتقل علي إلى قرية (السربـة) وهي لبني مأجور أحد فروع قبيلـة ربيعة وحلفاء بني مغيد فكان أن قتل عام (٦٥٢هـ) بقرية دلفان إحدى قرى بني الأزهر وهم أحد فروع قبيلة ربيعة أيضاً وحلفاء شهران ، حيث كانت ربيعة قسمين أحدهما حليف بني مغيد والآخر حليف شهران الذين يتبعون إمارة علي وهم بنو الأزهر بينما يتبع بنو مأجور إمارة صقر وحلفاء لبني مغيد...

---

(١) تاريخ عبد الرحمن الداخل مدون في عشرات المصادر الأولية ، لكن هذه الإمارة الأموية التي يشير إليها محمود شاكر في عسير لا نجد لها ذكراً عند أولئك المؤرخين المتقدمين . (ابن جريس) .

فعندما أراد علي أن يتوسع في إمارته لتشمل بني مأجور قتل . واستمرت الإمارة في صقر بــن حسان وأولاده من بعده ، بينما انزوى أبناء علي بن إبراهيم في منطقة الشعف وهم الذين يعرفون اليوم باسم آل يزيد الشعف [١].

ولما ضعفت الدولة العباسية في أواخر عهدها ، وبدأت الدويلات تستقل في المشرق، وتنفصــل في المغــرب ، وتنعزل في الجنوب ، وكانت بعض هــذه الإمارات على مقربة من عســير في الجنوب ، في بلاد اليمن ، لم يجد سكان عسير فائدة في هذا الاستقلال رغم صلاح أرضهم لمثل هذا فبُعدها وصعوبة أرضها ومناعة حصونها وقوة شكيمة أهلها كل ذلك يخولها لتكون مركزاً للتمرد، ومجالاً للاستقلال ، وحصناً لكل عصيان ، ولكن هذا ليس فيه سوى زيادة الفرقة ، وكثرة الاختلاف ، وتجزئة البلاد لهذا كله أعلنوا الطاعة لمن يلي أمر الحجاز جيرانهم في الشمال وبخاصة وأنهم في الأصل يتبعون مكة المكرمة، كما توجد في الحجاز الأماكن المقدسة مهوى أفئدتهم وإليها تشد رحالهم . [٢] واشتدت شوكة بني زياد في اليمن فتبعوا لهم ، وقوي أمر الهمدانيين بعد بني زياد فأعلنوا طاعتهم حتى جــاء السلاجقة عام (٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) فكان لهم بعضــ النفوذ على الأجزاء الشمالية مــن عسير . وحكم الأيوبيــون المنطقة كاملة فكانت عسير من جملة أملاكهم، وورث بنو رســول في صنعاء الأيوبيين فامتدت سلطتهــم إلى عسير ، ووقع الخلاف بين بني طاهر وبــين بني رسول فكانــت عسير تتبع الأقــوى ، وتخضع تارة لهؤلاء وأخــرى لأولئك حتى إذا استقــر الوضع إلى بني طاهر وحكموا اليمن باســم المماليك كان نفوذهم يمتد إلى بــلاد عســير) [٣]. في تضاعيف كلام محمود شاكر عبارة تــدلّ على عدم وجود الأسرة

---

(١) هذا السرد التاريخي يذكر فعلاً أسماء أماكن وعشائر وبطون مازالت تعيش في منطقة عسير إلى وقتنا الحاضر. كما ذكرت أسماء قادة وهزائم وانتصارات في هذه البلاد، وهذه المشكلة التي لا نجد لها مصادر أولية موثوقة تؤكدها أو تنفيها ، وأقول لست مع أو ضد المؤيدين أو المعارضين لهذه الروايات، وإنما الذي نريد معرفته صحة هذه الأحداث، وهل من المعقول أن يحدث مثل هذه الصراعات التاريخية في ظل الدولة العباسية ولا تذكرها مصادر التاريخ المبكرة ،هذا الذي يحير ،فقد بذلت جهوداً مضنية لعلي أجد ولو رواية أو إشارة في بعض كتب التراث الإسلامي المتقدمة فلم أعثر على شيء حتى هذه اللحظة . (ابن جريس) .

(٢) إن بــلاد تهامة والسراة من جازان ونجران حتى الطائــف ومكة كانت تتبع إدارياً لإمارة الحجاز في مكة خــلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة . والباحــث في تاريخ الإدارة والولاية الإسلامية يجد مصادر عديدة تذكر ولاة الحجاز الذين كانوا يمدون نفوذهم إلى بلاد عسير وجازان ونجران، بل إن بعض ولاة مكــة والمدينــة المنورة في عصور بنــي أمية وبني العباس كانــت تتسع ولايتهم لتشمــل جميع بلاد الحجاز واليمن وما بينهما (تهامة ولسراة) ، وأحياناً أخرى يتولى الحجاز واليمن أميران أحدهما في مكة والآخر في صنعاء ، ومعظم أرض تهامة والسراة تعود في تبعيتها إلى والي مكة المكرمة . (ابن جريس) .

(٣) صــ ١٢٠ ومــا بعدها . مع حذف ما ليس له صلة مباشــرة بالموضوع . (ابن معبِّر) . وفي هذه النصوص ورد عــدد مــن الدول الإسلاميــة التي ظهرت في اليمن أو الحجــاز أو الشام أو العــراق أو مصر، وكانت عســير تابعة لبعض تلك الدويلات ، وهذه التفصيلات تحتاج إلى مصادر رئيسية تؤكد أو تنفي ما ذكره

الأمويــة العسيريــة في التاريخ ، حيث قال : " ولعل في هذه الأســرة التي نتكلم عنها وهي الأسرة الأموية أكثر من أنموذج واحد ... وإن كان التاريخ لم يحفظ لنا إلاّ صورة واحدة وهــي صورة عبد الرحمن الداخل الذي ذهــب إلى الأندلس) . ونسأله هنا : من أين أتى بتاريــخ هــذه الأسرة الأموية العسيريــة ، والتاريخ قد سكت عنهــا ؟ . وهو السؤال الذي سبق إيراده قبل النص المنقول من كتاب محمود شاكر . وليس ثمَّ جواب ؛ لا عند محمود شاكر ، ولا عند غيره ، وأعني بذلك الجواب الذي يستند إلى التاريخ ، أمّا الكلام الذي يســاق علــى علاَّته ، أو على نسق أحاديث السَّمَــر فلا يحتج به . لأن في ثنايا هذا الكلام دعوى عريضة تتحدث عن دولة وإمارة في عسير منذ القرن الثاني للهجرة حتى العصر الحديث . وهذا ما ذهب إليه محمود شاكر في قوله : (واستطاع علي بن محمد بن عبد الرحمــن بــن محمد بن يزيد ابن معاوية بن أبي سفيــان أن يصل إلى عسير وأن يؤسس أســرة تتسلم زعامة عســير وإمارتها ، واستمرت الزعامة فيها حتى العصر الحديث) . ليــت التاريــخ أخطأ فذكر ولو في سطر واحــد شيئاً عن هذه الدولــة الأموية العسيرية . وإذا كان الشــيء بالشــيء يُذكر ، فإن هناك حادثة كبرى تتمثــل في ثورة (الهيصم بن عبــد الرحمن الهمداني) سنــة (١٨٩هـ) في اليمن في عهد هــارون الرشيد الذي سَيّر حملــة إلى اليمــن سنة (١٩١هــ) بقيادة حماد البربــري ، وقد تم الرَّبْــط بين الهيصم وأحــد زعمــاء الأسرة الأموية العسيرية وهو خالد بن عبــد الله ابن علي بن محمد [(١)] . ونقرأ هذا الرَّبط فيما كتبه الشيخ عبد الله بن علي بن حميّد (ت ١٣٩٩هـ) في مقدمة تحقيقه لكتاب (الدر الثمين في ذكر المناقب والوقائع لأمير المسلمين محمد بن عايض) وهو يتحــدث عــن أحد أسلاف محمد ابن عائض أمير عسير (ت١٢٨٩هـ) ، فقال : "خالد بن عبد الله بن علي بن محمد الذي وقف بقواته من قبائل الأزد (عسير) . ومن التف معهم من قبائل (الحــارث بــن كعــب) و (بنــي هلال) و (بني مَذْحج) و (عبيــدة) و (يام) و (حمير) و (شهران) و (ناهس) و (منبه) بقيادة أميره على (جُرَش) (عبد الله بن الأحمر الجرشي) لقد وقفوا بجانب (الهيضم ابن عبد الرحمن الهمداني) الذي انضمت معه معظم قبائل اليمن. وثــار على الخليفــة العباسي هارون الرشيد عام (١٨٩هـ) . وانتصــر وحليفه الأمير خالد على القوات العباسية في (بيشة) فجاءت لها قوة كبيرة تدعمها بإمرة (حماد البربري) حيث انتصر

الأستاذ محمود شاكر، ولا نجد ذلك واضحاً في مصادرنا الإسلامية المبكرة . والذي أعتقد أن أهل السروات من قحطان حتى الطائف كانوا يخضعون في الأساس لشيوخ وأعيان تلك القبائل الذين كان لهم السيطرة على بلدانهم ، فهم الذين يديرون دفة الأوضاع السياسية والحضارية في هذه البلدان السروية . (ابن جريس) .

(١) ثــورة الهيصــم الهمداني ورد ذكرها في بعض المصادر المبكــرة ، وهناك أحداث عديدة في جزيرة العرب وخارجها أقل من ثورة الهيصم تم الإشارة إليها أيضا، ولا نجد أي ذكر عن هذه الإمارة الأموية العسيرية .(ابن جريس).

على قوات (الهيضم) في (جُرَش) فألقي القبض عليه ، وأرسل إلى بغداد . فقتل هناك ومن معه . وتحصّن (خالد) في (الرهوة) بـ (المسقي) حيث قتل بعد مدة وخرّبت (الرهوة) . ونقل (عبد الله بن الأحمر الجرشي) أميراً على بلاد (غامد) و (زهران) . وكان من نسله عشيرة (الحمران) بـ (غامد) . وبه عرفت منطقة (بلجرشي) وتعني (ابن الجرشي) [١].

قلت : هذا النص . على صغره . يحتاج إلى عدة وقفات ، فقد حشد فيه بعض الأعلام ممن لهم صلة بجُرَش، وهذه الوقفات كما يلي:

(أ) خالد بن عبد الله بن علي بن محمد (ت ١٩٥هـ)[٢] :

على كثرة ما عدت إليه من المصادر التي اطلعت عليها ، ولا سيما في عهد هارون الرشيد ، لم أجد له ذكراً فيها ، فإذا كانت قواته تتألف من هذا العدد الكثير من القبائل، فإن هذا يعني اتساع نطاق المنطقة التي يحكمها ، فلماذا أهمل التاريخ ذكره ، ولو جملة صغيرة بين السطور[٣] ؟.وهذا يدفع بالتساؤل عن المصادر التي نقل منها ابن حميّد رحمه الله تعالى.

(ب) الهيصم بن عبد الرحمن الهمداني :

وهذا علم معروف ، فهو أحد الثائرين على الدولة العباسية في عهد هارون ، ولعل الخطأ الوارد في اسمه (الهيضم) بالضاد من قبيل الخطأ الطباعي، فصوابه بالصاد. أما اسم والده فقد وقع الخلاف فيه ، فقيل (عبد الرحمن) كما هو هنا ، (وعبد المجيد) و (عبد الصمد) وهو ما سنراه في النصوص التالية .وقد اخترت ترجمته في الأعلام للزركلي لتكون كمدخل إلى الأقوال الأخرى ، وقد أرّخ لوفاته عام (١٩٢هـ) : الهيصم بن عبد المجيد الهمداني : ثائر يماني . خرج على الرشيد العباسي ، في ولاية (حماد البربري) باليمن، نقمة على حماد . وتبعه خلق كثير ، وقوي أمره في جبل مسور ، فكتب حماد إلى الرشيد يستمده ، فأمده بعشرة قواد من أهل العراق وخراسان. واستأمن أخ للهيصم اسمه إبراهيم بن عبد المجيد ، إلى حماد ، فأمنه ، وكان ذلك

---

(١) ص١٤.(ابن معبِّر).كل هذه الأقوال لا تستند إلى مصادر أولية ، وحبذا أن تلك المصادر المبكرة حفظت لنا بعض الشيء من تاريخ وحضارة بلاد تهامة والسراة التي لا نجد عنها إلا شذرات قليلة في بطون كتب التراث المبكرة.(ابن جريس).

(٢) عسير في مذكرات سليمان الكمالي ، أحمد بن حسن النعمي ، ص ١٣٠.(ابن معبِّر) .

(٣) ونقول هل ضاع تاريخ هؤلاء الرجال وتاريخ هذه البلاد حتى أن المصادر الإسلامية المبكرة هضمتنا حقنا فلم تدون هذا التاريخ الذي تذكره هذه الكتب والمراجع المتأخرة ، هذا الذي نريد معرفته ، ونبحث عن إجابات لهذه النقاط .(ابن جريس).

بـدء الضعف في حركـة الهيصم ، فاستولى حمـاد على جبال مسـور ، وهرب الهيصم إلى بعض جهات تهامة ، فظفرت به الجيوش فيهـا ، وأخذ محمولاً إلى حماد ، فأرسله إلى الرشيـد ومعه جماعة مـن أهله ، فأمر الرشيد بضرب عنقـه وصرف من كان معه إلى السجـن ببغداد . قلت هـذه رواية بعض مؤرخي اليمن ، وفي (المحبر) تحت عنوان (أسمـاء المصلبين من الأشـراف) أن حماداً البربري أسر الهيصـم وابنه وابن أخيه ، فصلبـوا جميعـاً ، بالرقة) [1]. وقال الطـبري (ت٣١٠هـ) في أحـداث سنة (١٩١هـ): وفيهـا ظفر حماد البربري بهيصم اليماني [2].وقال في أحداث سنة (١٩٢) : وفيها قتل الرشيـد الهيصم اليمـاني [3]. وعند ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) : وفي سنة إحدى وتسعين ومئة ظفر حماد البربري بهيصم اليماني ، وجاء به إلى الرشيد فقتله [4]. وعَلَّق صاحب كتـاب (اليمن في تاريخ ابن خلدون) على كلام ابن خلدون ، فقال :شهدت اليمن فترة اضطـراب وحركات سياسية (من ١٧٩ ـ ١٨٣هــ) تعاقب فيها على ولاية اليمن كل من (عباسـ بن إبراهيـم الهاشمي) ، فضج منه أهل اليمن ، فعزلـه الرشيد بعبد الله بن مصعـب بـن ثابت بن الزبير ، ثم عزله الرشيد واستعمل على اليمن أحمد بن إسماعيل الهاشمي ، ثم عزله بأحمد ابن إسماعيل العبدري ، ثم عزله بمحمد بن خالد البرمكي. وفي تلك الفترة بدأت ثورة الهيصم ابن عبد الصمد . وذلك كما في تاريخ اليعقوبي عام (١٧٩هــ) . وهـو كما جاء في الإكليل (الهيصم بن عبـد الصمد من ولد بحر بن عمرو بـن زيـد ثم من ولد القيل ذي خليل بن شرحئيل بن مالك بن زيد بن سدد ابن زرعة بن حمـير الأصغر . وكان مقره في مغـارب صنعاء وانضوى تحت إمرته العديد من الأقيال، وخاضـ معارك ضد جيوش الـوالي العباسي أحمد بن إسماعيـل العبدري والذين قبله فأنـزل بهم الهزائم وبسط نفوذه على معظم المناطق والجبال الغربية والشمالية واتخذ مـن جبـل مسور مركزاً وقاعدة لـه) . وتولى حماد البربري اليمـن في شوال (١٨٤) (فأخضـع تهامة وغيرها إلى حضرمـوت، وقتل جماعة من رؤسائهـم وعاملهم بالعسف والجـبروت حتى دانـوا له وسلموا الواجب وزيـادة ، ولا بد أنّهم من الخـوارج الأباضية - قـال ابـن الديبع (وعمرت اليمن في أيـام حماد ، خاصة صنعـاء ، وأمنت السبل) .

---

(١) ج٨ ، ص ١٠٥.(ابن معبِّر).
(٢) تاريخ الطبري ، ج٨ ، ص ٣٢٣. (ابن معبِّر).
(٣) المصدر السابق ، ج٨ ، ص ٣٤٠ . وأشار محقق الكتاب إلى ورود الاسم عند ابن الأثير: الهيصم الكناني. (ابن معبِّر).
(٤) اليمن في تاريخ ابن خلدون ، محمد حسين الفرح ، ص ٥٢٤. ص١٤.(ابن معبِّر).

تأججت حركة الهيصم بن عبد الصمد عام (١٨٥هـ). ويبدو أن ذلك للمرة الثانية. فحارب حماداً البربري وتغلب على مناطق شاسعة، ثم انهزم ولجأ إلى قرية بأعالي اليمن في بيشة وقبض عليه حماد عام (١٩١هـ). كان الهيصم شجاعاً وهو يواجه الموت وقال: (والله إن القتل لشيء ما أنكره، وما خلقت الرجال إلا للموت والقتل) ولما قال له الرشيد (أنت الخارج على أمير المؤمنين وقاتل أجناده والمطل على الكعبة بالفتن، قال الهيصم: نعم وشفاء ما لا تشتهيه النفس تعجيل الفراق)[١]. وقال يحيى ابن الحسين بن القاسم (ت١١٠٠هـ) في أحداث سنة (١٧٤هـ): وفي هذه السنة ثار الهيضم (بالضاد المعجمة) بن عبد المجيد في جبال مسْور، فحارب جنود السلطان وهزمهم.[٢]. ثم قال في أحداث سنة (١٨٤هـ): فخاف عليه الهيضم بن عبد المجيد المقدم ذكره، وتبعه خلق كثير، فكتب حماد إلى الرشيد يستمده، فأمده بعشرة قواد من أهل العراق وخراسان، فاستأمن إبراهيم بن عبد المجيد أخو الهيضم إلى حماد فأمنه؛ واستولى حماد على جبال مسْوَر، فهرب الهيضم إلى بَين[٣]. من أرض تهامة، فظفرت به الجنود وحملوه إلى حماد، فبعث به إلى الرشيد في جماعة من أهله؛ فأمر الرشيد بضرب عنقه، وسجن من معه في بغداد، فبقوا في السجن إلى أن هلك الرشيد[٤].

قلت: بعد استعراض النصوص السابقة عن الهيصم لم نجد ذكراً لجرش، إلا إذا قصد محمد حسين الفرح أن القرية التي بأعالي اليمن في بيشة هي جُرَش، مع ملاحظة تباعد المسافات. ثم هل يحق لنا أن نتساءل عن غياب اسم (خالد بن عبد الله بن محمد) في النصوص التي ذكرت الهيصم، وهو الشريك القوي في هذه الثورة،

---

(١) السابق، ص ٥٤٢-٥٤٣. (ابن معبِّر).

(٢) غاية الأماني، ج١، ص١٤١. (ابن معبِّر).

(٣) علّق محقق غاية الأماني بقوله: (بَيْن بالفتح ثم السكون، موضع قرب نجران باليمن). وفي معجم البلدان والقبائل اليمنية للمقحفي (ص١٦٩): ذي بَيْن، مدينة في الشمال الغربي من صنعاء بمسافة ٩٤كم. وقال حمد الجاسر: عند ياقوت: البينُ. بكسر الباء، وهو في لغة العرب: قطعةٌ من الأرض قدْرُ مَدِّ البَصَرِ: موضع قرب نجران، أنشد أبو محمد الأعرابي للضحاك بن عُقيل الخفاجي:

مَرَرْتُ على ماءِ الغِمارِ فَمَاؤُهُ ... نَجيعٌ كما ماءُ السَّماءِ نَجُوعُ

وبَا لِبيْنِ من نَجْرَانَ جازَتْ حُمولُها ... سقى البيْنَ رَجَّافُ السَّحابِ هَمُوعُ

(الأمكنة والمياه، نصر الاسكندري، ج١، ص١٩٧، الحاشية). قلت صاحب كتاب غاية الأماني يقول: بين من أرض تهامة، وليست نجران في تهامة. (ابن معبِّر).

(٤) غاية الأماني، ج١، ص ١٤٣. (ابن معبِّر). مسيرة حماد البربري في أجزاء من بلاد السراة واليمن أثناء محاربته الهيصم من الموضوعات التي لم تدرس، ونأمل أن يتولى هذا العنوان أحد طلابنا في قسمي التاريخ بجامعة الملك خالد فيكون موضوع رسالة ماجستير أو دكتوراه. (ابن جريس).

بل المنطقة هي منطقة (خالد) ففي نص ابن حميد يشير إلى أن قائد جيشه هو أميره علـى جُرَش ، وعليه فالهصيم مجرد لاجئ دفعه البربري إلى مغادرة حصونه في مِسْوَر في غرب صنعاء .

(ج) عبد الله بن الأحمر الجُرَشي :

وهــو الأهــم لدينا ، فهو كما يقــول ابن حميّد قائد الجيش وأمــيره على جُرَش ، ثم بعــد مقتل (خالــد) نُقل عبد الله بن الأحمر أميراً على بــلاد غامد .فمن الذي أصدر الأمــر بنقلــه ، وهــذا يجعلنا نكــرر السؤال : لماذا لا يذكــر التاريخ اسم خالــد ، وها هو يحكــم بــلاد غامد حتــى جُرَش ؟ . والمهم مــن هو عبد الله الجرشي هــذا الذي اختفى اسمــه مثــل (خالد) ، وقــد بحثت عن الأعلام خــلال إعدادي لكتــاب (مدينة جُرَش مــن المراكز الحضارية القديمــة) فحصلت على مجموعة منهم وليســ بينهم . ولكننا نستأنســ بمــا ذكره الدكتور أحمد سعيــد قشاش عن بلجرشي ، حيث قــال : وأهلها بنو الجرشــيّ ، وهو عبد الله بن الأحمر الجُرَشي ، وهو من جُرَش، وهي اليوم بلدة مندثرة في خميســ مشيط ، ولاّه الخليفــة العباسي هارون الرشيد بلاد غامــد وزهران وشَكْر ، فاتخــذ من ديار شَكْر قاعدة له ، فبنوه اليوم يدعون بالجرشيّ ، وهو اختصار على غير القياســ لبنــي الجرشيّ ، كقولهم بالحكم، وبالشّهم ، وبلحــارث ، وكانت بلدتهم تسمّى دار السوق، ولما نقلت الإمارة إليها عام (١٣٧١هـ) غلب اسم القبيلة على البلدة ، وكانت سوقاً عامرة يقصدها الناس من جهات شتى ؛ لذلك استوطنتها أسر من قبائل مختلفة غير بني الجرشي من غامد ، وزهران ، وبجيلة ، وبني شهر ، وغيرهم ؛ فسكانها خليط من قبائل عدة ، ومن هنا كان من أسمائها أيضاً الدار المخلطة[١].

---

(١) ملتقــى حجــاج (WWW.hjjaj . net/vb/showthread.php?t=1047) بتاريــخ ١٤/ ١١/ ١٤٢٩هــ ، وقد ذكــر في آخــر المقال بأن الدكتور أحمد سبق له نشره في ملحق التراث في صحيفة (البلاد) بجدة ، يوم الخميســ(١٥/٥/١٤٢٠هــ) .(ابن معبِّر) . هذا الطــرح الذي نورده عن ابن قشاشــ معقول في السرد والاستنتــاج ، بخــلاف الذين يقولــون أن بلجرشي هي جرشــ، وهنــاك من يصر على هــذا القول بدون أي دليــل. انظــر: دراسة في كتاب: القول المكتــوب في تاريخ الجنوب (الجزء الحــادي عشر) (١٤٣٨هـ /٢٠١٧م) ، وعنوانهــا: جرشــ هي بلجرشي، ص(١٦٥-١٧٩) . ونأمل مــن الدكتور أحمد قشاش أو منك يــا ابــن معبِّر أو غيركما أن تخرجوا لنا دراسة تفصيلية عــن صلات جرش ببلجرشي ، وهل فعلاً هناك مــن هاجــر من مخلاف جرش إلى بلجرشي ، واستقر بهــا ؟، أو أي معلومات تاريخية دقيقة تستند على براهين ومصادر موثوقة.(ابن جريس).

(د) عَنْز بن وائل والعواسج :

قبيلتـان كانتـا في أوج قوتهما في جُرَش وما حولها خلال هذه الأحـداث ، ولم يرد ذكرهما سوى (حمير) التي ينتمي إليها العواسج . فأين كانت عَنْز بن وائل على الأقل . بعد هذا الاستطراد عن ثورة الهيصم التي تحركت لها عاصمة الخلافة العباسية نسأل عـن الدولـة أو الإمـارة أو الأسرة الأموية العسيرية ، وهي في عنفـوان قوتها ـ كما يقال ـ ولا يجـود عليهـا التاريخ عبر القرون بسطر أو نصف سطر .وقد حاول محمود شاكر أن يصنـع أحداثاً وأعلاماً في ثنايا سطوره ، ولكنـه أخفق في تأكيد ذلك بمصدر يعزو إليه كلامـه ، فاستحضـر بني زياد وجعل لهم نفوذا على الأجزاء الشمالية من عسير ، وقال بحكـم الدولة الأيوبية لعسير ، وجعل عسير نهبة بين بني طاهر وبني رسول[١] . وتجاهل أن التاريخ لم يسجل حضوراً فاعلاً لبني زياد ومن بعدهم في منطقة عسير ، ولكنه أراد أن يخلط الحقائق بالأباطيل ليصنع الأسطورة [٢].

ومـن خلال هـذه الجولة فيما كتبه شاكـر تحت عنوان (بلاد عسـير في العصور الإسلاميـة) نخـرج بعدة نتائج وهي: (١) خلو جميع كلامـه من التوثيق العلمي ، فلا يذكـر كتابـاً مطبوعاً أو مخطوطاً ، ولا وثيقة ، ولا يذكـر اسم رجل نقل عنه[٣] .(٢) لم تذكر كتب الأدب أي شاعر أو أديب قال شعراً أو نثراً في الأسرة الأموية العسيرية .(٣) الكتـب التاريخية والجغرافيـة والتراجم التي تعرضت لبلاد عسـير منذ السنة التي تم فيهـا فتح مدينـة جرش في العهد النبوي حتـى العصر الحديث لم تذكر حدثـاً أو عَلَماً يتصـل بالأسرة الأموية العسيريـة .ولا أدلّ على ذلك من كتب الهمداني الذي وصل إلى بـلاد عسير ، ولم يذكر حدثاً أو عَلَمـاً له علاقة بهذه الأسرة . وهنـاك غيره ممن عبروا بـلاد عسـير وسجلوا أحـداث رحلاتهم ، ومنهم مفـرح الرَّبعي صاحـب كتاب (سيرة

---

(١) ما من شك أن هذه الدولة الإسلامية كانت على علم ودراية ببلاد عسير وأهلها ، لكننا لا نجد مصادر قويـة تؤكـد دخول الأوطان السروية تحت نفوذ هـذه الدويلات اليمنية أو غيرها مـن دول الإسلام التي ظهرت في الشام أو مصر أو غيرهما . (ابن جريس) .

(٢) يـا ابـن معبِّر في كلامك قسوة على محمود شاكر ، وأقول أنه مجتهـد ، ثم إنه نقل معلوماته من مراجع سبقتـه، وظهور دويلات الإسلام في العالم آنذاك كانت حقيقية ، فاليمن والحجاز وغيرهما ظهر فيهما إمـارات وقوى سياسية عديدة ، وربما بعض تلك الدول حاولت أن تمد نفوذها على أرض السراة وتهامة ، بـل قد يكون هناك شيوخ وأعيان في هذه الأوطـان التهامية والسروية كانوا على صلات بتلك الإمارات في اليمـن أو غيرهـا من الأماكن داخل الجزيرة العربية أو خارجهـا . ومازالت غامضة وتحتاج إلى من يدرسها. .(ابن معبِّر).

(٣) هذا كلام صحيح ، ولكن كثير مما قال مدون ومكتوب في مصادر ومراجع أخرى.(ابن جريس).

الأميريـن ...) الذي مَرّ سنة ٤٥١هـ بمنطقة عسير[١] . (٤) توافق ما جاء عند محمود شاكـر مـع ما ورد في كتاب (إمتـاع السامر) ومجموعته ، وهذا يـدل على التَّنَاغُم بين الكتابـين . (٥) عـدم وجود أي إشارة إلى الدولة الأمويـة العسيرية في الكتب التاريخية التي تحدثت عن الدول المجاورة لبلاد عسير[٢] .

٨ـ أيام الضعف:

هذا هو عنوان الفصل الثاني من الباب الثالث ، وقد شَرَّق فيه محمود شاكر وغَرَّب عدا بلاد عسير التي حظيت في آخر كلامه بتسعة أسطر من أصل (١٨) صفحة ، وقال في هـذه السطـور : " وكانت الكلمـة الأولى في مرتفعات عسير تعـود إلى أمراء من آل يزيد إلى أن نشـب بينهم خلاف علـى الزعامة فانزوى قسم منهم في الشعف وبقي الفرع الآخر في منطقـة أبها يدير شـؤون قبيلته باسم أشراف الحجاز، وأحيانـاً ينتفض بعض الأمراء على الأشراف، ويمد سطوته إلى بعض جهات تهامة ، وربما وصلت سيطرة أهل اليمن إلى مرتفعاتهـم ، ومـن هذا الفرع تنشأ أسرة آل عايض وتحكـم المنطقة كاملة . واستمر وضع عسـير على هـذه الحالة حتى كانت دعـوة محمد بن عبد الوهاب في نجـد ، وكانت الدولة السعوديـة في الدرعية [٣] . وهنا تظهر (أسـرة آل عائض) التي تمثل الدولة الحقيقية في بلاد عسير ، ومن هنا ـ أيضاً ـ يذهب الشكّ ، فالأحداث والأعلام التي ستظهر في صفحات الكتاب التالية حتى نهايته حقيقية ومعروفة ومسجلة في الكتب والوثائق، سوى بعض إشارات تتعلق بالأوهام السابقة لهذه الفترة[٤] . ويكاد الفصل الثالث الذي يحمل عنوان (العصور الحديثـة) أن يخلـو من الأخطـاء التاريخيـة ، إلاّ أن المؤلف أهمل التوثيـق لكلامه ، عدا إسناده إلى كتاب (المخلاف السليماني) في موضع واحدٍ ، أو إسناده إلى (مذكرات جعفر الحفظـي) ، وأظن أنه اعتمد على هذه المذكرات كثيراً وتبقى هذه المذكرات الحفظية في

---

(١) كل هذه الأقوال التي أوردتها يا ابن معبِّر معقولة ولا لبس فيها .(ابن جريس) .

(٢) وأقول إن بلاد عسير أو بلدان تهامة والسراة مازالت بحاجة إلى دراسات أثرية وتاريخية عديدة وبخاصة خلال العصور السابقة للإسلام، وعبر أطوار التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط.(ابن جريس).

(٣) ص ١٤٥ . (ابـن معبِّر) . هنـا يقدم المؤلف بعض الأحـداث ويؤخر الآخر ولا يراعـي التسلسل الزمني فدعـوة محمد بن عبد الوهاب وقيـام الدولة السعودية الأولى في الدرعية سبقـت ظهور دولة آل عائض التي لم تبرز كإمارة قوية إلا منذ منتصف القرن (١٣هـ/١٩م) . (ابن جريس) .

(٤) إن ربط دولة آل عائض الحديثة بالإمارة الأموية في عسير، أو بالدولة الأموية تحتاج إلى مصادر مؤكدة ، أما أن تكـون المصـادر صامتة عن تلك الإمارة التي ظهرت في هذه السـروات منذ القرن الثاني إلى القرن الثالث عشـر الهجري، فهـذا أمر لا يمكن صموده أمام الدراسات التاريخية الموثوقة. ونجد فعلا أن إمارة آل عائض منـذ النصف الأول للقرن الثالث عشـر الهجري (التاسع عشر الميلادي) مذكورة في مئات الوثائق والمصادر والمراجع.(ابن معبِّر).

دائـرة الشـكّ ، فهي من المجاهيل مع صاحبها . ويتعلق أمرها وصاحبها في رقاب أسرة آل الحفظي الكريمة ، ولا سيما أن منهم الكثير من أصحاب القلم والأدب[١].

٩ـ الاستقلال :

وندلـف إلى الفصـل الرابـع (الاستقلال) مـن الباب الثالث ، ونـرى فيه أعلام الدولة في بلاد عسير من علي بن مجثل حتى حسن بن علي بن محمد بن عائض .إلاّ أن هـذا الفصل يعاني من عـدم التوثيق ، سوى تسعة مواضع أسنـد فيها المؤلف إلى : (أ) مجلـة العرب (ثلاثة مواضع) . (ب)في ربوع عسير (موضعان) . (ج)مذكرات جعفر الحفظـي .(د)الدولة السعودية الثانية ، لأبي علية . (هـ) شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، للزركلي. (و)تاريخ عسير ، النعمي .

وهـي قليلـة بالنسبة لهذا الفصل الـذي استغرق الصفحـات (١٧٧ ـ ٢٦٩) أي (٩٢) صفحـة، وفي هذا الفصـل بعض الرواسب المتعلقة بإرجاع نسـب هذه الأسرة إلى نسـل يزيد بن معاوية (رضي الله عنه) ، ومن ذلك قول المؤلف :(التفت قبائل عسير ـ سراة و تهامة ـ حول الأمير سعيد بن مسلط وكذا قبائل رجال الحجر وقحطان وشهران وبايعته بالإمـارة لمـا لأسلافه من السلطة والنفوذ على هـذه المنطقة في الماضي والحاضر ، فهو مـن أسـرة آل يزيد الأموية التي كانت تتولى إمـرة المنطقة على مـدار تاريخها تقريباً سـوى فترات قصـيرة يعصف بها روح الخلاف بـين أفرادها على الإمـارة والزعامة ، أو تصـل قوة كبيرة من خارج المنطقة فتبعد الأسـرة عن مركزها ولكن لا يلبث أن يعود الأمـر إليها، وتتسلم المقاليد بزوال السبب ، ولما يتمتع به شخصياً من منـزلة رفيعة بين رجـالات القبائـل وسراة القـوم[٢]. والمُشَجّر في الصفحة رقـم (١٨١) وفي أعلى هذا

---

(١) نعـم أسـرة آل الحفظي قديماً من الأسـر العريقة التي خدم بعض رجالها بلـدان تهامة والسراة علمياً وثقافيـاً وأدبيـاً وجاء أبناء وحفـدة هذه الأسرة فجمعوا تـراث الآباء والأجداد ثم حفظـوه في أماكن لا نعلمهـا نحن معاشـر الباحثين . وكنت من الذين اتصـل ببعض أعلام هذه الأسـرة من قبل(٣٥) سنة واطلعنـي علـى شيء من موروث الآبـاء ، ثم زرته وغيره بعد ذلك في بداية العقـد الرابع من هذا القرن (١٥هـ/٢١م) ، فلم أر أي شيء يذكر مقارنة بما رأيتـه في العقد الأول من القرن (١٥هـ/٢٠م) ،وأقول لأبناء هذه الأسرة الفضلاء أن يتقوا الله ولا يضعيوا تراث آبائهم وأجدادهم ، بل كثير من تراث منطقة عسـير ومـا حولها ، فقـد كان للأوائل من هذه الأسـرة (آل الحفظي) فضل كبـير على بلاد عسير بل علـى أجزاء عديدة من أوطان تهامـة والسراة ، حيث كتبوا (شعراً ونثراً) عن أرض وسكان هذه البلاد الجنوبية السعودية .(ابن جريس).

(٢) صـ١٧٧.(ابـن معبِّر).سعيد بن مسلط بل جميع أمراء إمارة المتاحمة ، وإمارة آل عائض يستحقون أن تفرد دراسة مستقلة لكل واحدٍ من أولئك الأمراء الذين حكموا منطقة عسير بل وأجزاء أخرى من بلاد تهامـة والسراة . وهناك أيضاً عشرات الدراسات التي صدرت عن بلاد عسير وما جاورها خلال القرن

المشجّـر اســم (معاوية بن أبي سفيــان) (رضي الله عنـه) ، وفي نفســ الصفحة كتب المؤلف تعليقاً على اسم (علي بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن يزيد بن معاوية) فقال: (وهــو الذي خرج مــن الشام إلى عسير بعد سقوط دولة بني أميــة في الشام ، فاراً من وجـه العباسيــين ، وثار ضد الخليفة المهدي ثالث خلفاء بني العباس ، توفي مقتولاً عام(١٦٩هــ) على يد الجيش العباسي الذي كان في طريقه إلى اليمن لإخماد الثورات هناك بقيــادة عبــد الله بن عبد الرحمــن الغامدي ، في مــكان يعرف باســم ((وهلة)) بعد انهزام جيشه في موقع يسمى ((الريعان)) في بلاد غامد) . وفي الصفحة رقم (١٨٢) رسم مُشَجَّراً لأسلاف أمراء عسير (أبو نقطة، وعائض بن مرعي ، وسعيد بن مسلط، وعلــي بن مجثــل) وفي أعلى المُشَجّــر (سالم بن عبد الله، ثم قــال في نفس الصفحة : (يقــول جعفر الحفظــي : أن الأمير سالم بن عبد الله استقــدم جدنا موسى ابن خثعم ابــن عجيــل بن عيسى بن محمد بن أسعد بن عبد الله بن أحمد بن موسى بن عجيل بن عبــد الله العمري ، وولديه محمد وأحمد اللذان انحدر منهم البيت الخفظي في عسير ، وذلــك بعد قتل الأمير سالم بن عبد الله هذا الأمير علي بن إبراهيم بن عيسى الذؤيبي عــام (٩٩٨هـ) .وفي نفس الصفحة (١٨٢) رسم مُشَجّراً من عمود واحد وفيه (مفرج بن عمر ابن إبراهيم بن حسن بن عبد المتعالي بن أحمد بن هشام بن موسى بن سعد) وقــال عن مفــرج : ومن ذريته شيخ قبائل قيس بن مسعود مــن رجال ألمع . وفي صفحة (٢٠٥) خريطــة (إمــارة آل عائض) وتمتد من جهة الشمال من حدود (عفيف) مع دخــول (الخُرْمَة) ضمــن إمارة آل عائض ، وفي الشمــال الشرقي (حصاة قحطان) فــوادي الدواسر ، فشرورة ، فنجران، فصعدة، ومن الغــرب على ساحل البحر الأحمر (الليــث ، والقنفــذة ، والــبرك ، والشقيق ، وجــازان ، واللحية ، والحديــدة ، ومخا) . وكل هــذه المواضــع ـ عــدا عفيف ـ داخلة في إمــارة آل عائض عام (١٢٧٣هــ) [1]. فإذا عدنــا إلى النصــ الأول الــذي قال فيه : (التفت قبائل عســير ... حول الأمير سعيد بن مسلــط ... فهــو من أسرة آل يزيد الأموية ... إلخ) . نقول ـ جدلاً ـ سعيد ابن مسلط من أســرة أموية ، ولكن أين هــي الإمارة الأموية العسيرية التــي حكمت بلاد عسير ؟ . وما هــو مصدر هذا اليقين الــذي يقول به المؤلف ؟ .لا شيء ، فقد سكــت التاريخ ، ولا دليل

(١٤١٣ـ١٩هــ/٢٠ـ١٩م) ، لكننا مازلنا نتطلع إلى دراسات تحليلية نقدية عن هذه الفترات الزمنية . (ابن جريس) .

(١) كل هــذه النصوص تحتــاج إلى دراسة نقدية تحليلية تؤكد أو تنفي مــا قاله جعفر الحفظي ، وكذلك ما أثبته محمود شاكر في مشجراته المذكورة أعلاه . (ابن جريس).

عنـد المؤلف[١] ونفس السؤال ونفس الإجابة على مشجرتين وما كُتب معهما في صفحتي (١٨١ ، ١٨٢) . ويبقى المُشَجّر الذي يتعلق بشيخ قبائل قيس بن مسعود في رجال ألمع ، الذي لا أعلم شيئاً عن علاقته بالمشجرين السابقين[٢] . وبعد ذلك (خريطة إمارة آل عائض عام ١٢٧٣م) . ذات الأماكن المترامية الأطراف شرقاً وغرباً ، وشمالاً وجنوباً ، في أعماق نجد، وفي غياهب الصحراء حتى شرورة ، وذلك الساحل الطويل الممتد من الليث إلى مخا . وبعد ذلك يضيف بعداً آخر للحدود ، فيقول : " ووصلت إمارة عسير إلى أقصى اتساع لها إذ امتدت من الحجاز شمالاً إلى عدن جنوباً "[٣].

لا شك في قوة شخصية الأمير محمد بن عائض ودهائه ، ولكن الظروف المحيطة به لا تسمح باستقرار هذه الدولة ، فهذا الاتساع المترامي الأطراف الذي رُسم على الخريطة السابقة وما أضيف إليها (من الحجاز إلى عدن) لا يمكن تحقيقه على أرض الواقع، فدولة تتنازعها الأطماع من شتى الجهات ، وعلى رأس هذه القوى الطامعة (الدولة العثمانية) وهي تمثل القوة العظمى حينذاك ، ناهيك عن الأشراف في الشمال، وآل سعود من الشرق ، والأدارسة في الغرب، واليمن من الجنوب[٤] . ويضاف إلى ذلك ـ وهو الأهم ـ الضعف الشديد في المصادر الاقتصادية لدولة آل عائض المنهكة بالحروب، والانقسامات القبلية . وإذا قبلنا هذه (الخريطة) ولا سيما الأماكن البعيدة ، فإن هذا القبول لا يُفَسَّر إلا بحملات خاطفة لا أثر لها في حياة أهل الأماكن البعيدة . دولة آل عائض دولة محدودة الزمان والمكان ؛ فالزمان فترة حكم الأميرين عائض بن مرعي وابنه محمد بن عائض (١٢٤٩- ١٢٨٩هـ) وتلاهما الحكم العثماني حتى أطَلّت أعلام الدولة السعودية عام ١٣٣٧هـ . والمكان بلاد قبيلة عسير وفروعها (مُغَيّد ، وعلكم ، وربيعة ورفيدة ، وبنو مالك) وما قَرُب منها[٥].

---

(١) سوف يستمر التاريخ صامتاً عن ذكر هذه الأقوال، إلا ما جاء في مراجع متأخرة فإنه لا يعتد بها .(ابن جريس).

(٢) كان على محمود شاكر أن يوثق أقواله بمصادر رئيسية إضافة إلى ما ذكره في هذه السطور وغيرها من صفحات كتابه . (ابن جريس) .

(٣) ص٢١١ .(ابن معبِّر). إمارة آل عائض امتدت أحياناً إلى مناطق عديدة في تهامة اليمن ، وكذلك شمالاً إلى قرب الطائف ومكة المكرمة . وهناك بعض الوثائق المنشورة وغير المنشورة التي أشارت إلى هذا التمدد لتلك الإمارة في سنوات من عصرها. (ابن جريس) .

(٤) إن التاريخ الإداري والعسكري لدولة آل عائض مازال يستحق دراسات علمية مطولة وموثقة. ونأمل من طلابنا في قسم التاريخ (برنامج الدراسات العليا) بجامعة الملك خالد أن يتولوا مثل هذا العنوان بالبحث والدراسة. (ابن جريس) .

(٥) خرج إلى الآن عدد من الدراسات والرسائل العلمية عن منطقة عسير في عصور إمارة آل عائض والنفوذ العثماني . ولكن كل هذه البحوث لا تعطي صورة واضحة وكاملة عن التاريخ السياسي والحضاري

رابعاً: الخلاصة والنتائج:

١ـ الخلاصة: يمكن القول بأن الأستاذ محمود شاكر – مع افتراض حسن الظن – مع سابق جهده المشكور في سلسلته الرائعة (مواطن الشعوب الإسلامية) أنه أراد خدمة الأمة الإسلامية ثم العرب في هذه السلسلة، وعندما اتجه صوب شبه جزيرة العرب رأى أن يخصص لكل إقليم كتاباً كنجد والحجاز، ثم خص بلاد عسير بكتابه (شبه جزيرة العرب : عسير)، وهنا تلقفته الأيدي وقدّمت إليه من المعلومات ما تريد إظهاره على يد مؤلف قدير وأستاذ معروف في البلاد العربية، فكان كتابه عن عسير الذي حشد فيه صوراً تاريخية منذ القرن الهجري الأول حتى القرن الرابع عشر الهجري، منها الصور الحقيقية، وأخرى مُزَيّفة، فخرج الكتاب وهو أشبه بحكايات الأسمار والسِّير الشعبية [1].

٢ـ النتائج: بعد معايشة كتاب (شبه جزيرة العرب : عسير) منذ حصولي سنة(١٤٠٤هـ) على نسخة من الطبعة الثالثة الصادرة سنة (١٤٠١هـ)، ثم دراسته دراسة نقدية هذا العام (١٤٣٦هـ) خرجت بالنتائج التالية : (١)يفتقد الكتاب المنهج العلمي، بل أهم عنصر في هذا المنهج، وهو التوثيق للمعلومات، فالمؤلف يقوم بالنقل من بعض الكتب دون الإشارة إليها في الحاشية، سوى بعض إشارات قليلة. ومما يدل على النقل دون إسناد أن عدد صفحات الكتاب (٢٧٧) صفحة، وليس فيه سوى (٢٦) حاشية منها (٢٠) حاشية تتعلق بصفة مباشرة مع المادة التاريخية، والباقي لغير المادة التاريخية فمن أين أتى بمعلومات الكتاب ؟. لو كان من أهل بلاد عسير لقلنا إنّ إذ ذلك من رصيده الذي حصل عليه خلال سنوات عُمره، فكيف به وهو يسرد ـ على سبيل المثال ـ (٣٥) صفحة دون مصدر . وهذا التجاهل في إسناد المعلومات إلى مصادرها يؤدي إلى فَقْد الكتاب لقيمته العلمية في كثير من صفحاته[2]. (٢) الخلط بين منطقة عسير ومنطقة جازان في كتاب يحمل اسم (عسير)، وربما التمسنا له

لهذه البلاد في تلك الحقب، ومازال هناك الكثير من الوثائق غير المنشورة والمحفوظة في دور الوثائق العثمانية وغيرها، وتستحق من يحصل عليها ويدرسها في هيئة كتب وبحوث ورسائل علمية موثقة . (ابن معبِّر).

(١) مازال محمود شاكر رائداً فيما كتب وقدم للمكتبات العربية والإسلامية، وهذا العلم (كما ذكرت سابقا) يستحق أن يخصص له رسالة دكتوراه أو رسائل وكتب وبحوث توضح الجهود التي قدمها وبذلها في خدمة التاريخ والحضارة الإسلامية، ونسأل الله أن لا يحرمه أجر ما فعل وقدم في خدمة العلم وأهله .(ابن معبِّر).

(٢) أتفق معك في هذا الكلام يا ابن معبِّر، ومع ذلك مازال الأستاذ محمود شاكر مجتهداً ويشكر على ما دون لنا في هذا الكتاب، حتى وإن كان هناك نصوص عديدة لا نتفق فيها مع المؤلف .(ابن معبِّر).

العذر لو كتب كتابه قبل استقرار الحدود الإدارية ، فهو يكتب بعد سنة ١٣٩٠هـ ، وصدر كتابه في طبعته الأولى سنة (١٣٩٦هـ) .(٣) قائمة المراجع : تشتمل هذه القائمة على (٣٢) مرجعاً ، وعند مقارنة هذه القائمة مع الكتاب لا نجد سوى أربعة عشر مرجعاً ورد ذكرها في (٢٣) حاشية ، فأين بقية المراجع من حواشي الكتاب[١] ؟ .(٤) مذكرات جعفر الحفظي : يبدو أن المؤلف استقى الكثير من أحداث عسير من مذكرات جعفر الحفظي ، ولكنه أهمل الإشارة إلى ذلك إلاّ في موضعين ، ومن المؤسف أن هذه المذكرات في طي المجهول هي وصاحبها ، فأين هذه المذكرات ؟ . الإجابة : عند أسرة آل الحفظي الكرام[٢] .(٥) من خلال صفحات كثيرة في ثنايا الكتاب تبدو للقارئ بصمة كتاب (إمتاع السامر) في كثير من الأحداث والأعلام .فهل للمؤلف صلة بهذا الكتاب - أي الإمتاع - الذي شوه صورة الأمير عائض ودولته ؟ والذي أراه أن المؤلف وكتابه يمثلان واسطة العقِد في مجموعة كتب إمتاع السامر[٣] .(٦) تمثل المدة (١٢٠٠ - ١٢٨٩هـ) الوجه الحقيقي للدولة أو الإمارة في بلاد عسير ، وهي المدة التي حكم فيها: (محمد بن عامر المتحمي أبو نقطة ، وعبد الوهاب بن عامر المتحمي ، وطامي بن شعيب المتحمي ، ومحمد بن أحمد المتحمي ، وسعيد بن مسلّط ، وعلي ابن مُجَثّل ، وعائض ابن مرعي، ومحمد بن عائض)[٤] . وما قام به المؤلف حول التأصيل التاريخي للأسرة الأموية العسيرية، وما سَطَّره من أمجاد وبطولات قبل تناوله الدولة في بلاد عسير منذ بداية القرن الثالث عشر ، أدّى إلى إعطاء صورة مشوهة ، وكأنَّ هذه الصورة هي شرارة النَّحس لدولة عاشت - كما زعم - أحد عشر قرناً قبل أن تتهاوى في القرن

(١) هناك الكثير من الوثائق والمدونات والروايات التي أشارت إلى ذلك التداخل السياسي والإداري والعسكري، حتى أننا عاصرنا وشاهدنا شيئاً من هذا التداخل خلال العقود الأولى من القرن (١٥هـ/٢٠م) ، وأقول أن محمود شاكر معذوراً في رصد هذا التداخل ، لأنه لم يتضح هذا الانفصال الإداري في جميع المؤسسات الحكومية إلا منذ عشرين عاماً . (ابن جريس) .

(٢) أرجو أن يأتي في قادم الأيام من يخرج هذه المذكرات ، كما أرجو من آل الحفظي أنفسهم أن يسعوا إلى إخراجها وإخراج غيرها من موروث آبائهم وأجدادهم (رحمهم الله) . (ابن جريس) .

(٣) من قرأ هذا الكتاب ، وكتاب إمتاع السامر فإنه يتأكد أن محمود شاكر رجع لهذا الكتاب واستفاد منه في كتابه: (عسير). أما دولة آل عائض فإنها دولة ماجدة ولها إيجابيات كثيرة في خدمة أجزاء كثيرة من بلدان تهامة والسراة ، ونرجو من الباحثين الجادين المنصفين أن يدونوا التاريخ الحقيقي لهذه الأسرة العربية الجنوبية.(ابن معبِّر).

(٤) أقول إن هناك بعض الدراسات التي صدرت عن فترات حكم أولئك الأمراء ، وأنادي من على صفحات هذا السفر فأقول أن كل واحد من هؤلاء الرجال يستحق أن يفرد له كتاب أو رسالة علمية أكاديمية .(ابن معبِّر).

الثالث عشر[١]. (٧) أهمل المؤلف الحديث عن بلاد عسير في عهد الدولة الأموية ، وهي الدولة الأمّ للأسرة الأموية في عسير[٢] . (٨) لكل دولة مآثر علمية ، واجتماعية، واقتصادية ، وعمرانية وغير ذلك من الجوانب الحضارية، وكل هذا نفتقده في كتاب محمود شاكر ، وهو مثل كتاب (إمتاع السامر) فلا تسمع إلاّ صليل السيوف ودوي البنادق . لقد طغى الحدث السياسي على الجوانب الحضارية خلال القرن الثالث عشر الهجري ولن يتم إظهار هذه الجوانب إلاّ من خلال أسر أمراء وعلماء عسير في القرن (١٣هـ) وعلى رأسهم أسرة آل عائض ، ثم أسرة آل الحفظي وغيرهم ممن في حوزتهم الوثائق التي لن تخلو من فائدة في هذه الجوانب . لقد شبعنا من (الحدث السياسي) . فهل أنتم فاعلون بهذا الرأي ؟[٣]. (٩) حديث المؤلف عن دولة أموية عسيرية لا يصمد أمام الحقائق التاريخية ، ومن ذلك: (أ) خلو كتب الأدب العربي من ذكر أي شاعر أو أديب قال شعراً أو نثراً في الأسرة الأموية العسيرية. (ب) الكتب التاريخية ، والجغرافية، وكتب التراجم التي تعرضت لبلاد عسير منذ صدر الإسلام حتى العصر الحديث لم تذكر حدثاً أو عَلَماً يتصل بالأسرة الأموية العسيرية . ولا أدلّ على ذلك من كتب الهمداني الذي وصل إلى بلاد عسير ، ولم يذكر حدثاً أو عَلَماً له علاقة بهذه الأسرة ، وتلاه غيره من المؤرخين الذين كتبوا عن بلاد عسير ، وكانت النتيجة واحدة . (ج) هناك الكثير من الدول والإمارات المجاورة لبلاد عسير ، وقد كتب عنها الكثير من الكتب ، ولكنها تخلو من الإشارة إلى دولة أموية عسيرية في بلاد عسير .(د) لم يرد أي ذكر لدولة أموية في رحلة (عبد الله بن علي المؤيدي)[٤].الذي أقام في عسير من سنة (٩٩٤هـ حتى سنة ١٠٠٦هـ) .

---

(١) يجب على المؤرخين المنصفين أن يفرقوا في دراساتهم عن جذور بني أمية في عسير منذ قرون الإسلام الأولى إلى القرن(١٣هـ/١٩م) ، وبين إمارة آل عائض التي أدارت حكم البلاد في القرن (١٣هـ/١٩م) ، لأن الفترة الأولى غير صحيحة ولا نجد لها مصادر حقيقية ، أما حكم آل عائض في العصر الحديث فهو حقيقي ويجب دراسته من كل الجوانب مع التحلي بالدقة والإنصاف والتوثيق . (ابن جريس) .

(٢) تاريخ المنطقة في ذلك الزمان غير محفوظ بشكل جيد في المصادر الأولية ، ومن يعمل في هذا الميدان لن يجد إلا نتفاً قليلة تذكر امتداد حكم بني أمية إلى بلدان تهامة والسراة . (ابن جريس) .

(٣) ليس محمود شاكر الوحيد الذي اهتم بالجانب السياسي والعسكري فقط وإنما جميع مصادر التاريخ الحولية والموضوعية المبكرة هي الأخرى ركزت جل معلوماتها على الحياة السياسية والحربية . ونقول إن دراسة التاريخ الحضاري مسؤولية الأساتذة والمؤرخين المحدثين وعليهم أن يضاعفوا الجهود في هذا الميدان . (ابن جريس).

(٤) النفحة العنبرية للمجددين من أبناء خير البرية ، محمد بن عبد الله المؤيدي (ت:١٠٤٤هـ) ، الورقة ٣٢٢ وما بعدها(ابن معبِّر) . آمل أن نعرف معلومات أكثر عن هذه الرحلة ، وهل يوجد فيها تفصيلات مطولة عن منطقة عسير في هذه الفترة الإسلامية الوسيطة . (ابن جريس) .

(١٠) يمثـل الكتـاب خلال زمن صدور طبعاته الثلاث (١٣٩٦، ١٣٩٨ ، ١٤٠١هـ) حدثاً ثقافياً جديداً [١] حيث وجد فيه القارئ ما يمكن وصفه بالمعلومات الجديدة التي لم تظهر في بعض الكتب التي صدرت قبله عن عسير ، ومنها : (أ) **في بلاد عسير**، فؤاد حمزة (ط١ : ١٣٧٠هـ). (ب) **في ربوع عسير**، محمد رفيع (ط١ : ١٣٧٣هـ) .(ج) **تاريخ عسير**، هاشم النعمي (ط١ : ١٣٨١هـ) . فاحتل بذلك ـ مع الكتب الثلاثة ـ درجة الأقدمية، وأصبح من المراجع المعتبرة عن منطقة عسير . إلاّ أن هذه المكانة العلمية بدأت تتهاوى بعد صدور عشرات الكتب والأبحاث والمقالات ، فقد حملت هذه الطّفرة التأليفية عن عسير الكثير من الحقائق المؤيدة بالمصادر والوثائق التي أماطت الغموض عن تاريخ عسير وبذلك يخرج كتاب (**شبه جزيرة العرب : عسير**) عن مكانته العلمية على وجه الإجمال، وتبقى له مكانة علمية على وجه التفصيل ، ففيه الكثير من الحقائق، ولا سيما إذا تم فصلها عن الأوهام . ويبقى الكتاب بصفة تمثل مرحلة من مراحل التأليف عن عسير ، مع عدم الاعتماد عليه كمرجع أو مصدر إلاّ بحذر شديد [٢] .

خامساً : المراجع

١. **الأعلام خير الدين الزركلي** ط٥ : ١٩٨٠م ، بيروت ، دار العلم للملايين.

٢. **الأمكنة والمياه والجبال والآثار المذكورة في الأخبار والأشعار** أبو الفتح نصر ابن عبد الرحمن الاسكندري (ت نحو ٥٦١هـ) تحقيق : حمد الجاسر ط : ١٤٢٥هـ ، الرياض

٣. **الإيناس في علم الأنساب الوزير المغربي تحقيق** : حمد الجاسر ط : ١٤٠٠هـ، الرياض ، النادي الأدبي .

٤. **تاج العروس الزبيدي** ط : بيروت .

---

(١) من خلال الاطلاع على الطبعة الثالثة (١٤٠١هـ/١٩٨١م)، نجد أن المؤلف والناشر كتبوا في مقدمات الكتاب (الطبعة الثانية) التي صدرت عام (١٣٨٨هـ/١٩٧٨م)، وأعتقد أنهم وقعوا في خطأ فالصحيح هو (١٣٩٨هـ) وليس(١٣٨٨هـ) . (ابن جريس).ـ

(٢) يا ابن معبِّر كتاب محمود شاكر عن عسير لا بأس به ، والرجوع إليه ضروري عند الباحثين والأكاديميين ، وإن كان لا يخلو من الأخطاء . كما أن الكتب الأخرى التي أشرت إليها لا تخلو من خلط وأخطاء ، والواجب عليك وغيرك من الباحثين الجادين أن تتصفوا بالعدل والإنصاف فتدرسون تلك الكتب وتوضحون للقارئ ما ورد فيها من معلومات غير صحيحة ، أو نقاط تحتاج إلى تصويب أو توضيح أكثر وإن فعلت ذلك أو غيرك فإنكم سوف تسدون لنا معاشر الباحثين معروفاً كبيراً يصب في خدمة العلم والمعرفة . (والله من وراء القصد) .(ابن جريس) . ـ

٥. **تاريخ الطبري (تاريخ (الأمم والملوك) الطبري** (ت ٣١٠هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .

٦. **تاريخ عسير بين الماضي والحاضر** هاشم بن سعيد النعمي ط١ : ١٣٨١هـ ، مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر .

٧. **تبصير المنتبه بتحرير المشتبه :** ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) تحقيق : محمد علي البجاوي ط : القاهرة ، المؤسسة المصرية للتأليف والأنباء والنشر .

٨. **النفحة العنبرية محمد بن عبد الله المؤيدي مخطوط** ، صنعاء ، الجامع الكبير

٩. **التقرير المبدئي عن مسح المنطقة الجنوبية الغربية**. يوريس زارينس ، وعبد الجواد مراد ، وخالد اليعيش مجلة (أطلال) الرياض ، ع٥ ، ١٤٠١هـ .

١٠. **جُرَش قاعدة الأزد. حمد الجاسر مجلة** (العرب) الرياض ، س٥ ، ج٧ ، محرم ١٣٩١هـ، ص ص ٥٩٣- ٦٠١ .

١١. **الجغرافيا التاريخية لشبه الجزيرة محمد خميس الزوكة**. ط : الاسكندرية

١٢. **جمهرة أنساب العرب أبو محمد علي بن أحمد بن حَزْم تحقيق** : عبد السلام محمد هارون ط٥ : ١٩٨٢م ، القاهرة ، دار المعارف .

١٣. **الدر الثمين في ذكر المناقب والوقائع لأمير المسلمين محمد بن عايض حسن بن أحمد** اليمني تحقيق : عبد الله بن علي بن حميد ط : ١٣٩٨هـ ، دمشق ، دار الفكر .

١٤. **دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة** (ق١هـ - ق١٠هـ) د. غيثان بن علي جريس ط : ١٤٢٤هـ ، الرياض ، مطابع الحميضي ، ج١ .

١٥. **سراة عَنْز بن وائل** . محمد بن أحمد مُعَبِّر ط١ : ١٤٣٢هـ ، خميس مشيط .

١٦. السيرة النبوية . ابن هشام

١٧. **صفة جزيرة العرب الحسن بن أحمد الهمداني** تحقيق : محمد بن علي الأكوع الحوالي ط : ١٣٩٤هـ ، الرياض ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر .

١٨. **عسير في مذكرات سليمان الكمالي أحمد بن حسن بن عبد الله النعمي** ط : ١٤٠٣هـ القاهرة ، المطبعة الحديثة .

١٩. **عسير والتاريخ وانحراف المسار** منصور بن أحمد بن منصور العسيري ط١ : ٢٠١٢ ، القاهرة ، دار الطناني للنشر والتوزيع .

٢٠. **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني** يحيى بن الحسين بن القاسم (ت ١١٠٠هـ) تحقيق : د. سعيد عبد الفتاح عاشور ط : ١٣٨٨هـ، القاهرة ، دار الكاتب العربي .

٢١. **في سراة غامد وزهران : نصوص ، مشاهدات، انطباعات** حمد الجاسر ط:١٣٩١هـ ، الرياض ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر .

٢٢. **قصّة البحث عن جُرَش محمد بن أحمد مُعَبر** ط١ : ١٤٣٤هـ ، الرياض ، مطابع الحميضي .

٢٣. **محمد بن صالح الشهراني (مدرسة المسقي في رحاب المجتمع)** محمد بن أحمد مُعَبِّر .ط١ ١٤٣٥هـ ، الرياض ، مطابع الحميضي .

٢٤. **مختلف القبائل ومؤتلفيها.** أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي تحقيق : حمد الجاسر ط١ ١٤٠٠هـ ، الرياض ، النادي الأدبي .

٢٥. **مدينة جُرَش من المراكز الحضارية القديمة** محمد بن أحمد مُعَبِّر ط١ : ١٤٠٨هـ ، خميس مشيط ، دار جرش للنشر والتوزيع .

٢٦. **معجم البلدان ياقوت الحموي** (ت٦٢٦هـ) ط : بيروت ، دار الكتاب العربي .

٢٧. **معجم البلدان والقبائل اليمنية**. إبراهيم أحمد المقحفي ط : ١٩٨٥م ، صنعاء ، دار الكلمة .

٢٨. **ملتقى حجاج** (WWW. Hjjaj.net/vb/showthread.php?t=10) .

٢٩. **نسب عدنان وقحطان المبرد** ط : الدوحة .

٣٠. **اليمن في تاريخ ابن خلدون**. تعليق: محمد بن حسين الفَرِح ط : ١٤٢٥هـ، صنعاء ، وزارة الثقافة والسياحة .

سادساً: آراء وتعليقات:

في هـذا القسم أوردنا ثلاثة بحـوث صوبت وراجعت وانتقـدت دراسات أرخت لشـيء من تاريخ الجنوب السعودي وبخاصة منطقة عسير وما حولها . ولا نقول أن تلك البحوث المنقودة لا جديد فيها أو فائدة منها ، وإنما هي جهود مباركة من إخوة عالجوا بعض الجوانب التاريخية والحضارية من وجهة أنظارهم ، وفيهم الذي اعتمد في بحثه علـى مصـادر ومراجع قديمة وحديثـة ، ومنهم الذي اتخذ مـن مشاهدته ، ومعاصرته لأهـل الجنوب قاعدة في جمع مادته العلميـة وتحليلها ، وجميعهم اجتهدوا ، ونسأل الله أن لا يحرمهـم أجر ما فعلوا . ثم جاء بعدهم من نقـد أعمالهم مثل: الأستاذين محمد بـن أحمد بـن معبِّر القحطـاني ، ومحمد بن علي الدحيمـي الشهري فأدليـا بدلويهما وذكـرا بعض التصويبات والانتقادات التـي تصب في مصلحة تلك الدراسات المطبوعة والمنشورة، وربما تفتح الباب لغيرهما ليحذوا حذوهما في إضافة ما لم يستطيعان ذكره، أو نقـد ودراسة كتب وبحوث أخرى سبق نشرها وفيهـا من الأخطاء أو النقص ما يجب إبـرازه للباحثين والمهتمين بدراسة التاريخ والحضـارة . وكم نحن في أمس الحاجة إلى السمـاع لبعضنا ، وتصحيح أخطائنا ، والبحث عن القول الحق الذي يستند على أقوال ومصادر صحيحة وموثقة[1] .

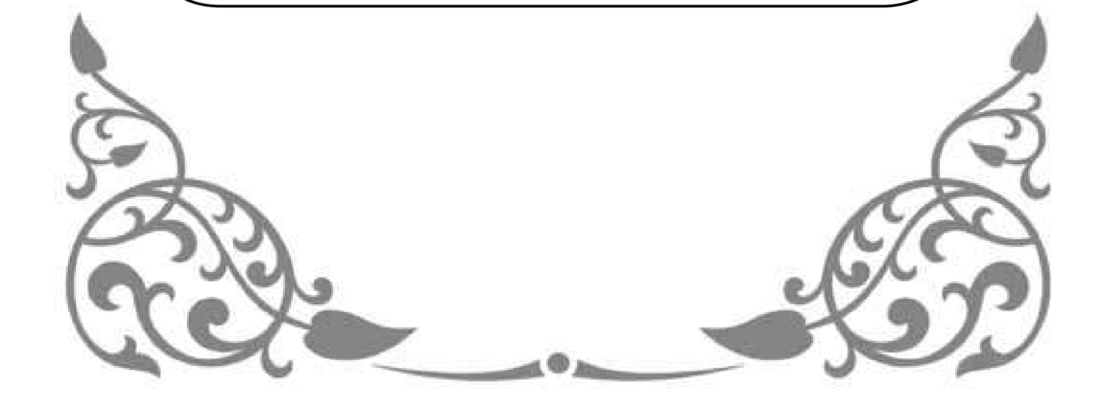
---

(١) أنـادي مـن على صفحات هذا السفر في بناتنا وأبنائنا من طـلاب الدراسات العليا في أقسامنا العلمية الأكاديميـة، وإلى كل دارس أو باحـث أن يراقب الله فيما يجمع ويكتب من معـارف وعلوم ، وأن نجتهد جميعـاً في البحث عن الحقيقة ، والبعد عن التيـارات أو الأهواء أو الرغبات التي تقودنا إلى قول خاطئ وإلى عمل يضر صاحبه في الدنيا والآخرة، كما يجب أن نعلم ونستشعر أن رسالتنا هي أفضل الرسالات ، وأن أمتنـا (أمـة الإسـلام الوسطية) هي أفضـل الأمم والشعوب . (والله مـن وراء القصد) .(ابن جريس) . _



القسم الخامس

الخاتمة
النتائج والتوصيات



القسم السادس

الخاتمة : النتائج والتوصيات

اشتمل هذا السفر رقم (١٢) من كتابنا الموسوعي : **القول المكتوب في تاريخ الجنوب**، على أربعة أقسام رئيسية ، ومقدمة ، وخاتمة ، وملاحق لعدد من الوثائق التي لم يسبق نشرها . وجميع مادة هذا الجزء تدرس صوراً من تاريخ بلاد تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة والمعاصرة ، ومعظم التفصيلات المدروسة والمنشورة تدور في فلك مناطق عسير ، وجازان ، والباحة ، والعرضيات التابعة إدارياً لإمارة منطقة مكة المكرمة[١] .

وفي الصفحات التالية ننضح ببعض الموضوعات والمحاور التي تستحق أن تدرس في ندوات ومؤتمرات ، أو في كتب ، أو بحوث ، أو رسائل علمية ، وهذه من مسؤوليات المؤرخين ، والآثاريين واللغويين ، والجغرافيين ، وجميع الباحثين في أوطان تهامة والسراة ، كما أنها من مسؤوليات الجامعات، ومراكز البحوث ، والمؤسسات العلمية . وهي على النحو الآتي:

١. لا تخلو نهاية كل محور في هذا الجزء من آراء وتعليقات وتوصيات واقتراحات علمية ، ونأمل من القراء الكرام أن يطلعوا عليها لعلهم يجدون فيها ما يفيد وبخاصة الباحثين وطلاب الدراسات العليا في أقسام التاريخ ، والاجتماع ، والجغرافيا ، واللغة العربية وآدابها .

٢. صدر عن أجزاء عديدة وموضوعات متفرقة في بلاد تهامة والسراة العديد من الكتب ، والبحوث العلمية المنشورة في بعض المجلات الأكاديمية

---

(١) قلنا (معظم التفصيلات) عن هذه البلاد المذكورة أعلاه ، مع أن هناك إشارات قليلة عن مواضع وأحداث في نواحي وبلدان أخرى من تهامة والسراة . والعرضيات ، الآنف ذكرها ، تتبع إدارياً لإمارة منطقة مكرة المكرمة ، لكنها على صلات قريبة وقوية (جغرافياً وسكانياً) بمنطقتي عسير والباحة ، والأفضل أن تتبع هذه الناحية إدارياً إحدى هاتين المنطقتين ،وهي إلى منطقة الباحة أقرب وأفضل .

، وبعض الرسائل العلمية ، ونرجو أن تدرس وتحقق وتصوب وبخاصة ما كان منها مشوباً ببعض الأخطاء والمغالطات المقصودة أو غير المقصودة.

٣. تحتوي كتب التراث الإسلامي على كثير من الشذرات والإشارات التاريخية والحضارية الخاصة بأرض وسكان بلدان تهامة والسراة . وهذه المصادر جديرة بالجمع والدراسة والتحقيق والتصويب والتوثيق.

٤. تزخر بلاد تهامة والسراة بالكثير من الآثار ، والحصون ، والقلاع ، والأسواق ، والقرى ، والمقابر ، والآبار، والأحمية ، والطرق القديمة . والواجب على جامعات الجنوب السعودي أن تنشئ أقساماً ومراكزاً بحثية تعتني بهذه المصادر المادية التي تعكس صوراً من تاريخ هذه الأوطان السروية والتهامية .

٥. إن تركيبة بلاد تهامة والسراة السكانية عشائرية ، وهناك مئات العشائر والفخوذ تستوطن أماكنها منذ آلاف السنين . وأقول إن كل عشيرة أو قبيلة في هذه البلاد تستحق أن تدرس في بحوث تاريخية وحضارية عديدة. ونأمل من أصحاب الاختصاص ومن الباحثين والمؤرخين الجادين أن يدرسوا هذا الميدان الحضاري الهام .

٦. مر على بلاد تهامة والسراة منذ عصور ما قبل الإسلام وخلال عهود الإسلام المختلفة الكثير من الأحداث السياسية والعسكرية والدبلوماسية. وهذا الجانب جديد في بابه ويستحق أن يدرس في عشرات الكتب والبحوث.

٧. إن الجوانب الحضارية (الاجتماعية ، والاقتصادية ، والثقافية والتعليمية والفكرية) من الموضوعات الجديرة بالبحث والدارسة في عموم مناطق جنوب المملكة العربية السعودية . ونأمل أن تدرس في بحوث وكتب علمية منذ العصر القديم وعبر أطوار التاريخ الإسلامي .

٨. لا ندعي الكمال في كل ما أدرجناه في هذا السفر، لكن لا تخلو جميع المحاور من جديد في موادها العلمية ، وبعضها مازال بحاجة إلى تفصيلات وتحقيقات وتصويبات . ونأمل أن يأتي من طالباتنا وطلابنا من يستكمل هذه الحلقات الغامضة أو الناقصة أو الخاطئة .

٩. يوجد في نهاية هذا الجزء عشرات الوثائق الجديدة في بابها ، التي لم يسبق نشرها ، وهي تستحق الدراسة والتحليل والتحقيق ، ومن يقوم بذلك فسوف يسدي لطلاب البحث العلمي خدمة كبيرة ، ونسأل الله أن يوفق أحد طلابنا في برامج الدراسات العليا ، أو أحد زملائنا من المؤرخين في أقسام التاريخ إلى القيام بهذا العمل العلمي المفيد والجليل .

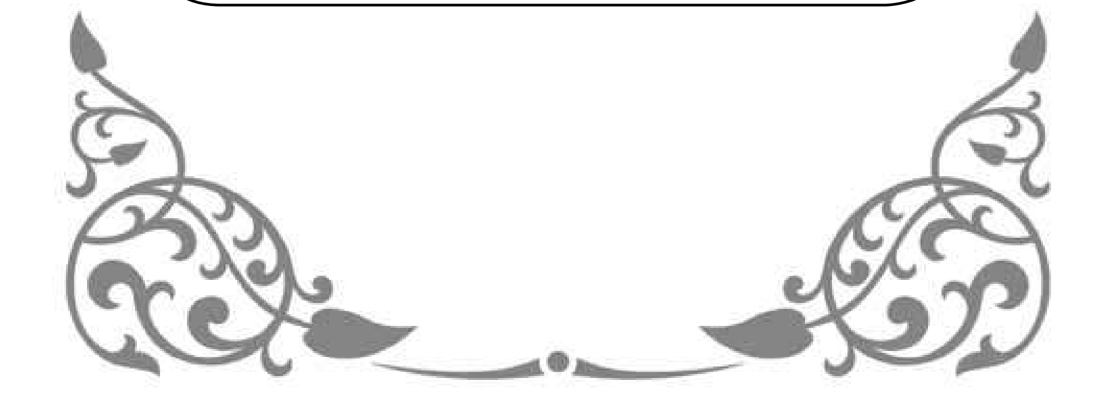
١٠. نعلم أن المقابلات والمشاهدات من المصادر التي تصب في خدمة التاريخ ، والواجب على من يعمل في هذا الميدان توخي الحذر في دقة الرصد أثناء المشاهدات ، والالتزام بالأمانة والصدق والحيادية أثناء نقل المعلومات من الرواة. ومن يحرص على الوصول إلى الحقيقة فعليه أن يصبر ويتحمل كل ما يواجهه من عقبات وعناء ، ويستشعر أن كل ما يتم رصده سوف يصبح من التاريخ، فلا يكذب أو يدلس أو يضلل .

١١. أرجو من كل قارئ كريم لهذا الجزء أن لا يبخل علينا بأي معلومة تصوب خطأً ، أو تستكمل نقصاً ، أو توضح غامضاً ، أو تفتح باباً جديداً في ميدان البحث التاريخي الصادق والنزيه . وليعلم الجميع أنني طالب علم أبحث عن الحقيقة، وكل من يسدي لي فضلاً ويوضح لي خللاً في هذه الدراسة، فهو من أصحاب الفضل ، وسوف أذكره بخير في نفسي ، وفي تصويباته التي تصلني .



القسم السادس

ملاحق الكتاب العامة



ملحق الوثائق وفهرستها

م	عنوان الوثيقة وتاريخها	الصفحة
١-	**ملحق رقم (١):** وثيقة في عام (١٣١٤هـ) بخصوص بعض الإجراءات المالية والإدارية في بلاد بني عمر في تهامة منطقة الباحة . **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص١٠٥ .**	٥٠٤
٢-	**ملحق رقم (٢) :** خطاب بتاريخ (٦/ذو القعدة /١٣٢٠هـ) من وكيل متصرف لواء عسير الشيخ إبراهيم أفندي ، شيخ قرية المخواة ، يذكر له أنه وصلهم أخبار بعض المتمردين على الدولة في بلاده ويطلبه السعي في حل المشكلة وإخبار الدولة بما هو سائر في بلادهم ، مع الإشارة إلى أن المتصرفية العثمانية سوف تعاقب من يثير الفوضى والقلاقل في البلاد . **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ / ٢٠م) ، ج٨٣، ص ١٠٢.**	٥٠٥
٣-	**ملحق رقم (٣):** وثيقة بتاريخ (١٦/شوال/١٣٢١هـ)من متصرف لواء عسير إلى كافة أعيان بني عمر في تهامة منطقة الباحة يخبرهم أن شيخهم أحمد بن إبراهيم بن موالا يحل مكان أبيه في مشيخة القبيلة وعليهم السمع والطاعة له . **المصدر: مكتبة د.غيثان ابن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص ١٠٧.**	٥٠٦
٤-	**ملحق رقم (٤):**خطاب بتاريخ (١٠/رجب/١٣٣٠هـ) من أحد المسؤولين في مكة المكرمة إلى الشيخ أحمد بن إبراهيم بن موالا يخبره بما وصلهم في مكة من أخبار جيدة عن هذا الشيخ ، ويذكر وجوب تنفيذ بعض المطالب الخاصة ببلاده وأهلها. **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م) ،ج٨٣ ، ص ٩٩.**	٥٠٧
٥-	**ملحق رقم (٥) :** خطاب بتاريخ (١٥/المحرم/١٣٣٦هـ) من متصرف لواء عسير إلى الشيخ أحمد بن إبراهيم بن موالا يخبره برضا الدولة عليه لحسن سيرته ، ويطلب منه ، أن يكون على اتصال مستمر بحاكم (قائمقام) القفنذة ، ويعده بخدمته ومكافأته . **المصدر: مكتبة د. غيثان بن علي بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص ١٠٠ .**	٥٠٨

م	عنوان الوثيقة وتاريخها	الصفحة
-٦	**ملحق رقم (٦):** خطاب بتاريخ (١١/رجب/١٣٣٦هـ) من أمير هذيل باشا ابن إبراهيم العبدلي إلى الشريف أحمد بن عبد الله الشنبري يذكر له بعض الأخبار التي تتعلق بأجزاء من تهامة غامد وبني عمر وبعض شيوخها . **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص١٠٩ .**	٥٠٩
-٧	**ملحق رقم (٧) :** خطاب بتاريخ (٢٠/شوال/١٣٤٣هـ) من الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى أحد شيوخ غامد يخبره بما يجب عليه لنصر الدولة وتوحيد البلاد . **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ / ٢٠م) ، ج٨٣، ص ٢.**	٥١٠
-٨	**ملحق رقم (٨):** خطاب بتاريخ (١٣٤٤/٦/٩هـ) من الأمير عبد العزيز بن إبراهيم إلى الشيخ أحمد بن إبراهيم بن موالا يخبره ويبشره بما حققت جيوش الإمام عبد العزيز الفيصل في جدة . **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص ١٠٨.**	٥١١
-٩	**ملحق رقم (٩):** خطاب بتاريخ (١٣٤٥/٥/١٤هـ) من الأمير عبد العزيز بن إبراهيم إلى محمد بن أحمد بن موالا يعزيه في والده ويخبره أن يحل محله في مشيخة بلاده وأهلها ، ويقول له بعض النصائح والتوجيهات الأخرى . **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م) ،ج٨٣ ، ص ٩١.**	٥١٢
-١٠	**ملحق رقم (١٠) :** خطاب بتاريخ (١٣٤٦/٥/٦هـ) من أحد رجالات أسرة آل مشيط في خميس مشيط إلى الأمير محمد بن سعيد بن مشيط يهديه السلام ويوضح له بعض الأمور الخاصة والعامة . **المصدر: مكتبة د. غيثان بن علي بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص ١٧ .**	٥١٣
-١١	**ملحق رقم(١١):** خطاب بتاريخ (١٣٤٧/٤/١٩هـ) من الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى الشيخ هاشم بن صالح بن عدنان ، أحد شيوخ قبائل غامد ، يخبره بمحاربة بعض المتمردين في بلاد السراة ، وما هو الواجب عليه. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن علي بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص ١٠ .**	٥١٤

م	عنوان الوثيقة وتاريخها	الصفحة
-١٢	**ملحق رقم (١٢):** خطاب بتاريخ (١٣٤٧/٤/٢٧هـ) من الأمير فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن إلى الشيخ هاشم بن صالح . أحد شيوخ سراة غامد، يشكره على جهوده المباركة في محاربة بعض الثائرين على الحكومة ، ويسأل الله النصر والتوفيق. **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص٨ .**	٥١٥
-١٣	**ملحق رقم (١٣) :** خطاب بتاريخ (١٣٤٨/٤/١٨هـ) من الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود إلى الشيخ هاشم بن عدنان ، أحد شيوخ سراة غامد ، يذكره بما عليهم من نصات الجهاد ، والواجب منه السمع والطاعة . **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ / ٢٠م) ، ج٨٣، ص ٦ .**	٥١٦
-١٤	**ملحق رقم (١٤):** خطاب بتاريخ (١٣٥٠/٦/٢٥هـ) من الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود إلى الشيخ هاشم بن صالح بن عدنان وجماعته بني خثيم في سراة غامد يخبرهم بما عليهم من واجبات تصب في مصلحة الجهاد وحفظ البلاد.**المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص٥.**	٥١٧
-١٥	**ملحق رقم (١٥):**خطاب بتاريخ (١٣٥٠/٦/٢٥هـ) من أمير الطائف عبد الله بن محمد الشيخ إلى بعض شيوخ وأعيان قبيلة بني عمر في تهامة منطقة الباحة يحثهم على الإسراع في دفع نصيبهم من نصات الجهاد. **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م) ،ج٨٣ ، ص ٩٣.**	٥١٨
-١٦	**ملحق رقم (١٦):** وثيقة (بدون تاريخ) من مترك بن شفلوت، أحد شيوخ وأعيان قحطان، إلى الشيخ عبد الوهاب أبو ملحة يطلبه العون والمساعد المالية. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن علي بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م) ،ج٨٣ ، ص ٤٩ .**	٥١٩
-١٧	**ملحق رقم(١٧):** خطاب بتاريخ (../المحرم/١٣٥١هـ) من الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى شيخ بني عمر في تهامة منطقة الباحة ، محمد بن موالا ، يوضح له العديد من التوجيهات التي يجب عليه اتباعها في بلاده، وما هو الواجب عليه وجماعته تجاه الدولة. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن علي بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص ٩٠ .**	٥٢٠

م	عنوان الوثيقة وتاريخها	الصفحة
-١٨	**ملحق رقم (١٨):** مذكرة مكونة من (١٢) صفحة ومؤرخة في عام (١٣٥٢هـ) ، وهي تحتوي على زكوات مواشي ربيعة البدو في عسير التابعة لقبيلة بني مغيد وما حولها من الأقوام مثل: ربيعة ، وبني ماجور ، وآل وايلة ، وآل عيسى بن أحمد ، والجهرة. **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص٢٢-٣٣ .**	٥٢١
-١٩	**ملحق رقم (١٩):** خطاب (بدون تاريخ) من الأمير عبد الرحمن بن ثنيان إلى الشيخ أحمد بن إبراهيم ، شيخ بعض قبائل المخواة في تهامة غامد وزهران وبني عُمر، يذكر له بعض النصائح والتوجيهات تجاه بعض أعداء الدولة السعودية الحديثة. **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ،الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص٩٦.**	٥٣٣
-٢٠	**ملحق رقم (٢٠):** خطاب بتاريخ (١٣٥٣/٦/٤هـ) من الأمير عبد العزيز العسكر إلى الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة يخبره بسفره وبعض أهله إلى الرياض وما حولها ويفيده بأخبار أخرى عديدة بعضها عام وآخر خاص. **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٨٣، ص ٥٩ .**	٥٣٤
-٢١	**ملحق رقم (٢١):** خطاب بتاريخ (١٣٥٣/٥/٥هـ) من قاضي أبها فيصل المبارك إلى عبد الوهاب أبو ملحة يطلبه إدراج اسم أحد الأيتام مع اليتامى الذين يصرف لهم مصروف من بيت المال. **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ٥٨ .**	٥٣٥
-٢٢	**ملحق رقم (٢٢):** خطاب بتاريخ (١٣٥٤/١٢/٢هـ) من أحد المسؤولين في القطاع العسكري في منطقة عسير إلى آخر يوجهه بصرف حقوق وأرزاق بعض العساكر. **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ،الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ٦٠.**	٥٣٦
-٢٣	**ملحق رقم (٢٣):** خطاب بتاريخ (١٣٥٥/٤/١٦هـ) من أمير الظفير في بلاد غامد وزهران إلى الشيخ محمد بن أحمد بن موالا في المخواة يوضح له أن نصيب الجهاد على العقارات والأملاك وليس على الأفراد. **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٨٣، ص ٨٤ .**	٥٣٧

م	عنوان الوثيقة وتاريخها	الصفحة
-٢٤	**ملحق رقم (٢٤):** وثيقة بتاريخ (٥/رمضان/١٣٥٥هـ) من أمير نجران إلى عبد الوهاب أبو ملحة يهديه السلام ويشكره على إرسال استحقاقاته وكاتبه ورفاقه في العمل. **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٣، ص ٥٤ .**	٥٣٨
-٢٥	**ملحق رقم (٢٥):** وثيقة بتاريخ (شهر شوال/١٣٥٥هـ)وهي عبارة عن جدول رواتب موظفي مدرسة جازان الأميرية في شهر (١٠/١٣٥٥هـ). **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص٤٦.**	٥٣٩
-٢٦	**ملحق رقم (٢٦):** وثيقة بتاريخ (١٣٥٧/٧/٧هـ) من مالية أبها وفيها توضيح التعرفة الجمركية في جازان والمفروض العمل بموجبها من أصل تعرفة أبها وتوابعها. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص٤٥.**	٥٤٠
-٢٧	**ملحق رقم (٢٧):** خطاب بتاريخ (١٣٥٨/٦/٢٢هـ) من الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود إلى أمير الظفير عبد الرحمن السديري يذكر فيه أسماء بعض شيوخ غامد وزهران وبني عمر ورواتبهم والواجب اعتمادها. **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ص ٨٣، ص ١١٧-١١٨ .**	٥٤١
-٢٨	**ملحق رقم (٢٨):** خطاب بتاريخ (-/١٣٥٩/١هـ) من وكيل وزارة المالية إلى رئيس مالية أبها يشرح له توجه فريق عمل إلى جنوب السعودية للقيام ببعض الأعمال التي كلفوا بها ، ويطلب منه خدمة هذه الهيئة المكلفة والتعاون معهم . **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ،الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص٣٥ .**	٥٤٣
-٢٩	**ملحق رقم (٢٩):** خطاب بتاريخ (١٣٥٩/١/٢١هـ) من وزير المالية إلى رئيس مالية أبها وتوابعها يؤكد فيه على وجوب توحيد رسم الدمغة على السمن في عدد من مناطق الجنوب السعودي مثل: أبها ، وجازان ، والقنفذة . **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٨٣، ص ٣٤ .**	٥٤٤
-٣٠	**ملحق رقم (٣٠):** وثيقة بتاريخ (صفر/١٣٥٩هـ) توضح رواتب مأموري ومستخدمي مالية ورسوم القحمة . **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ٤١ .**	٥٤٥

م	عنوان الوثيقة وتاريخها	الصفحة
-٣١	**ملحق رقم (٣١):** وثيقة بتاريخ (صفر/١٣٥٩هـ) تبين رواتب موظفي الدمغة في جازان. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص٤٣.**	٥٤٦
-٣٢	**ملحق رقم (٣٢):** خطاب بتاريخ (١٣٥٩/٥/٢٣هـ) من وكيل وزارة المالية إلى رئيس مالية أبها وتوابعها يوضح فيه بعض الإجراءات لمنع تهريب النقود إلى اليمن. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص٣٦.**	٥٤٧
-٣٣	**ملحق رقم (٣٣):** خطاب بتاريخ (١٣٥٩/٨/١٥هـ) من وكيل وزارة المالية إلى رئيس مالية أبها وتوابعها حول ميزان صبيا وما يجب العمل حياله. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص٣٩.**	٥٤٨
-٣٤	**ملحق رقم (٣٤):** وثيقة بتاريخ (شوال/١٣٥٩هـ) عبارة عن جدول يوضح رواتب كتاب إمارة جازان لشهر شوال عام (١٣٥٩هـ). **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص٢٠.**	٥٤٩
-٣٥	**ملحق رقم (٣٥):** جدول بتاريخ (شوال/١٣٥٩هـ) يوضح الرواتب المنصرفة لموظفي مالية صبيا في شهر شوال (١٣٥٩هـ). **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص٤٠.**	٥٥٠
-٣٦	**ملحق رقم (٣٦):** خطاب بتاريخ (١٣٦٩/٤/٢هـ) من المدعو محمد الزهراني إلى الشيخ عبد الله بن موالا في بلاد المخواة يعزيه في وفاة ابنه ويرسل له بعض المال ويعتذر على التأخير، ويشرح له أسعار بعض السلع في بلاده. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ١٠٣.**	٥٥١
-٣٧	**ملحق رقم (٣٧):** خطاب (بدون تاريخ) من الملك سعود إلى الشيخ عبد الله بن موالا في بلاد المخواة يشرح له الطرق المتبعة لصرف الهبات والعوائد على المحتاجين وغيرهم، وعلى هذا الشيخ التعاون مع موظفي الدولة في إيصال هذه الأعطيات إلى أصحابها. **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ٩٢.**	٥٥٢

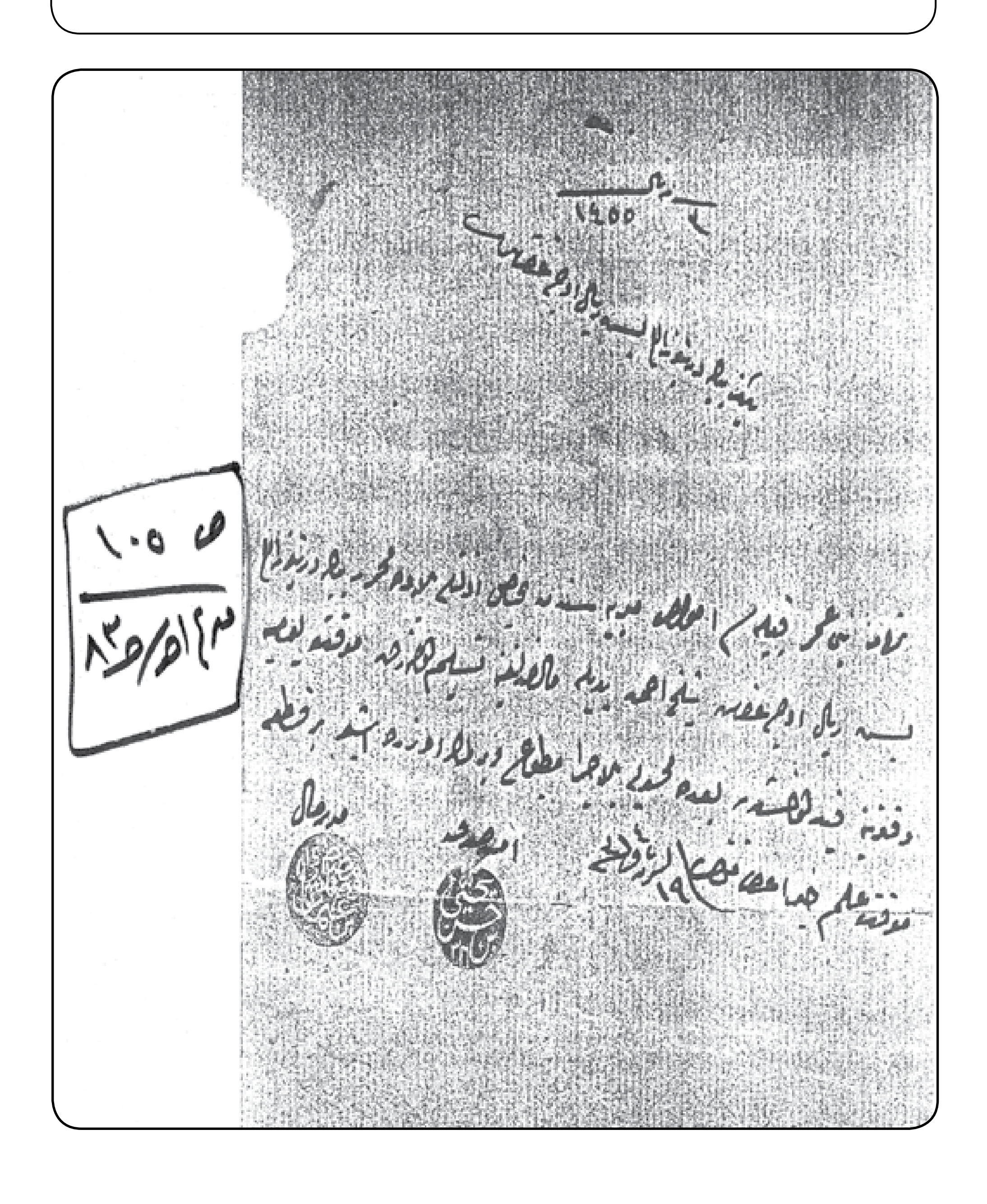
م	عنوان الوثيقة وتاريخها	الصفحة
-٣٨	**ملحـق رقـم (٣٨):** خطـاب بتاريـخ (١٣٨٠/٢/٢١هـ) مـن مديـر مالية بلجرشي إلى عبد الله بن أحمد الشدوي يخبره بأنه ضمن أعضاء هيئة توزيع زكـوات قبائل غامد وزهران (تهامة وسراة) عام (١٣٧٩هـ) ويوصيه بالجد والاجتهـاد . **المصدر: مكتبة د. غيثان بـن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٣٨، ص١١٣ .**	٥٥٣
-٣٩	**ملحـق رقـم (٣٩):** خطاب بتاريخ (١٣٨٣/١٠/١٦هـ) من أحد المسؤولين إلى عريفة قرية السلاطين عبد الله أحمد الشدوي في جبل شدا غامد يخبره بما هو جاري مـن أعمال لإصلاح عقبتهم (طريقهم) في جبـل شدا الأعلى . **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٣٨، ص١١٤ .**	٥٥٤
-٤٠	**ملحق رقم (٤٠):** خطاب بتاريخ (١٣٨٥/٥/١٦هـ) من عبد العزيز بن عبد الهـادي إلى عبد الله بن أحمـد الشدوي يهديه السـلام، ويخبره أن عقبتهم (طريقهـم) في شدا الأعلـى سوف تنزل في مناقصة قريبـاً ، ويرغب إشعاره بذلـك. **المصـدر: مكتبـة د. غيثـان ابن جريسـ العلميـة، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ص ٣٨، ص ١١٩ .**	٥٥٥
-٤١	**ملحق رقم (٤١):** خطـاب بتاريخ (١٣٨٦/٥/٨هـ) من رئيس مركز المخواة عبـد الله ابـن فهد إلى العريفـة عبد الله بـن أحمد يخبره وجـوب استعداده وجماعتـه للتعـاون مع عمال المواشـي الذين هم قادمـون إلى منطقة المخواة ومـا حولها. **المصدر : مكتبة د. غيثـان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م) ، ج٣٨، ص١٢٢.**	٥٥٦
-٤٢	**ملحق رقم (٤٢):** خطاب بتاريخ (١٣٨٦/٧/٢٦هـ) من رئيس مركز المخواة عبد الله بن فهد زامل إلى عريفة شد الأعلى عبد الله بن أحمد يخبر بالتعميم الذي وصلهم وفيه تأجيل صلاة الاستسقاء . **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ،الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٣٨، ص ١٢٠ .**	٥٥٧
-٤٣	**ملحـق رقـم (٤٣):** خطـاب بتاريـخ (١٣٨٦/٨/١٧هـ) من رئيسـ مركز المخواة إلى عبد الله أحمد الشدوي يبلغه بالتعميم الذي أرسله رئيس القضاة في المملكـة على أن تكون صلاة الاستسقاء يـوم الخميس (١٣٨٦/٨/١٩هـ) ، وعليـه إبلاغ جماعته. **المصدر : مكتبـة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م) ، ج٣٨، ص ١١٦.**	٥٥٨

م	عنوان الوثيقة وتاريخها	الصفحة
٤٤-	**ملحق رقم (٤٤):** اتفاقية وملحقاتها بتواريخ (٤/١٠، ١٥/١١/١٣٨٨هـ)، بين العمال الذين يقومون بإصلاح طريق شدا الأعلى وبين اللجنة التنفيذية والقائمين على هذا المشروع، وفيها تفصيلات عن كيفية بدء العمل والاستمرار فيه، وهناك قائمة بأسماء العاملين في هذا الطريق وأجرتهم. **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ١١٠-١١١.**	٥٥٩
٤٥-	**ملحق رقم (٤٥):** رسالة إخوانية بتاريخ (١٩/١٢/١٣٩١هـ) من الأستاذ فضل الله أحمد فضل الله من موجه التربية الفنية في القنفذة إلى الشيخ عبد الله الشدوي في شدا الأعلى يشكره على كرمه وحسن استقباله وما قدم من خدمات له. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص١٢٤.**	٥٦١
٤٦-	**ملحق رقم (٤٦):** مشهد بتاريخ (٢٧/٧/١٤٠٧هـ) من عشرة أعيان من قرية آل رزيق، قرية المؤلف، وفيه يشهدون على امتلاك عقار في بلادهم لأحد رجالهم، ويظهر في هذا المشهد أسمائهم وتواقيعهم. **المصدر: مكتبة د. غيثان ابن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ص ٨٣، ص ١٩.**	٥٦٢
٤٧-	**ملحق رقم (٤٧):** خطاب بتاريخ (١٩/١/١٤١٢هـ) من الأستاذ علي بن صالح السلوك، مدير عام الإدارة في إمارة منطقة الباحة إلى الشيخ أحمد بن موالا يهديه السلام ويطلب منه التعاون في جمع بعض المادة العلمية عن بلاده حتى يضمنها الطبعة الثانية من كتابه (المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران). **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص٧٧.**	٥٦٣
٤٨-	**ملحق رقم (٤٨):** خطاب بتاريخ (٥/٦/١٤١٢هـ) من الأستاذ علي بن صالح السلوك إلى الشيخ أحمد بن موالا يذكره بالخطاب الذي أرسله له من قبل ويطلب فيه معلومات عن بلاده وسكان القبائل التابعة له، ويستحثه على التجارب، وذلك من أجل تضمين هذه المادة العلمية في الطبعة الثانية من كتابة (المعجم الجغرافي). **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ٧٦.**	٥٦٤

م	عنوان الوثيقة وتاريخها	الصفحة
٤٩-	**ملحق رقم (٤٩):** خطاب بتاريخ (١٤١٩/٢/٢٣هـ) من مدير التعليم بمحافظة المخواة إلى الشيخ أحمد بن عبد الله بن موالا ، شيخ قبيلة بني عمر الأشاعيب ، يطلبه معلومات مختصرة عن بلاده وسكانها وذلك بناءً على ما جاء من خطابات وتوجيهات من سمو وكيل إمارة منطقة الباحة ، ومن رئيس النادي الأدبي في الباحة . وبرفقة هذا الخطاب معلومات في صفحتين تحت توقيع الشيخ عبدالله بن أحمد بن موالا ، وهاتان الصفحتان غير مؤرخة ، لكنها بعد تاريخ الخطاب المذكور أعلاه بزمن. **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م) ، ج٨٣، ص ٧٠-٧١، ٧٨ .**	٥٦٥
٥٠-	**ملحق رقم (٥٠):** مذكرة في خمس صفحات بتاريخ (١٤٣٧/١/٢٠هـ) من تدوين الدكتور قاسم بن أحمد بن عبد الله آل قاسم ، الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها ، كلية العلوم الإنسانية ، جامعة الملك خالد في أبها ، وفيها قراءة وآراء ووجهات نظر على كتابين من إعداد الأستاذ محمد بن أحمد بن معبِّر ، وهما: (١) وثائق غيثان بن جريس الخاصة (ثمانية مجلدات) (٢) دليل البحوث الجامعية في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق الخاصة عام (١٤٣٧هـ) (لم ترقم بعد) .**	٥٦٨
٥١-	**ملحق رقم (٥١):** خطاب بتاريخ (١٤٣٨/٤/٦هـ) مدونة من غيثان بن جريس إلى أرباب القلم والباحثين والمؤلفين وأهل الرأي في البلاد الممتدة من شمال مدينة محايل في تهامة عسير إلى بلدة قلوة في تهامة زهران ، وذلك أثناء قيامه برحلة في هذه البلاد في شهر ربيع الآخر عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) ، ويطلبهم فيه التعاون معه في تدوين بعض الصفحات التاريخية والحضارية عن بلادهم ، ويوجد العديد من المحاور المذكورة في هذا الخطاب التي يبحث غيثان عنها . **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق الخاصة عام (١٤٣٨هـ) (لم ترقم بعد) .**	٥٧٣

م	عنوان الوثيقة وتاريخها	الصفحة
٥٢-	**ملحق رقم (٥٢):** مذكرة بتاريخ (١٤٣٨/٦/٢هـ) من شيخ عشيرة العوامر في العرضيات محمد بن علي بن سعد آل شاكر العامري مرسلة إلى غيثان بن جريس يعلق فيها على بعض المعلومات المنشورة في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الثاني) صفحة (٤٠٠) ويضيف تفصيلات أخرى عن عشيرة العوامر وصور من تاريخها. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق الخاصة عام (١٤٣٨هـ) (لم ترقم بعد).**	٥٧٧

ملحق رقم (١) : وثيقة في عام (١٣١٤هـ) بخصوص بعض الإجراءات المالية والإدارية في بلاد بني عمر في تهامة منطقة الباحة . **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص١٠٥ .**



ملحـق رقم (٢): خطاب بتاريخ (٦/ذو القعدة /١٣٢٠هـ) من وكيل متصرف لواء عسير الشيخ إبراهيم أفندي ، شيخ قرية المخواة ، يذكر له أنه وصلهم أخبار بعض المتمردين على الدولة في بلاده ويطلبه السعي في حل المشكلة وإخبار الدولة بما هو سائر في بلادهم ، مع الإشارة إلى أن المتصرفية العثمانية سوف تعاقب من يثير الفوضى والقلاقل في البلاد .

المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ / ٢٠م)، ج٨٣، ص ١٠٢.

ملحق رقم (٣): وثيقة بتاريخ (١٦/شوال/١٣٢١هـ) من متصرف لواء عسير إلى كافة أعيان بني عمر في تهامة منطقة الباحة يخبرهم أن شيخهم أحمد بن إبراهيم بن موالا يحل مكان أبيه في مشيخة القبيلة وعليهم السمع والطاعة له . **المصدر: مكتبة د.غيثان ابن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص١٠٧.**



ص ١٠٧

الحمد لله

الى اعيان بني زيدان وكافة اعيان بني عمر التابعين الى قضا غامد

بعد السلام اعلموا ان الشيخ ابراهيم بن موالا قد صار الى رحمة الله تعالى وولده احمد بن ابراهيم صار

فيمقام والده فيلزم منكم السمع والطاعة والانقياد لاوامر الدولة العلية وبناء مينات الدروب

وتسكين الفتن فيما بينكم ولا بد من وصول المامورية الى قضاكم قريباً وللمعلومية حررنا هذا والسلام

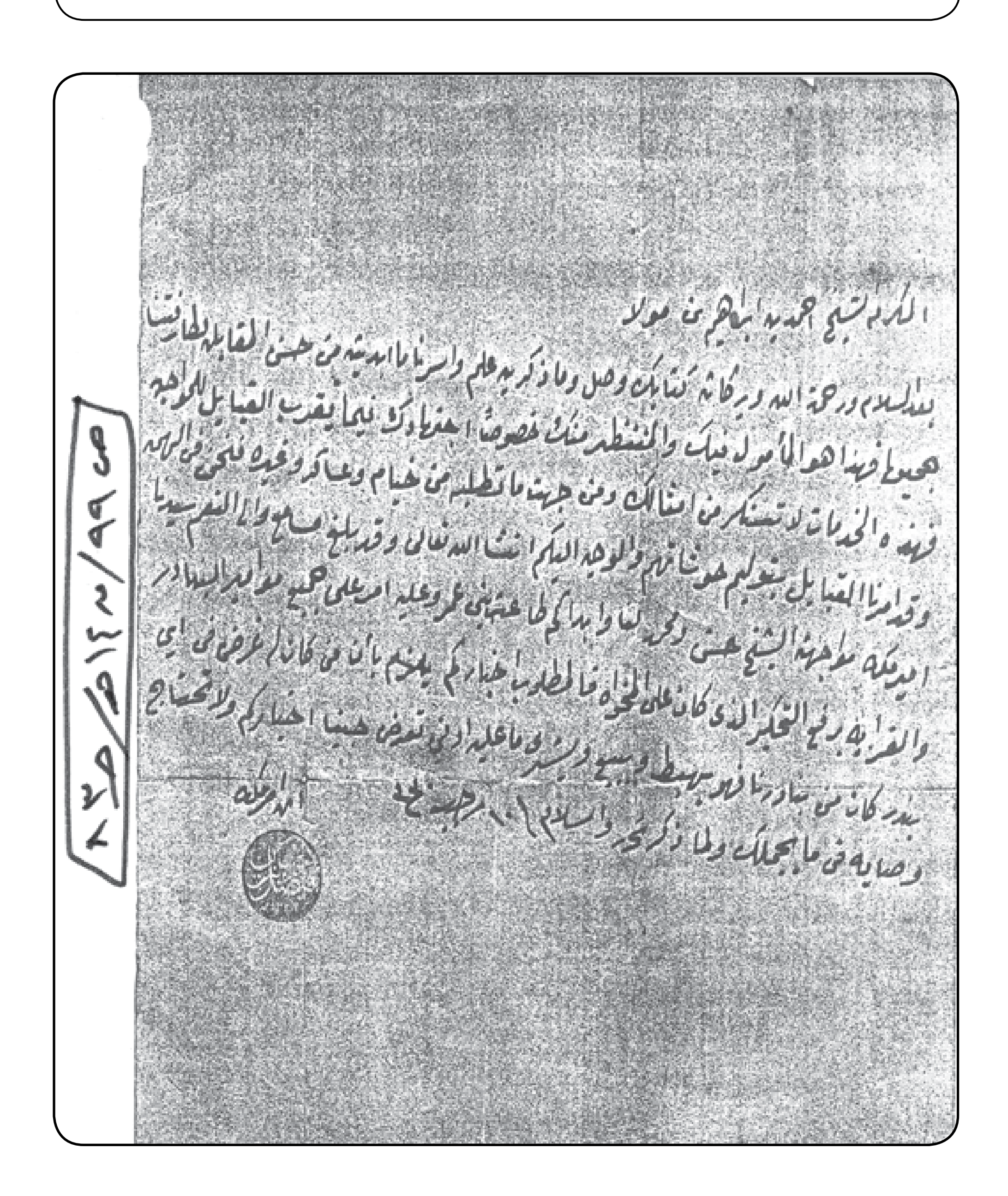
١٦ شوال ١٣٢١

٢٢ كانون اول ١٣١٩

متصرف وقوماندان العسير

فريق

<u>ملحق رقم (٤):</u> خطاب بتاريخ (١٠/رجب/١٣٣٠هـ) من أحد المسؤولين في مكة المكرمة إلى الشيخ أحمد بن إبراهيم بن موالا يخبره بما وصلهم في مكة من أخبار جيدة عن هذا الشيخ، ويذكر وجوب تنفيذ بعض المطالب الخاصة ببلاده وأهلها. **<u>المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ٩٩.</u>**



المكرم الشيخ احمد بن ابراهيم بن موالا

بعد السلام ورحمة الله وبركاته كتابكم وصل وما ذكرتم به علم وسرنا ما ابديتم من حسن المقابلة للطائفتين

جميعا فهذا هو المأمول فيك والمنتظر منك خصوصاً [illegible] فيما يقرب القبايل للوجهة

فهذه الخدمات لا تستكثر من امثالك ومن جهة ما تطلبوه من خيام وعساكر وغيره [illegible]

وقد امرنا القبايل [illegible] والوجهة [illegible] انشاء الله تعالى وقد بلغ [illegible] سيدنا

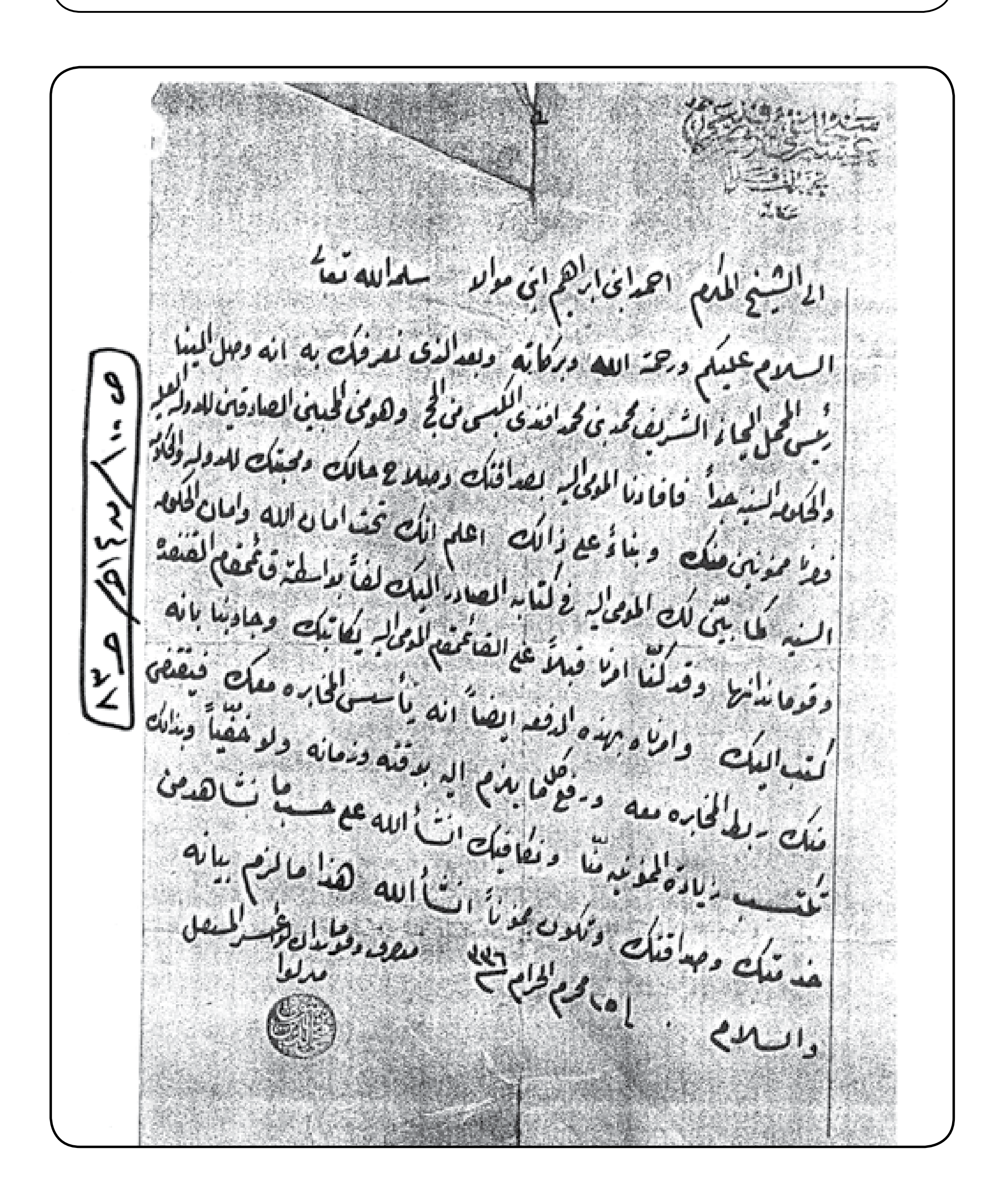
امير مكة [illegible] الشيخ [illegible] لنا وابدا لكم [illegible] على جميع [illegible] البلاد

والقرب [illegible] الذي كان على [illegible] ما طلبوا اخباركم [illegible] بان من كان له غرض في اي

بلد كان من [illegible] فهو [illegible] وما عليه الا ان تعرض [illegible] اخباركم ولا تحتاج

وصاية في ما يحملك وما ذكرتم [illegible] والسلام ١٠ رجب [illegible]

ملحق رقم (٥): خطاب بتاريخ (١٥/المحرم/١٣٣٦هـ) من متصرف لواء عسير إلى الشيخ أحمد بن إبراهيم بن موالا يخبره برضا الدولة عليه لحسن سيرته ، ويطلب منه ، أن يكون على اتصال مستمر بحاكم (قائمقام) القفنذة ، ويعده بخدمته ومكافأته . **المصدر: مكتبة د. غيثان بن علي بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ١٠٠ .**



الى الشيخ المكرم احمد ابن ابراهيم ابن موالا سلمه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد الذي نعرفكم به انه وصل الينا رئيس المحمل الحجازي الشريف محمد بن محمد افندي الكبسي من الحج وهو من المحبين الصادقين للدولة العلية والخلافة السنية جداً فافادنا المومى اليه بصداقتك وصلاح حالك ومحبتك للدولة والخلافة فصرنا ممنونين منك وبناءً على ذلك اعلم انك تحت امان الله وامان الخلافة السنية كما بين لك المومى اليه في الكتابة الصادرة اليك لفاً بواسطة قائممقام القنفذة وقد كتبنا امراً قبلاً على القائممقام المومى اليه يكاتبك وجاوبنا بانه وقوعاً انتظر وقد كتب اليك وامرناه بهذه الدفعة ايضاً انه يأسس المخابرة معك فيقتضي منك ربط المخابرة معه ورفع كلما يلزم اليه بلا فرقه وزمانه ولو خفياً وبذلك تكتسب زيادة المحبوبية منا ونكافيك ان شاء الله على حسب ما تشاهد من خدمتك وصداقتك وتكون ممنوناً ان شاء الله هذا ما لزم بيانه

والسلام

١٥ محرم الحرام ٣٦

متصرف وقومندان لواء عسير المستقل

مدلوا

ملحق رقم (٦): خطاب بتاريخ (١١/رجب/١٣٣٦هـ) من أمير هذيل باشا ابن إبراهيم العبدلي إلى الشريف أحمد بن عبد الله الشنبري يذكر له بعض الأخبار التي تتعلق بأجزاء من تهامة غامد وبني عمر وبعض شيوخها. **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص١٠٩.**



يخص حضرة الهمام المكرم نائب مولانا المعظم ولدنا العزيز الشريف احمد بن عبد الله الشنبري سلمه الله امين

وبعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وصل عندنا الشيخ احمد بن ابراهيم بن [illegible] ويقول عنه

نصوص على شرف البيرق من عرض غامد ان كثيرا منا قل فانت اخبر غامد وخلانهم

كل من يولم حاله ويكسون على الداعي واذ فاتت الغافة بكم وبعضكم من غامد

وبني عمر ومن معهم انما هم [illegible] نصرة بنفسه وليستقيم بهم [illegible]

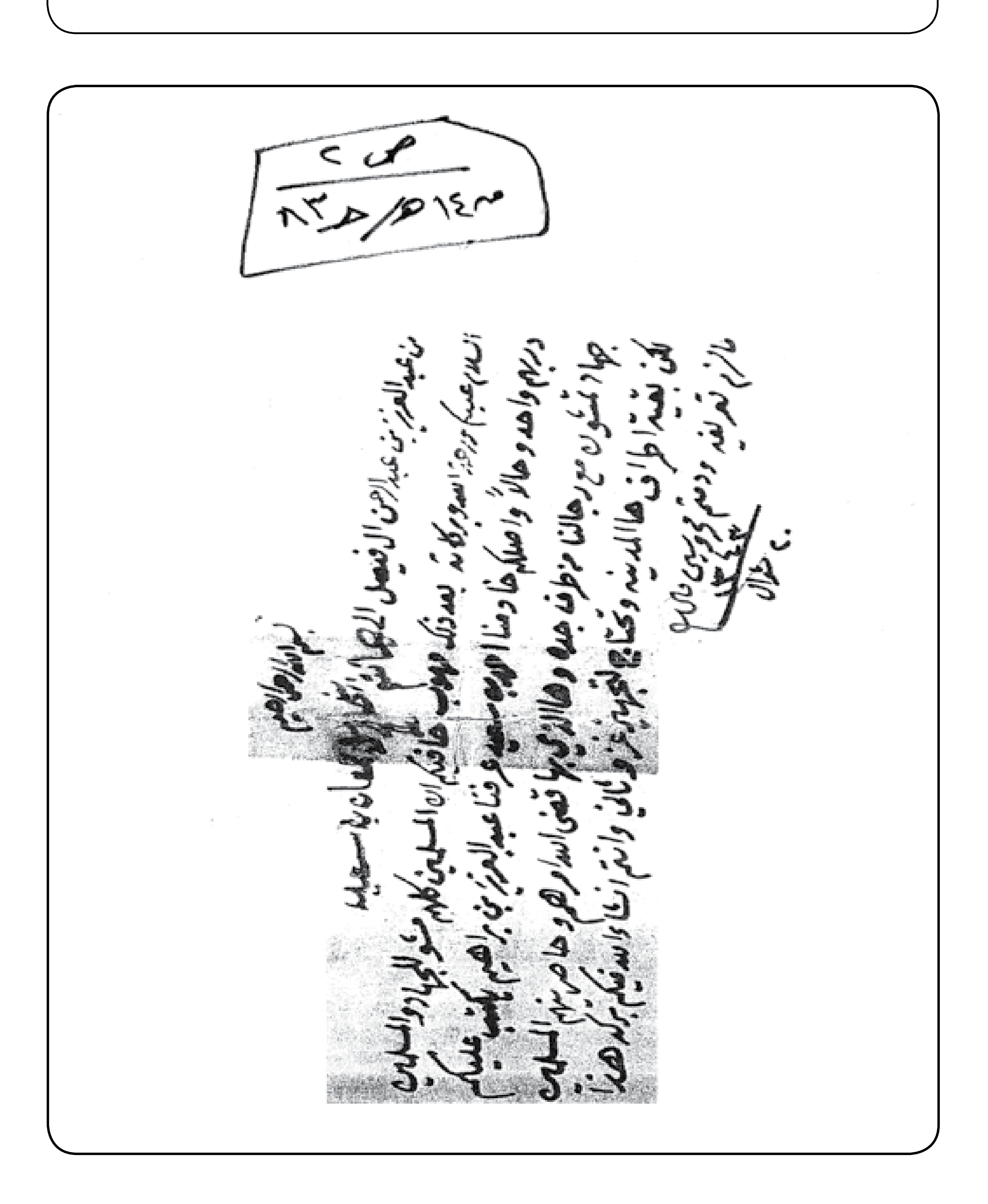
هذا ما لزم اخبرناكم به والسلام ١١ رجب ١٣٣٦ امير هذيل

باشا ابن ابراهيم

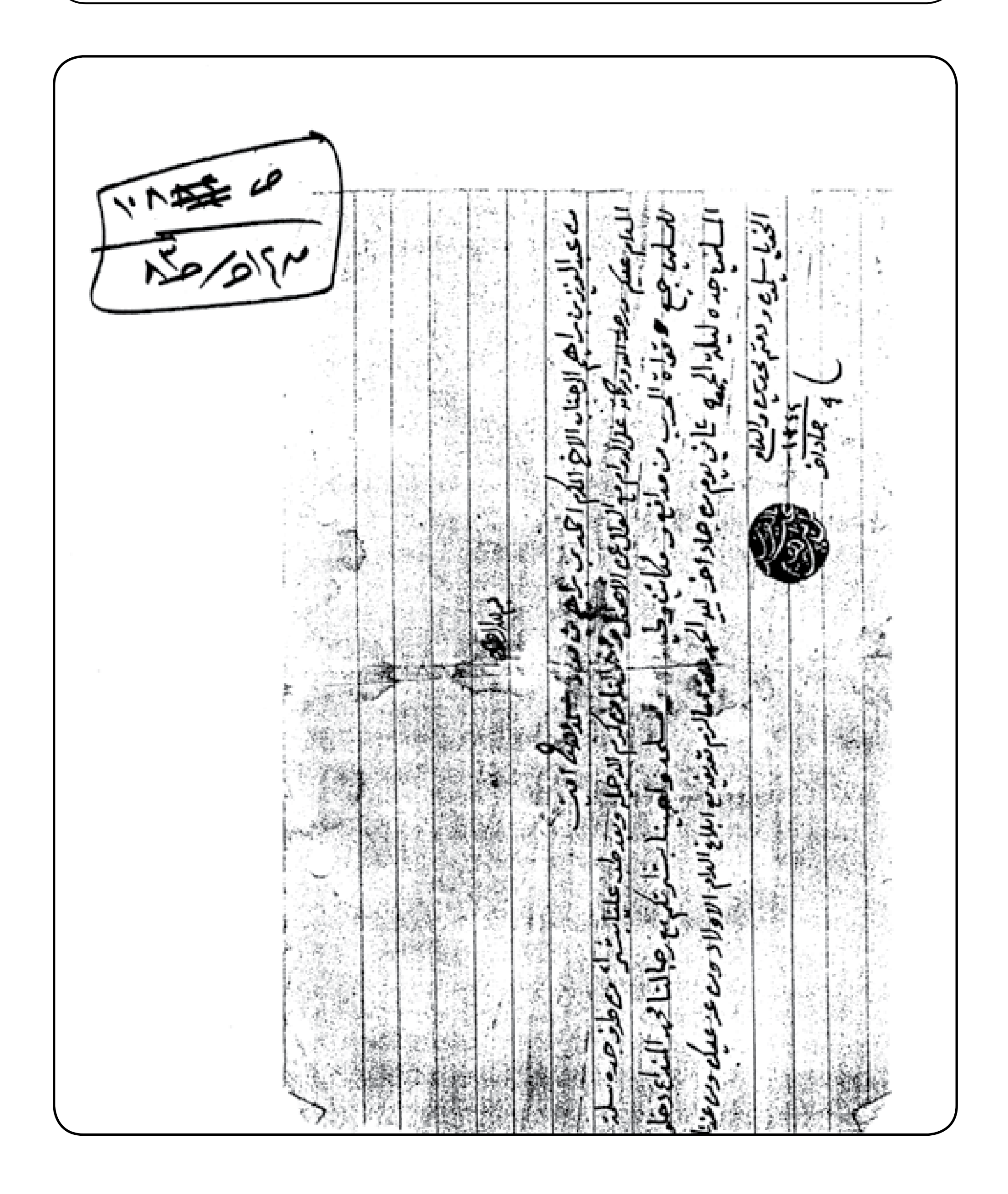
العبدلي

ملحق رقم (٧): خطاب بتاريخ (٢٠/شوال/١٣٤٣هـ) من الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى أحد شيوخ غامد يخبره بما يجب عليه لنصر الدولة وتوحيد البلاد .

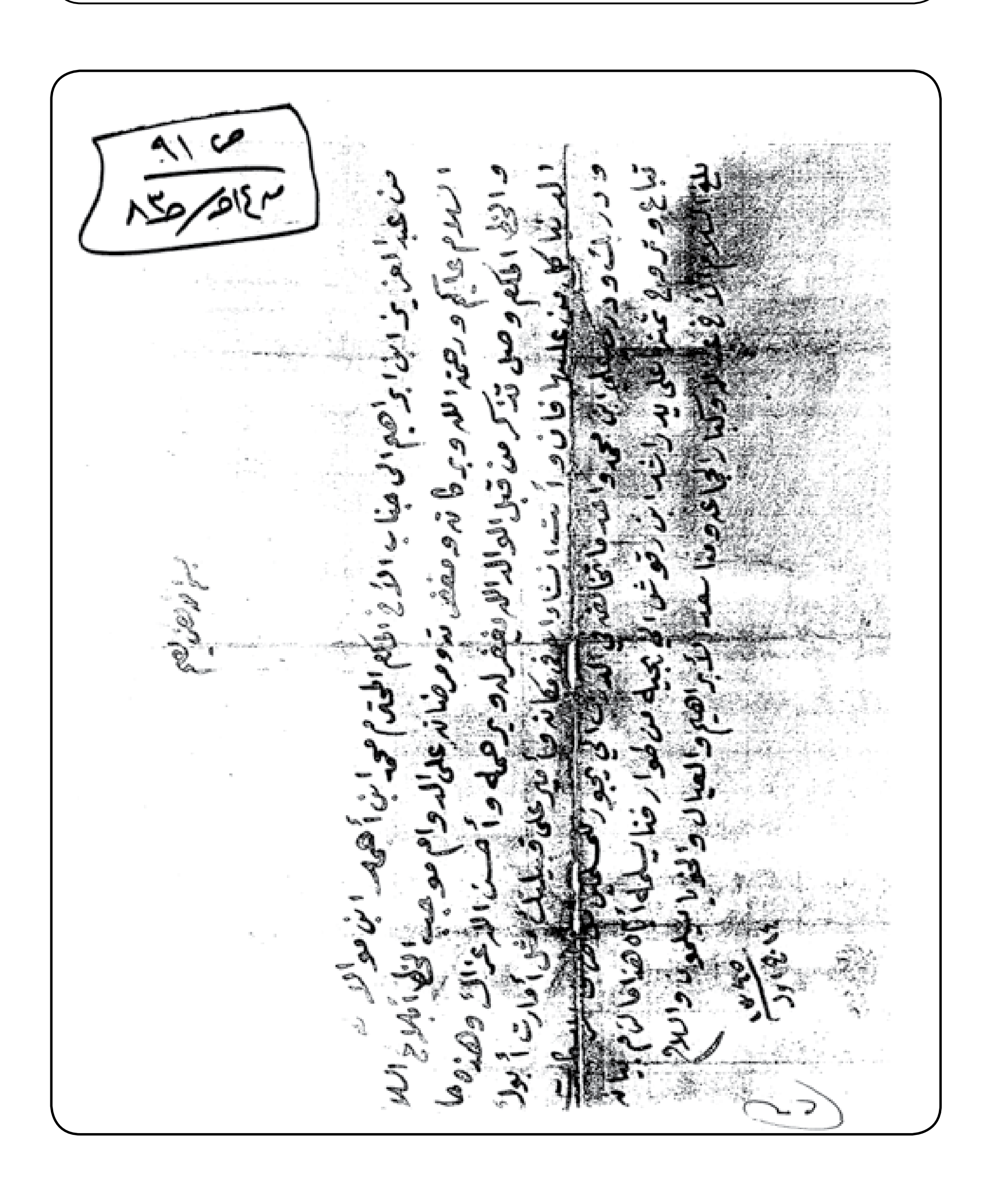
المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ / ٢٠م)، ج٨٣، ص ٢.



ملحق رقم (٨): خطاب بتاريخ (١٣٤٤/٦/٩هـ) من الأمير عبد العزيز بن إبراهيم إلى الشيخ أحمد بن إبراهيم بن موالا يخبره ويبشره بما حققت جيوش الإمام عبد العزيز الفيصل في جدة . **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ١٠٨.**



ملحق رقم (٩): خطاب بتاريخ (١٣٤٥/٥/١٤هـ) من الأمير عبد العزيز بن إبراهيم إلى محمد بن أحمد بن موالا يعزيه في والده ويخبره أن يحل محله في مشيخة بلاده وأهلها ، ويقول له بعض النصائح والتوجيهات الأخرى . **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ،ج٨٣ ، ص ٩١.**



ملحق رقم (١٠): خطاب بتاريخ (١٣٤٦/٥/٦هـ) من أحد رجالات أسرة آل مشيط في خميس مشيط إلى الأمير محمد بن سعيد بن مشيط يهديه السلام ويوضح له بعض الأمور الخاصة والعامة. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن علي بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ١٧.**

ملحق رقم (١١): خطاب بتاريخ (١٩/٤/١٣٤٧هـ) من الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى الشيخ هاشم بن صالح بن عدنان ، أحد شيوخ قبائل غامد ، يخبره بمحاربة بعض المتمردين في بلاد السراة ، وما هو الواجب عليه. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن علي بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص ١٠ .**

ملحق رقم (١٢): خطاب بتاريخ (٢٧/٤/١٣٤٧هـ) من الأمير فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن إلى الشيخ هاشم بن صالح. أحد شيوخ سراة غامد، يشكره على جهوده المباركة في محاربة بعض الثائرين على الحكومة، ويسأل الله النصر والتوفيق. **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص٨.**

ص ٨
٨٣د/١٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة الحجازية والنجد وملحقاتها

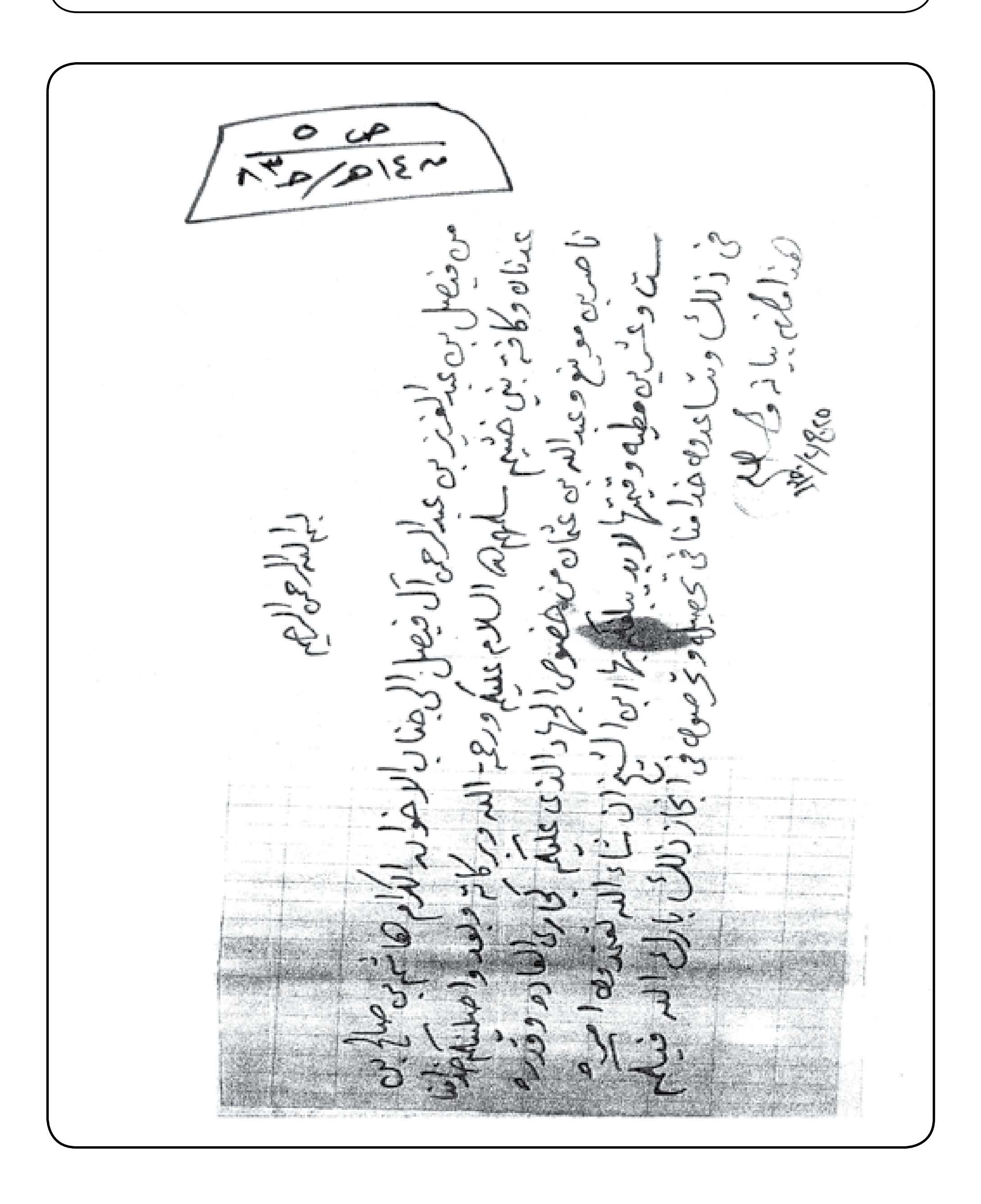


من فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى جناب الأخ المكرم هاشم بن صالح سلمه الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته مع السؤال عن حالكم احوالنا من كرم الله جميلة، بعده كتابكم الكريم المبشر بما من الله به من نصر دينه واعلاء كلمته وذل اعداء دينه وصل وحمدنا الله جل شأنه على ما من به من نعمه الظاهرة والباطنة وعوائده سبحانه جميلة نرجوا الله تعالى يديمها علينا وعليكم وعلى كافة المسلمين وهو سبحانه المسؤول ان ينصر دينه ويعلي كلمته ويذل اعداء دينه، ولقد سرنا كثيرا تعريفكم بما حصل على أيديكم من قتل اعداء الله [illegible] على ديارهم [illegible] ولابد انشاء الله قد صار التبشير على ها الفاجر والبشارة [illegible] بذلك نرجوا الله [illegible] فيه الخير والصلاح للدين والعباد والبلاد هذا مالزم تعريفه والسلام [illegible] الاخوان كافة ومنا الاخوان والمشايخ يسلمون ودمتم محروسين

٢٧ ربيع الآخر ١٣٤٧

ملحق رقم (١٣): خطاب بتاريخ (١٨/٤/١٣٤٨هـ) من الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود إلى الشيخ هاشم بن عدنان، أحد شيوخ سراة غامد، يذكره بما عليهم من نصات الجهاد، والواجب منه السمع والطاعة. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ / ٢٠م)، ج٨٣، ص ٦.**

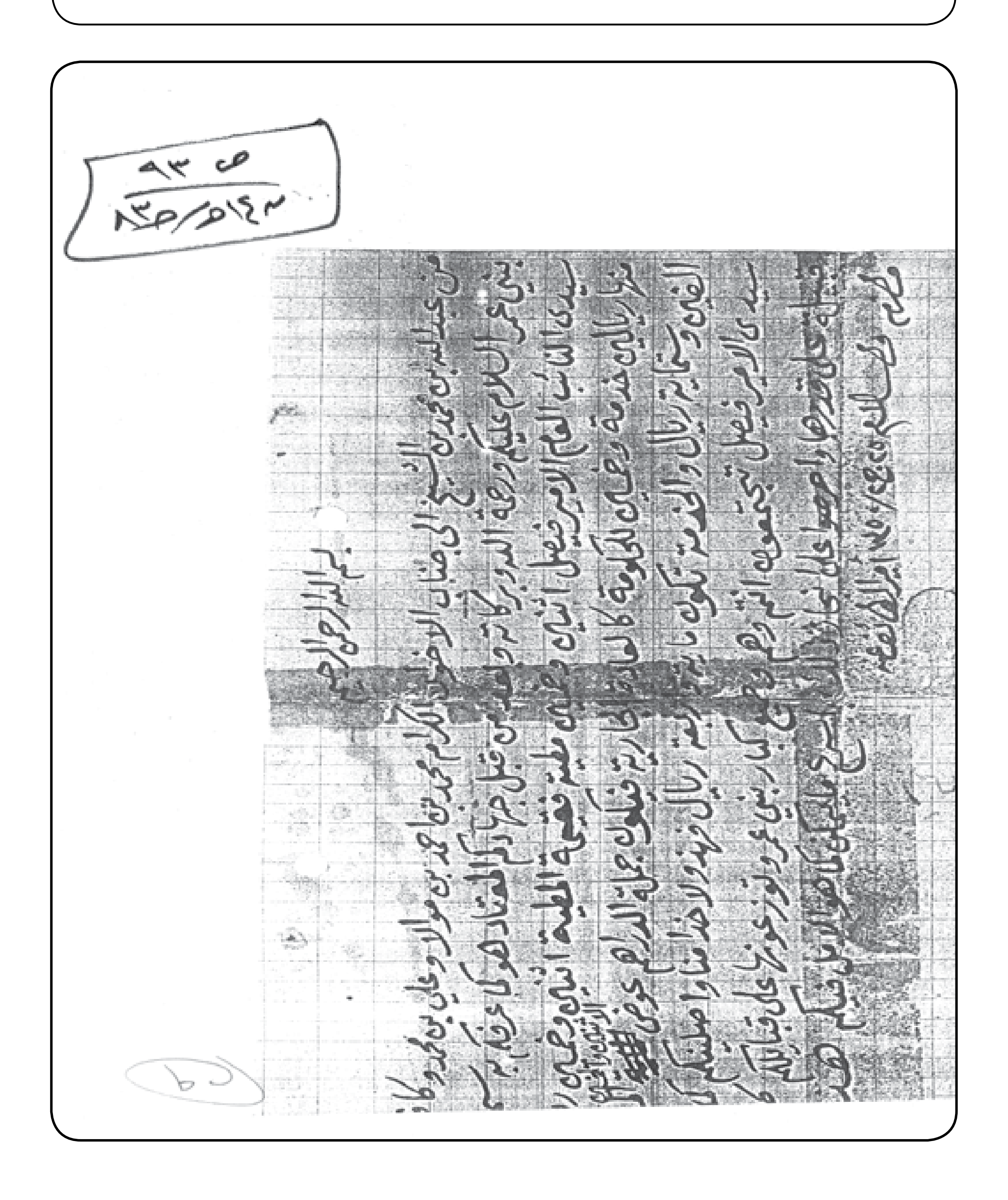
ملحــق رقم (١٤): خطاب بتاريخ (٢٥/٦/١٣٥٠هـ) مـن الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعـود إلى الشيـخ هاشم بـن صالح بن عدنـان وجماعته بني خثيم في سـراة غامد يخبرهم بمـا عليهم من واجبات تصـب في مصلحة الجهاد وحفظ البلاد. **المصـدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص٥.**



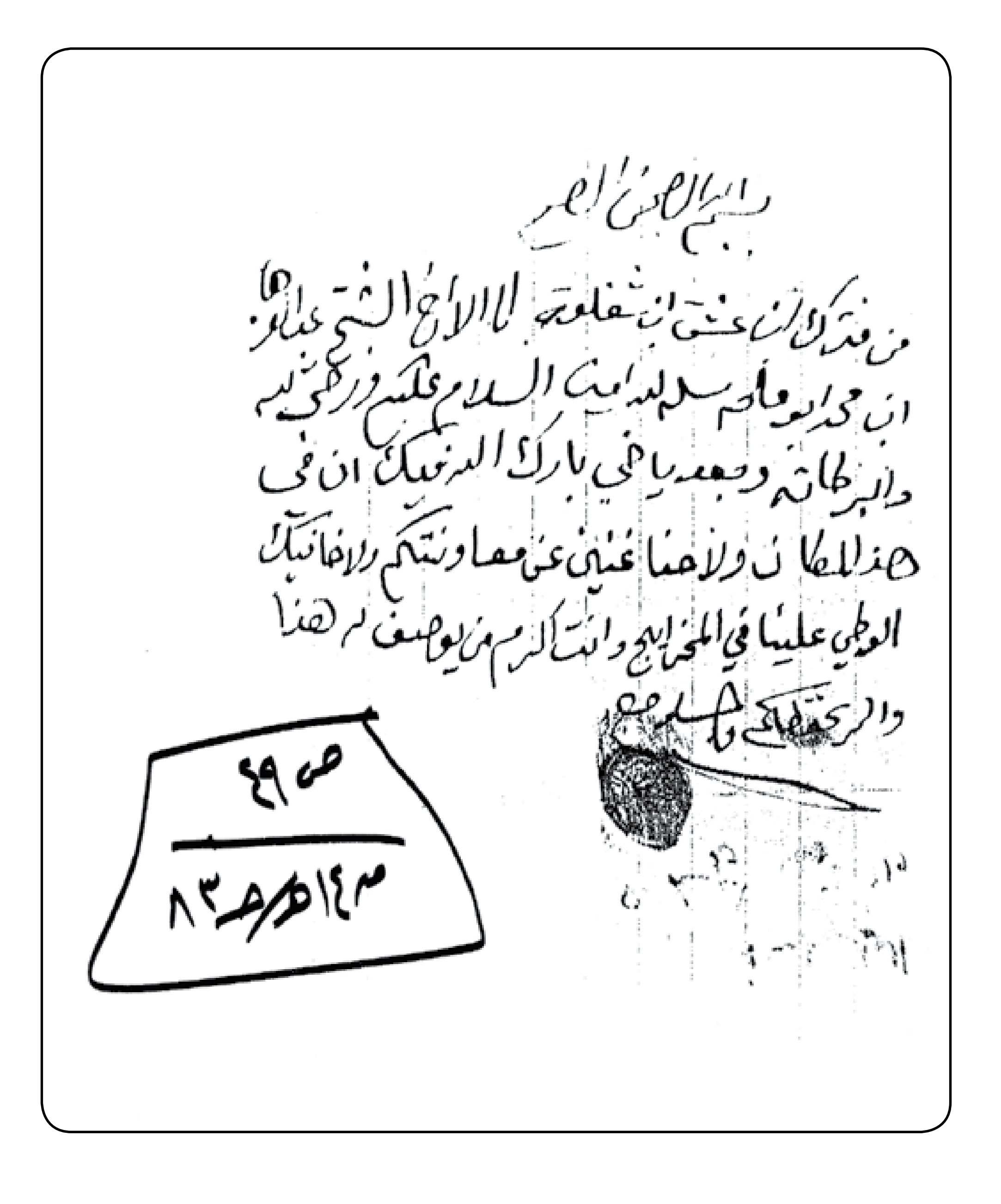
ص ٥
١٤هـ/٢٠م ٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

ملحق رقم (١٥): خطاب بتاريخ (١٣٥٠/٦/٢٥هـ) من أمير الطائف عبد الله بن محمد الشيخ إلى بعض شيوخ وأعيان قبيلة بني عمر في تهامة منطقة الباحة يحثهم على الإسراع في دفع نصيبهم من نصات الجهاد. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ٩٣.**



ملحق رقم (١٦): وثيقة (بدون تاريخ) من مترك بن شفلـوت، أحد شيوخ وأعيان قحطان، إلى الشيـخ عبد الوهاب أبو ملحة يطلبه العـون والمساعد المالية. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن علي بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ٤٩ .**



بسم الله الرحمن الرحيم

من مترك ابن عشق ابن شفلعة الى الاخ الشيخ عبد الوهاب

ابن محمد ابو ملحة سلمه الله امين السلام عليكم ورحمة الله

وبركاته وبعد يا اخي بارك الله فيك ان في

هذا الزمان ولا احنا غنين عن معاونتكم ولا خافيك

الوضع علينا في المخاليف وانت الكريم من يوصف له هذا

والرحمة لكم والسلام

ص ٤٩

ق١٤هـ/ج٨٣

ملحق رقم (١٧): خطاب بتاريخ (../المحرم/١٣٥١هـ) من الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى شيخ بني عمر في تهامة منطقة الباحة ، محمد بن موالا ، يوضح له العديد من التوجيهات التي يجب عليه اتباعها في بلاده، وما هو الواجب عليه وجماعته تجاه الدولة. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن علي بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص ٩٠ .**

ص ٩٠
١٤ق/هـ/ج٨٣

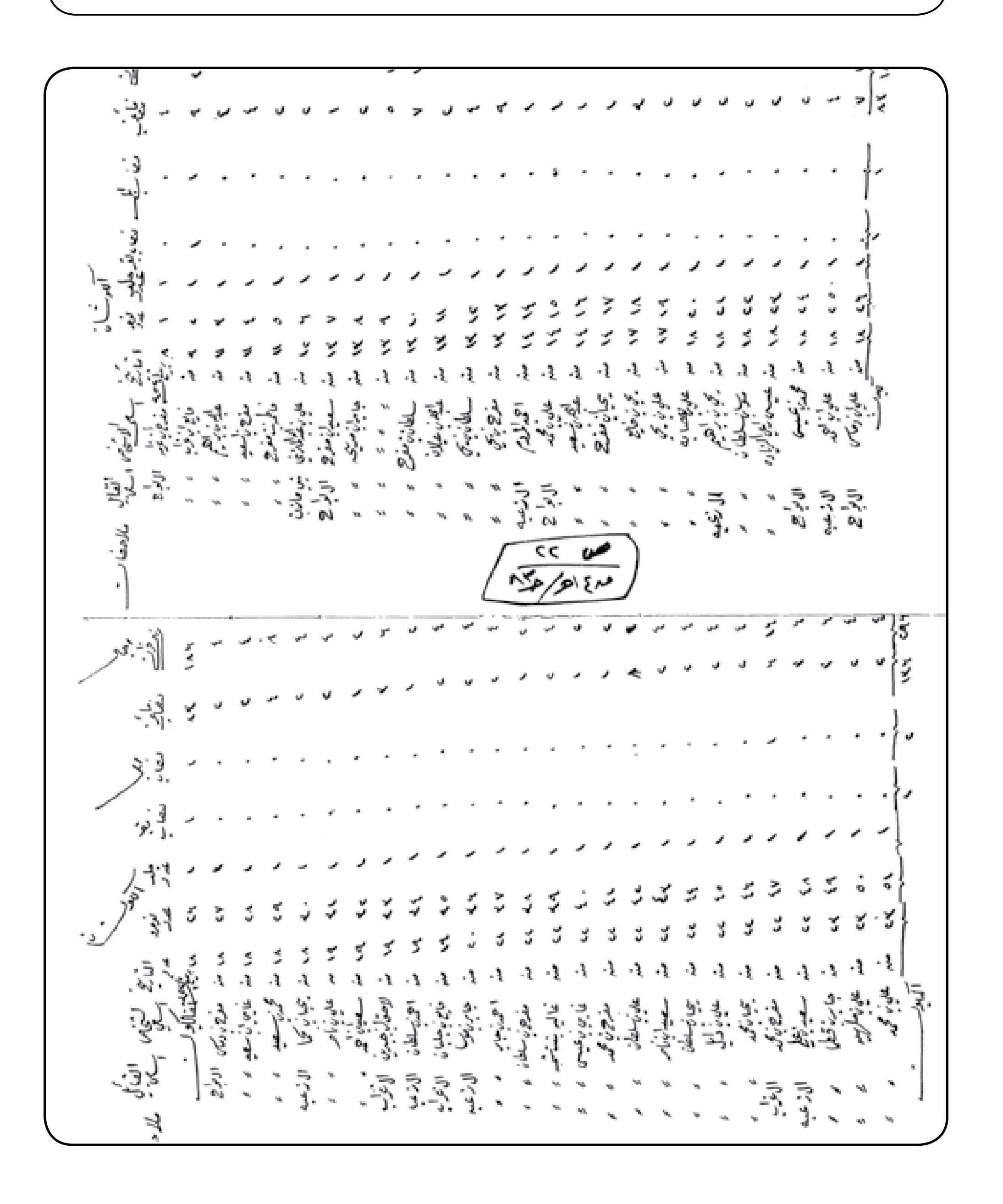
بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى الشيخ محمد بن موالا وجماعة بني عمرو

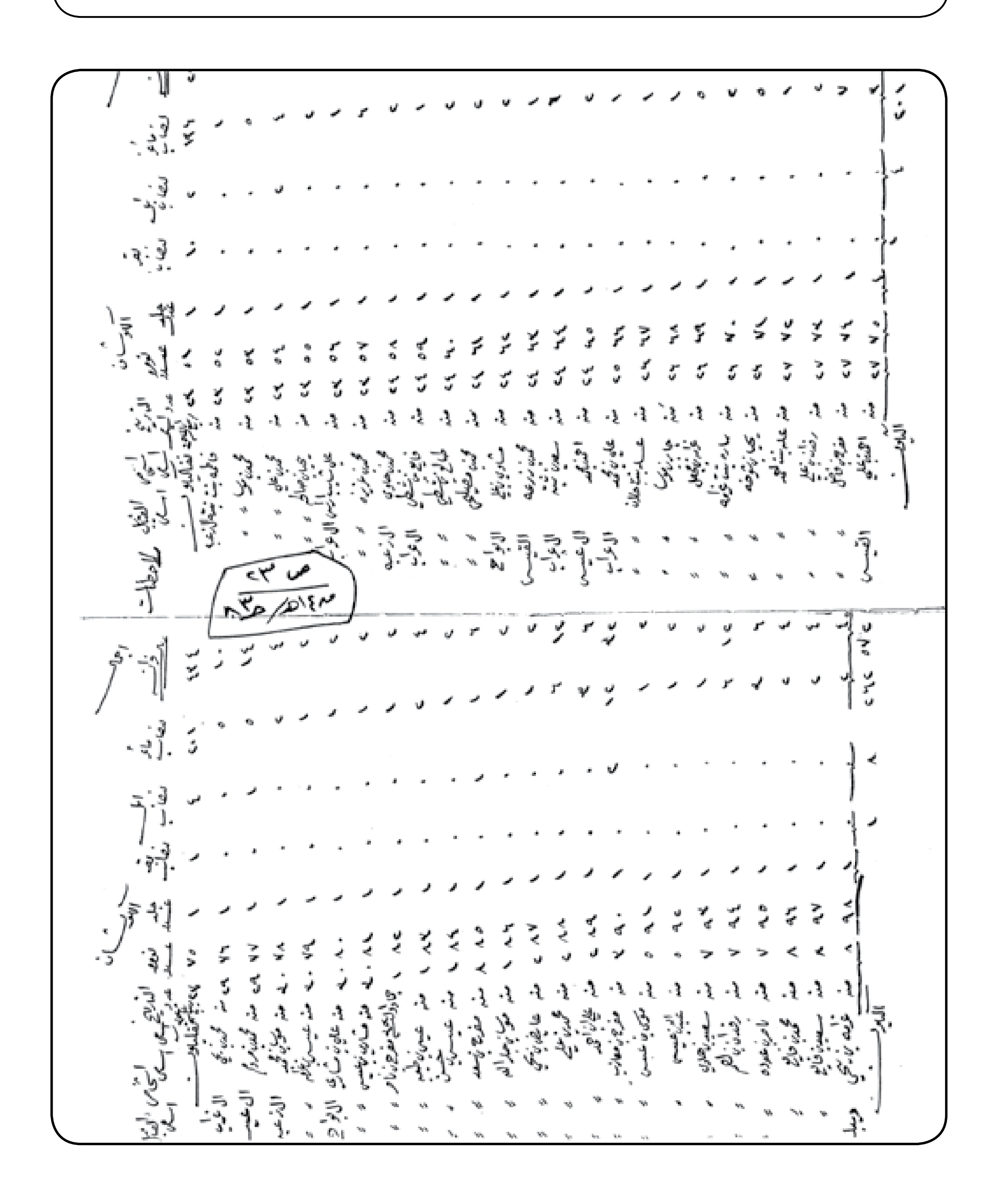
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته بعد ذلك تفهمون ان الولايه ما هي الا قصدا لاراحتكم واخذ حق الله منكم وعدم التعدى عليكم بغير ما انزل الله بها بالخاطر تعرفون ان حنا تركنا الامور السابقه ودفنا ما بينكم من الشقاق الا الدين او الاحكام الماضيه الشرعيه دم اوغيره عليه حكم شرعي ماضي من عند اميرنا الحالى ثم بعد ذلك ان جميع الدعاوى من بيع وشرا المتقدم خلاصة سوا انه من الحكومات الماضية قبلنا او من امرائنا قبل اليوم اذا صار من امرائنا بحكم شرعي فلا لاحد حق الاعتراض فيه او تمكنه انما هو ماض ولا فيه مراجعة ومن تعدى ذلك او تكلم فيه او تداخل فيه سوى انه من امرائنا او خدامنا او امراء القبائل او احد من القبائل فلا يلوم الا نفسه ثم بعد ذلك حنا ارسلنا عمال لاجل الكشف على الامور التنازع فيها بينكم او احد مختلس شيء ومغبيه على العمال السابقين او ظلم احد من خدامنا الذى عندكم موجودين اوغيرهم فالجميع قبيلة او اميرا او شخص يغبى عن العمال زرع او شى من الجبايات ما بينه ~~فهو مخالف لاوامر الحكومة وتأديبه ... المال الذى ... ويعطا عليه جريم ناتي اما حبس او نكال فاما صنعة العمال~~ واعمالهم فانا اوصيناهم بتقوى الله وان لا يدعون شى من حقوق الحكومة التى اوجبها الله لهم ولا يظلمون احداً ثم بعد ذلك اذا القو على القبيلة وخرصوهم كل قبيلة او شخص يكتبون خراصهم فى ورقة من الاوراق التى معهم ويسلمونها لطالبها سوى انه شخص بنفسه او امير قبيلة اما الشخص يعطا ورقه على قدر خراصه واما امير القبيلة يعطا ورقه على قدر خراص جماعته حتى اذا ارادت الحكومه الجباية او باعت المحصول على احد يقابل به راعى المال المشترى او القابض حتى لا يزاد عليه شيء ما هو بعليه من الخراص وجميع من زيد عليه او ظلم ولا رفع امره للحكومة فهو ظالم لنفسه واذا اعلمت الحكومة تنكله فاما الامراء فعليهم تقوى الله وعدم ظلم عشائرهم ومن اعتدى بغير ذلك فلا يلوم الا نفسه فاما من قبل الجباية او البيع على احد فلا لاحد حق ان يقبل امر احد فى ذلك الا بتقرير المالية وتقرير امير الكافة تحته وامضاه وكل امير يمشى مع العمال حتى تخلص قبيلته ولا له حق يتداخل فى شيء من الامور الا اذا رأى ظلم ينصح العمال واذا ابو فيراجع الحكومة وبالاخص امير الكافة واذا تبين شيء مدسوس ما ورج عليه الامير العمال فالمسؤلية والنكال عليه وعلى صاحب المال الذى داسه سوى انها حراثة او ماشية وهذا الكتاب معمول به دايم ما زال ما غير منا بغيره لان هذا الذى يلزمنا (فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فعليها) وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

حرر ../محرم/١٣٥١

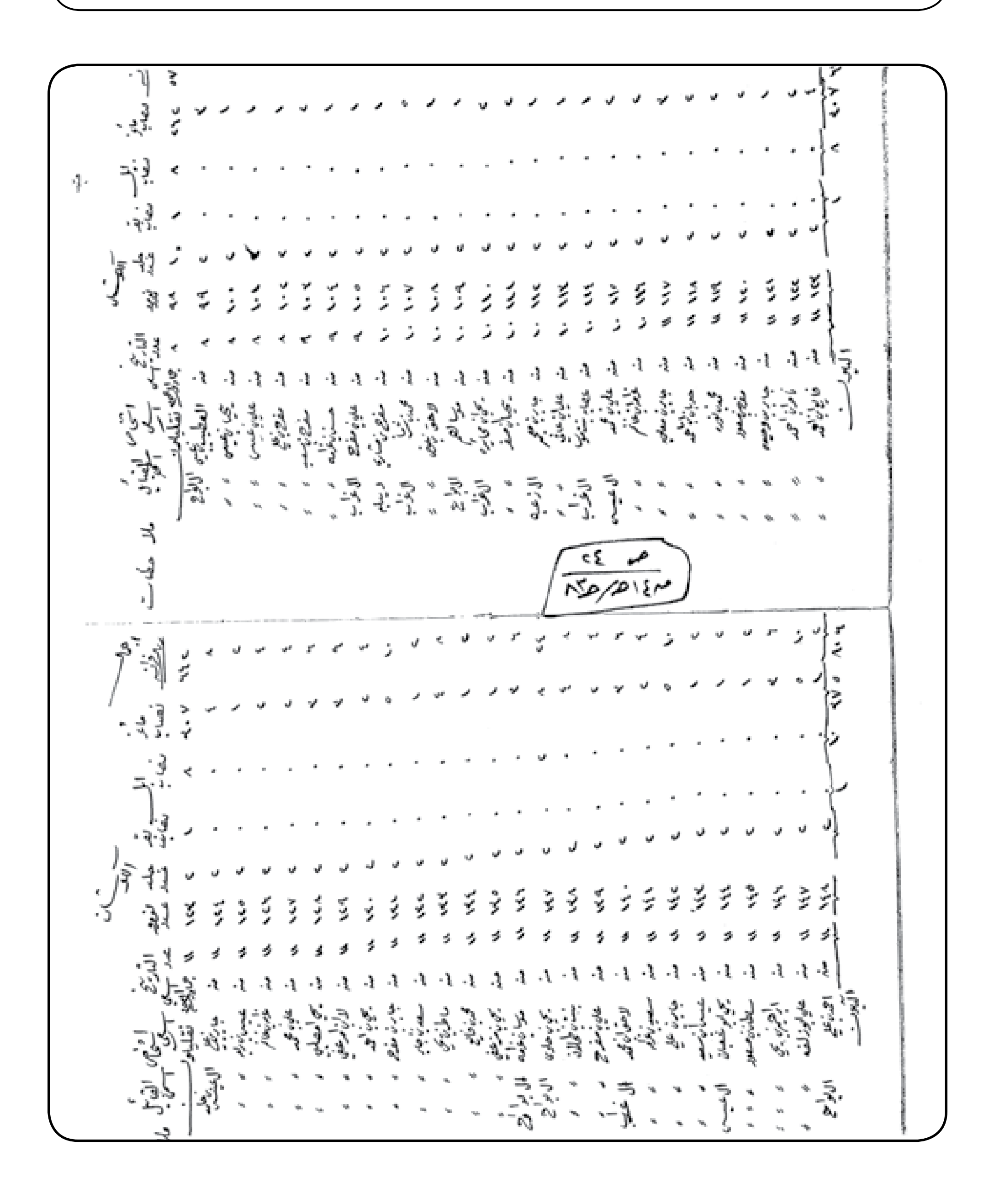
ملحق رقم (١٨): مذكرة مكونة من (١٢) صفحة ومؤرخة في عام (١٣٥٢هـ)، وهي تحتوي على زكوات مواشي ربيعة البدو في عسير التابعة لقبيلة بني مغيد وما حولها من الأقوام مثل: ربيعة، وبني ماجور، وآل وايلة، وآل عيسى بن أحمد، والجهرة. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص٢٢-٣٣.**



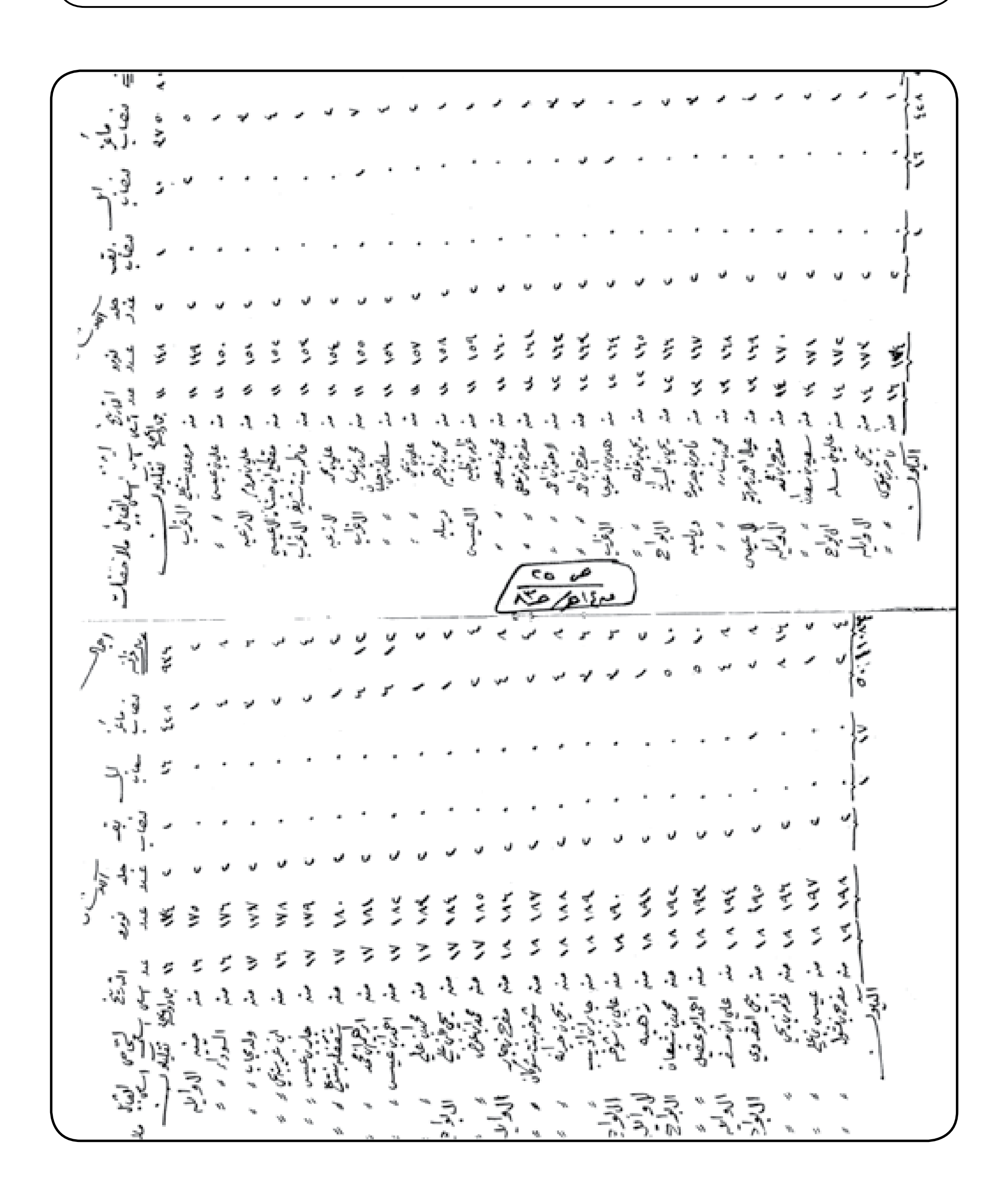
تابع ملحق رقم (١٨)



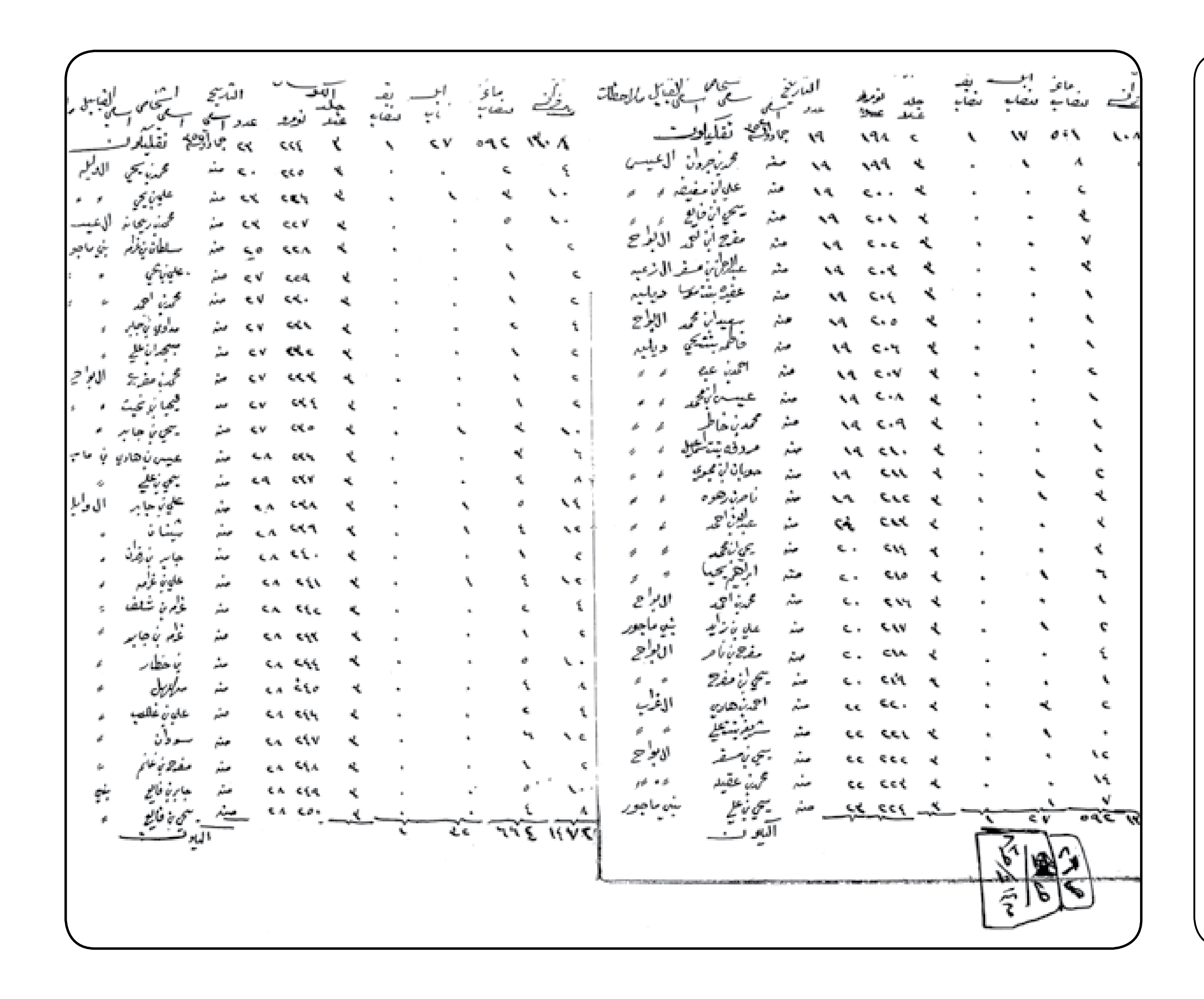
تابع ملحق رقم (١٨)



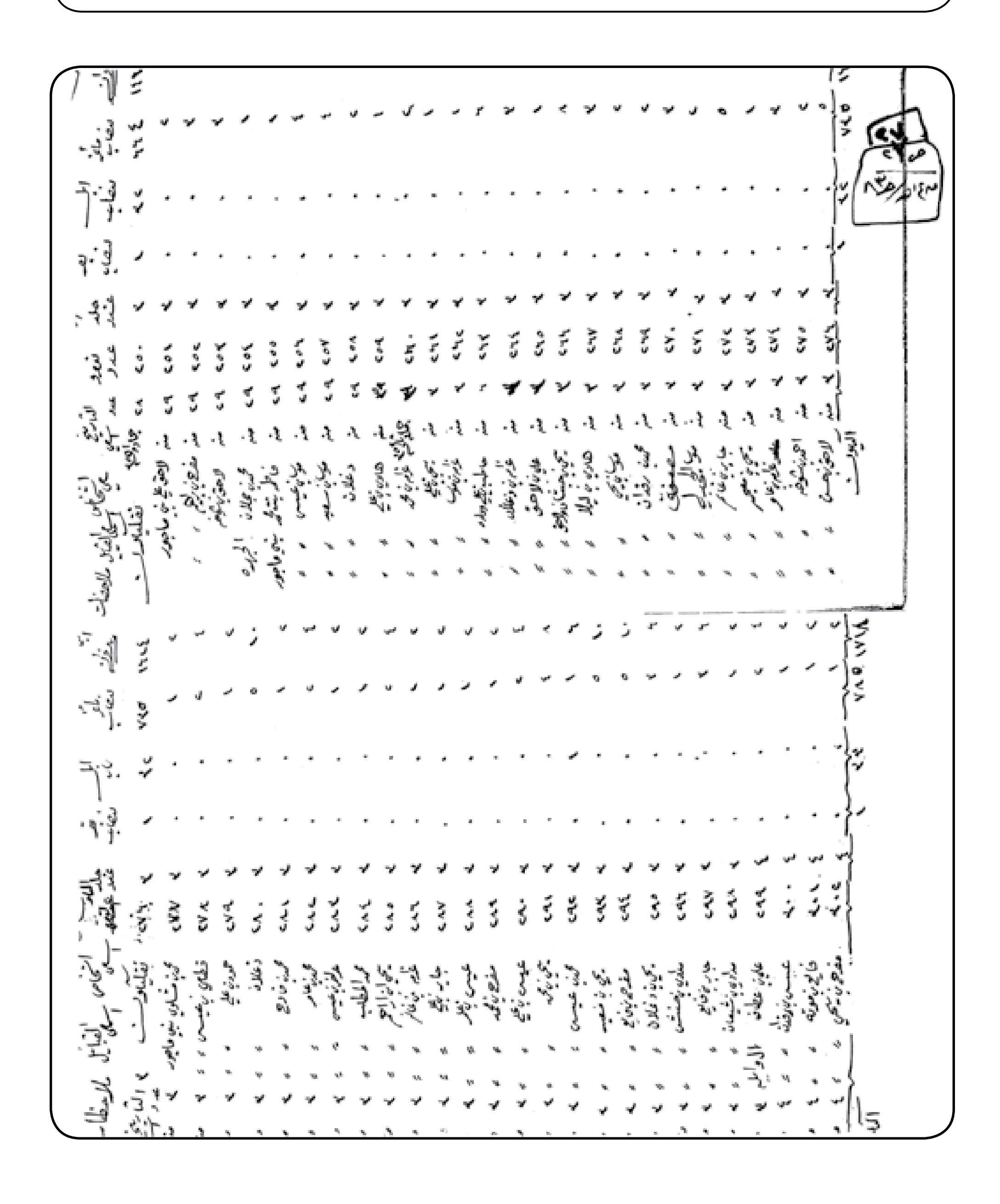
تابع ملحق رقم (١٨)



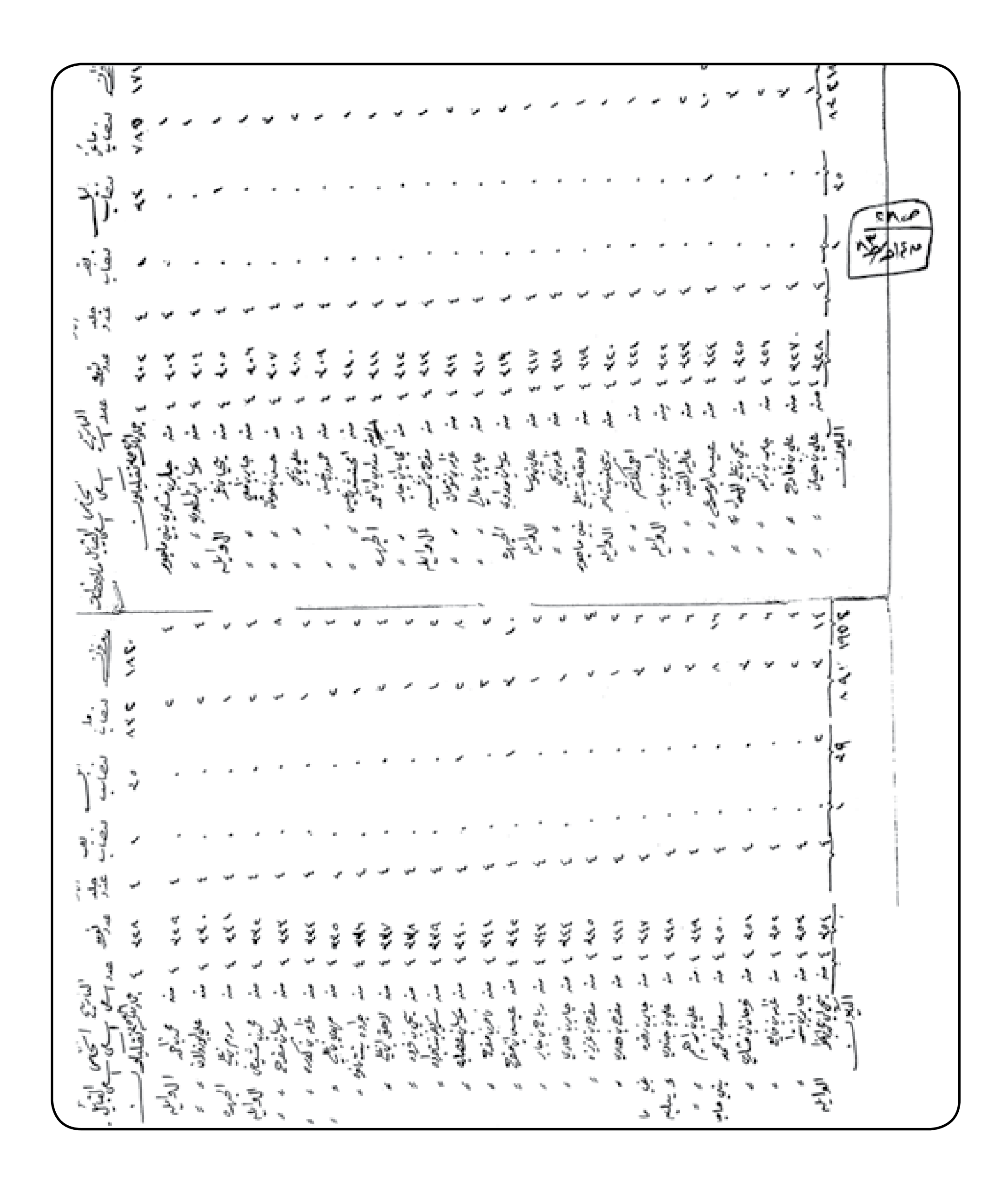
تابع ملحق رقم (١٨)



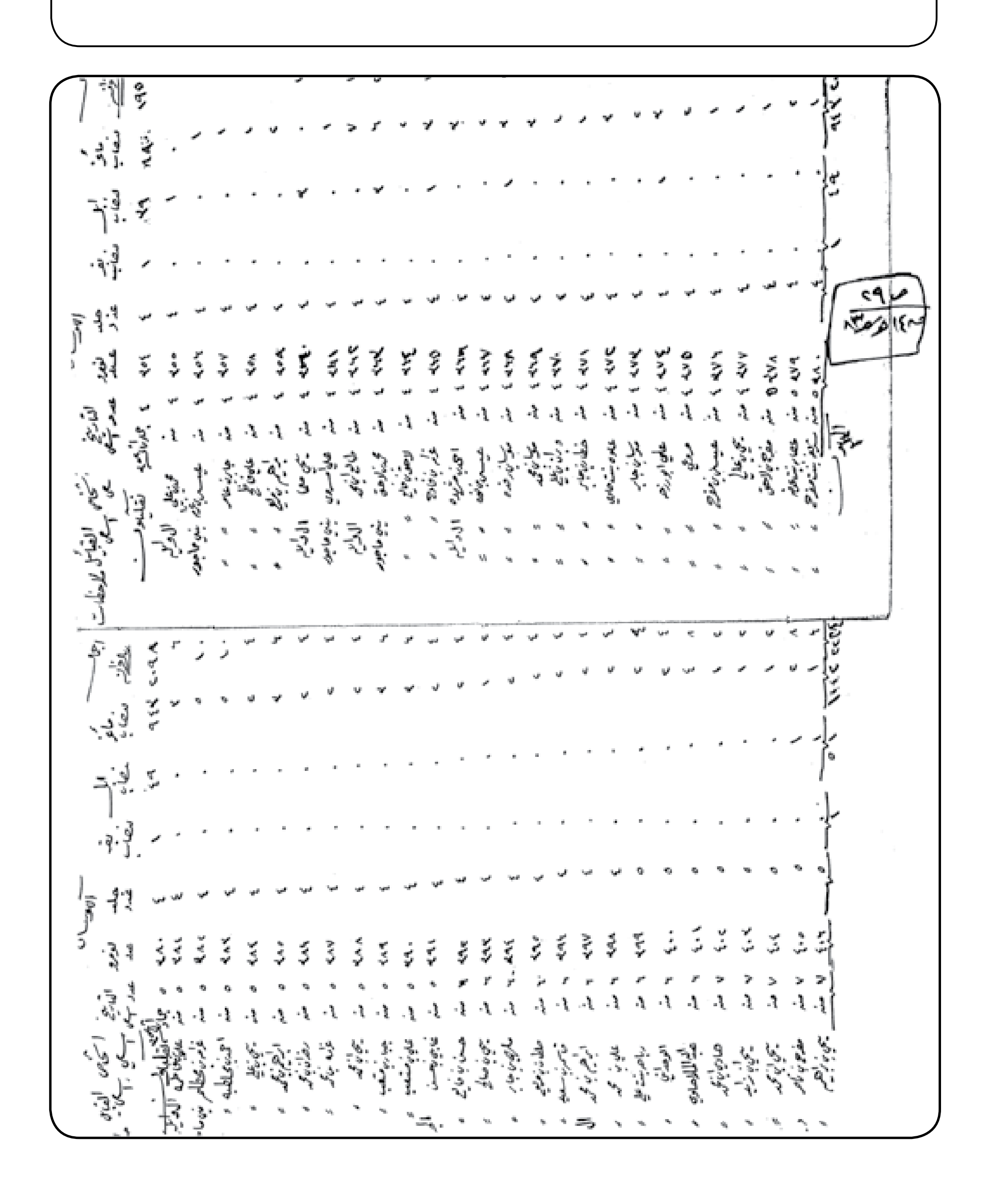
تابع ملحق رقم (١٨)



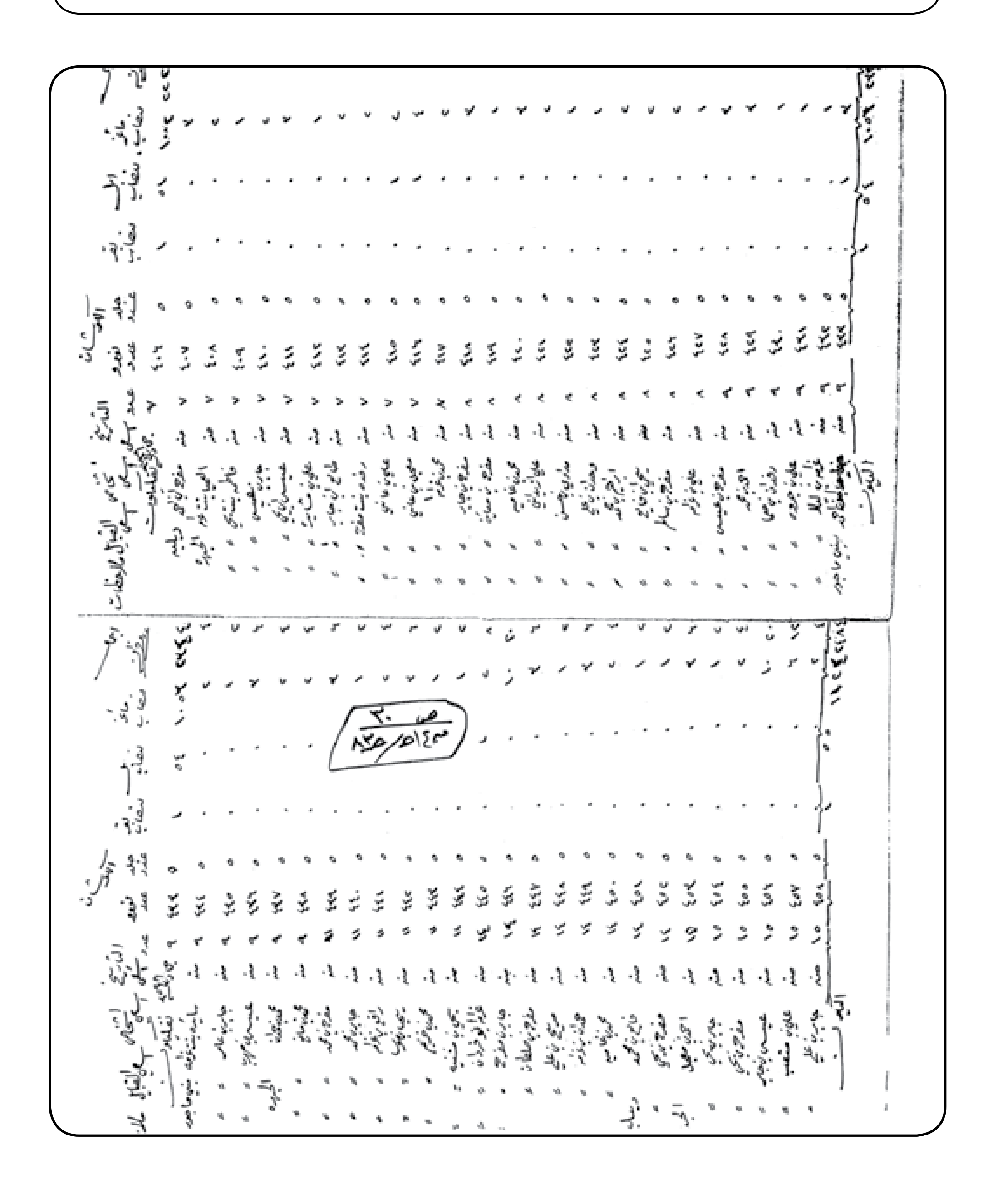
تابع ملحق رقم (١٨)



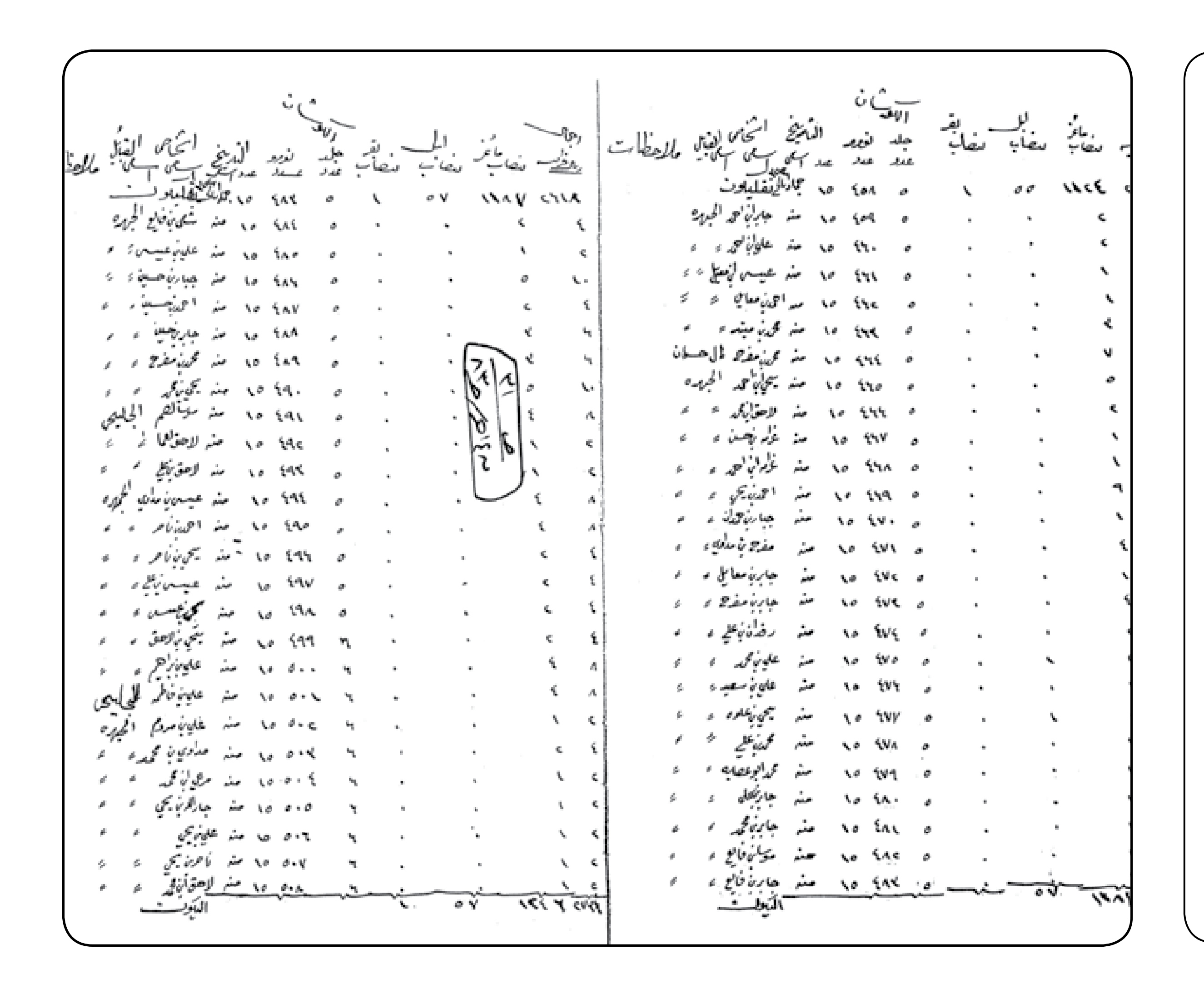
تابع ملحق رقم (١٨)



تابع ملحق رقم (١٨)



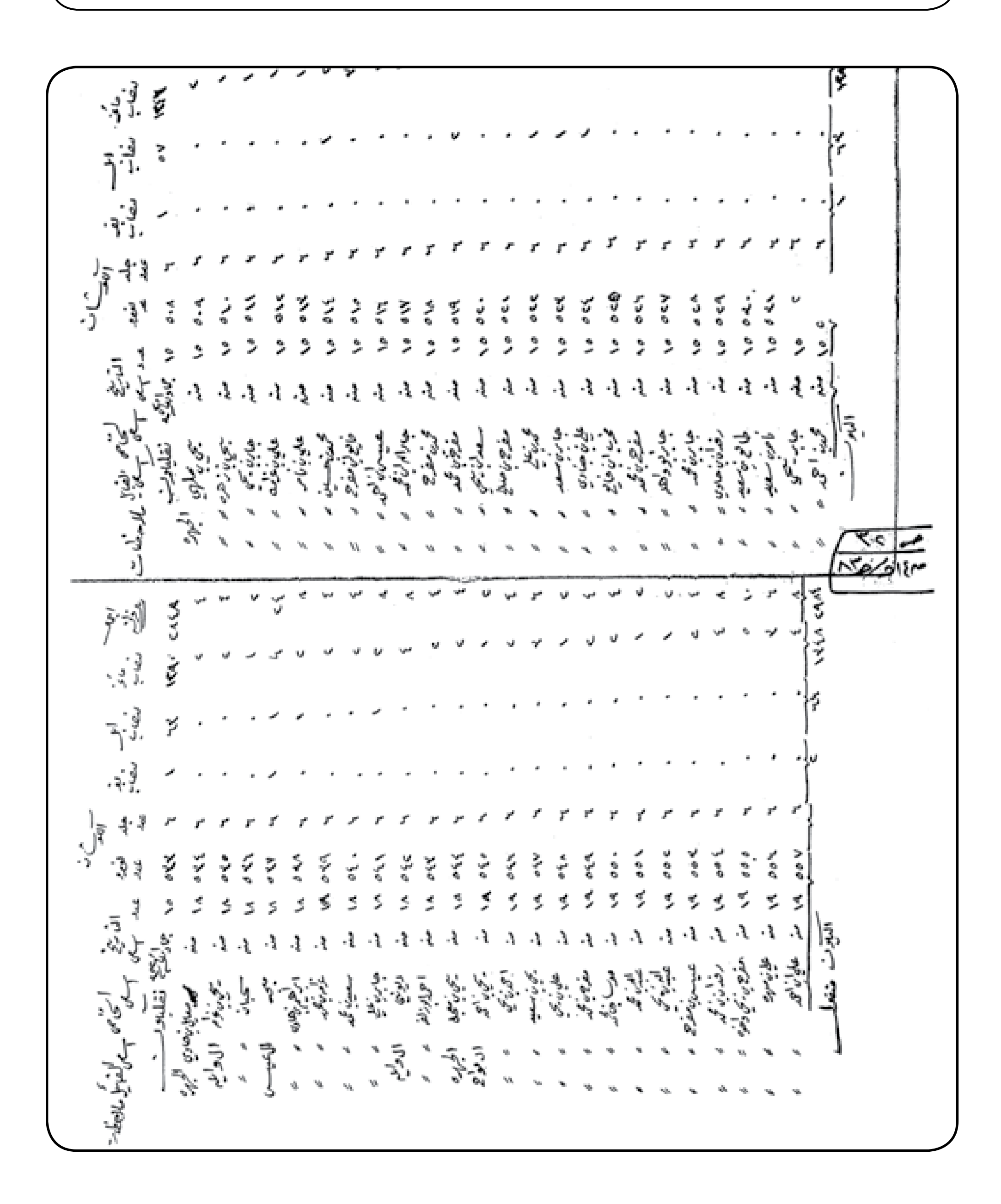
تابع ملحق رقم (١٨)



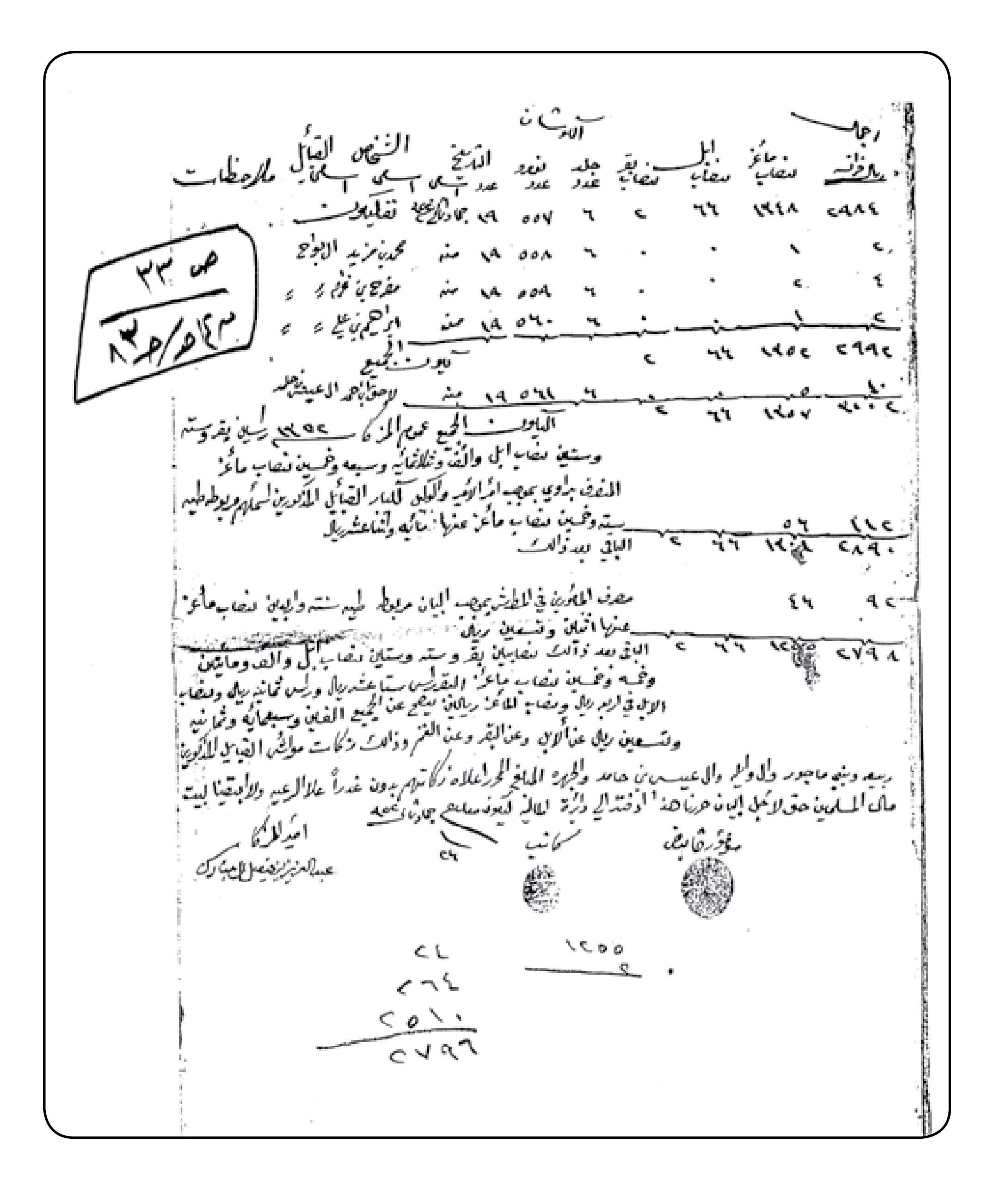
ماعز نصاب	ابل نصاب	بقر نصاب	الأغنام: جلد عدد	نوبه عدد	عدد	التاريخ	اسم الشيخ	اسم القبيلة	ملاحظات
١٨٢٤	٥٥	١	٥	٤٥٨	١٥	جماد الثاني القليلبوت			
٤	.	.	٥	٤٥٩	١٥	منه	جابر بن احمد	الجرره	
٤	.	.	٥	٤٦٠	١٥	منه	علوان احمد	〃	
١	.	.	٥	٤٦١	١٥	منه	عيسى اسماعيل	〃	
١	.	.	٥	٤٦٢	١٥	منه	احمد بن معالي	〃	
٢	.	.	٥	٤٦٣	١٥	منه	محمد بن عبده	〃	
٧	.	.	٥	٤٦٤	١٥	منه	محمد مفرح	آل حسان	
٥	.	.	٥	٤٦٥	١٥	منه	يحيى بن احمد	الجرره	
٤	.	.	٥	٤٦٦	١٥	منه	لاحق بن احمد	〃	
١	.	.	٥	٤٦٧	١٥	منه	غازي حسن	〃	
١	.	.	٥	٤٦٨	١٥	منه	غازي احمد	〃	
٦	.	.	٥	٤٦٩	١٥	منه	احمد بن يحيى	〃	
١	.	.	٥	٤٧٠	١٥	منه	جابر بن محمد	〃	
٤	.	.	٥	٤٧١	١٥	منه	مفرح بن معدي	〃	
١	.	.	٥	٤٧٢	١٥	منه	جابر بن معالي	〃	
[illegible]	.	.	٥	٤٧٣	١٥	منه	جابر بن مفرح	〃	
[illegible]	.	.	٥	٤٧٤	١٥	منه	رضوان بن علي	〃	
[illegible]	١	.	٥	٤٧٥	١٥	منه	علي بن محمد	〃	
[illegible]	.	.	٥	٤٧٦	١٥	منه	علي بن سعيد	〃	
[illegible]	١	.	٥	٤٧٧	١٥	منه	يحيى بن علوه	〃	
[illegible]	.	.	٥	٤٧٨	١٥	منه	محمد بن علي	〃	
[illegible]	.	.	٥	٤٧٩	١٥	منه	محمد ابو عصابه	〃	
[illegible]	.	.	٥	٤٨٠	١٥	منه	جابر [illegible]	〃	
[illegible]	.	.	٥	٤٨١	١٥	منه	جابر بن محمد	〃	
[illegible]	.	.	٥	٤٨٢	١٥	منه	[illegible] فايع	〃	
[illegible]	.	.	٥	٤٨٣	١٥	منه	جابر بن فايع	〃	
١٩٨١	٥٧						المجموع		

رجال	ماعز نصاب	ابل نصاب	بقر نصاب	الأغنام: جلد عدد	نوبه عدد	عدد	التاريخ	اسم الشيخ	اسم القبيلة	ملاحظات
٢٦١٨	١١٨٧	٥٧	١	٥	٤٨٣	١٥	جماد الثاني القليلبوت			
٤	٤	.	.	٥	٤٨٤	١٥	منه	[illegible] بن فايع	الجرره	
٤	١	.	.	٥	٤٨٥	١٥	منه	علي بن عيسى	〃	
١٠	٥	.	.	٥	٤٨٦	١٥	منه	جابر بن حسين	〃	
٤	٤	.	.	٥	٤٨٧	١٥	منه	احمد حسين	〃	
٦	٢	.	.	٥	٤٨٨	١٥	منه	جابر حسين	〃	
٦	٢	.	.	٥	٤٨٩	١٥	منه	محمد بن مفرح	〃	
١٠	٥	.	.	٥	٤٩٠	١٥	منه	يحيى بن محمد	〃	
٨	٤	.	.	٥	٤٩١	١٥	منه	[illegible]	الجلبي	
٤	١	.	.	٥	٤٩٢	١٥	منه	لاحق [illegible]	〃	
٤	١	.	.	٥	٤٩٣	١٥	منه	لاحق بن علي	〃	
٨	٤	.	.	٥	٤٩٤	١٥	منه	عيسى بن [illegible]	الجرره	
٨	٤	.	.	٥	٤٩٥	١٥	منه	احمد بن ناصر	〃	
٤	٤	.	.	٥	٤٩٦	١٥	منه	يحيى بن ناصر	〃	
٤	٤	.	.	٥	٤٩٧	١٥	منه	عيسى بن علي	〃	
٤	٤	.	.	٥	٤٩٨	١٥	منه	محمد عيسى	〃	
٤	٤	.	.	٦	٤٩٩	١٥	منه	يحيى بن لاحق	〃	
٨	٤	.	.	٦	٥٠٠	١٥	منه	علي بن ابراهيم	〃	
٨	٤	.	.	٦	٥٠١	١٥	منه	علي بن فاطم	الجلبي	
٤	١	.	.	٦	٥٠٢	١٥	منه	علي بن [illegible]	الجرره	
٤	٤	.	.	٦	٥٠٣	١٥	منه	عداوي بن محمد	〃	
٤	١	.	.	٦	٥٠٤	١٥	منه	مرعي بن محمد	〃	
٤	١	.	.	٦	٥٠٥	١٥	منه	جابر بن يحيى	〃	
٤	١	.	.	٦	٥٠٦	١٥	منه	علي بن يحيى	〃	
٤	١	.	.	٦	٥٠٧	١٥	منه	ناصر بن يحيى	〃	
٤	١	.	.	٦	٥٠٨	١٥	منه	لاحق بن محمد	〃	
٢٧٤٩	١٢٤٦	٥٧	١					المجموع		

تابع ملحق رقم (١٨)



تابع ملحق رقم (١٨)



ص ٣٣

٣ /١٤٢٣/ ٨٣

ريال فرانسه	نصاب ماعز	نصاب ابل	نصاب بقر	جلد عدد	نفوس عدد	التاريخ	اسم الشخص القابل	ملاحظات
٢٨٨٤	١٩٤٨	٦٦	٢	٦	٥٥٧	١٩ جماد ثاني	تقاليد [illegible]	
٢	١	.	.	٦	٥٥٨	١٨ منه	محمد بن مزيد البوج	
٤	٢	.	.	٦	٥٥٩	١٨ منه	مفرج بن فوزي	
٢	١			٦	٥٦٠	١٨ منه	ابراهيم بن علي	
٢٩٩٢	١٩٥٢	٦٦	٢				الجميع	
١٠				٦	٥٦١	١٩ منه	[illegible] العيش	
٣٠٠٢	١٩٥٧	٦٦	٢					

الجميع عموم المزكا ٣٠٠٢ ريال بقر وستة وستين نصاب ابل والف وتسعمائة وسبعة وخمسين نصاب ماعز

المصرف [illegible] بموجب امر الامير [illegible] القبائل المذكورين [illegible]

ستة وخمسين نصاب ماعز [illegible] مائة واثناعشر ريال — ١١٢ — ٥٦

الباقي بعد ذلك — ٢٨٩٠ — ١٩٠١ — ٦٦ — ٢

مصرف المأمورين في [illegible] بموجب البيان مربوط طيه ستة واربعين نصاب ماعز عنها اثنين وتسعين ريال — ٩٢ — ٤٦

الباقي بعد ذلك نصابين بقر وستة وستين نصاب ابل والف ومائتين وخمسة وخمسين نصاب ماعز [illegible] ريال [illegible] ثمانية ريال ونصاب الابل في اربع ريال ونصاب الماعز ريالين يطلع عن الجميع الفين وسبعمائة وثمانية وتسعين ريال عن الابل وعن البقر وعن الغنم وذلك زكات مواشي القبايل المذكورين — ٢٧٩٨ — [illegible] — ٦٦ — ٢

[illegible] ماجور [illegible] بن حامد والجبوه المبلغ المحرر اعلاه زكاتهم بدون غدراً علا الرعيه [illegible] بيت مال المسلمين حق لا كما البيان حرر [illegible] جماد ثاني [illegible]

امير المزكا — كاتب — مأمور قابض

عبدالعزيز بن فيصل المبارك

٢٦

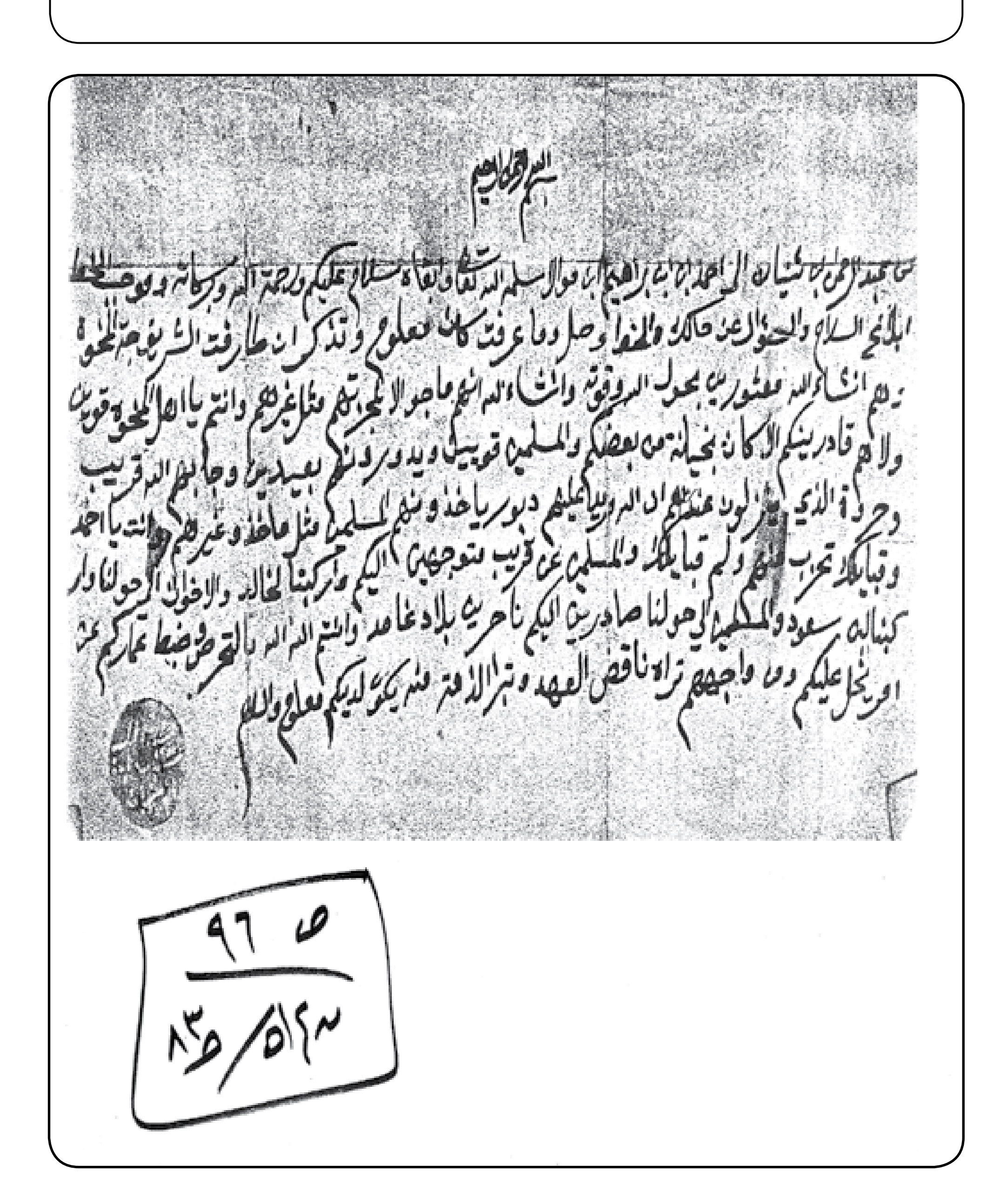
٢١ — ١٢٥٥

٢٦٤

٢٥١٠

٢٧٩٦

ملحق رقم (١٩): خطاب (بدونتاريخ) من الأمير عبد الرحمن بن ثنيان إلى الشيخ أحمد بن إبراهيم، شيخ بعض قبائل المخواة في تهامة غامد وزهران وبن يعُمر، يذكر له بعض النصائح والتوجيهات تجاه بعض أعداء الدولة السعودية الحديثة. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص٩٦.**



بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن ثنيان الى احمد بن ابراهيم [illegible] سلمه الله تعالى وتقاه سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد الخط

ابلغكم السلام والسؤال عن حالك والخط وصل وما عرفت كان معلوم وتذكر ان طارفة الشريف [illegible] المخوة

[illegible] انشاء الله مغشورين بحول الله وقوته وانشاء الله انهم ماجوا الا لمجراتهم مثل غيرهم وانتم يا اهل المخوة قوم

ولاكم قادرين [illegible] الا كان بخيانة من بعضكم والمسلمين قريبين ويدوردنكم بعيدين وجانبهم الله قريب

وحده الذي [illegible] ان الله [illegible] عليهم دبور يا خذ [illegible] المسلمين مثل ما خذ وغيرهم وانت يا احمد

وقبايلك [illegible] ولكم قبايلك والمسلمين عن قريب متوجهين اليكم واركبنا لخالد والاخوان [illegible] لنا دار

كتبنا له سعود والمكتبا الي حولنا صادرين اليكم ناحرين بلاد غامد وانتم الله الله بالتعرض وضبط عماركم عند

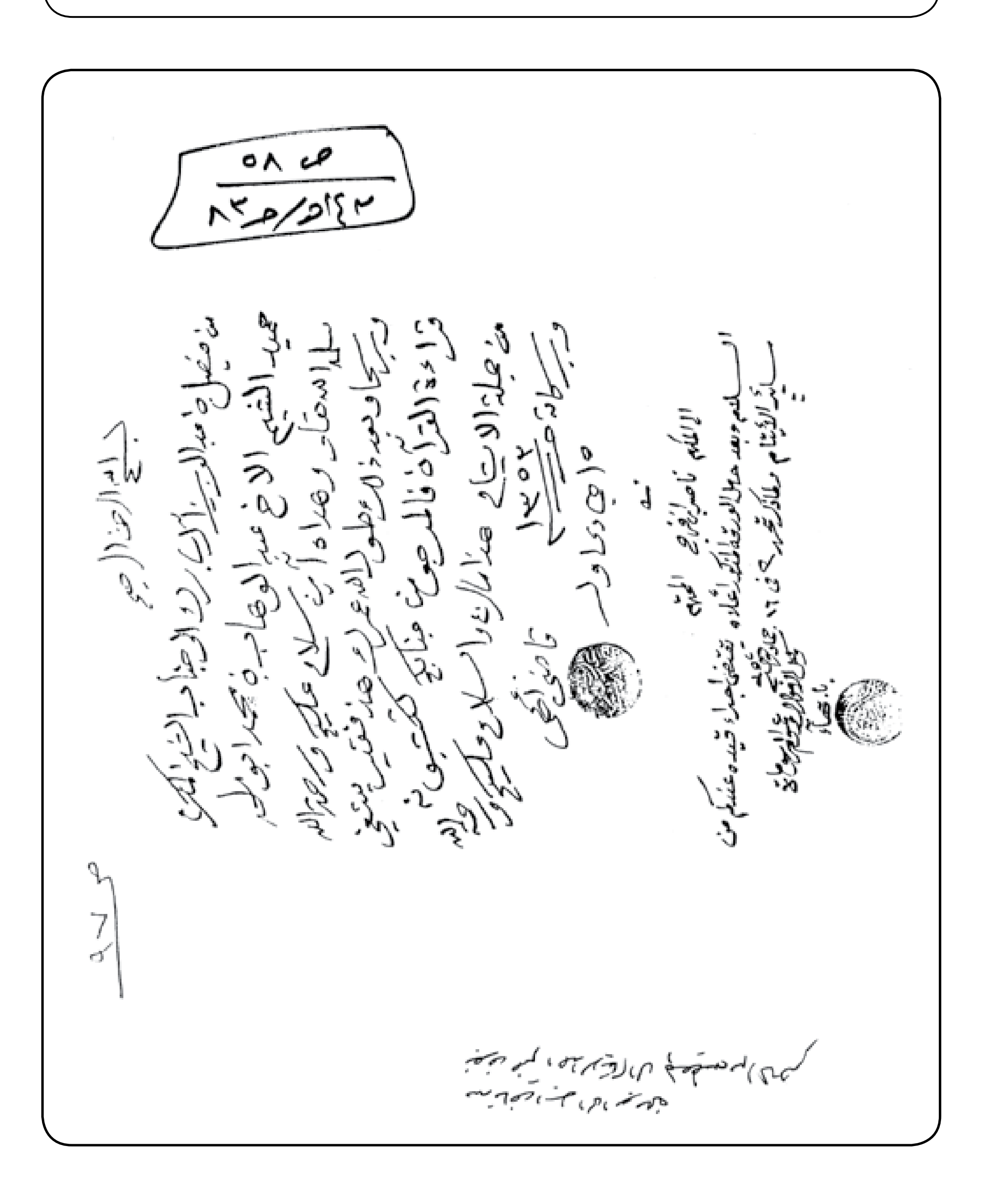
الى [illegible] عليكم [illegible] واجهكم تراه ناقض العهد وتبرا الذمة فلم يكن لديكم معلوم والسلام

ص ٩٦

ج٨٣

ملحق رقم (٢٠): خطاب بتاريخ (١٣٥٣/٦/٤هـ) من الأميرعبدالعزيز العسكر إلى الشيخ عبد الوهـاب أبوملحة يخبره بسفره وبعض أهله إلى الرياض وماحولها ويفيده بأخبار أخرى عديـدة بعضها عام وآخر خاص. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية،الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣،ص ٥٩ .**

ملحق رقم (٢١): خطاب بتاريخ (١٣٥٣/٥/٥هـ) من قاضي أبها فيصل المبارك إلى عبدالوهاب أبوملحة يطلبه إدراج اسم أحد الأيتام مع اليتامى الذين يصرف له مصروف من بيت المال. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص٥٨ .**



ملحق رقم (٢٢): خطاب بتاريخ (١٣٥٤/١٢/٢هـ) من أحد المسؤولين في القطاع العسكري في منطقة عسير إلى آخر يوجهه بصرف حقوق وأرزاق بعض العساكر. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ٦٠.**

ص ٦٠
١٤ هـ/ ج ٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأخ المكرم حسين افندي النحاس المحترم

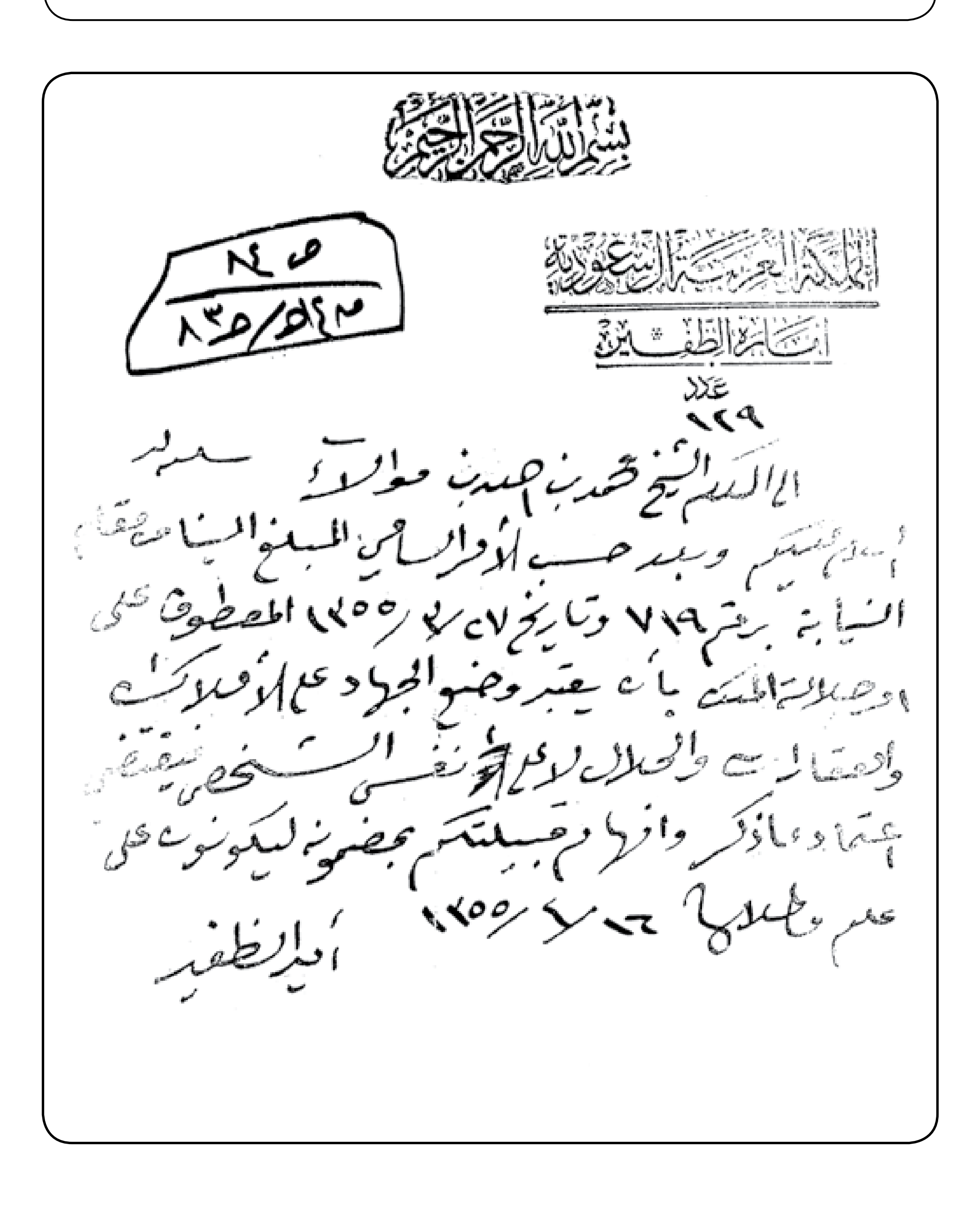
بعد التحية الأمل تصرفون للعساكر باقي ارزاقهم

حيث وان منهم ناس يمشون لشهرين لذالك

منتظرين فاخر تصرفله او لهم حيث يمشي ذالحجه

الشهر ودمتم ان شاء الله محبكم

ملحق رقم (٢٣): خطاب بتاريخ (١٦/٤/١٣٥٥هـ) من أمير الظفير في بلاد غامد وزهران إلى الشيخ محمد بن أحمد بن موالا في المخواة يوضح له أن نصيب الجهاد على العقارات والأملاك وليس على الأفراد. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ٨٤.**



بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

امارة الظفير

عدد ١٢٩

ص ٨٤

م ٢٤٢ / ٨٣

الى الكريم الشيخ محمد بن احمد بن موالا سلمه

النيابة برقم ٧١٩ وتاريخ ٢٧ / ٣ / ١٣٥٥ المعطوف على

يعتبر وضع الجهاد على الأملاك

١٦ / ٤ / ١٣٥٥

أمير الظفير

ملحق رقم (٢٤): وثيقة بتاريخ (٥/رمضان/١٣٥٥هـ) من أمير نجران إلى عبد الوهاب أبو ملحة يهديه السلام ويشكره على إرسال استحقاقاته وكاتبه ورفاقه في العمل. **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٣، ص ٥٤ .**

ملحق رقم (٢٥): وثيقة بتاريخ (شهر شوال/١٣٥٥هـ) وهي عبارة عن جدول رواتب موظفي مدرسة جازان الأميرية في شهر (١٠/١٣٥٥هـ). **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص٤٦.**

جدول رواتب موظفي دائرة مدرسة جيزان الأميرية العائدة لشهر شوال ١٣٥٥

مقدار الراتب	الوظيفة	الموظف	والتوقيع	ملاحظات
١٨٧/	وكيل مدير مدرسة جيزان	علي أحمد عيسى	[توقيع]	
٤٦٠/	معاون مدير مدرسة جيزان	علي أحمد عيسى	[توقيع]	
٤٦٠/	معلم أول	محمود صالح بليلي	[توقيع]	
٤٦٠/	معلم ثاني	عبدالله عيسى	[توقيع]	ص ٤٦ / م١٤هـ/٨٣
٢٢٠/	معلم ثالث	سالم ميرابي	[توقيع]	
١٥٠/	فراش وحارس	إبراهيم محمد زيد	[توقيع]	
١٩٨٧	البالغ			

فقط ألف وتسعمائة وسبعة وثمانون قرشاً سعودياً لا غير

قد استلمت من حضرة معالي مدير المالية قدره ومبلغ ألف وتسعمائة وسبعة وثمانية قرشاً سعودياً بالوفاء من صندوق مالية جيزان وذلك استحقاق رواتب موظفي دائرة مدرسة جيزان الأميرية العائدة لشهر شوال ١٣٥٥ وبالاستلام حرر

وكيل مدرسة جيزان

[توقيع]

[illegible]

<u>ملحق رقم (٢٦):</u> وثيقة بتاريخ (١٣٥٧/٧/٧هـ) من مالية أبها وفيها توضيح التعرفة الجمركية في جازان والمفروض العمل بموجبها من أصل تعرفة أبها وتوابعها. **<u>المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص٤٥.</u>**

صورة التعرفة الجمركية بجيزان الواجب العمل بموجبها من اصل تعرفة ابها وتوابعها

المادة

١ من المائة (٥) خمسة . على الدقيق . والرز . والفول . والذرة . والعدس . والسمن . وجميع الخضار بكامل انواعها .

٢ من المائة (٨) ثمانية . على السكر . والشاهي . والغاز . والتمر . والقشر . والبن . وعلى عموم المنسوجات القطنية . والقبرز . والبن البرازيلي [illegible] . والشيت .

٣ من المائة (١٠) عشرة . على عموم العطارة بكامل انواعها . والصابون والصابغ . والكبريت . والشحم . والصلصة . والحمر . والحوار . والتنباك . والدهيل . والفلفل . والبصل . والثوم . وزيت النارجيلة والفواكه اليابسة . والحلويات وما شابه ذلك .

٤ من المائة (١٢) اثنا عشر . على عموم المنسوجات الحريرية والمشروك والجوخ والخام . والصوف . والمشروبات والخردوات بكامل انواعها . والحديد . والمعادن . والروائح العطرية والحلي . والبنزين . والأسمنت وجميع الآلات الميكانيكية . ومكاين الخياطة . والصور . والمرايا والحاوي . وما شابهها

٥ من المائة (٢٠) عشرين . على تنباك السجائر وورقة السجائر والدخان

٦ من المائة (٢٥) خمسة وعشرين . على التنباك [illegible] . والحمى . والدخان . وورقة السجائر

ص ٤٥
١٤هـ/ج ٨٣

../../٥٧

(احمد نور)

[illegible] مالية ابها

ملحق رقم (٢٧): خطاب بتاريخ (١٣٥٨/٦/٢٢هـ) من الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود إلى أمير الظفير عبد الرحمن السديري يذكر فيه أسماء بعض شيوخ غامد وزهران وبني عمر ورواتبهم والواجب اعتمادها. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ص ٨٣، ص ١١٧-١١٨.**

ص ١١٧
١٤هـ/٢٠م ص ٨٣

الختم وتاريخه

برقية رقم ١٤

ادارة برقيات المملكة العربية السعودية

لا تتحمل الحكومة أية مسئولية تنشأ من المعاملات البرقية

نمرة التسلسل ٩٠

المخرج	الوارد	النمرة	الكلمات	تاريخ عربي	تاريخ أفرنجي	ساعة	دقيقة
قصر الحكم		٢٩٠	٧٥	٢١			

الإشارة	الطريق	تاريخ عربي	تاريخ أفرنجي	المأمور الآخذ	المأمور المرسل	ساعة	دقيقة
٩٥٦		٢٢	[illegible]	محمد			٥

عبد الرحمن السديري الظفير

لنا ابرقنا للمدير الأمارة نسأله عنه

تعيين احمد الزندي شيخ قبيلة غامد

ببرقيتنا عدد ٥٠٩ وتاريخ ٥/٦/٥٨

وجانا منه الجواب بعدد ٨٩ وتاريخ ١٠/٦

نفيد المذكور قد عمدنا وزارة المالية باعتماد

صرف رواتبه من تاريخ مباشرته كما عمدناها

بصرف راتب كل من عبد الله بن موالد

تابع ملحق رقم (٢٧)

ص ١١٨
٣/٢/١٤٠٣هـ

الختم والتاريخ

نموذج رقم ١

ادارة برقيات المملكة العربية السعودية

لا تتحمل الحكومة أي مسئولية تنشأ من المعاملات البرقية

نمرة التسلسل

المخرج	المورد	النمرة	الكلمات	تاريخ عربي	تاريخ أفرنجي	ساعة	دقيقة

الإشارة	الطريق	تاريخ عربي	تاريخ أفرنجي	المأمور الآخذ	المأمور المرسل	ساعة	دقيقة

الذي حل محل محمد بن مولد وخضران

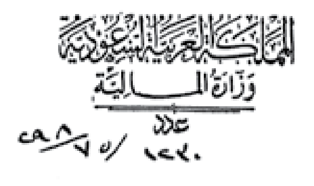
الذي حل محل والده عبدالله بن خضران

جد خضران فاعتمدوا ذلك حسب امر

جلالة الملك المعظم

فيصل

ملحق رقم (٢٨): خطاب بتاريخ (-/١/١٣٥٩هـ) من وكيل وزارة المالية إلى رئيس مالية أبها يشرح له توجه فريق عمل إلى جنوب السعودية للقيام ببعض الأعمال التي كلفوا بها، ويطلب منه خدمة هذه الهيئة المكلفة والتعاون معهم. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص٣٥.**





جناب المكرم رئيس مالية ابها

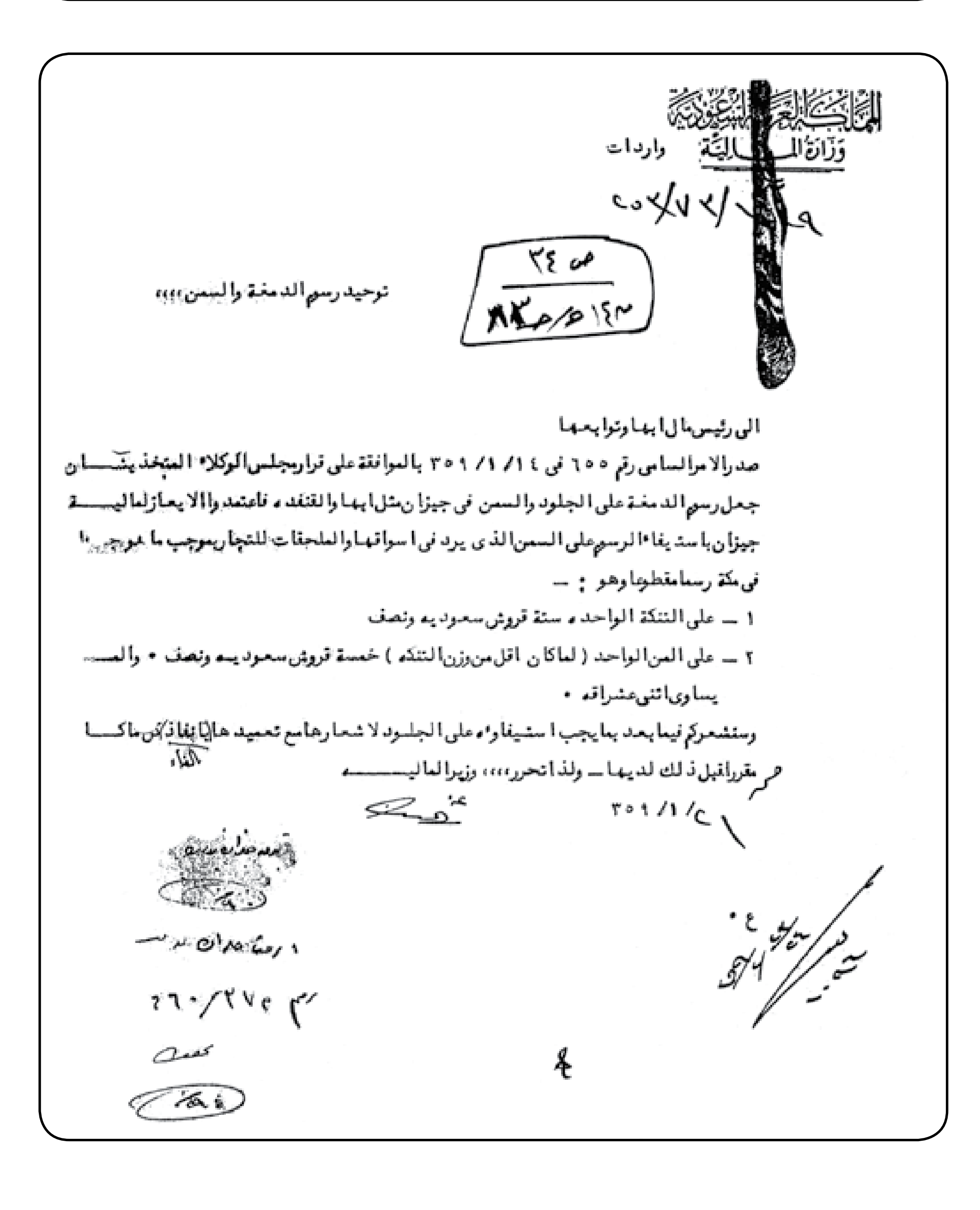
بعد التحية . الحاقا لكتابنا رقم ٣٩٦ في ٩ محرم ٣٥٩ لقد توجهت اليكم اليوم الهيئة المشكلة من الشريف شرف رضا وابراهيم العبد الرحمن الفضل وسليمان بن جوهر فبوصولهـا تجرو انزالها في المكان الملائم وترتبو لها المصرف اللازم وتقوموا بالعمل الذى انتدبتم معها من اجله كما جاء بالامر السامي الذى ابلغناه لكم بكتابنا المشار اليه ،، وكيل وزارة المالية

في / ١ / ١٣٥٩





ملحق رقم (٢٩): خطاب بتاريخ (١٣٥٩/١/٢١هـ) من وزير المالية إلى رئيس مالية أبها وتوابعها يؤكد فيه على وجوب توحيد رسم الدمغة على السمن في عدد من مناطق الجنوب السعودي مثل: أبها، وجازان، والقنفذة. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ٣٤.**



المملكة العربية السعودية
وزارة المالية
واردات

توحيد رسم الدمغة والسمن،،،،

الى رئيس مال ابها وتوابعها

صدر الامر السامي رقم ٦٥٥ في ١٤/١/٣٥٩ بالموافقة على قرار مجلس الوكلاء المتخذ بشان جعل رسم الدمغة على الجلود والسمن في جيزان مثل ابها والقنفده، فاعتمدوا الايعاز لمالية جيزان باستيفاء الرسم على السمن الذي يرد في اسواقها والملحقات للتجار بموجب ما هو جار في مكة رسما مقطوعا وهو :—

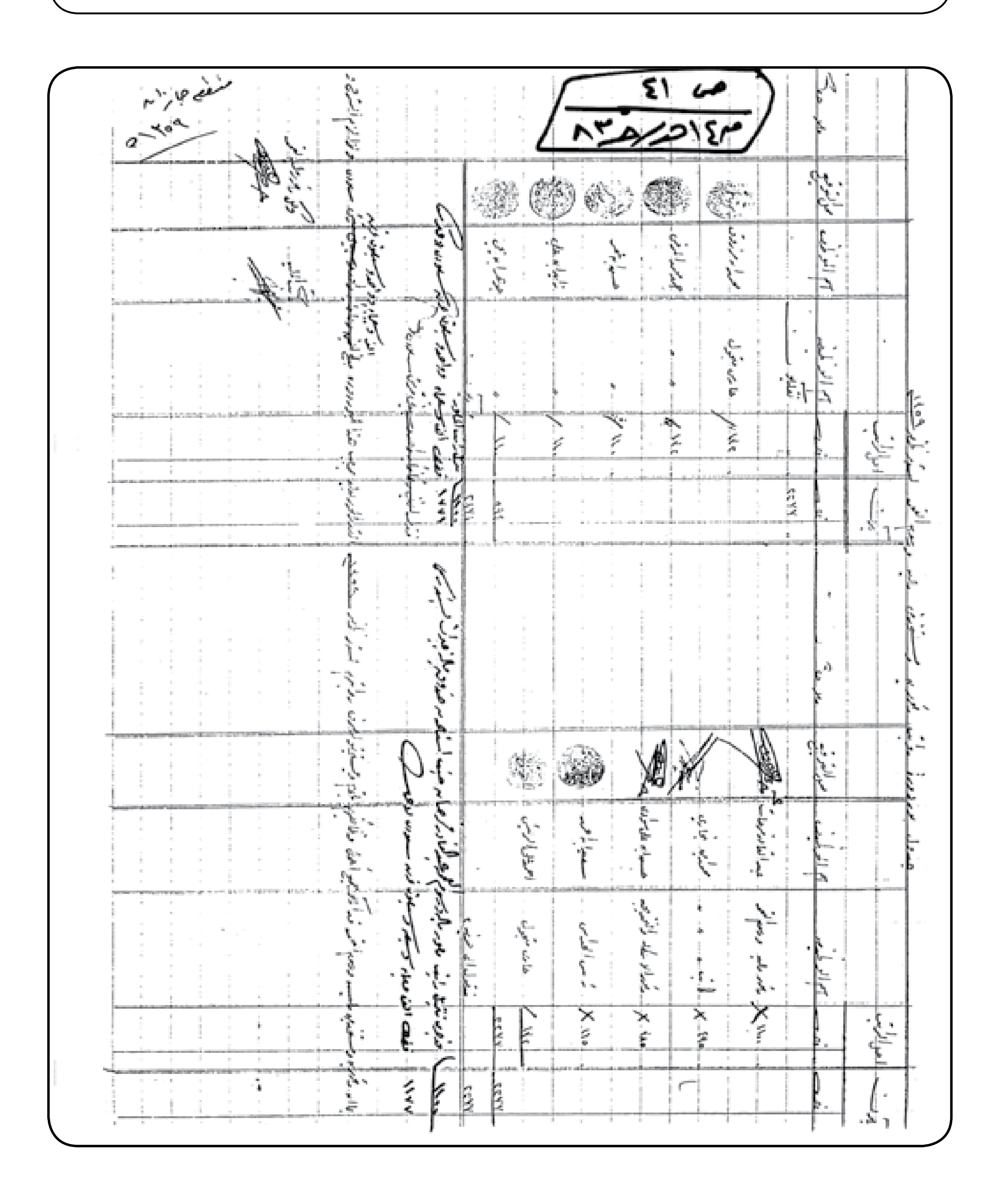
١ — على التنكة الواحده ستة قروش سعوديه ونصف

٢ — على المن الواحد (لما كان اقل من وزن التنكه) خمسة قروش سعوديه ونصف • والمن يساوي اثنى عشر اقه •

وسنشعركم فيما بعد بما يجب استيفاؤه على الجلود لا شعار ما مع تعميد ما [illegible] مقررا قبل ذلك لديها — ولذا تحرر،،،، وزير الماليه

٢١/١/٣٥٩

ملحق رقم (٣٠): وثيقة بتاريخ (صفر/١٣٥٩هـ) توضح رواتب مأموري ومستخدمي مالية ورسوم القحمة. **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ٤١.**



ملحق رقم (٣١): وثيقة بتاريخ (صفر/١٣٥٩هـ) تبين رواتب موظفي الدمغة في جازان.
المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص٤٣.

ص٤٣
[illegible]/ق١٤هـ/ج٨٣

جدول رواتب موظفين الدمغة بجيزان لشهر صفر ١٣٥٩

إجمالي	قرش	نوع الوظيفة	اسم الموظف	محل التوقيع
	٢٢٠	مأمور الدمغة	عبد [illegible]	[illegible]
	١٦٥	[illegible]	سالم [illegible]	[illegible]
	١١٠	[illegible]	عبد الرحمن [illegible]	[illegible]
٦٠٠	٦٠٥			

[illegible] تنزيل [illegible] مأمور الدمغة [illegible] حسب أوامر الإمارة [illegible]

قد صار استلام المبلغ المحرر أعلاه وذلك رواتب موظفين الدمغة لشهر صفر ٥٩ [illegible]

٨ ربيع أول ١٣٥٨

مأمور الدمغة

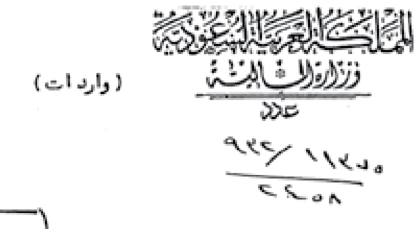
المحاسب [illegible]

[illegible] جيزان

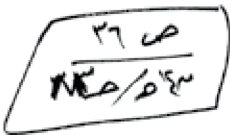
المعتمد

[illegible] تنزيل راتب مأمور الدمغة [illegible] من الجدول [illegible]

ملحق رقم (٣٢): خطاب بتاريخ (١٣٥٩/٥/٢٣هـ) من وكيل وزارة المالية إلى رئيس مالية أبهـا وتوابعهـا يوضح فيه بعض الإجـراءات لمنع تهريب النقود إلى اليمـن. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص٣٦**



(واردات)

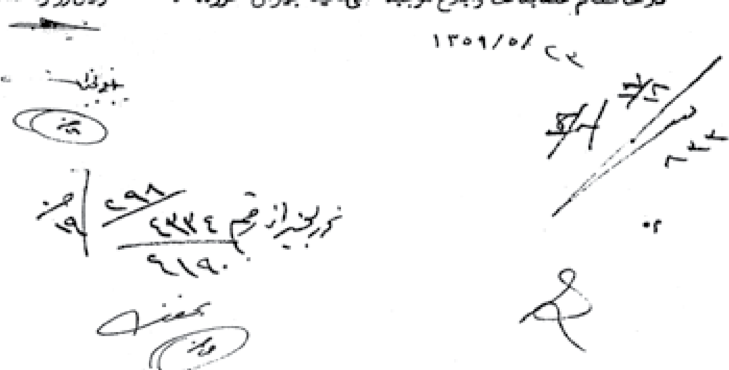


الى رئيس مال ابها وتوابعها

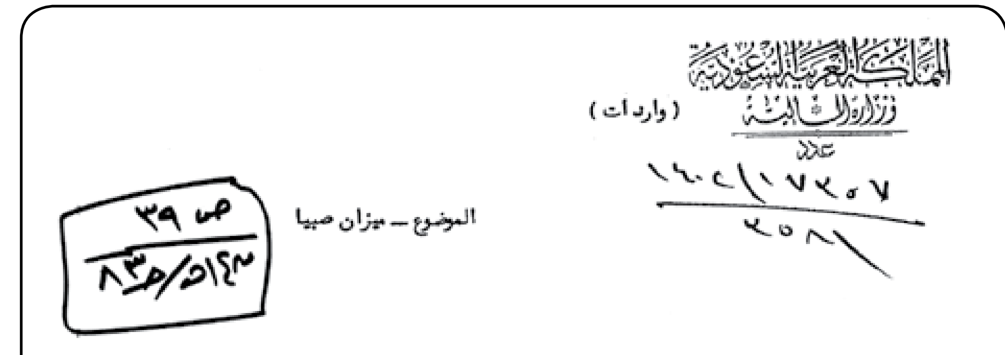
ابلغنا مقام النيابة السامي بخطابه رقم ٦٣٦٧ في ١٧/٥/١٣٥٩ بان مامور جمرك حرم التابع لليمن كان قد القى القبض على محمد عز الدين ومحمد زلالة من بني شبيل التابعين لقضاء ساملة ومعهما (٦٦٩) ريالا فرنسيا يقصدون تهريبها الى اليمن وقد خابرت امارة جيزان عامل الحديدة في صددهما واجابها العامل المذكور بان حكومته قد وافقت على ارجاع (٤٠٠) ريال للمذكورين ومصادرة الباقي وهو (٢٦٩) ريالا جزاء لهم وانه لدى عرض الموضوع على انظار جلالة الملك المعظم صدرت الارادة السنية اليه والى امارة جيزان برقيا برقم ٤٩٨٧ في ٦/٥/١٣٥٩ بان جلالته يرى ان ذلك الجزاء الموضوع على المذكورين موافق لان معاملتهما قد كانت مغايرة للاصول لانه يجب على كل من يسافر اليمن او الى اي بلد من بلاد الخارج لابد وان يتبع القوانين والنظم التي تسير عليها تلك البلاد فلاحاطتكم علما بذلك وابلاغ موجبه الى مالية جيزان حرره .

وكيل وزارة المالية

٢٢/٥/١٣٥٩



ملحق رقم (٣٣): خطاب بتاريخ (١٣٥٩/٨/١٥هـ) من وكيل وزارة المالية إلى رئيس مالية أبهـا وتوابعهـا حول ميزان صبيا وما يجب العمل حياله . **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص٣٩.**



المملكة العربية السعودية
وزارة المالية
(واردات)
عدد
الموضوع ـ ميزان صبيا
ص ٣٩

الى رئيس مال ابها وتوابعها

اجابة على برقيتكم ٤٩١٥/١٧٨٤/٤٧٠٧ في ١٣٥٩/٧/٢٢ حول الميزان الموجـــود بمالية صبيا ـ نفيدكم بان هذا الميزان يزيد الى خمسمائة كيلو لا الى خمسين كيلو ووحداته المرسلة معه تزن الى هذا الحد لا الى خمسة كيلو ـ كما انه تم ومفرداتها هى :ـ

١ـ قطعة تزن من ١٠٠ كيلو الى ٢٠٠

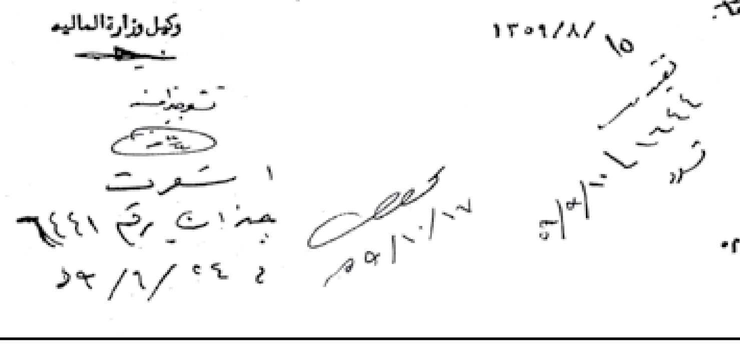
١ـ ــ ــ ــ ــ ٢٠٠ ــ ٣٠٠

١ـ ــ ــ ــ ــ ٥٠٠ ــ فمافوق

اما من الكيلو الواحد الى المائة فيزنها بدون وحدات واما من الاربعمائة الى الخمسمائـــه فلم ترد معه وقد افادت بذلك نظارة عموم الرسوم التى تولت ارساله الى جيزان .فـ[illegible] ناها باكمال نواقصه وارساله لمالية جيزان ايضا واشعرناكم بصورة ولذا تحرر، ،

١٣٥٩/٨/١٥

وكيل وزارة الماليه



ملحق رقم (٣٤): وثيقة بتاريخ (شوال/١٣٥٩هـ) عبارة عن جدول يوضح رواتب كتاب إمارة جازان لشهر شوال عام (١٣٥٩هـ). **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص٢٠.**

ص ٢٠
ق١٤هـ/ج٨٣

جدول برواتب كتاب إمارة جازان لشهر شوال ٣٥٩

مقدار الراتب الذي يجب صرفه	الوظيفة	أسماء الموظفين	محل الختم	ملاحظات
٥٥٠	أخو الأمير	فهد التركي السديري	[ختم]	١٢
٥٥٠	" "	ناصر العبدالله السديري	[ختم]	١٣
١١٠٠	كاتب أول	حسين بن عقبة	[توقيع]	
٦٦٠	كاتب ثاني	محمد علي	[توقيع]	١٤
٦٦٠	مطوع القصر	صالح العنقري	[توقيع]	١٤
٣٥٢٠	المجموع			

فقط ثلاثة آلاف وخمسمائة وعشرون قرشًا سعوديًا لا غير

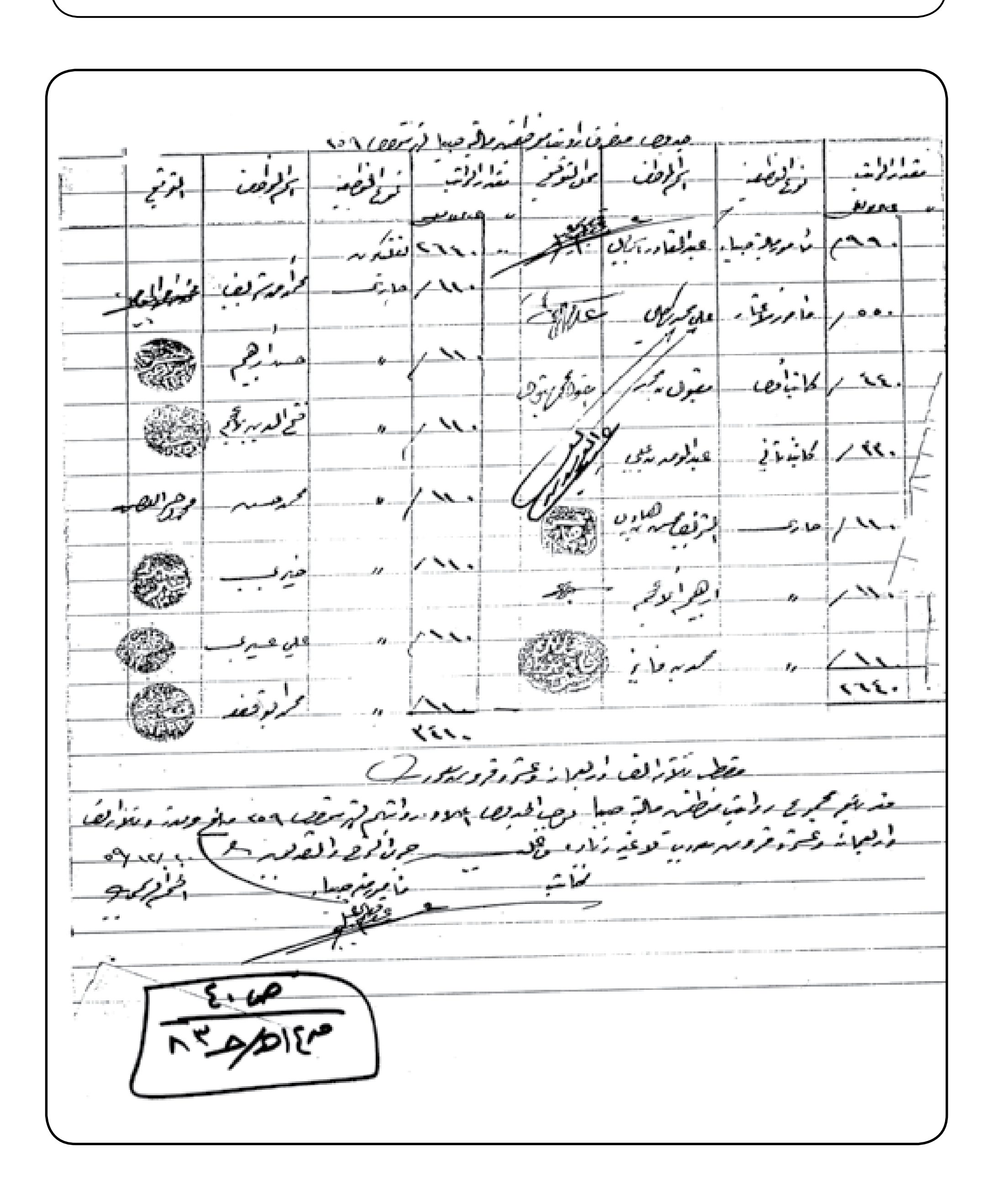
بما أن كتاب قصر الإمارة المحرر أسمائهم في الجدول قد استحقوا رواتبهم لشهر شوال ٣٥٩ البالغ قدره ثلاثة آلاف وخمسمائة وعشرون قرشًا سعوديًا الموضح بعاليه جرى التحرير والتصديق ٢٠/١١/٥٩

أمير جازان وتوابعه

[توقيع]

المحاسب للتدقيق

ملحق رقم (٣٥): جدول بتاريخ (شوال/١٣٥٩هـ) يوضح الرواتب المنصرفة لموظفي مالية صبيا في شهر شوال (١٣٥٩هـ) . **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص٤٠.**



ملحق رقم (٣٦): خطاب بتاريخ (٢/٤/١٣٦٩هـ) من المدعو محمد الزهراني إلى الشيخ عبد الله بن موالا في بلاد المخواة يعزيه في وفاة ابنه ويرسل له بعض المال ويعتذر على التأخير، ويشرح له أسعار بعض السلع في بلاده . **المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م) ، ج٨٣، ص ١٠٣ .**

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة المكرم الشيخ عبد الله بن موالا حفظه الله

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد بلغنا وفاة
ابنكم ابراهيم فاحسن الله عزاكم وعظم الله اجركم وعسى الله
يحفظ في حياته الجنة ويلهمكم بالصبر ولا حول ولا قوة الا بالله
انا لله وانا اليه راجعون وكل نفس ذائقة الموت وهذا
شي علينا كما علمكم الله وعسى الله لا يريكم بعده مكروه
هذا وصلكم اربعة ريال [illegible] استلفتها لكم والمعذرة
[illegible] ولا تصرفونه الا لابد الخبيث والخبيث تسعر
الدخن ثمانية والذرة بسبعة والسبال والدقس
بخمسة والسمسم بعشرين ولا بد
ما [illegible] من الزيارة هذا والعلق والغش
[illegible] والسلام ٢/٤/٦٩

الداعي
محمد الزهراني

ملحق رقم (٣٧): خطاب (بدون تاريخ) من الملك سعود إلى الشيخ عبد الله بن موالا في بلاد المخواة يشرح له الطرق المتبعة لصرف الهبات والعوائد على المحتاجين وغيرهم ، وعلى هذا الشيخ التعاون مع موظفي الدولة في إيصال هذه الأعطيات إلى أصحابها. **المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص ٩٢.**

بسم الله الرحمن الرحيم





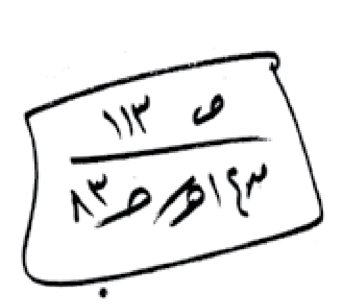
عدد

من سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الى الشيخ عبد الله بن موالا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعده : بارك الله فيكم تفهمون ان أعظم ما يهمني هو منفعة المسلمين وراحتهم وقد بلغني ان الاخوان يتكلفون فى هجرهم حين توزيع العوايد من كثرة الناس عندهم وكذلك فى القرى وقد فكرنا طويلا فيما يؤمن راحة المسلمين وعدم تكلف الناس بخسائر تشق عليهم ولهذا استشرنا اهل نجد واستقر الرأى اننا نضع شرهات الناس وصدقاتهم والذى اجرينا لفقير أو غيره مثل ما اجرت الهيئه الذى ارسلناها العام الماضى واثبتناه فى الدفاتر وتوكلنا على الله وجعلناه فى مراكزنا الحكومية القريبة من الهجر والبلدان والعدود لاجل اقرب تناول وفى مراكزنا ما على احد مضره . فوعدكم ان شاء الله فى اول ربيع آخر ويستمر حتى رجب أى مدة اربعة شهور ثم تنقفط الهيئة ومن تأخر فعلى نفسه وعلى كل امير وقاض ومطوع ونواب ان يخبروا جماعاتهم القوى منهم والضعيف وأمرنا الهيئة ان تقبل الوكالات على شرط ان تكون مصدقة من الامير والقاضى او المطوع والاسماء كلها مقيدة عندنا فى دفاتر وسنطبق ما يأتى من الامير والقاضى او المطوع على الدفاتر التى عندنا ومن له عادة او صدقة فكما اعطيناهم فى العام الماضى أمرناهم يعطونهم هذه السنة سوى من حاضره اومن باديه وكل قصدنا راحة المسلمين وعدم كلافتهم وان كل ما أمرنا به ان يكون كاملا غير منقوص كذلك يكون عندكم معلوم ان جميع ما اجريناه سوى انه لكبير اوصغير او ضعيف او قوى سيكون ان شاء الله ثابت ومن توفى فيكون لأولاده وعائلته من بعده واعتبروا هذا كأرث لكم وحق علينا لكم ان شاء الله هذا ما لزم بيانه والسلام .

ملحق رقم (٣٨): خطاب بتاريخ (٢١/٢/١٣٨٠هـ) من مدير مالية بلجرشي إلى عبد الله بـن أحمـد الشدوي يخبره بأنه ضمن أعضاء هيئة توزيع زكـوات قبائل غامد وزهران (تهامة وسـراة) عام (١٣٧٩هــ) ويوصيه بالجـد والاجتهاد. **المصـدر: مكتبة د. غيثـان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص١١٣.**

المملكة العربية السعودية
وزارة المالية والاقتصاد الوطني
مالية بالجرشي
عدد



حضرة المكرم عبد الله بن احمد الشدوى المحترم

بعد التحيه ح ٠

عيناكم مندوبا عنا للقيام بالاشتراك مع الهيئه المكونه ل توزيع زكوات صيف قبائل غامد وزهران السراه وكافة تهامه لعام ٩ ٣٧ لما نامله فيكم من الذمه والامانه والاخلاص فنومل منكم مباشرة عملكم ضمن الهيئه المذكوره وموافاتنا بنتائج اعمالكم ٠ والله ولي التوفيق

٢١/ ٢/ ١٣٨٠هـ

مدير مالية بالجرشي



ملحق رقم (٣٩): خطاب بتاريخ (١٦/١٠/١٣٨٣هـ) من أحد المسؤولين إلى عريفة قرية السلاطين عبد الله أحمد الشدوي في جبل شدا غامد يخبره بما هو جاري من أعمال لإصلاح عقبتهم (طريقهم) في جبل شدا الأعلى. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص١١٤.**

ج٨٣ ص١١٤
ق١٤هـ/٢٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

المكرم عريفة السلاطين عبد الله أحمد شدا غامد المحترم

تحية صادقة وبعد وصل تحريركم المشار إليه بالمذكرة الآتية:

١- بالتهنئة [illegible]

٢- موضوع عقبتكم نفيدكم بما أننا [illegible]

[illegible]

١٦/١٠/١٣٨٣هـ

سعود [illegible]

ملحق رقم (٤٠): خطاب بتاريخ (١٦/٥/١٣٨٥هـ) من عبد العزيز بن عبد الهادي إلى عبد الله بن أحمد الشدوي يهديه السلام، ويخبره أن عقبتهم (طريقهم) في شدا الأعلى سوف تنزل في مناقصة قريباً، ويرغب إشعاره بذلك. **المصدر: مكتبة د. غيثان ابن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ص ٨٣، ص ١١٩.**

ق ١١٩
١٤هـ/٢٠م ٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة المكرم الأخ العزيز عبدالله بن احمد المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ادام سؤالكم عنا فنحن صحتنا

ولله الحمد بخير كما قد قعدنا بعد نزلنا من الأمير ولا كتبنا والله سامحنا

لكثرة الأشغال بعد ما أرسل علينا بخصوص [illegible] العقبة

عملت وسوف تنزل في مناقصة [illegible] هذه الأيام قريبا

نشعركم بذلك وسلامي لكم ووالدكم وأبنائكم ودمتم

١٦/٥/٨٥

[illegible]

عبدالعزيز عبد الهادي

ملحق رقم (٤١): خطاب بتاريخ (١٣٨٦/٥/٨هـ) من رئيس مركز المخواة عبدالله ابن فهد إلى العريفة عبد الله بن أحمد يخبره وجوب استعداده وجماعته للتعاون مع عمال المواشي الذين هم قادمون إلى منطقة المخواة وما حولها. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص١٢٢.**

المملكة العربية السعودية

مركز المخواه

عدد ١٢٢٠

ص ١٢٢
م ١٤ / ٨٣

حضرة المكرم العريفة عبد الله بن أحمد المحترم

بعد التحية نخبركم أنه وردنا خطاب [illegible] عمال المواشي يتضمن قرب وصول العمال إلى هذه المنطقة في الأيام القريبة فيلزم التنبيه على عموم جماعتكم للاستعداد لذا

ودمتم [illegible]

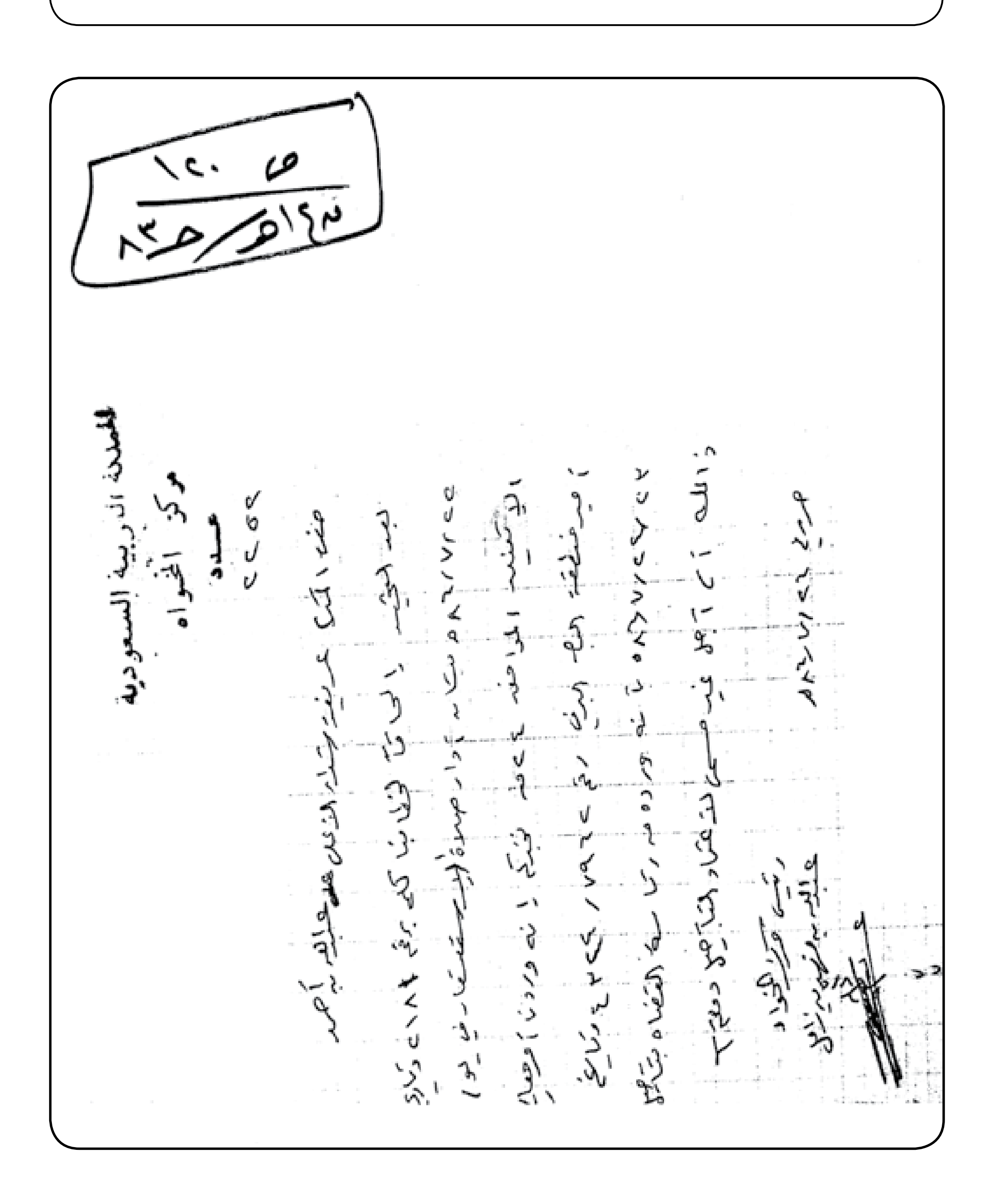
رئيس مركز المخواه

[illegible] عبد الله بن فهد [illegible]

[illegible]

٨/٥/٨٦هـ

ملحق رقم (٤٢): خطاب بتاريخ (١٣٨٦/٧/٢٦هـ) من رئيس مركز المخواة عبد الله بن فهد زامل إلى عريفة شد الأعلى عبد الله بن أحمد يخبر بالتعميم الذي وصلهم وفيه تأجيل صلاة الاستسقاء. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ١٢٠.**



المملكة العربية السعودية
مركز المخواه

ملحق رقم (٤٣): خطاب بتاريخ (١٧/٨/١٣٨٦هـ) من رئيس مركز المخواة إلى عبد الله أحمد الشدوي يبلغه بالتعميم الذي أرسله رئيس القضاة في المملكة على أن تكون صلاة الاستسقاء يوم الخميس (١٩/٨/١٣٨٦هـ)، وعليه إبلاغ جماعته. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ١١٦.**

بسم الله

المملكة العربية السعودية
وزارة الداخلية
امارة ... [illegible]

الرقم ٥٩٢...
التاريخ ١٧/٨/٨٦هـ
التوابع

ص ١١٦
١٤٣ج ٨٣

الاخ عبدالله احمد الشدوي المحترم

بعد التحية نخبركم انه [illegible] لمركز المخواة بخطاب رقم ٥٠٥ في [illegible] المتضمن انه [illegible] رسالة رئيس القضاة رقم ٢٩٢١ في [illegible] المتضمن انه تقرر اقامة صلاة الاستسقاء يوم الخميس [illegible] شعبان ١٣٨٦هـ وطلب ابلاغكم بذلك [illegible] والاستعداد لاقامة صلاة الاستسقاء في يوم الخميس المذكور [illegible]

رئيس مركز المخواة
عبدالله [illegible]

ملحق رقم (٤٤): اتفاقية وملحقاتها بتواريخ (٤/١٠، ١٥/١١/١٣٨٨هـ)، بين العمال الذين يقومون بإصلاح طريق شدا الأعلى وبين اللجنة التنفيذية والقائمين على هذا المشروع، وفيها تفصيلات عن كيفية بدء العمل والاستمرار فيه، وهناك قائمة بأسماء العاملين في هذا الطريق وأجرتهم. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ١١٠-١١١.**

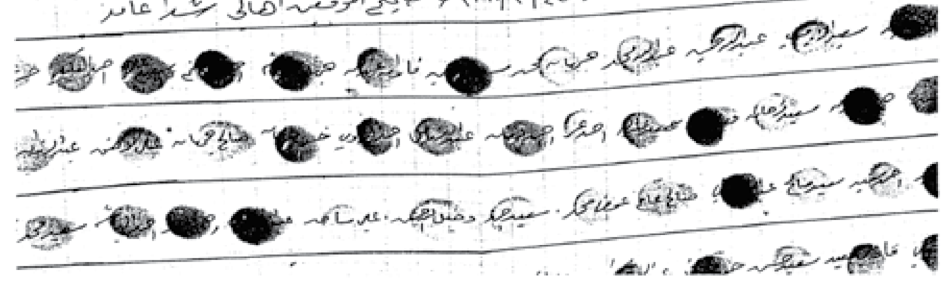
ص ١١٠ /م٢٤/ ج٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

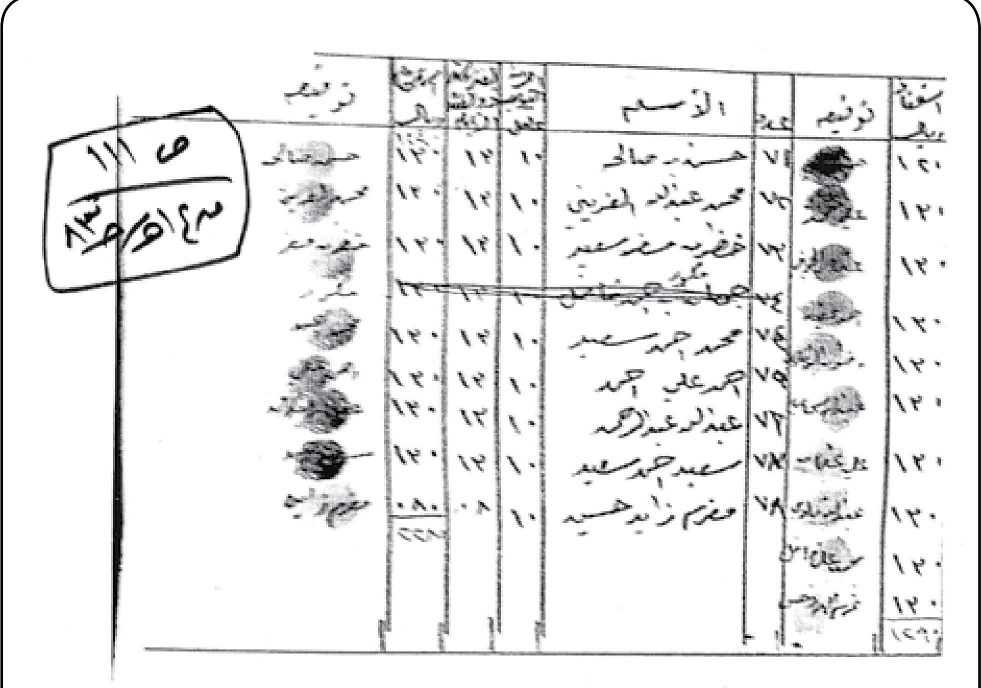
نقر نحن العاملين الملتحقين والمساعدين والعمال [illegible] شدا عامر الوقيعية أدناه الذين تم حضورنا للعمل خلال يوم الأربعاء الموافق ٤/١٠/

أننا نتعهد بالشروط التي ترتب علينا وهي كما يلي:

[illegible]



تابع ملحق رقم (٤٤)



[illegible]	توقيع	عدد	الأسماء	[illegible]	[illegible]	[illegible]	توقيع
١٢٠	[illegible]	٧١	حسن صالح	١٠	١٢	١٢٠	حسن صالح
١٢٠	[illegible]	٧٢	محمد عبدالله المغربي	١٠	١٢	١٢٠	[illegible]
١٢٠	[illegible]	٧٣	خضر [illegible] سعيد	١٠	١٢	١٢٠	[illegible]
١٢٠	[illegible]	٧٤	[illegible]				[illegible]
١٢٠	[illegible]	٧٤	محمد أحمد سعيد	١٠	١٢	١٢٠	[illegible]
١٢٠	[illegible]	٧٥	أحمد علي أحمد	١٠	١٢	١٢٠	[illegible]
١٢٠	[illegible]	٧٦	عبدالله عبدالرحمن	١٠	١٢	١٢٠	[illegible]
١٢٠	[illegible]	٧٧	سعيد أحمد سعيد	١٠	١٢	١٢٠	[illegible]
١٢٠	[illegible]	٧٨	مخدم زايد حسين	١٠	٠٨	٠٨٠	[illegible]
١٢٠	[illegible]					[illegible]	
١٢٠	[illegible]						
[illegible]							

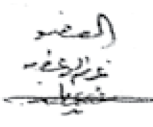
[illegible]

١٥/١١/٢٨٨ هـ

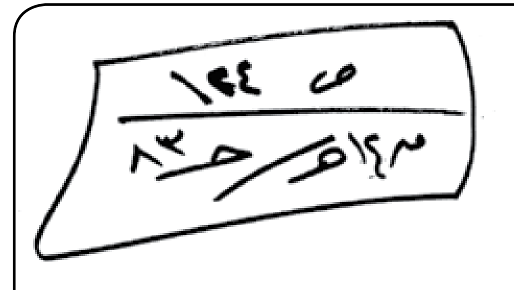
العضو — العضو — العضو







ملحق رقم (٤٥): رسالة إخوانية بتاريخ (١٣٩١/١٢/١٩هـ) من الأستاذ فضل الله أحمد فضل الله من موجه التربية الفنية في القنفذة إلى الشيخ عبد الله الشدوي في شدا الأعلى يشكره على كرمه وحسن استقباله وما قدم من خدمات له. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص١٢٤ .**



بسم الله الرحمن الرحيم

القنفذة ١٦/١٢/٩١

عزيزي الكريم الشيخ عبد الله

من أعماق قلبي وأطيب الأمنيات متمنياً لك الصحة الوافرة والسعادة ، سائلاً الله أن يسبغ نعمته عليك وأن يوفق حياتك ويجمع أمنياتك الماضية والغد المرجوة [illegible]

منذ وصولك إلى القنفذة من الجزاء وأنا أذكر بكل سرور ترحيبك واستقبالك [illegible] ومثل أخلاقك ، وقد طوقت أعناقنا بأنها جميل . وأنا إذ أشكر استقبالك الكريم لنا أعلم أنك لست بحاجة للشكر على ما قدمت ، ولكنه الأصول تستدعي أن نقول كلمة شكر وامتنان متقبلاً منا [illegible] من المولى عز وجل أن نستطيع رد بعض ما قدمت .

مع تكرار شكري وتقديري لكم

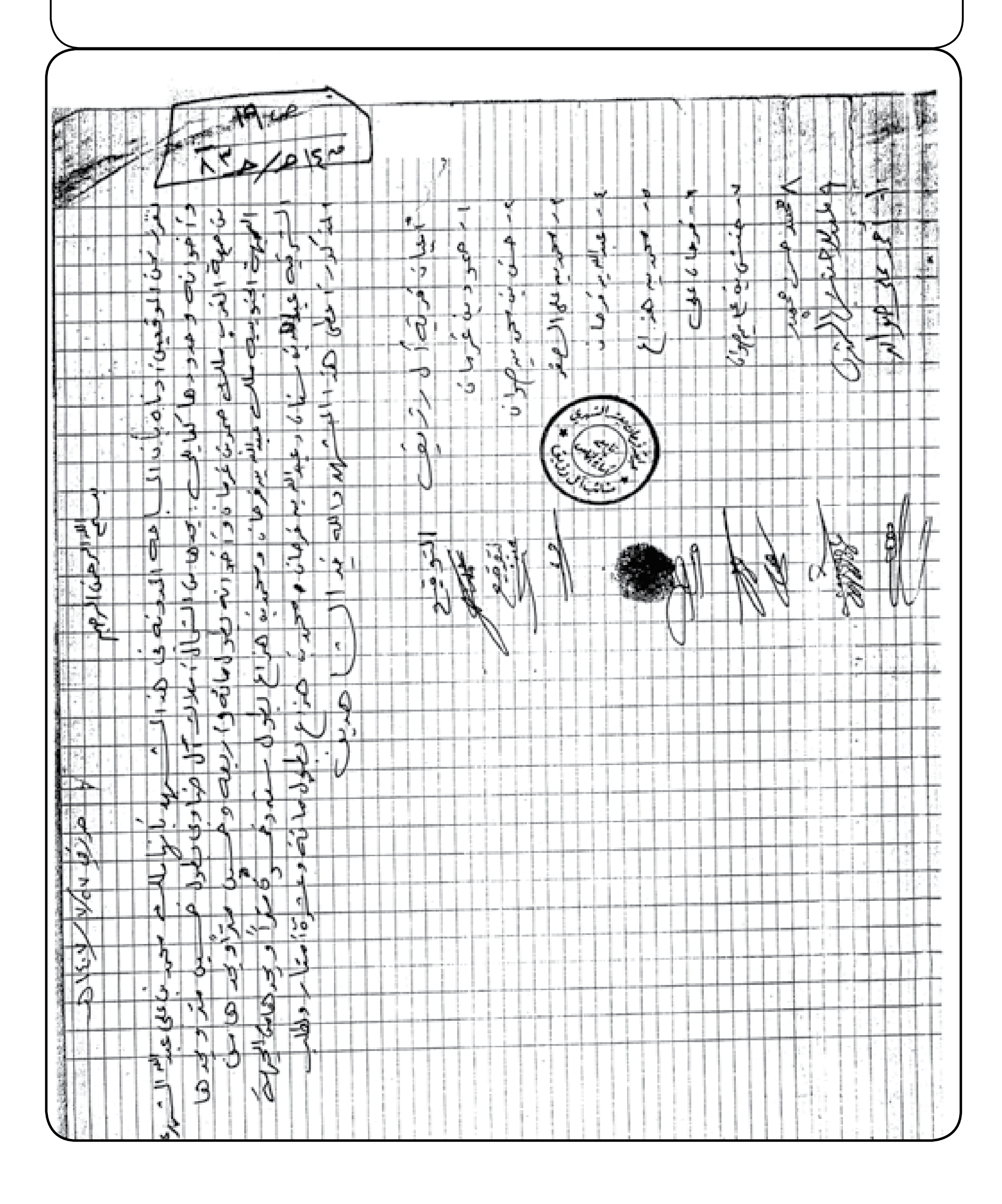
أخوك

فضل الله أحمد فضل الله

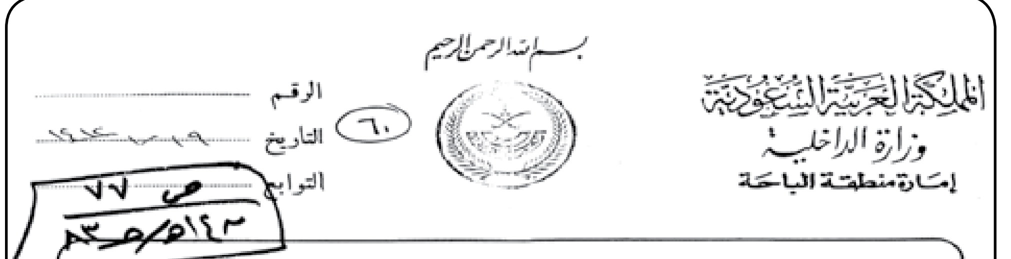
موجه التربية الفنية بالقنفذة



ملحق رقم (٤٦): مشهد بتاريخ (١٤٠٧/٧/٢٧هـ) من عشرة أعيان من قرية آل رزيق، قرية المؤلف، وفيه يشهدون على امتلاك عقار في بلادهم لأحد رجالهم، ويظهر في هذا المشهد أسمائهم وتواقيعهم. **المصدر: مكتبة د. غيثان ابن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ص ٨٣، ص ١٩.**



ملحق رقم (٤٧): خطاب بتاريخ (١٤١٢/١/١٩هـ) من الأستاذ علي بن صالح السلوك، مدير عام الإدارة في إمارة منطقة الباحة إلى الشيخ أحمد بن موالا يهديه السلام ويطلب منه التعاون في جمع بعض المادة العلمية عن بلاده حتى يضمنها الطبعة الثانية من كتابه (المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران). **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص٧٧.**



بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة الداخلية
إمارة منطقة الباحة

الرقم ....
التاريخ ....
التوابع ....

(٦٠)

ص ٧٧
١٤٢٣/٥/٨هـ

الموضوع :

سعادة الاخ الفاضل الشيخ/احمد بن عبدالله موالا حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :-

انطلاقا من توجيهات صاحب السمو الملكي الامير/محمد بن سعود بن عبدالعزيز /أمير منطقة الباحه/ وسمو نائبه /فقد تقرر إعادة طباعة كتابي (المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران) ولكن بشكل اوسع من السابق وبطريقة تختلف عن ذي قبل.

ولان الامر يتطلب توفر معلومات عن الاتي :-

اولا/الشعراء الشعبيين من القبيلة في الماضي.

ثانيا/مشاهير القبيلة في الماضي.

ثالثا/اقسام القبيله ولحاميها

فاني ارجو تعاونكم معي وموافاتي بالمعلومات التاليه مع الاستعانة بالمعمرين وكبار السن ما أمكن :-

اولا/الشعراء الشعبيين:-

١) الاسم الكامل للشاعر ومكان ميلاده ٢) تاريخ وفاته ٣) نماذج من شعره في العرضه واللعب , ولحن الجبل والمسحباني , والاناشيد

ثانيا/اسماء مشاهير القبيله , ونبذه عن حياة كل منهم ومن ذلك مشايخ القبيلة في السابق واللاحق , والفقهاء والعلماء وبعض اثارهم.

وحبذا لوكانت موثقة بصور من الوثائق القديمة وبتاريخ وفاة كل منهم.

ثالثا/اقسام القبيله وقرى كل قسم ولحام كل قرية وسيكون لتعاونكم في هذا المجال مساهمه فعاله في اظهار المنطقه بالمظهر المشرف في هذا العهد السعودي الزاهر عهد الامن والرخاء. والله يحفظكم.

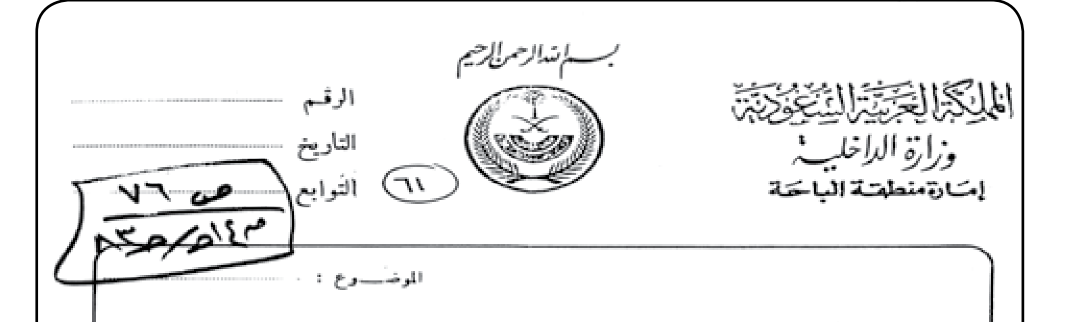
اخوكم

علي بن صالح السلوك

مديرعام الاداره بامارة منطقة الباحه

ص

ملحق رقم (٤٨): خطاب بتاريخ (١٤١٢/٦/٥هـ) من الأستاذ علي بن صالح السلوك إلى الشيخ أحمد بن موالا يذكره بالخطاب الذي أرسله له من قبل ويطلب فيه معلومات عن بلاده وسكان القبائل التابعة له، ويستحثه على التجارب، وذلك من أجل تضمين هذه المادة العلمية في الطبعة الثانية من كتابة (المعجم الجغرافي) . **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ،الوثائق العامة (ق١٤هـ/ ٢٠م)، ج٨٣، ص ٧٦.**


بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة الداخلية
إمارة منطقة الباحة

الرقم ....
التاريخ ....
التوابع ....

(٦١)

ص ٧٦
م١٤٣/ص٨٣

الموضوع :

سعادة الاخ الكريم الشيخ أحمد بن موالا سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :-

ارجو لكم الصحة والمسرات .

وبعد - فقد سبق ان كتبت لكم قبل اكثر من اربعة اشهر طالبا بعض معلومات عن قبيلتكم لغرض اضافتها في كتاب المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران في طبعته الجديده .

ولم ترد تلك المعلومات ,ولان اشتمال الطبعة الجديده على كامل المعلومات عن المنطقه وسكانها هو أمر ضروري ولايترك حجة لمحتج بعد الطبع .

فاني اذكركم بماسبق وارجو سرعة موافاتي بالمطلوب في خطابي السابق وبعده اذا كان ذلك متيسرا حتى يكون العمل شاملا , وفي حالة عدم استجابتكم فارجو عدم مؤاخذتي عند ما يخلو الكتاب من بعض المعلومات التي لم تكن متوفرة لدى من السابق .

ولكم خالص تقديري واحترامي .

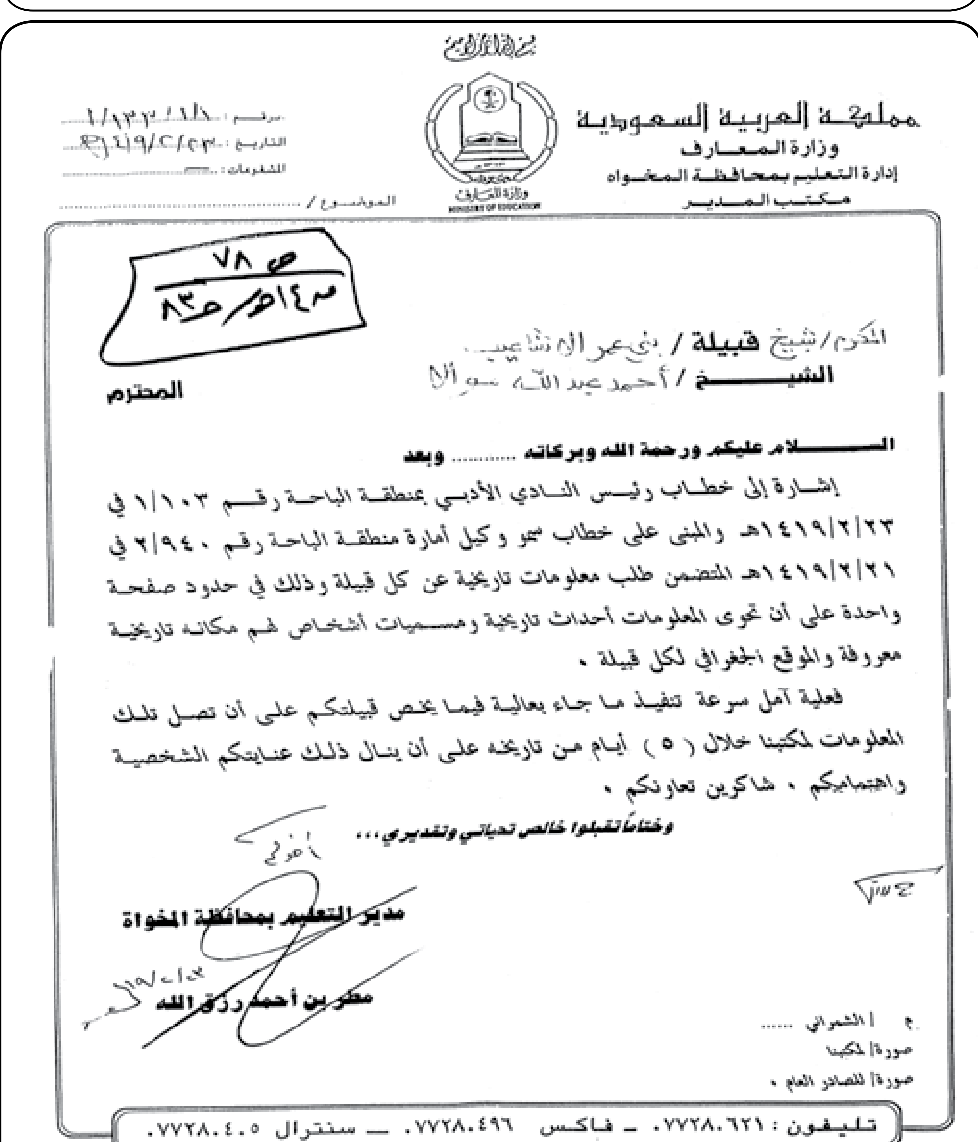
اخوكم

علي بن صالح السلوك

١٤١٢/٦/٥

مدير عام الادارة بامارة منطقة الباحة

ملحق رقم (٤٩): خطاب بتاريخ (١٤١٩/٢/٢٣هـ) من مدير التعليم بمحافظة المخواة إلى الشيخ أحمد بن عبد الله بن موالا ، شيخ قبيلة بني عمر الأشاعيب ، يطلبه معلومات مختصرة عن بلاده وسكانها وذلك بناءً على ما جاء من خطابات وتوجيهات من سمو وكيل إمارة منطقة الباحة ، ومن رئيس النادي الأدبي في الباحة . وبرفقة هذا الخطاب معلومات في صفحتين تحت توقيع الشيخ عبدالله بن أحمد بن موالا ، وهاتان الصفحتان غير مؤرخة ، لكنها بعد تاريخ الخطاب المذكور أعلاه بزمن. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ، ج٨٣، ص ٧٠-٧١، ٧٨ .**



بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف
إدارة التعليم بمحافظة المخواه
مكتب المدير

الرقم: ١/١٣٣/٤١١
التاريخ: ١٤١٩/٢/٢٣هـ
المشفوعات: ......
الموضوع / ......

ص ٧٨
م١٤٢٣هـ/٨٣

المكرم / شيخ قبيلة / بني عمر الأشاعيب
الشيخ / أحمد عبدالله موالا المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .... وبعد

إشارة إلى خطاب رئيس النادي الأدبي بمنطقة الباحة رقم ١/١٠٣ في ١٤١٩/٢/٢٣هـ والمبنى على خطاب سمو وكيل أمارة منطقة الباحة رقم ٢/٩٤٠ في ١٤١٩/٢/٢١هـ المتضمن طلب معلومات تاريخية عن كل قبيلة وذلك في حدود صفحة واحدة على أن تحوى المعلومات أحداث تاريخية ومسميات أشخاص لهم مكانه تاريخية معروفة والموقع الجغرافي لكل قبيلة ،

فعلية آمل سرعة تنفيذ ما جاء بعالية فيما يخص قبيلتكم على أن تصل تلك المعلومات لمكتبنا خلال (٥) أيام من تاريخه على أن ينال ذلك عنايتكم الشخصية واهتمامكم ، شاكرين تعاونكم ،

وختاماً تقبلوا خالص تحياتي وتقديري ،،،

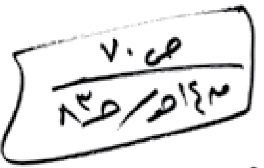
مدير التعليم بمحافظة المخواة

مطر بن أحمد رزق الله

م / الشهراني ......
صورة / لمكتبنا
صورة / للصادر العام ،

تليفون : ٧٧٢٨٠٦٢١ ـ فاكس ٧٧٢٨٠٤٩٦ ـ سنترال ٧٧٢٨٠٤٠٥

تابع ملحق رقم (٤٩)



بســـم الله الرحمـــن الرحيـــم

تعريف بسيط موجز عن قبيلة بني عمر الأشاعيب :-

قبيلة بني عمر الأشاعيب من اكبر القبائل بمنطقة الباحة من حيث عدد السكان والمساحة وعدد قرى وهي تقع في منطقة تهامه الباحة وترتبط قراها إدارياً بمحافظة المخواة وعدد من قـرى وادي سياله بمحافظة قلوه .

حدود القبيلة :-

من الشمال غامد وزهران ومن الجنوب غامد تهامه وبني سهيم والعوامر ومن الشرق غـــامد السراة ومن الغرب غامد تهامه وزهران .

عدد السكان :-

يبلغ عدد سكان بني عمر الأشاعيب تقريباً أربعون ألف (٤٠,٠٠٠) نسمه .

عدد القرى :-

عدد القرى تقريباً (٩٦) قرية منتشرة في عدة أودية من أهم هذه الأودية :

وادي راش	وادي هوران	وادي منجل	وادي ممنا
وادي سقامه	وادي مليل	وادي الحمره	وادي رحبه
وادي ضيان	وادي سياله	وادي حتي	

تتقسم القبيلة إلى عدة فخوذ ولحام وأشهرها :- الاشاعيـــب – بنـــي زيـــدان – بنـــي عاصم – المسايبه – بني ناشر .

مشيخة القبيلة في الماضي القديم والحاضر القريب :-

مشائخ قبيلة بني عمر الأشاعيب في الماضي وحتى تاريخه هم أســـرة (آلا مـــوالا) وذلـــك حسب ما يلي :

تابع ملحق رقم (٤٩)



- موالا .
- أبنه سعد .
- أبنه سعيد .
- إبراهيم بن سعيد وكانت وفاته بتاريخ ١٦ شوال ١٣٢١هـ .
- أحمد بن إبراهيم موالا وتوفى عام ١٣٤٦هـ .
- محمد بن احمد موالا وتوفى عام ١٣٥٦هـ .
- عبد الله بن أحمد موالا وتوفى عام ١٣٨٠هـ .
- غرم الله بن عبد الله موالا وتوفى عام ١٣٨١هـ .
- محمد بن عبد الله موالا وتوفى عام ١٣٩١هـ .
- أحمد عبد الله موالا وتوفي عام ١٤٢٠هـ .
- أبنه / عبد الله أحمد عبد الله موالا الآن .

هذا ملخص عن قبيلة بني عمر الأشاعيب ومشايخها وقراها وأوديتها والله الموفق .



عبد الله أحمد عبد الله موالا العمري

ملحق رقم (٥٠): مذكرة في خمس صفحات بتاريخ (١٤٣٧/١/٢٠هـ) من تدوين الدكتور قاسم بن أحمد بن عبد الله آل قاسم ، الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها ، كلية العلوم الإنسانية ، جامعة الملك خالد في أبها ، وفيها قراءة وآراء ووجهات نظر على كتابين من إعداد الأستاذ محمد بن أحمد بن معبِّر ، وهما: (١) وثائق غيثان بن جريس الخاصة (ثمانية مجلدات) (٢) دليل البحوث الجامعية في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية . **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق الخاصة عام (١٤٣٧هـ) (لم ترقم بعد).**

١

بسم الله الرحمن الرحيم

(قراءة أولية في موسوعة أ. د غيثان بن جريس الوثائقية) بقلم د/ قاسم بن أحمد بن عبد الله آل قاسم (١)

الحمد لله وكفى ، وصلاة وسلاماً على النبي المصطفى ، والحبيب المجتبى ، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى .

ثم أما بعد ، فلقد تلقيت - ببالغ السرور - هدية الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس المتمثلة في موسوعته القيمة الموسومة بـ «وثائق غيثان بن جريس الخاصة» (ثمانية مجلدات في حوالي (٥٠٠٠) صفحة) من إعداد الأستاذ محمد بن أحمد معبِّر ، ونسخة من كتاب : «دليل البحوث الجامعية في مكتبة الدكتور غيثان بن جريس العلمية» مشفوعة بخطابه المؤرخ في ١٤٣٦/١٢/٢٣هـ .

ولقد سررت بهذا المنجز المعرفي المهم الذي يأتي تتويجاً لعمل دؤوب استغرق ما يقرب من (٣٥ سنة) ، هي الحقبة الزمنية التي أشرف فيها الأستاذ الدكتور غيثان على طلاب البكالوريوس والماجستير والدكتوراه بفرعي جامعتي الملك سعود والإمام محمد بن سعود الإسلامية بأبها ، ومركز البحوث الطلاب والطالبات بعد أن انتظم عقد الفرعين وسلكا في منظومة جامعة الملك خالد بأبها ، سواء أكان الإشراف من لدنه هو أم من قبل أساتذة القسم (قسم التاريخ) .

وإنني إذ أشيد بهذا العمل القيم وبهذا الجهد المبارك ، فإنني أذكر آنفاً أهم ما يتميز به ما يأتي :

أولاً : التصنيف العلمي لهذه البحوث ، الذي قام به - مع الباحث - الأستاذ محمد بن أحمد معبِّر ، إذ قسم هذا الدليل إلى :

١- الوثائق العامة التي تربو على أربعة آلاف وثيقة .

٢- الوثائق الخاصة المتبادلة مع الهيئات والأفراد ، وتقع في ثمانية مجلدات .

(١) أستاذ الأدب والنقد المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية العلوم الإنسانية جامعة الملك خالد - أبها .

حرر في ١٤٣٧/١/٢٠هـ

تابع ملحق رقم (٥٠)

٢

٣- البحوث الجامعية (غير المنشورة)، وهو موضوع الكتاب الذي أتحدث عنه.

٤- الصور الفوتوغرافية، التي يبلغ عددها حسب إحصائية الأستاذ مبيّن (٧١٤٨) صورة.

٥- المذكرات والمدونات.

٦- الكتب المطبوعة النادرة.

ثانياً: لقد ظهر الجهد الطيب في هذا الكتاب من خلال تلك الإحصاءات العلمية الدقيقة، حيث تشير إلى أن عدد الرسائل العلمية التي احتوى عليها الكتاب (٩ رسائل دكتوراه)، و(٣٨ رسالة ماجستير)، و(٣٥٦ بحثاً خاصة بمرحلة البكالوريوس)، وكان عدد الصفحات كما تقول الإحصائية - أحد وستون وثمانمئة واثنان وستون ألف صفحة (٨٦١ ٦٢)، وعدد الوثائق ثمان وثمانون ومائة وألفا وثيقة، وعدد الخرائط والأشكال تسع وتسعمائة وألفا خريطة وشكل.

ثالثاً: عدد البحوث التي توزعت إجراءاتها وإعدادها على مناطق المملكة العربية السعودية لطلاب الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس وطالباته، وكذا لطلاب قسم التاريخ وطالباته كانت على النحو الآتي:

١- منطقة عسير فازت بقصب السبق، وبنصيب الأسد، حيث كانت البحوث التي وجهت إليها (٢٥٩) بحثاً.

٢- منطقة جازان حظيت بـ (٧٧) بحثاً.

٣- منطقة نجران حيث كانت البحوث التي صرفت إلى هذه المنطقة (٢٠) بحثاً.

٤- منطقة مكة المكرمة، وكان حظها من هذه البحوث (١٥) بحثاً.

٥- منطقة الباحة استعدت لـ (٨) بحوث.

٦- منطقة الرياض وكان حظها من ذلك (٣) بحوث.

رابعاً: لقد توسعت بحوث الطلاب والطالبات في قسم التاريخ لتشمل

هـ ٢٠/١/١٤٢٧هـ

تابع ملحق رقم (٥٠)

٣

عدداً من الدول، حيث كان نصيب اليمن منها (٥) بحوث، تلتها الأندلس بـ (٣) بحوث، فالأماكن المختلفة - كما سميت في الكتاب، وكما استعمله ذلك مؤلف الكتاب - حيث كان من نصيبها (٣) بحوث. فبلاد الشام بحثان.

خامساً: ثم استعرض الأستاذ محمد معبّر سيرة الأستاذ الدكتور عيثان بن جريس العلمية، وأعماله التأليفية.

وقد لخص أ. محمد معبّر عمله في هذا الدليل بقوله[1]: «وبدأت العمل بوضع النموذج الموحّد الذي يشتمل على البيانات التالية:

١- عنوان البحث...

٢- اسم الباحث... واسم المشرف إذا كان غير الأستاذ الدكتور عيثان.

٣- محتويات البحث...

٤- تاريخ البحث. ٥- عدد الصفحات. ٦- عدد الوثائق.

٧- عدد الصور الفوتوغرافية. ٨- عدد الخرائط والأشكال.

٩- رقم البحث في مكتبة د/عيثان».

ثم قام بإعداد الكشافات الفنية المناسبة وهي[2]:

١- كشاف الباحثين والمشرفين. ٢- كشاف الأعلام. ٣- كشاف القبائل والأسر. ٤- كشاف الأماكن. ٥- كشاف رسائل الدكتوراه. ٦- كشاف رسائل الماجستير.

كما أعدّ بعض الجداول الإحصائية.

والدليل بهذا العمل المتقن يُعدُّ ذخيرة معرفية تاريخية مهمة للباحثين والباحثات في تاريخ المنطقة بخاصة، وتاريخ المملكة العربية السعودية

(١) محمد بن أحمد معبر - دليل البحوث الجامعية - ط: الأولى ١٤٣٦هـ مطابع الحميضي الرياض: ص ص ١٠-١١ (بتصرف).

(٢) المرجع السابق: ص ١١

حرر في ٢٠/١/١٤٣٧هـ

تابع ملحق رقم (٥٠)

٤

بعامة، ووثائقها وخرائطها، وأشكالها وصورها.

وهذا العمل سيُسهل على الباحثين المعرفة، ويسيذلل لهم السبل للإفادة منه، وبخاصة أنه بات كالضوء على الطريق، وكالدليل الذي يرشد الحيران، والهادي الذي يدل التائه إلى بعض المعلومات المهمة.

أما الكتاب الموسوعي الآخر فهو بعنوان: «وثائق غيثان بن جريس الخاصة (١)» والموسوعة تقع في ثمانية مجلدات، وهي - أيضًا - من إعداد الأستاذ معبّر، وقد وُجه الإهداء إلى صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير سابقًا، ووزير التربية والتعليم السابق، وأمير منطقة مكة المكرمة حاليًا، وتتجلى قيمة هذه الموسوعة في المكاتبات التي تمت ما بين الباحث أ. د غيثان بن جريس، وما بين الهيئات والأفراد، وهي وثائق في غاية الأهمية، إذ إن منها: ما يؤرخ لحقب زمنية قديمة، ومنها: ما كان اشتكاءً من الباحث لبعض المعنيين بتاريخ المنطقة وتراثه وأدبه، ومن عنوا بالبحث في الميادين المختلفة (السياسية والاجتماعية والتاريخية والاقتصادية وغيرها)، والقارئ سيجد في هذه الموسوعة ما يروي نهمه المعرفي، وتشوقه العلمي، وما يكشف عن المثاقفة المنتجة الجادة بين أبناء المنطقة بخاصة، وكذا بين أبناء المناطق الأخرى بمملكتنا الحبيبة بعامة، وكذلك مع ما يطرحه أ. د غيثان بن جريس، ومنها ما ينطلق إلى أفق الجدل العلمي، والحوار الثقافي، حيث إن ذلك قد يوصل إلى النجاح المعرفي بتشكلاته كلها.

وإن مما يحمد للباحث في كتبه بعامة، وفي هذه الموسوعة بخاصة ما يأتي:

أولاً: امتداد بحوثه، وكذا البحوث التي أشرف عليها على مساحة زمنية كبيرة.

ثانيًا: شمولية تلك البحوث لأماكن متعددة.

حرر في ٢٠/١/١٤٣٧هـ

تابع ملحق رقم (٥٠)

٥

ثالثاً: التضحية بكل غالٍ ونفيس في سبيل الوصول إلى المعلومة.

رابعاً: إعطاء كل ذي حق حقه ممن شاركوا معه ببعض البحوث في كتبه؛ حيث إنه قد أسند تلك البحوث إلى أصحابها، وضمّنها كتبه وهذه - لعمري - الأمانة العلمية.

خامساً: المنهجية العلمية في التعاطي مع المعلومة التاريخية أو الاجتماعية أو الثقافية والاقتصادية وغيرها، وتوظيفها في سياقها الذي تستدعيه.

سادساً: اهتمام صاحب هذه الموسوعة بمحاولة نشر العلم والمعرفة الوثائقية والتاريخية وغيرها بين القراء، ووضعها بين أيدي الباحثين وطلاب الدراسات العليا؛ حيث إنه لم يضن بتلك المعلومات والوثائق ونحوها.

وعليه فقد بات نبراساً يحتذى بصنيعه وعمله، ومن هنا فإنني أهيب بمن لديهم وثائق أو مخطوطات وغيرها أن يقتفوا أثر هذا العالم الذي آثر الباحثين بما لديه؛ لعلمه أن العلم رحم بين أهله، وليقينه بأن المعرفة الإنسانية لن تتأتى إلا بالتكاملية، ونشر المعلومة في زمن التسابق العالمي إلى السبق المعرفي، وكذا في زمن المعلومة التي لم تعد حكراً على أحد دون سواه؛ بل باتت حقاً للمتعلمين جميعاً، ومن هنا فإنني أشكر أ. د. غيثان على الإيثار والبعد عن الذاتية والأثرة (الأنانية) فيما يطرحه، والله المولى - جل شأنه - أن يجزيه خير الجزاء نظير ما قدم وبذل وأسهم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه د/ قاسم بن أحمد بن عبدالله آل تمام

الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها

كلية العلوم الإنسانية في مدينة أبها البهية بتاريخ ٢٠/١/١٤٣٧هـ على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

حرر في ٢٠/١/١٤٣٧هـ

ملحق رقم (٥١): خطاب بتاريخ (١٤٣٨/٤/٦هـ) مدونة من غيثان بن جريس إلى أرباب القلم والباحثين والمؤلفين وأهل الرأي في البلاد الممتدة من شمال مدينة محايل في تهامة عسير إلى بلدة قلوة في تهامة زهران، وذلك أثناء قيامه برحلة في هذه البلاد في شهر ربيع الآخر عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)، ويطلبهم فيه التعاون معه في تدوين بعض الصفحات التاريخية والحضارية عن بلادهم، ويوجد العديد من المحاور المذكورة في هذا الخطاب التي يبحث غيثان عنها. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق الخاصة عام (١٤٣٨هـ) (لم ترقم بعد).**

سعادة الأخ الكريم .... (*) الموقر

حرر في (١٤٣٨/٤/٦هـ)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد:

إعلم أخي العزيز إنني أسير في بلدان تهامة والسراة منذ أربعين عاماً منقباً عن آثارها، وتاريخها، وحضارتها، وطبيعة أرضها وسكانها، وذلك من أجل حفظ تراث وأدب وموروث هذه الأوطان العربية. وفي هذه الورقات عزمت أن أخرج في هذا الشهر، ربيع الآخر عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)، في رحلة ميدانية تمتد من شمال محايل عسير إلى بلدة قلوة في تهامة زهران، بهدف الوقوف على شيء من تاريخها وحضارتها الماضية والحاضرة، ولعلمي بأن هذه الناحية من البلدان المنسية عند كُتَّاب التراث المتقدمين والمتأخرين، ناهيك عن ذكرها في الوثائق الحديثة والمعاصرة فهي أيضاً غير مذكورة أو مدروسة. والجميل اليوم أن هذه البلاد يوجد فيها مئات المتعلمين، ولديهم شهادات تتراوح ما بين درجات البكالوريوس والليسانس إلى درجة الدكتوراه، وقد التقيت ببعض من هؤلاء المتعلمين المنتمين إلى هذه المنطقة المذكورة في مقدمة هذه المدونة. كما يوجد فيها العديد من الأعيان والوجهاء والشيوخ والأدباء وغيرهم، وعلى هؤلاء جميعاً مسؤولية تجاه أهلهم وبلادهم كي يسعوا إلى حفظ تراثهم وتاريخهم وأدبهم وحضارة آبائهم وأجدادهم. والشيء الذي أريده منك أخي العزيز هو التعاون معي في جمع شيء من تراث وتاريخ وفكر وحضارة هذه البلاد، من أجل نشر شيء عنها في سلسلة كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب، وربما يكون ذلك في المجلد الثاني عشر الذي نعمل عليه منذ شهور، وقد يصدر في نهاية هذا العام، أو العام القادم (١٤٣٩هـ/٢٠١٨م). وفي الصفحات التالية أدون لك نقاطاً محددة لعلك تفيدني ببعض المعلومات عن الأرض والسكان الذين تعرفهم وتعيش بين ظهرانيهم في هذه البلاد المحددة في هذه الصفحات. والنقاط التي نسعى لجمع مادة علمية عنها، هي على النحو التالي:

(*) انظر آخر صفحة

ابن جريس

١٤٣٨/٤/٦هـ

-١-

تابع ملحق رقم (٥١)

١- الطبيعة الجغرافية من حيث التضاريس (الجبال، والأودية ، والوهاد ، والهضاب) ، وما يوجد في هذه الأوطان من نباتات وحيوانات وطيور وزواحف ، أو أي كائنات حية أخرى ، كذلك المناخ (الرطوبة ، الحرارة ، البرودة ، الأمطار ، الضباب) وكل ماله علاقة بالجغرافيا الطبيعية .

٢- التركيبة السكانية ، تفريعات القبائل والعشائر والبطون في هذه البلاد ، أنسابها ، تاريخ سكانها إذا أمكن خلال الثلاثة قرون الماضية . الأجناس البشرية التي تعيش في هذه الديار مع القبائل الأصلية ، ولا تنس الأحلاف القديمة والحديثة ، وبعض الأحداث السياسية والحضارية التي عاشها أهل المنطقة .

وفي نهاية هذه النقطة ، والتي قبلها أرجو أن تذكر ما تراه من تغيرات في العصر الحديث على الحياتين الجغرافية والبشرية ، وإذا كان لك رأي أو وجهة نظر أو توصية فأرجو ذكرها حتى نضمها مع هذه الدراسة المزمع إخراجها .

٣- تاريخ الحياة الاجتماعية مثل: وضع القبيلة أو العشيرة ، والأسرة ، والأفراد ، وطبقات السكان، والطعام والشراب ، واللباس والزينة ، والعمران قديماً وحديثاً ، والعادات والأعراف الأخرى : كالزواج ، واستقبال الضيوف ، والتعاون والتكافل ، وزيارة المرضى ، وإغاثة الملهوف ، والفنون الشعبية ، كيف كانت وكيف أصبحت اليوم ؟ والألعاب الشعبية والرياضية، واللهجات المختلفة في المنطقة ، والحكم ، والأمثال ، والأغاني الشعبية، والأهازيج ، والأحاجي، والطرف والفكاهات وغيرها . والملاحظ اليوم أنه قد دخل على أهل هذه البلاد وغيرهم الكثير من المتغيرات الاجتماعية في جميع جوانب الحياة ، فأرجو مناقشة هذا الجانب بالتفصيل مع ذكر أمثلة وما تعيشه هذه البلاد من تحولات سلبية أو إيجابية .

٤- تاريخ الحياة الاقتصادية : الصيد ، والجمع والالتقاط ، والرعي ، والزراعة ، والتجارة ، والحرف والصناعات التقليدية . وكل هذه المحاور عاشها وعرفها سكان البلاد خلال القرون الماضية المتأخرة ، وربما شاهدت الكثير منها ، ثم جرى تحولات وتبدلات في هذه الميادين ، والمطلوب أن تفصل لنا [illegible] أصبحت مهن الصيد والرعي والجمع والالتقاط ،

تابع ملحق رقم (٥١)

وماذا جرى على الزراعة وكيف كانت في السابق ؟ ثم الحديث عن التجارات التي تعيشها منطقتك اليوم وما حولها ؟ وكيف تغيرت سلباً أو إيجاباً ؟ مع الإشارة إلى المعوقات أو العوامل المساعدة التي قابلت مهنة التجارة وغيرها من المهن . كما أرجو ذكر تفصيلات شاملة عن الأسواق الحديثة في ناحيتك ، وأسعار السلع ، والعقارات ، والأجور ، كما لا تنس أيضاً ماذا جرى على نظام الحياة التجارية عندكم ؟ وكيف تأثرت بلادك سلباً وإيجاباً في مجالات الزراعة ، والتجارة ، والصناعات والحرف والمهن التقليدية خلال الأربعين سنة الماضية ؟ وماذا جرى على هذه الجوانب الاقتصادية اليوم ؟ مع إيراد دراسة مقارنة في هذا الباب .

٥- الحياة السياسية والإدارية والمالية في بلادك ، ماذا عرفت عن هذه الجوانب في الماضي البعيد والقريب ؟ وما هو تاريخ هذه المحاور المعاصر؟ كيف دخلت بلادكم تحت حكم ابن سعود ؟ والمؤسسات الإدارية التي ظهرت واستمر تطورها في بلادك ، ثم الحياة المالية وأثرها على حياة الناس ، كالأجور ، والرواتب ، وأثر المال على التطور والتنمية في وطنك .

٦- الحياة الفكرية ، والثقافية ، والأدبية كيف عاشت بلادك في القرن الهجري الماضي فكرياً وثقافياً ؟ وماذا جرى عليها من تطور في هذا الباب ؟ كيف كان الناس؟ وكيف تعلموا وتثقفوا إلى يومنا الحالي ؟ من هم الأعلام في ميدان الثقافة والعلم ؟ وما تعيشه بلادكم اليوم في ميدان التعليم ، والثقافة ، والفكر ، والأدب ، أرجو التفصيل في هذا الجانب في وقتنا الحاضر. وفي العقود الماضية المتأخرة عرفت المملكة العربية السعودية والعالم العربي والإسلامي والعالمي بعض التيارات والأفكار الهدامة ، هل وصل أثرها إلى بلادكم ؟ وإذا كان الجواب بنعم ، فأرجو ذكر أمثلة وتفصيلات في هذا الباب .

٧- السياحة من الجوانب المهمة التي تهتم بها الدولة في الثلاثين سنة الماضية ، فهل لبلادكم دور في هذا المحور ؟ وهل جرى لها بعض التطورات في مجال السياحة ؟ فصّل هذا الجانب بشكل جيد ، مع ذكر أسماء الأمكنة السياحية في وطنك ، وإذا كان هناك عقبات في هذا الجانب فأرجو ذكرها .

٨- نعلم جميعاً أن الموروث القديم مثل الأدوات الأثرية ، والعمارة القديمة من الجوانب المهمة في دراسة التاريخ والحضارة ... لبلادك تصيب في هذا الباب فيوجد بها بعض الآثار ،

-٣-

غيثان بن علي بن جريس
٨/٦
١٤٢٨هـ

تابع ملحق رقم (٥١)

أو الرسومات الصخرية ، أو النقوش ، أو الأبنية القديمة (قصور ، وحصون ، وقرى ، ومنازل، وآبار ، وأسواق ، ومقابر، وأحمية ، وكهوف ، وطرقات) وغيرها ، وعليك أخي الحبيب أن تفصل الحديث في هذه الجوانب وفي محيط ما تعرف في بلادك وبين قبائلك وعشائرك .

٩- بلادنا (المملكة العربية السعودية) تمر في تطور وتنمية منذ خمسين عاماً ، ومن المؤكد أن بلادك نالها شيء من هذا التطور ، فأرجو أن تدون ما تعرفه في هذا المجال ، وإذا كان لك رأي أو وجهة نظر أو نداء فأرجو طرحه حتى ننشره ، ويطلع عليه أصحاب القرار ، ونحن جميعاً نعمل فيما يفيد ويرفع من شأن ديننا وبلادنا وأهلنا .

١٠- هذه نقاط عديدة في البنود السابقة ، والخيار لك — أخي العزيز — أن تكتب في كل ما تراه جيداً ويستحق النشر عن هذه البلاد التهامية الممتدة من شمال محايل عسير إلى قلوة في تهامة زهران ، وقد ترى كثيراً مما سوف تدون لنا في سلسلة كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، الجزء الثاني عشر ، أو أي جزء يليه في هذه السلسلة ، كما أننا سوف نحفظ حقك العلمي ، وربما نجري تعديلات أو إضافات أو تصويبات على ما سوف ترسل لنا ، لكن الأهم من ذلك أن الحق العلمي لكل من يشاركنا سوف يحفظ ، وهذا أمر شرعي وعرفي ، وهو حفظ الحقوق . وفي الختام أرجو من كل يطلع على هذه المدونة أن لا يبخل علينا بما يراه نافعاً ومفيداً للبحث والنشر عن هذه البلاد التهامية العربية المنسية . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين .

حرر في (١٤٣٨/٤/٦هـ)

إعداد

أ . د . غيثان بن علي بن جريس
أستاذ التاريخ — جامعة الملك خالد
E. mail: Jrais2009@hotmail.com
العنوان : أبها — ص : ب (٩٠٥٠)
الجوال ٠٥٠٣٧٣٩٣٧٠

ملحوظة: هذه المذكرة تم توزيعها على بعض الباحثين والمعلمين أثناء رحلتي ما بين محايل عسير وقلوة في الفترة الممتدة من الخميس (٧) إلى الاثنين (١١) ربيع الثاني عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) بعض المواسم

د. غيثان ١٤٣٨/٤/٦هـ

-٤-

ملحق رقم (٥٢): مذكرة بتاريخ (١٤٣٨/٦/٢هـ) من شيخ عشيرة العوامر في العرضيات محمد بن علي بن سعد آل شاكر العامري مرسلة إلى غيثان بن جريس يعلق فيها على بعض المعلومات المنشورة في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الثاني) صفحة (٤٠٠) ويضيف تفصيلات أخرى عن عشيرة العوامر وصور من تاريخها. **المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق الخاصة عام (١٤٣٨هـ) (لم ترقم بعد).**

بسم الله الرحمن الرحيم

يسرني بعد اللقاء بالأستاذ د غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ - جامعة الملك خالد أن أوضح وأبين مقدار سعادتي ومشاعري بأنني وجدت رجلا متواضعا يملك من العلم والحكمة ما جعلني سعيدا بلقائه ومقابلته والاستفادة من علمه وخبرته فنسال الله تعالى له التوفيق والسداد وطولا له في العمر لخدمة دينه ومليكه ووطنه ومجتمعه الذين هم بحاجة له لإظهار الحقائق وتقبل النقد

وملاحظاتي على كتابة القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الثاني)

فيما يخص قبيلة العوامر بمحافظة العرضيات

الشيخ محمد بن علي بن سعد آل شاكر العامري شيخ قبيلة العوامر

وال شاكر هم شيوخ العوامر منذ مئات السنين في هذه القبيلة

كما أن هذه الأسرة متوارثين هذا المنصب من قبل الحكم السعودي وظهر عليهم الحكم السعودي الدولة السعودية الثالثة في عهد المؤسس الملك عبدا لعزيز بن عبدا لرحمن آل سعود طيب الله ثراه وكانوا أول المبايعين في بيشة آن ذاك

وأبناءه الملوك من بعده

وقبيلة العوامر من القبائل المستقلة منذ القدم بمشايخها وليس لها علاقة بقبيلة خثعم الحالية إلا علاقة الحلف الذي كان يجمعهم بمسي حلف قبائل خثعم سابقا قبل الحكم السعودي

سوق قبيلة العوامر

سوق هذه القبيلة سوق الأحد الشعبي بقرية المشيخة ثريبان العوامر

حدود القبيلة

حيث تمتد شرقا مع منطقة عسير وشمالا مع منطقة الباحة وجنوبا وغربا قبائل محافظة العرضيات غربا بالعريان وبني سهيم وجنوبا شمران وقبيلة عليان بني المنتشر وتعتبر قبيلة العوامر من أكبر القبائل في محافظة العرضيات التابعة لإمارة منطقة مكة المكرمة وهي تمثل مجموعة من القرى والحلل والشعاب و...

تصديق شيخ العوامر
محافظة العرضيات
محمد ... العامري

حرر في ٢/٦/١٤٣٨هـ

(١)

تابع ملحق رقم (٥٢)

تحدها إمارة الباحة شمالا حيث تمتد ديارها على امتداد أطول جزء من وادي الخيطان أحد أهم روافد وادي قنونا وترتفع ديارها إلي سفوح هضاب عقبة الأبناء المؤدية إلي منطقة الباحة وشرقا مركز باشوت ومركز خثعم

في اعلي جبال السر وات التابع لمنطقة عسير حيث تصب هذه الجبال في وادي الحفياء أحد روافد وادي قنونا الذي يصب في البحر الأحمر

وقبيلة العوامر تسع تواسع في تهامة وهم كالآتي ١/ تاسعة آل ثربان وال سعدان وهي قبيلة الشيخ ومقرها ثربان العوامر دار السوق ودار المشيخة ٢/ وتاسعة آل جبل الجناح ٣/ وتاسعة المروة٤/ وتاسعة آل حازم

٥/ وتاسعة آل غليله ٦/ وتاسعة آل حنيفة ٧/ وتاسعة القريد ٨/ ووتاسعتي آل حجاج بوادي الحفياء وهم آل ربعان وال سيار

وتاسعتين في السراة

عشيرة آل حبة ويراجعون إداريا منطقة عسير

وعشيرة حواله ويراجعون إداريا منطقة الباحة

من شعراء قبيلة العوامر

ومن شعراء العوامر القدامى الشاعر مصبح بن هواش العامري يرحمه الله

شيخ قبيلة العوامر محافظة العرضيات

الشيخ محمد بن علي بن سعد آل شاكر العامري

ملحظ: هذا التقرير وصلنا من شيخ العوامر في بلاد العرضيات بتاسعم لمنظمة مكة المكرمة ...) وتعليقا تم ... مع ضرر ما ... في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب) ...

٢/٦/١٤٣٨هـ



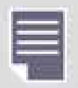
History of the South

A Historical and Cultural Encyclopedia

(1st - 15th H. / 7th- 21st G.)



Volume: 12



Prof. Ghithan bin Ali bin Jrais

King Khalid University Publications

Second edition

1442 H /2020

Riyadh : Al Homaidhi Press